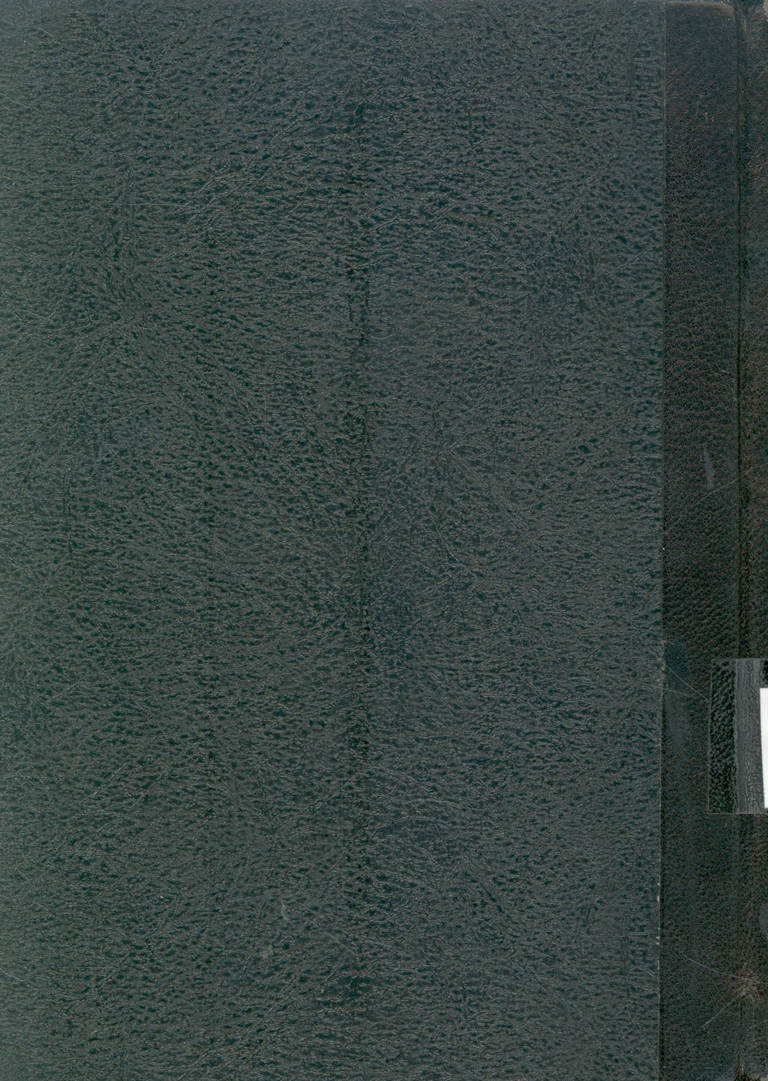


المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

يعقوب صرّوف دكتور في الفلسفة

وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلد الثالث والثلاثون

الجزء السابع

قيمة الاشتراك في السنة ليرة انكليزية [illegible]ع سلفاً

يوليو (تموز) سنة ١٩٠٨

AL-MUKTATAF,

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY

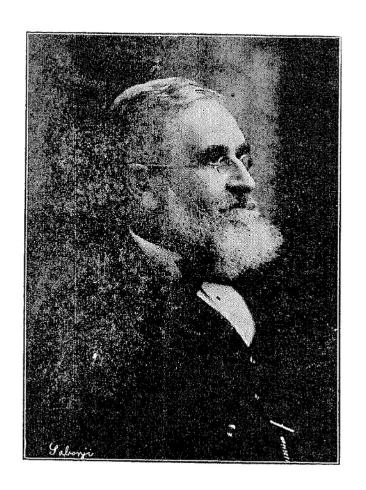
Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

VOL. XXXIII

No. 7, July 1908.

Al-Muktataf Printing Office,

Cairo, Egypt.



السر جون اڤانس

المقتطف

الجزء السابع من المجلد الثالث والثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢ جماد ثاني سنة ١٣٢٦

السرجون افانس

نعت الجرائد السياسية والمجلات العلمية السرجون افانس شيخ علماء الاركيولوجيا توفاه الله في بيتهِ قرب مدينة لندن في الحادي والثلاثين من شهر مايو الماضي وهو في الخامسة والثمانين من عمرهِ وقد اوردنا طرفاً من ترجمتهِ في المجلد السابع والعشرين من المقتطف حيث قلنا

يقول العرب طالب علم وطالب مال لا يجتمعان وقالوا ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا فنفوا المال عن طلبة العلم واستحسنوهُ في رجال الدين . ولكن إذا حقَّ لنا ان نبيح المال لقوم ونحرّمهُ على قوم اجناهُ لرجال العلم لا لرجال الدين لان هؤلاء احرى من كل احد بالزهد في حطام الدنيا لكي يتسنى لهم حث غيرهم على الزهد فيها فلا ينصرف همّ الناس كلهُ اليها . اما العلم فانهُ قرين المال وعميدهُ بل كلٌّ منهما عضد الآخر . العلم يزداد نفعهُ بالمال والمال يزداد نفعهُ بالعلم وعليهما كليهما تبنى عزّة الامم وتقام دعائم الممالك ولا ترتقي الشعوب الاَّ حيث يعضد المالُ العلمَ والعلمُ المال

لما زرنا معرض باريس الاخير انسنا بلقاء رجل من شيوخ العلماء وهو السرجون افانس وكنا نسمع عنهُ ونقرأ خطبهُ ونودُّ التعرُّف بهِ ويقيننا انهُ منقطع للعلم لا يفعل شيئاً سواهُ . ثم زار القطر المصري في الشتاء الماضي وحالما وقع نظرهُ على بالات الورق في دار المقتطف وقف متهلّلاً واستوقف زوجتهُ لادي افانس قائلاً لها انظري ورق معملنا . ثم اخبرنا انهُ من اصحاب معمل دكنصن المشهور بعمل ورق الكتابة وورق الطباعة في البلاد الانكليزية وقد تحوَّل هذا المعمل الآن الى شركة مساهمة رأس مالها ٤٥٠ الف جنيه . ولدى البحث والاستقصاء وجدنا انهُ ابن اخت جون دكنصن منشئ هذا المعمل وقد انضمَّ اليهِ سنة ١٨٤٠

وعمرهُ ١٧ سنة وتزوج بابنتهِ واشترك معهُ سنة ١٨٥٠ وعكف على توسيع نطاق المعمل واتقان اعمالهِ وتوفير ارباحهِ ولم يصرفهُ ذلك عن خدمة العلم فقضى حق العلم وحق المال لانهُ كان يقضي ساعات الفراغ من الاعمال في الدرس والبحث وانتظم في سلك كثير من الجمعيات العلمية وصار رئيساً لكثير منها فرأس جمعية علم النقود وجمعية العاديات والجمعية الجغرافية والجمعية الملكية ومجمع ترقية العلوم البريطاني · ولهُ تآليف مختلفة في علم النقود والعاديات وعندهُ مجموع كبير من التحف قلما يوجد مثلهُ وقد ظهر لنا من الحديث معهُ ان عندهُ من نوادر النقود القديمة ما لا مثيل لهُ عند سواهُ

ولو اقتصر هذا الرجل على خدمة العلم ما مات جوعاً ولا عاش فقيراً متربا كما يعيش كثيرون من خدمة العلم عندنا ولا اضطرَّ ان يهرب بقلمهِ وكتبهِ من بلاد الى أُخرى كما يهرب كثيرون من ابناء المشرق الذين قضى عليهم نكد الطالع ان يكونوا من ارباب الاقلام لان لرجال العلم شأناً كبيراً عند الامة الانكليزية وكل الامم الاوربية · ولكنهُ لو فعل ذلك ما استطاع ان يقتني القصور ويجمع التحف ويضيف العلماء وينفق على المباحث العلمية انفاق المثري الكريم · فقد اخبرنا ابننا انهُ زارهُ في قصرٍ لهُ في مدينة دوفر وكان قد دعا اليهِ كثيرين من اعضاء مجمع ترقية العلوم البريطاني فرأى بسطة جاهٍ وعزّاً لا يظهر فيهِ الاَّ الامراء وكبار الاغنياء · ورأينا في نشرة نشرتها لجنة البحث عن آثار كريت ان اكثر نفقات البحث منهُ والباحث عن تلك الآثار ابنهُ فكأَنهُ وقف مالهُ واولادهُ لخدمة العلم . فالمال الذي اكتسبهُ بجدهِ من صناعة الوراقة كان لهُ عوناً كبيراً على توسيع نطاق العلم فوق ما فيهِ من رفعة الجاه عند من يعرف كيف ينفق مالهُ في ما يُكرَم على انفاقهِ فيهِ .ولم يثرِ هذا الرجل مثل كبار الاغنياء لكن مقامهُ بينهم لا يقلُّ عن مقامهم ونفعهُ لوطنهِ يزيد على نفعهم· انتهى ما نشرناهُ عنهُ منذ اكثر من ست سنوت

وقد اطلعنا الآن على ترجمة مسهبة لهُ في جريدة التيمس فنقتطف منها ما يأْتي

بقي السرجون الى قبيل وفاتهِ ببضعة اشهر ممتعاً بالصحة كأَن قوتهُ الحيوية لا تتغلب عليها الشيخوخة · انحرفت صحتهُ قليلاً في الصيف الماضي لكنهُ بقي مواظباً على اعمالهِ المختلفة ثم حُمَّ الاجل بغتةً ودعاهُ داعي الردى فانقضت حياة كلها عَمَل وجهاد

ولد سنة ١٨٢٣ وابوهُ القس ارثرافانس ناظر مدرسة من المدارس العالية وامهُ من بيت دكنصن اصحاب معمل الورق المنسوب اليهم فدرس في المدرسة التي كان ابوهُ ناظراً لها ولم يدرس في مدرسة جامعة ولكن فاق متخرجي المدارس الجامعة في معارفهِ العلمية

والادبيَّة وبقي حتى ادركتهُ الوفاة يذكر الشاهد بعد الشاهد من كتّاب اليونان والرومان بالسهولة التامة . وكان قد استعد لاتمام دروسهِ في اكسفرد ولكنهُ دعي لمعاطاة الاعمال فعدل عن الذهاب اليها وذهب الى المانيا لدرس اللغة الالمانية استعداداً للتجارة. ومنذ عهد غير بعيد حسب من متخرجي تلك المدرسة وهو الشرف الذي توخاهُ قبل ذلك بستين سنة فسُرَّ بهِ سروراً فائقاً

والظاهر ان هذا العالم المدقق والاثري المحقق والسياسي المحنَّك وُلد ليكون من ارباب الصناعة فانضمَّ وهو شاب الى معمل اخوالهِ الذي يصنع الورق وسكن على مقربة منهُ خمسين سنة وصار بيتهُ هناك مقصداً للعلماء والفضلاء من كل الاقطار وقلَّ منهم من يعرف انهُ على علمهِ الواسع واشتغالهِ بكثير من العلوم والفنون يشتغل بصناعة الوراقة والتجارة بالورق ولهُ فيهما المقام الارفع . وقد تنحى عن الاشتغال في ذلك المعمل منذ سنوات قليلة بعد ما نجح المعمل بهمتهِ نجاحاً فائقاً ولكنهُ لم ينقطع عن الاهتمام بهِ والاعتناء بادارتهِ . وجُعل رئيساً لجمعيَّة الوراقين وبقي في هذا المنصب سنين كثيرة

ومنذ نحو اربع سنوات ترك بيتهُ بل قصرهُ الذي قرب المعمل لان هواءهُ لم يعد يوافق صحة زوجتهِ وبنى بيتاً بديعاً في ضواحي لندن وسكنهُ منذ سنة ١٩٠٦ ونقل اليهِ كتبهُ ومجموعاتهِ المختلفة

ولقد كان من اشهر علماء العصر في العاديات على اختلاف انواعها واول فرع اتقنهُ من فروعها علم النقود القديمة فانتظم في جمعية النقود (نومسماتك) سنة ١٨٤٩ وانتخب سكرتيراً لها سنة ١٨٥٤ ورئيساً لها واقام في هذا المنصب من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٨٠٤ حين احتفل بمضي خمسين سنة منذ انضمامهِ اليها . واول كتاب الَّفهُ في النقود موضوعهُ نقود بريطانيا القديمة نشرهُ سنة ١٨٦٤ ثم الحقهُ بملحق سنة ١٨٩٠ . لكنهُ لم يكن مقتصراً على علم النقود ونحوهِ من فروع العاديات بل كانت لهُ مشاركة واسعة في علم الجيولوجيا والانثروبولوجيا . وهو اول مَن اهتمَّ بادوات الظرَّان وعرف فائدتها الجيولوجيَّة والتاريخيَّة ولا سيما في ما يتعلق بالانسان قبل عصر التاريخ وانشأ رسالة في هذا الموضوع سنة ١٨٦٠ ثم رسالة اخرى سنة ١٨٦٢ وتوسَّع في هذا البحث واتقنهُ حتى صار اكبر ثقة فيهِ في المسكونة وعندهُ مجموعة كبيرة من الظرَّان لا مثيل لها في الدنيا على الراجح. وسنة ١٨٧٢ طبع كتابهُ المشهور عن الادوات الحجرية والاسلحة والحلي التي كانت مستعملة في بريطانيا وارلندا في العصور الغابرة

وانتخب رئيساً للجمعية الجيولوجية سنة ١٨٧٤ وكان عضواً في الجمعية الملكية وبقي اميناً لصندوقها عشرين سنةً . وانتخب رئيساً لجمعية العاديات واميناً من امناء المتحف البريطاني ورئيساً للمجمع الانثروبولوجي ومجمع الكيمياء الصناعية وأُعطي لقب سر سنة ١٨٩٢ وكثيراً من الالقاب العلميَّة من كثير من المدارس الجامعة . وانتخب رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٨٩٨ ورئيساً لجمعية الفنون ولجمعية النقب في القطر المصري

ولم يقتصر على التفوُّق في العلوم والفنون بل خدم بلادهُ في امورها الداخلية فانهُ كان رئيساً للمجلس البلدي في الناحية التي هو فيها ولمجلس القضاء وقد انتخبهُ اهالي بلادهِ لهذا المنصب لا لعلمهِ وشهرتهِ بل لما رأوهُ منهُ من العدل واصابة الرأي

وكان مغرماً بجمع التحف الثمينة النادرة وعندهُ منها ما لا مثيل لهُ في المتاحف الكبيرة ومجموعة النقود التي عندهُ تحوي نقود كل البلدان والازمنة وهي مشهورة في الدنيا وكذلك مجموعة الحلى الذهبيَّة ومجموعة الظران والادوات التي من قبل عصر التاريخ

وكان عارفاً باللغة العبرانية وهيئتهُ تشبه هيئة الاسرائيليين حتى انهُ اذا زار كنيساً من كنائسهم يحسب من ربانيهم وتدفع اليهِ التوراة ليقرأها لهم . وكان يعرف ايضاً الالمانية والفرنسوية ويحسنهما تكلماً وخطابةً (وقد ذكرت التيمس انهُ وقف غير مرة خطيباً بهاتين اللغتين)

وكان مضيافاً انيس المحضر والمحاضرة مغرماً بالصيد محافظاً في السياسة من اشد المحافظين تمسكاً بمبادىء حزبهِ ويميل الى حماية التجارة

هذا ما اقتطفناهُ من مقالة التيمس . وقد زار القطر المصري مراراً مع لادي افانس وكان يتكرَّم بزيارتنا كلما زارهُ فنجد منهُ ما يفوق الوصف من الانس والظرف وحسن المحاضرة . وان من ابهج المناظر التي نتذكرها منظر ذلك الشيخ الجليل وقد ابرقت اسرتهُ وتلألأت عيناهُ حينما يخرج من جيبهِ قطعة من النقود النادرة المثال وجدها مع احد باعة النقود القديمة فاشتراها منهُ وقرأ ما عليها من الكتابة واستدلَّ منها على حقيقة تاريخيَّة مجهولة . اومنظرهُ وقد اخذ يصف لنا ما شاهدهُ في صحاري القطر المصري وبين انقاض مدنهِ القديمة وهو فوق الثمانين . ومن اطرب الاحاديث ما يطرف بهِ مجالسيهِ من الطرف والنكات الادبيَّة ولو كان مريضاً يتوجَّع . وقد زارهُ اولادنا في البلاد الانكليزيَّة فرأوا منهُ ومن لادي افنس جاهاً عريضاً وكرماً حاتمياً

تأبين السر جمس نولس

عوتبنا في الشهر الماضي لاننا لم ننشر ترجمة السر جمس نولس صاحب مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية . فوعدنا ان ننشر في هذا الجزء بعض ما قالهُ فيهِ اصدقاؤهُ ومريدوهُ ونشروهُ في مجلتهِ وانجازًا لذلك نقول : — كتب ستة من هؤلاء الفضلاء مقالات وجيزة كالتأبين وصفوا فيها اخلاق الفقيد و بينوا امورًا لا يعلمها الاَّ اخصاؤهُ الادنون . قال اولهم وهو نيافة المطران ولدن

ان من اصعب الامور على الانسان ان يؤَبن صديقًا عزيزًا كريمًا فان هذا التأبين لا يرضي المؤَبن ولو ارضى كل احد سواهُ لان الاخلاق التي توجب الصداقة لا يمكن التعبير عنها بالكلام كما لا يمكن التعبير عن طرب الالحان وعرف الازهار

كان المرحوم السر جمس نولس آية في اصطفاء الاصدقاء ولعلهُ لم يكن لاحد من معاصريهِ ما كان لهُ من الاصدقاء لا في عددهم ولا في اختلاف انواعهم حتى لقد يصح ان يقال ان من لم يعرفهُ لم يكن معروفًا ومن عرفهُ حق المعرفة وهو في احسن اوقاتهِ فقد عرف كل الذين يستحقون ان يُعرَفوا في مدينة لندن . وكانت لهُ مشاركة في كل المطالب في الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيَّة والسياسيَّة والطبيعيَّة والدينيَّة وقد اشتغل بها كلها . وكان فيهِ شيء يجتذب الناس اليهِ ويجعلهم يثقون بهِ ولم يكن هذا الشيء كتابة كتبها او كلامًا قالهُ بل كان الرجل نفسهُ . ولقد كنت اجلس على مائدتهِ وانا افكر مستغربًا كيف يستطيع هذا الرجل اجتذاب الناس اليهِ على قلة كلامهِ وضعف صوتهِ حتى لا يكاد يسمع . فالذي جذبهم اليهِ انما هو مغنطيس نفسهِ لا سواهُ ولقد اشرق في حلقة اصدقائهِ ومريديهِ لانهُ اراد ان لا يشرق فيها . وكان خير موصل بين قلوب الناس وافضل رابطة بينهم وامهر انسان في استخراج جواهرهم على اختلاف آرائهم ومشاربهم ولم يكن نصيبهُ من احاديثهم الاَّ فك قيود السنتهم واطلاقها في الكلام . وكان شأنهُ في الآداب والمعارف شأنهُ في الحديث فانهُ كان من اقدر الناس على الكتابة ولم يكتب الاَّ نادرًا ولكنهُ حرَّض اصدقاءهُ على الكتابة واطلق قيود الاقلام ولم يكتفِ باستكتاب الامراء والعظماء كما قيل عنهُ بل فتَّش ايضًا عن الكتَّاب الخاملين ونشطهم على الكتابة واكتشف القرائح في غير مظانها ووسَّع لها المجال للظهور والتفوُّق ولم يكن يسر بشيء سرورهُ باكتشافهِ كاتبًا غير معروف وسواء كان كتَّاب مجلتهِ من المجلين في ميدان الكتابة او من المبتدئين فيهِ فانهُ كان يستخرج منهم افضل ما يستطيعون انشاءهُ

وكان يهتم بكل المسائل العصرية ولكنهُ لم يكن ينظر فيها نظر المتغرض ولذلك فتح ابواب مجلتهِ لكل الاحزاب والآراء ولم يمل بها الى جهة دون اخرى الاَّ في المسائل التي حسب ان سلامة السلطنة تتوقف عليها كما في مسألة انشاء سكة بين انكلترا وفرنسا تحت بحر المانش. وان كان عندي عليهِ شيء انتقدهُ بهِ فهو انهُ كان يظهر قلَّة التديُّن مثل كثيرين غيرهِ وهو متدين حقيقةً على ما ارى

واخلاقهُ هذه ظهرت في مجلتهِ فكلٌّ احد يعلم ان مجلة القرن التاسع عشر هي مجلة العلوم والآداب والارتقاء الاجتماعي والسياسي والديني . وكان يستحيل عليهِ ان يعمل عملاً من ورائهِ انحطاط الناس او ايهامهم بامور لا صحة لها ولذلك انشأ هذه المجلة واجراها في خطتهِ فاشتهرت بها وصار كبار الكتَّاب يتسابقون الى الكتابة فيها وكل منهم يفتخر بان يحسب في عداد كتَّابها . ولم يشأ ان ينشر مقالة فيها ما لم تكن مذيلة باسم كاتبها لكي يشعر كل كاتب انهُ مسأول عمَّا كتب كما يشعر صاحب المجلة انهُ مسأول عن كل ما يُنشر فيها

وكان حاد البصيرة شديد الانتقاد اذا عُرضت عليهِ مقالة عرف حالاً ما فيها من الغث والسمين بالبداهة وكيف يمكن تنقيحها حتى تخلو من العيوب. ولقد كتبتُ لهُ مقالات كثيرة في اوقات مختلفة وكان ينتقد بعضها و يطلب مني تنقيحها او اختصارها فكنت اجد في آخر الامر انهُ مصيب في حكمهِ وان المقالة التي انقحها او اغيرها حسب طلبهِ تصير اصلح مما كانت قبلاً

ويظهر لي اننا اذا تقدمنا في السن ودنونا من القبر صرنا ننظر الى اصدقائنا الذين نفقدهم لا حسب ما حازوهُ من الشهرة في عيون الناس بل حسب ما لهم من المنزلة في قلوبنا. ولا ابالغ اذا قلت ان السر جمس نولس من الرجال الذين موتهم يجرح كثيرين جرحاً لا اعمق منه غوراً ولا اشد منهُ المًا. ولا اعني بذلك انهُ كان محتلاً ارفع المنازل في نظر اهل العالم بل انهُ كان محتلاً منزلة خاصة بهِ فان البعض من اشهر مشاهير الارض لا يصعب ان يوجد من يقوم مقامهم حالاً وغيرهم وهم دونهم شهرة يتركون وراءهم فراغاً لا يمكن املاؤهُ. وسيبقى مكان السر جمس نولس فارغاً في الهيئة الاجتماعيَّة الانكليزية. والذين عرفوهُ قديماً وهم ينظرون الآن الى مكانهِ والدموع ملءُ عيونهم تحركهم ذكراهُ للنظر الى كل ما هو جميل فاضل في الحياة والى الايمان الوثيق بان الفوز سيكون اخيراً للحق والمحبة. انتهى باختصار قليل

وجاء في ما كتبهُ غيرهُ ان السر جمس نولس كان يقصد كبار الكتَّاب ويطلب منهم ان يكتبوا لهُ في بعض المواضيع واذا رأى من الكاتب زهداً في الموضوع باحثهُ فيهِ وفصَّلهُ لهُ حتى يجد الكاتب من نفسهِ ارتياحاً الى الكتابة فيهِ. ولقد قال غلادستون ان نولس لم

يذاكره مرةً في موضوع الاَّ انتهت المذاكرة بجعله يكتب له مقالةً في ذلك الموضوع

وكتب فردرك هريسن في تأبينه واصفاً كيفيَّة انشائه للجمعية التي تبحث في ما وراء الطبيعة ولمجلة القرن التاسع عشر فقال ان تلك الجمعية كانت تضم ٦٢ رجلاً من نخبة كتَّاب العصر وفلاسفته مثل تنسن وغلادستون ودين ستنلي وكردينال مننغ وهكسلي وتندل ورسكن وفرود وموريس ومرتينو وسيلي وباجوت وجون مورلي وكليفورد وفردرك بولك ومارك باتيسن وجون لبوك وبلفور . ومن المواضيع التي بحث فيها اعضاؤها . النفس . والله . والموت . والخلود . والعجائب . والارادة . والمادة . والقوة . والمطلق . والدليل . والبديهة . اي ان تلك الجمعية كانت تضمُّ كل ارباب الافكار من الكاثوليك المتطرفين في الكثلكة الى الماديين . وكان السر جمس نولس ينشر مقالاتهم ومباحثاتهم في مجلة المعاصر لما كان محرّرًا لها ثم انشأ مجلة القرن التاسع عشر وصار ينشرها فيها وحلَّت تلك الجمعية سنة ١٨٨٠ ولكن بقي اعضاؤها يكتبون في مجلة القرن التاسع عشر التي مضى عليها الآن ٣١ سنة وهي جارية في خطتها حتى صارت قوة عمليَّة في العالم القديم والجديد واثَّرت تأثيرًا عظيمًا في انشاء المجلات وفي الافصاح عن الآراء

ويظهر مما قرأناه عنهُ في اماكن اخرى انهُ كان من اوجه وجوه الانكليز وان امراء انكلترا كانوا يزورونهُ ويقيمون في بيتهِ وانهُ كان ايضاً من كبار المهندسين وقد هندس كثيرًا من المباني الكبيرة واشرف على بنائها . وكانت ولادتهُ سنة ١٨٣١ وانشأ الجمعية المشار اليها آنفاً سنة ١٨٦٩ وبقي يحرر مجلة المعاصر من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٧

وقلما تجد جزءًا من اجزاء القرن التاسع عشر الاَّ وتجد فيهِ مقالات لاشهر امراء الانكليز وعلمائهم ولا تزال هذه المجلة جارية في خطتها فالجزء الذي نقلنا عنهُ هذا التأبين فيهِ ١٢ مقالة لكبار الكتاب عدا مقالات التأبين ومنهم السر وليم هويت الذي كان مديرًا لبناء المدرعات الانكليزية ولورد ستانلي والقانون هنسلي هنسن . والسيد اميرعلي الهندي وامثالهم

وقد فتحنا عرضاً مجلدًا من المجلدات السابقة وهو المجلد الثالث عشر الصادر في النصف الاول من سنة ١٨٨٣ فوجدنا بين كتَّاب مقالاتهِ ارنولدفوستر والبرنس كرابتكن الروسي وكردينال مننغ ودوق ارجيل والدكتور مرتينو ولورد نورثن والدكتور جسوب وجوزف ريناخ وتنسن (لورد تنسن) وفردرك هريسن ولورد لفرد ولادي باجت ولسلي ستفن ولورد لتن والسرجون لبك ومتيو ارنولد والاستاذ بلاكي وارل كوبر وامثالهم من نوابغ العصر

أكبر الساعات

رأى الاميركيون ان يفوقوا غيرهم في صنع الساعات الكبيرة كما فاقوا امم الارض في امور كثيرة فصنعوا ساعة قطر مينائها اربعون قدماً اي اكثر من اثني عشر متراً ولم يضعوها في برج من ابراج كنائسهم كما هي العادة في اوربا ولا في بناء من مباني الحكومة بل في بناء شركة الصابون والطيوب المعروفة بشركة كولغايت Colgate

قطر ميناء هذه الساعة في النهار ٣٨ قدماً فقط و يزاد قدمين في الليل بالمصابيح الكهربائية التي تنير على دائرةٍ لتدل على عدد الساعات فيصير اربعين قدماً . وطول عقرب الساعات ١٥ قدماً وعرضهُ الاوسع نحو اربع اقدام . وطول عقرب الدقائق ٢٠ قدماً وثقلهُ ٦٤٠ رطلاً . ورأسهُ ينتقل نحو قدم كل نصف دقيقة فيسير نصف ميل في اليوم . والعقربان مصنوعان من النحاس ومدهونان بدهان اسود ذُرَّ عليهِ رمل لكي لا يعكسا النور فتتعذَّر رؤيتهما اذا وقع عليهما نور الشمس . وطول كل علامة من علامات ارقام الساعات خمس اقدام ونصف قدم . و ينار وجه الميناء ليلاً وتظهر الساعات والدقائق عليهِ بالمصابيح الكهربائية فعند كل دقيقة مصباح كهربائي صغير نورهُ مثل نور ٤ شمعات وعند كل ساعة مصباح كبير نورهُ مثل نور ٣٦ شمعة ولونهُ احمر وحافات العقربين مرصَّعة بالمصابيح الكربائية فعلى عقرب الدقائق ٤٠ مصباحاً وعلى عقرب الساعات ٣٤ مصباحاً . والمعمل الذي صنع هذه الساعة يكفل انها لا تختل ست ثوانٍ في الاسبوع مع ان ثقل عقربيها اكثر من الف رطل

ورقاص هذه الساعة من النوع المعوَّض الذي يصلح من نفسهِ ما يقع فيهِ من الخلل باختلاف الحر والبرد وطولهُ ثماني اقدام فقط وثقل قرصهِ ٣٣٠ رطلاً

ولا عبرة ببقيَّة التفاصيل اذ ليس الغرض ان يتعلَّم صانعو الساعات كيف يصنعون ساعة مثلها بل اظهار حجمها الذي لم تصل اليهِ ساعة قبلها فبينا ترى صانعي الساعات قد جمعوا ادواتها كلها في حجم لا يزيد على حجم البندقة وصنعوا لها ميناء لا يزيد على فلقة الحمصة اتساعاً ترى صانعي هذه الساعة قد جعلوا قطر مينائها اربعين قدماً وليس القصد منها مجرَّد الشهرة ولا مجرَّد الدلالة على الوقت بل يقصد بها ايضاً اعلان عمل اصحابها والمكان الذي يبيعون فيهِ صابونهم وطيوبهم . فالغاية الاولى الربح و يتبعهُ الشهرة ونفع الغير لان ساعة مثل هذه تُرَى جليًّا عن بعد شاسع فيستغني بها الفقراء عن اقتناء الساعات

الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني

(٢) الناثر

تحدَّى اليازجي كبار الكتبة ومتقدميهم ولكنهُ تفرَّد باسلوب خاص كان من مبادئهِ إقرار كلّ كلمة في نصابها مع حسن اختيارها وتلك خطة انتهجها بعض المتقدمين ولاسيما ابا عبادة البحتري الذي سميت اشعارهُ بسلاسل الذهب كيف لا وهو القائل

والَّلفظ حلي المعنى وليس يريك الصفرُ حسناً يريكهُ الذهبُ

ولكنهُ كان ينشد مع الشاعر القائل :

وأُعطيتُ طبع البحتري وشعرهُ فمن لي بمال البحتريّ وعمرهُ

فكان المترجم اذن في كتابتهِ اشبه بالسالك (ضارب النقود) الذي يطرح الزيوف فلا يخرج من مسبكهِ الَّا ما كان ظاهر النقوش واضح الكتابة لا تنفي يد الانتقاد شيئًا منهُ او كالمصوّر الذي يعالج الرسم الى ان يمثّل اصلهُ بجميع ملامحهِ وتقاطيعهِ وهيآتهِ فلا يشتبه أمرهُ ولا تلتبس معرفتهُ على رائيهِ وبهذا تجد في كلامهِ شفافة وحسن رصف وعلى الجملة فانهُ كان يؤدي المعنى البليغ باللفظ الفصيح مع مراعاة العلاقات بينهما فكان كلامهُ من السهل الممتنع لا يقف عندهُ الذهن حائرًا ولا يحوم عليهِ خيال الفهم طائرًا بل يتشرَّبهُ الذهن وينتقل من طريق البصر او السمع الى القلب فيضرب على اوتارهِ بمضراب الطرب ويحدث في النفس ارتياحًا ولذة ذلك مع صعوبة النسج على منوالهِ وقلَّ من توصَّل الى هذه الطريقة المثلى والخطة الجليّ غير نفر من جهابذة المنشئين وفرسان الكلام كالأصبهاني في الاغاني وابن المقفع في كليلة ودمنة والخوارزمي في رسائلهِ والهمذاني في مقاماتهِ وابن خلدون في مقدمتهِ والبحتري في منظومهِ وان شئت فقل والدهُ في اشعارهِ

وكان مع ذلك اشبه بالصاحب ابن عباد الذي كان يكتب كما يريد لا بالصابئ الذي كان يكتب كما يؤمر او كما يراد فارقص نثرهُ الالباب ورنح اعطاف قارئيهِ كأنهُ نسمات الاسحار تناجي عذبات الافنان ورفّ كلامهُ على صفحات القلوب كأنهُ سنة الكرى ترنق في مقلة الوسنان . واحسن ما يوصف بهِ انشاؤهُ انهُ كان " واضح المنهج سهل الاسلوب خاليًا من الحشو والتعقيد مع حسن اختيار الالفاظ وتوخي المأنوس عنها في النثر والنظم " وتلك عقبة كؤود في سبيل الكاتب العصري اذ " لا يخفى ان اللغة اليوم قد اصبحت كأنها لغة قوم آخرين لذهابها من الالسنة من عهد عهيد وإيداعها بين الواح من المصاحف لا

تبدئ ولا تعيد فما عسى الدارس ان يحفظ من تلك المفردات المشتتة والمعاني الجزئية التي يعقم بها الذهن ويضيق من دونها الذكر ثم ما عسى ان يثبت في محفوظهِ من تلك الصور المرسومة على الألواح تمرُّ بطرفهِ مرَّ السحاب وهو في كل يوم يقرع سمعهُ ويتكرر عليهِ من اللفظ المحرَّف والكلم الركيك ما يذهب بذلك الاثر المجازيّ الذي ينطبع في خيالهِ عن طريق الباصرة . ألا وان اللفظ انما وضع ليكون مسموعًا لا منظورًا واشخاصهُ انما هي الاصوات الناطقة لا الرسوم الصامتة فكيف يتأتى لهذه المناجيات السرية ان تغلب على تلك المناغيات الجهرية مع تواترها على حواسهِ في المعاشرات اليومية والمحادثات البيتيَّة لا ينطلق لسانهُ الاَّ بها ولا يجري في خاطرهِ الاَّ صورها ولا يرنُّ في صماخهِ الاَّ صداها . . وبهذا يتميز كتَّاب الاعاجم على كتَّابنا فان الكاتب منهم لا يتكلف في الالفاظ والتراكيب صورًا غير ما يجري بهِ لسانهُ في المخاطبات المألوفة فالمترسل منهم والخطيب والكاتب والامي والشيخ والغلام لهم لغة واحدة لا تتفاوت الاَّ في المعاني ووجوه الخطاب وسائر القوانين اللفظية واحدة لا تتغير الاَّ على جهة التأنق في المنطق وطلب الايجاز او الاطناب مما هو من صنعة البياني واسلوب الخطيب اه "

اما نثرهُ في فواتح كلامهِ فشعريّ الاسلوب وكثيرًا ما يكون مُجعًا رصينًا " اذ السجع نوع من الشعر لا يحسن الاَّ في مقامات التخييل وحيث يتلاعب المنشىء بضروب المعاني فيأتي بالاستعارات والكنايات وغير ذلك من فنون التعبير" فكانت مقالاتهُ " عارية من هذا السجع الثقيل الذي يلتزمهُ اكثر المؤلفين في هذا الفن وغيرهِ لقصورهم عن اجادة الكلام المرسل فيموهون على الاسماع بتلفيق تلك الاسجاع مما يضطرهم احيانًا الى اتيان ما لا داعي لهُ من السياق فيخرج بالكلام عن المقصود او يشوّش المعنى على السامع بكثرة ما يرد عليهِ من التخليط " ومن اسجاعهِ المتينة ما صدَّر بهِ مقالاتهِ في القمر والزهرة ومصير الارض والانتحار ووداع القرن والريح والحرب الخ مما كتبهُ في مجلتهِ الضياء فلذلك ترى كثيرًا من المطالعين تناولوا معانيهِ فيها وادخلوها في منظومهم فما عقدهُ مصطفى بك نجيب فقرات من رثاء الفيلسوف جمال الدين الافغاني في مجلة البيان وسبكهُ بابيات رشيقة منها قولهُ :

نعت النعاةُ يتيمة الدهرِ وخلاصة الأحساب والفخرِ
ليت المنية اخطأت رجلاً هملت بهِ نارٌ من الفكرِ
" دبَّت على مجرى فصاحتهِ وانتهُ بين الفك والنحرِ "
" عجبٌ لما فعلت ولا عجبٌ ان يسكن السرطان في البحرِ "

وألمَّ ابن شقيقتهِ الشيخ نجيب الحداد ببعض ما في مقالة (المقات) في مجلة البيان وذلك بقصيدتهِ (القمار) المشهورة ولا سيما قولهُ :

هو الداء الذي لا برءَ منهُ وليس لذنب صاحبهِ اغتفارُ
تشاد لهُ المنازل شاهقاتٍ وفي تشييد ساحتها الدمارُ

وكذلك الاستاذ احمد افندي شميم بقصيدتهِ (القمار) ايضاً خصوصاً قولهُ :

وغرَّهم قمرٌ لاحت بوارقهُ في ظلمة العيش فاستهوتهم غَرَرا
جرُّوا البلاء بايديهم لانفسهم ثم انثنوا يعتبون الحظ والقدرا

وعقد الشيخ نجيب الموما اليهِ في قصيدة القمر بعض ما في وصفهِ للمترجم في مقالة لهُ بالبيان اخصها قولهُ :

جنازة ميّت لا نعش فيها ولا أيدٍ حملنَ ولا أنينُ

وسبك جرجي افندي شاهين عطيه فقرة مما في مقدمة البيان بقصيدة لهُ قال في احد ابياتها

فصادوا الصوت في قفص كطيرٍ ولم اعهد بصوت أن يُصادا

وتناول كاتب هذه المقالة معنىً من تلك المقدمة وادمجهُ في قصيدتهِ (رجل العصر) المنشورة في المجلة نفسها بقولهِ في الشطر الثاني من هذا البيت :

أذلَّ الجاذبية في قيودٍ كما اصطاد الصواعق بالحرابِ

اما نثرهُ المرسل فانهُ آية البلاغة ونجعة الرائد وقلما كتب مقالة ولم يتناهبها الكتَّاب للنسج على منوالها ولا سيما اوضاعهُ اللغوية، ومعظم المقالات التي تبعث اليهِ لينشرها في مجلتهِ كان يمسها قلمهُ وكثيرًا ما يفرغ بعضها بقالب الفاظهِ حتى تنمَّ عليهِ وهذا الذي حمل بعضهم على القول بان مقالاتهِ كانت متوحدة وآخذهُ على هذا التصرف الذي يخفي شأن الكتبة لان الانشاء هو الانسان كما قال بيفون. ولعلَّ أمثل ما حملهُ على ذلك تحذُّرهُ من تناول الاغلاط عن طريق المطالعة لشدة حرصهِ على حفظ اللغة وابعاد الكتبة عن الوقوع في حبائل الخطإِ كيف لا وهو القائل : " فليراقب كتَّابنا الله فيما يملون على الامة وليعلموا ان ما يخطّونهُ في خلواتهم انما يجرون بهِ اقلامهم على صفحات قلوب تنطبع فيها كلماتهم بحروف لا تمحى فليكن ما يطلبونهُ فيها للخير وليكونوا من هداة الامة الى الصلاح ليحسن أثرهم فيها ولا تلزمهم تبعتها يوم لا ينفع مال ولا بنون " والصادع في محل آخر بقولهِ " ان المرء في اول قرعهِ لباب الشعر والانشاء وتسليمهِ على محضر الادب قد يدفع نفسهُ الى ما وراء موقفها ويكلّف

سجيتهُ ما ليس في مطبوعها تأنقاً في الخطاب وتوخياً لمواقع الاحسان والاعجاب وربما نزع الى تقيُّل بعض الكبراء من اهل خطتهِ ومَن وقع في نفسهِ منهم موقعاً جليلاً فيخطو على آثارهِ ويطبع على غرارهِ تدرُّجاً الى مماثلتهِ وتبوُّؤ مثل مقامهِ في الصدور وهذا انما ينجح حيث يوافق شبهاً من الذوق وميلاً من الطبع فيتلبس بمنحاهِ حتى يصير مع التكرار ملكة راسخة"

ولهُ رسالات بليغة نشر بعضها في دليل الهائم الذي صححهُ كما سترى . واليك الآن مثالين آخرين من رسالتين احداها جواب كتاب بعث بهِ اليهِ الكنت كرلو لندبرج الوكيل السياسي لدولة اسوج ونروج بالقطر المصري يهنئهُ بنوط (مدالية) العلوم والفنون الذي اهداهُ لهُ الملك اسكار الثاني المتوفى حديثاً وذلك على اثر المؤتمر اللغوي الشرقي الذي عقد في استكهلم سنة ١٨٨٩ م فاجابهُ برسالة طويلة منها " وقد تشرفت ببزوغ اشعة النوط المشار اليهِ شمساً باهرة اللألاء . طالعة من زرقة نياطهِ تحت سماء صافية الارجاء . ممثلاً عليهِ صورة مولانا الملك المعظم ما طأطأت لهُ مهابة وإعظاماً . واكبرتهُ الا ان امسهُ بالشفاه لثماً او بالجبين استلاماً . وغبطت نفسي على ما انفقت من العمر في خدمة ساقت اليَّ مثل هذا الثواب . واسلتني ما افنيت فيها من شبابي حتى كأنها ردَّت عليَّ ايام الشباب . فانا وان قصر لساني عن ايفاء هذه النعمة حقها من الثناء . مستظهر على وفاء بعضها باقامة فروض الدعاء . على ان ربها غنيٌّ عن ثنائي بحمد الوفر من امم المشرق الذين احيا مجدهم بعد اذ جعلهُ الدهر هباء منثورا . واخص منهم بقية هذه الامة العربية التي جعلها بعد خمولها شيئاً مذكورا . وقسم لها من المباهاة بين سائر الامم سهماً موفوراً " . والثانية رسالة بعث بها الى احد كبار المشايخ يعزيهِ بفقد شقيقهِ فمنها :" وانا في موقف يكتنفهُ من جسامة الخطب ما تتقاصر عنهُ كلمات العزاء . ومن مهابة الشيخ ما تصلد عندهُ خواطر البلغاء وتتلجلج السنة الفصحاء . فما عساني ان افيدهُ من الذكرى وقصاراي ان اخاطبهُ بما استفدت من اقوالهِ . او اتلو عليهِ من جوامع الحكمة ولو أُوتيت حكمتهُ وبيانهُ ما زدتهُ علماً بالدهر واحوالهِ . " الى ان قال : " ولقد عهدت الشيخ من ارق الناس فؤاداً . وارعاهم لذي صلة وداداً . ولكني بلوتهُ من ارصنهم حلماً حين تستخف الاحلام . واوقرهم حصاة اذا صمت صمام . فهو بالاولى احرى الناس بان يشاركهم فيما نابهُ . وبالثانية احقهم بان يتقدمهم في الصبر والانابة . وانا أُعوذ بعلو رأيهِ وكمال نبلهِ . ان يدبل طبعهُ من عقلهِ . وان يجاري الناس في نقصهم وهم لا يجارونهُ في فضلهِ " وهكذا عارض برسالاتهِ جهابذة المترسلين وبلغاء المتقدمين

ومن مزاياهُ انهُ كان يكتب المقالة او القصيدة ثم يتركها اياماً ويعود اليها فيهذبها

ويقدّمها الى المطبعة وربما كرّر النظر فيها مرارًا قبل طبعها وهكذا يفعل بالنسخ المطبعية (البروفات) فانهُ كان يصلحها و يضعها تحت المراجعة ولو يومًا واحدًا فيعيد النظر فيها وربما كرّر ذلك مرارًا الى ان يأذن بطبعها فتخرج خالية من الاغلاط نقية الديباجة . وقد اخبرني بعض المنضدين انهُ كان يراجعهم بالشيء القليل مرارًا حتى كانوا يتبرّمون منهُ . ولا بأس ان نلمّ الآن بذكر مؤلفاتهِ ومصحّحاتهِ واوضاعهِ فنقول :

ان من اقدم ما نسج بقلمهِ الطب القديم واللغات السامية وادب الدارس بعد المدارس والاستدراك على العروضيين بخلع البسيط وانهُ يرجع الى المنسرح وكلها خطب القاها في المنتديات المدرسية والجمعيات العلمية . ولهُ (مطالع السعد لمطالع الجوهر الفرد) وغيرهُ . ومن اهم اعمالهِ (العرف الطيب) وهو شرح ديوان المتنبي باسلوب مفيد بالغ في تهذيبهِ وتقريبهِ ولهُ فيهِ تحقيقات كثيرة . ومنها (نجعة الرائد) وقد طبع منها الجزئين الاولين وطوى الثالث وبشهرتها غنًى عن اطرائها و (مجلة الطبيب) سنة ١٨٨٤ التي انشأها مع زميليهِ زلزل وسعاده ومجلة (البيان) سنة ١٨٩٧ بشركة احدهما زلزل ولم تلبث كل منهما اكثر من سنة وآخرها (الضياء) من سنة ١٨٩٨ الى ١٩٠٦ م وفي جميعها مقالات شائقة كالامالي اللغوية في الطبيب واللغة والعصر في البيان والمجاز في الضياء وجميعها ترمي الى غرض واحد وقد اورد في تضاعيفها فوائد لغوية كثيرة واوضاعًا مفيدة . وقد بقي منها " الفرائد الحسان من قلائد اللسان " وهو معجم نبذ منهُ الالفاظ الوحشية واللغات المتروكة وزاد عليهِ الالفاظ المأنوسة الموافقة لحاجات العصر استخرجها من نحو عشرين الف صفحة من كتب المؤرخين وعلماء الأدب ممن يصحّ الاقتداء بهم وقد اتم بعض حروفهِ الاولية والباقي من معظمهِ هوامش واوراق منثورة وكان قد عقد النية على التفرغ لهُ واتمامهِ في الايام الاخيرة فاعجلتهُ المنية

ومن مصححاتهِ (الكتاب المقدس) الذي عربهُ الآباء اليسوعيون في بيروت واختصارهُ ارجوزتي والده نار القرى والجمانة وتجديد طبع دواوينهِ ووقوفهُ على ما طبعهُ المرحوم شاكر البتلوني ولاسيما دليل الهائم ونفح الازهار وما ألفهُ المرحوم جميل المدوَّر في تاريخ بابل واشور وما شرحهُ الاستاذ شاهين افندي عطيه من شواهد نار القرى في كتابهِ (عقود الدرر) و (تحفة المورود في المقصور والممدود) من مؤلفات ابن مالك و (رسالة الغفران) للمعري . ومما نشرهُ في مجلاتهِ رسالة حي ابن يقظان وتدبير المنزل لبروسوس وعمدة الصفوة في حل القهوة للشيخ عبد القادر الانصاري ونشر الرسالتين السينيّة والشينيّة وبعض القصائد النادرة

مما استنسخهُ من مكاتب اوربا وغيرها · وانتقد تكملة المعجمات العربية لدوزي الهولندسي والاغراماطيق العربي الانكليزي لبعض علماء الانكليز وتاريخ الادبيات العربية لكليمان هوار الفرنسي وانتقد طبع لسان العرب واظهر ما فيهِ من المغالط اللغوية ونظر في مربعة ابن دريد وشرحها وكتب في لغة الجرائد في اوائل اشتغالهِ بالضياء واستأنف ذلك في سنواتها الاخيرة وأظهر في مقالات اخرى اغلاط المولدين واغلاط العرب وكتب في العلوم عند العرب وفي الشعر والنبر العربي واللغة العامية والفصحى وكل ذلك من دقيق مباحثهِ وأنيق انشائهِ

اما اللغة فكان نسيج وحدهِ في الوقوف على اسرارها فكأنها كاشفتهُ بها ولهُ فيها استنباطات دقيقة وضعاً وتعريباً واساليب رشيقة نظماً ونثرًا ومآثر سديدة في احكامها وكأني بمناقشتهِ للعلامة احمد فارس الشدياق بعهد صباهُ في مجلة الجنان استلفتت اليها ابصارهُ فاعارها جانب اهتمامهِ وامعن بالتدقيق في اصولها وفروعها فأرهف لها قلمهُ وألاق دواتهُ ولما تولى انشاء مجلة الطبيب مع زميليهِ كان قد تمكن منها فزادتهُ المباحث اللغوية تبسطاً فيها ولا سيما عندما تفرغ لتأليف (نجعة الرائد) و (الفرائد الحسان) وما عقب ذلك من المباحث

ولقد انتبه في اثناء وضعهِ لكتاب نجعة الرائد ومجمعهِ الفرائد الحسان وعند تقليبهِ كتب اللغة ومعاجمها الى كثير من الاوضاع التي اغفلتها المعجمات كنقلهِ عن ابن خلدون الهداية بمعنى الحكمة المخلوقة في الحيوان والتأنس في مقابلة التوحش والملكة للهيئة الراسخة في النفس ومثلها المآخذ والمدارك واهل مائدة الرجل والوزائع لنحو الضرائب وانبنى في مطاوعة بنى وماء مثلوج قد أذيب فيهِ الثلج والاخباريون لنقلة الاخبار والمخدوم بمعنى السيد الخ — " ومن كشف الظنون للحاج خليفة علم الريانة اي اكتشاف الماء وصاحبهُ رياني" أو قنقن جمعه قناقن" وكثيرًا ما يردّ الكلمة الى نصابها العربي مثل تسمية جزيرة سيلان بسرنديب كما اوردها العرب ونترات السوداء بالنطرون كما عربها اطباؤهم واعناق الخيل الشبيهة بنصل السيف بالمسيفة كما اوردها الاصمعي في كتاب الخيل والعربة بمعنى عجلة الركاب عن ابن بطوطة وعلم الحيل (الميكانيك) وعلم المواليد الثلاثة . واسترسل الى تحقيقات كثيرة لغوية قلّ من انتبه اليها غيرهُ مثل الفاظ الكهرباء والبيض النمرشت في الطبيب والالماس في البيان وحمام الزاجل في الضياء وكثير غيرها · وأقرّ كثيرًا من الالفاظ التي وضعها غيرهُ مثل المنطاد والمجهر والمرقب

ولقد اشتغل بالوضع ولم يكن ليعتقد بوجوب وضع الفاظ عربيّة لكل كلمة اجنبية كما يتوهم بعضهم بدليل قولهِ في الضياء ٨ : ٧٧) : " واما ان ادخال كلمات اعجمية الى لغتنا

يعدُّ دليلاً على ارتقائها ففيهِ نظر لكنهُ مما تلجئ اليهِ الضرورة حيث لا يتيسر وجود لفظ عربي قديم او محدث يقوم مقام الاعجمي والاَّ فان ادخال اللفظ الاعجمي مع وجود لفظ عربي بمعناهُ كاستعمال الاوُرْطي مثلاً في مكان الأَبهر والأَلبومين مكان الآح والجيلاتين مكان الهلام والكاوتشوك مكان المطَّاط والأَسيد مكان الحامض ٠٠٠ كل ذلك يعدُّ دليلاً على انحطاط اللغة كما لا يخفى على ذي بصيرة" — وقد انصف اللغة العربيَّة بقولهِ في تضاعيف مقالة اللغة والعصر (البيان صفحة ٣٢١): "ولكن حقيقة الكمال في اللغة ان تكون بحيث يمكن ان يستنبط من نفس اوضاعها الفاظ لما يحدث من المعاني لا ان تكون بحيث تستغني عن المزيد اذ المعاني ابدًا تتجدَّد وليس من المحتمل ان قومًا يضعون الفاظًا لمعانٍ لا توجد" ومن مقرَّراتهِ "ان القاعدة في اصول علم الوضع ان يستنبط الاسم من طريق المجاز او الاشتقاق" الى غير ذلك عيسى اسكندر معلوف

اسلوبنا في التعريب

سئلنا عن الاسلوب الذي نجري عليهِ في التعريب اي في ترجمة الكلمات الاعجمية او نقلها الى العربيَّة ٠ وكان يجدر بالسائل ان يتوسع في السؤَال حتى يشمل التعبير عن بعض المعاني التي لم تخطر على بال العرب فان تعريبها او التعبير عنها بالعربيَّة لا يخلو من مشقة قد تزيد على المشقة من نقل الالفاظ او ترجمتها ٠ و يسهل ارجاع الاساليب التي جرينا عليها في الترجمة والتعريب الى القواعد التالية

❖ القاعدة الاولى ❖ الكلمات الاعجمية التي نعرف لها كلمات عربيَّة ترادفها نترجمها بمرادفاتها

ونريد بالكلمات الاعجمية الكلمات التي من اللغات الاوربية وبالكلمات العربيَّة كل ما رأيناهُ في كتب اللغة والادب جاريًا على الاوزان العربيَّة ولو كان اصلهُ يونانيًّا كقلم او فارسيًّا كابريق او سريانيًّا كقسيس او قبطيًّا كسلطان او حبشيًّا كمشكاة ٠ وكل ما كان كذلك ولم يكن جاريًا على الاوزان العربية كسالامندرا وجندبيدستر وقنطاريون

ولهذه القاعدة شواذ قليلة فلا شواذ في الافعال اي اننا لا نستعمل فعلاً اعجميًّا اذا وجدنا لهُ فعلاً عربيًّا

ولا شواذ في الحروف الاَّ في ده الفرنسوية واوف الانكليزية وفون الالمانية في مثل

لورنزو ده مديسي و برنس اوف و يلس وفون كريبر فان هذه الثلاثة حروف اضافة او نسبة و يستغني في العربيَّة عنها ولكن شيوعها في ما ترد فيهِ من الاسماء المركبة يجعل الاستغناء عنها عثرة في سبيل ادراك المعنى بسهولة · فالذي يقرأ كلمة برنس اوف ويلس يدرك حالاً انهُ لقب ولي عهد انكلترا ولكنهُ اذا قرأ برنس ويلس او امير ويلس فقد يظن ان المراد بذلك شخص آخر غير ولي العهد

واما الاسماء ففيها كثير من الشواذ حيث شاعت الكلمة الاعجميَّة وصارت ادل على المراد من الكلمة العربيَّة مثل كلمة برنس المذكورة آنفاً فانهُ يُفضل استعمالها في بعض الاماكن على استعمال كلمة امير فلو قلنا امير اوف ويلس او امير ويلس بدل برنس اوف ويلس لظن القارئ او السامع اننا نريد شخصاً آخر غير ولي عهد انكلترا · وقد تدلُّ القرينة على المراد ولا يكتفى بها لانهُ يشترط في حسن التعبير ان يؤدى المعنى المراد الى ذهن السامع باقل ما يكون من الوقت والكلفة والاسراف في القوة العصبيَّة · وقد كان علماء العرب المبرّزون مثل ابن الاثير وابن سينا وابن البيطار يجرون هذا المجرى ايضاً اي يستعملون الكلمة الاعجمية التي الفتها الاسماع وصارت ادل من الكلمة العربيَّة على المعنى المراد · ولكن اذا امن اللبس وامن ايضاً تشويش ذهن القارىء او السامع فضلنا اللفظ العربي على اللفظ الاعجمي فنقول الامراء اعضاء العائلة الخديوية ولا نقول برنسات العائلة الخديوية ونقول امراء اوربا ولا نقول برنسات اوربا

ومن هذا القبيل اي من قبيل الكلمات الاعجميَّة التي نفضل استعمالها احياناً على استعمال الكلمات العربية او المعرَّبة قديماً كلمة داء المفاصل فاننا قد نستعمل كلمة روماتزم بدلاً منها · وكلمة توتيا فاننا قد نستعمل كلمة زنك بدلاً منها · وكلمة نشادر فاننا قد نستعمل كلمة امونيا بدلاً منها · مراعين في ذلك كلهِ مقامات الكلام من التخصيص والتعميم وما نتوقعهُ من فهم السامع او القارىء · مثال ذلك انك تجد في الاخبار العلمية في الجزء الماضي كلمة روماتزم بدل داء المفاصل لان المفهوم من داء المفاصل انهُ يقع في مفاصل اليدين او الرجلين وقلما يخطر على بال غير الاطباء انهُ يصيب الظهر فلما رأينا ان الشفاء المشار اليهِ في تلك النبذة كان في الظهر اخترنا كلمة روماتزم وقد صارت مألوفة عند الجمهور وذكرها لا يشوش ذهن القارىء مثل ذكر كلمة داء المفاصل واطلاقها على داء في الظهر اذ المراد تأدية المعنى المطلوب الى ذهن السامع من اقرب الطرق وباقل ما يكون من الكلفة لا اظهار سعة علم الكاتب بالفاظ اللغة

﴿ القاعدة الثانية ﴾ الكلمة التي لا نعرف لها مرادفاً في العربية ولكننا نرجح او نظن ان لها فيها مرادفاً نفتش عن مرادفها في ما عندنا من المظان ونسأل عنهُ ونبحث حتى اذا ظفرنا بهِ ووجدنا انهُ يؤدي المعنى المراد تماماً استعملناهُ دون غيرهِ . من ذلك كلمة mercenaries فان معناها الجنود المستأجرة من بلاد اخرى على ما كانت جارية العادة بهِ في الازمنة القديمة فلما اردنا تعريب هذه الكلمة قلنا لا بدَّ من ان يكون العرب استعملوا كلمة تدلُّ على هذا المعنى فوجدنا في بعض المظان كلمة مسترزقة مستعملة للجنود المستأجرين ومعناها الاشتقاقي يدل على معناها الاستعاري فاعتمدناها . ومنهُ كلمة tributary اي النهر الصغير الذي يصبُّ في النهر الكبير فاننا وجدنا لها في كتب الرحلات القديمة كلمة ناصر والجمع نواصر ورأينا انهُ يسهل ادراك المراد بها من معناها الاشتقاقي فعوَّلنا عليها وهلمَّ جرًّا

واذا وجدنا ان اللفظ الاعجمي او العامي الذي ليس عربيًّا كثير الشيوع واستعمال غيرهِ يضيع الفائدة على القراء اضطررنا ان نعدل عن اللفظ العربي او الفصيح الى اللفظ الاعجمي او العامي مثال ذلك اننا وجدنا كلمة تقاوي مستعملة في هذا القطر بدل كلمة بذار . وكلمة السباخ البلدي مستعملة بدل كلمة زبل . وكلمة كبري مستعملة بدل كلمة جسر . وكلمة طمي بدل كلمة ابليز . وكلمة بوسطة بدل كلمة بريد . فحاولنا في اول الامر التشبث بالكلمات العربية مثل بذار وجسر او المعرَّبة منذ عهد طويل مثل بريد ولكننا رأينا ان تشبثنا هذا يضيع الفائدة على جمهور القراء فان الفلاح المصري لا يستعمل الاَّ كلمة تقاوي ولا يفهم الاَّ كلمة تقاوي ولا يستعمل الاَّ كلمة كبري ولا يفهم من كلمة جسر الاَّ حافة مجرى الماء واذا اسمعتهُ كلمة بذار مرة في الاسبوع او في الشهر سمع كلمة تقاوي مئة مرة او الف مرة فرأينا ان محاولة تغيير لغة العامة في هذه الكلمات وامثالها ضرب من العبث واضاعة للوقت وتضييع للفائدة فجاريناهم في ما نكتبهُ لهم اما ما نكتبهُ لانفسنا اي اذا خطر لنا خاطر واردنا التعبير عنهُ نظماً او نثرًا فاننا نعود الى بذار وبريد وجسر وابليز . واكثر الذين لا يراعون فهم الجمهور يكتبون لانفسهم لا للجمهور

﴿ القاعدة الثالثة ﴾ الاعلام الاعجمية التي رأيناها شائعة الاستعمال كتبناها حسب استعمالها سواءٌ كان قديماً مثل ابرهيم ويوسف او حديثاً مثل المانيا واميركا وفرنسوى ووليم وهنري . والاعلام الاعجمية التي لم يكن استعمالها شائعاً كتبناها كما يلفظها اهلها او باقرب ما يكون من لفظها الاصلي مثل بيكنسفيلد وكرومر وهارفي وروزفلت

والاعلام التي عُرّبت منذ زمن قديم بلفظ مخالف لما تلفظ بهِ الآن عند اهلها مثل

البندقية اڤنيسيا وصقلية لسيسيليا فهذه نتايج الاقدمين فيها عند امن اللبس ولاسيما اذا كان الكلام عن حادثة تاريخية قديمة فاذا ذكرنا حروب الاتراك مع اهل ڤينيسيا قلنا مع البنادقة ولكن اذا اردنا ان نشير على زارع او صانع ان يجلب مادة ما لزراعتهِ او صناعتهِ من البندقية لم نذكرها بهذا اللفظ بل عدنا الى لفظ ڤنيس او فينيسيا حتى اذا طلب البضاعة من تاجر او عميل اوربي لم يخطئ هذا مرادهُ

والاعلام التي اخذها الافرنج عن العرب وحرَّفوها مثل القاهرة وقرطبة واشبيلية نكتبها حسب اصلها العربي اذا عرفناهُ وأُمن اللبس

﴿ القاعدة الرابعة ﴾ في تعريب النكرات الجديدة التي لا مرادف لها في العربية اذا رأينا ان الكتَّاب عربوها قبلنا وشاعت الالفاظ التي وضعوها لها فالغالب اننا نجاريهم ولا نحاول وضع الفاظ اخرى لها ولذلك تابعنا اساتذة المدرسة الكلية السورية في تعريب الاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والفصفور وهلمَّ جرًّا وجاريناهم في مثل مغنط فعلاً من المغنطيس وكهرب من الكهرباء وترفن فعلاً يراد بهِ كسر جانب من عظم الجمجمة بعمليَّة جراحية. وجارينا جمهور الناس في استعمال التلغراف والوابور والسيمافور والفرقاطة

واذا لم نرَ ان الكتَّاب سبقونا الى تعريبها عنينا باستعمال الكلمة التي نقدّر لها طول البقاء فلما اختُرع التلفون وقرأْنا عنهُ بعد اختراعهِ ببضعة عشر يوماً عرفنا مزيتهُ حالاً وثبت لنا انهُ سيشيع شيوع التلغراف في كل الاقطار ويصل الى بلادنا ويصل اسمهُ معهُ ولا يهتم التجار الذين يأتون بهِ بكلمة جديدة نضعها لهُ حتى لو فرضنا اننا وجدنا فعلاً عربيًّا معناهُ تكلم الانسان مع غيرهِ عن بعد واشتققنا منهُ اسماً لهذه الآلة فان هذا الاسم لا يتغلب على اسم تستعملهُ الامم المتمدنة كلها. ونرى الآن اننا احسنًا لاننا لم نخالف امم العالم في الاغارة على اسم وضعهُ مخترع هذه الآلة لآلتهِ وابدالهِ باسم نضعهُ نحن لها. وقس على ذلك الفونوغراف والمكروفون والاوتوموبيل

ولما جاء بعض الاميركيين الى بيروت بالبيسكل وكان عجلتين واحدة كبيرة جدًّا وواحدة صغيرة جدًّا وفي ركوبهِ مشقة كبيرة ظننا انهُ ليس مما يشيع استعمالهُ وان التريسكل ذا العجلات الثلاث يتغلَّب عليهِ فلم نستعمل الاسم الافرنجي بيسكل بل كلمة درَّاجة واطلقناها على الآلتين والدرَّاجة كلمة عربية تؤَدي المعنى المراد بسهولة والافرنج انفسهم الذين وضعوا كلمة بيسكل لذات العجلتين والتريسكل لذات العجلات الثلاث يعدلون عن الكلمتين احيانًا كثيرة ويبدلونهما بكلمة سيكل اي عجلة ولذلك فالسعاة في مصر الذين

يسمون هذه الآلة "عجلة" احكم منا ومنهم لانهم يكتبون بهذا الاسم

وغنيٌّ عن البيان اننا التزمنا ان نجاري العلماء في المصطلحات العلمية التي تفقد دلالتها بتعريبها كالحامض الكبريتوس والكبريتيك والمتاكبريتيك والهيبوكبريتوس والهيبوكبريتيك لان لكلٍّ من هذه الملحقات والزوائد معنىً خاصاً يدلُّ على تركيب المادة المسماة بهِ كما يعلم دارسو الكيمياء. فمن يسمي الحامض الكبريتيك بالحامض الكبريتي كمن يسمي الفرس حماراً لان لكل منهما رأساً وذنباً. وان نجاريهم ايضاً في الاسماء العلميَّة كلها سواء كانت حيوانية او نباتية او تشريحيَّة اي سواء كانت اسماء حيوانات او نباتات او اعضاء في جسم الانسان والحيوان والنبات جارين في ذلك كلهِ مجرى المسعودي وابن سينا وابن البيطار ونحوهم من الاعلام الذين كتبوا في العلوم الطبيعيَّة على انواعها . والذين خالفونا في ذلك كان خطأهم اكثر من صوابهم مثال ذلك ان الاطباء كلهم يسمون الشريان الكبير الخارج من القلب باسم الاورطي وقد سماهُ ابن سينا كذلك وقال ان ارسطوطاليس يسميهِ بهذا الاسم الَّا انك ترى في المقالة السابقة ان المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي لم يجبهُ هذا الاسم فقال يجب ان يترجم بالابهر ولكن صاحب القاموس يقول ان الابهر هو الظهر وعرق فيهِ ووريد العنق والاكحل. وقال صاحب التاج ان اجمع الاقوال فيهِ قول ابن الاثير انهُ عرق منشؤهُ من الراس ويمتد الى القدم . ويستنتج من كل ما قرأناهُ عن وصف هذا العرق انهُ وريد لا شريان واذا ثبت انهُ الاكحل فالاكحل وريد حتماً كما نص عليهِ ابن سينا واما الاورطي فشريان. ويليق بكل المترجمين ان يطالعوا قانون ابن سينا ليروا كيف كان علماء العرب يترجمون

هذا من حيث الالفاظ الاعجمية اما المعاني فاما ان تكون حقيقة او مجازاً وكلٌّ منهما اما مألوف عند العرب وخلفائهم واما غير مألوف فهذه اربعة انواع من المعاني المختلفة

الاول الحقيقي المألوف مثل ركوب الفرس وشرب الخمر فالمعاني التي من هذا القبيل نترجمها بما يدل على معناها فنقول شرب الشاي وشرب الافسنت وشرب سر الملك او نخبهُ واستخرج الراديوم واستقطر الفنول

والثاني الحقيقي غير المألوف نترجمهُ بلفظهِ او بما يقاربهُ كصوَّت لهُ واطلق المدفع فان التصويت في الانتخاب معنًى جديد لم يكن معروفاً على الصورة الحاضرة وكذلك اطلاق المدافع لان المدافع لم تعرف عند العرب الَّا في اواخر عهدهم في الاندلس بعد وضع اللغة واهالي الشام يقولون قوَّس المدفع والبندقية مستعارة من شدّ قوس الوتر لرمي السهم. وقد نستعمل كلمة رمى من الرماية اي رمي السهام فنقول رماهم بالقنابل او بالطرابيد

والثالث المجازي المألوف مثل ايقظ الفتنة وامات العواطف ومزَّق الشمل ووقف منهُ مزجر الكلب فاننا قلما نجد صعوبة في العثور على ما يرادفهُ في العربية

والرابع المجازي غير المألوف مثل لعب دورهُ. وذر الرماد في العيون. وبعدي الطوفان. فالاستعارات التي من هذا القبيل نفتش اولاً عمَّا يرادفها او يقاربها من الاستعارات العربيَّة فان لم نجدهُ واستحسنا الاستعارة الافرنجية لخفَّة لفظها وسهولة ادراك معناها ابقيناها على حالها اي ترجمناها ترجمة حرفية بتصرُّف او بغير تصرُّف حاسبين انها ربح تكتسبهُ اللغة. ويظهر لنا ان كل الذين تقدمونا من المترجمين الاولين مثل الطوسي وابن المقفَّع وابن حنين جروا هذا المجرى حتى في ما وضعوهُ في العربية من الكتب والرسائل ولذلك تجد لكلٍّ منهم تعابير خاصَّة بهِ ليست من مناحي العرب

وخلاصة المقال اننا نبذل جهدنا في اجتناب الكلمات والاساليب التي ليست عربية فنفتش عن مرادفاتها او نترجمها بما يؤَدي معناها الاَّ اذا وجدنا انها قد شاعت وصارت مفهومة او انها ستشيع حتماً وتتغلَّب على غيرها او انها اعلام لا تترجم . ولا نجهل اننا قصَّرنا مراراً فاستعملنا الفاظاً واستعارات غير عربية ولها الفاظ واستعارات عربية ولكننا لم نفعل ذلك عن قصد الاَّ حيث وجدنا غير العربي اصلح من العربي

بقي ان البعض لامونا لاننا لم نستعمل بعض الاسماء التي وضعها غيرنا لبعض المسميات الجديدة كالمجهر للمكرسكوب والمنطاد للبلون . وكان جوابنا عن ذلك ان لفظة ميكرو اليونانية دخلت في كلمات كثيرة مثل مكروب ومكرو بولوجي ومكرومتر ومكروفون وقد شاعت بعض الكلمات الداخلة في تركيبها في كل اللغات الحية ككلمة مكروسكوب والآلة المسماة بها كثيرة الشيوع ايضاً يستعملها الاطباء وباعة المنسوجات وكل علماء الطبيعة والذين يستعملونها لا يخطر على بالهم الاَّ اسمها العلمي . وقد شاع هذا الاسم عندنا واستعملناهُ مراراً كثيرة نحن وغيرنا قبلما وضعت كلمة مجهر . ثم لما وضعت كلمة مجهر رأَينا انها لا تدل على المعنى المراد بل قد تدلُّ على ضدهِ لان الشائع من مشتقات جهر اجهرُ صفةً مشبهة وجاهرَ فعلاً وكلمة اجهر اكثر شيوعاً يستعملها الخاصَّة والعامَّة واما كلمة جاهرَ فقلما يستعملها غير الخاصَّة . ومعنى الاجهر الضعيف البصر الذي لا يرى في الشمس فاذا سمع الجمهور كلمة مجهر فالمرجح انهم يعلقونها بضعف البصر لا بقوتهِ على تكبير المرئيات او على رؤْية الشيء الصغير الذي لا يرى بالعين لصغرهِ ولو عُرِّب المكرسكوب بكلمة مِظهَر او مُظهِر او مكبِّر لكانت ادل على معناهُ

وكلمة منطاد وُضعت بعد ان شاعت كلمة بلون ايضاً . والشائع من مادتها انما هو كلمة

طود . واذا ذكرت كلمة طود انصرف الذهن الى ان المراد جبل عظيم راسخ . نعم انك تجد في كتب اللغة ان معنى انطاد ذهب في الهواء صعدًا ولكن هذا الفعل لا يخطر بالبال ولم نرَهُ في كتاب غير القواميس. ولما رأينا كلمة منطاد اول مرة ظننا دالها راءً ومن المرجح عندنا ان اصل الدال في طود وانطاد راءٌ اخطأ النساخ او القراء في كتابتها او قراءتها فان الطور الجبل في العربيَّة وغيرها ولا يزال علمًا لجبال معروفة مثل طور سينا وطور طابور . ثم ان همَّ صانعي البلون منصرف الآن الى منعهِ عن الصعود في الهواء وجعلهِ يسير قرب سطح الارض فيصير معنى المنطاد مخالفًا للمراد . ومع هذا كلهِ فلو وُضعت هاتان اللفظتان للمكرسكوب والبلون قبل شيوع كلمتي مكرسكوب وبلون عندنا او لو كانت الدلالة من لفظيها على المعنى المراد واضحةً تمام الوضوح لما استصعبنا استعمالها الى ان يقضي الناموس الطبيعي ببقاء الاصلح

هذا ومما يحسن ذكرهُ هنا اننا اطلقنا كلمة مكروب على كل الاحياء المكروسكوبيَّة قبل ان اطلقها عليها علماء اوربا واميركا فكنا نعرّب المقالة من مقالاتهم وفيها كلمة باشلس فنضع بدلاً منها كلمة مكروب وفيها كلمة بكتيريا فنترجمها بكلمة مكروب لكي لا نشوش اذهان القراء بذكر الفاظ غريبة انما يراد بها تخصيص هذه الانواع . ثم جعل الكتّاب الاوربيون يجرون هذا المجرى ايضًا فشاعت كلمة مكروب في كتاباتهم كما شاعت عندنا ولا ندَّعي انهم فعلوا ذلك اقتداءً بنا كلاَّ وانما الحاجة الى الاقتصار على كلمة واحدة دعتهم الى ذلك كما دعتنا

واللغة جسم حيٌّ نامٍ وشأن من يحاول منعها من النمو شأن الصينيين الذين يربطون اقدام بناتهم لكي لا تنمو وتبلغ حدها الطبيعي ولكن اذا كان النمو مشوهًا فلا بد من تقييدهِ وتهذيبهِ

ولا يراد باللغة واهلها ان تبقى ونبقى كما كانت وكانوا في عصر البحتري والخوارزمي والاَّ لزمنا ان لا نتخذ غير الجمل مطيَّة وغير السيف سلاحًا . وهذه خطة لم يجرِ عليها العرب بل نرى بين انشاء اهل القرن الاول والثاني وانشاء اهل القرن السادس والسابع نظمًا ونثرًا من الفرق الجلي ما لا تجد اكثر منهُ بين انشاء اهل هذا القرن وتلك القرون كما يتضح للباحث المحقق . ولو استطاع احد ان يحصي كم دخل العربيَّة من العبرانية والسريانية والقبطية والرومية من الالفاظ والتراكيب حتى قبل انصرام القرن الثالث لوجد ان العربيَّة كانت حينئذٍ لغة حية نامية كالانكليزية والفرنسوية والالمانية الآن وان الذين يريدون الرجوع بها الى الصدر الاول واقفال ابوابها دون الجديد يعملون على موتها وتضييق سبل المنشئين والمعربين وناشري لواء العلوم والفنون

اساليب العرب في التعريب

رأينا ونحن نكتب المقالة السابقة انهُ يجدر بنا ان نذكر اساليب العرب في التعريب فانهم حقيقون ان يكونوا قدوةً لنا فيها. ومهما اشتدَّ حرصنا على العربيَّة وحفظها من تطرُّق العجمة اليها لا يزيد على حرصهم لا سيما وانهم هم الذين اغنوها بالكتب الادبية والعلمية ورفعوا شأن المتكلمين بها

ومن اشهر المبرزين في ترجمة كتب الادب عبدالله ابن المقفع مترجم كتاب كليلة ودمنة الذي يشهد لهُ كل من طالعهُ انهُ افصح الكتب العربية المترجمة حتى لقد جُعل نموذجًا يتحداهُ الكتبة المنشئون. والذين يترجمون كتب الادب لا يتقيدون بالالفاظ كالذين يترجمون كتب العلم ومع ذلك تجد ابن المقفع يستعمل كلمة بازيار وهي تركيب فارسي معناهُ مربي البازي وكلمة سرجين وهي فارسية ايضًا ومعناها الزبل. وكلمة فيج وهي فارسية ومعناها رسول السلطان القادم على رجليهِ. وكلمة اساورة جمع اسوار وهي فارسية لمن يحسن الرمي. وكلمة نيلوفر وهي رومية للزهر المعروف. ونحو ذلك من الالفاظ الاعجمية. واستعمل من التراكيب والاستعارات مثل ذات النفس. وعداوة الجوهر. وجوهرهم كجوهرك (وكلمة جوهر فارسية معرَّبة) ومن ذلك جعل المال زيادة في الرأي والتمكن. ونقص الحال. وطلب الماء انحدارهُ وما اشبه من التعابير التي يظهر انها غريبة عن العربية وان ابن المقفع نقلها عن الفارسيَّة

ومن المبرزين في ترجمة كتب الطب والفلسفة او الاخذ عن المترجمين الشيخ الرئيس ابن سينا صاحب كتاب القانون الذي ترجمهُ الاوربيون الى اللاتينيَّة وجعلوهُ كتاب التدريس في مدارسهم فانهُ كان حريصًا على الكلمات العلميَّة الاعجمية والاحتفاظ باصلها ولو ترجمها الى العربية كقولهِ "فصل في قملة النسر المسماة دذه بالفارسيَّة وصملوكي باليونانية وطفانوس بالهندية وهذه هامَّة كالقملة او كاصغر الديدان قال جالينوس هي صغيرة لا يشوقى منها وتكاد لا تبصر لسعتها وهي مما تفجر الدم بولاً ورعافًا ومن المقعدة ومن المعدة بالقيء ومن الصدر والرئة ومن اصول الاسنان وربما عظم الخطب فيها فلم تقبل الدواء". ويشبه ذكر اعراضها ان تكون البلهرتسيا الشائعة الآن في وادي النيل. وذكر الحيات على انواعها ولم يذكر اسمًا عربيًّا حتى ذكر عشرة اسماء يونانية وقد عددنا لهُ في صفحة واحدة ١٦ كلمة اعجمية. ولو كان في هذا العصر لما حاول ترجمة الكلمات العلميَّة الجديدة بل نقلها الى العربية كما هي على ما يظهر. والذي يقرأ وصفهُ التشريحي لاعضاء الجسم المختلفة يظن انهُ يقرأ كتابًا من

كتب التشريح الحديثة مثال ذلك قوله في تشريح الحنجرة

" الحنجرة عضو غضروفي مؤلف من غضاريف ثلاثة احدها الغضروف الذي يناله الحس ويسمى الدرقي والترسي اذ كان مقعَّر الباطن محدَّب الظهر يشبه الدرقة وبعض الترسة . والثاني غضروف موضوع خلفهُ يلي العنق مربوط بهِ يعرف بانهُ الذي لا اسم لهُ . وثالث مكبوب عليهما يتصل بالذي لا اسم لهُ ويلاقي الدرقي من غير اتصال وبينهُ وبين الذي لا اسم لهُ مفصل مضاعف بنقرتين فيهما زائدتان من الذي لا اسم لهُ مربوطتان بهما بروابط ويسمَّى المكبي والطرجهاري وبانضمام الدرقي الى الذي لا اسم لهُ وبتباعد احدهما عن الآخر يكون توسُّع الحنجرة وضيقها وباكباب الطرجهاري على الدرقي ولزومهِ اياهُ وبتجافيهِ عنهُ يكون انفتاح الحنجرة وانغلاقها وعند الحنجرة وقدامها عظم مثلث يسمَّى العظم اللامي تشبيهاً بكتابة اللام في حروف اليونانيين اذ شكلهُ هكذا Λ "

وقال الدكتور ورتبات في كتاب التشريح الذي وضعهُ حديثاً على نسق الكتب الاوربيَّة الحديثة " الحنجرة عضو الصوت وهي موضوعة في الجزء العلوي من القصبة .... تأليفها من غضاريف لها اربطة تربطها بعضها ببعض وعضلات تحركها وغشاء مخاطي يبطنها واوعية واعصاب . وغضاريفها تسعة ثلاثة مفردة وثلاثة مزدوجة وهي الدرقي والحلقي ولسان المزمار والطرجهاريان والقرينان الجنجريان والاسفينيان " . ثم شرح ذلك شرحاً مسهباً حسب تقدُّم علم التشريح . وقال في وصف العظم اللامي " يسمَّى هذا العظم باللامي لان فيهِ بعض مشابهة للام اليونانية ويقال لهُ اللساني ايضاً لانهُ حامل اللسان ولان العضلات اللسانية مرتبطة بهِ "

ومن كتب ابن سينا المشهورة كتابهُ في اصول المنطق وهو مبنيٌّ على كتب اليونان وذكر آرائهم قال في الكلام على المطلقات " المطلقة فيها رأيان رأي بافرسطس ثم ثامسطيوس وغيرهِ انها هي التي لم تذكر فيها جهة ضرورة للحكم ...... واما اصحاب الرأي الثاني ومنهم الاسكندر فيرون ان هذا النقل واجب في المطلق " . وكيفما قلبت كتب المنطق رأيت ان علماء العرب تابعوا فلاسفة اليونان في مصطلحاتهم وتعابيرهم

وقد جرى علماء العرب في الرياضيات مجرى علمائهم في الطبيعيات والعقليات اي انهم تابعوا اليونان في كل ما نقلوهُ عنهم وجروا على اساليبهم . قال نصير الدين الطوسي في مقدمة كتابهِ تحرير الاصول لاقليدس " ان العلوم الرياضية التي هي واسطة عقد الحكمة النظرية تنقسم الى اربعة اقسام الهندسة والارثماطيقي والموسيقى والمجسطي وهو غايتها وكان كتاب الاصول الذي يقال لهُ الاستقص (لتحليل سائر العلوم الرياضية اليهِ) في سالف الايام

مرتبًا على خمس عشرة مقالة فمال بعض ملوك اليونان الى حلهِ فاستعصى عليهِ فاخذ يتنسَّم اخبار الكتاب من كل وارد من اهل العلم فاشار بعضهم الى رجل من بلد صور يقال لهُ اقليدس انهُ مبرز في علمي الهندسة والحساب فطلبهُ الملك وامرهُ بتهذيب الكتاب وترتيبهِ فهذَّبهُ ورتبهُ على ثلث عشرة مقالة واشتهر الكتاب باسمهِ "...

وقال في صدر المقالة الاولى " لكل علم موضوع ومبادئ ومسائل . وموضوع كل علم ما يبحث فيهِ عن اغراضهِ الذاتية وهي المحمولات التي تلحق الشيء لذاتهِ او لجزئهِ او لما يساويهِ من المحمولات الخارجة عنهُ . والمبادئ اما حدود موضوعاتهِ او قضايا هي مقدمات براهين مسائلهِ اما مبينة في ذلك العلم من غير ان يستلزم الدور او في علم آخر وتقدَّم في اوائل الكتب مجرَّدة عن البراهين وقد تُقدَّم معها لا على انها من براهين ذلك العلم وتسمَّى مصادرات واصولاً موضوعة واما مبينة بذواتها وتسمَّى علومًا متعارفة . والمسائل هي قضايا يبرهن فيهِ على اثبات محمولاتها لموضوعاتها او سلبها عنها "

وواضح لمن يقرأ هذه السطور ان كثيرًا من الفاظها وتعابيرها ليس من مناحي العرب ولكن مترجمي اقليدس والجارين في خطتهم مثل ثابت بن قرَّة الحرَّاني وحجاج بن مطر ونصير الدين الطوسي وسنان بن جابر الحراني لم يتقيدوا بالفاظ الشعراء والادباء واساليبهم بل اخضعوا اللغة لاغراضهم فعرَّبوا واستعاروا وتصرفوا كيف شاؤوا على ما اقتضاهُ نقل المعاني الى العربيَّة . وهذا ينبغي ان يكون شأننا نحن اذا اردنا ان نجاري العصر ونسير في طريق العلم . وقد قيل

لا يعرف الشوق الاَّ من يكابدهُ ولا الصبابة الاَّ من يعانيها

فالحاجة الى التعريب واساليب التعريب لا يعرفها ولا يقوم بها الاَّ اصحاب كل فن في فنهم . فالجرَّاح الذي قرن العلم بالعمل والتعلُّم بالتعليم يعلم ما تحتاج اليهِ صناعتهُ من التعريب . والصيدلاني الذي قرن العلم بالعمل والتعلم بالتعليم يعلم ما تحتاج اليهِ صناعتهُ من التعريب . وقس على ذلك الفلكي والفسيولوجي والبيولوجي والجيولوجي والنباتي والرياضي والنوتي وقائد الجيش وصانع الآلات والادوات . اما أن نقيم نحويًا او منطقيًا او مؤرخًا او منشئًا لوضع كلمات في علم الفلك وعلم الهندسة وعلم النبات وعلم الحيوان والعلوم الطبيَّة والطبيعية والرياضيَّة فمثل تخويلك قاضيًا تطبيب الابدان وطبيبًا تصوير الالوان . نعم انهُ لا بد من الاستعانة بعلماء اللغة الذين يحفظون متونها ويسهل عليهم استحضار الفاظها ولكن يستحيل الاستغناء بهم عن العلماء الاختصاصيين او الذين لهم المام واسع بمختلف العلوم والفنون وقد قرنوا العلم بالعمل زمانًا طويلاً

الدولة العباسية

(ابو العباس السفّاح)

واقتعد السفّاحُ تختَ المُلْكِ واوردَ الاعدا بحارَ الهُلْكِ
وسرَّ بالملكِ الجليل وابتهجْ وتمَّ فيهِ اربعاً من الحججْ
وتسعةً من الشهور وانتقلْ[1] فقام بالامرِ اخوهُ واستقلْ

(المنصور ابو جعفر عبد الله)

وهو ابو جعفر المنصورُ يرعدُ منهُ الاسدُ الهصورُ
ذو هيبةٍ عظيمةٍ وباسِ ساد بها مُلْكُ بني العبَّاسِ
فتمَّ ثنتين وعشرين سنه تنقص شهرًا اورثتهُ الالسنه.[2]

(المهدي ابو عبد الله محمد بن المنصور)

وانتصب المهديُّ لما ان مضي والدهُ وكان سيفاً منتضي
ابــاد كل كافرٍ زنديقِ وكان مهديًّا على التحقيقِ
فتمَّ عشر حجج مع شهرِ ونصف شهر وثوى في القبرِ
فاسبلوا الدمع عليهِ وبكوا اذ مات مسموماً على ما قد حكوا[3]

(الهادي ابو محمد موسى بن المهدي)

وبايعوا لاكبر الاولاد موسى ابنهِ ولقبوهُ الهادي
فتمَّ عاماً واحدًا وثلث عام وبعدها بلجة المنونِ عام[4]

---

(١) السفاح اول خلفاء بني العباس بويع بالخلافة بالكوفة في ثالث ربيع الاول سنة ١٣٢ (٧٥٠ م) ومات بالجدري في ذي الحجة سنة ١٣٦ (٧٥٤ م) وكان مقرهُ في الانبار على الفرات (٢) هو من اعظم خلفاء الاسلام هيبةً وشجاعةً وحزماً · بنى مدينةً بقرب الكوفة وسماها الهاشمية وفيها ضربت الدنانير الذهبية وكثيرًا ما جمع فيها ديوان وزرائهِ وهو مؤسس مدينة بغداد شرع في بنائها سنة ١٤٠ وفرغ منها سنة ١٤٩ وسماها مدينة السلام وصارت من ثم عاصمة الخلفاء العباسيين وشيد ايضاً الرصافة · مات في سنة ١٥٨ (٧٧٥ م) وهو ابن ثمانٍ وستين سنة (٣) بويع المهدي بالخلافة بعد موت ابيهِ وهو اول من عمل البريد من الحجاز الى العراق وتتبع الزنادقة وافنى منهم خلقاً كثيرًا · ومات في سنة ١٦٩ (٧٨٥ م) · قيل انهُ مات مسموماً · قال ابن بطريق : كانت خلافة المهدي عشر سنين وشهرًا وسنة عشر يوماً :

(٤) وتوفي الهادي خارج بغداد بموضع يقال لهُ عيسباد ودفن بها

(هارون الرشيد ابو جعفر)

وبايعوا من بعدهِ اخاهُ فنال اذ بويع ما وخاهُ
وهو الرشيد المرتضي هارونُ امواله لم يحوها قارونُ
بالارث حاز الملك من ابيهِ واخذ السرير عن اخيهِ
وتمَّ بعد هذه الوراثه عشرين عامًا بعدها ثلاثه
يتبعها شهران ثم نصف شهرْ وكان سلطانًا له باسٌ وقهرْ
فلم يطق ان يدفع الحماما لما سقاهُ كأسهُ الحِماما [1]

(الامين محمد بن الرشيد)

وبايعوا من بعدهِ الامينا وقلَّدوهُ عقدهُ الثمينا
وهو ابنهُ محمد فدانتْ لهُ الرعايا كلها وكانتْ
مدتهُ من السنين اربعْ وتسعة من الشهور تتبعْ
وثلث شهرٍ وانقضت وزالتْ وآلت الحال الى ما آلتْ
من منعهِ وخلعهِ وحصرهِ وقتلهِ بالسيف وسط قصرهِ [2]

(المأمون عبد الله بن الرشيد)

وبويع المأمون بعد ذلكْ فاستبشرت بعدلهِ الممالكْ
وكان عالمًا غزير العلمِ والفضلِ موصوفًا بفرط الحلمِ
له تعزت في الانام حسنهْ فتمَّ ثنتين وعشرين سنهْ
وهطلت لموتهِ المدامعُ كأنها السحائب الهوامعُ
واسفوا لمَّا بقبرٍ قد ثوَى حزنًا على الفضائل التي حوَى
فيا لها فضائلاً ما عابها الأَ اعتزالٌ شانها وشابها

(١) استخلف الرشيد بعهد من ابيهِ عند موت اخيهِ الهادي في ربيع الاول سنة ١٧٠ (٧٨٦ م) وكان محبًا للعلم واهلهِ وقلد الامور ليحيي بن خالد البرمكي وحج في خلافتهِ تسع حجات وغزا بلاد الروم ثماني غزوات وسخط على البرامكة فافناهم ومات في الغزو بطوس من خراسان سنة ١٩٣ (٨٠٩ م) ولهُ خمس واربعون سنة وقال ابن بطريق بل ست واربعون سنة (٢) ولي الخلافة بعد ابيهِ وكان سيء التدبير منهمكًا في اللعب والجهل قام عليهِ اخوهُ المأمون وحاصر بغداد خمسة عشر شهرًا وخرج الامين بامهِ واهلهِ من القصر الى مدينة المنصور فدخل عليهِ قوم من العجم ليلاً فضربوهُ بالسيف ثم ذبحوهُ وذلك في سنة ١٩٨ (٨١٣ م) قال ابن بطريق كانت خلافة الامين اربع سنين وثمانية اشهر وستة ايام

زال بها عن وجهه الجمالُ وللالهِ وحده الكمالُ (١)

(المعتصم بالدين الرشيد)

وبايعوا من بعده للمعتصمْ وهو بالاعتزال ايضاً قد وُصمْ
وامتحن الحبر الجليل احمدا ولم يكن في رأيهِ على هُدى
اذ جعل القرآن مخلوقاً كما قال اخوهُ قبلهُ وأثما (٢)
وبعدت بغزوهِ مسالكهْ واتسعت لاجل ذا ممالكهْ
وتمَّ في امرته ثمانيه مستوفياً اعوامهُ كما هيه (٣)

(الواثق بالله هارون بن المعتصم)

وبايعوا الواثق وهو نجلهُ ولم تغثهُ خيلهُ ورجلهُ
هارون كان عالماً بالحسبِ وكان عارفاً بعلم الادبِ
وكان في اعتزالهِ شديدا ولم يكن مذهبهُ سديدا
أذى الامام احمد بن حنبلِ واظهر البدعة لما ان ولي
وقام يرجو نصرها ويبتغي وقال في القرآن ما لا ينبغي
لما رواهُ مثلهُ مخلوقاً (٤) فمات في تنوره محروقا
ايامهُ خمس سنين عدَّها وتسعة من الشهور بعدها
ستة ايامٍ وفاضت نفسهُ وأفلتْ بعد الشروق شمسهُ

(١) لم يلِ الخلافة من بني العباس اعلم منهُ وكان افضلهم حزماً وهيبة وسودداً وسماحة يجالس العلماء من كل الملل والاديان وهو اول من دخل مصر من الخلفاء العباسيين وذلك في سنة ٢١٧ وبنى له قبة على جبل المقطم · مات يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من رجب سنة ٢١٨ (٨٣٣ م) على اثر حمى اصابتهُ وهو على نهر البذندون في سيليسيا قرب طرسوس (٢) اشتغل المامون والمعتصم بامتحان العلماء عما يعتقدون في خلق القرآن واحداثهِ وكانا يقولان انهُ مخلوق خلافاً لاهل السنة وقاسى الناس منها مشقة عظيمة بسبب هذه المحنة (٣) مات المعتصم يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة من ربيع الاول سنة ٢٢٧ (٨٤٢م) وهو اول من شفع اسمهُ باسم الجلالة وتبعهُ في ذلك سائر الخلفاء بعدهُ (٤) تبع الواثق بالله اباهُ في امتحان الائمة بخلق القرآن واحضر من بغداد الى سامرا احمد بن نصر الخزاعي وكان من اهل الحديث وسألهُ عن القرآن فقال ليس بمخلوق فامر بقتلهِ · كان الواثق شاعراً وحاذقاً بضرب العود وتوفي بسر من رأى سنة ٢٣٢ (٨٤٧ م)

ولما احتضر جعل يردد هذين البيتين :

الموت فيهِ جميع الخلق مشتركُ لا سوقةٌ منهم يبقى ولا ملكُ
ما ضرَّ اهل قليل في تفاقرهم وليس يغني عن الاملاك ما ملكوا

(المتوكل على الله جعفر بن المعتصم)

المتوكلُ المسمّى جعفرُ اقام ينهى بعدهُ ويأمرُ
وهو ابو الفضلِ اخوهُ قُتلا في مجلس اللهو الذي فيهِ خلا
مدتهُ عشر سنينٍ قد مضت واربعٌ من بعدها قد انقضت[1]

(المنتصر بالله محمد ابو جعفر بن المتوكل)

وبايعوا المنتصر ابنهُ فتمّ ستة اشهرٍ بها العمر ختمْ
ولم يراعِ واجب الحقوقِ ولا استحى من وصمة العقوقِ
فلم يتمتّع بعدهُ بالمُلكِ لكن تردَّى في مهاوي الهلكِ
ولم يقم من بعدهِ فيهِ سوى ستة اشهرٍ وفي اللحدِ ثوى[2]

(المستعين بالله احمد بن المعتصم)

وذهب الملك العضوض من يدهْ وبايعوا للمستعين ولدِهْ
فتمّ فيهـا مدةً وخُلعا ومات مخلوعًا نهار الاربعا
كانت لهُ إمرتهُ وراثهْ اعوامهُ مدتهـا ثلاثهْ
تتبعها من الشهور تسعهْ وذاق من وصل المنايا لسعهْ[3]

(المعتز بالله محمد بن المتوكل)

وبعدهُ الخليفة المعتزُّ فسلبوهُ ملكهُ وابتزّوا

---

(١) بويع لهُ في ذي الحجة فاظهر الميل الى السنة ونصر اهلها ورفع المحنة . وكان المتوكل جوادًا ممدوحًا ما اعطى خليفة شاعرًا ما اعطى المتوكل . انما كان منهمكًا في اللذات والشراب وقيل كان لهُ اربعة آلاف سرية وفي ايامهِ حدثت زلازل عظيمة اخربت مدنًا كثيرة وكان بايع بولاية العهد لابنهِ المنتصر ثم المعتز ثم المؤيد . ثم انهُ اراد تقدم المعتز لمحبتهِ لامهِ . واتفق ان الترك انحرفوا عن المتوكل لامور فاتفقوا مع المنتصر على قتل ابيه فدخل عليهِ خمسة وهو في جوف الليل في مجلس لهوهِ فقتلوهُ هو ووزيرهُ وذلك في خامس شوال سنة ٢٤٧ (٨٦١ م) (٢) بويع لهُ بعد قتل ابيهِ فخلع اخويهِ المعتز والمؤيد من ولاية العهد واظهر العدل والانصاف في الرعية ولما ولي صار يسبّ الاتراك ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء . فدسوا الى طبيبهِ ابن طيفور ثلاثين الف دينار في مرضهِ فاشار بفصدهِ ثم فصدهُ بريشة مسمومة فمات . ولما احتضر قال يا اماهُ ذهبت مني الدنيا والآخرة عاجلت ابي وعوجلت مات في خامس ربيع الآخر سنة ٢٤٨ (٨٦٢ م) عن ست وعشرين سنة فلم يتمتع بالخلافة الاَّ اشهرًا معدودة دون الستة

(٣) لما مات المنتصر اجتمع القواد وتشاوروا وقالوا متى وليتم احدًا من اولاد المتوكل لا يبقى منا باقية فقالوا ما لها الاَّ احمد بن المعتصم وبايعوهُ ولهُ ثمان وعشرون سنة واستمر الى اول سنة ٢٥١ (٨٦٥ م) ثم تنكر لهُ الاتراك واخرجوا المعتز بالله وبايعوهُ وخلعوا المستعين وجهز المعتز جيشا لمحاربة المستعين وقتل المستعين في ثالث شوال من سنة ٢٥٢ (٨٦٦ م)

بعد ثلاثةٍ من الاعوامِ ونصف عامٍ مرَّ مع ايام
جملتها في عددٍ احدى عشر وواجهوهُ بعنادٍ وبشرّ
وخلعوهُ ثم عذَّبوهُ ظلماً وفي الحمَّام اكربوهُ
فمات فيهِ عطشاً ووهجا وسلك الموت اليهِ نهجا [1]

(المهتدي بالله بن الواثق)

وبايعوا من بعدهِ للمهتدي خير امام بالاشجِّ يقتدي
في نسكهِ ودينهِ وخيرهِ وعدلهِ وفي جميع سيرهِ
يسدي الى الانام كل حسنهْ فقتلوهُ ولهُ دون سنهْ [2]

(المعتمد على الله بن المتوكل)

وبايعوا من بعدهِ للمعتمد وهو على فعل الجميل مجتهد
فاضطربت ايامهُ واختلَّتْ لضعفهِ وسقمت واعتلَّتْ
فانتهكت حرمتهُ الموالي واحجمت عن ظعنها العوالي
واستأسد الاتراك والعلوجُ وهاجمت جيوشهُ الزنوجُ
فانتدب الموفق السعيدُ اخوهُ وهو الفارس الصنديدُ
وقام بالامر قياماً حسنا كسا بهِ المُلْك بهاءً وسنا
فاصلحت حينئذٍ احوالهْ جميعها ونفذت اقوالهْ
وصار ملكهُ عظيم الشانِ مشيد الاركان للسلطانِ
فضاق ذرعاً باخيهِ لمَّا شاركهُ فيهِ فمات غمَّا
وقيل مسموماً وقيل غير ذا وما صفى موردهُ من القذا
وتمَّ ثنتين وعشرين سنهْ ونصف عام ثم خلَّى وطنهْ [3]

---

(١) بويع له بعد خلع اخيهِ ولهُ من العمر تسع عشرة سنة وفي اول سنة تولي خلع اخاهُ المؤيد من العهد وضربهُ وقيدهُ فمات . وبعد ثلث سنوات ونصف اجتمع الاتراك على خلع المعتز وهجم عليهِ جماعة وجروهُ برجلهِ وضربوهُ بالدبابيس وبعد خمس ليال من خلعهِ ادخلوهُ الحمام فلما اغتسل عطش فمنعوهُ الماء ثم سقوهُ ماء بثلج فشربهُ وسقط ميتاً وذلك في شعبان سنة ٢٥٥ (٨٦٩ م) (٢) كانت خلافة المهتدي سنة الاَّ خمسة عشر يوماً وقتل في رجب سنة ٢٥٦ (٨٧٠ م) (٣) لما بويع المعتمد استعمل اخاهُ الموفق طلحة على المشرق . وفي ايامهِ دخلت الزنج البصرة واعمالها وبذلوا السيف واحرقوا وضربوا ودامت الحرب بينهم وبين عساكر المعتمد واميرهم في اكثرها الموفق نحو اربع عشرة سنة وقتل رأس الزنج وضج الناس بالدعاء للموفق وكان ماسكاً زمام الاحكام الى ان مات المعتمد في رجب سنة ٢٧٩ (٨٩٢ م)

(المعتضد بالله بن الموفق)

وبويع المعتضد الامامُ وهو الشجاع البطل الهمامُ
والدهُ الموفّقُ المذكورُ وعمهُ المعتمدُ المشكورُ
فانصلحت بهِ الامور الفاسده وارغم الله تعالى حاسده
وكان سيدًا كثير الفضلِ أحيا البلاد كلها بالعدلِ
ثمّ على سريرهِ عشر حجج وتسعةً من الشهور ودَرَج[1]

(المكتفي بالله بن المعتضد)

وبايعوا ابنهُ الامام المكتفي وفضلهُ بين الورى لا يختفي
فطهّر الدنيا من الزنادقه وكفرهم بالعزمات الصادقه
وقهر الخوارج الطغاةَ ودمّر العصاةَ والبغاةَ
وفتحت بسيفهِ انطاكيه[2] وانتصفت بهِ وكانت شاكيه
من جور اهل الجور رهزا واستمرّ في ملكهِ ست سنين ثم مرّ
من بعد نصف سنة لها تلي وانصف شهرٍ راحلاً ثم ولي[3]

(المقتدر بالله بن المعتضد)

من بعده المقتدر الزاكي كما قد قالهُ اهل التواريخ فما
اقام الاّ ثلث عام واعتزل وعن سرير ملكهِ قهرًا نزل

وبايعوا من بعدهِ للمنتصف وهو الذي بالعلم والفضل وصف
والدهُ الخليفة المعتزّ كان الى نيل العلى يهتزّ
وكان شاعرًا رقيق الحاشيه اشعارهُ بين الانام فاشيه
يصيب فيها غاية الصوابِ فأدركتهُ حرفة الادابِ
فانحلّ امرهُ وما استقاما وغدروا بهِ فما أقاما

(١) كان المعتضد ملكًا شجاعًا مهيبًا وافر العقل نشر العدل ورفع الظلم عن الرعية وفي سنة ٢٨٢ زُفت اليهِ قطر الندى بنت خمارويه بن احمد بن طولون وكان في جهازها اربعة آلاف تكة مجوهرة وعشرة صناديق جوهر (تاريخ الخلفاء للسيوطي) مات في سنة ٢٨٩ (٩٠٢ م)

(٢) هي انطالية (باللام) فتحت عنوةً في سنة ٢٩١ ه

(٣) مات المكتفي شابًا لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٢٩٥ (٩٠٨م)

غير نهار واحد ثم قُتل ونصبوا المقتدر الذي عزل[١]
وابرزوهُ كالهلال الزاهرِ وخلعوهُ بعد ذا بالقاهرِ
ثم اعادوهُ اليها ثالثا وجرّعوا القاهر هذا الكارثا
فتمّ فيها آمرًا وناهيا وقتلوهُ بعد هذا لاهيا
وكانَ مقدار الذي اقاما فيهِ الى ان لقي الحماما

(القاهر بالله ابو منصور بن المعتضد)

خمسًا وعشرين وقام القاهرُ وفضلهُ بين الانام باهرُ
فتمّ فيها سنةً ونصفا ورصفوا لهُ اذاهم رصفا
فقبضوا عليهِ ثم سملوهُ وفعلوا بهِ الذي قد فعلوهُ[٢]

(الراضي بالله ابو العباس بن المقتدر)

وبويع الراضي ابو العباسِ وفضلهُ مشتهرٌ في الناسِ
فضرب الدراهم المعروفه وبث فيها بينهم معروفه
وعمهم لجوده بالطولِ وكان شاعرًا بليغ القولِ
ايامهُ تقرب من سبع حجج اقام فيها حاكمًا ثمَّ درج[٣]

(١) ولي المقتدر الخلافة ولهُ ثلاث عشرة سنة فاستصباهُ الوزير العباسي ابن الحسن فعمل على خلعهِ ووافقهُ جماعة فبايعوا عبد الله بن المعتز ولقبوهُ الغالب بالله (ولا نعلم لماذا سماهُ هنا المنتصف) . ثم قبض المقتدر على الفقهاء والامراء الذين خلعوهُ واستقام الامر لهُ . وقد اختلّ النظام كثيرًا في ايامهِ لصغرهِ ولهوهِ . وفي سنة ٣١٧ ﻫ خلع وبويع لمحمد بن المعتضد ولقب بالقاهر فلم يجلس على سرير الملك الاَّ يومًا واحدًا وعادت الخلافة الى المقتدر الى ان رماهُ بربري بحربةٍ ثم ذبحهُ بالسيف وحمل رأسهُ على رمح وطاف بهِ المدينة وذلك يوم الاربعاء لثلاث من شوال سنة ٣٢٠ (٩٣٢ م) . وفي ايامهِ قام محمد بن المهدي الفاطمي وملك الاسكندرية ثم مصر واكثر الصعيد وكان بدء الدولة الفاطمية (٢) كان القاهر بالله سيء السيرة سفاكًا للدماء . وتحرك عليهِ الجند فقبضوا عليهِ وبايعوا ابا العباس بن المقتدر ولقبوهُ الراضي بالله . ولما امتنع القاهر من الخلع سملوا عينيهِ حتى سالتا على خديهِ . وطولب بالمال الذي كان اخذهُ من مؤنس واصحابهِ فانكر فعذب بانواع العذاب ولم يقر . وفي اول سنة من خلافة القاهر صير سعيد بن بطريق المتطبب من اهل فسطاط مصر بطريركًا على الاسكندرية وسمي انبا افتيشيوس وذلك يوم الخميس لثلث عشرة ليلة خلت من امشير وهو شباط من سني ديوكليتيانوس سنة ٦٤٩ ولثمان ليال خلون من صفر سنة ٣٢١ قمرية (٣) بويع لهُ يوم خلع القاهر وذلك سنة ٣٢٢ (٩٣٤ م) وكان اديبًا شاعرًا لكن امر الخلافة ضعف في زمانهِ ووهنت اركان الدولة العباسية وتغلبت القرامطة والمبتدعة على الاقاليم واستولى الامير عبد الرحمن بن محمد الامدي على اكثر الاندلس وتسمى بامير المؤمنين ولم يبقَ بيد الراضي غير بغداد والسواد وفي سنة ٣٢٩ (٩٤٠ م) اعتلّ الراضي ومات في شهر ربيع الآخر ولهُ احدى وثلاثون سنة ونصف

الرمد الحبيبي[1]

سادتي واخواني الافاضل

اسمحوا لي ان اشكر حضراتكم على تكرمكم بالحضور لسماع ما سأُلقيهِ على مسامعكم الشريفة ولقد حصل لي مزيد الشرف بان افتتح باب المقالات العلمية في هذا النادي . وسأَتكلم الآن على موضوع الرمد الحبيبي المعروف عند العامة بالحمية ولكنني اسقط ذكر الاسماء الطبيَّة المحضة وذلك لاختصاصها بالاطباء دون سواهم — وطالما حدثتني نفسي بان اقوم امام جمهور من افاضل المصريين لكي اطرق باب هذا الموضوع المهم الذي شغل كل الامم الراقية ونحن تركناهُ في زوايا النسيان واهملناهُ ايما اهمال مع عظيم اهميتهِ من كل الوجوه . ولكن والحمد لله قد اتاحت لي الفرص الآن ان اقف بينكم هذا الموقف حبًّا بالوطن فعامل الاخلاص الجأني الى الوقوف والنداء لمكافحة مرض عضال لا يزال ينتشر بسرعة عظيمة كلما وجد مجالاً لذلك رغماً عما بذلتهُ وتبذلهُ الامم الراقية في محاربتهِ . مرض اتخذ مصر من قديم الزمان مأوًى لهُ واصبح بمضي المدة صاحب الدار وسيد الامراض المصرية . مرض انتحل اسم البلاد فلقب بالرمد المصري بقدم عهدهِ وانتشارهِ بالدرجة المريعة التي تفوق كل وصف وحصر ولا غرابة اذا قلت لكم ان العمى في مصر ينتج في الغالب من مضاعفات هذا الضيف الثقيل بل هذا الداء الخبيث بل هذا العدو الالد . ولكل هذا الاسباب قامت كل الدول المتمدنة على قدم وساق لإزالة جرثومة هذا المرض بكل همة ونشاط ويكفيكم دليلاً على ذلك ان الولايات المتحدة لا تسمح كلية للمصابين بهذا الداء ان يطأُوا ارضها وذلك بناء على قرار صدر سنة ١٨٩٧ لمنع انتشار هذا المرض بين اهلها . وفي سنة ١٨٩٩ صار من المحتم الكشف عن اعين كل مسافر يريد ان يدخل بلادها بواسطة الاطباء الرمديين وذلك لمنع كل مصاب بهذا المرض من الدخول في تلك البلاد وكل من وجد مصاباً يجبر على العودة

وتوجد في معظم عواصم اوربا مدارس مخصوصة للمصابين بهذا المرض ولا تسمح لاي تلميذ مصاب بان يدرج في سلك تلاميذ المدارس الاخرى

وفي مستشفيات الرمد الموجودة بلوندره وفينَّا اقسام مخصوصة لمعالجة المصابين بهذا الرمد

(١) خطبة حضرة الدكتور عبد العزيز افندي العجيزي طبيب اول مستشفيات الرمد النقالة في نادي طنطا

ولا يجوز لاي مريض من مرضى هذا القسم مخالطة مرضى الاقسام الاخرى · انظروا وتأملوا لماذا هذه العناية الشديدة بل لماذا هذا الاهتمام · كل ذلك اقولهُ لحضرتكم لتعلموا حق العلم اننا ازاء عدو الد اهتم العالم اجمع بمقاومتهِ اذاً يجب علينا معشر المصريين ان ننهج هذا المنهج القويم بملوهمة وثبات عزيمة وان نجمع كل قوانا لمكافحتهِ · وقبل ان اقص عليكم تاريخ هذا المرض اذكر نسبة انتشارهِ في مصر

بلغ عدد من فحصوا في مستشفى الرمد بينها في مدة سبعة اشهر تقريباً عشرين الفاً وفي هذا العدد لم نشاهد الاّ ثلاثين غير مصابين بهذا الرمد · اي بنسبة واحد ونصف في الالف وفحصنا تلاميذ مدرسة طنطا في هذه السنة المكتبية فوجدنا ستة عشر تلميذاً من ٤٨٥ غير مصابين بهذا الرمد اي بنسبة ٣/١ ٣ في المئة وهؤلاء التلاميذ كما تعلمون هم اولاد الفئة الراقية · وقال الدكتور اشمت الرمدي انهُ وجد بقسم الرمد بالعيادة الخارجية بالقصر العيني ١٠٠ مصاب بهذا الرمد في يوم واحد ووجد ايضاً في مدارس الاسكندرية الاهلية من ٨٠ الى ٩٣ في المائة مصابين بهذا الرمد وفي احصائية الدكتور ظحاوي ٧٥٠ في الالف مصابون بالرمد وفي احصائية الدكتور فان ملنجن ٨٠٠ في الالف مصابون بهِ · هذه هي نسبة انتشار الرمد في مصر واليكم نسبة انتشارهِ في الخارج لتعلموا الفرق الهائل بين مصر والبلاد المتمدنة · نسبة انتشار الرمد في الجيش الالماني واحد في الالفين · ونسبة انتشاره في روسيا (المعدودة اول مملكة اوربيَّة انتشر فيها هذا الرمد بكثرة) هي سبعة في الالف

وفي هذا المقام لا يسعني الاّ ان اخبركم ان ثلاثة ارباع فقد البصر والعمى بمصر هو نتيجة من نتائج هذا الرمد والآن اسرد عليكم نسبة العمى في مصر لتعرفوا الضرر العظيم الناتج من هذا المرض الخبيث · قال الدكتور ماكان باشمفتش اسبتاليات الرمد في احصائيتهِ عن المستشفيات الرمدية المصرية لسنة ١٩٠٦ ان نسبة فاقدي البصر هي ٥ في المئة تقريباً وقال سعادة الدكتور علوي باشا في كتابهِ المقدم الى مؤتمر بروكسل " ان نسبة العمى في مصر هي خمسة في المئة " وقال الدكتور اوسبورن في مجموع مشاهداتهِ " ان نسبة العمى في مصر هي ٨ في المئة " والآن اذكر نسبة العمى في البلاد الاخرى لكي يتضح لكم الفرق الهائل بين حالة بلادنا والبلاد المتمدنة

نسبة العمى في النمسا وانجلترا والمانيا وبلجيكا وايطاليا وهولندا هي ٧ في الالف بدل ثمانية في المائة عندنا

ولا اقتصر على ذلك بل هناك مصيبة أُخرى ناتجة من هذا المرض اللعين منتشرة بكثرة

هائلة جدًّا الأ وهي الشعرة المسماة عند العامة بالغربية

الشعرة هي عبارة عن انقلاب الاهداب (الرمش) نحو المقلة فتسبب تهيجاً مستمرًّا ينتج عن احتكاك هذه الاهداب بالمقلة وينشأ من هذا الاحتكاك المستمر كثرة افراز الدموع والتهابات في القرنية وغشامات وقرح . وفي احوال كثيرة تفضي الى فقد الابصار كلية ان اهملت ولذا تواتر على السنة العامة القول الآتي وهو: "ان الشعرة تلحس النظر"

والمشهور عند العامة ان الشعرة هي عبارة عن ريش جديد ينبت في الحافة الجفنية نتيجة عدوى ولكن ذلك غير صحيح والحقيقة ان الشعرة هي من الاهداب الاصلية تغير اتجاهها وانقلبت نحو المقلة بسبب انكماش في المقلة ناشيءٍ من الحبوب فالشعرة اذًا ما هي الأ نتيجة الرمد الحبيبي

وقد بلغ عدد المصابين بها ٢٦١٢ في ٤٠٨٠٠ من المرضى اي بنسبة ٨ في المائة وهنا يكل قلمي ويقف لساني عن زيادة الشرح والتنقيب فضرر هذا المرض ظاهر امام الملإ اجمع كالشمس في رائعة النهار

نعم من يقرأ او يسمع كل ذلك لا بد ان يتصوَّر لاول وهلة اننا اول الناس تحفظاً لايقاف تيار هذا المرض وان بمصر من المعاهد الخصوصية للرمد ما لا يحصى . نعم بلاد هكذا انتشار الرمد فيها يجب ان تكون اول بقعة درست هذا الداء وعلمت كيف تقاومهُ بل يلزم ان تكون كعبة الاطباء الرمديين للاستفادة من طرق العلاج المختلفة بل يجب ان تحوي المستشفيات العديدة لمعالجة هذا الداء الكمين واغاثة المنكوبين من فقراء المصريين الذين لا يملكون قوت ليلتهم . وقد كان المنتظر ان تهز الشفقة الانسانية عاطفة بعض سراتنا الذين كثيرًا ما يتسابقون فيما لا يفيد الى ايجاد شيءٍ من هذا القبيل ولكن قدر الله ان يكون سخاء السير ارنست كاسل الانكليزي الذي تبرع بمبلغ اربعين الف جنيه سبباً في تأسيس مستشفيات مخصوصة لهذا المرض الوبيل

تاريخ الرمد في القطر المصري

الآن انتقل الى ذكر تاريخ الرمد في القطر المصري فاقول : اعتبرت مصر من سالف الازمان مهدًا لهذا المرض الفتاك . وقال آخرون ان عهد هذا الرمد بمصر عهد وجود النور بها

واستنتج الدكتور هرشبرج انتشار الرمد في مصر في عهد الفراعنة من درج ابرس المكتوب في عهد الاسرة الثامنة عشرة قبل الميلاد الذي وجد في معابد طيبه سنة ١٨٧٢

ميلادية . فقد وجد ذلك الحكيم ان عشر التذاكر الطبية الموجودة في ذلك الدرج مختصة بامراض العين وخصوصاً المصحوبة منها بافراز وهذه الكتابات هي اقدم كتابات طبية وجدت لغاية الآن الاّ ان الطبيب العربي المشهور المدعو عبد اللطيف وصف جميع الامراض المصرية وصفاً وافياً ولكن لم يذكر شيئاً بخصوص الرمد . وكان ذلك في سنة ١٢٠٠ ميلادية اما المثبوت تاريخياً فهو ان الرمد يبتدئ حقيقة في مصر من مدة المماليك (١٢٥٤ — ١٥١٧) ميلادية. ومن ذلك العهد اخذ ينتشر في مصر ولُقب بالرمد المصري بعد دخول نابليون وانتشار العدوى بين جيوشهِ ونقلها منهم الى اوربا . فقد قال الاطباء ان الجيوش الفرنسوية والانكليزية اصيبت بالرمد الحبيبي بشكل مريع . وقال احد الاطباء الانكليز انهُ عاد من مصر الى انكلترا اكثر من الفي عسكري فاقدي البصر

والآن اقتصر على ذكر بعض ما قالهُ المؤرخون والاطباء في القرن الماضي للدلالة على حالة الرمد في القطر المصري فقد قال فولنيه انهُ صادف في احدى شوارع القاهرة عشرين اعمى وعشرة عور وعشرين اخرين محمرة عيونهم كل ذلك بين مئة نفر وقال سافري ان الازهر في تلك المدة كان يحوي ثمانية الاف اعمى وليس قصدهُ بذلك انهم جميعاً فاقدو البصر كلية بل عد منهم من بهِ ضعف في بصرهِ بسبب هذا الرمد الحبيبي . وان كانت هذه الاقوال مبالغ فيها بدرجة عظيمة الاّ ان من مجموعها يستنتج ان الرمد كان منتشراً بمصر انتشاراً يستوجب الاهتمام الزائد والعناية الكبرى لمقاومتهِ . ولنبدأ الآن بشرح المرض بطريقة بسيطة يسهل فهمها على الجميع

وصف المرض الحبيبي

هو مرض من امراض غشاء الجفن الباطني المسمى طبياً بالملتحمة ويتميز عن باقي امراض هذا الغشاء بوجود سماكة وضخامة مصحوبة بارتفاعات وبروزات تقارب في الشكل سطح القنبيط في حبيباتهِ ولذا سمي بالمرض الحبيبي و يعرف عند العامة باللحمية لان الملتحمة في بعض ادوار هذا المرض تشابه في لونها وشكلها قطعة اللحم

ولهذا المرض شكلان رئيسان الاول مزمن وهو المصحوب باعراض التهابية قليلة الوضوح وفي معظم الاحوال تكون غير محسوسة كلية ان لم تؤثر فيها العوامل الخارجية كالتراب والدخان والحر وما اشبه وهذا هو النوع المنتشر في بلادنا

والشكل الثاني المعروف عند العامة بالعين المشقوقة وعند بعض الرمديين بالشكل الحاد لاصحابهِ باعراض التهابيّة شديدة ولكن هو في الحقيقة مضاعفة التهابيّة تظهر في عين

مصابة من قبل بحبوب مزمنة او ابتداء عدوى مزدوجة من ميكروب الرمد الحبيبي وبعض ميكروبات الامراض المنزليَّة الحادة

الشكل الاول او المزمن وهو غير مصحوب باعراض التهابيَّة واضحة

يبتدئ هذا الرمد غالبًا بالتدريج بدون حدوث تعب او ضرر محسوس حتى ان المصابين بهِ يبقون مدة طويلة لا يشعرون بهِ وغالبهم يعتقد انهُ سليم حتى يكشف عليهِ طبيبًا عند ما يصاب بمرض التهابي او شيء آخر او من باب الصدفة . وفي احوال أُخرى يبتدئ هذا المرض باعراض بسيطة مثل تساقط الدموع بكثرة والتصاق الاهداب بعضها ببعض اثناء النوم وصغر في فتحة العين وثقل في الجفن ثم تأخذ هذه الاعراض في الازدياد وذلك لازدياد حجم الحبوب التي تتكون في ابتداء المرض فتضخم الملتحمة والانسجة التي تحتها و يزداد سمكها فينتفخ الجفن العلوي انتفاخًا واضحًا و يصير دائمًا مرتخيًا و يشعر المريض ان في باطن جفنهِ اجسامًا او انهُ كالمغطى برمل ويجد في نفسهِ عدم القدرة على مقاومة الضوء القوي وعدم امكانهِ الاستمرار على العمل ويحصل لهُ ايضًا اضطرابات في الابصار كالزغللة اثناء القراءة والكتابة وذلك ناشئ من زيادة الافراز وهذه هي الاعراض الكثيرة الحصول في الاحوال البسيطة الغير المصحوبة بمضاعفات أُخرى

الشكل الثاني المصحوب باعراض التهابيَّة واضحة

هذا النوع يظهر بشكل مريع في الاطفال من ابتداء مايو لغاية اكتوبر و يبتدئ بانتفاخ في الاجفان وخصوصًا الجفن العلوي واحتقان في الملتحمة مع ارتشاح وافراز يكتسب بعد قليل للصفة القيحيَّة وذلك يكون مصحوبًا بفزع من الضوء حتى يتعذر على المريض فتح عينيهِ وآلام شديدة في العين والرأس واحساس برمل بين الاجفان وفي الصباح يجد المريض اجفانهُ ملتصقة بالافراز وتستمر هذه الحالة نحو ثمانية ايام او عشرة ثم تنتهي إما بالشفاء بدون ان تترك اثرًا ما وإما ان يصير مزمنًا يزول ويعود مرارًا فيترك اثر التحامات يعقبها جفاف في العين وتلك حالة تهيئ الملتحمة للاصابة المزمنة وتعرضها لان تتأثر بالمؤثرات الجوية هذا اذا لم تحدث المضاعفات القرنية . وهذا المرض غير ذي خطر اذا عولج من مبدإِهِ واما اذا ترك لنفسهِ فغالبًا يكون مصحوبًا بمضاعفات قرنية ربما تنتهي بتلف العين كلية . وفي هذا المقام لا يسعني ان اشرح لكم بمزيد الاسف الحالة السيئة التي نرى عليها اغلب الاطفال المصابين بهذا المرض واني في غاية من الدهشة مما يصيب هؤلاء الاطفال وماذا يكون حالهم اذا لم يسعفوا بالعلاج الوقتي الضروري ولكن لا يلزم الانسان

ان يندهش بعد ذلك من كثرة العمي في مصر او من تسمية بلادنا ببلاد العميان ويكفي الشخص ان يذهب الى مستشفيات الرمد في فصل الصيف ليرى الحالة المحزنة التي عليها الاطفال والذي يؤلم ويوجع اكثر من ذلك هو ما اذا فحصت طفلاً صغيرًا على ذراعي امهِ وجدتهُ فقد البصر من هذا المرض لتواني اهلهِ في احضارهِ عند اول ظهور المرض فما ذنب هذا المسكين ? ذنبهُ الجهل والفاقة قاتلها الله بل ذنبهُ عدم شعور الاغنياء بان عليهم ديناً لمواطنيهم من الفقراء يجب عليهم اداؤُهُ لهم بل ذنبهُ هذا الجمود الذي يتسلط على السراة والاعيان فينزع من قلبهم كل عاطفة وحنان نحو المعوزين والمحتاجين

انتهيت من التكلم على المرض والآن اذكر لكم كيفية انتشارهِ فمما سبق تعلمون نسبة انتشار هذا المرض ومن المشاهد ان انتشارهُ نادر في الطبقات الراقية ولكن مجرد قولي ان وجودهُ نادر عند الطبقات الراقية لا يمنع ان هذه الطبقات يمكن كذلك ان تصاب بهِ ولا يخفف ذلك الاَّ ما يتخذونهُ من سبل ايقاف انتشار العدوى لهذه الطبقات فهي ولاشك تصيبهم فالمرض اذًا لا يرحم غنياً ولا فقيرًا وهذا هو ما اراهُ ويؤيدهُ ما نشاهدهُ من انتشار المرض بين كافة الطبقات في القطر المصري . ولا يسعني في هذا المقام الاَّ ان اقسم الطبقات بحسب اصابتها بالرمد بنسبة نظافتها واعتنائها في ابعاد العدوى عنها لا بنسبة ثروتها ومركزها . والذي اقولهُ في هذا الموضوع بخصوص انتشار المرض في القطر المصري هو ان العدوى بكل انواعها ترجع اسبابها سواءٌ اصيب بها الفقير او الغني الى شيء واحد وهو ما أُسميهِ الاهمال بحذافيرهِ وعدم اخذ الحذر الواجب لايقاف هذا التيار وهذا هو السبب الاساسي لانتشار هذا المرض ويدرك ذلك لاول وهلة مما نراهُ من الانتشار في كل المحلات التي يكثر فيها الزحام والتي يسهل فيها انتقال الافرازات المرضية من عين الى أُخرى بواسطة الايدي او الملابس وما شاكلها وتنتشر هذه العدوى بطريقة نقل الافرازات العينية كالعماص مثلاً من شخص الى آخر او من عائلة الى اخرى بأي وسيلة كانت وهذه هي الطريقة الوحيدة في سريان العدوى في بلادنا ولكن قبل الدخول في شرح كيفية انتشار العدوى لهذا المرض استلفت افكار حضراتكم الى ذكر ان كل شيء يسبب النزلات الملتحمة المعروفة عند العامة باحمرار العين يضعف ويقلل من حيوية الملتحمة ويجعلها اكثر استعدادًا للاصابة بهذا المرض . وهذه الاسباب اسميها اسباباً مهيئة للمرض والذي يستحق الذكر منها في هذا المقام هو :

اولاً (الاتربة والرياح) عند ما تهب الرياح محملة بالاتربة من الارض او بوصول

الا تربة مباشرة الى العين بأي طريقة فقد جرت العادة ان تحك العين بالاصبع او المنديل او ما شاكل ذلك للتهييج الناتج من وجود ذرات التراب على مقلة العين وهذا الاحتكاك يحدث احتقاناً اي تهييجاً بالملتحمة واذا كان الاصبع او المنديل ملوثاً بجرثومة المرض او جراثيم أُخرى سهل جداً وصول العدوى الى الملتحمة

ثانياً الدخان . كلنا يعرف عيشة الفلاحين ومنازلهم فهم يتخذون للخبز افراناً بلا مداخن و يوقدون فيها مواد قذرة كالمسكة والسبلة وغيرها من الاشياء التي يتصاعد منها دخان كريه الرائحة ينتشر في المسكن لعدم وجود منافذ او مداخن تصرفهُ من طريق مخصوص بعيد عن المشتغلين بالخبز وهذا الدخان وحدهُ كافٍ لان يسبب النزلات البسيطة التي بتكرارها تؤهل الملتحمة للاصابة بكل مرض

ثالثاً الكحل . وهو كما تعلمون مسحوق اسود ناعم تستعملهُ اكثر السيدات المصريات للزينة وهذا الكحل بالنسبة لتركيبهِ نوعان الاول وهو ما يسمى بكحل الزينة ويدخل في تركيبهِ كمية عظيمة من هباب اللبان والثاني المعروف عن العامة بالكحل الازرق او الحامي وهو عبارة عن اوكسيد الانتيمون الخام وهذه الاكحال تحدث نوعاً مخصوصاً من النزلات الملتحمية اصبحنا نسميها في مستشفيات الرمد المصرية المتنقلة بالنزلات الملتحمية الكحلية لكثرتها ولشدتها

رابعاً . عدم الاهتمام بنظافة الوجه والعينين فانهُ ان لم تزل الافرازات العينية بواسطة الغسيل تتراكم وتجف وتؤثر كاجسام غريبة في العين تهيجها وتحدث بها نزلات

خامساً . عدم استحمام الاطفال بعد الولادة وهذا امر معلوم اذ يعتقد معظم العائلات المصرية انهُ لا يجوز استحمام المولود حتى يبلغ الاربعين يوماً من عمرهِ — ولئن كان من والديه اصيب احدهما او كلاهما بالزهري (التشويش) ولو كانت الاصابة تصورية وغير حقيقية فعادة يبقى المولود سنتين كاملتين بدون استحمام لاعتقادهم ان الماء يكون سبباً في ظهور الطفح او بعبارة أُخرى سبباً في عدوى الطفل وهذا كما تعلمون اعتقاد فاسد لا حقيقة لهُ ونتيجتهُ تراكم الاوساخ على جلد الطفل فتكون سبباً مهيئاً لعدة امراض خصوصاً الامراض الجلدية والعينية . ولكن نحمد الله على ان هذه العادة ابتدأت تتلاشى من بين افراد الطبقة الوسطى اذ نرى الآن بعضهم ان لم نقل معظمهم ينظف مولودهُ بعد الولادة باسبوع وهذا يعد تحسيناً عظيماً نحو الاقلاع عن تلك العادات الرديئة

هذه هي الاسباب المهيئة اما المرض نفسهُ فينتشر كما ذكرت سابقاً بطريق نقل الافرازات

العينية من عين الى أخرى و يساعد على هذا الانتشار في بلادنا الاسباب الآتية :

١ غسل اوجه كثيرين في اناء واحد و بماء واحد كما هي العادة المتبعة في كثير من العائلات المصرية وذلك حرصاً على توفير المياه او كسلاً عن تغييرها · غسل وجه شخص مصاب ينقل افراز المرض الى الماء فيصير ملوثاً واستعمال هذا الماء الملوث لغسل وجه شخص آخر سليم من المرض يكون سبباً لنقل العدوى اليهِ من حيث لا يدري وهكذا تسري العدوى من شخص الى آخر

ولم يقفوا عند هذا الحد بل فوق ذلك يستعملون منشفة واحدة لتجفيف وجوههم جميعاً او يستعملون اسفنجة واحدة لغسل اوجه ثلاثة او اربعة اشخاص وبكل هذه الطرق يسهل جداً نقل المرض من شخص الى آخر ولذلك نرى عائلات عديدة مصابة باكملها بهذا المرض الخبيث. ولا ننسى في هذا المقام ايضاً اهالنا اذا نزل مسافر منا في فندق فانهُ يستعمل بكل بساطة المناشف الموجودة فيهِ لمسح وجههِ و يغسل ايضاً وجههُ وعينيهِ في اناء استعملهُ المئات من قبلهِ

٢ الكحل نعدهُ الآن من اهم العوامل لنشر العدوى بين السيدات المصريات فعائلات كثيرة تستعمل مروداً واحداً لوضع الكحل في اعينهنَّ وهذا المرود ينقل ميكروب المرض من عين الى أخرى بدون ادنى شك ولا تردد ولا ننسى ايضاً ان الكحل نفسهُ مهيج للعين كما سبق فبينما السيدة تظن انها تزيد نفسها رونقاً وجمالاً في الظاهر اذ هي في الحقيقة تضر وتؤذي عينيها اللتين هما من اهم اعضائها الرئيسية بدون ان تشعر وما ذلك الاَّ نتيجة الجهل قاتلهُ الله

٣ من ضمن عاداتنا ان يمسح الانسان منا الافرازات التي تخرج من عينيهِ باصبعهِ ثم يلمس بهِ الاشياء المنزلية من ملابس وخلافها فيترك جرثومة المرض على هذه الاشياء حتى اذا مسها شخص آخر بيدهِ ومسح عينيهِ بعد ذلك انتقل اليهِ المرض من حيث لا يدري

ولقد شاهدت بنفسي مراراً الفلاحات بعد ان تمسح الواحدة منهنَّ عماص ولدها باصبعها او بطرف ثوبها تدعك عينيها بالاصبع او الثوب ذاتهِ وبالعكس اي انها تنقل المرض من عين الى أخرى مباشرة باصبعها او ثوبها وهذا يعد من الاسباب المهمة في نقل المرض في بلادنا

٤ و٥ الحمامات العمومية والمضيئات

الحمامات العمومية المصرية كما يعلم حضراتكم فيها المغاطس الحارة والباردة وفيها يغطس الناس في المياه الموجودة فيها بدون مراعاة تجديدها فاذا صادف وكان البعض مصاباً بهذا

المرض او بأي مرض آخر فلا شك انهُ ينقل مكروب العدوى الى هذه المياه وبذا يسهل انتشار المرض انتشارًا سريعًا بين الناس لان المغاطس ان لم يتجدد ماؤُها تصير مخزنًا للجراثيم يتناول منها كل من يغتسل فيها وهذا ليس قاصرًا على الرمد الحبيبي فقط بل ينطبق على كل الامراض المعدية

وليت العدوى لا تنتقل الاَّ بطريق المياه في الحمامات بل هناك طريق آخر يساعد على انتشار هذا المرض الا وهو (الفوط والبشاكير) التي يستعملها الواحد بعد الآخر بدون غسلها فيترك المريض في الفوطة التي يستعملها ما يكفي لعدوى مئات او الوف وما يقال عن المغاطس ينطبق تمامًا على الميضآت الموجودة في الجوامع اذ فيها يبقى الماء مدة طويلة بغير تجديد ويا ليتها تبقى نظيفة طول هذه المدة . ولا يخفى عليكم العدد الوافر الذي يستعملها في وقت واحد ولكن نحمد الله فالحال الآن تغير واصبح القوم يفقهون معنى الحنفيات والفرق بين النوعين واملنا في القريب العاجل ان تستبدل جميع الميضئات بحنفيات في كل انحاء القطر لكي يزول سبب يعد واسطة عظمى لنقل عدة امراض

٦ الذباب

اختلفت الآراء وكثرت الاقاويل في نقل العدوى بالذباب فبعض الرمديين يقول ان الذباب من اعظم اسباب انتقال العدوى والبعض الآخر ينفي ذلك وانا من المنتصرين للرأي الاول لاني اشاهد في فصل الصيف حين يكثر الذباب في القطر المصري حوادث من المرض الحبيبي مصحوبة باعراض حادة كورم في الاجفان وافراز صديدي كثير وكنا في بادئ الامر نظنهُ رمدًا صديديًا محضًا ولكن ببحث الاجفان من الباطن ظهر انهُ رمد حبيبي ذو شكل مخصوص

وحينما يقل الذباب في الفصول الاخرى من السنة وخصوصاً في فصل الشتاء فانهُ يندر وجود مثل هذه الحوادث وهذا ما يؤيد الفكر في ان للذباب يدًا قوية في نقل العدوى من شخص لآخر ونرى ايضاً ان هذه الاصابات محصورة في الاطفال الذين لا يتجاوزون السابعة من عمرهم اي الغير القادرين على طرد الذباب المتراكم على وجوههم . والذباب من طبيعتهِ التراكم والازدحام على كل الاجسام القذرة والاشياء الرطبة وبما ان الجهل سائد والاعتناء بالنظافة خصوصاً نظافة الوجه غير ملفت اليهِ فالذباب يتراكم على الاوجه وينقل الافراز بواسطة اطرافهِ من عين الى أُخرى وكثيرًا ما أُلاحظ اوجه اطفال في الطريق مغطاة بطبقة من الذباب وكل من وجَّه نظرهُ لذلك يرى كثيرًا مما ذكرت

كل ذلك ايها السادة يحتاج لمقاومة شديدة واعتناء زائد وهمة عالية لايقاف تيار هذا الداء ولذا اوجه انظار حضرات الاطباء الى بث كل ما يمكنهم من النصائح كلما وجدوا لذلك سبيلاً واوجه انظار ارباب العائلات الى الاعتناء بنظافة كل شيء وخصوصاً عيون الاطفال وعدم لمسها بيد او منشفة او منديل ملوث وان يخصص لكل شخص مناشف ومناديل مخصوصة سهلة التمييز عن الباقي وان يعتنى بالتحفظ على وجه الطفل بان يغطى بنقاب خفيف فيكون حاجزاً منيعاً من وصول الذباب اليهِ واكرر لكم القول بوجوب استعمال النقاب فان فيهِ فوائد عظيمة منها انهُ يقي الاولاد شر الذباب ولذا ارى من الصواب بل من الواجب اعتبارهُ كشيء اساسي من ملبوسات اطفالنا في فصل الصيف ويجب ايضاً ان لا يختلط غسيل اوجه عدة اشخاص في اناء واحد وان يمنع كلية استعمال الكحل بكل انواعهِ مهما كانت الاحتياطات فاستعمالهُ يضر ولا ينفع

وقبل ان اختم مقالي اقول : ان الذي ينقصنا هو النظام في العائلات والاعتناء التام بالامور الصحية وهذا مما لا يكلفنا شيئاً سوى حسن الذوق ودقة النظر فان العمل بنصائح بسيطة كهذه فضلاً عن انها تحفظ سلامة اعين الاولاد فانها على الاقل توفر على الآباء مصاريف العلاج فاذا أُصيب احد الاطفال بمرض الرمد الحبيبي يشاركهُ في حياتهِ وينغص عليهِ اوقاتهُ وربما كان سبباً في فقد بصرهِ او احداث عاهة مستديمة كما يحدث عادة من نتيجة هذا الرمد . فيجب علينا ان يكون كل منا امة مستقلة في نفسهِ بكل معاني الكلمة . يجب ان يكون مستقلاً بملابسهِ وفراشهِ وادوات نظافتهِ على العموم وهذا ما عنّ لي ابداؤهُ في هذا المقام وارجو ان يكون صادف بعض القبول وان اكون اديت بعضاً من الواجب عليّ نحوكم واني اشكركم ايها السادة من صميم فؤادي على اصغائكم اليّ وحسن التفاتكم نحوي والسلام

صدى النفوس

ورجع الصدى

هي قصيدة فلسفية للدكتور شميل بعث بها الى الهلال وقد ضمنها رأيهُ في اقتراح الهلال على الشعراء " ان الدين جزءٌ من الوجدان واكبر تعزية لبني الانسان " وصدرها بمقدمة في الشعر والشعراء قال فيها

كلمات املاها عليَّ اقتراح الهلال تكاد تكون غير مقفاة ليس لها من رنة الرويّ ما ألفتهُ الاسماع العادية من تناسب الوقع . والرويُّ للشعر العربي كالموسيقى للغناء . فان لم تبلغ في إجادة المبنى حدّ الافادة في المعنى فهي لغير شاعر

شعر ليس لهُ من صناعة النظم غير الوزن . عاطل من كل جمال الأحلي الحقيقة ولكن الحقيقة فيما يقال ليس لها جمال الخيال . فان فعل في البعض فعل الوباء في الجرذ فالاطباء كالانبياء انما ارسلوا رحمة للعالمين

موضوع ينبو الفهم عنهُ وليس يلزم ان يكون سلبياً . ولقد قال احد الحكماء اذا قرأت شيئاً ولم تفهمهُ فافحص فهمك اولاً واحذر ان يخونك العلم اذا صدقك الفهم

صوت من بين ملايين ملايين الاصوات هل يجزع منهُ . وان لم يضرب على وترها فهل يفقدها لذة نغمها وهل تكدر نقطة صفاء البحر العظيم اذا وقعت فيهِ . وان كدرتهُ فما اعظم حمأتهُ

ما احلى الاماني لولا انها خيال شاعر وما امرّ الحقيقة لولا انها السبيل الى الرشاد

خواطر اوحت بها اليَّ تلك النفس الطاهرة صاحبة نفوس الشعراء [1] فقلت اين نفس القائل:

وان مديح الناس حقٌّ وباطلٌ ومدحك حقٌّ ليس فيهِ كذابُ
اذا نلت منك الودّ فالمال هيّنٌ وكل الذي فوق التراب ترابُ

من نفس القائل :

اقول للحيان وقد صفرت لهم وطابي ويومي ضيّق الجُحْر معورُ
هما خطتا إمّا اسارٌ ومنةٌ وإمّا دمٌ والقتل بالحرّ اجدرُ
واخرى اصادي النفس عنها وانها لمورد حزم ان فعلت ومصدرُ

هذا قالهُ شاعر البداوة على قمة جبل يلقي عليك بهِ درساً عالياً في الاخلاق ولم يثنهِ

(١) مقالة بهذا العنوان للمرحومة عفيفة كريمة الشيخ سعيد الخوري الشرتوني نشرت في المقتطف شهر مايو من هذه السنة

الإباء عن مأتى الحصافة والحزم لئلاً تكون الصلابة القاصمة خرقًا في سياسة المنفعة

وذلك قالهُ شاعر الحضارة قائمًا يسأل على اعتاب المدنية مع انهُ امير شعراء المولدين في صناعة النظم وكبر النفس

انت تستطيع ان تترجم شعر هوجو وموسه وروستان وتستفيد من ذلك غرضًا اجتماعيًا وبحثًا ادبيًا اخلاقيًا وعبرة تاريخية . ولكنك لا تستطيع ان تترجم شعر المتنبي وابي تمام والبحتري ولا ان تستخلص منهُ شيئًا من ذلك غير بعض الحكم والامثال مشتتة في تلك الادغال لا رابط ينسقها . ولماذا ؟ لان هوجو اطلَّ في شعرهِ على العالم اجمع فنظر الى الحقائق وبما لهُ من قوّة الخيال وحسن السبك ربطها وكساها من شعرهِ حلة مهيبة رهيبة في النفس كما كساها موسه رقة وجمالاً وروستان نظر الى الوقائع فاكسبها من قوة خيالهِ ومتانة شعرهِ وقعًا في النفوس جعلها ابلغ في العظة

فلو عني المتنبي واقرانهُ بالامور نظيرهم وقصدوا فيها الى مرامي اجتماعية عالية أكان خانهم خيالهم ؟ او ما كانوا فاقوا شعراء الافرنج في دقة الوصف وقوة التصوُّر وسعة الخيال . فعوضًا عن ان يتبسَّطوا في ذلك الاسلوب الجاهليّ ويضعوا لنا ما اذا رُوي رَوى مطامع النفوس وظمأ العقول — بل عوضًا عن ان ينحوا النحو الذي نحاهُ بعدهم شعراء الافرنج في وصف الطبيعة الصامتة والناطقة وينزعوا الى اغراض اجتماعية استغواهم ذلك البذخ الذي عاشوا في وسطهِ واستهوت الخلاعة نفوسهم فأذلُّوا لها قرائحهم ونهجوا في شعرهم ذلك المنهج الغريب في المدح والغزل والتصابي والاستجداء حتى غلب هذا الاسلوب على صناعة الشعر العربي والفتهُ الطباع واستسهلتهُ السلائق لعدم الارتباط فيهِ بقيد وصار جمالهُ لا يقوم الاَّ بالاغراب في تلك المعاني المبتذلة

وكيف يترجم ردفٌ يقعد صاحبهُ كأنهُ كثبان عالج وقلب يحرق بنارهِ الرجلين ويثب من الصدر الى العين . وقد رأيت قلبًا خرج من تحت الابط في صدمة قطار ولكنني لم ارَ قلبًا تخطى سنن الطبيعة في خروجهِ من الجسم شوقًا

والشاعر العربي الذي يمكن ان يترجم اكثر شعرهِ من غير ان تفقدهُ الترجمة جمالهُ هو شاعر الحقائق القائل

ما الخير صومٌ يذوب الصائمون لهُ ولا صلاةٌ ولا صوفٌ على الجسدِ
وانما هو ترك الشرّ مطرَّحًا ونفضك الصدر من غلٍّ ومن حسدِ
ما دامت الوحش والانعام خائفةً فرْسًا فما صح امر النسك للاسدِ

والقائل وقد زعموا هذه النفوس بواقياً تشكل في اجسامها وتهذبُ
ولوكان يبقى الحسُّ في شخص ميتٍ لآليت ان الموت في الفم اعذبُ

والذين يقولون هذا القول هم الذين يحبون الحياة اكثر من سواهم . والقائل :

كذب الظن لا امام سوى العقـ ـل مشيراً في صبحهِ والمساء
انما هذهِ المذاهب اسبا بٌ لجذب الدنيا الى الرؤساء

ولا شك ان ابا العلاء المعريّ هو فيلسوف الشعراء قاطبة واكثر شعراء العرب علماً وارجحهم عقلاً وهو الوحيد بينهم الذي ترفعت نفسهُ عن تلك الدنايا ومال عقلهُ عن سفساف القول الى الحقائق ومحاربة الضلال

لا اقول ذلك حطًّا من سليقة شعرائنا المولدين من متقدمين ومتأخرين فانهم وايم الحق اعلى الشعراء كعباً في الصناعة واوسعهم خيالاً ولا اقول اسماهم . وانما اقول ذلك طعناً في اسلوبهم العقيم المبتذل فانهم وقفوا تلك القرائح المجيدة على امور لا تفيد القارئ فائدة ادبيَّة او اجتماعية او تاريخية ولو كتبوها نثرًا لخجلوا من دنا نفوسهم ونجروا من اغراب عقولهم

ولعلهُ كان للمولدين من شعرائنا يدٌ ليست اقل شؤماً من يد علماء الكلام في تقهقر التمدن العربي كما ان تلك الاشعار الحماسية في عصور الجاهلية واثرها في النفوس كانت مبعثاً لقيام دولة العرب في الاسلام وبزوغ تمدنها و بلوغها فيهِ الشأو الذي بلغتهُ

ولعلنا اليوم على فجر نهضة جديدة فاني أرى من بعض شعرائنا نزوعاً الى وضع الشعر في اسلوب يرمي الى غاية اجتماعية [(١)] ولا نعدم قرائح متوقدة من شعرائنا المطبوعين فلعلهم لا يلبثون طويلاً حتى يرونا منهم امثال هوجو وروستان وسواهم فان النظم طوع بنانهم فما عليهم الاَّ ان يعملوا عقولهم ويجيلوا نظرهم في ما حولهم فلا تضن الطبيعة عليهم بمكنوناتها والاجتماع باسرارهِ والتاريخ بعبرهِ ولا اقلَّ من ان يدخلوا بنفوسهم الى اعماق نفوسهم

اما القصيدة فهاك بعض ابياتها مع اضافات اضافها اليها

فؤادك ما بين المنيَّة والمنى يسائل ام ما في حجاك من الظما
اذا ما ترامى العقلُ يجلو حقائقاً شكا القلب ان الغبن في ذلك الجلا
وما الغبن الاَّ ان يرى القلب هائماً ويخفى على العقل الحقائق في الدنى

لقد قلت ان الدين ضربة لازبٍ وجزءٌ من الوجدان في اعمق الحشا

(١) اشارة الى ديوان خليل افندي مطران الذي صدر حديثاً

وإنا اذا لم نعبد الله ربنا عبدنا ولو إلاَّ اقمناهُ من صوى
فلولا من النفس السجينة بارق يمزّقِ منجف الجسم ما كان ذا الصبا

ولو انت اعملت الرويَّة لا الهوى لادركت ان الدين لا صوت بل صدى
صدى حبنا البقيا لهول حقيقة وزلفى دلجنا للذي يحفظ البقا
وماذا عزاء المرء من بعد موتهِ اذا حبهُ للذات لم يدفع الاذى
وانَّى لهُ دفع القضاء محتماً فلم يبقَ الاَّ باسم الوهم مرتجي

هو الحبُّ اكسير الوجود بلا مرا ولولاهُ ما كان الوجود كما ترى
فكلّ الذي تلقاهُ في الكون سرُّهُ وهاديهِ في افعالهِ كيفما نحا
هو الحيُّ مولودًا هو الميت فانياً هو النجم قد اسرى هو الصبح والدجى
هو الكلُّ في كلّ معيدًا ومبدياً وما نحن الاَّ فيهِ من صوَر الفنا
وليس فناءٌ ما نراهُ وانما هو العوْد للاولى هو البعث للأُلى
قضوا نحيينا وانقضينا بعودنا اليهم وغير الكل ليس لهُ البقا

وما الحب من ادنى فاعلى الى الرجا فما فوق الاَّ الشوق في كبد السهى
ترقى بنا حتى النهى وهو دونها كما في نيوب الليث او في حشى الصفا
حبنا الذي فينا حبنا رجاءنا حبنا الذي نرجو لحبٍّ لمقتني
وهمنا بهِ في الارض طورًا وتارةً صبوْنا الى ملكٍ وطورًا الى السما

عبدنا بهِ ربًّا مثيباً معاقباً ويقضي ولا ردٌّ ويقضي كما يشا
رجوناهُ رحمانًا قصدناهُ عادلاً خشيناهُ جبارًا كملكٍ اذا عتا
دعونا اليهِ الناس بالحلم والتقى دعوناهم بالنار والسيف في القلى

فان كان هذا الميل هدي نفوسنا رُوَيدك ان الكائنات بهِ سوا
فأين مكان النفس فيها من القوى واين نبي العالمين الى الهدى

وان كان كالوجدان غير مفارق فلمْ لا نراهُ في جميع بني الورى
ووجداننا هل انت أُلفيت انهُ يقوم بغير الجسم ان حلَّ ما استوى
أَلم ترَ انَّا فيهِ تحت طوارىءٍ تعددُ فيها او نُعدُّ لهُ الرقى

أفي الامكان كشف السر

عن اصل الانسان

نشرت جريدة الماتين الفرنساوية مقالة للاستاذ برتلو موانس استاذ علم الحيوان والنبات سابقًا في نادي التعليم العالي في هولندا يستفاد منها ان الاكتشافات الاثرية أثبتت وجود الحلقة المفقودة او الكائن المتوسط بين الانسان والحيوان الاعجم وان طائفتين من الناس وجدتا قبل الطائفة البشرية الحالية الاولى اقرب الى القرد منها الى الانسان ولكنها ارقى من القرد وهي الانسان القردي والثانية اقرب الى الانسان منها الى القرد ولكنها اوطأ من الانسان وهي الانسان الاول . وقد آثرت تعريب كلام الاستاذ المذكور تأييدًا لما كتبتهُ في مقتطف الشهر الماضي عن مذهب النشوء بعنوان الاعضاء الأثرية . ولما نشرهُ المقتطف في اوقات مختلفة بدون ان يبث فيهِ رأيهُ

قال الاستاذ كنا نظن انهُ مضى الوقت الذي فيهِ يُعترض على مذهب النشوء القائل بان الانسان صورة مرتقية عن ادنى منها من ذوات الثدي التي القرد منها وهو اكثرها قربًا لهُ وشبهًا بهِ . ولكن خاب ظننا لان تعاليمي وارائي أثارت عليَّ سخط الجمهور وقد اضطهدت في هولاندا بلادي وضُربت واحتقرت . ولما نشرت رسالتي المعنونة بابحاث وتجارب عن اصل الانسان ثارت عليَّ عواصف السخط وتطاول عليَّ اسقف اوترخت ولكمني على راسي

على ان ذلك لم يضعف اعتقادي بتسلسل الانسان من القرود وقد مضى على هذه المسئلة زمن طويل والعلم لم يبت فيها حكمهُ لان لامارك وداروين لم يقطعا بنشوء الانسان وانما تلاميذ داروين وخلفاؤُهُ الذين تبحروا في مؤَلفاتهِ اثبتوا ذلك بعد موتهِ

ولقد وجدت آثار تثبت وجود هيئة متوسطة بين الانسان الحالي والقرود الشبيهة بهِ كالجمجمة التي وجدت سنة ١٨٥٦ في نيودرثال والتي وجدت سنة ١٨٨٧ بالقرب من نامور فان البروزات العظمية الواضحة فيهما والعلامات المميزة تحمل على الاعتقاد انهما من بقايا نوع انساني اوطأ جدًّا من انسان هذا العصر

والاكتشاف الجدير بالاعتبار هو ما وجد سنة ١٨٩١ في ترينيل من جزيرة جاوي وهو جمجمة وعظم فخذ يسرى وضرسان وهي الآن محفوظة في معرض هارلم وتدل على انها بقايا القرد المنتصب اي الانسان القردي لان الجمجمة متوسطة بين جمجمة الجيبون وجمجمة الانسان الاول المحفوظة آثارهُ في نيودرثال وفي نامور . وقد وجدت ايضًا جماجم

خاصة بالانسان الاول سنة ١٩٠٣ في مغارة في احدى القرى من البوسنه

فهذه الطائفة من الناس عاشت في اوربا في العصر الطوفاني ووجوهها تشبه وجوه القرود الشبيهة بالبشر لاننا اذا قابلنا بين تركيب عظام الوجه في الغوريلا البالغ والانسان القردي والانسان الاول رأينا العلامات المميزة لها واحدة وما بينها من الفروق حاصل عن تنويع العمل العضلي الذي قضى بغور الجبهة وبروز الفكين في الغوريلا فشوه وجههُ وبروز الذقن في الانسان الاول اكثر قليلاً عما هو في القرود الشبيه بهِ واما في الانسان الحالي المرتقي فاستعمال اللغة اوجب العمل على كل عضلات الفك السفلي وقضى باستقامة البروز العظمي وحوّل السحنة البشرية التحويل النهائي الذي هي عليهِ اليوم. فهذه الامثلة كافية للاستدلال على وجود كائنات متوسطة بين الانسان والقرود الشبيهة بهِ

و يوجد ما عداها ادلة اخرى تؤيد ذلك وهي ما كان منها من قبيل الرجوع الى الاصل لان هذه الظاهرة لم يخلُ منها جيل من الاجيال ويوجد منها في عصرنا الحاضر الانسان الكلبي الذي يعرض نفسهُ في مرسح بارنوم وبابلي والبنت المكتسي جلدها بشعر فروي ناعم والرجل المغطى جلدهُ بشعر طويل (شاوموبخ) وهو اب عدة اولاد مثلهِ فهذه الشواذ تؤيد المذهب المذكور لانها لا تعلل الا بالرجوع الى اصل الجدود

واذا كانت هذه الادلة لا تكفي للاقناع فالتنقيب عن الآثار المتوسطة بين الانسان والقرد متواصل الا انهُ عمل طويل كثير النفقة ولسوء الحظ يتعلق النجاح فيهِ على الصدفة على اني للاسراع بحل قضية من اهم رغائب اهل العلم حلها عزمت على السفر الى بلاد الكونغو حيث اجرب الحصول على نتاج من الانسان والقرود الشبيهة بهِ لانهُ قد يكون شبيهاً بالكائنات المتوسطة المفقودة التي هي اجدادنا الاول الدكتور امين ابو خاطر

[المقتطف] انتهى ما كتبهُ الاستاذ موانس وعرّبهُ الدكتور ابو خاطر بتصرُّف قليل وقد فصّلت الجرائد الاسلوب الذي يريد الاستاذ مواس الجري عليهِ لتوليد حيوانات متوسطة بين القرود والناس . وعلماء الطبيعة ينتظرون نتائج تجاربهِ بفروغ صبر ولا ندري لماذا يقصد بلاد الكونغو والقرود الشبيهة بالناس كالشبانزي والجبون والاورانغ اوتانغ غير نادرة في معارض الحيوانات

ولكن هب انهُ نجح في تجاربهِ فنجاحهُ لا ينفي وجود الفرق الكبير بين الانسان والحيوان الاعجم من حيث سمو العقل ولا يزيد المشابهة بينهما من حيث الجسم ولا ينفي وجود القدرة الخالقة التي تكوّن من التراب انساناً كما تولّد من الحيوان حيواناً آخر

تأبين قاسم امين

رأى جماعة من اصدقاء المرحوم قاسم امين ان يجتمعوا لتأبينهِ في اليوم الاربعين من وفاتهِ فاجتمعوا في قبة الغوري حيث تلتئم الجمعية الاسلامية . وكان في كرسي الرئاسة دولة البرنس احمد باشا فؤاد رئيس لجنة الجامعة والى جانبيهِ اصحاب السعادة سعد باشا زغلول ناظر المعارف والدكتور علوي باشا الرمدي المشهور وحسين رشدي باشا مدير الاوقاف وابَّنهُ سبعة من الحضور ثلاثة نظماً واربعة نثراً وقد اخترنا نشر قصيدتين من قصائد التأبين قصيدة حافظ افندي ابرهيم وقصيدة خليل افندي مطران قال الاول

لله درك كنت من رجلِ	لو امهلتك غوائل الاجلِ
خلقٍ كانفاس الرياض اذا	امحرنَ غبَّ العارض الهطلِ
وشمائل لو انها مزجتْ	بطبائع الايام لم تحلِ
جمُّ المحامد غير متَّهم	جم التواضع غير مبتذلِ
يا دولة الاخلاق رافلة	من قاسم في ابهج الحللِ
كيف انطويت بهِ على عجل	اكذا تكون مصارع الدولِ
يا طالعاً للشرق لج بهِ	نحس النحوس فقرَّ في زحلِ
هلاَّ وصلت سراك منتقلاً	علَّ السعود تكون في النقلِ
ما لي ارى الاحداث حالية	واري ربوع النيل في عطلِ
فاذا الكنانة اطلعت رجلاً	طاح القضاء بذلك الرجلِ
او كلما ارسلتُ مرثية	من ادمعي في اثر مرتحلِ
هاجت بي الاخرى دفين امي	فوصلت بين مدامع المقلِ
ان خانني فيما فجعت بهِ	شعري فهذا الدمع يشفع لي
ولقد اكون وما يطاولني	عند البديهة قول مرتجلِ
يا مرسل الامثال يضربها	قد عزَّ بعدك مرسل المثلِ
يا رائش الآراء صائبة	يرمي بهنَّ مقاتل الخطلِ
لله آراءٌ شأوت بها	في الخالدين نوابغ الاولِ
قد كنت اشقانا بنا وكذا	يشقى الابيُّ بصحبة الوكلِ

لهفي عليك قضيت مرتحلاً لم تشكُ لم تستوص لم تقلِ
غل القضاء يد القضاء فذا يبكي عليك وذاك في جزلِ
شغلتك عن دنياك اربعة والمرء من دنياهُ في شغلِ
حق تناصرهُ ومفخرة تمشي اليها غير منخجلِ
وحقائق للعلم تنشدها ما للحكيم بهنَّ من قبلِ
وفضيلة اعيت سواك فلم تمدد اليهِ يدًا ولم تصلِ
ان ريت رأيًا في الحجاب ولم تعصم فتلك مراتب الرسلِ
الحكم للايام مرجعـهُ في ما رأيت فنم ولا تسلِ
وكذا طهاة الرأي نتركهُ للدهر ينضجهُ على مهلِ
فاذا أُصبت فانت خير فتى وضع الدواء مواضع العللِ
اوْ لا فحسبك ما شرفت بهِ وتركت في دنياك من عملِ

***

واهًا علي دار مررت بها قفرًا وكانت ملتقى السبلِ
ارخصتُ فيها كل غالية وذكرت فيها وقفة الطللِ
سآلتها عن قاسم فابت رد الجواب فرحت في خبلِ
متعثرًا ينتابني وهن مترنحًا كالشارب الثملِ
متذكرًا يوم الامام بهِ يوم انتويت بذلك البطلِ
يوم احتسبت وكنت ذا أمل تحت التراب بقية الأملِ
جاورْ احبتك الاولى ذهبوا بالعزم والاقدام والعملِ
واذكر لهم حاج البلاد الى تلك النهى في الحادث الجللِ
قل للامام اذا التقيت بهِ في الجنتين باكرم النزلِ
ان الحنيفة اصبحت هدفًا للراكبين مراكب الزللِ
لله آثار لكم خلدت صاح الزوال بها فلم تزلِ
لله ايام لكم درجت طالت عوارفها ولم تطلِ
نعم الظلال لو انها بقيت أو أن ظلاً غير منتقلِ

وقال الثاني

تجنَّى الزمان على قاسمٍ تجنى على العاقل الحازمِ
وما شفع الفضل في فاضل وما شفع العلم في عالمِ
لك الله من شائد للعلى وفي يدهِ معول الهادمِ
يدكُّ القبيح ويبني المليح رجوعاً الى سنة الراسمِ
مضيت فاي فتى باسل فقدناهُ في اسد باسمِ
فقدناهُ في ذي يراع رقيق لرأي مناضلهِ قاصمِ
يشعشع نوراً اذا ما انبرى يسيل بماء الدجى الفاحمِ

***

وُليت القضاء فكنت القضاء بقسط على الجرم والجارمِ
تبيد المريب وتبدي الخفي بامضى والمع من صارمِ
ولست بجانٍ على صاحب ولست بلاوٍ على لائمِ
وكم ليلة بتها ساهداً وذو الشان في غبطة النائمِ
تبالغ في البحث عن حقهِ كبحث الشحيح عن الخاتمِ
وتوقع حكمك عن حكمةٍ فما من هضيم ولا هاضمِ

***

قضيت بعدلك حق البلاد على كل حر لها خادمِ
واعملت فكرك فيما مشى من الداء في جسمها السالمِ
فاعضل داء بها جامع الى ضرّه وصمة الواصمِ
فطام البنين على الترّهات وناهيك بالجهل من فاطمِ
وما ام جهل على برها سوى آفة الحكم والحاكمِ
تزيغ خلائق اطفالها بما زاغ من فكرها الواهمِ
تهيئ للجانِ وراّدها وهم راضعو ثديها الرائمِ
تدك الحصون وتبني السجون وتفسح للسالب الغانمِ
مهالك تلقي اليها بنيها بغير رضى قلبها الراحمِ
اذا الامُ لم تستفد حظها من العلم والادب العاصمِ

غدا نسلها مريحًا للعدى وخسرًا على الوطن الغارمِ

***

دعاء اثرت عليهِ الخلا ف بين المالىء والناقمِ
بريئًا بقصدك عن شبهة حليماً على المنكر الغاشمِ
ليفصل مشتجر الباحثين ويفضوا الى رشد حاسمِ
فالقوا بذارك في مخصب وبشر جيلك بالقادمِ
سوى انهم اجمعوا في الحجاب على حكم مستلزم لازمِ

***

مرام ظفرت بهِ فاستزدت مراماً اعزّ على الرائمِ
ترى الشعب ليس مربوه منهُ بمنزلة النعم السائمِ
فلا شيء مما صرفت اليهِ مشيئة مقتدر عازمِ
كجامعة كنت حتى الممات اساساً لبنيانها القائمِ
مضيت وفي النعش منك الخطيب ينادي على الملاءِ الواجمِ
انيروا انيروا فان الظلام حليف المظالم والظالمِ
انيروا انيروا فان الضياء سلاح على اللص والآثمِ
انيروا العقول ولا تتركوا على الفكر من اثر قاتمِ
ففي كل ظل يرى طائف من الموت في منذر غائمِ
وفي كل دهماء كرارة طلائع للعدم القاصمِ
اذا لم تبث والنهى كالشموس كواشف للغيهب العاتمِ
فان الحياة لادنى الحياة وما من نعيم ولا ناعمِ

***

سلام عليك نما ما غرست واذكى شذا الامل الناسمِ
فنم امناً ان في الغرس ما يعيدك في خلف دائمِ

سكك الحديد والتلغرافات

ليس بين مصالح الحكومة المصرية مصلحة احق من مصلحة سكك الحديد ان تجعل مقياساً لحالة القطر المالية والمعاشية لانها تشمل القطر كلهُ وتدلُّ على حركة التجارة فيهِ وعلى بسطة عيش سكانهِ او انقباضهِ لضيق ذات يدهم

وقد نشرت هذه المصلحة الآن تقريرها السنوي عن العام الماضي وهو مشحون بالحقائق التي يستدل بها الباحث الاجتماعي على حال القطر من حيث ارتقاؤُهُ واتساع معايش سكانهِ

ومن هذه الحقائق اولاً ان صافي ايراد سكك الحديد زاد زيادة مستمرة في السنوات الست الماضية . كان ١٠٥٩٠٠٠ سنة ١٩٠٢ فصار ١٦١١٨٤٣ سنة ١٩٠٧ اي زاد اكثر من نصف مليون جنيه او اكثر من خمسين في المئة . وقد قدّر ثمن سكك الحديد او رأس مالها سنة ١٩٠٢ بنحو عشرين مليوناً وثلث مليون من الجنيهات ثم أُضيف اليهِ ما زيد عليها في السنوات الست الماضية فبلغ ثمنها ٢٤ مليوناً وثلث مليون جنيه سنة ١٩٠٧ وكانت نسبة صافي الايراد الى رأس المال سنة ١٩٠٢ نحو خمسة وخمس في المئة فصارت نسبة صافي الايراد الى رأس المال في العام الماضي اكثر من ستة وستة اعشار في المئة . واذا كان هذا الايراد ثابتاً فسكك الحديد المصرية تساوي نحو ٤٥ مليون جنيه من دين الحكومة او ان صافي ايرادها يوفي نحو نصف فائدة دين الحكومة

ثانياً ان نسبة المصروفات الى الايرادات اقل من ٥٥ في المئة ولذلك فسكك الحديد المصرية من اوفر سكك الحديد ربحاً . وهذا يجيز لها ان تخفض اجور السفر واجور نقل البضائع ولعلها لا تخسر شيئاً اذا فعلت ذلك بل يزيد عدد الركاب ومقدار البضائع زيادة تسدُّ النقص

ثالثاً ان الزيادة مستمرة في عدد الركاب منذ ست سنوات الى الآن . والفرق كبير جدًّا بين ما كان عليهِ عدد الركاب منذ عشرين سنة وما بلغهُ الآن فقد كان نحو ثلاثة ملايين وربع مليون فبلغ في العام الماضي ٢٦ مليوناً اي زاد ثمانية اضعاف في عشرين سنة مع ان عدد السكان لا يتضاعف الاَّ في نحو خمسين سنة وهذه الزيادة مطردة في الدرجات الثلاث ولكنها ظاهرة جليًّا في الدرجة الثالثة والاولى . اما في العام الماضي خاصة فكان الركاب في كلّ من الدرجات الثلاث هكذا

في الدرجة الاولى	٠٠٥١٨٤٠٦
في الدرجة الثانية	٠٢٠٥٨٦١٣
في الدرجة الثالثة	٢٣٥٠٥٦٠٨
والجملة	٢٦٠٨٢٦٢٧

وبلغ دخل سكك الحديد من ركاب الدرجة الاولى ١٥١٩٤٦ جنيهاً ومن ركاب الدرجة الثانية ٢٦١٦٩٨ جنيهاً ومن ركاب الدرجة الثالثة ١١١٢٩٨٧ جنيهاً والجملة ١٥٢٦٦٣١ اي اكثر من مليون ونصف مليون من الجنيهات ويضاف الى ذلك نحو ٤٤ الف جنيه ثمن تذاكر نزهة واجرة قطرات خصوصية

رابعاً ان الايراد من نقل البضائع في ازدياد مستمر ايضاً فقد كان ١٣١٢١٤٦ جنيهاً سنة ١٩٠٣ فبلغ ١٨٠٨٨٣٤ جنيهاً سنة ١٩٠٧ . وكانت المسافة التي قطعتها القطرات كلها ١١٦٦٦٦١٤ كيلو متراً سنة ١٩٠٣ فبلغت ١٥٦٠٠٧٩٧ كيلو متراً سنة ١٩٠٧ اي زادت اربعة ملايين كيلو متر او نحو اربعين في المئة

خامساً ان اكثر المواد نقلاً بسكك الحديد الفحم الحجري فقد بلغ وزن ما نقل منهُ ٦٩١ الف طن ثم مواد البناء فبزرة القطن فالخشب فالقطن المحلوج فالحبوب فالقطن غير المحلوج فالآلات . واكثر اجور النقل من الفحم الحجري والقطن المحلوج وبزرة القطن والخشب ومواد البناء والحبوب والآلات

سادساً ان طول سكك الحديد المصرية الآن ٢٥٨٣ كيلو متراً ولكن القطرات الثقيلة لا يمكنها ان تسير الا على ١٢٨١ كيلو متراً منها لضعف بقية الخطوط وذلك عدا الخط بين لقصر واصوان وطولهُ ٢٢٢ كيلو متراً . والمصلحة تنظر الآن في امرهِ لعلها تستطيع ان تبدلهُ بخط واسع مثل سائر الخطوط وحبذا لو فعلت ذلك في القريب العاجل

وفي مصلحة سكة الحديد الآن خمس قاطرات عمر كل واحدة منها ٥٦ سنة وقاطرة عمرها ٥٣ سنة واخرى عمرها ٥٠ سنة واخرى عمرها ٤٩ سنة ولكن اكثر قاطراتها حديث لا يزيد عمرهُ على ١٥ سنة

هذا والآمال معقودة بان جناب المدير الجديد الكولونل ماكولي يزيد اعمال هذه المصلحة اتقاناً ونفعاً بما هو معهود فيهِ من الهمة العالية وحسن التدبير ويسعى في مد خطوطها في كل البلدان الزراعية التي تحاول الشركات الخصوصية مد الخطوط فيها فلا تفلح ولا تسهل على الناس السفر والنقل كما تسهلهُ سكك حديد الحكومة

ويرى من يجول في هذا القطر بقايا ابراج قائمة فيهِ على ابعاد متناسبة ويخبره المتقدمون في السن انها كانت لارسال الاخبار الى العاصمة من الاسكندرية ومن جهات السويس . كذا كانت اخبار ابرهيم باشا تصل الى والدهِ من اقاصي البلدان السورية باسرع ما يكون من الوقت بالاشارات نهارًا و بالانوار ليلاً وعلى هذا الاسلوب وبحمام الزاجل كانت الاخبار ترسل من مواقع القتال الى مراكز الحكومة في كل البلدان لكن تلك الاساليب على ما بلغتهُ من الاتقان لا تعدُّ شيئًا مذكورًا في جنب التلغراف الكهربائي ولذلك زالت من امامهِ حالاً لا سيما وانهُ لم يعد استخدامهُ مقصورًا على اخبار الحكومة بل صار الناس كلهم يتخاطبون بهِ في كل اطراف المعمورة. ولا يندر الآن ان ترى رجلاً مقيمًا في عزبتهِ والانباء البرقية ترد اليهِ من مصر والاسكندرية واوربا واميركا في يوم واحد ثم تأتيهِ الجرائد في المساء حاملة الاخبار التلغرافية من اقصاء المعمورة

ومصلحة التلغرافات المصرية فرع من مصلحة سكة الحديد وقد جاء في تقرير سكة الحديد عنها ان عدد الرسائل التلغرافية التي ارسلت في القطر المصري في العام الماضي بلغ ٣٩١٧٤٦٥ اي نحو اربعة ملايين ولكن مليونًا ونصف مليون منها لسكة الحديد نفسها والباقي لسكان القطر ومن هذا الباقي مليون ونصف بالعربية واكثر من ثمانمئة الف باللغات الافرنجية فكأن الافرنج المقيمين في هذا القطر على قلة عددهم يرسلون من التلغرافات اكثر من نصف ما يرسلهُ سائر السكان

ومما يستحق الذكر ان عدد التلغرافات المستعجلة بلغ في العام الماضي ٦١٨٥٨ وكان في العام الذي قبلهُ ٧١٧٠٨ فنقص ٩٨٥٠ وسبب هذا النقص قلة الاشغال في البورصة ويا حبذا لو قلت الاشغال اكثر من ذلك لانهُ لم ينتج منها غير الخراب والدمار

وقد بلغ دخل مصلحة التلغراف في العام الماضي ١١٢٦٥٦ جنيهاً وكان في العام الذي قبلهُ ١٠٥٦٨١ ولو دفعت مصلحة سكة الحديد اجرة تلغرافاتها كما يدفع الجمهور لبلغت اجرة التلغرافات نحو مئة وخمسين الف جنيه

واذا قابلنا بين عدد التلغرافات التي ترسل في هذا القطر وعدد ما يرسل منها في البلدان الاخرى بالنسبة الى عدد السكان وجدنا ان عدد تلغرافاتنا قليل جدًّا فقد تقدَّم ان عددها اقل من مليونين ونصف ما عدا تلغرافات سكك الحديد وعدد السكان يبلغ نحو ١٠ مليونًا فيصيب كل خمسة انفس منهم تلغراف واحد . وقد بلغ عدد التلغرافات المرسلة في البلاد الانكليزية مثلاً في العام الماضي عن يد مصلحة البوستة اكثر من ٨٩ مليونًا فيخص كل

خمسة اشخاص منهم اكثر من احد عشر تلغرافًا ناهيك عما عندهم من وسائل ارسال الاخبار بسرعة التلغراف وعن انتشار التلفون في كل المدن و بين كل مدينة واخرى

وقد بلغ عدد التلغرافات في بلاد اليابان في العام الماضي ٢٤ مليونًا فيخص كل نفسين من السكان تلغراف واحد . وفي بلاد الدولة العلية نحو ستة ملايين فيصيب كل اربعة انفس منهم تلغراف واحد

اسباب الاحتلال البريطاني

(٤)

وصلنا في الفصل السابق الى خلع اسمعيل باشا واسناد منصب الخديوية المصرية الى بكرهِ توفيق باشا . قال لورد كرومر ان خلع اسمعيل باشا ازال اكبر عقبة من سبيل اصلاح البلاد ولكن بقي اثر اسمعيل فيها زمانًا طويلاً فانهُ ترك الخزينة فارغة والجيش مختل النظام وفقراء البلاد في اشد الضيق من الظلم والاستبداد واغنياءها في قلق دائم لئلا يصادروا في اموالهم والاوربيين في خوف شديد لئلا يخسروا الاموال التي استدانها منهم . و بارت التجارة وضاقت المعايش . وكان العرب يكرهون الاتراك ولا يأتمنونهم والاتراك يكرهون الاوربيين ولا يثقون بهم . وكان لا بد من الاستعانة بالاوربيين ولكن لم يكن من السهل ان يُعرف كيف يستعان بهم لانهم اذا اشاروا باصلاح فقد يسيء الناس فهم مقاصدهم و يستحيل ان تثمر اعمالهم حالاً واذا تأخرت نتائجها وقع اللوم الشديد عليهم. ولا بد من ان يمضي زمن طويل قبلما يستطيع اهالي البلاد ان يتغلبوا على ما في نفوسهم من الكره للاوربيين و يروا ما يمكن ان ينالهم منهم من النفع

وكان الخديوي توفيق باشا شديد الرغبة في خير بلادهِ ولكن كان ينقصهُ الاختبار . وودَّ ان يحكم بالعدل والانصاف ولكن كيف يتسنى نشر العدل وليس في البلاد محاكم ولا قضاة . وخلق الطاعة والتسليم لولاة الامور الذي ورثهُ الاهلون من آبائهم واجدادهم كان قد ضعف وتهدَّدت البلاد ثورة شعواء قبلما يركد ثائر النفوس . قال لي احد كبار الساسة يومًا ان الشرق خمل هذا الخمول لانهُ لم تحدث فيهِ ثورة . ولقد اصاب في ما قال لان ما حدث في الشرق من تغيير الولاة والمسلطين لم ينتج عن الثورات بل عن الدسائس فاراد المصريون حينئذٍ ان يقتفوا خطوات الامم التي نهضت بالثورات ففعلوا ولكن بعد ان

انتظمت حكومة بلادهم وسارت في سبيل النجاح كما سيجيء

واول شيء فعلهُ الخديوي توفيق باشا انهُ كلَّف شريف باشا تشكيل وزارة فعرض عليهِ شريف باشا صورة قانون اساسي للبلاد اي حكومة دستوريَّة فلم يقبل الخديوي بها فاستعفى شريف باشا من رئاسة النظار . وقد قال الخديوي للسر فرنك لاسلس انهُ رفض الدستور لان البلاد غير مستعدة لهُ ثم قال انهُ هو المسؤُول عن حكومة البلاد ويريد ان يقوم بهذه المسؤُولية فالدستور يكون صورة فقط لاجل الايهام . وقال شريف باشا للسر فرنك لاسلس انهُ آسف على عود السلطة الشخصية وان كثيرين يودون رجوع الحكومة الاستبدادية وارجاع السلطة المطلقة الى الخديوي لاغراضهم الشخصيَّة ولكن ذلك سيكون شرًّا على البلاد

اما الخديوي فاحسن في رفض ما طلبهُ شريف باشا لان الدستور المطلوب كان صورةً فقط ولم يكن يصلح للقطر المصري غير الحكومة المطلقة المقيدة اي التي يكون تقييدها بحسن اختيار الموظفين الاكفاء لا باقتباس الاساليب الاوربية . اما شريف باشا فكان غاية في الاستقامة والاخلاص وكان يعلم مقدار الضرر الذي الـمَّ بالبلاد من استبداد اسمعيل باشا ولم يكن يصدق ان تغيير الاشخاص يزيل الاستبداد ولذلك فهو حريٌّ بكل مدح في طلبهِ الحكومة الدستورية وفي استعفائهِ لما لم يُجَب طلبهُ ولو لم تكن الحكومة التي طلبها خير حكومة للبلاد

ولم يرد الخديوي ان يعين رئيسًا للنظار بعد استعفاء شريف باشا بل قصد ان يتولّى رئاسة النظار بنفسهِ ثم رأَى ان ذلك ليس ممَّا يمكن العمل بهِ لانهُ قد تحدث امور لا يمكن التخلص منها الَّا باستعفاء الوزارة فاذا كان هو رئيسًا لها اضطرَّ ان يتنازل عن الخديويَّة . فعدل عما قصدهُ وعيَّن رياض باشا رئيسًا للنظار وحفظ لنفسهِ الحق ان يرأَس مجلس النظار وقتما يريد

وبقي حل المشاكل التي بين تركيا ومصر فان الباب العالي اراد ان يغير في فرمان الخديويَّة المصريَّة بما يزيد سلطتهُ عليها فاعترضت فرنسا وانكلترا على ذلك واثبتتا ان لهما ان تطَّلعا على الفرمان قبل صدورهِ حتى لا يتغيَّر عمَّا كان عليهِ . فان اسمعيل باشا كان قد نال من الباب العالي اربعة امتيازات وهي اعطاء ولاية العهد للبكر من اولادهِ وعقد المعاهدات التجارية وعقد القروض وجعل عدد الجيش المصري حسبما يريد . فاراد الباب العالي حينئذٍ ان يلغي هذه الامتيازات الاربعة فعارضتهُ انكلترا وفرنسا في ذلك ولكنهما

لم تكونا على اتفاق تام لان فرنسا كانت تميل الى سلخ القطر المصري عن السلطنة العثمانيَّة وانكلترا كانت تكره ذلك فالاولى كانت تقاوم كل ما من شأنهِ زيادة سلطة الباب العالي واما الثانية فلم تكن من رأيها ولذلك لم تعترض الحكومة الانكليزيَّة الاَّ على تغيير نظام الوراثة فاتفقت هي وفرنسا على ذلك وللحال اجاب الباب العالي طلبهما وشدَّدت فرنسا وحدها في ابقاء الامتياز للخديويَّة المصرية بعقد المعاهدات التجارية فاجابها الباب العالي الى ذلك ايضاً . ونجح الباب العالي في تحديد عدد الجنود المصرية لان انكلترا وافقتهُ على ذلك فجعلهُ ١٨ الفاً . اما الامر الرابع وهو اطلاق يد الخديوي في استقراض الاموال فقال لورد سلسبري عنهُ ان نتيجتهُ كانت وبالاً على مصر فالحكمة تقتضي نزعهُ منها ورأت فرنسا ان توافقهُ على ذلك مجاملة

قال لورد كرومر ولو خطر على بالنا اننا سنحتلُّ مصر في وقت من الاوقات لما حرمناها من حق عقد القروض لان هذا الحرمان جاء حاجزًا في سبيل الاصلاح الذي تولَّيناهُ بعدئذٍ فالسياسة الفرنسويَّة كانت ابعد من سياستنا نظرًا في العواقب ولقد خدمتنا وهي لا تدري واقمنا نحن العقبات في سبيلنا ونحن لا ندري

نقول وهذا وحدهُ دليل قاطع على ان ساسة الانكليز لم يفكروا في احتلال مصر مطلقاً ولم تكن لهم يد في ذلك وانما جاءت الحوادث على غير ما كانوا يتوقعون واضطروا الى الاحتلال اضطرارًا . ولو كانوا يقصدون احتلال مصر او لو خطر ذلك على بالهم في وقت من الاوقات لاعدُّوا لهُ العدة ووافقوا فرنسا على ابقاء هذا الحق لمصر على الاقل . وفي كتاب لورد كرومر ادلة اخرى من هذا القبيل

ثم اعيدت وظيفة المراقبين وعيّن بلنير من قبل فرنسا وبارنج (لورد كرومر) من قبل انكلترا وحصرت وظيفتاها في البحث والتحقيق وتمَّ الاتفاق على انهُ لا يمكن عزل احد منهما الاَّ بعد مصادقة حكومتهِ على ذلك

ودامت وزارة رياض باشا نحو سنتين وسارت سيرًا حسناً وكانت على تمام الوفاق مع المراقبين . وفصَّل لورد كرومر ما جرى من الاصلاح المالي في عهدها وكيف الغي كثير من المغارم . ومما ذكرهُ ان شركة انكليزية تألفت حينئذٍ لتشتري سكك الحديد من الحكومة المصرية ولما عرض الامر على النظار التفتوا اليهِ ليروا ما هو رأيهُ فيهِ فقال لهم انكم اذا كنتم ترفضون البيع فانا اوافقكم على ذلك واذا كنتم تقبلون بهِ فانا ابذل جهدي حتى لا تغبنوا في الثمن . فقر قرارهم حالاً على رفض البيع ومن ثم صاروا يثقون بهِ ويقبلون نصيحتهُ . وبعد ايام

طُلب منهُ ان يفض خلافاً بين الحكومة المصرية والخواجات غرينفيلد الذين انشأوا مرفأ الاسكندرية وكانت تلك المسألة كثيرة العقد لكنهُ استطاع ان يصل الى حلها في يومين وكان لا بدَّ من ان يوقع رياض باشا الشروط التي تمَّ الاتفاق عليها ووكلاء الخواجات غرينفيلد كانوا مضطرين الى السفر في ذلك اليوم فاخذ الشروط ومضى بها الى رياض باشا وهو لا يصدّق انهُ يستطيع ان يوقعها في ذلك اليوم اذ لا بدَّ لهُ من النظر فيها اما رياض باشا فقال لهُ هل موافق انت على هذه الشروط ومقتنع بعدالتها فقال نعم فاخذها منهُ ووقعها من غير ان يقرأها لشدَّة ثقتهِ بهِ

ثم وُضع قانون التصفية ووقَّعهُ الخديوي في ١٧ يوليو سنة ١٨٨٠ وقدرت ايرادات الحكومة المصرية بمبلغ ٨٣٦٢٠٠٠ جنيه لسنة ١٨٨٠ وبمثلهِ لسنة ١٨٨١ وبمبلغ ٨٤١٢٠٠٠ لما بعدها من السنين وجعلت مصروفات الادارة ٤٥٢٠٠٠٠ جنيه وفائدة الدين الموحد ٤ في المئة وتمَّ الاتفاق مع كثيرين من المداينين على تخفيض قيمة ديونهم او اعطائهم سندات بدلاً منها وتقدمت البلاد من حسن الى احسن لكن جو مصر لم يكن خالياً من الغيوم المنذرة باضطراب عتيد

وعُين لورد كرومر في شهر يونيو تلك السنة عضوًا في مجلس حكمدار الهند فترك القطر المصري وخلفهُ السر اكلند كولفن مراقباً عامّاً

وزرنا القطر المصري ذلك الصيف وتكرَّم الجناب الخديوي بمقابلتنا وذكر امامنا بعض امانيهِ ورأينا كثيرين من الذين صاروا من زعماء الثورة بعدئذٍ فكاشفونا ببعض ما كانوا يتمنونهُ وقال لنا بعض كبار الموظفين من الانكليز ان في البلاد تيارًا جاريًا تحت اقدامهم ولا بدَّ من انفجارهِ قريباً. والظاهر ان ذلك لم يحدث من نفسهِ بمجرد النشوء الطبيعي بل كان لهُ محركون من الاجانب لاغراض شخصيَّة كما سيجيء

قال لورد كرومر ومررت بمصر في دسمبر سنة ١٨٨٠ وانا ذاهب الى الهند ورأيت الخطر من اختلال نظام الجيش الذي ترتَّب على حوادث سنة ١٨٧٨ وحذَّرت رياض باشا منهُ وحرَّضتهُ على ازالة كل ظلامة يتظلم الجيش منها اذا كان تظلمهم في محلهِ وعلى عقاب كل تمرُّد بشدَّة وصرامة فقال لي ان خوفي في غير محلهِ ولا وجه للشكوى من الجيش . وظهر حينئذٍ كأن القطر المصري قد دخل سبيل الاصلاح الحقيقي وسار فيهِ ولا ينقصهُ الاَّ الزمان لاتمام لما بدأ بهِ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

حل الغرائب الحسابية

حضرات الدكاترة اصحاب مجلة المقتطف الغراء

بعد تقديم واجب الاحترام . رأيت في مجلتكم الزاهرة عدد شهر يونيه الجاري في باب الاخبار العلمية ثلاث مسائل حسابية تحت عنوان غرائب حسابية وهي عبارة عن متوالية عددية تصاعدية وبيانها هكذا

(المسئلة الاولى) اي حد من متوالية عددية يساوي الحد الاول مضافاً اليهِ الاساس مضروباً في عدد الحدود التي قبلهُ

فاذا فرضت متوالية عددية تصاعدية حدها الاول ٢ وعدها د واساسها ٢ فيكون الحد الاخير بعد الرمز اليهِ بالحرف ل عبارة عن

$$ل = ٢ + (د - ١) \times ٢ \quad اي$$

$$ل = ٢ + ٢ د - ٢$$

وايضاً مجموع حدود اي متوالية عددية يساوي نصف مجموع حديها المتطرفين مضروباً في عدد الحدود

فاذا رمز الى مجموع الحدود بالرمز ع والى حديها بالرمزين ح و ل والى عدد الحدود بالرمز د كما تقدم فيحدث ان $ع = \frac{(ح + ل) د}{٢}$

فاذا وضع بدلاً عن ل وح مقدارها يحدث

$$ع = \frac{(٢ + ٢د - ٢)\,د}{٢}$$ اي

$$ع = د + د^{٢}$$

اي ان مجموع الحدود الاول الزوجية من المتوالية التصاعدية يساوي عدد الحدود مضافاً اليهِ مربع عددها

اما اذا كانت فردية فيكون

$$ل = ١ + (د - ١) \times ٢$$

$$ل = ٢د - ١$$

وبوضعهِ في القانون السابق يحدث ان

$$ع = \frac{(١ + ٢د - ١)\,د}{٢}$$ اي

$$ع = \frac{٢د^{٢}}{٢} = د^{٢}$$

يعني ان مجموع الحدود الاول الفردية من المتوالية التصاعدية التي عددها د يساوي مربع عددها

(المسئلة الثانية) علم من المسئلة الاولى ان مجموع حدود اي متوالية عددية يساوي نصف مجموع حديها المتطرفين مضروباً في عدد الحدود

وهذا القانون ينطبق على جميع مسائل المتوالية العددية سواء كانت زوجية (شفعية) او فردية (وترية) فبتطبيق هذا القانون على المسئلة الثانية يشاهد ان

$$ع = \frac{(١ + ٧) \times ٧}{٢}$$ اي

$$ع = ٢٨$$

اعني ان نصف حاصل ضرب الحدين المتطرفين (او الحلقة الاخيرة مضروبة في عدد الحلقات الوترية)

(المسئلة الثالثة) هي عين المسئلة الثانية وينطبق عليها القانون المتقدم اعني ان

$$ع = \frac{(١ + ٦) \times ٦}{٢} = ٢١$$

ارجو نشر ذلك بمجلتكم الغراء لفائدة العموم واقبلوا احتراماتي فؤاد نسيم

مهندس بالفجالة بمصر

العادات

ما بالنا اعتدنا ولم نعتدِ ترك الذي اعتدنا سوى الجيّدِ
نعتاد طربوشاً على رأسنا يا ليت ذا الطربوش لم يوجدِ
بالله ما الحكمة من وضعهِ او ايّ نفع فيهِ للمرتدي
احمرُ لا ادري لماذا ولمْ هذا الذي فيهِ من الاسودِ
لا يمنع الشمس واحوج بنا من غيرنا في مصر الافيدِ
يستشرف المسكين منا على عينيهِ تحت الشمس كالارمدِ
ويعرق الحرّان منا فكم ينكمش الطربوش كالقنفدِ
وحينما تمطر تلقى بهِ ما يشبهُ الجدريّ يا سيدي
افيونهُ الكيُّ فاشغل بهِ نفسك اذ تمسي واذ تغتدي
وان اردنا نافعاً غيرهُ قالوا كفرتم ثم لا نهتدي
ويلحق الجبن بنا دائماً ونطلق الالسن كالمبردِ
وانظر الى المرأة في وجهها تجدهُ نصفين بلا مرشدِ
نصف هو الاعلى بدا ظاهراً وفقد الثاني ولم يفقدِ
وبين هذا والذي قبلهُ ما يشبهُ النورج في المربدِ
يجى على الانف ولكنهُ من فضةٍ قد صيغ او عسجدِ
وانظر الى من خرقت انفها ثم حشتهُ خرز القرمدِ
وكم لنا في الوجه من عادةٍ من اختها اغرب في المقصدِ
وانظر الى عاداتنا كلها في كل شيء بالحجى وانقدِ
وميّز الطيب من غيرهِ واستبقِ ما يلزم واستبعدِ
ولا يقيدك القديم فما كل قديم طيّب الموردِ

(مراد)

[المقتطف] يظهر من بعض التجارب والمباحث الحديثة انهُ اذا كان غطاء الرأس والحبل الشوكي احمر اللون وقاهما من فعل الشمس الضار وعليهِ فلون الطربوش الاحمر خير واقٍ من ضربة الشمس

الناطقون بالضاد

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

ارى في تسمية العرب او المتكلمين بالعربية "بالناطقين بالضاد" خطأً واضحاً لان من الشعوب الغربية من ينطق بالضاد ايضاً وان كانت غير موجودة في حروف هجائهم فالفرنسيون ينطقون بها صريحة مفخمة في مثل كلمة (dans) و (dentiste) و (donc) وغيرها والانكليز ينطقون الضاد ايضاً في مثل قولهم (dark) و (door) و (dance) وغيرها واذن يجب ان تبطل هذه التسمية لانها غير مطابقة للحقيقة واذا اطلقها العرب لسبب ما او لغير سبب فلا يصح ان نقتدي بهم نحن فيها بعد ان عرفنا خطأها وعدم مطابقتها للصحيح فماذا يرى قراء المقتطف في ذلك (باحثة بالبادية)

باب الزراعة

الليمون الحامض

الليمون الحامض او المالح او الليم اشجار صغيرة الثمر جدًّا ثمرها كالجوز الكبير لكنها كثيرة الثمر وثمرها كثير العصارة الحامضة . والظاهر من تقرير الجمارك ان القطر المصري لا يصدر شيئًا من هذا الليمون او يصدر منهُ شيئًا قليلاً جدًّا حتى لا يستحق ان يذكر على حدة فيذكر مع غيرهِ مع ان البلدان الصغيرة مثل جزيرة دومينيكا تصدر في السنة ما ثمنهُ ٥٥ الف جنيه

ومن مزايا الليمون انهُ اذا تعذَّر اصدارهُ في الوقت المناسب او خيف من ان يتلف بطول المسافة امكن عمل شترات الكاس منهُ . وثمن شترات الكلس اغلى من ثمن عصير الليمون كثيرًا ولو كان العصير مكثَّفًا جدًّا ولا خوف من هبوط سعرهِ ويطلب منهُ في البلاد الانكليزيَّة كل سنة ستة آلاف طن تساوي خمس مئة الف جنيه فالاهتمام بزراعة الليمون خير من الاهتمام بزراعة البصل لان البصل يتلف اذا لم يرسل في الوقت المناسب

القطن الاميركي

صدر التقرير الاميركي عن حالة زراعة القطن في بداءة شهر يونيو الماضي فقدر فيها

٧٫٧٩ في المئة ومساحة الارض المزروعة قطناً ٣٢١٠٠٠٠٠ فدان وقد ادرجنا في الجدول التالي حالة القطن الاميركي منذ سنة ١٨٨٧ الى الآن في كل شهر من الشهور التي يكون القطن فيها في الارض مع مساحة الارض التي زرعت قطناً في كل سنة من تلك السنين

سنة	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	المحصول	المساحة
١٩٠٨	٧٩ ٧						٣٢١٠٠٠٠٠
١٩٠٧	٧٠ ٥	٧٢ ٠	٧٥ ٠	٧٢ ٧	٦٧ ٧	١١٢٦١٠٠٠	٣٢٠٦٦٠٠٠
١٩٠٦	٨٤ ٦	٨٣ ٣	٨٢ ٩	٧٧ ٣	٧١ ٦	١٣٢٩١٠٠٠	٢٨٦٨٦٠٠٠
١٩٠٥	٧٧ ٣	٧٧ ٠	٧٤ ٩	٧٢ ١	٧١ ٢	١١٣٤٥٩٨٨	٢٧٠٠٠٠٠٠
١٩٠٤	٨٣ ٠	٨٨ ٠	٩١ ٦	٨٤ ١	٧٥ ٨	١٣٥٦٥٨٨٥	٣٠٠٥٣٧٠٠
١٩٠٣	٧٤ ١	٧٧ ١	٧٩ ٧	٨١ ٢	٦٥ ١	١٠٠١١٠٠٠	٢٨٩٠٧٠٠٠
١٩٠٢	٩٥ ١	٨٤ ٧	٨١ ٩	٦٤ ٠	٥٨ ٣	١٠٧٢٨٠٠٠	٢٧٨٧٨٠٠٠
١٩٠١	٨١ ٥	٨١ ١	٧٧ ٢	٧١ ٤	٦١ ٤	١٠٦٨١٠٠٠	٢٧٦٣٤٠٠٠
١٩٠٠	٨٢ ٥	٧٥ ٨	٧٦ ٠	٦٨ ٢	٦٧ ٠	١٠٣٨٣٠٠٠	٢٥٤٢١٠٠٠
١٨٩٩	٨٥ ٧	٨٧ ٨	٨٤ ٠	٦٨ ٥	٦٢ ٤	٩٤٣٦٠٠٠	٢٤٢٧٥٠٠٠
١٨٩٨	٨٩ ٠	٩١ ٢	٩١ ٢	٧٩ ٨	٧٥ ٤	١١٢٧٥٠٠٠	٢٤٩٦٧٠٠٠
١٨٩٧	٨٣ ٥	٨٦ ٠	٨٦ ٩	٧٨ ٣	٧٠ ٠	١١٢٠٠٠٠٠	٢٤٣٢٠٠٠٠
١٨٩٦	٩٧ ٢	٩٢ ٥	٨٠ ١	٦٤ ٢	٦٠ ٧	٨٧٥٨٠٠٠	٢٣٤٤٥٠٠٠
١٨٩٥	٨١ ٠	٨٢ ٣	٧٧ ٩	٧٠ ٨	٦٥ ١	٧١٥٧٠٠٠	٢٠١٩١٠٠٠
١٨٩٤	٨٨ ٣	٨٩ ٦	٩١ ٨	٨٥ ٩	٨٢ ٧	٩٩٠١٠٠٠	٢٣٦٨٨٠٠٠
١٨٩٣	٨٥ ٦	٨٢ ٧	٨٠ ٤	٧٣ ٤	٧٠ ٧	٧٥٥٠٠٠٠	١٦٦٥٦٠٠٠
١٨٩٢	٨٥ ٩	٨٦ ٩	٨٢ ٣	٧٦ ٨	٧٣ ٣	٦٧٠٠٠٠٠	١٦٥٧٢٠٠٠
١٨٩١	٨٥ ٧	٨٨ ٦	٨٨ ٩	٨٢ ٧	٧٤ ٧	٩٠٣٥٠٠٠	١٩٨٥٨٠٠٠
١٨٩٠	٨٨ ٨	٩١ ٤	٨٩ ٥	٨٥ ٥	٨٠ ٠	٨٦٥٣٠٠٠	٢٠٣٨٩٠٠٠
١٨٨٩	٨٦ ٤	٨٧ ٦	٨٩ ٣	٨٦ ٦	٨١ ٤	٧٣١١٠٠٠	٢٠١٧٥٠٠٠
١٨٨٨	٨٨ ٢	٨٦ ٧	٨٧ ٣	٨٣ ٨	٧٨ ٩	٦٩٣٥٠٠٠	١٨٩٣٧٠٠٠
١٨٨٧	٩٦ ٩	٩٧ ٠	٩٣ ٣	٨٢ ٨	٧٦ ٥	٧٠١٨٠٠٠	١٨٥٢٢٠٠٠

ويظهر من هذا الجدول ان حال نمو القطن في الشهرين الاولين اي يونيو ويوليو لا تؤَثر في مقدار الموسم ففي سنتي ١٨٩٢ و ١٨٩٣ كانت مساحة الارض واحدة تقريباً وحالة الزراعة واحدة ايضاً او احسن سنة ١٨٩٢ منها سنة ١٨٩٣ ومع ذلك كان الموسم سنة ١٨٩٣ اكبر من موسم سنة ١٨٩٢ . وسنة ١٨٩٩ كانت حالة القطن في هذين الشهرين احسن منها في سنة ١٨٩٧ ومساحة الارض المزروعة تكاد تكون واحدة ومع ذلك كان موسم سنة ١٨٩٧ اكبر كثيراً من موسم سنة ١٨٩٩ . وسنة ١٩٠١ كانت مساحة الارض اكبر من مساحتها سنة ١٩٠٠ وحالة القطن في يوليو سنة ١٩٠١ احسن من حالتهِ سنة ١٩٠٠ ومع ذلك تساوى الموسمان . وتساوت المساحة والموسم سنة ١٩٠٢ و ١٩٠١ ولكن كانت حالة القطن سنة ١٩٠٢ اجود من حالتهِ سنة ١٩٠١ . ويظهر من الجدول ان اكثر الاعتماد على الاشهر الاخيرة لا على الاشهر الاولى او على استمرار الجودة او الرداءة في الاشهر كلها

القطن في جزائر الهند الغربية

لا يخفى ان الانكليز مهتمون اشد الاهتمام بزرع القطن في مستعمراتهم المختلفة حتى اذا امكن يستغنون عن القطن الاميركي كلهِ او بعضهِ او لا يبقوا تحت رحمة الاميركيين . وقد نجحوا بعض النجاح في جزائر الهند الغربيَّة فبلغت مساحة الارض المزروعة قطناً فيها الآن ٢٤٠٠٠ فدان . وقد كانت مساحتها ٤٠٠٠ فدان سنة ١٩٠٣ و ٧٦٠٠ فدان سنة ١٩٠٥ و ١١٢٣٨ سنة ١٩٠٦ و ١٨١٦٦ سنة ١٩٠٧ . فاذا استمرت الزيادة على هذا المعدَّل اي نحو ستة آلاف فدان كل سنة لا تبلغ مئة الف فدان في اقل من ١٢ سنة وهو شيءٌ طفيف لا يخشى منهُ لان زراعة القطن تزيد وتنقص في اميركا من سنة الى اخرى بالمليون والمليونين من الافدنة وتزيد وتنقص في القطر المصري بالمئة الف الفدان او اكثر

وهناك امر آخر حريٌّ بالذكر وهو ان محصول القطن الصادر من جزائر الهند الغربيَّة بلغ ٣٢٨٥ قنطاراً سنة ١٩٠٢ و ٣٩٧٥ قنطاراً سنة ١٩٠٣ و ٦٩٨٩ قنطاراً سنة ١٩٠٤ و ١١٢٢٨ قنطاراً سنة ١٩٠٥ و ١٥٧٧٤ قنطاراً سنة ١٩٠٦ و ٢٠١٣٦ قنطاراً في تسعة اشهر من سنة ١٩٠٧

والثمن الذي بيع بهِ هذا القطن غالٍ جدًّا لانهُ من النوع المعروف بالسي ايلند فبلغ ثمن العشرين الف قنطار مع بزرها ١٨٦٥١٠ جنيهاً وبدون البزرة ١٧٢٢٠٠ جنيه اي بلغ

ثمن القنطار مع بزرتهِ اكثر من تسعة جنيهات وبدون بزرتهِ اكثر من سبعة جنيهات وهذا احرى الامور كلها بالنظر لانهُ اذا بيع القنطار من ذلك القطن بتسعة جنيهات وجب ان يخرج من القطر المصري قطن يساوي قنطارهُ عشرة جنيهات او اكثر لان ارض تلك الجزائر ليست اجود من ارض القطر المصري بدليل ان متوسط محصول الفدان الواحد فيها قنطار ونصف قنطار فقط من القطن الشعر الاَّ اذا كان القطن الجيد لا ينتج من الارض الجيدة

شجر المنجو

ترجمناها عن مقالة للمستر برون سكرتير شركة الازهار التجارية ظهرت في مجلة ترانزكشنز المصرية واضفنا اليها اضافات قليلة وضعناها بين قوسين

زُرع المنجو في الهند وطنهِ منذ الوف من السنين فتنوَّعت اشكالهُ مثل كل الاشجار التي زرعت في احوال مختلفة قروناً كثيرة . ويعدُّ منهُ الآن نحو خمس مئة شكل مختلفة في جرم الثمر وشكلهِ ولونهِ وجرم بزرهِ وطعم لبهِ والمواد الداخلة في تركيبهِ . وكثيرون من الذين يذوقون المنجو اول مرة يجهلون ذلك فاذا اتفق انهم ذاقوا ثمرةً من النوع الدون الكبير البزر استنتجوا ان المنجو كلهُ غير طيب الطعم

واجود اشكال المنجو خالٍ تقريباً من الالياف ومن الطعم التربنتيني وهذا امر يجب ان يعرفهُ المعتنون بزراعتهِ حتى يشيع اكلهُ وتروج سوقهُ ولا يتم لهم ذلك الاَّ اذا اقتصروا على زرع الاشكال الطيبة الطعم دون غيرها

والعادة الجارية في مصر الآن ان يزرع النبات من البزر . ولكن كون البزر من ثمر جيد لا يكفل خروج النبات منهُ جيد الثمر. وقد انتبه الهنود لهذا الامر من عهد قديم جدًّا ولذلك يطعّمون اشجارهم دائمًا ويستعملون الطريقة التالية في التطعيم . يتركون الشجرة التي يراد تطعيمها في قوارتها حتى يصير عمرها ثلاث سنوات ثم يقشرون من ساقها قشرة طولها خمسة سنتمترات الى عشرة ويقشرون من غصن شجرة جيدة الثمر قشرة مثلها ويكون هذا الغصن مثل ساق الشجرة الصغيرة غلظًا ويدنون القوارة من غصن الشجرة ويلصقون الغصن بالساق حيث قشر قشراها ويربطونهما جيدًّا بسلخ من شجر الموز ويدهنون الرباط بشمع المطعوم لمنع الهواء عنهُ فيلتحم الغصن بالساق ثم ينزع الورق من الساق من فوق محل الالتحام ويقطع الغصن من الشجرة الكبيرة من تحت محل الالتحام فيصير جزءًا من الشجرة الصغيرة اي يبقى ما تحت الالتحام من الشجرة الصغيرة واما ما فوقهُ فيكون من غصن الشجرة الكبيرة واذا

وضعت صفائل تحت شجرة كبيرة لتوضع القواوير عليها امكن تطعيم مئتي شجرة صغيرة بها ويجري هذا التطعيم في زمن الصيف

ويمكن زرع المنجو من الاغصان رأساً من غير زرع البزر وذلك بان يقطع الغصن من وسطهِ (فاذا كان طولهُ متراً يقطع منهُ نصف متر) وتدخل في ما بقي منهُ وهو متصل بامهِ قوّارهُ مثقوبة وتملأ تراباً ويسقى هذا التراب يوماً بعد يوم حتى يبقى رطباً فتنبت فيهِ جذور من الغصن ويقطع الغصن حينئذٍ تحت القوارة ثم ينقل الى الارض٠ الاَّ ان الاشجار التي تتولد على هذه الكيفية لا تعيش سنين كثيرة ولا تحمل ثمراً كبيراً

ويمكن تطعيم المنجو على الكيفيَّة التالية ٠ يؤتى الى الشجرة الجيدة الثمر وينزع برعم من غصن منها هو وما حولهُ من القشر ويكون القشر مربَّعاً . وينزع مقدار من القشر مثلهُ من ساق الشجرة الصغيرة التي يراد تطعيمها وتوضع القشرة التي فيها البرعم مكان هذه القشرة وتربط بالساق جيداً ٠ ويكون ذلك وقتما تكون العصارة كثيرة في الاشجار ٠ ومهما كلَّف التطعيم من التعب والنفقة فنتيجتهُ تفي بذلك لان الفرق كبير بين الثمر الجيد وغير الجيد

وتنمو شجرة المنجو في كل تربة تقريباً اذا لم تكن رملية ولا كان حد الماء قريباً من سطح الارض في فصل الشتاء . ويزرع بزرهُ حال اخراجهِ من الثمر لانهُ اذا ترك مدة طويلة قبل زرعهِ فقلما ينبت . ويجب وقاية الاشجار الصغيرة وهي في القواوير وبعد نقلها الى الارض ايضاً وحينما تزرع في الارض يجعل البعد بين الشجرة والاخرى ستة امتار لكي يكون المجال واسعاً لاغصانها حتى تمتد ٠ وتثمر الاشجار بعد تطعيمها بسنتين او ثلاث ولكن يجب ان لا يترك الثمر عليها قبل السنة الخامسة٠ ويمكن زرع مزروعات اخرى في الارض بين الاشجار في السنوات الاولى واهالي الهند يزرعون الموز بينها الى ان يجيء وقت حملها ولا نرى مانعاً يمنع ذلك في هذا القطر فان الموز يقي شجر المنجو والخدمة التي يقتضيها شجر الموز تفيد شجر المنجو ٠ ولكن ذلك يفيد ما دامت اشجار المنجو صغيرة فاذا كبرت وصار عمرها ست سنوات وجب ان نترك ارضها كلها لها واذا زاد خصب الاشجار ولم تعد تحمل وجب ان يحفر عن جذورها الغائرة ويقطع بعضها ويفعل ذلك من الجانب الواحد هذه السنة ومن الجانب المقابل في السنة التالية ولا يفعل من الجانبين معاً في سنة واحدة ٠ فاذا عولجت كذلك الاشجار التي لا تثمر كثر ثمرها جدًّا ويمكن معالجتها ايضاً بنزع جانب من قشر الساق في متوسط المسافة بين الارض ومتفرَّع الاغصان لكي تقل العصارة الصاعدة الى الاغصان (ويقل الخصب وتتحول القوة الى عمل الثمر فان الاشجار تثمر لكي تحفظ نوعها بثمرها كأنها تخاف ان تيبس وينقطع نسلها فاذا زاد

خصبها امنت على نفسها من الموت فلم تعد تهتم بالاثمار وهذا الامر مشاهد في الحيوانات ايضاً وقد انتبه لهُ العلماءِ من عهد ابقراط وقالوا ان النساءَ السمان لا يلدن)

وحمل المنجو يختلف باختلاف الاشجار فالشجرة الصغيرة قد لا تحمل اكثر من ٢٠٠ ثمرة واذا كان ثمرها صغيرًا غير جيد فلا تساوي الثمرة منهُ اكثر من نصف غرش فاذا كان في الفدان مئة شجرة بلغت غلتهُ مئة جنيه · ولكن في القاهرة اشجارًا من المنجو حملت الشجرة منها في العام الماضي ٢٠٠٠ ثمرة بلغ ثمنها جملةً من ٣٠ الى ٣٥ جنيهاً فاذا اعتني بزرع المنجو فمنهُ ربح كبير جدًّا ولا خوف من ان يكثر ويرخص ثمنهُ كثيرًا بعد سنين قليلة لا سيما وانهُ يمكن تصديرهُ الى البلدان الاوربية وتباع الثمرة الواحدة منهُ في البلاد الانكليزية بشلن الى شلن ونصف . ومن المحتمل انها تباع كذلك في غيرها من البلدان الاوربيَّة وذلك يتوقف على جودة الثمر الذي يرسل الى اوربا

ويمكن عمل المربيات من المنجو واستخراج الالكحول منهُ انتهى

[اخبرنا القادمون من كوبا وجزائر الهند الغربيَّة ان المنجو فيها كثير جدًّا يشتري الواحد عشر ثمرات منهُ او عشرين ثمرة بما يساوي غرشاً واحدًا وفي القاهرة نفسها يكثر المنجو في بعض الايام حتى تباع الثمرة الجيدة منهُ بنصف غرش واذا كثر كثيرًا يصير رخيصاً كالبرتقال لاننا لا نرى لهُ مزيَّةً عليهِ ولكن هب انهُ صار ثمن الثمرة الجيدة مليماً واحدًا بالجمل وحملت الشجرة الفي ثمرة بلغ ثمن حملها عشرين جنيهاً وثمن حمل شجر الفدان مئتي جنيه وهو دخل وافر جدًّا لا يستهان بهِ]

ضربة الزيتون

لا يخفى انهُ تعتري الزيتون احياناً ضربة فتجد السوس في كل حبة من حبوبهِ وهذا السوس يفسد طعمهُ وطعم زيتهِ · والظاهر ان اهالي اوربا قد اخذوا يكثرون الآن من اكل زيت الزيتون وادخالهِ في طعامهم ولذلك ينتظر ان تروج سوقهُ كثيرًا ويغلو ثمنهُ ولكن الضربة المشار اليها تتلفهُ · وقد استنبط بعضهم علاجاً بقتل فراش هذه الدودة وهو مؤلف من ٦٥ جزءًا من الدبس و ٣١ من العسل وجزءين من الغليسرين و ٢ من كربونات الصودا تمزج هذه المواد معاً و يضاف الى كل رطل منها ٩ ارطال من الماء وترش بها الاشجار عند ظهور حب الزيتون فيها فيسلم من الضربة المشار اليها ويقال انهُ اذا جُمع الزيتون كلهُ باكرًا لم يبقَ سبيل للسوس الذي فيهِ ليتم نموهُ ويظهر الفراش منهُ ويحفظ نوعهُ

باب التقريظ والانتقاد

المنجد

معجم مدرسي للغة العربية تأليف الاب يوسف معلوف اليسوعي

لا شبهة في ان مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت قد خدمت اللسان العربي والمدارس العربية اجل خدمة بما نشرتهُ من الكتب المدرسيَّة وهذا الكتاب من اجلها لان الحاجة اليهِ شديدة وهو قاموس للعربيَّة اختصرهُ جامعهُ واحسن ترتيبهُ واضاف اليهِ كثيرًا من الكلمات التي عربت حديثًا واوضح بعض مسمياتهِ بالصور وطبعهُ طبعًا جليًّا بما يلزم من الشكل بقطع صغير حتى يسهل استعمالهُ . فهو من هذه الوجوه يفضل على كل قاموس عربي وقع نظرنا عليهِ ولكن فيهِ عيبًا نود اصلاحهُ في الطبعة الثانية وذلك ان المؤلف اخطأ في كثير من صور الكتاب مثال ذلك ان البلشون طائر يعرفهُ اهالي مصر ويخصونهُ بمالك الحزين او الطائر المسمى بالانكليزية flammingo وهو اطول من المرسوم في الشكل عنقًا وساقًا ومنقارهُ اعقف . والجُعَل يعرفهُ اهالي مصر ويخصونهُ بالحشرة التي صورها المؤلف عند كلمة خنفسة ويطلقونهُ على القطع القديمة التي عليها كتابات هيروغليفيَّة وهي في شكل الجعل . والحنظل يعرفهُ اهالي ساحل بيروت ويخصونهُ بالنبات المدَّاد الذي ثمرهُ مستدير كثمر البطيخ ولكنهُ اصغر منهُ جرمًا لا بنبات قائم ثمرهُ يقطيني كالمرسوم في الشكل . والخذروف لعبة معروفة في بلاد الشام وهو الصفيحة المستديرة التي تثقب من وسطها ثقبان يدخل فيهما خيط يمسك بالكفين وتدار بهما بدليل قول امرىء القيس

دريرٍ كخذروف الوليد امرَّهُ تتابع كفيهِ بخيط موصل

والفادن خشبة طولها نحو شبر وعرضها نحو فتر تعلق بها رصاصة بخيط دقيق يمتحن بها استواء الحجارة والسطوح واما المرسوم في الشكل عند كلمة فادن فيسميهِ البناؤون ميزانًا وهو لامتحان ميل الجدران القائمة . والرسمان الموضوعان للهدهد والقبرة او القنبرة متبادلان فالهدهد هو المرسوم تحت كلمة قبرة والقبرة هي المرسومة تحت كلمة هدهد على ما هو معروف . والحيوان المرسوم في كلمة نمر هو الببر او النمر الهندي المخطط واما النمر فمرقَّط

وعسى ان نرى الطبعة الثانية خالية من مثل هذه الهفوات فيتضاعف شكرنا للمؤلف

فلسفة العمر

هي رسالة حكميَّة ادبيَّة في اربعة ادوار العمر الطفولية والشبيبة والكهولة والشيخوخة · وضعها الكاتب الفرنسوي الكونت ده سجير المتوفي سنة ١٨٣٠ وترجمها الى العربية حضرة صالح بك حمدي حماد الذي يتحفنا من وقت الى آخر بنفائس الكتب وعلق عليها شروحًا وجيزة ترجم بها الاعلام المذكورة فيها · وبعض آراء المؤلف ضعيف كقولهِ في الصفحة ٢٥ " فالتربية لا الاصل ولا الفصل هي التي تعمل غالبًا فينا لان الانسان وان كان اوجدهُ ابوهُ واكسبهُ بنوع ما بعض صفاتهِ الخلقيَّة لكن الذي كوَّنهُ تمامًا وهيأَهُ انما هي التربية فالاول اوجدنا والثانية كيفتنا وصاغتنا ". اما علماء هذا العصر فيقولون مع المتنبي « وتأبى الطباع على الناقل » والمقام الاول في اخلاق الانسان للطباع الموروثة من والديهِ واسلافهم حسب قوانين الوراثة والمقام الثاني للتربية وتأثيرها ضعيف بالنسبة الى تأثير الوراثة

وذكر في الدور الثاني من ادوار العمر وهو دور الشبيبة ان الشاب الذي يعثر على صديق صادق وخل وفيّ فقد عثر على كنز ثمين القيمة نادر المثال فيصير غنيًّا بالفضائل وبمعاونة هذا الصديق الكريم تبتدئ تلك التربية الثانية للنفس فتنقش على صفحات نفوسنا نقوشًا عملية ثابتة الوانها مهما كانت الايام قد محت ايام الشبيبة الاولى من آثار التربية الاولى الوالديَّة والمدرسيَّة النظرية

وختم المؤلف هذا الفصل بقولهِ : —

فالانسان في دور الطفوليَّة لا يدرك من اسرار الحياة غير خرافاتها ولعبها · وفي دور الشباب قد تريهِ هذه الحياة صفحة موهومة من قصصها وعبرها · وأما في دور الكهولة الذي سندخل فيهِ التفصيل فهو انما يزاول حقائقها ويعاني صحيح اشيائها وجدّ اعمالها وكبير غلطاتها وامالها

والكتاب كلهُ على هذا النسق لكن التجريد فيهِ كثير ولو وضعهُ مؤلفهُ على اسلوب الرواية ككتاب كليلة ودمنة ووقائع تلماك وسياحة المسيحي لكان اقرب الى الفهم واعلق بالذهن فعلى الذين تمكنهم الفرص من ترجمة الكتب الادبيَّة المفيدة ان يختاروا منها ما كان من قبيل الكتب الثلاثة المشار اليها آنفًا اذا ارادوا ان يطالعها القراء بلهفة وبلا ملل ويستفيدوا من عبرها وحكمها

لويزا بروكتر

يحق للسوريين ان يفاخروا امم الارض في اكرامهم لنزلاء بلادهم واعترافهم بفضل الفضلاء منهم فتراهم يقيمون التماثيل لمن كان مثل الدكتور فانديك والدكتور بلس ويجمعون كتب التأبين والمراثي لمن كان مثل الدكتور ادي ومثل السيدة لويزا بروكتر

والسيدة لويزا بروكتر امرأة انكليزية قدمت سوريا سنة ١٨٨٠ وانشأت مدرسة خارجيَّة للبنات في الشويفات من قرى لبنان سنة ١٨٨٥ وجعلتها في السنة التالية داخليَّة ثم اسست مدرسة للصبيان سنة ١٨٩٦ وفي مدرستيها الآن نحو مئة وثمانين صبيًّا وبنتًا وقد تخرَّج منهما نحو ١٦٠٠ تلميذ وتلميذة بهمتها وادارة مدير هاتين المدرستين النشيط طانيوس افندي سعد ثم انشأت ثلاث مدارس صغيرة في الشويفات ومدرسة في دير قوبل . توفيت في ربيع العام الماضي وعمرها ٧٨ سنة واحتفل بتأبينها بعد اربعين يومًا وقد جمع حضرة الاديب جرجي افندي نقولا باز ما قيل فيها من المراثي والتآبين واقوال الجرائد في كتاب واحد وقدَّم لهُ مقدمة في سيرة الفقيدة واعمالها . ويعجبنا اشتراك اهالي سورية في تأبين تلك السيدة على اختلاف مذاهبهم ولاسيما رؤساء الدين منهم

مؤنس الجلاس

بمفاخر العباس

هي مجموعة قصائد مرفوعة الى معالي الحضرة الفخيمة الخديوية من ناظمها حضرة الاب الفاضل الارشمندريتي ايليا ديب رئيس كنيسة السوريين الارثوذكس في الاسكندرية المنتخب لمطرانية صور وصيداء وتوابعهما . اولها قصيدة نظمت سنة ١٣١٩ تهنئة بعيد جلوس الجناب الخديوي على الاريكة الخديويَّة قال فيها

ايها الراكب الميمم مصرًا	سوف تلقى للجود فيها معينا
قصّر النيل في التدفق عنهُ	بل تراهُ من فيضهِ مستدينا

ومنها

ان مَن اعطاهُ المهيمن عرشًا	وحباهُ حلمًا وعلمًا ودينا
وشبابًا مع هيبة وجمالاً	في كمال بين الملا اجمعينا
حقَّ ان تحشد التهاني اليهِ	قاطعات اجارعًا وحزونا

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) اكل اللحم في البلاد الحارَّة

الخرطوم. رزق افندي واصف هل من ضرر على الانسان اذا استمرَّ على اكل اللحم في الاقطار الحارَّة

ج ان الاكثار من اكل اللحم ضارٌّ ولاسيما في البلدان الحارَّة . ولكن قد يعتاد الانسان اكل اللحم او يكون ممَّن يسهل عليهم افراز الفضول النيتروجينيَّة فلا يضر من اكلهِ . وللعادة التأثير الاكبر

(٢) الزوجة اكبر من الزوج

ومنهُ . هل من ضرر صحي على شاب عمرهُ عشرون سنة مثلاً اذا تزوج بفتاة اكبر منهُ سنًّا كأن يكون عمرها خمس وعشرون سنة

ج كلاَّ . ولكن يفضَّل ان يكون الزوج اكبر من زوجتهِ سنًّا ولو ببضع سنوات والمرجح ان ذلك ادعى للوئام وهو القانون المتَّبع في اكثر البلدان

(٣) الشيب الباكر

ومنهُ . لماذا ينبت الشعر الشائب في رؤُوس بعض الشبَّان

ج ان مسألة الشيب من المسائل التي لم تحلَّ حتى الآن حلاًّ مقنعاً ولكن لا شبهة ان الشيب يحدث في الشيخوخة من ضعف الشعر او ضعف الجسم عن تقديم المادة الملونة للشعر فاذا كان الامر كذلك فلا مانع يمنع ظهور شيء من هذا الضعف في الشبان فيشيب بعض شعرهم. واذا اتفق ان ظهر هذا الضعف في الزوجين معاً كان ظهورهُ في اولادهما اقوى من ظهورهِ فيهما فيشيبون باكرًا ثم اذا تزوجوا في اناس من الذين لم يظهر فيهم هذا الضعف فالغالب انهُ يُقاوَم فيزول ولهذا السبب لا تجد شيب الشبان كثيرًا بل تجدهُ نادرًا لان اختلاط الناس بالزواج يزيل الميل اليهِ ولا تجدهُ عامًّا اكل شعرهم

(٤) تربية الخنازير

بيروت . و. ب لم اعثر في ما لديَّ من اجزاء المقتطف على مقالة ضافية في تربية الخنازير وكيفية الاعتناء بها مما تهم معرفتهُ وقد آنست من احد معارفي في لبنان رغبة

شديدة في تكثير ما عندهُ منها فهل تدرجان اجوبة لمسائلهِ اذا بعث بها اليكم

(٥) تربية الخنازير

ج اننا لم نرَ فائدة من الكلام على تربية الخنازير لان اكثر الذين يقرأون المقتطف ممنوع من تربيتها واكل لحمها ومع ذلك لا نتأخر عن نشر المسائل التي نُسأَلها والاجابة عنها اذا كان من نشرها فائدة

(٦) الكتب المفيدة في العربية

استراليا . ع . ب . ر اي الكتب اجزل فائدة لمن هو ضعيف في العربية

ج ان لم نكن قد اخطأنا مرادكم فمطالعة الكتب الادبيَّة الصحيحة الانشاء ككتاب كليلة ودمنة وفصول مجاني الادب وكتاب الاغاني وتاريخ ابن الاثير من الكتب التي تساعد مطالعها على اكتساب ملكة اللغة وكذلك استظهار الكثير من اشعار المتنبي وابي العلاء المعري ومقامات الحريري وبديع الزمان الهمذاني

(٧) البردة

ومنهُ . الى من تليت قصيدة الشيخ البوصيري المعروفة بالبردة التي مطلعها

امن تذكُّر جيران بذي سلمِ
مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

ج القصيدة للشيخ شرف الدين ابي عبد الله محمد الابوصيري المتوفى سنة ٦٩٤ للهجرة وقد قال ناظمها « كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليهِ وسلم منها ما كان اقترحهُ عليَّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير ثم اتفق بعد ذلك ان اصابني فالج ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة فعملتها واستشفعت بهِ الى الله تعالى في ان يعافيني وكررت انشادها وبكيت ودعوت وتوسلت ونمت فرأيت النبي صلى الله عليهِ وسلم فمسح على وجهي بيدهِ المباركة والقى عليَّ بردة فانتبهت ووجدت فيَّ نهضة فقمت وخرجت من بيتي ولم اكن اعلمت بذلك احداً فلقيني بعض الفقراء فقال اريد ان تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فقلت ايها فقال التي انشأتها في مرضك وذكر اولها الخ . والقصة طويلة تجدونها في فوات الوفيات

(٨) شعبة سكة دمشق

ومنهُ . اصحيح ان في النية انشاء شعبة الى الخط الحديدي الشامي من محطة جمهور وتخرق الجبل في مقاطعة المتن الى حيث تلتقي بالخط في مدينة زحلة

ج هذا مشروع من مشروعين او ثلاثة ولكننا نظن ان نفقاتهِ الكثيرة تحول دون العمل بهِ

(٩) تجديد العمر

زحله . الخواجه سليم يوسف ابو سليمان هل حدد الله لكل امرئ عمرهُ .

ج ان نواميس الكون او النواميس التي سنها الله لهذا الكون تستلزم ان تكون كل الحوادث التي تحدث فيهِ ناتجة اضطرارًا عما تقدمها من الحوادث او عما وُضع للكون من النواميس ولذلك يكون العمر محدودًا . ونحن البشر لا نعلم افكار الله لانها ليست كأفكارنا ولا نعلم كل الحدود التي حددها للكون ولكن اختبارنا يدلنا على ان الامم التي تتبع قوانين الصحة يزيد معدل عمر افرادها عما كان عليهِ حين لم تكن تتبع قوانين الصحة والمرضى الذين يعالجون المعالجة القانونيَّة تقل وفياتهم فتطول اعمارهم ولهذا شاعت صناعة الطب والعلاج من قديم الزمان. ومهما كان الانسان متمسكاً بدينهِ ومعتقدًا بالقدر لا يرفض استشارة الطبيب واستعمال العلاج اذا مرض راجيًا ان يطيل عمرهُ

(١٠) اول بنَّاء

ومنهُ . من هو اول بنَّاء خلق على وجه الارض

ج ان الناس ابتدأُوا يبنون قبلما ابتدأُوا يكتبون تواريخهم ولذلك لم يكن في الامكان ان يكتب في تاريخ من التواريخ اسم اول بنَّاء

(١١) دوران الارض حول الشمس

القاهرة س . م ما هي البراهين على دوران الارض حول الشمس

ج انا لانشعر بحركة دوران الارض حول الشمس ولكننا نستنتجها استنتاجًا من حركة الشمس السنوية الظاهرة فانكم اذا راقبتم مغيب الشمس يومًا بعد آخر من ايام السنة ترون انها اذا غابت اليوم عند مجموع من النجوم فلا تغيب بعد بضعة ايام عند ذلك المجموع بل عند مجموع وراءهُ شرقًا وهلمَّ جرًّا الى ان يحول الحول وتنتهي السنة فيعود الدور ثانية وهو ما يُعبَّر عنهُ بنزول الشمس في البروج. وهذا الامر المحسوس اما ان يكون ناتجًا عن ان الشمس نفسها تنتقل في السماء من نقطة الى اخرى نحو درجة كل يوم حتى تقطع دائرة السماء في السنة كما ظن الاقدمون واما ان الارض تدور بنا حول الشمس فنرى صورة الشمس اليوم في موقع وغدًا في موقع آخر كما ان السائر في سفينة والى يمينهِ منارة ووراءها على بعد منها جبل يرى كلما تقدم شمالاً ان المنارة تسير الى ورائهِ جنوبًا بالنسبة الى الجبل الذي وراءها. واذا لم نعرف شيئًا عن جرم الارض والشمس والكواكب وبعد الشمس عنا فالفرضان محتملان على حدٍّ سوى اي يحتمل ان تدور الشمس حول الارض مرة في السنة منتقلة في البروج الاثني عشر كما هو ظاهر للعيان ويحتمل ايضًا ان تكون الارض هي التي تدور حول الشمس في هذه المدة فيظهر كأن الشمس تنتقل في البروج يومًا بعد يوم . ولكن

اذا عرفنا ان مادة الشمس اكثر من مادة الارض ٣١٤٧٦٠ ضعفاً استحال علينا ان نصدق ان جاذبية الارض للشمس تكفي لحفظها في الفضاء وجعلها تدور حولها لان ذلك بمثابة ما لو جذبت حصاة صغيرة ثقلها درهم واحد صخرًا كبيرًا ثقلهُ ٧٨٧ اقة وجعلتهُ يدور حولها . وتبقى امور كثيرة لا تعلل اذا فرضنا ان الشمس تدور حول الارض ولكنها تعلَّل اوضح تعليل اذا فرضنا ان الارض تدور حول الشمس كما تدور حولها سائر السيارات الشمسية واكثرها اكبر من الارض جدًّا

(١٢) الشفاء بالايمان

ومنهُ . يدعي بعض الناس ان المرضى يشفون بالايمان اذا دخلوا معبدًا او مزارًا فكيف يشفى الاطفال وهم لا يدركون شيئًا حتى يؤْمنوا

ج ان الذين يعتقدون ان الشفاء يكون بالايمان يعتقدون ايضاً ان ايمان الانسان يشفي غيرهُ . واذا اردتم البحث في هذه المسأَلة من باب علمي لا من باب ديني فايمان الانسان يؤَثر فيهِ واذا كانت آفتهُ عصبية فلا يبعد ان تشفى بايمانهِ وتعليل ذلك غير متعذر علميًّا اما شفاء الطفل بايمان والديهِ فلا نرى لهُ تعليلاً علميًّا الاَّ اذا كان رضيعاً وتأَثر لبن امهِ من ايمانها فاثر فيهِ . ولا يبرح من بالكم ان عدم وجود دليل علمي على حدوث شيء لا ينفي حدوث ذلك الشيء ولا ينفي ايضاً ان يوجد لهُ دليل علمي في المستقبل فاذا ثبت حدوث الشفاء من زيارة مزار او استعمال علاج او شرب ماء او نحو ذلك لم تتعذر معرفة السبب ولكن ثبوت الشفاء وكونهُ حاصلاً عن هذا الامر لا عن سواهُ ليس بالامر السهل فاذا غسل ارمد عينيهِ من ماء الينبوع الفلاني فشفي من رمدهِ وكان الشفاء حاصلاً من غسلهِ عينيهِ بذلك الماء وجب ان كل ارمد مثلهُ يغسل عينيهِ بذلك الماء يشفى من رمدهِ اذا تساوت الاحوال كلها والاَّ فاشفائهِ اسباب اخرى غير الغسل بذلك الماء هذا اذا لم تعرف العلاقة السببية بين الماء والرمد

(١٣) خدمة الدين والجمهورية الفرنسوية

ومنهُ . لماذا يفضل خدمة الدين الحزب الملكي الفرنسوي على الحزب الجمهوري

ج السبب واضح وهو ان الحزب الجمهوري صادر خدمة الدين في املاكهم وضيق عليهم الخناق ومنع بعضهم من الاقامة في فرنسا وحظر على البعض الآخر التعليم وكانت الحكومة الفرنسوية تدفع الرواتب لكل خدمة الدين الكاثوليك والبروتستانت واليهود فمنعت ذلك سنة ١٩٠٥ وسلمت الكنايس واملاكها الى المجالس المحلية لتدبير شؤُونها

(١٤) تبييض السود

جمهوريَّة دومنيكو. الخواجه حنا الياس العريان . قرأت في احد الكتب وسمعت من احد الافاضل ان الجنس الاسود يستطيع ان يبيض جسمهُ بالكهربائية فهل ذلك صحيح .

ج يقال ان اشعة اكس تبيض بشرة الزنوج او تقلل سوادها ولكن هذه الاشعة كاوية وقد تسبب آفة كالسرطان فلا نظن ان زنجيًا يختار استعمالها لتبييض بشرتهِ

(١٥) بصر الفيران والارانب

طنطا . محمد افندي كمال . هل تبصر الفيران والارانب بعيونها

ج نعم تبصرولكن قد لا يكون بصرها حادًّا لان اكثر اعتمادها على سمعها

باب الاخبار العلمية

المعرض الفرنسوي الانكليزي

المعارض محك لارتقاء الامم في العلوم والفنون والصنائع . وقد نشأت في فرنسا اولاً فأنشئت فيها معارض كثيرة بعد سنة ١٧٩٨ آلت الى انهاض همة الانكليز لانشاء معرض عام تشترك فيهِ امم الارض فانشأوهُ سنة ١٨٥١ . ومن ثم كثرت المعارض العامة وتبارت الامم في توسيعها حتى صار العقل يحار فيها ولم يعد يستطيع ان يجني منها الثمرة المطلوبة لاتساع نطاقها

اما المعرض الحالي الذي قُصرت معروضاتهُ على ما عند امتين فقط فليس فيهِ هذا العيب على ما يقال ولعل المعارض العمومية التالية تجري مجراهُ فلا تجمع معروضات كل الامم بل معروضات امة او امتين فقط

وقد خطر لبعضهم انشاء هذا المعرض على اثر التفاهم الحبي بين فرنسا وانكلترا ليكون علامة ظاهرة لهُ . واهتمت غرفة التجارة في لندن بهذا الامر في اواخر سنة ١٩٠٥ وعرض على الحكومة الفرنسوية فاحلتهُ محل القبول ونظر فيهِ جمهور كبير من الانكليز برئاسة دوق ارجيل في يوليو سنة ١٩٠٦ فوافقوا عليهِ وقرروا ان ينفق كل ما يكتسب منهُ على عمل من الاعمال العمومية النافعة

واختير مكان لهُ في ضواحي لندن مساحتهُ ١٤٠ فدانًا يبعد عن محطة تشارنج كروس اربعة اميال فقط . وسكك الحديد والترمواي تصل اليهِ من كل ناحية وتستطيع

ان تنقل اليهِ ثمانين الف نفس في الساعة. وشرع في انشائهِ في ٣ يناير سنة ١٩٠٧ وخصص نصفهُ للمعروضات الفرنسوية والنصف الآخر للمعروضات الانكليزية فبنى الفرنسويون مبانيهم ومباني مستعمراتهم في قسمهم ووضعوا فيها مصنوعاتهم وفعل الانكليز مثلهم في القسم الآخر كأَن المعرض للتنظير بين مصنوعات الامتين ونتائج عقولهما وعلومهما وتربة املاكهما. وتجد احياناً معروضات الامتين في بناء واحد وقد وضعت الواحدة تجاه الاخرى تسهيلاً للمقابلة بينهما لا بقصد المباراة بل ليستفيد كل فريق من اعمال الآخر كما في معروضات الصور والتماثيل ومعروضات العلوم المحضة وبعض هذه المباني فسيح جدًّا فان مساحة دار الآلات اكثر من سبعة افدنة

وفي المعرض نحو عشرين قصرًا تحيط بها الحدائق الغناء وسبعة اروقة كبيرة طول كل منها ٤٠٠ قدم وعرضهُ ٧٠ قدماً وفي قصر الفنون كثير من اجمل الصور واثمنها بعضها قديم وبعضها حديث وتعلم قيمتها من انها سوكرت على مليون جنيه

واضيف الى المعرض ميدان للالعاب الاولمبية وسيشترك في هذه الالعاب رجال من اثنتين وعشرين امة من امم الارض وحول الميدان مشهد يجلس فيهِ اربعون الف نفس بسهولة ويسع مئة وخمسين الف نفس وفي الميدان حوض طولهُ ٣٣٠ قدماً وعمقهُ ١٤ قدماً لاجل المباراة في الغوص والسباحة

ومباني المعرض كثيرة العدد مختلفة الاشكال والانواع وللعلم منها حظ وافر ولكن حظهُ لا يزيد عن حظ الفكاهات التافهة ان لم نقل الضارة كالتبغ مثلاً فان ست شركات من شركات السكاير عرضت معروضاتها في اماكن مختلفة منهُ ومنها شركة الرجي السلطانيَّة العثمانية اما الآلات والادوات العلمية فلم تعرض الأَ في بناء واحد مع ان فرعاً واحداً منها وهو فرع استخراج الاصباغ من الفحم الحجري انشأ صناعة ريعها السنوي اربعة ملايين من الجنيهات لكن المباني المتعلقة بما يبنى على العلم كالتعليم والزراعة والاقتصاد وما اشبه كثيرة . ويمتاز هذا المعرض على ما تقدمهُ من المعارض العامة بالدار التي عرضت فيها الادوات العلمية وعرضت فيها ايضاً الاساليب التي يجري عليها العلماء في بحثهم والفضل في ذلك للسر نورمن لكير والسر وليم ماذر فيرى الذين يدخلون هذهِ الدار نتائج بحث العلماء في البر والبحر والهواء والسماء فمدرسة منشستر الصناعية عرضت الآلات التي استعملها العالم جول في بحثهِ عن الحرارة وعما يحدث من ضغط الهواء وتلطيفهِ. ومدرسة سوث كنسنجتون العلمية الصناعية عرضت الآلات والادوات التي استعملت حديثاً في البحث عن قياس الحرارة

وضغط الهواء اي عرضت في هذه الدار اساليب البحث والقياس القديمة والحديثة وعرضت آلات التلغراف والدرجات التي رقيتها من اول انشائها الى الآن اي من سنة ١٨٣٧ الى سنة ١٩٠٨ وعرض مركوني ٣٣ اداة من ادواتهِ التي استعملها في تلغرافهِ . وقس على ذلك المصابيح الكهربائية وآلات نقل الصور بالتلغراف وفروع الكيمياء والتعدين والبيولوجيا والانثروبولوجيا والجيولوجيا والجغرافية والمتيورولوجيا والفلك فانها كلها حاوية ما يمثل تاريخ هذه العلوم

فيخلق بكل من يزور هذا المعرض من قراء المقتطف ان يدخل هذه الدار ويمعن نظره في كل ما فيها وهي الى يسار الداخل عند اول المعرض حيث يتسع مجاله

بركان سافاي

ثار بركان في جزيرة سافاي من جزائر صاموى في العاشر من شهر مايو الماضي ثوراناً عظيماً جدًّا وجعلت المواد المصهورة تخرج منهُ بمعدَّل ثلاثة آلاف طن في الثانية من الزمان وتجري الى البحر نهرًا يختلف عمقهُ من نصف قدم الى ست اقدام وعرضهُ ثمانية اميال ولما بلغ البحر سخن ماؤُهُ وصعد عنهُ بخارٌ كثيف وقد خرَّبت الحمم كثيرًا من بيوت السكان وتهددت مدينة متاتوى بالدمار

القيراط المتري

تهتم حكومة فرنسا الآن بتغيير عيار الماس من القيراط العادي الى قيراط يساوي عشري الغرام او مئتي مليغرام والظاهر ان المانيا واسبانيا وبلجكا موافقة على ذلك

الهاليوم

الهاليوم عنصر غازي كشف حديثًا وهو قليل جدًّا في المواد التي يوجد فيها وقد بيَّن الاستاذ سترت الآن انهُ يوجد في كل المواد التي في قشرة الارض ففي كل كيلو غرام من الحجر المعروف بالسمركيت نحو ١٢ سنتمترًا مكعبًا منهُ واذا زاد عن ذلك فيكون في المادة عنصر الثوريوم الَّا الزبرجد فان الهاليوم يوجد فيهِ بكثرة وليس فيهِ شيءٌ من الثوريوم

مصارف العاصمة والصحة

اتفقت الآراء الآن على انشاء المصارف للقاهرة بعد ان وافقت الدول الاوربية على زيادة عوائد الاملاك من ثمانية في المئة الى عشرة حتى يسهل الانفاق على انشاء المصارف وحفظها ومتى تم انشاؤُها فالمظنون ان الصحة العمومية تجود في القاهرة وتقل الوفيات فيها ولكن انشاء المصارف وحدهُ لا يكفي لان معدل الوفيات بين الاوربيين سكان العاصمة قليل جدًّا كما هو في المدن الاوربية

الحسنة المصارف فلو كان سائر السكان يجرون مجراهم في معيشتهم والاعتناء بصحة اطفالهم وتنظيف بيوتهم وما حولها لقل معدل وفياتهم وصار مثل معدل وفيات الاوربيين ولو لم تصنع المصارف وذلك لا ينفي فائدة المصارف ولكنهُ يدل على ان الفائدة الكبرى تأتي من التعليم والتهذيب واصلاح احوال المعيشة كلها وتربية الناس على حب النظافة في اجسامهم وبيوتهم وشوارعهم وفي نفوسهم ايضاً

طول العمر

وُجد في درج من دروج البردي المصرية كتابة عن لسان شيخ همّ بلغ مئة وعشر سنوات من العمر وهو يندب نفسهُ لان بصرهُ ضعف ولم يعد جسمهُ يغتذي كما يجب. ومنذ عهد قريب نشر المسيو بونيون قنصل فرنسا في الموصل كتابات نقلها بيدهِ عن الآثار البابلية وبينها كتابة للملكة سمونا دمكا ام الملك نبونيدوس آخر ملوك بابل وقد قالت فيها ان معبودها سن (القمر) رفع رأسها وجعل لها اسماً عظيماً بين شعبها واطال عمرها سنين كثيرة من عهد اشور بنيبال ملك اشور الى السنة التاسعة من ملك ابنها نبونيدوس ملك بابل مئة سنة واربع سنوات قالت ولا تزال عيناي سليمتين ويداي ورجلاي على تمام الصحة والنشاط وكلامي واضحاً وانا آكل واشرب على جاري عادتي . ويقال في كتابة اخرى انها توفيت في السنة التاسعة من ملك ابنها اي بعيد تلك الكتابة

مجمع البحث عن السرطان

انشأ الالمانيون مجمعاً للبحث عن داء السرطان وعلاج المصابين بهِ وسيكون مقرهُ في مدينة برلين وينشر نشرة عمومية يضمنها كل ما يقف عليهِ بالبحث والاستقصاء وقد اشترك فيهِ العلماء من ثلاث عشرة امة

المجمع الزراعي العام

فتح المجمع الزراعي العام في ايطاليا في ٢٣ مايو بحضور الملك وحضر افتتاحهُ سبعة من وزراء ايطاليا وثلاثون من نواب الدول. والبناء الذي يعقد فيهِ هذا المجمع هبة من ملك ايطاليا وقد وهبهُ ايضاً ريعاً سنوياً يساوي ١٢٠٠٠ جنيه وهذا يجعل دخلهُ السنوي ٤٠٠٠٠ جنيه وستعود مباحثهُ باكبر فائدة على علم الزراعة

نقل الصور بالتلغراف

لم يكد الدكتور كورن يتقن طريقتهُ لنقل الصور بالتلغراف حتى قام كثيرون غيرهُ واستنبطوا طرقاً اخرى لنقل الصور بالتلغراف ومنها ثلاث طرق وصفت في

اجتماع جمعية الطبيعيات الفرنسوية الذي وقع في شهر ابريل الماضي وكلها لا تستعمل السلينيوم بل تكتفي ببعض الحيل الميكانيكية لجعل الاشارات الكهربائية تفعل بالنور ثم باللوح الحساس لتحكيم الضوء عليهِ

الذهب في شرقي السودان

وصف بعضهم مناجم الذهب التي رآها في شرقي السودان على مسيرة ثمانية ايام من سواكن في مكان يسمَّى جبب وهي اسراب طويلة تحت الارض تدل الآثار الباقية فيها على ان الذهب كان يستخرج منها في بداءة التاريخ المسيحي فكانت الحجارة التي فيها الذهب تسحق في الهواوين ثم يصوَّل الذهب منها بالماء

عدد النجوم

يظهر من مقالة للمسيو بول ستروبان ان عدد نجوم السماء التي يمكن تصويرها حتى تقرب من القدر الرابع عشر هو نحو عشرة ملايين نجم ومن المحتمل ان يزيد هذا العدد متى نشرت كل الخرائط الفوتوغرافية التي صورت بها اجزاء السماء

النظارة الكبرى

ان النظارة التي صنعها لورد روص سنة ١٨٤٢ ونصبها في ارلندا هي اعظم النظارات التي صنعت حتى الآن لان قطر مرآتها ست اقدام ولكنها لم تستعمل طويلاً وقد اهملت الآن تماماً لانها غير متقنة. ثم صنعت نظارة يركس باميركا وقطر بلورتها اربعون بوصة ولا تزال اكبر النظارات الكاسرة. وقد نصب الاميركيون الآن نظارة عاكسة قطر مرآتها ست اقدام واتقنوا صنعها غاية الاتقان ومع ان ثقلها عشرون طناً تدار بالسهولة التامة الى اي جهة اردت. والنور ينعكس عن مرآتها الى مرآة صغيرة امامها وعن هذه الى مرآة اخرى مائلة على زاوية ٤٥ درجة فتنعكس عنها الى زجاجة العين في غرفة الى جانب النظارة. وقد نصبت هذه النظارة في مرصد مدرسة هارفرد الجامعة لكي تستعمل لتصوير الاجرام السموية وقياس نورها والمظنون انها تكفي لرؤية النجوم التي من القدر السابع عشر او الثامن عشر او ما وراءه

قطرنة الشوارع

تزداد الادلة يوماً فيوماً على ان قطرنة الشوارع من خير الوسائل لحفظها ومنع الغبار منها وتقليل نفقات رشها ويجب ان يصبَّ القطران عليها بعد ان ترصف وتمهد جيداً وتدوسها الاقدام مدة حتى ينعم سطحها وتنخشك دقائقهُ بامتلاء مسامهِ. ويقال انهُ يتوفر بقطرنة الشوارع خمسون في المئة من نفقات حفظها ورشها وترميمها

فهرس الجزء السابع من المجلد الثالث والثلاثين

الفصل الثالث عشر

بداءة الازمة

التفت السر صموئيل لوكاس الى ساعة كهربائية قائمة امامهُ وقال كيف يتأخرون عن الميعاد مضى ثلاث دقائق . ثم ضغط زرًّا كهربائيًا فدخل فتى عليهِ ثياب مقصبة الحواشي وقال نعم يا مولاي . فقال لهُ السر صموئيل الم يقل المستر جوزف والمستر ارنست انهما يحضران في الميعاد . وقبل ان يتم كلامهُ وقف بالباب رجلان في سن الكهولة احدهما نحيف الجسم اصفر الوجه خفيف العارضين والآخر بدين احمر الوجه جاحظ العينين فنهض السر صموئيل لهما وصافحهما فجلسا عن جانبيهِ وخرج الخادم واقفل الباب

ففتح السر صموئيل درجًا واخرج منهُ رزمة من المكاتيب بعضها بالعبرانية وبعضها بالايطالية وبعضها بالفرنسوية وبعضها بالانكليزية . وجعل يقرأُ عليهما المكتوب بعد المكتوب . والنحيف منهما وهو المستر جوزف ينتف شاربيهِ ولحيتهُ والسمين وهو المستر ارنست يمص الدخان من سيكار غليظ في فيهِ ثم يطلقهُ في الهواء فيصعد دوائر دوائر كأَنهُ حلقات الاثير في رأي لورد كلفن

والمكاتيب من مصر من القاهرة والاسكندرية وطنطا والمنصورة والفيوم وهي تصف افتضاح السر ووقوف الحال وتنذر بالسوء وتدل على ان في البلاد حركة مثل الحركة العرابية تمامًا وهي في مبدإها

ولما اتى على آخرها قرأ كتابًا من لورد مكنزي يلومهم فيهِ على تأخرهم في اصدار اسهم شركة قارون ويقول لعلنا اضعنا الفرصة فان كل الذين اكتتبوا هنا في مصر يقولون اننا اذا طلبنا الاكتتاب العمومي الآن لا نجد في مصر عشرة يكتتبون معنا واخاف ان تكون الحال كذلك عندكم ثم ان السنديكات قد انفق كل امواله وان لم ينجح الاكتتاب اضطرَّ الى توقيف العمل وضاعت عليهِ الاموال التي انفقها وقد بلغت حتى الآن نحو عشرين الف جنيه عدا الثلاثين الفًا التي اعطاها لاصحاب الامتياز ولا يبقى لديهِ الاَّ عشرة آلاف جنيه من الستين الفًا التي هي رأس ماله

ولما قرأ هذا الكتاب جعل السمين من الرجلين يكثر من مص الدخان واطلاقهِ والنحيف من نتف عثنونهِ واخذ السر صموئيل ينظر تارة الى سقف الغرفة التي هم فيها وتارة الى الاوراق التي بين يديهِ واخيرًا تكلم النحيف فقال

اتتني ايضاً مكاتيب خصوصيةٌ تؤيد مكاتيبك ولا بد من المبادرة الى اغتنام هذه الفرصة قبلما يشيع الخبر ولا بد ايضاً من ذهابي الى باريس بنفسي للاتفاق مع السماسرة وانما تدبران الامر معهم هنا . كم عندنا من الاهلي والزراعي والعقاري والدائرة والواحات والدلتا واللوكندات المصرية ٠ ففتح السر صموئيل دفتراً كبيراً امامهُ وقال عشرة آلاف من الاهلي وخمسة عشر الفاً من الزراعي واثنا عشر الفاً من الدائرة ومئة الف من الواحات وتسعة آلاف من الدلتا واربعة آلاف من اللوكندات وهي تضرب معاً نحو ستمائة وخمسين الف جنيه حسب السعر الذي اشتريناها بهِ وتساوي الآن حسب الاسعار الحاضرة مليوناً و٢٧٠ الف جنيه ٠ وعندنا ايضاً ودائع تساوي نحو مليونين من الجنيهات وتصريفها موكول الى ارادتنا والرجل مصرٌّ على الاستعفاء وسيعلن ذلك في مجلس النواب بعد ثلاثة ايام ٠ ثم التفت الى المستر ارنست وقال لهُ اتفق انت مع سماسرة البيع وبيعوا الى حد ثلاثة ارباع الاسهم واتفق انا مع سماسرة الشراء فنشتري مقدار ثُمْنها ٠ والتفت الى المستر جوزف وقال لهُ فوّض الى سلمون وابراهام ان يبيعا الى حد الثلث وفوّض داڤيد وجماعتهُ ليشتروا قليلاً ولكنني لا اظن اننا نفلح في باريس لان الفرنسويين يعرفون كل شيء قبلنا وهم ابعد من الانكليز نظراً في العواقب وعلى كل حال لا بدَّ لنا من ان نتظاهر مع المشترين لكي لا نكسر السوق اما الموحد وسائر سندات الحكومة فلا خوف عليها واذا عرضت بنزول اثنين او ثلاثة فلا بأس بالمشترى ولم يكد يتم كلامهُ حتى نظر الثلاثة معاً الى الساعة الكهربائية ونهضوا

وكان اليوم التالي يوماً مذكوراً في الاوراق المصرية لم تشاهد بورصة لندن و باريس مثلهُ وقف سماسرة البيع وسماسرة الشراء داخل السياج وتكأكأ الناس عليهم وكانت جرائد المساء قد نشرت خبراً من مؤداهُ ان انكلترا اتفقت مع فرنسا على بسط حمايتها على مصر نهائياً ٠ ذكرت الخبر كاشاعة من باريس ولم تكفل صحتها — سطراً واحداً نُقِد بعضها عليهِ الوفاً من الجنيهات ونقلتهُ عنها الجرائد الفرنسوية وقرأهُ المشتغلون بالاوراق المالية قبلما فتحت البورصتان ولم تكذبهُ جرائد الصباح فاشتدَّ الحماس وتهافت الناس على مشترى الاوراق المصرية في بورصة لندن فارتفع الاهلي من ٢٤ جنيهاً الى ٢٧ والزراعي من عشرة جنيهات الى اثني عشر جنيهاً والدائرة من ٣٢ الى ٣٩ وتبعتها بقية الاسهم الصغيرة وتابعتها بورصة باريس وبلغ الجنون حدَّهُ في بورصتي مصر والاسكندرية ٠ والمطّلعون على دخائل الامور وقفوا مدهوشين لا يصدقون عيونهم وآذانهم والخدع بعضهم فاعتقد انهُ مخطيءٌ في رأيهِ وان الاحوال سائرة من حسن الى احسن وانهُ لا بدَّ من استمرار هذا الارتفاع في

الاسعار فاندفع مع المشترين وفي آخر النهار بردت السوق قليلاً . وجاء في جرائد المساء ان بعض الذين ربحوا بارتفاع الاسعار مما اشتروهُ في النهار خففوا مراكزهم في المساء وهذا سبب ما حدث من الهبوط القليل وبشَّرت تلك الجرائد بصعود في اليوم التالي . ومضى يومان والاسعار تتراوح بين الصعود والهبوط . وفي مساء اليوم الثالث وقف رئيس مجلس النواب وقال اني اخبر هيئة المجلس والاسف ملء فؤادي ان وكيل حكومتنا في القطر المصري مضطر الى الاستعفاء تبعاً لمشورة الاطباء . وقرأ رسالة منهُ في هذا الصدد ثم عاد الى اطراء اعمالهِ واخلاقهِ وفضَّلهُ على كل رجل من ابناء الامة البريطانية الذين اعلوا منارها

فاخذت اعضاء المجلس دهشة وقال واحد من المتطرفين لجارهِ الم اقل لك اننا نرى النهاية قريباً فقال جارهُ اذاً هذا هو سر الحركة التي رأينا في البورصة منذ ثلاثة ايام الى الآن يا خراب بيتي وفقر عيالي

وأُعلن الخبر في مجلس الاعيان ايضاً فكانت الدهشة اشد . وقال احد الاعيان لجارهِ لورد بري اذاً سيأتي وينازعنا مراكزنا فقال لهُ جارهُ اذا صحَّ ذلك فستضيع كل اموالنا التي وضعناها في مصر كيف عرف ذلك اولئك الشياطين سماسرة البورصة . خربونا خربونا . عندي اسهم وسندات بستين الف جنيه واشتريت اليوم بعشرين الف جنيه باعلى الاسعار اشتريت البنك الاهلي بثمانية وعشرين جنيهاً والدائرة بثمانية وعشرين ايضاً لا بدَّ لي من الذهاب الآن الى السمسار والاتفاق معهُ على البيع غداً قبل هبوط الاسعار . قال ذلك وخرج من المجلس وركب مركبتهُ وذهب توّاً الى مكتب السمسار فلم يجدهُ في مكتبهِ فعاد الى قصرهِ وجلس للعشاء مع زوجتهِ وهو لا يكاد يستطيع ان يفتح فاهُ وينطق بكلمة فسألتهُ زوجتهُ عن امرهِ فاخبرها بواقعة الحال وكان من فقراء الامراء واموالهُ لزوجتهِ ولا يزيد دخلها على ثمانية آلاف جنيه في السنة وثمن ما عندهُ من الاسهم المصرية يبلغ نصف هذه الثروة وكانت زوجتهُ قد عقدت النيَّة على الذهاب معهُ الى اسوج ونروج وقضاء شهرين من اشهر الصيف هناك واوصت جوهريًّا على عقد من اللؤلوء لا يقلُّ ثمنهُ عن ستة آلاف جنيه ورسم لها المهندس قصرًا جديدًا تبلغ نفقات بنائهِ عشرين الف جنيه فاضطربت في امرها واسقط في يدها حتى كاد يغمى عليها ثم قالت لهُ الم اقل لك ما لنا وللاوراق المصرية الم اقل لك ان ابي خسر بها خسارة كبيرة قبل الاحتلال الم اقل لك ما لنا وللمخاطرة باموالنا القليلة

ثم انتبهت الى انهُ لا فائدة من هذا الكلام الآن بل تزيد بهِ نغص زوجها فصمتت برهة ثم تبسمت وقالت لهُ لا بأس يا تشارلي بعْ هذه الاوراق باي سعر كان غداً وانا عدلت

عن السفر وعن العقد وعن البناء ولا اظن اننا نخسر اكثر من عشرين الف جنيه فنوفرها من القصر والعقد ويجب ان نتعلم من هذا الدرس ان لا نخاطر ابدًا

وقضيا بقية السهرة ولم يتكلما الاَّ قليلاً وذهب لورد بري الى سريرهِ وكأَن كابوسًا على صدرهِ يكاد يخطف انفاسهُ فجعل يتقلب في فراشهِ ويحاول التنفس فيرى صدرهُ ضيقًا مضغوطًا وافكارهُ مضطربة تذهب بهِ الف مذهب في الدقيقة من الزمان ولا تستقر على حال فنهض وفتح شباكًا واطل منهُ الى ان برد رأسهُ ثم عاد الى سريرهِ واخذ يحسب ما عندهُ من الاسهم وكم يمكن ان تبلغ خسارتها وهو يلوم نفسهُ لانهُ تصرَّف باموال زوجتهِ ولم يكن يشكّ في حبها لهُ وفي انها لم تقصد تعنيفهُ ولكن كلامها ثقل عليهِ وحاول النوم ولكن طار النوم من عينيهِ وانتقل بافكاره الى ايام صباهُ وما مر بهِ من العبر وكيف اضاع تلك الايام في اللهو والشهوات الى ان ضعف جسمهُ وانتهكت قواهُ ونفدت اموالهُ واضطر اخيرًا ان يتزوج امرأَة اكبر منهُ سنًّا طمعًا بمالها لكي يحفظ مقامهُ بين اقرانهِ. ومرَّت امام ذاكرتهِ البنات اللواتي منَّاهنَّ بالاقتران بهِ ولو لم يكن بوعد صريح ولاسيما الفتاة التي هربت معهُ الى ايطاليا ومرضت فيها فدفنها في مقبرة ميلان

وكانت هذه الافكار تمرُّ في ذاكرتهِ تباعا دراكًا كخيل الرهان او تسير سيرًا وئيدًا كأنها النياق يحملن جندلاً او حديدًا فلا السريع يروي غلة ولا البطيء يكشف غمة. وجعل وريدا صدغيهِ يضربان كالمطارق الى ان كثر الفضول في دمهِ وفعل بهِ فعل الافيون فخدر مشاعرهُ الواحد بعد الآخر وامسى جثة لا حراك بها وكان قد مضى من الليل ثلثاهُ ونهض عند الضحى خائر القوى فقابلتهُ زوجتهُ باسمة ولم تذاكرهُ في الاسهم ولكنهُ شعر كأَن كل لحظة من لحظاتها سهم في فؤادهِ فتأَوه على الثروة الطائلة التي اضاعها بطيشهِ في زمن الصبا ولكن التأَوه لا يردُّ فائتًا

وظهرت جرائد الصباح وفيها خبر استعفاء وكيل انكلترا فطنَّت لهُ الآذان واسقط في يد الذين اشتروا اوراقًا مصرية في الثلاثة الايام الماضية لانهم اشتروها بثمن فاحش وقام في اذهانهم حينئذٍ ان سعرها سيهبط كثيرًا فتهافتوا على البيع في ذلك اليوم ولم يجسر احد ان يسند السوق فهبطت هبوطًا فاحشًا وبلغ الهبوط في بعض الاوراق نحو ثلاثين في المئة في يوم واحد

ولكن الخسائر التي اصابت الناس في البلاد الانكليزية لا تعد شيئًا في جنب ما اصابهم في القطر المصري فان السماسرة حسَّنوا للناس ان الاسعار كلها ستستمر على الارتفاع وسهلوا عليهم المضاربة وساعدتهم البنوك عليها وانشئ بنكان او اكثر لتسليف النقود لاجل

المضاربة فصار الذي معهُ عشرة جنيهات يشتري بها ما يساوي خمسين جنيهاً واغري الناس بالارتفاع الذي توالى في الشهرين السابقين فاعتقدوا انهُ يسير على وتيرة واحدة فلم يحجم احد عن المضاربة وصار من يستهجنها يخشى ان يجاهر باستهجانها بل صار من يُعد جاهلاً بالنسبة اليهِ يعيّرهُ لانهُ لا يعرف اساليب الشغل والكسب . ولما رأى ان كل معارفهِ اشتغلوا وربحوا استجهل نفسهُ ايضاً وحاول مجاراتهم حتى لم يسلم احد من الوزير الكبير الى البقال والغسالة . فكم من وجل رهن اطيانهُ او باع املاكهُ او استدان بطريقة اخرى واشترى اسهماً باضعاف ما معهُ من النقود وكم من امرأة قصدت السمسار واعطتهُ كل ما اقتصدتهُ في حياتها وذخرتهُ لشيخوختها فابتاع لها اسهماً بما يساوي اضعاف النقود التي سلمتهُ اياها . وكم من تاجر اهمل تجارتهُ وجمع كل النقود التي استطاع جمعها واشترى بها ارضاً بوراً لا تساوي شيئاً في غير هذا الوقت . وبعض موظفي الحكومة ادعوا المرض حتى احيلوا على المعاش وجعلوا يقضون الوقت في ساحة البورصة . وكانت الظواهر كلها تدل على ان اسعار كل شيء آخذة في الارتفاع الى ما لاحدَّ لهُ . وبينما الناس غائصون في بحر الاوهام وهم يحسبونهُ ذوب اللجين وبانون احكامهم على الاحلام وهم يظنونها الحق اليقين جعلت الاسعار تهبط في لندن وباريس فذعر الناس في مصر وتهافتوا على البيع وحاول البعض ان يمسكوا السوق بالمواعيد والاماني ولكن الذعر استولى على النفوس فتدهورت الاسعار تدهوراً وهبط بعضها من عشرين جنيهاً الى ثلاثة جنيهات او اربعة والاسهم المعدودة من الطبقة الاولى كالاهلي والزراعي هبطت عشرة في المئة الى عشرين في المئة فطارت اموال الفقراء الذين اشتروا باضعاف ما عندهم

امرأة معيشتها ومعيشة بيتها من ابرتها جمعت في حياتها مئتي جنيه فاشترت بها خمسين سهماً من اسهم البنك الاهلي على امل ان يزيد ثمنهُ اربعة جنيهات فتتضاعف نقودها فهبط السهم اربعة جنيهات في يومين فخسرت كل غرش عندها ثم زاد الهبوط في اليوم الثالث فطالبها السمسار بما زاد لهُ عندها من الخسارة وقس عليها كثيرين من الذين سيقضون بقية عمرهم في الهم والتعب والنصب والتقتير ليفوا الديون التي تراكمت عليهم في بضعة ايام . وتدرج الهبوط الى اراضي البناء فالذي كان يحسب انهُ ربح بصفقة واحدة عشرة آلاف جنيه امسى واصبح فاذا ربحهُ كلهُ قد اضمحل واشرف على الخراب واستولت الكآبة على الناس فلم تعد ترى الا وجوهاً كاسفة واناساً يندبون حظهم او يمنون انفسهم بتغير الحال ويبيتون بين الهموم والاحلام فلاهم يقطعون بالخسارة ولا بالنجاة منها ولا بفرج قريب او بعيد . يعللون انفسهم بالاماني ساعة ثم تتغلب المخاوف عليهم فتوقعهم في القنوط

الفصل الرابع عشر

السر الخفي

الامور المذكورة في الفصل السابق علمتها وسمعت بها وانا مشغول البال بامر اهم منها مشغول بامر لهُ المساس الاكبر باستقلال البلاد وكنت اود ان لا اذكر كلمة عن هذا الامر لولا علاقتهُ بالامور المذكورة في الفصل السابق فانهُ هو سببها والمحدث لها وقد ذكرتهُ هنا لكي اجلو بهِ احدى غوامض التاريخ

دعيت للعشاء عند لورد هارڤي كما تقدم في فصل سابق وكانت الساعة العاشرة صباحاً حينما فارقني المستر مكنزي ومضى ذلك النهار وانا اشعر كمن يكاد قلبهُ يطير من بين جنبيهِ لا لانني لم آكل على مائدة لورد قبل ذلك فانني اكلت على موائد الوزراء واكلت مرةً على المائدة الخديوية ومراراً على مائدة لورد مكنزي بل لان ايتمان لورد هارڤي اياي ووضعهُ هذه الثقة بي جعلاني استكبر نفسي واستعظم شأني هذا من الجهة الواحدة ومن الجهة الاخرى لم اكن اصدّق ما اخبرني بهِ المستر مكنزي وكنت احسب انهُ هو ولورد هارڤي مخدوعان وقد خدعها رجل داهية لغرض سياسي او مالي وكنت افكر في كيف اظهر خداعهُ وفرضت كل الفروض التي يمكن ان تفرض في هذه الحال ثم لمت نفسي لتعجلي في البحث عن امر ساقف على حقيقتهِ بعد ساعات قليلة ولكن المرء مفطور على فرض الفروض وكشف الغوامض

وزارني ابرهيم بك عصر النهار فاجتهدت لا ستلمح منهُ شيئاً عما اخبرني بهِ المستر مكنزي فوجدتهُ لا يعرف شيئاً صريحاً ولكنهُ يعلم ان البلاد مضطربة او ان فيها حركة قوية واناساً يدسُّون الدسائس لا لغرض حميد وقال لي انهُ لا يفهم كيف ان المحتلين يقرّبون اليهم فلاناً وفلاناً وفلاناً وهم من دعائم رجال الثورة ولا كيف يثقون بهم وهم عاملون على اثارة الفتنة في البلاد ولا يفهم ايضاً كيف دخل مناصب الادارة والقضاء اناس لا يضمرون للمحتلين غير البغضاء حتى بعض الانكليز الذين في تلك المناصب يجاهرون بتسفيه رأي حكومتهم وتخطئة سياستها . فقلت لهُ وما رأيك في غير الانكليز من الاجانب لاني احسب انهم هم العاملون على اثارة الفتنة فقال ان معرفتي بهم قليلة ولكن يبلغني ان رجلاً المانيًّا يكثر الاجتماع بالناقمين على المحتلين. فعرفت من يعني ولكنني لم اصدق ان لذلك الرجل يداً في ما بُلّغت عنهُ

ولما طال الكلام في هذا الموضوع خفت ان يملّ ابرهيم بك لحولتهُ الى البحث عن

الاراضي الزراعيَّة والمضاربات وشركة قارون وانتقلت الى الكلام على اولادهِ وسألتهُ هل صمموا النية على السفر الى اوربا فقال انهم لم يصمموا حتى الآن لانهم اشتبكوا باشغال مالية كبيرة يريد تخليصهم منها قبل السفر ولا يعلم هل يستطيع ذلك فان امينًا اشترى كثيرًا من اراضي البناء في هذين اليومين بغير مشورتهِ وعلى ضد رأْيهِ اشتراها لا لحاجتهِ اليها بل بقصد المتاجرة وان شئت فقل المضاربة واذا اراد ان يبنيها لاستغلال ريعها لزمها الوف كثيرة من الجنيهات لانها الفا متر في الاسماعيليَّة وبضعة الوف في الدمرداش وقد وضع فيها كل دراهمهِ ودراهم اخيهِ وكتب عليهِ سندات بالباقي من الثمن ومن المحتمل او المرجح ان اسعارها ترتفع ايضًا خلافًا لرأْيهِ ولكن اذا هبطت كما يخشى فالخسارة كبيرة جدًّا

ثم قال وفوق ذلك فان مسأَلة مس برون شغلت بالنا

فقلت وما هي مسأَلتها فاني استغربت كيف اني لم ارها عندكم منذ ايام

فقال نعم لم ترها وقصتها غريبة وطويلة فشرفنا الليلة فنقصها عليك نزهة لانها وقفت عليها كلها

فقلت اني مدعو الليلة للعشاء في مكان آخر ولكني سأَتشرف بعد يومين او ثلاثة

ثم قام ليذهب ودعاني لاخرج معهُ في مركبتهِ للنزهة فلبيت طلبهُ شاكرًا وسرت معهُ في طريق الجزيرة والجيزة الى سكة الاهرام منتزه اهالي القاهرة في هذه الايام . فقد كان منتزههم منذ عشرين عامًا سكة شبرا كان الخديوي السابق يذهب اليها كل مساء فيتبعهُ نخبة السكان بمركباتهم لكي يحيوهُ ويرى بعضهم بعضًا لا بقصد النزهة واستنشاق الهواء النقي لان المتنزهين لم يكونوا يستنشقون الَّا غبارًا تثيرهُ المركبات . ثم انقطع الناس عن الذهاب الى شبرا بعد وفاتهِ وسكن الخديوي الحالي في سراي القبة فقصدوا دائرة الجزيرة واقاموا على ذلك بضع سنوات والمركبات تسير بهم الهوينا ذهابًا وايابًا حول ميدان الجزيرة الى ان أُصلحت سكة الاهرام فصاروا يقصدونها بمركباتهم ويرجعون في المساء وقد اكتست وجوههم وايديهم كساء من الغبار بل نفذ الغبار ثيابهم وكسا ابدانهم . وزاد الطين بلة بمجيء هذه الاتوموبيلات او السيارات فانها ضربة العمران لاثارة الغبار زوابع واعاصير ولا سيما سيَّارات الشبان الذين يتسابقون بها في يوم جف ماءُ الرشّ فيهِ فلم تعد ترى في ذلك الطريق غير سرادق الغبار ولم تعد تشم غير روائح الزيوت الكريهة التي تشعل في السيارات . اما حديقة الجيزة التي كانت تعطر الارجاء بشذى اريجها فقد مدَّ عليها

مظاهر الخراب هُدم سورها ودُكّ قصرها ويبست اشجارها ورياحينها • ذلك القصر البديع قوّضت اركانهُ واقتلع رخامهُ وامسى ركاماً من الانقاض وتلك الحديقة الغناء يبست خمائلها ولم يبقَ من اشجارها غير المذبة التي وصلت جذورها الى النيل

وقد رأيت ذلك مراراً في الشهر الماضي ولكنهُ لم يؤثر في نفسي كما اثَّر تلك الساعة فان ابرهيم بك كان مشغول البال على ما يظهر فلم يتكلم الاَّ قليلاً وانا كنت قلقاً فلما وقع نظري على خرائب القصر وتذكرت ما كان عليهِ منذ عشرين عاماً وما كان فيهِ من فاخر الاثاث والرياش — بسط الغوبلين الفاخر الذي يندر مثلهُ في قصور الملوك وثريات البلور الكبيرة التي لا يدفع ثمنها الاَّ امير لا قيمة للمال عندهُ كاسمعيل ثم صيرورتهُ متحفاً لآثار الاولين ومعرضاً لما خافوا عليهِ من عيون الانام فغيَّبوهُ في غيابات الجبال واخفوهُ تحت صم الجنادل ولكن ابى الدهر الاَّ ان يفشي سرهم ويكشف سترهم فاستخرجت تلك الرفات من باطن الارض بعد ان استراحت فيها الوفاً من السنين وعرضت لعيون اهل الشرق والغرب وابى طمع الانسان ان يبقيها مستريحة في قصر ملكي لتذكر بهِ مجدها السالف فابتاع القصر هادموهُ وخرَّطوا لارضهِ الخرائط وباعوها قصد بناء المنازل والاكواخ ولا يعلم الاَّ الله متى يعود اليها العمران

وبلغنا سكة الاهرام وشاهدت حقول الحنطة على الجانبين تموج كالبحر الزاخر

فقال لي ابرهيم بك انظر بعهدك هل رأيت مثل جنون الناس في هذه الايام . هذه الحقول التي خلقت لزرع الحنطة ولم تستعمل لغير الزرع من حين اوجدها النيل وكان فدانها لا يساوي عشرين جنيهاً منذ عشر سنوات بيعت الآن بالمتر للبناء فهل عزم الناس على هجران بيوتهم في المدينة وبناء غيرها في هذه الحقول وفي اراضي الدمرداش والقبة والزيتون والمطرية وروض الفرج وكل ارض زراعية حول العاصمة بل في الصحراء الشرقية والجنوبية

فقلت صدقت اني مثلك لا ارى مسوّغاً لهذا العمل واخاف ان يتداعى قريباً

فقال ولماذا تخاف من ذلك هل انت سامع شيئاً

فقلت كلاَّ ولكن لم يحدث تغالٍ مثل هذا في بلاد من البلدان الاَّ عقبهُ الهبوط والفشل

فقال وما قولك في جو السياسة فان الدلائل لا تسرني وهي الآن كما كانت قبل الثورة العرابية تماماً وتنذر بشر قريب

فحاولت ان اكتشف منهُ شيئاً عما اخبرني بهِ المستر مكنزي فوجدت انهُ خالي الذهن

من هذا القبيل ولكنهُ شعر شعورًا عامًّا باضطراب الحال و بان تحت الرماد وميض نار .
وشاهدنا السيدة نزهة واخاها في مركبة اخرى فتبسمت لي كأَنها الزهرة طلعت من خلال
الغيوم ولم تلبث الاَّ طرفة عين لانها لم تكد تنظر اليَّ حتى اطرفت وابعدت بها المركبة عن
نظري فنسيت الموضوع الذي كنت اكلم اباها فيهِ ونسيت معهُ لورد هارفي واضطراب
الاحوال وارتفاع الاسعار وكل المشاغل التي كانت تشغلني عنها وغصت في بحار الافكار
ولم انتبه الاَّ والسائق يزعق و يشتم فان سيَّارة من السيارات كادت تلطم مركبتنا ولولا لطف
الباري لجعلتنا هباءً منثورًا لانها كانت آتية بسرعة لا تقلُّ عن اربعين ميلاً في الساعة
فذعر السائق منها واراد تحويل الجواد من طريقها وكأَنهُ نسي انهُ اذا ادار الجواد شمالاً
فالمركبة تنحرف يمينًا وتقع في طريق الاوتوموبيل ولكن سائق الاوتوموبيل كان امهر منهُ
فادرك ببداهتهِ الخطر قبل وقوعهِ وفي لحظة من الزمان ادار اوتوموبيلهُ فمرق كالسهم ولم
يمس مركبتنا ولكنهُ لم يحد عنها الاَّ شعرة فحمدنا الله على النجاة وقلت في نفسي هذه هي
الثانية والله ينجينا من الثالثة

ولبست في المساء وقصدت دار لورد هارفي فلاقاني غلام الى الباب واخذ ورقة الزيارة
مني ووضعها في صحن من الفضة ودخل ونادى باسمي بصوت جهوري ثم فتح غالقي الباب
الداخلي ونهض لورد هارفي لاستقبالي ودخل المستر مكنزي حينئذٍ وصافحني ولم يستقرَّ بنا
المجلس حتى فرغ جنك العشاء وجلسنا على المائدة وحدنا وافتتح لورد هارفي الكلام فقال

اخبرني المستر مكنزي عنك واظن اني صرت اعرفك كما يعرفك هو وقد فهمتُ منهُ
انك تفضل الحالة الحاضرة لبلادك على كل حالة سواها اي ان نبقي البلاد لاهلها ونساعدهم
مساعدةً في اصلاح شؤُونها وتربية ابنائها الى ان يصيروا كفئًا لتولي شؤُونهم بيدهم كما
نتولى نحن شؤُوننا بيدنا في بلادنا . ولا يخفى عليك ان عشرين سنة وثلاثين سنة لا تكفي
لتربية امة على الحنكة السياسيَّة ولاسيما اذا كان بين ظهرانيها اناس كثيرون من امم مختلفة
ولكلٍّ منهم مصالح خاصَّة ومصالحهم تضارب مصالح اهل البلاد فان الرجل السياسي منا
ينتقل من وكالة سياسيَّة الى اخرى و يتدرَّج من منصب الى آخر عشرين سنة او ثلاثين
سنة حتى يعلمهُ الاختبار وتحنكهُ التجارب فيشرع وعمرهُ عشرون سنة ولا يصلح ان يصير سفيرًا
الاَّ بعد ان يصير عمرهُ خمسين سنة او اكثر . وانتم لو تركناكم وشأْنكم فمن المحتمل ان
تستطيعوا السير وحدكم ولكن المرجح ان الذين لهم مصالح كبيرة في بلادكم يغلبونكم على امركم .
ولو كنتم في بقعة من الارض بعيدة عن اوربا او لو لم يكن للاوربيين مصالح مالية كبيرة في

بلادكم لكان الامر اهون عليكم جدًّا اما وانتم في الحالة التي وجدناكم فيها فيستحيل عليكم ان تنجوا من سيطرة الاوربيين بل تمسون تحت سيطرة دول كثيرة بدل دولة واحدة · وان كبار السن منكم ليذكرون كيف ان وكيل قنصل اصغر دولة من الدول الاوربيَّة كان يأمر وينهى في المديريات بل في العاصمة نفسها كأَنهُ الحاكم بامرهِ . هذا والامر كلهُ كان مفوَّضًا اليكم ولم يكفَّ الطامعون بكم اذاهم عنكم الاَّ خوفًا منا او مجاملة لنا فان لم تصيروا اقوى مما كنتم اضعافًا مضاعفةً صارت حالكم اذا تركناكم اسوأ مما كانت قبل احتلالنا لبلادكم

وكان يتكلم بكلام فصيح منسجم كأَنهُ يملي على كاتب او يخطب على منبر ويعزز معانيهُ بتقوية صوتهِ وتوضيح لفظهِ وكانت هيئة وجههِ وحركات عينيهِ تدلُّ على اخلاصهِ وصدق طويتهِ واتفق اني كنت جالسًا حيث ارى النور واقعًا على وجههِ فاستوضح ملامحهُ كلها

وبعد هذه المقدمة اخبرني بتفاصيل المؤَامرة او الدسيسة وسلمني كل الاوراق المتعلقة بها ثم اعطاني اوراقًا مالية من اوراق البنك الاهلي بالف جنيه وقال انا اعلم انك في غنًى عن المال ولا تريد ان تخدم بلادك مأْجورًا وهذا سننظر فيهِ في فرصة اخرى ولكن لا بدَّ لك من استخدام اناس لنيل مرامك وهؤُلاء لا يخدمون الاَّ مأْجورين وانا مستعد لمقابلتك كل يوم خميس بين الساعة الرابعة والسادسة وفي كل يوم آخر اذا دعت الحال بعد الساعة التاسعة مساء · فاخذت الاوراق كلها ووعدتهُ بان اطَّلع عليها واكتب خلاصتها واردها اليهِ وودَّعتهُ وانصرفت

الفصل الخامس عشر

الاستاذ المبلّغ

رجعت من بيت لورد هارفي الساعة الحادية عشرة وفتحت الاوراق والتقارير السرية وهي طويلة فلم استطيع استيعابها في اقل من ساعتين ولم اكد اصدق عينيَّ لما رأَيت اسماء المشتركين في تلك المؤَامرة وكنت اعد بعضهم من اصدقائي او من الذين انا وهم على معرفة تامة ووفاق تام ولا سيما لما رأَيت اسم امين افندي ابن ابرهيم بك بين اسمائهم فدهشت من ذلك واستعظمتهُ ونهضت الى سريري لعلي أُمتع براحة النوم فاريح دماغي · ولم اكد اضع رأسي على وسادتي حتى غلب عليَّ سلطان الكرى على غير ما انتظرت ولم استيقظ الاَّ وقد تضحوت واظنني حلمت بالثورات والمذابح ولكن لم يبقَ منها في ذاكرتي

الأ اثر طفيف نسيته كله بعد ساعة من الزمان

وكان لورد هارفي قد فوض اليَّ ان استخدم من اشاء وآتمن من اريد . وكنت قد عرفت اسم المبلغ وأخبرهو اني مؤتمن على كشف هذه المؤامرة واحباط مساعي اصحابها وطُلب منهُ ان يأتي اليَّ و يساعدني بكل ما اطلبهُ منهُ وكذلك أُمر حكمدار العاصمة ان يفعل كل ما اشاء

وجاءني المبلّغ نحو الساعة العاشرة صباحًا واسمهُ صائب بك فرحبت بهِ وطلبت منهُ ان يقص عليَّ كيف اكتشف هذه المؤامرة فقال اني لست اول من اكتشفها وهي لم تكتشف اكتشافًا ولكن احد المشتركين فيها اطلعني على سرهم ولعلهُ فعل ذلك مخدوعًا او مستهوًى فاني لحظت منذ شهرين او ثلاثة ان اناسًا مختلفين يترددون على دار في عطفة من عطفات باب الخلق وكنت ساكنًا بالقرب من تلك الدار وبيتي يطل على مدخلها ولكن مدخلهُ من عطفة اخرى في شارع آخر فكنت ارى الذين يدخلون تلك الدار و يخرجون منها وهم لا يرونني وكثيرًا ما شاهدت بينهم اناسًا من الطبقات العليا من سكان العاصمة ومن الاقاليم وبعضهم من الاجانب مستوطني مصر وكنت ارى بينهم استاذًا اعرفهُ و يعرفني فظننت في اول الامر ان هناك ناديًا علميًا لكنني لم ارَ لهُ ولا لما يتلى فيهِ ذكرًا في الجرائد وانت تعلم ان الناس في مصر لا يتكلمون كلمة في نادٍ من الاندية الاَّ ويرسلون بها الى الجرائد لتنشر فيها وقد تنشر قبلما تقال حتى لا تفوت الفائدة احدًا . فاستغربت ذلك ورغبت في كشف الامر وجعلت اراقب الآتين الى تلك الدار من وراء شباك مشبَّك واكتب اسماءهم في دفتري فرأيت انهم لا يزيدون على ثلاثين يتردد بعضهم دائمًا و بعضهم احيانًا وغالب مجيئهم اليها بين الساعة الخامسة والسادسة بعد الظهر وقد يأتون في المساء وقلما يدخلها اثنان معًا

ولما ترجح لي ان المجتمع ليس ناديًا علميًّا او ادبيًّا ظننت انهُ مكان للمقامرة لكنني كنت ارى بين الحضور اثنين من ابخل خلق الله وظننت ان البخل والقمار لا يجتمعان

والتقيت بذلك الاستاذ في احدى القهاوي وتجاذبنا اطراف الحديث وتمنيت امامهُ انشاء نادٍ ادبي نجتمع فيهِ للخطب والمذاكرات العلمية والادبية فتمنَّى ذلك مثلي وذكر حاجة البلاد الى مثل هذه المجتمعات التي توسع المعارف وتؤلف ما بين القلوب ولم يشر الى اجتماعهم بكلمة ولا بحرف فسقيتهُ على حسابي واشرت الى مركبة لاذهب فيها للنزهة ودعوتهُ للذهاب معي فاجاب دعوتي شاكرًا وجعلنا نتكلم عن رجال مصر وذكرت واحدًا من الذين رأيتهم يترددون على تلك الدار واثنين او ثلاثة من غيرهم لأرى تأثير ذلك في

وجههِ فلم ارَ اقل دلالة على ما كنت اتوقعهُ فغيرّت الموضوع وجعلت اتكلّم عن حال مصر العموميَّة والنجاح الباهر الذي نجحتهُ في هذهِ الاثناء . فتأوَّه وقال الا تظن انهُ كلهُ سطحي ألا ترى ان امورنا ليس في يدنا نعم ان امورنا لم يكن في يدنا قبل الاحتلال ولكن انتم الاتراك منا وفينا يأتي الرجل منكم ويقيم في البلاد ويتزوج من اهاليها ويصير منهم لهُ ما لهم وعليهِ ما عليهم اما هؤلاء الاجانب فيستنكفون من الاختلاط بنا ولا يمكن ان يصيروا منا ولا ينفكون عن حسبان انفسهم سادة لنا وانا اعلم انك من اصدقائهم ولا استغرب ذلك لانك من الناقمين على حكومتكم ولكنك لو جرَّبت سلطة الاجنبي لفضلت جور اخوانك على عدلهِ . هذا ونحن الآن في الرقارق ولا نعلم ماذا يفعلون بنا متى وصلنا الى الغمقات وامنوا اعتراض الدول عليهم

فتبسمت وقلت لهُ متى صرت في هذا الحماس كلهِ ألم يزوِ دوك هذه السنة

فقال لا وقد زودوا فلاناً وفلاناً دوني

فقلت ومن الملووم المستشار ام الناظر

فقال لا هذا ولا ذاك بل ناظر مدرستنا فانهُ يطلب الزيادة للذين يريدهم

فقلت اليس هو وطنياً

فقال بلى وطني واي وطني

فقلت اذاً دود الجبن منهُ وفيه

فقال الحق بيدك ولكن الحركة افضل من السكون وكل الذين تحرَّكوا استفادوا انظر الى فلان وفلان فانهم رقوهم كلهم تسكيتاً لهم

فقلت لهُ يا سلام إلى هذا الحد

فقال اقول لك الدنيا كلها مصالح وما من احد الاَّ ويخدم مصلحتهُ

وكأنهُ افاق الى نفسهِ او خاف من انتقادي عليهِ فقال ولكن يجب ان نضع خدمة الوطن فوق كل خدمة

فلم ارد ان اضيع هذه الفرصة بالانتقال الى الكلام المصنع الذي لا يستدل منهُ على شيء ولا يعبِّر عما في النفس فحولتهُ الى الكلام الهزلي وقلت

اين الوطن واين محبة الوطن مصالح كلها مصالح يا اخي وكلهم تجار يتاجرون بنا قصد الكسب هل تعتقد ان فلاناً الذي يضرب على هذه النغمة دائماً في قلبهِ ذرة من حب الوطن الا يمكنك ان تبيعهُ وتشتريهُ بالقرش اسكت يا اخي اسكت ولا تقل لي وطن ووطنية

فقال الحق في يدك ولكن كيف العمل والذي لا يغنّي على هذه النغمة يكفرونهُ

فقلت اي سنة اعطوك آخر زيادة

فقال منذ ثلاث سنوات وكان دوري في الزيادة هذه السنة فاعطاها ناظر المدرسة لزوج اختهِ والمستشار مثالهُ ولا احد يستطيع ان يصل اليهِ ولا ان يشكو اليهِ رأساً

فقلت لهُ اتريد ان اكلمهُ في امرك

فنظر اليَّ مدهوشاً وقال اتعرفهُ هل هو صاحبك اعمل معروف يا اخي

فقلت اني سأفعل في اول فرصة

ولما رجعنا من النزهة هزّ يدي شديداً وذكّرني بوعدي فاكدتهُ لهُ وفعلاً قصدت المستشار في اليوم التالي واخبرتهُ عنهُ فطلب اوراقهُ وفحصها بنفسهِ وتمكن من زيادة راتبهِ ٣٦ جنيهاً في السنة · ولم يكد الخبر يصلهُ حتى طار فرحاً وفتش عني حتى التقى بي ودعاني الى العشاء معهُ في سنت جمس وفتح لي زجاجتي شمبانيا وصرنا من ذلك الحين من اعز الاصدقاء ولم افاتحهُ اولاً باسم الاجتماع مع انني كنت اراهُ يحضر مع الحضور لكنهُ هو اشار الى عدل المحتلين اذا وقفوا على حقيقة الحال والقى اللوم على الذين حولهم الذين يرونهم الابيض اسود والاسود ابيض · فوافقتهُ على ذلك ثم قال لي هل تعرف المستشار من عهد طويل

فقلت نعم اعرفهُ واعرف كثيرين غيرهُ وارى عيوبهم طفيفة بالنسبة الى عيوبنا وجلّ من لا عيب فيهِ ولكن الدنيا مصالح كما قلت لي ولا يبعد ان يكون لبعض الاوربيين مصالح في اخراج المحتلين من البلاد او في اكراههم على اخذها وهم يوغرون الصدور عليهم

فقال اصبت اصبت انا عارف انا اصبت اصبت

وكان قد شرب الزجاجة الاولى وكاد يتم الثانية أما انا فاكره الاشربة الروحية وكنت امص كاسي مصاً اكراماً لهُ فلما تمكنت الخمرة من رأسهِ سهل عليَّ اكتشاف كل شيء ففهمت منهُ انهُ مشترك في جمعيّة سياسية سرية القصد منها تغيير الحالة الحاضرة باية واسطة كانت محللة او محرمة وانهم يجتمعون في دار قرب باب الخلق

وقد لمت نفسي ولا ازال الومها لانني اغتنمت فرصة سكرهِ للوقوف على سرّهِ ولكن الضرورات تبيح المحظورات · وزادت رغبتي في معرفة اسماء الاعضاء كلهم وشركائهم في اوربا والعمل الذي يقصدونهُ والوسائل المؤدّية اليهِ وقلت ان ذلك لا يتم لي الاّ بالوقوف على قانون الجمعية ومحاضر جلساتها وترددت بين ان اغريهُ ليطلعني عليهِ من نفسهِ واكتفيت تلك الليلة بما وقفت عليهِ وعزمت ان ادعوهُ للعشاء في ليلة اخرى واتحيَّن الفرص وما

تكشفهُ وعدت الى بيتي وراقبت مدخل الدار في اليوم التالي فرأيت الاعضاء يفدون اليها حسب العادة وصاحبنا الاستاذ معهم فاقاموا ساعتين وخرجوا ولم اتبين وجوههم حينما خرجوا لان الظلام كان حالكاً وليس في تلك العطفة الاَّ مصباح ضئيل

والتقيت بالاستاذ بعد يومين وقلت لهُ الا تتعشى معي الليلة فقال كلاَّ لا نني مدعو للعشاء عند بعض الاصدقاء . فقلت اذاً غداً فاجاب بالايجاب واتفقنا على ان نتعشى في سنت جمس حسب العادة وجلسنا نتكلم في مواضيع مختلفة واشرت من طرف خفي .الى جمعيتهم السرية فتجاهل امرها كأنهُ لم يفهم شيئاً واتضح لي حينئذٍ ان كل ما اخبرني بهِ في المرة الماضية انما اخبرني بهِ وهو تحت فعل المسكر كأنهُ في حالة الذهول او الاستهواء او في حالة اخرى من حالات الدماغ غير حالتهِ العادية وطرقت الموضوع على اساليب مختلفة حتى تأكدت انهُ خالي الذهن مما جرى لهُ في سكرهِ فقلت في نفسي اذاً الشخص المسؤول للجمعية السرية هو غير الشخص الذي افشى سرها لي وكلٌّ منهما غير مسؤول عما يفعلهُ الآخر فان كان هذا الرجل قد اقسم للجمعيَّة ان لا يبوح لي بسرها فقد ابرَّ بقسمهِ لان الذي باح لي هو شخص آخر غيرهُ وهذا الشخص لم يرتبط بقسم . اي ان في ذلك الرجل ادراكاً عامًّا وعقلين او شخصين ادبيين احدهما الذي اراهُ امامي الآن وهو المشترك في الجمعية السرية والآخر هو الذي ايقظهُ المسكر لما نوَّم هذا وهو الذي اطلعني على مدركاتهِ العمومية فما ضرني لو استخدمت هذا الشخص الآخر لمعرفة كل اسرار الجمعية وانقاذ البلاد من شرها ان كانت تنوي لها شرًّا اوكانت اعمالها تؤول الى الشر ولو عن غير قصد

ووافاني الاستاذ في الميعاد فاكلنا وشربنا واكثرت لهُ من صب الكنياك حتى غاب عن الصواب ودرَّجتهُ في الحديث الى الجمعية وما فعلتهُ حتى الآن وكنت اسألهُ وهو يجيبني طائعاً وانا اعي كلامهُ في ذاكرتي واذا خفت ان انسى شيئاً اكتبهُ في مذكرتي الى ان عرفت منهُ كل الامور التي تراها في هذه الاوراق . ولما رأيت ان المسألة هامة جدًّا لعلو شأن المشتركين فيها لم ارَ لي بدًّا من اطلاع ذوي الشأن على ذلك .وباسرع ما يمكن حتى يتلافوا العلة قبل تمكنها ويردأوا الشر قبل وقوعهِ ولقد سرَّني انهم لجأُوا الى الوسائل السلميَّة على ما يظهر من تفويضهم الامر اليك لتنصح المشتركين بالعدول عمَّا يعود عليهم بالوبال وانا بين يديك ولا اضن عليك بما تظنهُ واجباً لدفع هذا الشر

فشكرتهُ واعدت نظري في الاوراق معهُ واطلعتهُ ايضاً على تقارير غيرهِ من الذين اهتدوا الى شيء مما اهتدى هو اليهِ ولكنهم لم يقفوا على شيء من الحقائق التي وقف هو

عليها وسألتهُ عن الاستاذ وهل يمكن الوقوف على شيء منهُ وهو صاحٍ . فقال كلاَّ ولا يتكلم في هذا الموضوع بصراحة الآَ وهو سكران . فضربت لهُ موعداً نجتمع فيهِ في بيتي فودعني وانصرف

وقت عصارى النهار ومضيت الى بيت ابرهيم بك لعلي اجتمع بامين افندي واقف على شيء منهُ فقابلتني السيدة نزهة بالبشر والايناس على جاري عادتها ولم يكن في البيت غيرها والخدم وعتبت عليَّ لانني اطلت الغيبة عنهم فاكَّدت لها انني كنت مشغولاً جدًّا فقالت نعم و يظهر ذلك من عينيك . ولم اكن قد انتبهت الى شيء غير عاديّ في عينيَّ فقمت الى المرآة ورأيت ان عينيَّ تكادان تغوران في وجهي فقلت لها صدقتِ سهر دائمٌ وهمٌّ مقيم

فتبسمت وقالت سهر دائم اسمعنا الله عنك الاخبار الطيبة اين هذا السهر

فقلت بين المحابر والدفاتر كما تعلمين

فقالت عسى كتاب او رواية او تاريخ عن الفيوم وما فيها من الآثار وانا انتقدهُ لك

فقلت انَّى لي هذا الشرف وانا واثق انكِ تنتقدينهُ مثل اكبر علماء الآثار والتاريخ ولم انسَ الموقف الحرج الذي وضعتِ فيهِ المستر مكنزي لما جادلك في بحيرة قارون وسمكها

فقالت والشيء بالشيء يذكر ماذا جرى لشركة قارون فاننا لم نعد نسمع عنها شيئًا ولا ذكرها المستر مكنزي لنا . هل بلغتك قصة مس برون او السيدة مكدن فقد اكتشفنا اخيرًا انها ابنة السر هنري مكدن وهو من اغنى سراة الانكليز ومن الغريب انني قرأت خبر اختفائها في الجرائد الانكليزيَّة وقرأت وصفها فيها ولكنني لم اظن مطلقًا ان مس برون الساذجة في لبسها وسلوكها يمكن ان تكون ابنة ذلك البارونت المشهور

فاندهلت من كلامها وقلت لها كيف اكتشفتم ذلك ومن اكتشفهُ نعم ان السر هنري كان في مصر وقد رأيتهُ فيها مع لورد مكنزي اخي المستر مكنزي وأرى الآن شبهاً كبيرًا بينهُ وبينها ولكن كيف لم يذكر شيءٌ في الجرائد عن هذه المسألة

فقالت لم يكشف الامر الاَّ منذ بضعة ايام فلم يفت الوقت على الجرائد لتطنطن فيهِ لا سيما وعندنا الآن ثلاث جرائد انكليزيَّة

فقلت لها لا اريد ان اتعبك كثيرًا ولكن كل احد يحب ان يقف على قصَّة غريبة مثل هذه فهل لك ان تقصيها عليَّ او هل اطمع ان مس مكدن نفسها تخبرني بها او هي سرٌّ مكتوم ويجب ان يبقى مكتوماً

فقالت ان القصة لا تخلو من سر وكنت اظن ان النساء وحدهنَّ يهتممنَ باستطلاع

الاخبار واكتشاف الاسرار وان الرجال يترفعون عن ذلك او تشغلهم عنهُ الشواغل

فقلت اضربي ولا ترحمي

فقالت اصبت منك اذًا مكانًا مؤلمًا

قالت ذلك واحمرَّت خجلاً فنسيت المي ووددت ان ترشقني بالف سهم مثل هـذا السهم واري حمرة وجنتيها ولومها لنفسها وغلبتي عليها وقلت لها يا حبذا كل الم منكِ

فاطرقت قليلاً ثم التفتت اليَّ وقالت دعنا من الهزل هل تريد ان تسمع قصتها حقيقة

فقلت ألا تظنين انني اريد ان اسمعها

فقالت انني اعرف ما يشعر بهِ البنات مثلي ولكني لا اعرف ما يشعر بهِ الرجال

فقلت الا تظنين اننا كلنا في الهوى سوى ومن منا لا يحب الوقوف علي الغريب

فقالت اسمع اذًا ولا تنظر اليَّ كثيرًا وانت تسمع لئلا اتلعثم

فقلت اذن اغمض عينيَّ

فقالت يظهر لي انك غير مهتم بسماع القصة فلماذا اتعب نفسي

فقلت لها انت وشأنك حضر امين افندي وهو يقصها عليَّ

ودخل امين افندي حينئذٍ فسلم عليَّ وقال اي قصة قصة مس مكدن او مس برون اني من اول يوم وقع نظري عليها قلت ان لها قصة غريبة فلم يصدقوني · اليس الامر كذلك يا نزهة

فقالت نعم وامين اشدنا فراسة ومع ذلك هو اكثرنا انخداعًا لهذا الحزب الذي يريد ان يقلب الدنيا رأسًا على عقب ولم ترشدهُ فراستهُ الى حقيقة امرهِ

فقال لها اريحي بالك يا ستي فقد صرنا تحت الف رقيب ورقيب وهذه الحال لا تخلصنا ولا بدَّ من ضرب الضربة القاضية فإما علينا وإما لنا · ولكن دعينا الآن من هذا الموضوع وهاتي اخبرينا بقصة مس برون فاني لم استوعبها ولا تتبعتها من اولها

ولما رأيت ان المقام لا يناسب لمذاكرتهِ في امر الجمعيَّة السريَّة نظرت انا ايضًا الى اختهِ نظرة المتوسل وقلت لها اننا كلنا اذان مصغية. ودخل الدكتور يوسف حينئذٍ وعرف اننا في انتظار قصة مس مكدن فقال انهُ يسمعها معنا لانها لم تخبر بتفاصيلها غير اختهِ

فانتصبت السيدة نزهة في كرسيها وتهيأت للكلام وقالت على شرط ان تلوا لي الجبوة اخيرًا فقلت نعم · فقالت اذًا اسمعوا



الفرد رسل ولس



نشان دارون وولس

المقتطف

الجزء الثامن من المجلد الثالث والثلاثين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٤ رجب سنة ١٣٢٦

عيد دارون وولس

مضى خمسون عاماً من حين اشهر دارون وولس مذهبهما المعروف وهو نشوء انواع الاحياء بعضها من بعض بالانتخاب الطبيعي فعيدت الجمعيَّة اللينيوسيَّة عيداً حافلاً تذكاراً لذلك في اول يوليو الماضي وقد وصفتهُ جريدة ناتشر قالت ما خلاصتهُ

في اول يوليو سنة ١٨٥٨ قدم السر تشارلس لَيَل والدكتور جمس هوكر مقالة الى جمعية لينيوس موضوعها «ميل الانواع الى تكوُّن تنوعات وحفظ التنوعات والانواع بواسطة الانتخاب الطبيعي» وهي للمستر تشارلس دارون والمستر الفرد ولس · وتاريخ هذه المقالة معروف لدى كل دارسي علم البيولوجيا فان دارون كان قد اخذ منذ سنوات كثيرة يدرس الانتخاب الطبيعي وتأثيرهُ في اصل الانواع وكان كثيرون من اصدقائهِ يعلمون آراءهُ وما وصل اليهِ بالبحث ولكنهُ كان يستنكف من اشهارها وكان لا يزال يشتغل بجمع الادلة والشواهد واذا بمقالة بعثها اليهِ ولس موضوعها ميل التنوعات الى الابتعاد عن الاصل الذي اشتقت منهُ وفيها آراءٌ ونتائج مثل الآراء والنتائج الذي وصل اليها · فقرأها وارسلها الى السر تشارلس ليَل حسب طلب مؤلفها · وكان ولس قد طلب ايضاً ان تنشر تلك المقالة باسرع ما يمكن · واشار اصدقاءُ دارون عليهِ حينئذٍ ان يكتب خلاصة مباحثهِ في مقالة اخرى وتنشر المقالتان في وقت واحد فتليت خلاصتهما في جمعية لينيوس وكان ذلك بدء الثورة العلمية التي يعجز القلم عن وصفها .

واجتمع المحتفلون في اول يوليو الماضي في قاعة المهندسين الملكيين بوستمنستر وكان عددهم نحو ثلثمئة وخمسين ورحَّب الدكتور سكوت رئيس الجمعيَّة بهم بخطبة وجيزة ثم اهدى

نشان دارون وولس الذي رسمناهُ في صدر هذا الجزء الى ممثلي علم البيولوجيا الذين اختيروا لهذا الاكرام وهم الدكتور الفرد رسل ولس نفسهُ والسر جوزف هوكر والاستاذ ارنست هيكل والاستاذ ادورد ستراسبرجر والاستاذ اوغسط ويسمن والدكتور فرنسيس غالتون والسر راي لنكستر. والنشان الذي أُعطي للدكتور ولس من الذهب وبقية النياشين من الفضة وكلَّم الرئيس كل واحد من الذين منحوا هذه النياشين بما يصلح لهُ وذكر المزايا التي امتاز بها

وتكلم الدكتور ولس في الجواب عن الخطبة التي وُجّهت اليهِ فاشار الى العلاقة التي كانت بينهُ وبين دارون وعن نصيب كلٍّ منهما من مذهب النشوء او الانتخاب الطبيعي وبيَّن ان هذه الفكرة اي فكرة الانتخاب الطبيعي خطرت على بال دارون قبلما خطرت على بالهِ بعشرين سنة وانها خطرت على بال الاثنين لانهما كانا كلاهما يبحثان على اساليب واحدة. ففي صباهما كانا يهتمان بجمع الحشرات ولذلك اضطرَّا ان يريا ما بينها من الاختلاف وان يبحثا عن سبب ذلك ثم لما كبرا عكفا كلاهما على السياحة وجمع الامثلة الطبيعيَّة ومراقبة احوالها وذلك في اغنى بلدان الدنيا بالحيوانات والنباتات فلم يكن لهما بدٌّ من مراقبة تأثير الاقليم في تلك الاحياء واختلافها باختلاف اماكنها ونحو ذلك من الامور المتعلقة بها واخيرًا لما كان عقلاهما قد أُفعما بهذه المعلومات وبما فيها من الغرائب التي يصعب حلها اتَّجه فكراهما الى الاسلوب الذي اوضحهُ ملثوس لمنع زيادة السكان فكان ذلك بمثابة الفرك على عيدان الفصفور فاظهرا منها نورًا هداهما الى الناموس البسيط الشامل لكل ما في الكون ناموس بقاء الاصلح الذي هو السبب الفعَّال لدوام التغيير والتطبيق بين الاحياء كلها

واشار السر جوزف هوكر في خطبتهِ الى ما جعل دارون يوافق على رأْي اصدقائهِ وهو نشر آرائهِ وآراء ولس في مقالة واحدة في الجمعيَّة اللينيوسيَّة قال ولما تليت المقالة كان دارون مريضًا بالحمَّى القرمزيَّة وكانت الدفتيريا منتشرة في عائلتهِ وكان الاجتماع الذي تليت فيهِ آخر اجتماعات ذلك الفصل ولو لم تتلَ فيهِ لأُخرت الى فصل آخر. وقد تلاها سكرتير الجمعيَّة وتكلم السر تشارلس ليل والدكتور هوكر فبيَّنا اهميتها ولكن لم يتباحث الاعضاء فيها لان موضوعها كان جديدًا عليهم وهو عقبة كؤود لا يسهل على المرء التصعيد فيها من غير ان يأخذ اهبتهُ ولاسيما في ذلك العصر

ولم يستطع الاستاذ هيكل ولا الاستاذ ويسمن الحضور لكنهما انابا عنهما من استلم نيشانيهما. وارسل الاستاذ هيكل خطبة وجيزة بيَّن فيها اهمية الانتخاب الآلي ووصف المتحف الذي انشأهُ في مدرسة ينا الجامعة. وتكلم الاستاذ ستراسبرجر عن تأثير المذهب الداروني

في مباحثهِ ومباحث هيكل. واسهب السر راي لنكستر في خطبتهِ واشار الى نصيب هكسلي من المجادلات التي دعا اليها مذهب دارون وولس وقال ان اصول هذا المذهب لا تزال راسخة تمام الرسوخ وكل ما وُجّه اليها من الانتقاد والتمحيص زادها ثبوتًا ورسوخًا وقيمةً في عيون العلماء

وكان في هذا الاجتماع نواب عن المدارس الجامعة في أكسفرد وكمبردج وسنت اندروز وغلاسكو وابردين وادنبرج ودرهم ولندن ومنشستر وويلس وبرمنام ولفربول وليدس وشفيلد ونتنام وبرستل. وعن كل الجمعيات العلمية والفلسفيَّة اي انهُ كان حاويًا نخبة علماء الانكليز كثيرين من نخبة العلماء الاوربيين . وتكلم الدكتور فرنسيس دارون والسر ثسلتون دير ونيابةً عن المدارس الجامعة والاستاذ لنبرج والسر ارتشبلد غيكي نيابةً عن الجمعيات العلمية . وختم لورد افبري الاحتفال بخطبة نفيسة كان لها اعظم وقع في النفوس لانهُ كان صديقًا حميمًا لدارون فوصفهُ كما كان يراهُ في بيتهِ وبين كتبهِ ونباتاتهِ ومما ذكرهُ ان البستاني الذي كان يعتني بحديقة دارون كان يشفق عليهِ لان ليس لهُ عمل يشغلهُ فيقضي وقتهُ ماشيًا في الحديقة مراقبًا ازهارها

هذا وقد ولد الدكتور ولس في اوائل سنة ١٨٢٣ فهو الآن في السادسة والثمانين من عمرهِ ولا يزال يبحث ويؤلف ويجادل ويناضل وقد كتب تاريخ حياتهِ ونشرهُ سنة ١٩٠٥ وقال فيهِ انهُ تعلم اولاً ليكون مهندسًا مساحًا وبنَّاء واشتغل في ذلك الى ان صار عمرهُ ٢٣ سنة ثم انقطع للبحث في التاريخ الطبيعي فاقام اربع سنوات على ضفاف الامازون في اميركا الجنوبيَّة وثماني سنوات في جزائر ملقًا وجمع مجموعات حيوانيَّة كبيرة جدًّا واوصلهُ بحثهُ وهو هناك الى القول بالنشوء بواسطة الانتخاب الطبيعي من غير ان يكون عارفًا ان دارون بحث هذا البحث ووصل الى هذه النتيجة . والف مؤلفات كثيرة في المواضيع الطبيعيَّة وهو الواضع لعلم توزع الحيوانات الجغرافي ومن مؤلفاتهِ المشهورة اسفارهُ في الامازون . ونخل الامازون . وارخبيل ملقا . ومذهب الانتخاب الطبيعي. وتوزع الحيوانات الجغرافي. والطبيعة في البلدان الاستوائيَّة . واسترالازيا . والحياة في الجزائر . والمذهب الداروني . ومقام الانسان في العالم . والقرن الغريب . ولهُ مباحث في السبرتزم تدل على انهُ من المصدقين بوجود الارواح ومن الذين تخدعهم حيل المشعوذين كما ترى في مقالة اخرى في هذا الجزء . وقد الف في العام الماضي كتابًا موضوعهُ هل يمكن السكن في المريخ (Is Mars Habitable) اثبت فيهِ بادلة كثيرة ان المريخ لا يسكن

اسباب الاحتلال البريطاني

(٥)

بدأ لورد كرومر الفصل الحادي عشر من كتابهِ بكلام قالهُ السرجون برويننغ سنة سنة ١٨٤٠ ومفادهُ ان السلطة في القطر المصري بيد الاتراك ولو كان عددهم قليلاً . ثم قال ان الامر بقي كذلك الى سنة ١٨٨١ ولو زاد عدد المصريين في مناصب الحكومة وكانت الزيادة كثيرة في ضباط الجيش حتى ضعف شأن البقية الباقية من الاتراك والشراكسة

ثم ان كثيرين من الضباط الذين احيلوا على الاستيداع سنة ١٨٧٨ كانوا مصريين فعلت الشكوى من هذا القبيل وزادت لان المساعي التي بُذلت لاصلاح شؤُون الادارة لم يبذل شيء منها لاصلاح شأن الجنود وضباطهم فاعربوا عن شكواهم بعريضة رفعها اثنان منهم الى رياض باشا في ١٥ يناير سنة ١٨٨١

وكان بين الضباط الشاكين رجل اسمهُ احمد عرابي كان امير الالاي الرابع من المشاة فتصدَّر في هذه الحركة ولكن المحرك الاول لكتابة العريضة كان الامير الاي علي بك فهمي وكانت اورطتهُ مرموقة بعين الرضا الخاص من الجناب الخديوي وكان لها حراسة سراي عابدين ولكن فترت مودة الخديوي لهُ قبل ذلك . واهالي مصر يحسبون ان مَن تفتر محبة رئيسهِ لهُ فهو في خطر مبين ولذلك اخذ علي بك فهمي يهتم بتعضيد مركزهِ فجاهر انهُ مضى الزمن الذي كان الضباط المصريون يعاملون فيهِ سوء المعاملة ويرفتون او ينفون من غير ان يسأل احد عنهم واستخدم هذه المجاهرة لتعضيد مركزهِ

ومدار العريضة المشار اليها آنفاً على الشكوى من ناظر الحربيَّة عثمان باشا رفقي لانهُ ظلم الضباط المصريين في امر الترقي فعاملهم كأَنهم اعداؤُهُ او كأَن الله ارسلهُ لينتقم من المصريين . وكان بعض الضباط قد رُفتوا من غير تحقيق قانوني فطلب مقدما العريضة امرين الاول عزل ناظر الحربيَّة لانهُ غير اهل لهذا المنصب والثاني البحث عن استحقاق الذين ترقوا من الضباط لانهُ لا شيءَ يجب ان يؤَهل الضابط للترقي الاَّ علمهُ واستحقاقهُ . قالوا ونحن من هذا القبيل احق بالترقي من الذين ترقوا . وكان رياض باشا يجهل نظام العسكرية فحاول ان يقنع اللذين قدماها لهُ ليسترجعاها ووعدهما بانهُ يحقق الشكاوي المذكورة فيها وامهلهما اسبوعين في استردادها . وعرف الضباط ان الخديوي والاتراك الذين يحيطون بهِ نظروا الى

العريضة بعين السخط وأخبر رياض باشا ان تهاونهُ بهذه المسألة اوقع الشك في نفس الخديوي من قبلهِ ولذلك رأى ان لا بد لهُ من الفصل فيها فعرضها على مجلس النظار الذي التأم برئاسة الخديوي في ٣٠ يناير وقد مُنع السر اكلند كولفن والمسيو ده بلنير من حضور تلك الجلسة وهذا عين الخطإ . فرفض المجلس اجابة طلب الضباط رفضاً باتاً واجمع على محاكمة ثلاثة منهم في مجلس عسكري وهم الاميرالاي محمد بك عرابي والاميرالاي علي بك فهمي والاميرالاي عبد العال بك ثم ينظر في شكاويهم وصدر الامر بذلك وبموجبهِ دعي الضباط الثلاثة الى نظارة الحربيَّة في اول فبراير

ومن مزايا الحكومة المصرية انهُ لا يكتم فيها سرٌّ فبلغ الضباط ما قرَّ عليهِ مجلس النظار فدبروا التدابير اللازمة ومفادها انهُ اذا لم يرجع الضباط من نظارة الحربية بعد ساعتين من ذهابهم اليها فالالاياتهم تتبعهم وتنقذهم بالقوة وأُرسلت الاخبار الى الالاي المقيم في طره ليكون على استعداد

ودعي الضباط الثلاثة الى نظارة الحربيَّة بدعوى النظر في الاحتفال الذي يراد اقامتهُ لزواج احدى الاميرات فحضروا ولما وصلوا اوقفوا وابتدأت محاكمتهم وبينما كانت المحاكمة جارية هجمت الجنود على نظارة الحربيَّة ودخل ضباطهم الغرفة التي فيها المجلس العسكري واهانوا ناظر الحربيَّة واتلفوا الاثاث وانقذوا ضباطهم وساروا بانتظام الى سراي عابدين وطلبوا من الخديوي ان يعزل ناظر الحربيَّة. فاجتمع النظار حالاً حول الخديوي هم وبعض كبار الموظفين واشار بعضهم بمقاومة القوة بالقوة ولكن كانت روح التمرُّد قد انتشرت في الجيش كلهِ الاَّ في الارطة المقيمة في العباسية ولذلك فمقاومة القوة بالقوة ضرب من المحال . فاستدعى الخديوي اولئك الضباط واخبرهم انهُ عزل عثمان باشا رفقي وعيَّن محمود باشا البارودي ناظرًا للحربية بدلاً منهُ . فسرُّوا بهذا التعيين وانصرف الجنود وسادت السكينة وتُرك الضباط في مناصبهم فطلبوا مقابلة الخديوي وطلبوا منهُ العفو عمَّا صدر منهم واكدوا لهُ صدق ولائهم فعفا عنهم

هذا هو التمرُّد الثاني وقد نشأ كما نشأ التمرُّد الاول من شكاوى صحيحة لم يلتفت اليها. والظاهر ان الخديوي نفسهُ مسؤُول عما جرى من سوء التدبير فانهُ كان يجب عليهِ اما ان يضم اليهِ قوة تكفي لسحق المتمردين وإما ان يراضي الضباط قبلما يلجأُون الى التمرد ولكنهُ لم يفعل هذا ولا ذاك . اما الاسلوب الذي جرى عليهِ وهو خدع الضباط وقصاصهم من غير قوة يعتمد عليها في اجراء مقاصدهِ فابعد الاساليب عن الصواب

ورسخ في عقول الضباط والجنود حينئذٍ انهم ينالون كل ما يطلبونهُ اذا طلبوهُ بعزيمة والاَّ تمردوا وثاروا وهذا هيأهم للتمرد الثالث. وظهر حينئذٍ كأَن ثورة الافكار خمدت ولكن النار كانت مخبوءة تحت الرماد من الطرفين فالخديوي ونظارهُ كانوا يخافون ان يحلوا الالايات التي اظهرت روح التمرد او ان يبعدوها عن العاصمة والضباط كانوا يخافون سوء العاقبة ولو ظهر ان الفوز كان لهم حينئذٍ فانهم كانوا يعتقدون ان الخديوي يغتنم اول فرصة لمعاقبتهم. وكانت نقمتهم على رياض باشا اشد من نقمتهم على الخديوي واخذوا يسعون في قلب الوزارة بالدسائس وساعدهم البارون ده رنج قنصل فرنسا الجنرال في سعيهم هذا فزاد حرج الموقف وطلب رياض باشا ان يعفى من منصبهِ ولكنهُ أُقنع بالبقاء فيهِ. واخيرًا كتب الخديوي الى رئيس الجمهورية الفرنسوية يشكو من تصرف البارون ده رنج فاستدعتهُ حكومتهُ من مصر. واستدعى الخديوي كبار الضباط واعرب لهم عن ثقتهِ برياض باشا واثنى عليهِ ثناءً كثيرًا. وكانت رواتب الضباط والمستودعين قد زيدت واعلن الخديوي انهُ من ذلك الوقت فصاعدًا تكون معاملة الضباط كلهم على طريقة واحدة سواءٌ كانوا من الاتراك او الشراكسة او المصريين

فهذه الوسائل اصلحت مركز الوزارة ولكن الضباط لم يأْمنوا جانبها لانهم لم ينسوا عهد اسمعيل باشا. وزاد الخلل يومًا فيومًا فعيِّنت لجنة للنظر في شكاوي الجيش وكان عرابي من اعضائها فكلَّم ناظر الحربيَّة كلامًا ثقيلاً

وفي شهر يوليو صدمت مركبة رجلاً من رجال المدفعيَّة في احد شوارع الاسكندرية وقتلتهُ فحملهُ رفاقهُ الى سراي الخديوي ودخلوها عنوة فحوكموا وحكم على زعمائهم. وفي نحو ذلك الوقت اشتكى تسعة عشر ضابطاً من الاميرالاي عبد العال فحققت الشكوى ووجدت باطلة فرفت الضباط من الخدمة لكن الخديوي ردهم الى مناصبهم فاستاءَ امراء الالايات من ردهم وقالوا ان الخديوي قصد بذلك ان يضعف سلطتنا على الضباط الذين تحتنا. ثم عزل الخديوي ناظر الحربيَّة محمود باشا البارودي وعين داود باشا بدلاً منهُ فاغتاظ الضباط من ذلك. ولم يكن اعضاء النظارة على اتم الوفاق بعضهم مع بعض ووقع الخلاف بين رياض باشا والمسيو دو بلنير وشاع ان الخديوي عازم على اعفاء رياض باشا وتنصيب شريف باشا بدلاً منهُ الاَّ ان رياض باشا كان واثقًا ان الامور كلها جارية على ما يرام

قال السر ادورد ملت ان الخديوي والنظار كانوا يحسبون ان الامور كلها جارية على ما يرام وشاع حينئذٍ ان الخديوي استفتى شيخ الاسلام في قتل الضباط لانهم خانوهُ وهي اشاعة كاذبة لا اصل لها ولكن الناس صدقوها وجعلت شيخ الاسلام في مركز حرج.

ويقال ان الجواسيس كانوا مبثوثين حول بيوت امراء الالايات وفي ٨ سبتمبر اتى رجل الى بيت عرابي وطلب الدخول اليهِ فلم يأذن لهُ ثم ظهر انهُ ذهب الى المحافظة فرسخ في عقل عرابي ان المراد اغتيالهُ فذهب الى رفيقيهِ فوجد انهما في خوف من الاغتيال مثلهُ

وفي اليوم التالي أُمر الالاي الثالث بمغادرة القاهرة الى الاسكندرية فثار الجنود وجاء عرابي بالفين وخمس مئة من رجالهِ و١٨ مدفعاً الى ساحة عابدين وكان الخديوي في سراي الاسمعيلية فاستدعى السر اكلند كولفن اليهِ واخبرهُ بواقعة الحال واستشارهُ في ما يفعل فقال السر اكلند اني اشرت عليهِ ان يستدعي الالايين اللذين قال رياض باشا انهما باقيان على ولائهِ ويجمع كل قوة البوليس التي يمكن جمعها ويحضر بالجميع الى سراي عابدين ويقبض على عرابي فقال لي ان الطوبجية والفرسان مع عرابي ومن المحتمل انهُ يأمرهم باطلاق النار. فقلت لهُ ان عرابي لا يتجاسر على ذلك وانهُ اذا استطاع ان يفعل كما قلت لهُ فالمرجح انهُ يقمع هذه الثورة حالاً والاَّ قضي الامر . وكان ستون باشا حاضرًا فصادق على ما قلتهُ وحضر السر تشارلس كوكسن فوافق على ما قلتهُ ايضاً ثم عاد الى الوكالة البريطانية وارسل تلغرافاً بما حدث الى الحكومة الانكليزية. وتبعت الخديوي انا والنظار وخمسة او ستة من الضباط المصريين وستون باشا فذهبنا اولاً الى قشلاق عابدين خلف الالاي الذي فيهِ يمين الطاعة ثم سرنا الى القلعة ورأينا الالاي الذي فيها وبلغنا انهُ كان يتخابر مع الالاي الذي في العباسية بالاشارات وهو الاي عرابي وقال الخديوي انهُ عازم على الذهاب الى العباسية فحثثتهُ على العودة الى عابدين بالالاي الذي في القلعة لكنهُ فضَّل الذهاب الى العباسية اولاً ففعل ووجدنا ان عرابي كان قد سار بالالاي فعاد الخديوي الى سراي عابدين ودخلها من باب جانبي. ولما وصلنا نزلت من مركبتي وحثثتهُ لكي لا يدخل السراي بل يذهب الى الساحة توًّا ففعل ومشينا الى الساحة ووراءنا اربعة او خمسة من الضباط الوطنيين وستون باشا وضابط او اثنان من الضباط الاوربيين وكانت الجنود قد اصطفت في الساحة كلها فمشى الخديوي بقدم راسخة الى جماعة من الضباط كانوا في وسطها بعضهم مشاة وبعضهم فرسان فقلت لهُ مر عرابي حينما يقف بين يديك ان يعطيك سيفهُ ثم مرَّ على الجنود وكلّم كل الاي على حدتهِ ومُرْهُ بالانصراف. وتقدم عرابي من الخديوي وهو على ظهر جوادهِ فامرهُ الخديوي ان يترجَّل عنهُ فترجَّل ودنا من الخديوي ماشياً ومعهُ غيرهُ من الضباط وحرس حرابهُ في بنادقهِ وسلَّم فقلت للخديوي الآن هي الفرصة المناسبة فقال ان النار تحيط بنا من الجهات الاربع فقلت لهُ تشجَّع . فكلّم ضابطاً وطنيًّا واقفاً الى يسارهِ ثم قال لي ماذا افعل فاننا

بين اربع نيران فيقتلوننا . لكنهُ امر عرابي ان يغمد سيفهُ فاطاع امرهُ فسألهُ ما معنى هذا العمل فاجاب ان الجيش جاء الى هنا باسم الشعب المصري طالباً ثلاثة امور ولا ينصرف الاَّ بعد الحصول عليها . فالتفت الخديوي اليَّ وقال اسمع ماذا يقول . فقلت لهُ لا يليق بخديوي مصر ان يبحث مع ضباط جيشهِ في هذه المسائل . واشرت عليهِ ان يرجع الى السراي ويتركني لاكلمهم ففعل وبقيت انا مع الضباط نحو ساعة الى ان وصل السر تشارلس كوكسن وبيَّن لهم خطارة الموقف الذي هم فيهِ وحثهم على الرجوع بجنودهم قبل فوات الفرصة "

اما المطالب الثلاثة التي اشار اليها السر اكلند كولفن فهي اولاً عزل الوزارة الحاضرة وثانياً منح البلاد مجلس نواب وثالثاً زيادة عدد الجيش حتى يبلغ ١٨٠٠٠

وبعد الاخذ والرد وافق الخديوي على عزل الوزارة ومنح الطلبين الآخرين اذا وافق الباب العالي على ذلك . فرضي عرابي ووقع الخلاف على من يعيَّن رئيساً للنظار فان الخديوي ذكر اسماً او اسمين فلم يوافق عرابي ورفاقهُ عليهما واخيراً قال الخديوي انهُ يعين شريف باشا فوافق الجميع على ذلك وصرخ الجنود ليعش افندينا وطلب عرابي ان يؤذن لهُ في مقابلة الخديوي واظهار طاعتهِ لهُ فاذن لهُ ولسائر امراء الالايات في ذلك وعاد الجنود الى قشلاقاتهم على تمام الانتظام

ولم يكن اقناع شريف باشا بقبول الوزارة بالامر السهل لانهُ قال انهُ لا يقبل وزارة دعاهُ اليها جند متمرّد واجتهد السر تشارلس كوكسن والمسيو سينكفتس (قنصل فرنسا الجنرال) والسر اكلند كولفن حتى اقنعوهُ بقبول الوزارة ولكنهُ اشترط اولاً ان تذهب الآلايات الى الاماكن التي أُمرت بالذهاب اليها فرفض الضباط ذلك ورفض شريف باشا تشكيل الوزارة

وكان عرابي قد استدعى اعضاء مجلس الاعيان فلما حضروا الى العاصمة مضوا الى شريف باشا وتوسلوا اليهِ ان يقبل الوزارة وهم يضمنون لهُ ان الجنود تطيع اوامرهُ طاعة تامَّة . فهذا ادهش الضباط واضطرَّ عرابي ورفاقهُ ان يظهروا الخضوع التام لشريف باشا مشترطين شرطين فقط وهما ارجاع محمود باشا سامي الى منصبهِ واجراء القانون العسكري الذي اقرَّت عليهِ اللجنة حديثاً . ولم يقبل شريف باشا بهذين الشرطين الاَّ بعد عناء كثير وحفظ لنفسهِ الحق بان يزيد عدد الجيش الى ١٨ الفاً او لا يزيدهُ

الحرير الصناعي

رأينا منذ مدة نسيجاً يشبه الحرير في شكلهِ وملمسهِ ويفوقهُ في لمعانهِ حتى لقد تظن الاصفر منهُ خيوطاً ذهبية منسوجة معهُ · ولم نكد نمعن نظرنا فيهِ حتى قلنا انهُ ليس حريراً واثبتنا ذلك بحرق بعض خيوطهِ فاحترقت ولم نفح منها رائحة الحرير المحروق وهي كرائحة الصوف المحروق او اللحم المحروق مع ان الذي باعهُ باعهُ حريراً والتي اشترتهُ اشترتهُ حريراً ثم فصلتهُ وخاطتهُ ثوباً لها · ولم تمضِ عليهِ الاَّ اسابيع قليلة حتى بليت خيوطهُ اللامعة وتلاها ما بعدها فضاع فيهِ ثمنهُ واجرة خياطتهِ · ومن المحتمل ان كثيرين من الباعة يبيعون الحرير الصناعي كانهُ حرير طبيعي فيخدعون المشتري ويأخذون اموالهُ غشاً فرأينا ان نثبت هذه المقالة لعلها تنقذ قرَّاءها من مثل هذا الخداع وتوقفهم على حقيقةٍ في الوقوف عليها فائدة وفكاهة

قال المسيو رومير الطبيعي الفرنسوي منذ سنة ١٧٣٤ ان الحرير خيوط من صمغ طبيعي جفَّ وصلُب فيمكن تقليدهُ باخراج مادة صمغيَّة من ثقب دقيق حتى تخرج خيوطاً دقيقة وتجف فتصير خيوطاً متينة كالحرير · ولكن هذا القول طُرِح في زوايا النسيان ولم يُلتفت اليهِ الاَّ بعد مرور ١٢٠ عاماً ففي سنة ١٨٥٥ نال بعضهم امتيازاً في البلاد الانكليزية لعمل خيوط دقيقة من السلولوس اي مادة الخشب فانهُ كان يذيب الالياف المستخرجة من قشر قضبان التوت في الالكحول والايثير ويمزج مذوبها بمذوب الصمغ الهندي ويخرج خيطاً دقيقاً من هذا المزيج ويلفهُ على وشيعة فيكون منهُ خيط دقيق كالحرير · ومن ثم تعدَّدت الاساليب لعمل هذه الخيوط واكثر الاختلاف بينها قائم في كيفيَّة استخراجها لا في كيفيَّة عمل المزيج الذي تستخرج منهُ اي ان الاساليب كانت آليَّة لا كيماوية

وكثير من الياف النبات يشبه القطن في تركيبهِ الكيماوي ويفوقهُ في لمعانهِ ولمعانهُ يشبه لمعان الحرير ولكنهُ ليس متيناً كالحرير ولا كالقطن فيقوم مقام الحرير لولا وهنهُ · والياف القطن اذا نقعت في مادة قلويَّة ومطَّت زال ما فيها من التجعُّد وصارت لامعة وهي الطريقة المعروفة بالمرسرة نسبة الى مرسر الذي استنبطها والقطن المعالج بها يصير لامعاً كالحرير تقريباً ولا يخسر شيئاً من متانتهِ وكذلك تصير الياف الجوت لامعة كخيوط الحرير اذا غطست في مذوب الصودا الكاوي برهة وجيزة ثم غسلت بالماء · ولكن الياف القطن والجوت تبقى اغلظ من الياف الحرير واما الياف الحرير الصناعي فيمكن صنعها دقيقة جدًّا كالياف الحرير الطبيعي ولم يتمكَّن صناعها من ذلك الاَّ بعد العناء الكثير والتغلب على مشقات جمة

والمواد التي يصنع منها الحرير الصناعي مختلفة وكذلك طرقهُ مختلفة فمنها طريقة شاردون لاستخراج الحرير الصناعي من القطن او رب الخشب بتحويلهِ الى نيتروسلولوس ثم باذابتهِ في الالكحول والايثير تحت ضغط شديد فيكون منهُ سائل لزج يوضع في حياض ويدفع من انابيب زجاجيَّة دقيقة فتحة كلّ منها لا تزيد على واحد من مئة من المليمتر فتخرج منهُ خيوط دقيقة جدًّا كخيوط الحرير وتجفف في طريقها وتلفُّ على الوشائع كل اربعة او ستة معًا وتجاز في مذوب كبريتيد الامونيوم لكي يزول النيتروجين منها حتى لا تعود تلتهب كقطن البارود بل تصير اقل التهابًا من القطن الطبيعي ثم تصبغ بما يراد من الاصباغ

وعندهم طرق اخرى لاذابة المواد الخشبيَّة وجعلها خيوطًا دقيقة كالحرير ومبدأُها كلها واحد وهو تحويلها الى مذوَّب سلوس لزج ثم نزع المادة التي ذوبتها بعد حلها خيوطًا دقيقة

وسنة ١٨٩٤ نال بعضهم امتيازًا بعمل مادة تشبه الحرير في تركيبها وهي مادة جلاتينية تخرَج من ثقوب دقيقة فتخرج منها خيوطًا دقيقة كالحرير ثم تعرَّض لبخار كحولي يمنع ذوبانها في الماء . ويمكن صبغ هذه الخيوط باي لون اريد لكن الحرير يفضلها كثيرًا بمتانتهِ ولاسيما اذا بلَّت بالماء فان متانتها تقلُّ جدًّا حينئذٍ . ونسبة متانة الحرير الطبيعي الى متانة الحرير المصنوع من سلوس القطن او الخشب كنسبة ٣٨ الى ١٧ اذا كان الثاني جافًّا وكنسبة ٣٨ الى ٣ فقط اذا كان الثاني رطبًا . ثم ان الحرير المصنوع من السلولوس يكون امتن من الحرير المصنوع من الجلاتين اذا كان الاثنان رطبين لكن الحريرين الصناعيين السلولوسي والجلاتيني اذا كانا جافين فهما امتن من الحرير الطبيعي المثقَّل بالاصباغ التي تحرقهُ حرقًا كما هو جارٍ الآن فقد رأَينا منسوجات حريرية سوداء بليت من نفسها وهي معلقة في الخزائن لان الزاج المصبوغة بهِ حرقها حرقًا

ولبعض انواع الحرير الصناعي لمعان واشراق كعنق الحمام وكلهُ اخشن ملمسًا من الحرير الطبيعي

واذا حرق الحرير الصناعي الذي ليس فيهِ جلاتين احترق بسهولة كالقطن ولم تخرج منهُ رائحة تشبه رائحة الحرير الطبيعي وهذا اسهل مميز لهُ واما الحرير الصناعي الجلاتيني فتفوح منهُ اذا حُرق رائحة كرائحة الحرير الطبيعي فيلتبس بهِ من هذا القبيل ولكن عملهُ قليل لقلة متانتهِ ولاسيما اذا بلَّ بالماء

ويمكن تمييز الحرير الصناعي من الطبيعي برؤْيتهِ بالمكرسكوب وببعض المواد الكيماوية مثال ذلك ان مذوَّب اكسيد النحاس النشادري يذيب الحرير الطبيعي والصناعي ولكن اذا اضيف

مالا الى المذوب يرسب السلولوس الذي في الحرير الصناعي واما الحرير الطبيعي فلا يرسب منهُ شيء

وحتى الآن لم يكثر استعمال الحرير الصناعي في المنسوجات التي تصنع الثياب منها لقلة متانتهِ ولكن كثر استعمالهُ في المنسوجات التي تستعمل للفرش والستائر وفي الشرائط المختلفة لرخص ثمنهِ وشدة لمعانهِ

ويظهر لنا ان بعض جالبي المنسوجات من اوربا يجلبون منسوجات كلها او بعضها من الحرير الصناعي و يبيعونها كأنها حرير طبيعي فيخدعون المشترين . ويحق للمشترين ان يطلبوا من الحكومة ان تفتش عن المنسوجات وتجبر باعتها ان يعلنوا حقيقتها

الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني

(٣) المتفنن

لما كانت المطبعة الاميركية في بيروت من اول آثار صنائع الغرب في الشرق وكان والدهُ مصححاً لمطبوعاتها استمالتهُ الى الصناعة وروت مجلة الهلال انهُ حفر معدَّات روزنامة كانت اول ما صدر بالعربية من نوعها وتنبه الى وضع الحروف والفن الخط والتصوير الشمسي والتصوير بالالوان الزيتية وبلغ من تأنقهِ في ذلك انهُ صوَّر ذاتهُ في المرآة وصوَّر والدهُ وبعض اخوتهِ والطبيب يوسف الجلخ وغيرهم وكان ماهرًا بالضرب على الآلات الموسيقيَّة

وكان فوق ذلك شقيقهُ الشيخ نصار حاذقاً بصناعة الصياغة والمترجم يختلف اليهِ و يساعدهُ في الرسم والنقش وما شاكل كما المعنا الى ذلك فبرع في الحفر. ومن مبتكراتهِ بهذه الصناعة وضعهُ حرفاً جديداً للطبع لا يتجاوز عدد صورهِ الاصلية اثنتين وستين صورة وانواعها مائة لا غير مع ان الحروف العادية يتجاوز عدد صورها مائتين وخمسين شكلاً وانواعها نحو الف ومائتين واذا كانت الحروف مشكلة بلغت الفاً وست مائة نوع الى ما فوق وفي ذلك ما فيهِ من الاقتصاد . وقد نشر اعلانات بهذا الحرف في جريدتي لسان الحال والاحوال وطبع بهِ شرح كتابهِ نجعة الرائد الذي نشر معظم الجزء الاول منهُ بالمطبعة الادبية قبل مغادرتهِ لسورية سنة ١٨٩٤ فاحترق بنكبة تلك المطبعة وهو في اوربا ثم اهمل هذا الحرف لعدم اقبالنا على الجديد

وسنة ١٨٨٦ كانت حروف المطابع العربية في سورية محصورة بالجنس الاميركي فقط

فاتفق المترجم مع جناب الصحافي الهمام عزتلو خليل افندي سركيس على ان يصنع لمطبعتهِ الادبيَّة الحرف الاسلامبولي على اختلاف اشكالهِ فصنع اولاً الجنسين الاول والثاني ثم تطرَّق الى سائر الحروف كالحرف الثلث الاكبر والسميك والثاني والفارسي الثالث والثاني والاول فكان مسبك تلك المطبعة اول ما سبك اكبر حرف بالعربية بل اول ما سبك الحرف الفارسي للطباعة بانواعهِ الثلاثة وكلها شائعة الآن في سورية ومصر. ولما حلَّ القاهرة عمل حرفاً متوسط القياس بين الحروف الكبرى والصغرى يعرف بحرف (بنط ٢٠) شاع في مصر وهو الذي طبع بهِ مجلتي البيان والضياء وكثيراً من الكتب

وقد وضع الروم اي الحركات المتداخلة للفظ الحروف الافرنجيَّة واستعملها في الضياء الى غير ذلك مما يشهد بحذقهِ في الصناعة وانهُ لم يكن دون حذقهِ بالمعارف

الخاتمة

هذا هو الشيخ ابرهيم اليازجي المشهور بطيب المخالقة وفكاهة المجالسة كان كاتباً شاعراً مؤلفاً مصوّراً موسيقياً حفّاراً وفوق ذلك كان واسع الاطلاع في علم الفلك ولهُ مباحثات ومناقشات مع المسيو فلامريون الفلكي الفرنسي وغيرهِ فانتدبتهُ الجمعيتان الفلكيتان في باريس وأنفرس والجمعية الفلكيَّة الجويَّة في سلفادور عضواً فيها. وكان يعرّب عن الفرنسية ولهُ إلمام بالعبريَّة والسريانية ومشاركات في كثير من العلوم العصريَّة كما يظهر من مطالعة مقالاتهِ في مجلة الضياء التي تفرَّد بانشائها. ودرس العلوم الفقهيَّة واتقن صناعة التدريس واكثر القائهِ كان في المدرسة البطريركية الكاثوليكية في بيروت. وقد افاد اللغة العربيَّة واغناها باوضاعهِ فكان اشبه بوبستر الاميركي وفنيلون وليتره الفرنسيين حتى عمَّ استعمال اساليبهِ واوضاعهِ فتحداها الكتَّاب ونسجوا على منوالها وهي من السهل الممتنع نثراً ونظماً.

ولقد اشبه فكتور هيكو بسلاسة يراعهِ ومقدرتهِ التعبيريَّة ولكنهُ خالفهُ بعدم ثقتهِ بنفسهِ وكان يحب الاجتماعات فلذلك لم يتسنَّ لهُ الاعتزال والانفراد بنفسهِ والتفرغ للتأليف حتى انهُ لكثرة زائريهِ طلب مرة من الخواجه فرعون آجرهُ ان يبني لهُ غرفة داخلية فاعتزل فيها مدة ووضع النجعة وبعض فذالك معجمهِ وغير ذلك. وقد اجتمعتُ بهِ قبل مزايلتهِ سورية بضع سنوات وحضرت مجالسهُ وسمعت احاديثهُ وشهدت اشتغالهُ بالتدريس والتأليف. وجلُّ ما امتاز بهِ الجلَد على العمل والمراجعة وايراد النكات البديعة والفوائد الرائقة والتواضع والبرّ بوالدهِ. ومما يحضرني من فكاهاتهِ انهُ سمع مرة ان شاعراً عرض على خصمهِ في مجلس حافل لغزاً بالسكين ليحلهُ فينال بحلّهِ من التشفي ما ينال ففطن ذاك الى مرادهِ وحلَّهُ بقولهِ " ان

معناهُ بقلب الشاعر " فقال المترجم اودُّ ان تكون هذه الفقرة شعرًا لا نثرًا فقال لهُ الحاضرون وكيف يتخلص الناظم من ذلك فقال ارتجالاً يمكنهُ ان يقول :

فحللتُ لغزكمُ ولستُ بشاعرٍ فوجدتُ معناهُ بقلب الشاعرِ

وارتجالاتهُ قليلة يحضرني منها قولهُ في مجلس طرب بظاهر بيروت كان فيهِ في محلة (المخاضة) هو ونفر من اصحابهِ فدخل عليهم بغتة محمد حالت باشا والي سورية سنة ١٨٧٣ فبادرهُ بقولهِ :

شمل الوزيرُ عبيدهُ بوجودهِ شرفًا وخصَّهمُ بنائل جودهِ
في حسن روضٍ قد تسلسل ماؤُهُ كنوالهِ واخضرَّ ذابلُ عودهِ
فصفت مسرَّتنا فلولا هيبةٌ منها لقد شملت نفوس عبيدهِ
لترنموا طربًا ولكن شكرهُ سيداومون الدهر في ترديدهِ

وقولهُ في كاهن اسمهُ اكليمندس كان يحب السمك :

ولربَّ محتبطٍ سألتُ عن اسمهِ فاجابني باللغز وهو قد ابتسمْ
لو زدتني قلبًا من السمك الذي أهفو اليهِ لصار اكلي من دسم

وعلى الجملة فان ارتجالياتهِ قليلة معدودة لأنَّ من مبادئهِ اتقان كل شيء والتأنق في اخراجهِ مخرج الصحة فلم يقف خاطبًا لهذا السبب ولا ارتجل الاَّ لضرورة ماسة. وعندي ان ذاكرتهُ لم تكن قوية كذاكرة المرحوم والدهِ فلهذا لم يمل الى هذين النوعين لانهما من بنات الذاكرة ومع ذلك فكان صحيح الرواية ولكنهُ قلما يثق بمحفوظهِ . ومما يستحق الذكر انهُ لم ينتحل كلام غيرهِ ولا ادَّعى شيئًا لنفسهِ ولا غمط فضل فاضل بل كان يسند كل كلام او وضع الى قائلهِ وهو الانصاف. ولما توفي رصيفهُ الدكتور المرحوم بشاره زلزل بعد ان انقلبت مودتهما الوثيقة العرى عداوة شديدة وفاهُ حقهُ في مجلتهِ ٨ : ٨٣ وفوق هذا وقفتُ لهُ على رسالة اظهر فيها كلَّ ما كتبهُ رصيفهُ المذكور من المقالات في مجلتي الطبيب والبيان حتى انهُ يعيِّن كلامهُ بالاسطر والكلمات وهي مزيَّة كريمة وخلَّة فاضلة

وكان يحبُّ انتقاء الالفاظ الفصيحة وادماجها في المعاني البليغة حتى ان صديقنا الكاتب المتفنن نجيب افندي منصور المشعلاني عرض عليهِ مرةً رواية (شجاع فينيسيا) من معرَّباتهِ فقال لهُ عنها (انها بليغة لا فصيحة) . ومع كثرة تدقيقهِ لم يخلُ كلامهُ ولاسيما في اول مزاولتهِ الصناعتين من تجوُّزات كما رأيت في رائيتهِ من استعمال كلمة (النوايا) . ولهُ استدراك على ما فرط من مثل هذا في تصحيحهِ للتوراة نبَّه عليهِ في الضياء

وكان ولوعاً بالكمال وبلوغ الغاية في العمل كأنهُ عمل بقول دكتور هيكو عن فولتار " لو خصَّص ذكاءهُ بموضوع واحد لكان فيهِ غاية الغايات " وهو القائل في خطابهِ (ادب الدارس) — : " ولست ازيدكم بياناً ان العالم لا ينتفع بعلمهِ الاَّ اذا كان راسخ القدم فيهِ مستبطناً لاسرارهِ ودخائلهِ محيطاً بما تشعَّب من فروعهِ ومسائلهِ وذلك مما لا ينال الاَّ بطول المزاولة وتكرار المراجعة وتفريغ الذهن لما يتوخى حفظهُ واخلاء الذرع لاحصائهِ الخ "

وكان عضواً في لجنة المعارف بولاية بيروت وفي الجمعية العلمية السورية وانتدب اكثر من مرة لقائمية مقام زحلة فأبى خشية انصرافهِ عن العلم وخدمتهِ. واول اعمالهِ الصحافية انشاء جريدة التقدم ليوسف الشلفون في بيروت سنة ١٨٧٢ م وقد نال الوسام العثماني من الدولة العلية ونوط العلوم والفنون من ملك اسوج ونروج · ومن غرر اقوالهِ الحكمية : ان التحدث في الخسارة خسارة اخرى من الوقت — اذا ارتكب الانسان الرذيلة ولم يعلم بهِ احد فاقل ما عليهِ ان يخجل من الانسانية — لا يرتقي المرء في سلَّم الكمال حتى يعرف قدر نفسهِ — من كان عدوُّهُ نفسهُ فلا يتَّهم الحوادث — من شرّ ما قضي بهِ على المرء ان يجتمع فيهِ العجز وحب الانتقام — ومن غرر حكمهِ قولهُ

ليس الوقيعة من شأني فان عرضت أعرضتُ عنها بوجهٍ بالحياء ندي
اني أضنُّ بعرضي ان يلمَّ بهِ غيري فهل اتولَّى خرقهُ بيدي

وعلى الجملة فانهُ كان واسع الرواية قوي الحجَّة طلق اللسان متواضعاً متأنياً مدققاً صبوراً احتمل فقد والديهِ واخوتهِ الواحد أثر الآخر وابناء شقائقهِ بجلَدٍ . وبقي مسامراً الدواة والقلم والكتاب وولع في آخر ايامهِ بالتدخين في النارجيلة الى ان استأثرت بهِ رحمة بارئهِ في ضواحي القاهرة في ٢٨ ك ١ (دسمبر) سنة ١٩٠٧ فنعتهُ الجرائد ورثاهُ الادباء في كل قطر وارَّخت جريدة الشام وفاتهُ تأريخاً هجرياً بقولها (ما مات الضياء) ١٣٢٤ · وكان ربعة القوام معتدل الجسم ابيض الوجه مشرقهُ جميل الطلعة رحب الجبهة · فحبذا لو اعتني بجمع آثار اقلامهِ وطبع ديوانهِ المخطوط في كتاب يضم ترجمتهُ واقوال الجرائد والادباء فيهِ والله نسأل ان يجزيهُ عن اللغة والناطقين بضادها عداد حسناتهِ في إحياء آثارها والذود عن حياضها ما قال اديب :

اليازجيُّ ابرهيم غاب ضياؤُهُ عن اعين الادباء والآدابِ
فنعدهُ من اشعر الشعراء وهو بلا مراء اكتبُ الكتَّابِ

عيسى اسكندر معلوف

مزايا النساء العقلية[1]

لو كانت عقول الرجال كعقول النساء تماماً في كل شيءٍ لسهل عليَّ الكلام في هذا الموضوع لاني اكون كالمتكلم عمَّا اشعر بهِ في نفسي اما و بين الرجال والنساء اختلاف جسداً وعقلاً فلا يسهل على الرجال ان يشعروا بما يشعر بهِ النساء ولا على النساء ان يشعرن بما يشعر بهِ الرجال . لكن عقل الرجل لا يخالف عقل المرأة في كل شيءٍ بل بين العقلين تماثل من وجوه كثيرة وبعض الرجال يشبهون النساء و بعض النساء يشبهن الرجال . وسنرى ان اكثر ما بين العقلين من الفروق مصدرهُ التربية والوسط واذ استثنينا أمراً واحداً فالفرق بين العقلين قليل جدًّا حتى يمكن ان يقوم الواحد مقام الآخر كما حدث في بلاد البسكو قديماً حيث كان النساء يتولين القضاء وينتخبن الحكام و يضعن القوانين

وما دام الصبي والبنت صغيرين فلا فرق بين عقليهما او ان الفرق بينهما طفيف جدًّا ولولا اختلاف اللباس لتعذر تمييز احدهما عن الآخر . وتبقى المشابهة بينهما عقلاً الى قرب سن البلوغ . ولا شبهة ان اختلاف اللباس والعشراء يجعل الصبي يشعر انهُ غير البنت والبنت انها غير الصبي ولكن عقليهما يبقيان متماثلين ويستمرُّ ذلك الى وقت البلوغ وحينئذٍ لا تعود البنت تثق بالصبي كما كانت تثق بهِ قبلاً بل يصير شأنها الابتعاد عنهُ والحذر منهُ و يزيد هذا الشعور بعد ذلك . وزمن البلوغ هو الزمن الذي يشعر فيهِ الصبيان والبنات انهم من جنسين مختلفين

والشائع ان الرجل افضل من المرأة فماذا بفضلها او ما هو وجه تفضيلهِ عليها . الذين يقولون هذا القول يستدلون على انحطاط المرأة عن الرجل بخضوعها لهُ وضيق دائرة امانيها ونحافة جسمها بالنسبة اليهِ و بينهما فروق اخرى ولكن هذه أهمها فاتكلم عنها الآن لكي ابين انها كادت تزول بالتربية والوسائل الخارجية . والحقيقة ان المرأة ليست دون الرجل لكنها مختلفة عنهُ ولا تكاد تصح المفاضلة بينهما فهي في بعض قواها ارقى منهُ وقولنا ان المرأة احط من الرجل كقولنا ان معدناً احط من معدن آخر لان الاول اصغر من الثاني حجماً

كانت القوة البدنية في الزمن الغابر عنوان السلطة وعليهِ كانت المرأة دون الرجل من هذا القبيل لانها كانت مضطرة ان تقيم في البيت للقيام بما يطلب منها لبيتها ولا سيما في ما

---

(١) من خطبة للدكتور توماس شو مدرس الامراض العقلية في مستشفى سنت برثلمو بمدينة لندن تلاها في مجمع الهجيين في شهر مارس الماضي

يتعلق بولادة الاولاد وتربيتهم . وهذا صرفها عن الاشتراك في ادارة بلادها ففقدت وسيلة كبيرة من الوسائل التي تقوي العقل واضطرت ان تحمي نفسها بالوسائل العقلية او الادبية فالتفتت الى مواقع الضعف في الرجل وجاءته منها لكي تقوده لحمايتها فاستخدمت الحلى والطيوب والتملق ونحو ذلك من الاساليب التي تفتن الرجل لكي تفثأ غيظهُ وتفوز بحمايتهِ ولذلك صار الناس ينظرون الى المرأة العاقر كانها فضلة زائدة لا فائدة منها لاهلها وقد تضرُّ بهم فلا بدَّ من معاملتها بالصرامة فنشأ عن ذلك تقييد المرأة بالخضوع للرجل . ولم تختر النساء للملك الاَّ حيث انقطع نسل الملك الذكور ونصرها ذووهُ على من يطلب الملك من غير بيتهِ إما حفظاً لولائهِ او طمعاً بمال ترشوهم بهِ . ودام مقام المرأة منحطاً عن مقام الرجل ما دامت مصلحتها ومصلحتهُ غير متضاربتين وكان يمكن ان يبقى كذلك دائماً لو لم يختلف الرجال بعضهم مع بعض وينحاز فريق منهم الى نصرة النساء فانتصرن بهِ ونجحن في تعزيز مقامهنَّ وصار كلما اعطاهنَّ الرجال شبراً يطلبن ذراعاً الى ان فقد الرجال كل المزايا التي كانوا يميزون انفسهم بها او كادوا يفقدونها . ولا فائدة لنا من البحث في العجماوات عن الفرق بين الذكور والاناث عقلاً ولا سيما اذا كان البحث عن المراكز العليا من العقل ولكن هذا البحث يفيد من وجوه اخرى لان الاختلاف الجنسي في العجماوات جعل ذكورها تحارب لاجل اناثها كما جعل الرجال يحاربون لاجل النساء وانثى الحيوان ترأم صغارها وتدافع عنهم ببسالة كما يفعل النساء . والحيوان لا يلتفت الى ابيهِ وقد لا يراهُ ابداً ولا يلتفت الى امهِ بعد ما تفطمهُ . ولولا نمو المراكز العقلية في الانسان لكان شأنهُ شأن الحيوان من هذا القبيل واذا وقع الحيوان في شدة لم يخطر والداهُ على بالهِ واما الولد فيلجأ الى والديهِ ويحتمي بهما . واذا بذَّر الشاب امواله لجأ الى امهِ لانهُ يعلم انها تقطع عن فمها آخر لقمة وتعطيهِ اياها

والنساء اضعف من الرجال جسماً فيلجأن الى الحيلة لوقاية انفسهنَّ واطفالهنَّ . وتعلم المرأة انها غنيمة يسعى الرجال اليها فتسعى هي ايضاً لتكون للافضل منهم وتجاهد في هذا السبيل ولكن جهادها ليس مثل جهاد الرجل ولذلك تحاول خداعهُ بلبسها وشكلها وتخفي محاسنها تارةً وتظهرها اخرى وتصل شعرها بشعر عارية وتتزين وتلجأ الى الحلى والحسنات ونحو ذلك من الاساليب التي تفتن بها الرجال . وربما زعمت ان لها فوائد اخرى غير التجمل فالشعر العارية يدفئ رأسها والتطرية تجيد صحتها والحلي تظهر مقامها وثروتها . ويقال ان للنساء غراماً بالالماس ما فوقهُ غرام وهنَّ لا يملن عنهُ وحسناً يفعلن لانهنَّ لو انصرفن عن المغالاة بهِ لامسى من سقط المتاع وخسر ذووهُ بهِ خسائر فاحشة . وكماليات الحياة لازمة

مثل حاجياتها ولولا طلب الناس للكماليات لبارت صنائع كثيرة ومات اربابها جوعا · وما يقال على الحلى يقال على اللباس ففي قديم الزمان كان الناس عراة كما لا يزالون في بعض الاماكن ولكن الاقليم والعيوب دعتهم الى تغطية ابدانهم اي الى لبس الثياب ثم صاروا يتباهون بها ويجعلونها دليلاً على سعة ثروتهم وعلو مقامهم ثم صارت لمجرد الابهة والفخفخة · وسواءٌ كان اللباس لوقاية الجسم من الحر والبرد او لاخفاء معايبهِ او لاظهار محاسنهِ فهو مما تهتم بهِ المرأة اهتماماً شديداً وتستخدمهُ لاظهار محاسنها ولو لم تقصد بهِ التباهي ولا اجتذاب الانظار اليها · وذوقها في اللباس غريب لا يسهل تعليلهُ لا سيما وانها تلبس احيانًا ثيابًا غريبة الشكل جدًّا لا تظهر بها محاسنها · ويدلُّ اللباس على مقام صاحبهِ فلهُ دلالة معنوية ولذلك يضطر الجنود وضباط الجيش وخدمة الدين ان يلبسوا ثيابهم الرسمية الخاصة بهم لكي يمتازوا عن غيرهم · وقد تعلق هذا الامر المعنوي باللباس حتى ان بعض النساء المصابات بدخَل في عقولهنَّ يحسبن انفسهنَّ ملكات فيلبسن في الاعياد الرسمية حلىً وزخارف كما يلبس الملوك والملكات في الاحتفالات الرسميَّة ولو كانت تلك الحلى من الزجاج

واحسن سبيل للبحث عن مزايا النساء العقلية هو البحث عن ملابسات العقل وهذهِ بعضها زائد عما في الرجال وبعضها ناقص · فقد علَّق بعضهم اهمية كبيرة على ان دماغ الرجل اثقل من دماغ المرأة ولكن الدكتور مرشل بيَّن انهُ اذا نظرنا الى ثقل الدماغ وطول القامة معاً فكل عقدة من قامة الرجل يقابلها ٧٠٨ و٠ من دماغهِ وكل عقدة من قامة المرأة يقابلها ٦٨٨ و٠ من دماغها · والزيادة العقلية في ثقل دماغ الرجل ناتجة من الزيادة في ثقل مخيخهِ فاذا حذفنا المخيخ وابقينا المخ فنسبة ثقل دماغ الرجل الى طول قامتهِ كنسبة ثقل دماغ المرأة الى طول قامتها · وبيَّن ايضاً ان ادمغة الطوال اخف من ادمغة القصار بالنسبة الى قاماتهم وانهُ اذا قسم طول القامة عقدًا على ٦ و١ فالخارج يعادل ثقل الدماغ اواقي · ثم اننا لا نعلم شيئًا عن الفرق بين دماغ الرجل ودماغ المرأة من حيث الخواص وما من أحد يرى قطعة من الدماغ تحت المكرسكوب ويستطيع ان يقول انها دماغ رجل او دماغ امرأة

وتقسم قوى العقل الى حس وادراك وذكر وشعور وعطف وتصور واختيار واندفاع وارادة · ولا نستطيع ان نثبت تشريحيًّا ولا فسيولوجيًّا ان قوة من هذه القوى اقوى في الرجال منها في النساء ولكننا نعلم من المشاهدة والاختبار ان بعض هذه القوى متساوٍ في الرجال والنساء وبعضها اقوى في الرجال وبعضها اقوى في النساء ولكن حكمنا في ذلك

اختباري محض ويختلف باختلاف الاشخاص الباحثين

فالحس متساوٍ في الرجل والمرأة في الكم والكيف تقريباً الا ان الشم احد في المرأة منهُ في الرجل على الراجح ولعل سبب ذلك ان التبغ والسعوط يسمكان الغشاء الانفي المخاطي في الرجال. والادراك اي ادراك ما نشعر بهِ بالحواس الخمس واحد في الاثنين ايضاً على الراجح . والذاكرة متساوية ايضاً او تفوق المرأة الرجل في تذكر الالفاظ وكذلك التصوُّر تفوق فيهِ المرأة كما يفوق الرجل ولهذا ينبغ منهنَّ الشاعرات والعالمات كما ينبغ الشعراء والعلماء. واما الشعور والعطف والاختيار والاندفاع فتختلف فيها النساء عن الرجال فهنَّ اشدُّ شعوراً وعطفاً من الرجال وكذلك اشدُّ منهم اندفاعاً اي اقل امتلاكاً لانفسهنَّ. ولا يعلم ما هو اصل الشعور والعطف والعلماء مختلفون في ذلك فيقول بعضهم ان الشعور بالحزن هو نتيجة البكاء ويقول غيرهم ان البكاء هو نتيجة الشعور بالحزن والاولون يجعلون الحركات العضلية سبباً والشعور نتيجة والآخرون يجعلون الشعور سبباً والحركات العضلية نتيجة لاظهارهِ . ولا شبهة في ان عواطف النساء اقوى من عواطف الرجال ويظهر ان لذلك سبباً معقولاً فان للعقد التي في قاعدة الدماغ علاقة شديدة بالعواطف وهذه العقد اكبر في النساء منها في الرجال فاذا جعلنا اللذة والالم مقياساً للشعور فالفرح والحزن يقابلانهما في العواطف . واذا اشتدَّت العاطفة سُميت هوى. والعواطف اما ان تكون فاعلة او مفعولة اي اما ان يكون سببها داخلياً واما يكون سببها خارجياً. ويظن البعض ان كل ما نشعر بهِ من لذة او الم او فرح اوحزن انما هو نتيجة المؤثرات الخارجية بنا فاذا كانت ضارَّة شعرنا بالالم والحزن واذا كانت نافعة شعرنا باللذة والفرح. والشعور النفسي بالحزن كالشعور الجسدي بالالم ولذلك فالالم والحزن يقيان الجسد والعقل لانهما يدلان على وجود خلل ما تجب ازالتهُ او اصلاحهُ كما ان الارق يدلُّ على وجود علة تمنع عود النعاس في ميعادهِ ويدعو الى ازالة تلك العلة. فما هي فائدة العواطف وما هو مقامها بين القوى النفسية . من الناس من يفتخر بانهُ خالٍ من العواطف وانهُ لا يتأثر من شيء فلا يفرح لآتٍ ولا يحزن لفائت ولا يستفزُّهُ شيء ويرى ان كل ما يحدث لهُ فحدوثهُ مقدور لا يعبأ بهِ وتراهُ يهزأ باقرانهِ الذين تأخذهم هزة الطرب اذا رأوا ما يُطرب ويوجمون خوفاً اذا رأوا ما يخيف. فان كانت حالهُ كذلك فهي ليست مما يحسد عليهِ بل هي حال من اصابهُ خمول عقلي وانحطاط ادبي ولم يعد يعرف ما هو الشعور الا في احط مراتبهِ. واظهار العواطف مفيد من جهتين لانهُ يدفع عن الانسان ما يضرهُ ويقيهِ من الوقوع فيهِ. واول اشارة يبديها الطفل انهُ يتبسم لامهِ اجابةً لتبسمها لهُ واذا كان

التبسم باكورة القوى النفسية فانعم بهِ باكورة[1] . وما يبدو على وجه المرأة من امارات الخوف او الغضب يدعو الرجل الى حمايتها والعطف عليها

واظهر عواطف النساء العناد والحس للغير او السمباثيا (ومعناها الشعور مع الغير او الحس لهُ او الشفقة عليهِ) فتستعين المرأة بالعناد كلما غُلبت لا لانها لا ترى خطأها بل لانها تحسب ان سلامتها تقوم بعدم التسليم لخصمها فتعاندهُ حتى يمل ويضطر الى التسليم لها ولا تكتفي بالعناد بل تلجأ الى شيء آخر وهو ان ترمي خصمها بما رماها بهِ لان الاختبار علمها ان الدفاع وحدهُ لا يكفي للظفر ولا بدَّ من الهجوم ايضاً . والحكيم يعلم ان عناد المرأة نتيجة لازمة عن انهُ هو المحق وهي المحقوقة فالعناد ملجأها الوحيد الذي تلجأ اليهِ وخير للرجل ان يسلم لها ويدعها تخرج فائزة

وهنا انتقل الخطيب الى تحديد معنى الحس للغير واستطرد الى الكلام على القائمات الآن من نساء الانكليز المطالبة بحقوق الانتخاب لمجلس النواب . والظاهر ان الموضوع اعتاص عليهِ فلم يستطع الافصاح او ذهب مذهباً ضعيفاً فلم يستطع تعزيزهُ الى ان قال ان النساء اشفق من الرجال لانهنَّ اكثر منهم تعرضاً للآلام الجسدية والعقلية ولا تصح الشفقة الاَّ بعد اختبار الالم وما هي الاَّ نوع من التملق لان من يحس لك ويشفق عليك يحاول اقناعك بانهُ شاعر معك بألمك

وتمتاز المرأة ايضاً بالغيرة فانها اغير من الرجل فاذا اختارت لها زوجاً ودَّت ان تنفرد بهِ مهما كانت معاملتهُ لها . مع ان الغيرة تدلُّ على ان صاحبها شاعر بنقص فيهِ عن مباراة غيره . والغيرة تدعو الى الانتقام ولعلَّ قتلاها اكثر من قتلى غيرها بعد السكر ومركزها في اوطإِ اقسام الدماغ واقلها ارتقاء حتى كأَنها سليقة طبيعية لا قوة عقلية ولذلك يجب معاملة اصحابها بالتؤدة ويمكن التغلب عليها بالتعليم واستعمال قوى العقل . والناس المنحطون مرتبة ينقصهم التعليم والتهذيب فتسود الغيرة بينهم هي ونتائجها الوخيمة

ويقال ان النساء يحببن الملاهي لكنني لم ارَ انهنَّ يطلبنها اذا كانت مشاغلهنَّ كثيرة . واما اذا كنَّ صحيحات الجسم مملوَّات قوة ونشاطاً فقوتهنَّ العصبية تطلب لها منفذاً وتنصرف في اقرب طريق تجدهُ وهذا شأن الرجال اذا لم يكن لهم شغل شاغل . ويقال ايضاً

---

(١) (المقتطف) ان الباكورة البكاء لا التبسم ولقد احسن من قال

يا ذا الذي ولدتك امك باكيًا والناس حولك يضحكون سرورا

احرص على عمل تكون بهِ اذا يبكون حولك ضاحكًا مسرورا

ان النساء لم يعدن يكثرن من ولادة الاولاد لكي تتيسر لهنَّ فرص اللهو ولكن المرجح ان ذلك نتيجة لاسباب اي انهنَّ يذهبن وراء الملاهي لقلة اولادهنَّ . والغالب ان اللهو عمل شاق تلجأ اليهِ المرأَة تخلصاً من السآمة . والوالدة التي تلوم بناتها على كراهتهنَّ البقاء في البيت ورغبتهنَّ في الخروج منهُ للزيارات او الى الملاهي لو انعمت نظرها لوجدت انهُ انما يدفعهنَّ الى الخروج من البيت ما يلاقين فيهِ من السآمة والضجر . الاَّ ان المرأَة الحسناء الفاخرة الثياب الثمينة الحلى المعطال التي يُطلَب منها ان تزين المجتمعات بوجودها فيها لا تلام على خروجها اليها ولا يعدُّ ذلك غوى منها لانها تفعل ما تستدعيهِ احوال الاجتماع كما تفعل اختها التي تضطرها الفاقة الى العمل بيديها والاولى لا تخلو من العمل والتعب لانها تحرم نفسها الراحة لكي تقوم بما يطلب منها

ومن العواطف عاطفة المحبة والنساء يكتمنها و يتألمن من ذلك فيظهرن الجلد و يكتمن الوجد ولو عاد عليهن بالضرر ولعلَّ سبب ذلك كراهتهنَّ للابتذال واعتقادهنَّ ان احب شيءٍ الى الانسان ما مُنع او شدَّة اعتدادهنَّ بانفسهنَّ او عدم ثقتهن بمظاهر الاهواء

اما من جهة القوى الاختيارية او قوى الارادة فلاختلاف النساء عن الرجال في الكم والكيف سبب واحد وهو ان مراكز القوى العاقلة العليا قد نمت في الرجال نموًّا عظيماً وهي احدث المراكز نموًّا واشدها ضبطاً للنفس . ويعتقد الرجال ان النساء اكثر منهم تسرُّعاً واقل منهم تأنياً . ولعل ذلك صحيح وسببهُ التربية . والتسرُّع او الاندفاع ابسط انواع الاعمال الارادية وهو من مزايا الاحداث لان قوة ضبط النفس لا تكون قد نمت وتقوَّت فيهم ومن مزايا الذين يتعذر ارتقاؤُهم والذين يضطرون الى الدفاع عن انفسهم واولادهم كأَنهُ من السلائق الطبيعية لا من الاعمال العقلية . اما افعال الارادة الحقيقية فتستلزم وجود التوازن بين قوى النفس وهي ارقى من افعال الاندفاع واحدث منها نموًّا وارتقاء واسمى غاية ولذلك تزول قبل غيرها عند ضعف القوى العقلية . فان صحَّ ان النساء اكثر اندفاعاً او تسرُّعاً من الرجال فذلك دليل على ان عقول الرجال ارقى من عقول النساء ولكن ضبط النفس موجود بالقوة في النساء كما هو موجود في الرجال وقلة ظهورهِ فيهنَّ بالفعل عرض يمكن ازالتهُ بالتربية وزد على ذلك ان للاندفاع علاقة بالعواطف فاذا اشتدَّت العواطف كما هي في النساء لزم عن ذلك ان يشتدَّ الاندفاع ايضاً

لقد ظهر مما تقدَّم ان المرأَة تمتاز على الرجل من بعض الوجوه والرجل يمتاز عليها من وجوه اخرى فهي سريعة الادراك ولكنها سريعة الانفعال والاندفاع وهذا الاندفاع

يساعدها على حماية نفسها وولدها ولكنهُ يورّطها احياناً في المشاكل

وربَّ سائل يسأل ماذا فعل النساء لترقية العلوم . والجواب انهنَّ قد شرعنَ في ذلك حديثاً اما من جهة التصوُّر فقد بارين الرجال في النظم والنثر حتى لقد يتعذَّر احياناً ان نعرف هل هذا الكتاب او ذاك من تأليف رجل او امرأة اذا كان غفلاً من اسم مؤلفهِ . ولما كنت اراجع اوراق الامتحان التجريبي في العلوم النفسية لم اكن استطيع ان اعرف من شكل الخط ونوع الانشاء هل الاوراق لفتيان او لفتيات ثم كنت حينما اطّلع على الاسماء واقابلها بالارقام التي على الاوراق اجد ان خطإي في الحزر كان اكثر من صوابي

وسبيل المرأَة كثير المصاعب لانها مضطرة ان تتغلَّب على التقاليد الراسخة وعلى ما هي فيهِ من اهتضام الحقوق واذا استثنينا تقيدها بولادة الاولاد التي تغلُّ يديها فلا ارى ما يمنعها عن مباراة الرجل في اعمالهِ كما يباريها الرجل في اعمالها . ويقال بنوع عام ان ما يستطيعهُ الرجل من الاعمال تستطيعهُ المرأَة ايضاً وما تستطيعهُ المرأَة يستطيعهُ الرجل

قساوة النساء — لما كان من اخص مزايا المرأَة ولادة الاولاد وتربيتهم كان لا بدَّ لها من ان تدفع عنهم كل ما يؤذيهم ولذلك لا تبالي بمصلحة الغير ما دام ذلك الغير واقفاً في سبيل اولادها وهذا يجعلها قاسية صارمة وقد تتناول صرامتها اولادها اذا رأَتهم يخالفون ارادتها ولذلك نرى النساء المتزوجات يستبسلنَ في حب الوطن لان ذلك من طرق الدفاع عن اولادهنَّ . ومن يسعى في مصلحة نفسهِ وهو ضعيف يضطرُّ ان يلجأَ الى الحيلة والعناد والقساوة والتهوُّر ونحو ذلك من وسائل الدفاع من نفسهِ ونيل مآربهِ وان يلجأَ ايضاً الى التجمُّل والتصنُّع والدلال والتسرُّع او التأني ونحو ذلك مما ينال بهِ غرضهُ واذا جُنَّت المرأَة ظهرت فيها المزايا التي تميزها عن الرجل على اشدها فتزيد تهوُّراً حتى لقد تقتل نفسها او تقتل غيرها

ما هو مستقبل النساء عقليًّا فانهنَّ اكثر من الرجال عدداً وقد اخذن يتعاطين اعمال الرجال ولا يستطعن كلهنَّ ان يتزوجنَ ولا بدَّ من ان يؤثر ذلك في طباعهنَّ . والضرار محظور في اوربا فاللواتي لا نصيب لهنَّ من الزواج يمسين عقيمات جسداً وعقلاً ولكن تقوى فيهنَّ بعض القوى العقلية التي يضطررن الى تمرينها واذا استطعن ان يدخلنَ مجلس النواب صار المجلس كلهُ في يدهنَّ حتى يضطر الرجال اخيراً الى مقاومتهنَّ وتمزيقهنَّ . وقد يقع النفور بين المتزوجات وغير المتزوجات بسبب ذلك لان غير المتزوجات يحتقرن المتزوجات ويحسبنهنَّ عثرة في سبيلهنَّ فتضطر المتزوجات ان يقمن عليهنَّ و يقاومنهنَّ

والخلاصة ان بعض قوى العقل انمى في الرجال منها في النساء و بعضها انمى في النساء منها في الرجال ولكن هذه القوى موجودة كلها في الرجال والنساء وليس في الفريق الواحد قوة غير موجودة في الفريق الآخر وما الفرق بين الفريقين الاَّ في المميزات الجنسية الفارقة بين الرجل والمرأة ولولا هذه المميزات لما كان فرق بين الرجل والمرأة ولزال ما نراهُ الآن من السعي والاقتصاد وطلب المعالي وحب الوطن

لكن الاختلاف الجنسي بين الرجل والمرأة وسَّع الاختلاف بين عقليهما وجسديهما فاتصفت المرأة بالحشمة والجبن من جهة والسلاطة والاغراء من اخرى والآن تريد ان تستخدم مكاثرتها الرجل لمغالبتهِ . اما الرجل فالين منها عريكة واقرب منها الى العفو عند المقدرة . ولقد كان يندر ان تكون المرأة غنية ولذلك صار النساء يعتمدن على الرجال ويطعنهم اما الآن وقد صرن متمولات فكادت الحال تنقلب وصرت ترى من يتزوَّج غنية اطوع لها من بنانها وهو تغيُّر ادى اليهِ تغير الاحوال

فعلى المرأة الان ان تختار لنفسها ما يحلو. اما ان تبقى كما كانت اي كما صيَّرتها الاحوال الماضية فتظل غنيمة يسعى الرجل وراءها لتكون قرينة لهُ واما ان تربي نفسها تربية تصيرها مساوية للرجل عقلاً فلا يبقى لها من مميزات النساء الاَّ اخلاف النسل عند الضرورة. اما الرجال فيودون ان تبقى المرأة امرأة بكل معانيها وهذا افضل ما يكون للنساء فيبقين في مقامهنَّ الذي ينلن فيهِ اكرام الرجال لهنَّ وقيامهنَّ على احترامهن عفواً . والرجال يشعرون ان فيهم نقصاً وفراغاً وان النساء يكملن هذا النقص ويملأْنَ هذا الفراغ ويستاءون اذا رأْوهنَّ يحاولن اقناعهم ان ليس فيهم نقص ولا فراغ . ان المرأة اضعف من الرجل ويجب عليهِ ان يرفق بها و يدللها ويحترمها وان في طبيعتها شيئاً لا يستطيع فهمهُ فاذا قامت في وجههِ الآن وحاولت ان تثبت لهُ انها ليست اضعف منهُ وانها مثلهُ في كل شيءٍ أُسقط في يدهِ ووقف وقفة الحيرة . نظر الرجل الى المرأة كأَنها شخص يجل و يعبد ولم يغرْ منها ولا خاف ان اكرامهُ لها ينقص من كرامتهِ فهل من الحكمة ان يزول هذا البرقع عن عينيهِ وهل من مصلحة المرأة ان يعرف الرجل انهُ مخطىءٌ . لاشبهة انهُ يجدر بالنساء ان يتدبرن قبلما يطرحن سلاحهنَّ القديم سلاح الجمال والدلال الذي سبين بهِ الرجال ويتخذن بدلاً منهُ الاعتماد على نظرية علمية مجرَّدة وهي المساواة والمشابهة بين الجنسين

الدولة العباسية

تابع ما قبلهُ

المتقي بالله	وما تولّى قطُّ والٍ فبقي	وبايعوا من بعدهِ للمتقي
ابو اسحق	وهو ابو اسحق ابراهيم لَمْ	يزل على نهج صلاحٍ مذ حكم
ابن المقتدر	وكان ذا عبادةٍ مذكوره	وصورةٍ صالحةٍ مشكوره
	متصفاً بين الانام بالتقى	فغدروا بهِ ضلالاً وشقا
	وخلعوهُ بعد ذا وكحلوه	والله يجزيهم بما قد فعلوه
	مدتهُ اربعةٌ اعوامها	تنقص شهراً وانقضت ايامها
المستكفي بالله	بخلعهِ فالله فيهم يكفي	وبايعوا من بعدهِ المستكفي
ابن المكتفي	فلقي الاقدار فيها حين قام	وتمَّ عاماً واحداً وثلث عام
	فقبضوا عليهِ ثمَّ سملوه	ومات في سجنٍ اليهِ حملوه
المطيع لله	وبايعوا المطيع بعد ذلك	وابهجوا بنصبهِ الممالك
ابن المقتدر	فتمَّ في القيام بالاحكامِ	نحو الثلاثين من الاعوامِ
	وطال في امرتهِ مداهُ	وقويت في ضبطها يداهُ
	وظنَّ ان الدهر قد سالمهُ	ثم اعتراهُ فالجٌ آلمهُ
	فترك الخلافة اختيارا	من بعدما استشار واستخارا [٢]
الطائع لله	ونصبَ الطائعَ فيها ولدَهْ	واحكم الامر لهُ وَوَطَّدَهْ
ابن المطيع	فتمَّ عشرة من الاعوامِ	وسبعةً منها على التمامِ
	وتسعة من الشهور واعتُقل	من بعد ما قد خلعوهُ ونقل

(١) كان المتقي كثير الصوم والتعبد ولكن لم يكن لهُ من الملك سوى الاسم ووقعت الوحشة بينهُ وبين طوزون من كبار الاتراك في دولتهِ فحملهُ على ترك بغداد والمهاجرة الى الموصل ثم راسلهُ في الصلح ولما عاد المتقي قبض عليهِ طوزون وكحلهُ وادخل بغداد مسمول العينين سنة ٣٣٣ (٩٤٤ م) واحضر طوزون عبدالله ابن المكتفي وبايعهُ بالخلافة ولقب المستكفي بالله ولما قوي امر معز الدولة ابن بويه الديلمي تحجر على الخليفة الذي سعى بنصبهِ وفي جمادى الاخرة سنة ٣٤٤ (٩٤٦) هجم الديلم على دار الخلافة وساقوا المستكفي ماشياً الى معز الدولة وخلع وسملت عيناهُ يومئذٍ ثم سجن الى ان مات وكانت خلافتهُ سنة واربعة اشهر ويومين

(٢) في سنة ٣٦٣ (٩٧٤ م) حصل للمطيع فالج فخلع نفسهُ وسلم الامر الى ولدهِ الطائع لله — وكان المطيع وابنهُ مستضعفين مع بني بويه ولم يزل امر الخلفاء في ضعف الى ان استخلف المتقي لله فانصلح امر الخلافة قليلاً

مِنْ حبسهِ لرمسهِ ذليلا ... وكان حقًّا ملكاً جليلا (١)

القادر بالله ابن المقتدر

وبويع القادر وهو احمدُ ... وفضلهُ بين الوري لايجحد

يوصفُ بالزهدِ وبالعباده ... ويتحلّى بحلى الزهاده

مسددٌ يعدل في الاحكامِ ... ويبذل الاحسان للانامِ

ذو راحة من الغمام اندى ... وهيبة ترهب كل الاعدا

اقام فيها اربعين عاماً ... وسنةً ثم مضى وقاما (٢)

القائم بامر الله ابن القادر

من بعدهِ القائم عبد الله ... خير امامٍ آمرٍ وناهي

يعدلُ في الاحكام والقضايا ... ويفعل الخير مع الرعايا

اربعة واربعين عاما (٣) ... كاملةً في ملكهِ اقاما

ومات مذكورًا بكل خير ... وسار للاخرى جميل السيرِ

المقتدي بالله بن محمد بن القائم

فبايعوا المقتدي من بعدهِ ... ونصبوهُ في مكان جدّهِ

فلم يكن لهُ سوى الاسم فقط ... وبعد ذا في هوّة الموت سقط

وكانت المدة في ايامهِ ... تقارب العشرين من اعوامهِ (٤)

المستظهر بالله بن المقتدي

وبايعوا المستظهر ابنهُ فقام ... في امرها مجتهدًا حتى استقام

وكان ذا سياسة وعقل ... وفطنة كاملة وفضل

سيرتهُ بين الانام حسنه ... وملكهُ خمس وعشرون سنه

دامَ بهِ حتى اتاهُ هُلكهُ ... فجلّ مولى لا يزول ملكهُ

المسترشد بالله بن المستظهر

وبايعوا المسترشد ابنهُ ابا ... منصور ذا الفضل الامام المجتبي

كان جوادًا اجودهُ مشهورُ ... وبطلاً عدوّهُ مقهورُ

وشاعرًا لسانهُ فصيحُ ... وشعرهُ مستظرفٌ مليحُ

---

(١) خلع الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة وتوّجهُ بتاج مجوهر ولم تضعف الخلافة في زمن احدٍ ما ضعفت في زمن الطائع وفي سنة ٣٨١ (٩٩١ م) قبض عليهِ وسلم الامر الى القادر بالله

(٢) كانت مدة القادر بالله احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر وكان من السيادة وكثرة الصدقات وحسن الطريقة على صفةٍ اشتهرت عنهُ . توفي ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة ٤٢٢ (١٠٣١م)

(٣) كانت مدة خلافتهِ خمسًا واربعين سنة فانهُ مات في سنة ٤٦٧ في الثالث عشر من شعبان (١٠٧٥ م) (٤) مات المقتدي بالله في سنة ٤٨٧ (١٠٩٤ م) (٥) كان المستظهر جوادًا محبًا للعلماء والصلحاء ولكن لم تصف لهُ الخلافة بل كانت ايامهُ مضطربة كثيرة الحروب . مات يوم الاربعاء الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة ٥١٢ (١١١٨ م) وفي ايامهِ جاءت الفرنج واستولت على بيت المقدس

	سنوه عدتها منذ ملك	وقلد الامر الى ان قد هلك
	سبع وعشر وشهور خمسه	واصبحت حياته منبسه (١)
الراشد بالله	و بويع ابنه الامام الراشد	والدهر بالبلوى عليه حاشد
ابن المسترشد	تقلبت فيه به الاحوال	وشيبت عارضه الاهوال
	نخلعوه لا لذنب قارفه	واستأصلوا تالده وطارفه
	فلم يتمع بسرور وهنا	ولم ينل بسعيه غير العنا
	و بعد هذا قتلوه فتكا	و بتكوا منه الحياة بتكا
	ولم يقم في الملك الا عاما	واي ملك ونعيم داما (٢)
المقتفي لامر	و بايعوا من بعده للمقتفي	محمد بن احمد فقام سيفي
اللهابوعبدالله	تدبيرها مجتهدا بنفسه	حتى ثوى من بعد ذا في رسه
ابن المستظهر	مدته عشرون عاما عده	وبعدها اربعة ممتده
	وثلث عام او قريبا منه	وما بقي سوى الحديث عنه
	وحل في ترب له معفر	فبايعوا ابنه ابا المظفر (٣)
المستنجد بالله	وهو الإمام العادل المستنجد	ومن لكل مستغيث منجد
ابو المظفر	يوسف ذو المحاسن المشهوره	والسيرة الجميلة المذكوره
ابن المقتفي	مات قتيلا بعد ان اقاما	عشرين حجة تزيد عاما (٤)

(١) قتل المسترشد بمراغة يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة سنة ٥٢٩ (١١٣٥ م) . وكان مسعود ابن اخي السلطان سنجر قد غدر به وحبسه بقلعة قرب همذان

(٢) سعى السلطان مسعود بخلع الراشد و بايعوا عمه محمد بن المستظهر ولقب المقتفي لامر الله وذلك في سادس عشر ذي القعدة سنة ٥٣٠ (١١٣٦ م) . وبلغ الراشد الخلع فخرج من الموصل الى اذربيجان ومرض بظاهر اصبهان فدخل عليه جماعة من العجم وقتلوه بالسكاكين سنة ٥٣٢

(٣) بعد ان بويع المقتفي بعث السلطان مسعود واخذ جميع ما في دار الخلافة من دواب واثاث ولم يترك في اصطبل الخلافة سوى اربعة افراس وثمانية ابغال برسم الماء . ولما تضعضع امر السلطان سنجر تمكن الخليفة المقتفي وزادت حرمته وكان ذلك مبدأ اصلاح الدولة العباسية . وعظم سلطان المقتفي وزادت شوكته ولم يزل امره في تزايد الى ان مات ثاني ربيع الاول سنة ٥٥٥ (١١٦٠ م) . قال ابن الجوزي : من ايام المقتفي عادت بغداد والعراق الى يد الخلفاء ولم يبق لها منازع . وقبل ذلك من دولة المقتدر (٩٠٨ - ٩٣٢) الى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك وليس للخليفة معهم الا اسم الخلافة

(٤) بويع له يوم موت ابيه وكان موصوفا بالعدل والرفق وله نظم بديع ونثر بليغ ومعرفة بعمل آلات الفلك والاسطرلاب . مات في ثامن ربيع الآخر سنة ٥٦٦ (١١٧٠ م)

المستضي	اضف لهاشمٍ اوقام المستضي	لسيفهِ بعد ابيهِ ينتضي
بامر الله	وهو الامام الكامل الفضل حسنْ	ومن لهُ قولٌ بليغ ولسن
الحسن بن	بهِ أضاءَ إِفقُ ذاك العصرِ	وقرنت اعلامهُ بالنصرِ
المستنجد	لهُ السلاطين بمصر خطبوا	وباسمهِ سكتها قد ضربوا
	من بعد ما كانت بها قد بطلتْ	من مدةٍ طويلةٍ وعُطلتْ
	فنال لما جددت ما املا	ثم توفي بعد ما قد كملا
	تسعة اعوامٍ ونصف عامٍ	يتبعها نزرٌ من الايام (١)
الناصر لدين	و بويع الناصر لما ان قضى	وهو ابنهُ المولى الإمام المرتضى
الله احمد	فسرَّ كلُّ الناس منهُ اجمعينْ	وتمَّ فيها ستةً واربعينْ
ابن المستضي	من السنين كملت بعشرَهْ	من الشهور عدةً مشتهرهْ
	يتبعها بثلثي شهر سوى	بنقص يومٍ واحدٍ ثم ثوى
	بقبرهِ سقتهُ سحب هاملهْ	من رحمة الله دواماً شاملهْ (٢)
الظاهر بأمر	و بايعوا من بعدهِ المستنصر	وهو امام عادل مستبصر
الله محمد بن	ايام ملكهِ الذي بها ابتهج	عشر سنين بعدها ست حجج
الناصر	يتبعها من الشهور عشره	و بعض ايام وخلى معشرَهْ
	لموتهِ يبكون بالدموعِ	والدهر كم فرّق من جموعِ (٣)
المستعصم بالله	و بايعوا المستعصم ابنهُ ابا	احمد عبدالله شهماً ذا اِبا
عبدالله بن	دانت لهُ مع غيرها الاملاكُ	حتى اتى التتارُ مع هولاكو
المستنصر	فاخذوا مدينة السلامِ	منتهكين حرمة الاسلامِ

(١) مات المستضيء في سنة ٥٧٥ (١١٨٠ م) في سلخ شوال وعهد الى ابنهِ احمد

(٢) اقام الناصر في الخلافة سبعاً واربعين سنة ولم تزل مدة حياتهِ في عزّ وجلالة وكان يرهبهُ اهل الهند ومصر كما يرهبهُ اهل بغداد فاحيت هيبتهُ الخلافة وكانت قد ماتت بموت المعتصم ثم ماتت بموتهِ . وقد دانت السلاطين للناصر وفتح البلاد العديدة . مات سلخ رمضان سنة ٦٢٢ (١٢٢٥ م)

(٣) لم يذكر الباعوني اسم الظاهر . والظاهر انهُ سها عن بالهِ . كانت خلافتهُ تسعة اشهر واياماً وقد احسن الى الرعية وابطل المكوس وازال المظالم وفرق الاموال وخلفهُ المستنصر وكان راغباً في فعل الخير مجتهداً في تكثير البر ولهُ في ذلك آثار جميلة وانشا المدرسة المستنصرية المشهورة وقد نقل اليها الكتب فكانت مائة وستين حملاً من الكتب النفيسة وكان لها مائتان وثمانية واربعون فقيهاً من المذاهب الاربعة . توفي المستنصر يوم الجمعة عاشر جمادى الاخرة سنة ٦٤٠ (١٢٤٢ م)

وبالغوا في الظلم والعنادِ ... وسفكوا بغياً دمَ العبادِ
من بعدماوالاهمُ ابن العلقمي [١] ... وكان ذا طبع كطبع الارقمِ
من اكبر الطغاة والعتاة ... واخبث الروافض الغلاةِ
يكرهُ أهل السنة الشريفه ... ويضمر البغضاء للخليفه
فاطمع التتار في بغدادِ [٢] ... ومكّن الاعدا من البلادِ
حتى رموها بالامور الفادحه ... لكفرهم فذهبت كالبارحه
وقتلوا هذا الامام صبرا ... واخذوا البلاد منهُ قهرا
وكان هذا الرافضيُّ يرجو ... بعد الذي احدثهُ ان ينجو
فعكس الدهرُ عليهِ قصدهُ ... وعجّل الله تعالى حصدهُ
من بعد ما اذاقهُ الهوانا ... وقد رأى من هونهِ الوانا
ولقي المذلة الكثيره ... من بعد تلك الحظوة الاثيره
فمات فيها اسفاً وغمّا ... ونال لعنات الورى وذمّا
وبوأ الله العظيم الشانِ ... هذا الامام غرف الجنانِ
معوّضاً عن السريرِ الفاني ... بسررٍ تبقى مدى الازمان
مدتهُ عشر سنين بعدها ... خمس فحرّرْ ضبطها وعدّها
وعشرة من الشهور معها ... وثلثا شهر اتى فاجمعها [٣]

المستنصر بالله احمد ابن الناصر

وبايع المستنصر العباسي ... بمصر اذ ذاك وجوهُ الناسِ
ونصبوهُ للورى إماما ... وكان شهماً بطلاً هماما
ففوّض الامر الى السلطانِ ... وسار في قوم من الشجعانِ
من مصر قاصداً الى بغدادِ ... بنية الجهادِ للاعادي
فلقي التتارَ قبل ان يصلْ ... الى مدينة السلام فقتلْ [٤]

---

(١) هو الوزير مؤيد الدين العلقمي الذي كاتب التتار واطمعهم في البلاد وسهل عليهم ذلك

(٢) وصل التتار الى بغداد يقدمهم هلاكو سنة ٦٥٦ (١٢٥٨ م) وهم مائتا الف وقتل الخليفة واقام هلاكو على العراق نوابهُ

(٣) كان المستعصم بالله آخر الخلفاء العراقيين ثم اقيمت الخلافة بمصر وبويع المستنصر سنة ٦٥٩

(٤) كان المستنصر بالله محبوساً ببغداد فلما اخذت التتار بغداد اطلق فهرب ثم جاء القاهرة وبويع بالخلافة فسار لمحاربة التتار فقتل وكانت خلافتهُ دون سنة اشهر

الحاكم بامر الله ابو العباس

فبايعوا الحاكم بعد ذلك ونوروا بهِ الظلام الحالك
ففوَّض الامرَ الى بيبرسِ الظاهر الجالس فوق الكرسي
فقام بالتدبير للمالك وامن الدروب في المسالك
وصار بالامور مستبدًّا وسلَّ للجهاد سيفاً حدَّا
وجهز البعوث والامدادا وقهر الاعداء والاضدادا
وبسط العدل على الرعيَّة ولازم الخليفةُ الجمعيَّة
وآثر الامن على المخافه وما بقي لهُ من الخلافه
شيءٌ يسرُّ قلبهُ سوى اسمها بين الانام لدروس رسمها
وصار كلُّ من يليها بعدهُ لا يتعدَّى رسمهُ وحدَّهُ
وقامت الملوكُ والاحكامُ دونهمُ والنقض والابرامُ
واللهُ جلَّ ملكهُ حكيمُ وهو بتدبير الورى عليمُ

[المقتطف] الى هنا انتهي الكلام على الخلفاء العباسيين في بغداد اما في مصر فاولهم المستنصر بالله ابن الظاهر بامر الله هرب الى مصر من وجه التتار فلقيهُ الملك الظاهر بيبرس وبايعهُ بالخلافة ونقش اسمهُ على السكة وخطب لهُ وخلفهُ الحاكم بامر الله جاء دمشق ثم القاهرة فاكرمهُ الملك الظاهر وبايعهُ وكانت خلافتهُ نيفاً واربعين سنة اي كانت لهُ الامامة الدينيَّة واما السياسة فكانت للملك الظاهر وخلفائهِ وتوفي الحاكم بمصر ودفن فيها وخلفهُ ابنهُ المستكفي بالله وذلك سنة ٧٠١ للهجرة وفي سنة ٧٣٦ وقع امر بينهُ و بين الملك الناصر محمد بن قلاوون فقبض الملك الناصر عليهِ واعتقلهُ ثم نفاهُ الى قوص هو واولادهُ واهلهُ واستمرَّ بقوص الى ان مات بها سنة ٧٤٠ وخلفهُ الواثق بالله ابرهيم قال السيوطي ان جدهُ الحاكم كان قد عهد اليهِ بالخلافة فرآهُ غير صالح لها لما هو فيهِ من الانهماك في اللعب ومعاشرة الارذال فعدل عنهُ وعهد الى المستكفي ابنهِ اي ابن الحاكم

ثم ذكر السيوطي من جاء بعدهُ من الخلفاء الى المستمسك بالله الذي ولي الخلافة سنة ٩٠٣ للهجرة في آخر عهد السيوطي . ولم يطل امر الخلفاء بمصر بعد ذلك لان السلطان سليماً العثماني فتح الديار المصرية بعد نحو عشرين سنة فوجد فيها المتوكل على الله خليفة المستمسك بالله فاخذهُ معهُ الى الاستانة وهو آخر الخلفاء العباسيين في مصر . وقد اخبرنا المرحوم ابرهيم بك المويلحي ان اولاد الخلفاء العباسيين لا يزالون للآن في مصر يحفظون انسابهم وهم في حالة مستضعفة جدًّا واراد مرة ان يجمعنا بهم ثم عرض ما شغلنا عن ذلك

الحمام القلاَّب وتولُّدهُ

تقلّبُ بانتظام في الهواء حمائم هنَّ زينة كل راء
ملوّنة وليس هناك صبغ بالوان حوت كل البهاء
حمائم كلما رمنَ افترابًا من الارض ارتفعن الى السماء
وعدنَ صواعدًا متقلبات وليس صعودهنَّ بلا عناء
هجرن وكونهن بها اضطرارًا فطرن من الصباح الى المساء
اذا رمنَ الوقوع على بيوت ربينَ بها انقلبنَ الى الوراء
بتصفيق يلذُّ لسامعيهِ وتصعيد ورقص في الهواء

الحمام الداجن كثير في البلاد غير ان العراقيات منهُ تمتاز عن غيرها بصفات فاضلة ومن اقسامها ذوات الالوان الجميلة المتموّجة ويسمونها "الخارشت" من ابيض يقق واحمر قانٍ واصفر ناصع واسود غربيب وازرق شذري واكثر هذه بيض الرقاب والرؤُوس وكلها مكتسية الارجل بريش من لون جسدها لا توجد في غير بغداد فيحافظ عليها مقتنوها مغالين بها ولا يطيرونها خوفًا عليها من الضياع والتي تطار اسرابًا هي دونها حسنًا ولمعانًا

ومنها البرُّص وهي بيض مكتسية الارجل بريش كثيف طويل قد يبلغ ٣٠ سنتيمترًا فاذا طارت ظن الرائي ان لها اربعة اجنحة وهي من نوع القلاَّب وقد اخذت تقلّ فلا توجد الاَّ نادرًا وهي كذلك خاصة ببغداد. ومنها الزاجل وهذا القسم رجلهُ مجرّدة من الريش لهُ لحمة حمراء على انفهِ وعينان محاطتان بجفون عريضة حمر ومنقارهُ طويل قد يبلغ عشر سنتيمترات وهو اكبر من سائر اصناف الحمام مرتين او ثلاثة والمرغوب فيهِ منهُ ما كان شقّ منقارهِ الاسفل اطول من الاعلى بكثير فلا يستطيع ان يلتقط الحب الاَّ من كأس معدّة لهُ او حفرة. وهو بغدادي قد قلّ الآن وجودهُ واكثرهُ أُخذ الى الهند واوربا وقد صادف ان بعضهُ نقل طائرًا من بلاد الهند الى برجهِ في بغداد من غير ان يعرف الطريق من قبل ولولا نقل الثقات ما صدّقت الخبر لانهُ لا يقدر ان يلتقط الحب في الطريق اللهمَّ الاَّ اذا قلنا انهُ قطع المسافة في يومين ولم يأكل فيهما شيئًا وذلك غير بعيد من سرعة طيرانهِ

ومنها القلاّب وسأطيل الكلام عليهِ لانهُ موضوع مقالتي فاقول :— هذا الصنف يغالي بهِ العراقيون منهُ الابيض الفضيُّ والازرق الصابوني والعنبري والبخاري والرمادي والسماوي والدميري والزنجي واقبلها ما يرتجف اذا كان على الارض . وهو قسمان موصلي و بغدادي

يمتاز الموصلي عن البغدادي بتصفيق الجناحين اذا طار في البيت وانهُ اذا تقلب سمع لهُ فرقعة شديدة وقد جلب منهُ كثير الى بغداد وضرّب بالبغدادي حتى صار جلّ حمام بغداد القلاّب يصفق مثلهُ واما البغداديات فقد قلّت ويقال ان بعض الموصليات قفل طائرًا الى بلدهِ الموصل من بغداد بعد جلبهِ منها في اقفاص على الكلك

ولا اعرف وطن القلاّب الاصلي والظاهر ان الذي رجلهُ مكتسية بريش كان يعيش في بلاد باردة ثلجية بدليل الريش الذي على اصابعهُ وقد جلبهُ بعض الناس في الزمن القديم للخلفاء العباسيين فحافظ عليهِ الاهلون في بغداد والموصل وما جاورهما والمرغوب فيهِ منهُ ما كان منقارهُ متينًا قصيرًا وعيونهُ وجفونهُ بيضاء اذا كان اسود زنجيًا

وقد يتولد من الحمام الاحمر من الصنف الذي لا يتقلب عادة بعض افراد تتقلب وقد تتعوق في طيرانها الى الظهر في الشتاء ولكن الاهلين يتشاءمون منها فيذبحونها ولو انتخبوا الزوجين منها مما يتقلب لتأصلت في نسلها صفة التقلب وتولد منها صنف يتقلب كالازرق (البغداديون يسمون الطيور القلاّبة بالزرق والتي لا تتقلب بالحمر) والظاهر انها في الاصل كانت تتقلب كالزرق ثم اضعف البشر هذه الخاصة فيها وتقلّب بعضها رجوعٌ الى الاصل

لا يتقلب الحمام اول ما يطار وهو فرخ او كبير لم يطر قبل بل يطار الفرخ عند تساوي قوادمهِ فيميل في بعض الآونة وهو طائر الى الوراء كانهُ يريد ان يتقلب فيقال انهُ "يقعّد" و يبقى كذلك مدة من شهر الى ستة اشهر فاكثر فاذا كان حادًّا اسرع والاَّ ابطأ والمبطي احمد · ولا يخفى ان الفرخ يرمي كل عشرة ايام او اسبوعين ريشة من قوادمهِ العشر فاذا رمى الريشة الاولى بادئًا من القصار مما يلي الخوافي قيل " ذو ريشة " واذا رمى الثانية قيل ذو ريشتين فثلاث الى العشر · اما الحادّ فيبدأ بالتقلب وهو ذو ريشة او ريشتين او ثلاث وهذا يفسد في الغالب فيقال " بزبز " (وهو ان لا يقدر الحمام على الطيران لكثرة تقلبهِ) وهو "بزباز" والذي يبدأ في الرابعة والخامسة او السادسة فما فوق لا يفسد غالبًا · والعادة ان يجمع صاحبهُ سربًا منهُ من عشرة الى ماية حسب استطاعتهِ و يشدّ عليهِ بالطيران كل يوم من خمس عشرة دقيقة الى ساعة فاكثر وذلك بعد ان يتركهُ على السطح حتى يعين مكانهُ ويحافظ عليهِ من الضياع والاختلاط باسراب متعلمة لغيرهِ ومن مخالب الهررة · ويطعم في اليوم مرة او مرتين واخف طعام لهُ الذرة · فاذا قويت الفراخ وعيّن السطح وطال فصلهنّ (وهو مدة الطيران) من ساعة الى ساعتين امن عليهنّ الضياع فحينئذٍ يبدأ الواحد بعد الآخر بالتقلب وذلك فجأة فيشخصهُ صاحبهُ وينسل ذنبهُ برمتهِ او من وسطهِ وعندئذ يخف

تقلبهُ قليلاً ولا يقع في غير سطحهِ الاَّ نادراً. والاصيل تشتد عليهِ الحال في اول الامر ويتشوَّش ويمضي على وجههِ تائهاً فيعتزل رفاقهُ ويوالي التقلب بدون فاصل فاذا وقع وقع وهو معيٌّ

قلنا انهُ يبدأ بالتقلب فجأة فيشتدّ امرهُ في اليوم الثاني غالباً ويحيد عن رفاقهِ مصعّداً في الجوّ ومبعّداً حتى يكاد لا يُرى هكذا الى ثلاثة ايام يطير ويتقلب متمادياً اينما صادف حتى "يصفي" وهو ان يتقلب بانتظام فاذا صفي لم يتقلب الاَّ اذا حاذى سطح بيتهِ وحينئذٍ يتأخر عن رفاقهِ في الوقوع بضعة دقائق ويزيد تأخرهُ كل يوم اكثر فاكثر الى بضع ساعات فيلزم قرارهُ ويقال لهُ حينئذٍ "ساروح" وذلك يكون عادة اذا خرج ذنبهُ الى النصف او الثلثين فترتفع منزلتهُ عند صاحبهِ ويفاخر بهِ سائر المطيرين والساروح يكون نحيفاً كأنهُ ريش لا غير

كثير من الحمام القلاَّب يطير من الصباح الى الظهر وهو لا يغالى بهِ في هذه الحالة كثيراً ويطير بعضهُ من بزوغ الشمس الى العصر وهذا مقبول ويطير البعض منهُ طيراناً متصلاً من الصباح الى المساء وهذا هو الغاية . ومن شرطهِ ان يبعد في طيرانهِ عن سطحهِ بضعة اميال وان لا يرتفع في طيرانهِ كثيراً ولا يتقلب كثيراً لان التقلب الكثير يتعبهُ فيسقط اما على نخلة او منارة وان لا يتقلب الاَّ اذا رام الوقوع على بيتهِ ينقضُّ على وكنهِ حتى اذا بقي لهُ مترٌ او متران عن الارض شهق فرجع القهقرى مندفعاً بشدَّة الى السماء كأنهُ نشابة صاعدة في الجوّ ويصحب ذلك فرقعة شديدة فيتقلب اثناء ذلك ثلاثاً او اربعاً الى عشر مرَّات ويكون الصعود من ثلاثة امتار الى عشرين فيقال حينئذٍ "جرّ الحمام" والتصعيد الطويل تتعدد فيهِ الشهقات متوالية فاذا صحا توجه الى ناحية في السماء ومضى على وجههِ غير مختلط بسربهِ في الاكثر حتى اذا ابعد عن النظر رجع ثانية

ان الحمام الذي يطير من الصباح الى المساء فاكثر ليس بكثير وانما يصادف في كل سنة وجود ثلاث او اربع منهُ في كل بغداد وهذا في الغالب انما يولد من ابوين مثلهُ معلومي النسب معتقين . وقد جمعتُ مدة عشر سنوات من احسن الحمام واعتقهِ وصارت عندي منهُ كثرة لا توجد عند غيري فطار كل سنة ثلاث او اربع منهُ الى المساء في الشتاء واما في الصيف فلا يطير الحمام اكثر من ست ساعات او سبع . وقال لي بعض المختصين انهُ كان لاحدهم ذكر من الحمام يطير في حرّ الصيف الى المساء وبقي كل الصيف هكذا الى سنتين وقال انهُ كان اذا اشتدَّ عليهِ الحرّ يعلو في السماء حتى يكاد يختلط بالسحاب طالباً للبرودة وكلما رام الوقوع على بيتهِ هبط فشهق (اي جرّ) فتقلب وصعد ثانية هكذا الى المساء

اما انا فسقط في حمارّة الصيف بعض حمامي بعد الظهر في البرّ وضاع وكذلك ضاع مني بعضهُ في صبارّة الشتاء بعد المساء وقد اختلط الظلام وقبل ان يضيع تردّد كثيرًا كي يقع على بيتي فلم يستطع لشدة شهقاتهِ واخيرًا توجه الى جهة المغرب لان الضياء كان فيهِ اكثر فلم يعد

اما سرُّ التقلاب فلم يكتشفهُ حتى الآن احد ويظن البغداديون ان الحمام يأتي ذلك باختيارهِ بطرًا منهُ وانبساطًا وهو خطأ لانهُ يتعذّب كثيرًا من التقلب والتصعيد الفجائي على الصورة المرئية منهُ حتى ان بعضهُ فديدمي اصل ريشهِ (القوادم) ويجري الدم منهُ ولا ينزل بل يجوع ويعطش ويحمى عليهِ الوقت فيلهث وهو طائر ولا ينزل بل يقع بعضهُ عند المساء على نخلة او على محل آخر مرتفع فيبيت ليلتهُ صائمًا ويطير في الصباح ويتقلب على سطح صاحبهِ الى المساء وعندئذ يقع ثانية على النخلة او المحل المرتفع وهو يكاد يموت جوعًا وعطشًا وقد يكون ذلك ثلاثة ايام في الشتاء. ويكتفي بعضهم بقولهِ انهُ يعمل ذلك بغريزتهِ او بقدرةِ الله جلّ وعلا

وسألت المقتطف الاغر قبل اثنتي عشر سنة تقريبًا عن كيفية تولد الحمام القلاّب لأعلم آراء الغربيين فيهِ فقال فيما اتذكر ان دارون يرى ان هذا الصنف من الحمام قد ثقل رأسهُ بالنسبة الى جسدهِ فصار ينقلب في طيرانهِ لهذا السبب. وهو بعيد عن الصواب لان الحمام القلاّب لا يفرق رأسهُ عن رأس غيرهِ من الحمام الذي لا يتقلب ولانهُ يبدأ بالتقلب فجأة ويبعد ان يثقل رأسهُ اكثر مما كان فجأة ولانهُ اذا ترك فلم يطر مدة ترك التقلب فلماذا لا يثقل رأسهُ في هذه الحالة ولانهُ لو كان ثقل الرأس سببًا لتقلبهِ لوجب ان ينقلب الى الامام لا الى الوراء

واما الذي أراهُ سببًا للتقلب فهو ان هذا القسم من الحمام كان يسكن في سالف الدهر ارضًا كثر فيها وجود حيوان صغير مفترس يثب عليهِ كلما اراد الوقوع على الارض فيأخذهُ طعامًا لهُ ولم ينجُ منهُ الا المتسرع في الرجوع القهقرى الى السماء ولما كان ذلك غير كافٍ لنجاتهِ ما نجا منهُ الاَّ الذي اسرع في الرجوع وتقلب اثناءهُ الى الوراء حفظًا لحياتهِ من مخالب عدوهِ الخفيف وذلك وفقًا لقانون بقاء الاصلح فتأصلت هذه الصفة فيهِ وصارت طبيعة افادتهُ في وقت الحاجة. ولا انكر ما للانتخاب الصناعي من اليد في ذلك فقد حسن في اعين الناس تقلبهُ فصاروا ينتخبون الانثى المتقلبة للذكر المتقلب في سنين وأحوال حتى رسخ التقلاب في نسلهِ وظهر فيهِ كلما اطير مدة. والدليل عليهِ ان الذي يطول طيرانهُ لا يشهق ولا ينقلب الاَّ اذا هبط يريد الوقوع على بيتهِ كأنهُ وجل من عدوّ كامنٍ لهُ في الارض واما الذي يتقلب

عالياً وفي كل مكان فهو انما يأتي ذلك بعد ان صار التقلب صفة راسخة فيهِ يرجع اليها بمجرد ارادة الهبوط الى محلهِ وان كان في كبد السماء . وقد يتقلب احد افراد السرب فيهيج ذلك السرب كلهُ فينقلب بمجموعهُ دفعة واحدة متراقصاً في السماء وهو منظر بديع

بغداد جميل صدقي الزهاوي

[المقتطف] لقد راقت لنا هذه المقالة من وجهين الاول انها أرتنا انهُ لا يزال في بغداد في هذا العصر اناس يلهون بهذه الملاهي المحللة التي تفكه النفس وتطرب القلب فلم يخيم ليل الظلم على البلاد كما يصورها قوم . والثاني ان حضرة الكاتب ارتأى رأياً وجيهاً في اصل الحمام القلاب لو سمع بهِ دارون او خطر على بالهِ لاحلَّهُ محلهُ من الوجاهة

الفلسفة اليونانية

مرَّ على اليونانيين زمن كانوا فيهِ مشكاة العلم وهداة الحكمة توسدوا سدة التمدن وتربعوا دست الحضارة وبلغوا فيها الشأو البعيد ومنهم نبغ امهر الصناع وابلغ الشعراء وافصح الخطباء واشهر العلماء وهم اهل الفلسفة السابقون في حلباتها والفائزون في قصباتها والرافعون لواء الحكمة في العالمين . ولئن دالت تلك البسطة في العلم وكرَّت العصور على ما وضعهُ اولئك الاساطين من الحكمة فما برح الكلام عنها من مرامي الادباء يتداعون اليهِ تداعي الجياع الى القصاع

ولا يخفى ان الصفة المميزة للفلسفة اليونانية على سواها من الفلسفات القديمة انها مستقلة في ذاتها لا تستند في احكامها على الدين ولا تنسبُ اقوالها الى مصدرٍ ربَّاني وانما وُجدت بين جماعةٍ لا غاية لهم غير انشاد الحقيقة واعلاء شأن العلم بينما كانت الفلسفات الشرقية في جميع ابحاثها تتبع احكام العقائد ونصوص الكتب الدينيَّة واذا جاءت بشيءٍ آخر اوردتهُ باسم الدين . اعتبر ذلك في انَّ العلم في مصر كان بيد الكهنة وكانوا اذا قالوا برأي عزوهُ الى الوحي ومثلهم كان الكلدان والفرس الذين حصروا العلم في صدور الموابذة الذين لم يكونوا من بعد زوروآستر الاَّ مفسرين لما اوتمنوا عليهِ من الكتب المقدسة . ومع ازدهاء الفلسفة في الهند وتفوُّقها على سائر الفلسفات الشرقية كانت لا تخرج في ابحاثها عما جاء في كتاب الفيدا وفوق ذلك انها كادت تحسب واضعي الفلسفة من قومها في مرتبةٍ تقرب من الربوبية . وكذلك الصين التي مع انها لم تسند اوضاع حكمتها الى الوحي او الى مصدر فوق

الطبيعة ظلَّت مقيدةً بعادات البلاد وتقاليدها اعتبر ذلك بكونفوشيوس اعظم فلاسفتها قدرًا واعلاهم شأنًا فانهُ ابقى على تقاليد قومهِ وزاد عليها الشروح الطويلة العريضة . على ان هذه الحالة تباين بالجملة ما كان عليهِ فلاسفة اليونان الذين نبذوا كل تقليدٍ ولم يتخذوا الاسناد الى شيءٍ مما فوق المدارك البشريَّة حجة في تعاليمهم واذا وجد شيءٌ من ذلك في فلسفتهم فيكون قد تطرق اليها عرضًا لانهم لم يكونوا يقصدون من العلم الاَّ الحقيقة ولا ساروا في انشادها الاَّ بفكر مجرد عن كل غاية ابتغاء جلاء ما غمض من مكنونات الطبيعة ناهيك انهم لم يحفلوا بقصائدهم الدينية وكثيرًا ما حملوا عليها حملةً شعواء ذلك لأن الدين اليوناني ليس بدين قانوني قائم بشرائع واصول مدونة في كتب مقدسة مثل سائر الاديان الوثنية ككتابي الدندافستا والفيدا وانما هو اساطير من افانين المخيلة حاكتها قرائح رجال هم اولى بان ندعوهم شعراء من ان نسميهم بالكهنة وهذا هو السبب في اعتاق العقول اليونانية من كل قيد يحول دون البحث الحر مجانًا لوجهِ العلم

ولقد اختلف الباحثون في أصل الفلسفة اليونانية فذهب فريق منهم الى انها ليست من بنات قرائح اليونانيين وانما جاءوا بها من الشرق وكيَّفوها فظهرت في شكل جديد لا يستدل منهُ على منبتها وايدوا دعواهم هذه بقولهم ان طاليس فينيقي الاصل وقد اخذ عن قومهِ معظم آرائهِ لا سيما قولهُ ان الماء اصل العالم وان فيثاغورس جاب مصر والهند وبلاد الكلدان وفارس وفلسطين وعنها اخذ القول بالوحدانيَّة وخلود النفس ومبدإِ التقمص وان افلاطون وديمقراط جابا البلاد التي جاءها من قبل فيثاغورس وتخرجا على الموابذة والبراهمة وكهان مصر . وان ارسطوطاليس اخذ منطقهُ عن جوال هنديٍّ جاء اثينا فلقنهُ المنطق

ويذهب فريق آخر من الباحثين ان الفلسفة اليونانيَّة نشأَت ببلادها وان ادلة الفريق الاول اوهى من بيت العنكبوت لاعتمادهم فيها على اخبار حديثة العهد وجدت يوم كان التمدن اليوناني على جرف الاضمحلال وانهُ ليس في الكتابات القديمة ما يستدل منهُ على شيءٍ مما يزعمون لا سيما وان افلاطون مع اعجابهِ بالامم الشرقية انكر عليها الفلسفة . وهب ان جماعة من فلاسفة اليونان جاءوا مصر وفارس وكلديا ابتغاء التقاط العلم فما هي العلوم والآراء التي اقتبسوها عن تلك الامم ولكل فيلسوف منهم مذهب خاص ورأي يناقض رأي الآخر وكيف يتأَتى لهم اخذ العلم عن كهان مصر وقد كتموهُ في صدورهم ولم يكاشفوا بهِ مواطنيهم او عن الموابذة وهؤلاء لا يعرفون غير عبادة الشمس والقمر ونذرًا قليلاً من الفلك والهندسة ونتفًا من التاريخ ممزوجة بالاساطير والحكايات الكاذبة

واما قولهم بان منطق ظاليس مأخوذ عن المنطق الهندي فدعوى لا يؤيدها التاريخ وانما يؤخذ منهُ ان اليونان لم يعرفوا الهند قبل حملة الاسكندر ومن ثمَّ ان الشقة بين كتاب ينابا لكوناما وبين الميزان لارسطوظاليس بعيدة جدًّا اوكما قال واحد من الكتبة انهما يبتعدان عن بعضهما بعد الكنج عن اوروتاس وحملايا عن باند . ومن مثل ذلك قولهم ايضاً ان فلاسفة اليونان استقوا معارفهم من العبرانيين والفرس . واي دليل لهم على ذلك وقد علمنا من التاريخ ان قبل حملة الاسكندر وتسلطن السلوقيين على سورية لم يكن اليونانيون يعرفون شيئاً من شؤون العبرانيين ولا يعرف العبرانيون شيئاً من احوال اليونانيين بحيث لا يتأتى لافلاطون وفيثاغورس وسقراط الاطلاع على الكتب العبرانية ولم يكن قد نقل منها شيء الى اللغة اليونانيَّة ولا ظهرت حتى يومئذٍ الترجمة السبعينية الشهيرة وكذلك لم نرَ ذكرًا الامة العبرانية ولا لمؤلفاتها في كل ما كتبهُ اليونانيون عن الامم الاجنبية وزد على ذلك اي شبهٍ وجدوهُ بين مرويات التوراة وعقائدها وبين ما دونهُ الفلاسفة اليونانيون من الابحاث النظرية والقواعد العمليَّة وان كان ثمت شيءٌ من الشبه بين كلام افلاطون في تكوين العالم وفيما ورد في الفصل الاول من سفر التكوين فلا يحسب حجة قاطعة لاثبات دعواهم لا سيما وان مثل هذا الكلام عن تكوين العالم وارد في كتاب الزندافستا ولا يبعد ان يكون قد اتصل باليونان من الفرس الذين تسلطوا على الجزائر الايونيَّة في زمن يقرب من ايام انكساغورس ولربما منهُ اتصل هذا الرأي بافلاطون فاثبتهُ في كتاب التيمه Timeé على انهُ لم يجزم بصحتهِ

وما بال الباحثين يفتشون عن منشإِ الفلسفة اليونانيَّة في غير قرائح رجالها فهل عرفوا اساتذة هوميرس واشيل واريستوفان وديموستان وهيرودوت وغيرهم ممن تفوقوا في الفنون والعلوم وكانوا مثالاً للمبرزين من رجال العلم والصناعة في كل مصر وزمان ولا ريب ان الشعر والطب والتاريخ والصناعات من نشأة البلاد ولدتها عقول النوابغ من الاهلين

وسواءٌ كانت الفلسفة اليونانيَّة نشأة تلك الارضين او جيءَ بها من الشرق فهي ولا غرو اسمى الفلسفات القديمة واعلاها شأنًا ولها القدح المعلى لدى كل امة استنارت بانوار العلم والعرفان وامت منازل الحضارة والعمران وقد نشأت في المستعمرات اليونانية في الجهة الغربيَّة من اسيا الصغرى حوالى ٦٠٠ ق . م ومن ثم انتقلت الى اثينا محط رحال الفلسفة وعاصمة العلم اليوناني

ولقد اجمع المؤرخون على قسمة الفلسفة اليونانيَّة الى ثلاثة ادوار كبرى ولكل دور

منها شأن خاص بهِ وصفة مميزة لهُ عن الآخر فصفة الدور الاول على تعدد مدارسهِ ما بين الايونيَّة والايطالية والايلياتية البحث عن طبيعة الاشياء ومصدرها من غير التفات الى شرائع العقل الانساني وقواهُ على ان الطريقة التي سار بها جهابذة هذا الدور وعرة المسالك ادت الى اللادرية والى ما هو شر منها وهو ظهور السفسطائيين وشأنهم في التاريخ مشهور يومئذٍ دخلت الفلسفة في دورها الثاني واتخذت لها منهاجاً جديداً وهو البحث عن الانسان وقواهُ العاقلة التي يتمكن بها من تمييز الحق عن الباطل ووضع الطرائق المؤدية الى معرفة الحقائق وكشف مكنونات العالم وفي هذا الدور ظهرت جميع المذاهب الفلسفية وابعدها شهرة . ومن ثم جاء الدور الثالث بعيد ما تنوسي من الآراء والمذاهب القديمة في شكل اقوى وقد استمرَّ في الوجود حتى القرن الخامس من العصر المسيحي

سبق فقلنا ان مدارس الدور الاول هي الايونية والايطالية والايلياتية وقد دعيت باسماء المواضع التي نشأت بها وزعيم الايونية طاليس ومذهبها ماديٌّ ووجهتها الطبيعة ولئن اختلف اساتذتها في تعيين جواهر الاشياء ما بين تراب وماء وهواء ونار مع ذلك لم يخرجوا في ابحاثهم عن المادة ولا تعدوها . واشهر فلاسفة هذه المدرسة طاليس وانكسيمندر وانكسيمان وهيراقليط وامبدوكل وغيرهم واما طاليس ففينيقيُّ المحتد وواحد من الحكماء السبعة وهو واضع الفلسفة الطبيعية واذا تابعنا قول ارسطوطاليس عنهُ يكون هو واضع علمي الفلك والهندسة واول من عرف اوقات الكسوف والخسوف وأول من تنبه لجذب الكهرباء بالفرك ورتب اوقات الشهور والفصول وغير ذلك من الحوادث الفلكية والميتورلوجية

وقد اشتغلت المدرسة الايونية ايضاً بالابحاث الادبية ورأينا لها في هذا الباب اراء حرية بالاعتبار نسبت لزعيمها طاليس من مثل القول بخلود النفس ووضع الحد الفاصل بين العقل والمادة وخواطر أُخرى في الخير والجمال نقلت الى سقراط فتناولها عنهُ المعلم افلاطون واظهرها للناس مجملة بابهى حلى الحكمة والبيان

واما المدرسة الايطالية فقد كانت مدرسة رياضية بدليل ما جاءت بهِ من الاكتشافات العظيمة في الهندسة والفلك على انها لم تخلُ عن الطبيعيات ولا غادرت العلوم الادبيَّة وكان صاحبها فيثاغورس يوجب على الطلبة التقشف والصمت خلال سني الطلب وكان تلامذتهُ يغالون كثيراً باعتبارهِ واحترام اقوالهِ وحسبانها من الصدق والحق بما يقرب من منزلة الكلام المنزل حتى اذا تناظروا في امرٍ وحمي وطيس الجدال وجاء أحد المتناظرين بدليل من اقوال الاستاذ بتَّ الامر وكان ذلك الدليل فصل الخطاب

وكانت تعاليمهُ على نوعين نوع للعامة ونوع للخاصة يراد بهؤلاء تلامذتهُ ومريديهِ الذين تخيرهم فقبلوا في طريقتهِ الَّا ان تعاليمهُ كانت غامضة لاتخاذهِ طريقة العدد رمزاً لما يريد ستره عن العامة من الحقائق العلمية

اما المدرسة الاليائية فهي ذات فرعين الواحد منهما يبحث في النظريات والآخر في الطبيعيات ومن اساتذة الاولى اكزنيفون وبارامندزوزينون ويذهب هؤلاء ان المعارف على نوعين منها ما يحصل فينا بواسطة الحس وهو الاوهام الباطلة ومنها ما يحصل بواسطة العقل وهو العلوم الراهنة على انهُ من الواجب ان نترك لسذج الناس الاعتقاد بظواهر المحسوسات ونوجب على ذوي العقول الراجحة سبر غور الاشياء واعتماد العقل في ابحاثهم على ان الفرع الثاني من المدرسة الاليائية يناقض في الرأي الفرع الاول ويعتمد الحس في ابحاثهِ وقد انصرفوا بكليتهم لدرس الجوهر الفرد

وظهر بعد هذه المدرسةِ جماعة السفسطائيين وهم فئة من اساتذة البيان اتخذوا الجدل والمناظرة شغلهم الشاغل واشهرهم بروتاكورس وكورجياس

الدور الثاني — سبق فقلنا ان فلاسفة الدور الاول جعلوا معظم بحثهم في الطبيعة واصل العالم وتكوينهِ فاختص جماعة منهم بالطبيعيات وفريق بما وراء الطبيعة وفئة بالرياضيات وقوم بالميكانيكيات على ان خواطر الفلاسفة في الدور الثاني اتجهت للبحث في الانسان وطبيعتهِ فاشتغل قوم منهم بالحس واقتصر في بحثهِ على الشعور وانصرف آخرون الى درس الارادة والبعض الى قوى المدارك وجملة القول انهم اقتسموا في هذا الدور حالة الانسان كما اقتسم اهل الدور الاول الكلام في شؤون العالم

وقد مضى الدور الاول والفلسفة بين ايدي جماعة السفسطائيين الذين حسبوا البلاغة والماحكة في الجدل غاية العلم ومنتهى الحكمة فقيَّض الله للفلسفة رجلاً عظيماً هو سقراط الحكيم الكبير الذي حمل على السفسطائيين فبدد اباطيلهم وشتت تخرصاتهم بما اوتي من العلم الراسخ والحكمة الباهرة والحجة القاطعة فكان على ما قالهُ شيشرون منزل الفلسفة من السماء ولا غرابة في ذلك فهو واضع الفلسفة وبعبارة اخرى المبدإ الفلسفي اي قاعدتي الملاحظة والتحليل اللتين اعتقتا العقل من اسر الحدس والتخمين فانطلق ينشد الحقائق في سبل البحث والتنقيب

ولم يكن لسقراط مدرسة خاصة يجتمع اليها الطلبة فيأخذون عنهُ العلم شأن سائر الفلاسفة بل كان يعلّم في كل موضع وجد فيهِ ولم يدوّن في مؤلفٍ خواطرهُ الفلسفية

والادبية وانما رواها للناس عنهُ تلميذاهُ افلاطون واكزنيفون فنقل الاول عنهُ ابحاثهُ في النظريات والثاني اقوالهُ في الآداب ولما كان ديدنهُ تعليم الناس في الشوارع والمحال العمومية الآداب والدين حاملاً على السفسطائيين يطعن في مذاهبهم ويفند مزاعمهم سعى بهِ عداة الحق عند الحكومة فشكوهُ انهُ لا يعبد الارباب الوطنية ويحاول ادخال عبادة آلهة جديدة الى البلاد ويفسد آداب الناشئة الى غير ذلك من التهم والاكاذيب الملفقة فحكم عليهِ بالقتل ظلماً وبهتاناً فشرب السم الزعاف غير هيَّاب ولا وجل وراح شهيد الفضل والحق

وكان سقراط يقول ان النفس جوهرٌ مجرَّد عن المادَّة شبيهة بالاله الخالد وان قواها الاساسية الحس والعقل ويعتقد بوحدانية الله وبوجود آلهة دونهُ قدراً بعثت منهُ لحفظ العالم وان سعادة الانسان الحقيقية في اتيان الفضائل والفضائل الاصلية اربعة وهي الحكمة والشجاعة والعدل والاعتدال وان الحكمة تارة تكون فضيلة خاصةً واونةً نتيجة الفضائل الاخرى وتقوم فضيلة العدل باتباع الشرائع الموضوعة والشرائع الازلية التي لم تدون الاَّ على صفحات القلوب والاعتدال يكون تارةً فضيلة ادبية وطوراً واسطة لنيل السعادة على ان كل علم لا يعمل على تحسين حالة الانسان فهو باطل وافضل شيء للانسان ان يعرف نفسهُ

وكانت غايتهُ من اسلوب التهكم المعروف باسمهِ "التهكم السقراطي" تمحيص معارف ايامهِ وتبيان مواضع الغلط فيها ودفع ذوي الالباب الى البحث واكتشاف الحقائق وذلك بطريقة الاستقراء وهي الانتقال من المعلوم الى المجهول وقد ذهب الى ان اول درجةٍ يبلغها الانسان في البحث هي العلم بانهُ لا يعرف شيئاً ومتى بلغ هذه الدرجة وظلَّ على البحث يدرك السبيل التي تنتهي بهِ الى المعرفة . وخلاصة القول ان لهذا الفيلسوف اليد البيضاء في ارتقاء الفلسفة وقد رأى الناس ثمار اتعابهِ فيها دانية القطوف بين يدي افلاطون وارسطوطاليس

وهذان الفيلسوفان هما ولا ريب من اعظم فلاسفة هذا الدور واوسعهم علماً واعلاهم شأناً فانهما ولئن تباعدا في خطتيهما الفلسفيَّة فقد اتفقا على حسبان شرائع العقل واحكام طبيعتهِ شرطاً لازماً للعلم كما وانهما لم يحصرا العلم ضمن معرفة حالة الانسان بل جعلاهُ يبحث في طبائع جميع الكائنات فوضعا بذلك اساس العلوم

وقد عرف عن افلاطون انهُ عقيب ان اشتغل بالشعر وتعاطى صناعتهُ ردحاً من الزمن عاد فانقطع لدرس الفلسفة على سقراط وبعد موت استاذهِ ترك اثينا وطاف اسيا ومصر وبلاد اليونان ومن ثمَّ عاد الى وطنهِ وانشأ مدرستهُ في حديقة صديقهِ اكاديمس ولذلك سميت بالاكادمية وقيل كان لهُ كفيثاغورس اسلوبان في التعليم واحد للخاصة من تلامذتهِ

والثاني للعامة من الناس وقد لقي العلماء عناء كبيرًا في فهم مؤلفاته لاعتماده فيها على الامثلة والرموز

على ان اهمّ ما في فلسفة افلاطون آراؤهُ عن الله والنفس وقد نسب لهُ البعض القول بتعدد الالهة مستندين في ذلك الى ما ورد في كتابهِ التيمة ويذهب البعض ان القول بتعدد الالهة مناقض لمذهبهِ وان ما جاء في كتابهِ المشار اليه من ذكر الالهة لم يكن الاَّ مجاراةً لعقائد العامة من الناس وفي حقيقة الحال ان آلهة افلاطون ما هي الاَّ الوسيطة بين الله والعالم والمطيعة لاوامرهِ والمنفذة لاحكامهِ في اعمال المخلوقات السفلى ولا تأتي عملاً الاَّ طبق ارادتهِ وحسب مشيئتهِ واما النفس فهي ما اوجدهُ الله مباشرة وبعبارة اوضح هي اول مخلوقاتهِ لانها اوفر كمالاً من جميعها وقد ركبها من عنصرين عنصر الهيّ صادر عنهُ وعنصر مشارك في ماهيتهِ للمحسوسات الجسدانيَّة ومن خصائصها ان تصحب الحياة والحركة وهي خالدة

ولافلاطون كلام طويل في الآداب والسياسة لا يتيح لنا المقام الالماع الى شيءٍ منهُ ولم يكن لهُ طريقة خاصة ولا نظام معين وكلما قالهُ وعلَّم بهِ مأخوذ عما تلقنهُ عن استاذهِ سقراط ومات سنة ٣٤٨ ق · م تاركاً للعلم والحكمة اعظم عالم واكبر فيلسوف وهو ارسطوطاليس المسمى بالمعلم الاول رأس الحكماء المشائين وواضع علم المنطق

الاَّ ان ما نال ارسطوطاليس من الشهرة البعيدة والصيت الذائع لم ينلهُ سواهُ من الفلاسفة وجهابذة العلم ولا تغنى تاريخ من تواريخ الامم الراقية بفضل رجل من رجال الحكمة بمثل ما تغنت بارسطوطاليس تواريخ الغرب والشرق · ولا غرابة في ذلك فهو اول فيلسوف احاط بكل فروع العلم ولم يدع باباً من ابوابهِ الاَّ ولجهُ ووضع فيهِ المؤلفات الجليلة التي كانت هداة طلاب العلم في كل زمان ومكان فهو الواضع لعلم المنطق وقد صنَّف فيهِ كتاباً سماهُ الميزان تكلم فيهِ اولاً عن الكليات الخمس والمقولات العشر ومن ثمَّ بحث عن القضايا واحكامها ومن هناك تطرَّف الى الكلام عن القياس وانواعهِ وبيَّن طرق الاستدلال ومواضع المغالطة والسفسطة وقد كان لهذا العلم في كل اعصر العمران شأناً عظيماً وكان في تضاعيف بعضها الغاية القصوى من الفلسفة بل العلم كل العلم

ولهذا الفيلسوف مؤلفات كثيرة في الطبيعة · ويعني بالطبيعة هنا ما ارادهُ اليونان من معناها وليس ما اصطلح عليهِ علماء عصرنا · منها كتاب عنوانهُ الطبيعة في ثمان مجلدات ورسالة في السماء واخرى في النفس وتاريخ للحيوان في عشر مجلدات ووضع ايضاً كتباً كثيرة فيما وراء الطبيعة والآداب السياسيَّة وكلها تشهد لهُ بغزارة المادة والتبريز بتوقد الذهن

ولقد كرَّ الزمن الطويل على مذهبي افلاطون وارسطوطاليس حتى بلغا البلاد الاسلاميَّة زمن ازدهائها العلمي ووصلا الغرب في العصور الوسطى واوائل النهضة العلميَّة فيهِ وكانا حيثما وصلا التفت حولهما خيرة الاذكياء من الادباء واحلوهما محلاً رفيعاً من التجلة والاحترام على انهُ قام في اليونانيَّة الى جانبهما مذاهب اخرى كالابيقورية والرواقيَّة ومدرسة بيرهون الاَّ انها جميعاً لم يطل زمن وجودها لانها لم تكن ذات مبادىء منيفة تقوى على كرور الايام

نشأ المذهب الابيقوري في اثينا سنة ٣٤٠ ق . م وزعيمهُ ابيقورس ومذهبهُ حسي ويعتقد انهُ كلما يأتي عن طريق الحس منزهٌ عن الغلط وان ما يبنى على مجرد الفكر لا يسلم من الزلل وتأييداً لمذهبهِ هذا وضع القواعد الاربع الآتية (١) ان الحس لا يخطىء ابداً (٢) لا يقع الخطاء الاَّ من الفكر (٣) يكون الفكر صائباً اذا اثبتهُ الحس ولم ينقضهُ (٤) يكون الفكر مخطئاً اذا ناقضهُ الحس . وذهب الى ان اللذة هي الغاية من الحياة الدنيا وان الانسان لا يكلف باتباع الفضيلة اذا لم تقترن باللذة على انهُ آثر لذة النفس على لذة الجسد

وأما الرواقيون فقسموا العلم الى ثلاثة اقسام وهي الطبيعيات والآداب والمنطق فلم يزيدوا عليهِ شيئاً بل علموهُ كما وضعهُ ارسطوطاليس وانما اختصروا المقولات العشر فجعلوها اربعاً وقالوا في الطبيعيات ان العالم مؤلف من مبدأين الاول منها المبدأ الفعال والثاني المنفعل فالفعال هو العقل الازلي والمنفعل هو المادة وان نفس الانسان منبعثة عن النفس الازلية وتعود اليها اخيراً وتمتزج معها . على ان آداب الرواقيين سامية وآثارها الحسان ظاهرة فيما سنهُ متشرعو الرومان من الشرائع والقوانين . وفي هذا الدور ظهرت اللاادرية في شكل جديد من القوة والتفت حولها جماعة من العلماء قالوا بآراء زعيمها برهون الذي وُجد بعد ارسطوطاليس وعلَّم بوجوب الارتياب بكل شيء وعدم الجزم بحقيقة وادعم قولهُ هذا بالقواعد الآتية (١) ان الناس يختلفون بعضهم عن بعض (٢) ان الشعور في الانسان الواحد يختلف عن شعور الانسان الآخر حتى ان المشاعر في الشخص الواحد تناقض بعضها فالريحان مثلاً تستطيبهُ حاسة الشم وتكرههُ حاسة الذوق (٣) ان الاحوال تغير في الافكار وان العمر والراحة والحركة والبغض والجوع والعطش تؤثر في الافكار (٤) ان الحكم على الاشياء الخارجية يتوقف على حالة اعضائنا (٥) ان الانفعال الذي يحدث فينا اثر مشاهدة شيء يختلف حسب كثرة المشاهدة وقلتها (٦) ان الحكم على الاخلاق يختلف باختلاف شرائع القوم وعاداتهم فان ما تحسبهُ امةٌ فضيلةً ربما عدتهُ اخرى رذيلة

المعنا الى خلاصة المذاهب الفلسفيَّة في الدور الثاني وقد بقي علينا ان نذكر شيئاً من شؤون الدور الثالث وما شأن هذا الدور في الفلسفة الاَّ الرجوع الى المذاهب القديمة والعمل بها والوقوف عند حد ما وضعت لهُ شأن مدرسة اثينا والفلسفة عند الرومان الذين حالت رغبتهم في السياسة وتكتيب الكتائب لتدويخ البلاد عن الانصراف بكليتهم الى الابحاث النظرية البحتة فلم يقم منهم فيلسوف عظيم ولا نشأ عندهم مذهب فلسفي خاص وانما جاءتهم الفلسفة من اليونان بمذاهبها الكثيرة فابقوها على ما هي واعتنق سوادهم الرواقية وكان لها بينهم المكانة العليا

وكانت غاية مدرسة الاسكندرية ان تجمع ضمن مذهب واحد الفلسفة اليونانية والاديان الشرقية ولم تضع من عندها شيئاً جديداً وعرفت طريقتها هذه بالمذهب الانتخابي على انهُ بعد ان ظهرت النصرانية وتعززت بتنصر الملوك حملت على هذه المدرسة حملة هائلة لم تبقِ عليها فاندثرت وكان باندثارها نهاية الفلسفة اليونانية

ولا ريب ان مَن تتبع سير الفلسفة في العالم بعد موت الفلسفة اليونانية يرى ان مبادئ مذاهبها الكبرى لم يعتورها الفناء ولا مسها الموت وانما ظلّت في الحياة تتسرّب الى كل رأي عند كل امة راقية فتسود وتتربع المحل الاول فاذا التفتَّ الى كتابات آباء الكنيسة وعلمائها بعين نقادة تجلَّت لك خلالها آراء افلاطون منزّهة عن شوائب الوثنية مجملة بالمبادىء المسيحيَّة

***

وماذا نقول عن فلسفة ارسطوطاليس وقد سادت على الافكار آماداً طوالاً ودخلت مدارس اليهود والنصارى والعرب فكانت ضالتهم المنشودة يترجمون كتبها ويشرحون غوامضها ناهيك ان المنطق ظلَّ نحواً من ستمائة سنة في العصور الوسطى وهو العلم الوحيد الذي كان يستنفد الوسع في دراستهِ ويستفرغ الجهد في تطلبهِ وحتى ان الاجيال الاخيرة مع سيرها شوطاً بعيداً في العلم لم ترقَ بعد من طاعتهِ وما برح منطق ارسطوطاليس بين ايدي طلبة المدارس اليوم وهو لم يخطُ خطوة واحدة الى الامام او الى الوراء على ما قالهُ كَنت

والرواقية على ضعف تعاليمها ووهن مبادئها التي لا تقوى على نار التمحيص والتجريح ذات آداب سامية نابت مناب الدين زمن انحطاط الدولة الرومانية ووضعت الشرائع التي اقامت العدل والحق مقام العادات والامتيازات وعملت على تحسين حالة الانسان وعلَّمتهُ اعتبار الذات والحق

ص · ي

الوراثة

يراد بالوراثة القوة الطبيعيَّة التي تورث الولد من والديهِ واسلافهما ما فيهِ من الاوصاف والاخلاق الجسدية والعقلية اي الاصول التي بها قوام جسمهِ وعقلهِ لانها كلها موروثة من والديهِ واسلافهما · وهذه القوة متسلطة على كل انواع الحيوان والنبات · وقد انتبه الناس لها من قديم الزمان وقالوا ان الولد سر ابيهِ وعرفوا انها ناموس عام شامل كل الاحياء وبموجبها اصَّلوا انعامهم وما ربوهُ من الطيور والدواب وما زرعوهُ من الحبوب والبقول والاشجار لكن اساليبها التي تجري عليها لم تُعرَف الاَّ منذ عهد قريب ولم تُمحَّص كلها التمحيص الكافي حتى الآن للجري بموجبها كقواعد الحساب والكيمياء

ترى عائلة مؤَلفة من اب ابيض الوجه اشقر الشعر طويل القامة وام سمراء الوجه سوداء الشعر قصيرة القامة يولد لها اولاد كثيرون صبيان وبنات فتجد البكر منهم شبيهاً بابيهِ والثاني شبيهاً بامهِ والثالث متوسطاً بينهما والرابع لا يشبه اباهُ ولا امهُ بل جدَّهُ لابيهِ او لامهِ او جدتهُ او احد اعمامهِ او اخوالهِ والخامس يشبه اباهُ او امهُ شكلاً ولكنهُ لا يشبههما لوناً بل هو شديد السمرة او شديدة الشقرة وهلمَّ جرًّا · هذا من حيث الاوصاف الجسدية اما العقلية فقد تختلف اكثر من ذلك كثيرًا او يكون التشابه فيها للوالدين على اشدّهِ · وكثيرًا ما نسمع واحدًا يتكلم وانت لا تراهُ فتعلم حالاً انهُ ابن فلان لان صوتهُ يشبه صوت ابيهِ ولو لم تكن قد سمعت ذلك المتكلم قبلاً ولا رأَيتهُ · وقد يرث الاولاد من والديهم امورًا طفيفة جدًّا مثل كثاثة الحاجبين ونمو شعرة طويلة في احدهما وحركات معلومة في العينين او اليدين ونحو ذلك مما سنذكرهُ مفصَّلاً

ولم يهتدِ الباحثون الى ناموس الوراثة اي الى القانون او القوانين الطبيعيَّة التي تتكيف بموجبها الاحياء وترث صفات اسلافها الاَّ منذ عهد قريب ولا يزال مجال البحث في هذا الموضوع واسعاً جدًّا · وسنلخص في هذه المقالة والمقالات التالية بعض ما وصلوا اليهِ حتى الآن ولا بدَّ لنا قبل ذلك من الكلام على كيفية تولُّد الحي من والديهِ فنقول

اذا ذبحتَ دجاجة من الدجاج الذي يبيض وجدت فيها كثيرًا من البيوض بعضها صغير جدًّا كحبوب الدخن وبعضها اكبر من ذلك فاكبر الى ان تجد بيضة تكاد تكون في حجم البيضة حين خروجها من الدجاجة · ومعلوم ان الدجاج الذي لا ديك معهُ بيضهُ عقيم اي لا تتولَّد منهُ فراخ واما الدجاج الذي معهُ ديك فتتولد منهُ فراخ اذا وضع تحت دجاجة

رنقاء او في مكان حرارتهُ كافية لنمو الفراخ فيهِ . واذا ذبحت الديك لم تجد فيهِ بيوضاً كثيرة كما تجد في الدجاجة بل وجدت فيهِ بيضتين فقط وهما خصيتاه واذا شققت الخصية منهما وفحصتها بالميكرسكوب وجدت فيها جراثيم صغيرة جدًّا كالدبابيس شكلاً تتحرك كأنها حية . فاذا تزاوج الديك والدجاجة خرج منهُ بعض هذه الجراثيم ودخل البيض الذي في الدجاجة فتصير الفراخ تتولد من ذلك البيض وكل فرخ منها يشابه والديهِ وقد يشابه اباه اكثر مما يشابه امهُ وقد يشابه امهُ اكثر مما يشابه اباهُ وقد يشابه اباهُ في بعض اوصافهِ وامهُ في البعض الاخر. والجرثومة التي تدخل البيضة صغيرة جدًّا بالنسبة الى البيضة ولكن صفات الفرخ لا تكون اشبه بصفات الام منها بصفات الاب كأن لا شأن لمقدار الجرثومتين اللتين تمتزجان وتكوّنان الفرخ جرثومة الديك الخارجة من خصيتيهِ وجرثومة الام التي في بيضتها. او ان الجرثومة الاصلية التي في البيضة صغيرة جدًّا كالجرثومة الآتية من الديك وما بقي من البيضة فهو غذاء لها

ولا بدَّ من اسماء اصطلاحية نسمي بها الاجزاء المختلفة التي يتولّد منها الجنين فرأينا ان نترجم الاسماء الافرنجية بما يقاربها لفظاً ومعنىً وهي الجُمَع اي الجراثيم التي تتجامع او تتزاوج من الذكر والانثى او من الخصية والبيضة ويقال لها باللغات الاوربيَّة gamets من gamos باليونانية اي زاوج او جامع . والازواج وهي الاجسام التي تحصل من هذا التزاوج ويقال لها باللغات الاوربيَّة zygote من zygo باليونانية اي زوَّج او قرن . والجراثيم اي الدقائق التي تكون فيها اصول الوراثة وهي من germen باللاتينية . وقد اخترنا الكلمات العربية التي نظن انها والكلمات الافرنجية من اصول واحدة تسهيلاً للحفظ . وكل جنين مكون اصلاً من جرثومتين مشتقتين من والديهِ ولا شبهة ان كل ما في الانسان من الصفات ناتج عن بناء جسمهِ فاذا كانت الجُمَع اي جراثيم الذكر والانثى التي تتجامع وتتزاوج صحيحة سليمة فالمرجح ان الازواج التي تتكون من مزاوجتها تكون صحيحة سليمة وهذا يشمل الصفات الجسدية والعقلية . واذا كانت الجُمَع مائلة الى الكسل والخمول فالمرجح ان الازواج التي تتكون منها تكون كسلانة خاملة . ومن المحتمل ان التربية والاحوال الخارجية تؤثر ان في الصفات الموروثة ولكن تأثيرها غير كثير وغير محدود

وقد بحث كثيرون في ما يرى من افعال الوراثة وجمعوها وبوّبوها لعلهم يجدون لها قانوناً تجري عليهِ فتوصَّل صديقنا العلاَّمة فرنسيس غالتون الى الناموس المعروف بالقياس الحيوي (بيدمتري) وقد شرحناهُ منذ اربع سنوات ومفادهُ ان نصف ما في الولد من والديهِ والنصف

الاخر من اسلافهما ونصف هذا النصف من جديهِ وجدتيهِ والنصف الآخر من اسلافهم وهلمَّ جرًّا . وسنعود الى هذا الناموس بعد الكلام على ناموس آخر لم يتيسَّر لنا شرحهُ قبلاً وهو ناموس مندل . وقبل الكلام على هذا الناموس نذكر مثالاً يتضح بهِ وهو ان الفار البري اغبر اي رمادي اللون و يوجد نوع من الفيران ابيض بياضاً ناصعاً والفيران الغبراء سوداء العيون واما الفيران البيضاء فعيونها حمراء قرنفلية اللون اي ان الفيران الغبراء ملونة واما الفيران البيضاء فخالية من اللون فاذا ضُرِبت الواحدة بالاخرى اي حصلت المزاوجة بين الفيران الغبراء والفيران البيضاء فنسلها يكون اغبر دائماً وعيونهُ سوداء مثل الاغبر من الوالدين ولذلك يقال ان اللون الاغبر غالب في هذه الفيران واللون الابيض مغلوب لانهُ لا يظهر في النسل ولكن اذا زاوجنا النسل المتولِّد من ذلك بعضهُ ببعض ولد منهُ فيران غبراء عيونها سوداء وفيران بيضاء عيونها حمراء وتكون الفيران البيضاء اقل عدداً من الفيران الغبراء . واذا اكثرنا من مزاوجة الفيران الغبراء بالفيران البيضاء ومزاوجة نسلها بعضهُ ببعض حتى اجتمع لدينا مئات من الفيران المتولدة من ذلك رأينا ان عددها يجري على قياس واحد دائماً اي انهُ يتولد منها ثلاث فيران غبراء لكل فارة بيضاء

وقد فُسِّر ذلك هكذا :— ان النسل الاول المتولد بين الفيران الغبر والفيران البيض الذي جاء كلهُ اغبر متولد من امتزاج جُمَعٍ فيها الاصول الغبراء وجُمَعٍ فيها الاصول البيضاء فتنتشر هذه الاصول في جسم الجنين كلهِ وتصل الى اعضاء التناسل التي تتولَّد فيهِ اي الى مبيض الانثى وخصيتي الذكر وتنفصل هذه الاصول بعضها عن بعض لسبب مجهول فتتصل الاصول الغبراء الى نصف الجُمَع المتولدة في النسل والاصول البيضاء الى النصف الآخر ولذلك فحينما نزاوج الفيران المتولدة من ذلك يتولد من تزاوجها اربعة اشكال وهي الاغبر مع الاغبر. والاغبر مع الابيض . والابيض مع الاغبر. والابيض مع الابيض كما يحدث من ضرب كمية ثنائية في نفسها. فاذا عبَّرنا بالحرف غ عن الاغبر وبالحرف ب عن الابيض فالحاصل من تضريب الاغبر والابيض في الاغبر والابيض هو غ غ + ٢ غ ب + ب ب كما لا يخفى . ومعلوم ان غ غ يجب ان يكون اغبر صرفاً وكذلك غ ب و ب غ كلٌّ منهما ممزوج من الاغبر والابيض فهو اغبر واما ب ب فيكون ابيض صرفاً اي يكون في النسل فارة بيضاء لكل ثلاث فيران غبراء ثم اذا اخذنا فارة من الفيران الغبراء المتولدة هذه النوبة من تضريب الغبر بالبيض وزوَّجناها بفارة بيضاء جاء نصف نسلها ابيض والنصف الآخر اغبر فاذا ولدتا اربعاً كان اثنتان منها بيضوين واثنتان غبروين لان الجُمَع في الفارة البيضاء تكون

حاوية الاصول البيضاء فقط والجُمَع في الفارة الغبراء يكون بعضها حاوياً الاصول البيضاء وبعضها حاوياً الاصول الغبراء ويظهر ذلك بهذه العبارة الجبرية فاذا عبَّرنا عن جُمَع الفارة الغبراء بالحرفين ب + غ وجب ان نعبر عن جمع الفارة البيضاء بالحرفين ب + ب فاذا ضربنا العبارة الواحدة بالاخرى اي (ب + غ) × (ب + ب) حصل ب ب + ب ب + غ ب + غ ب اي فارتان من الفيران البيض وفارتان من الفيران الغبر

وقد ظهر بالتجارب الكثيرة ان هذه القواعد صحيحة اي ان الجُمَع المؤلفة من نوع واحد تنتقل الى النسل كما هي والجُمَع المؤلفة من نوعين يتغلَّب بعضها على بعض فينتقل منها الغالب والمغلوب ويظهر كلٌّ منهما او يختفي حسب ما يتفق لهُ من امتزاجهِ بشيءٍ يظهرهُ او يخفيهِ . واول من اكتشف ذلك واثبتهُ بالامتحان راهب نمسوي اسمهُ مندل ولكن اكتشافهُ هذا بقي ثلاثين سنة طيَّ الخفاء

ولد مندل سنة ١٨٢٢ وكان ابوهُ بستانياً يعني بغرس الاشجار فربي وهو عارف بكيفية الزرع والغرس والتطعيم ثم تعلَّم وترهب ودخل ديراً للرهبان الاوغسطينيين في موراڤيا تحيط بهِ جنائن كبيرة فاتمَّ دروسهُ الابتدائية وأُرسل على نفقة الدير الى مدرسة ڤينَّا الجامعة فدرس فيها الرياضيات والطبيعيات وجعل استاذاً في مدرسة برون واقام فيها اربع عشرة سنة ثم جُعل رئيساً للدير الذي نشأ فيهِ وكان وهو استاذ يمتحن زرع الفول والبازلاَّ و يضرّب احدهما بالآخر ونشر نتيجة تجاربهِ سنة ١٨٦٥ في اعمال الجمعية الطبيعية في برون وهي قليلة الانتشار فكأنهُ دفنها فيها وهذه النتيجة هي الناموس المذكور آنفاً المعروف الآن بناموس مندل او قاعدة مندل . ثم شغل باموراخرى واعتلَّت صحتهُ ومات سنة ١٨٨٤

ونحو سنة ١٩٠٠ كان بعض العلماء يبحث عن نواميس الوراثة فاكتشف الناموس الذي اكتشفهُ مندل ثم كشف بعض العلماء ما كتبهُ مندل في اعمال الجمعية الطبيعية وشرحهُ وكان ذلك منذ بضع سنوات وسنعود الى ذكر تجاربهِ في فرصة اخرى

ولا بدَّ لنا قبل التوغل في الكلام على هذا الموضوع من ايضاح امر قد يقف عثرة في سبيل بعض القراء وهو انهُ يصعب عليهم ان يتصوروا كيف ان البيضة الصغيرة التي يتولَّد منها الفيل تحوي من الجراثيم ما يكفي لتوليدهِ وتوليد الافيال التي تتولَّد منهُ ومن نسلهِ مدة قرون كثيرة ولكن العلم الطبيعي قد اثبت ان جرم الدقائق الاصلية التي تتكون منها الجراثيم صغير جداًّ جداًّ حتى ان الجرثومة الواحدة تحوي ملايين كثيرة من هذه الدقائق فاذا توزعت في جسم الجنين الذي يتولد منها ووصل بعضها الى مبيضهِ وتكونت منهُ جراثيم جديدة

كان فيها من الدقائق ما يكفي لتوليد بيوض اخرى واجنة اخرى وهلمَّ جرًّا مدة اعقاب كثيرة الى ان تتلاشى تلك الدقائق فينقرض النسل او تمتزج بها دقائق اخرى فيتحوَّل من صورة الى اخرى او من نوع الى آخر ولذلك فكبر البيضة وصغرها لا يقدّم ولا يؤخر ما دامت الدقائق الاصلية كثيرة جدًّا في الجرثومة حتى انها تعدّ بالملايين

ثم ان التولُّد على الصورة المتقدمة اي من اجتماع جراثيم الذكور بجراثيم الاناث هو السبيل الوحيد للتولد في الحيوانات العليا وتجري عليهِ النباتات غالبًا ولكن الحيوانات الدنيا والنباتات كلها تجري ايضًا على اساليب اخرى فالزيتون يتولد بزرع بزرهِ وبزرع غصن منهُ وبزرع قطعة من ارومتهِ او جذرهِ وقس على ذلك التين والتوت والليمون واكثر الاشجار التي ليس فيها صمغ راتينجي ولا يندر ان ترى خشبة مقطوعة من توتة ومسمَّرة في آلة لرفع الماء وهي مع ذلك تفرخ كانها مزروعة في الارض . والاسفنج وهو حيوان اذا قطعتَ قطعًا صغيرة منهُ وزرعتها في البحر عاشت ونمت وتكوَّن منها اسفنج كبير . وسواءٌ نبتت الشجرة من بزرة او من غصن او من جذر فان ناموس الوراثة ينقل اليها خواص امها الاصلية من غير اختلاف او باختلاف قليل . وهذا شأن الحيوانات التي تتولد من بيضة او من جزء من اجزاء امها الاصلية فان الوراثة تنقل اليها خواص امها من غير اختلاف او باختلاف قليل . ونقل هذه الخواص جارٍ على ناموسي الوراثة المشار اليهما آنفًا وبهما يعلَّل اختلاف الالوان والاشكال والاخلاق وانتقال الاستعداد للامراض ونحو ذلك مما سنبينهُ مفصَّلاً

وقد اثبت البحث ما رجَّحهُ هكسلي منذ سنة ١٨٧٨ وهو ان كل جزء من الحي البالغ يحوي دقائق مشتقة من ابيهِ وامهِ معًا فهو اشبه بنسيج سداهُ من الام ولحمتهُ من الاب فتمتزج الدقائق المشتقة من جسم الاب بالدقائق المشتقة من جسم الام ثم تنقسم وكل قسم من اقسامها يحتوي من النوعين ثم ينقسم كل قسم من الاقسام الخ حتى ان كل دقيقة من الدقائق التي تتكوَّن اخيرًا يكون نصفها من الاب ونصفها من الام اي ان سدى النسيج ولحمتهُ يكونان من الاب والام على حدٍّ سوى فالوراثة ثنائيةٌ بهذا المعنى اي ان الولد مشتق من والديهِ غير ان الدقائق التي تصلهُ من ابيهِ مشتقة اصلاً من ابوَي ابيهِ والدقائق التي تصلهُ من امهِ مشتقَّة اصلاً من والدي امهِ وهلمَّ جرًّا بالرجوع الى الاسلاف السابقين والصفات التي تحويها هذه الدقائق اما ان يوافق بعضها بعضًا فتقوى في النسل واما ان يخالف بعضها بعضًا فتضعف فيهِ او تتنوَّع على صور شتَّى كما سيجيءُ

غرائب الاتفاق

وصدق الاحلام

كانت سيدة ذاهبة الى البلاد الانكليزية في اواخر شهر مايو الماضي بطريق جبل طارق . فارقتنا صباح الرابع والعشرين من الشهر وركبت سفينة قائمة من بورت سعيد وكتبت الينا في الحادي والثلاثين من الشهر وهي في عرض البحر امام بلاد اسبانيا قائلة انها حلمت ان فلانة ولدت صبيًّا في الليل الماضي . وكانت تعلم ان السيدة التي اشارت اليها حامل ويوم ولادتها قريب

وقد ولدت هذه السيدة صبيًّا في الحادي والثلاثين من شهر مايو الساعة السادسة صباحاً وهي تعادل الساعة الرابعة في المكان الذي كانت فيهِ السيدة الحالمة . فالحلم صحيح بكل تفاصيلهِ . ونسبة الاصابة الى الخطإ في هذه الحالة كنسبة واحد الى ٣٦ او اكثر لان السيدة التي ولدت ذلك اليوم كان يحتمل ان تلد فيهِ او في اي يوم من الخمسة الايام التي قبلهُ او من الاسبوع الذي بعدهُ وان تلد صبيًّا او بنتًا والحاصل من هذين الاحتمالين ٣٦ فنسبة الخطإ الى الاصابة كنسبة ٣٦ الى ١ ومع ذلك اصابت تلك السيدة في حلمها او حدسها وكتبت بهِ الينا وارسلت الكتاب من اول مرفإ وصلت السفينة اليهِ قبلما وصلها خبر منا بايام بل وصل كتابها الينا قبلما وصل خبرنا اليها

والنوادر التي من هذا القبيل كثيرة جدًّا وقد نشرنا بعضها في السنين الماضية ورأينا الآن ان ننشر النوادر التالية وهي من فصل قديم للعلامة الفرد رسل ولس

حلمت سيدة انكليزية مرتين في ليلة واحدة انها رأت اخاها بدنًا بلا رأس واقفًا عند رجلي سريرها ورأسهُ موضوع على تابوت بجانبهِ . وكانت تعلم ان اخاها في جهات الهند ولكنها لم تكن تعلم مقرَّهُ ثم اتضح انهُ كان في بورنيو مع السر جمس بروك وقد قتلهُ فيها الصينيون الذين ثاروا على الحكومة ظانين انهُ ابن حاكم البلاد وقطعوا رأسهُ واخذوهُ غنيمة واما جسمهُ فحرق باحتراق بيت الحاكم . وكتب رئيسهُ السر جمس بروك يقول ان اخذ الصينيين لرأسهِ يدل على انهم قتلوهُ اولاً ثم قطعوا رأسهُ . وفسَّر ولس ذلك بان نفس القتيل اعلمت اختهُ بما اصابهُ او نفساً اخرى رأت ذلك واعلمت اختهُ بهِ

وحلمت سيدة اخرى انها رأت اخاها (وهي وإياهُ توأمان) جالساً في نور القمر على

جانب الطريق في تسمانيا حيث كان ثم رفع يدهُ وقال القطار القطار واذا بشيءِ لطمهُ فسقط مغمًى عليهِ ومرَّ شيءٌ كبير اسود ورأت بناء مثل مباني سكة الحديد ورجلاً تعرفهُ واخاها ايضاً ويدهُ على وجههِ وهو في حزن شديد وسمعت صوتاً غير صوتهِ يقول لها انهُ ذاهب عنها . ثم اتضح انهُ في تلك الليلة نفسها كان اخوها مارًّا على سكة حديدية فجلس على الخط ونام ومرَّ القطار فقتلهُ والرجل الذي رأتهُ في حلمها كان راكباً في ذلك القطار . قال ولس ان النفس التي اعلمت هذه المرأة بموت اخيها لم تكن نفسهُ لانهُ هو لم يكن يعلم ان ذلك الرجل راكب في القطار فهي نفس اخرى رأت كل شيءٍ واخبرت بهِ

وكان رجل من اهالي غلاسكو يسكن في لندن وعندهُ في معملهِ بغلاسكو شاب كان يودُّهُ فحلم ذات ليلة ان ذلك الشاب جاءهُ وطلب منهُ ان لا يصدق ما يسمعهُ عنهُ فسألهُ الرجل عن امرهِ فقال لهُ الشاب ثلاثاً ستعلم قريباً . ورأى الرجل وجه الشاب اصفر مزرقًّا وهو يتصبَّب عرقاً ولما استيقظ استلم البريد فاذا فيهِ كتاب لهُ من وكيلهِ في غلاسكو يقول لهُ فيهِ ان الشاب فلاناً انتحر بشرب ماء الفضة . ومن يشرب ماء الفضة يصفر وجههُ ويزرقُّ كما رأى ذلك الرجل في حلمهِ وكان هذا الشاب قد مات قبل الحلم بيومين . ومن رأي ولس ان نفس الشاب هي التي اخبرت صاحب المعمل لنفي تهمة الانتحار

ودعي رجل الى جنازة فلم يستطع الذهاب اليها وفي ميعاد الجنازة اصابتهُ غيبوبة فحلم انهُ حضر الجنازة وشاهد كيفية سيرها ومَن صلَّى على الميت ولما انتبه كتب ذلك كلهُ ثم وجد ان الجنازة حدثت كما شاهدها في حلمهِ

وغرق شاب اسمهُ فيليب من تلامذة المدرسة الكاثوليكية قرب هرتفرد سنة ١٨٤٦ وفي نحو الساعة التي غرق فيها كان ابوهُ واختهُ مارين في طريق فرأياهُ امامهما جالساً مع شاب آخر وهما بثياب سوداء فقالت اختهُ لابيها انظر يا ابتِ هوذا فيليب فنظر وقال نعم هذا هو ولكن منظرهُ منظر ملاك . واسرعا اليهِ وفي تلك اللحظة مرَّ رجل امامهما فرأيا كأنهُ اخترق جسم فيليب ورفيقهِ ثم تبسَّم الاثنان واختفيا

وجاء رئيس المدرسة الدكتور كوكس ينعي الولد الى ابيهِ فقال لهُ ابوهُ قبلما كلَّمهُ اني عرفت لاي غرض انت آتٍ وقصَّ عليهِ ما رأى هو وابنتهُ . وبعد اسابيع قليلة زار هذا الوالد مدرسة الجزويت في ستونيهرست فرأى فيها صورة تشبه صورة الشاب الذي رآهُ مع ابنهِ وقد كُتب تحتها انها صورة القديس ستانسلاوس كونسكا وهو من طغمة الجزويت وكان ابنهُ قد اختارهُ حارساً لهُ عند تثبيتهِ

وفسَّر ولس ذلك بان الطيفين اللذين رآهما الوالد وابنتهُ إما انهما طيفا ابنهِ والقديس حارسهِ او ان روحاً من ارواح احد اصدقائهِ مثلت لهما ذينك الطيفين لكي يطمئن بالهما ورجح الثاني . قال وهذا اي اظهار الميت في صورة تعزي ذويهِ كثير الوقوع مثال ذلك ان شابًا غرق بغرق السفينة لابلاتا سنة ١٨٧٤ وقبلما وصل نعيهُ الى اخيهِ في لندن حلم اخوهُ انهُ كان في احتفال بهيج في حديقة كبيرة تتدفق مياهُ فساقيها والانوار منبثة بينها وقدامها جمهور غفير من نخبة الرجال والنساء ولقي فيها اخاهُ بثياب المساء والصحة تتدفق من وجههِ فدهش من ذلك وسألهُ قائلاً ما اتى بك الى هنا فصافحهُ اخوهُ وقال لهُ ألا تعلم ان السفينة غرقت بنا وفي اليوم التالي نشرت الجرائد خبر غرق تلك السفينة . قال ولس ان مراد هذا الطيف اقناع الرجل ان اخاهُ في حالة تسرُّ سواءٌ كان طيف اخيهِ نفسهِ او طيف شخص آخر

ومن قبيل ذلك ان رجلاً استيقظ في باريس ذات يوم وهو يسمع صوت ولد من اولادهِ ورأى وجههُ مشرقًا في وسط سحابة بيضاء وعيناهُ تتلألآن وفمهُ يتبسم وعليهِ كل امارات البشر والسرور وكان قد تركهُ في لندن ثم علم ان ذلك الولد مات في الساعة التي رأى طيفهُ فيها . وفسر ولس ذلك بان الروح التي تحرس ذلك الولد صوَّرتهُ لابيهِ بتلك الصورة لكي لا يحزن على موتهِ

ومنهُ ان رجلاً من اهالي بوستن كان في سنت لويس منهمكاً باشغالهِ فرأى طيف اختهِ وكانت قد توفيت منذ تسع سنوات وكان الوقت الظهر ووقف طيفها امامهُ وهي لابسة ثيابها حتى ظن انها قد بُعثت واتت اليهِ ورأى في وجهها خمشًا من الجهة اليمنى . وقد اثرت فيهِ صورتها تأثيرًا شديدًا فركب اول قطار وعاد الى بيت ابيهِ واخبرهُ بما رأى فضحك ابوهُ منهُ لتصديقهِ هذه الخرافات ولكنهُ لما قال انهُ رأى خمشًا في وجه اختهِ صرخت امهُ وكاد يغمى عليها ثم اخبرتهما انها هي نفسها خمشت وجه ابنتها عرَضًا بعد موتها ثم غطَّت الخمش فلم يرهُ احد غيرها . ثم ماتت هذه المرأة بعد ايام قليلة وهي مطمئنة بان ابنتها في الجنة . قال ولس والغرض من ظهور هذا الطيف اراحة بال هذه الوالدة

ومن قبيل ذلك ان قسًّا اسمهُ ومبري كان يمشي في بعض المروج يوم احد مساء وهو يفكر في كتابة مكتوب تهنئة الى صديق لهُ لكي يرسلهُ اليهِ في عيد ميلادهِ فسمع بغتةً صوتًا يقول لهُ اتكتب الى الاموات . ولم يرَ احدًا قريبًا منهُ فحاول ان يقنع نفسهُ بانهُ توهم انهُ سمع الصوت توهمًا واستمرَّ على التفكير في كتابة المكتوب ثم سمع ذلك الصوت ثانية يقول لهُ اتكتب الى الميت اتكتب الى الميت . لكنهُ كتب المكتوب وبعث بهِ الى صديقهِ فاتاهُ

الجواب ان صديقهُ مات قبل وصول الكتاب . قال ولس لا شبهة ان هذا الصوت الذي سمعهُ ذلك القس لم يكن صوت احد من الاحياء وما في عبارتهِ من الاستخفاف يدل على ان المتكلم لم يكن يحسب الموت امرًا يستاء منهُ . ومذهب ولس ان هذه الطيوف كلها والاحلام التي من نوعها ظواهر تظهر لغاية مخصوصة كما تقدَّم اما الاستاذ ميرس وهو من اكثر الناس بحثًا في هذا الموضوع فرأيهُ انها من احلام الغائبين او الموتى يشعر بها الذين يرونها بما يسمَّى بقوة التلبثي اي الشعور عن بعد وانها في الغالب من الاضغاث التي لا معنى لها

واستطرد الدكتور ولس الى ذكر الظواهر التي تحذّر من خطر مقبل مثال ذلك ان امرأة كانت في شبه جزيرة ملقّا سنة ١٨٧٨ فسمعت ذات يوم صوتًا يقول لها اذا اظلم النهار عند الساعة الحادية عشرة فلا بد من موت احد . وكانت لا تزال في فراشها ثم سمعت هذا الكلام ثانية ومرَّ اسبوع والجو صافٍ ثم مرضت ابنتها وتغيَّر الهواء واشتدَّ النوء ونحو الساعة الحادية عشرة اظلم الجو من تكاثف الغيوم وماتت ابنتها في ذلك اليوم عينهِ بعد الظهر بساعة

ومثالهُ ايضًا امرأة اخرى حلمت انها رأت سيدة مرَّت بها وهي لابسة ثيابًا سوداء ثم رأتها ملقاة على الطريق وقد اجتمع الناس حولها وبعضهم يقول انها ماتت وبعضهم انها لا تزال حية ولما وصلت اليها سألت عن اسمها فقيل لها انها فلانة وكانت تعرفها ولكنها لم ترَها ولا سمعت عنها منذ زمن طويل . وقصَّت حلمها على اختها في اليوم التالي وبلغها بعد اسبوع ان تلك المرأة وقعت عن جدار على جانب الطريق وآذت نفسها كثيرًا

واغرب من ذلك كلهِ ان شابًا انكليزيًا مضى الى زيلندا الجديدة ولقي ذات يوم بحارًا من بحَّارة السفينة التي مضى فيها فاخبرهُ البحار انهُ ذاهب للصيد مع بعض الرفاق في قارب ودعاهُ للذهاب معهم فاجابهُ الى ذلك واتفقا على ان البحَّار ورفاقهُ يوقظون ذلك الشاب في الصباح ليذهب معهم . ومضى الى بيتهِ وهو عاقد نيتهُ على الذهاب لكنهُ سمع صوتًا يخاطبهُ ويقول لهُ لا تذهب معهم والتفت الى ما حولهُ فلم يرَ احدًا لكنهُ قال ولماذا لا اذهب فقال لهُ الصوت قلتُ لك ان لا تذهب فقال لا بدَّ لي من الذهاب لانهم سيأتون ويوقظونني ويأخذونني معهم فقال لهُ الصوت أقفل بابك . ثم التفت الى باب غرفتهِ واذا فيهِ قفل كبير ولم يكن قد انتبه لهُ قبلاً فاقفلهُ بهِ ونام وسمع البحار ورفاقهُ يقرعون الباب الساعة الثالثة صباحًا لكنهُ تناوم ولم يفتحهُ فقرعوا طويلاً ولما يئسوا منهُ ذهبوا وهم يشتمونهُ ويلعنونهُ . وعند الساعة الثامنة بلغهُ ان القارب الذي ذهبوا فيهِ انقلب بهم فغرقوا كلهم ولم ينجُ منهم احد وقذف البحر جثثهم على البر في ذلك اليوم واليوم التالي

ومن رأي ولس ان نفساً من نفوس الاموات انذرت هذا الشاب وحذرتهُ من المهلكة ولكنهُ لم يبين لماذا لم تنذر غيرهُ ولا كيف علمت بما سيحدث في المستقبل

وذكر امثلة اخرى يستدلّ منها على ان ما يحدث من هذا القبيل لا يكون حدوثهُ بقوة تنتقل من شخص الى آخر خلافاً لما يقولهُ اصحاب مذهب التلبثي من ذلك ان امرأة شعرت قبل ان نهضت من فراشها ان لطمةً اصابتها على فمها فوضعت منديلها على شفتيها لتمسح بهِ الدم حاسبة ان اللطمة ادمتها وفي تلك الساعة عينها كان زوجها في قارب فعبثت بهِ الامواج وضرب عمود الدفّة بفمهِ واذى شفتهُ حيث شعرت زوجتهُ ان اللطمة اصابتها . قال ولس ان هذا الرجل لم يكن يريد ان تتأثر امرأتهُ من الضربة التي اصابتهُ ولا كان يريد ان تعلم بما اصابهُ ولذلك فالذي جعلها تشعر بما شعرت بهِ ليس قوةً خارجة منهُ بل قوة اخرى مستقلّة عنهُ . والظاهر انهُ يذهب الى ان روحاً من ارواح الموتى رأت اللطمة التي اصابت الرجل فذهبت حالاً ولطمت امرأتهُ ايضاً لكي يصير الاثنان في الهوى سوى

ومنها ان مهندساً كان مارّاً وفكرهُ مشغول برسم بعض الاحواض فهجم عليهِ اثنان من الفحامين واوقعا بهِ لكنهُ نهض وحاول ان يعرفهما لكي يخبر رجال الحفظ عنهما وهو واثق انهُ في تلك الساعة والساعة التي قبلها لم يخطر على بالهِ رجل من اصدقائهِ في لندن لكن ذلك الرجل شعر في الوقت نفسهِ ان ذلك المهندس كان ماشياً وراءهُ في شارع من شوارع لندن فالتفت اليهِ ورآهُ ورأى امارات الالم على وجههِ فسألهُ عن سبب ذلك فقال لهُ اذهب يا صاح اما انا فقد اصابني ما اصابني . وكتب المهندس الى صديقهِ يخبرهُ بما جرى لهُ وكتب اليهِ صديقهُ يخبرهُ بما رأى في الطريق وتقاطع الكتابان

ومنها ان شابًّا دخل احد الاندية ليسمع خطبة ورأى هناك صديقاً من اصدقائهِ فعزم ان يعود معهُ الى بيتهِ ماشياً بعد انتهاء الخطبة ولكنهُ التفت والخطيب في وسط خطبتهِ فرأى باباً الى جانب دكة الخطابة فنهض ومشى اليهِ مدفوعاً الى ذلك بقوة لم يعلم سببها وفتحهُ وخرج منهُ ورأى المكان مظلماً وفي طرفهِ نور ضئيل فمشى اليهِ فرأى هناك ممشىً مشى فيهِ الى الباب الخارجي وكان الخطيب لا يزال آخذاً في خطبتهِ اما هو فلم ينتبه لهُ ولا عاد افتكر بصديقهِ الذي كان عازماً على الرجوع معهُ بل خرج من باب النادي وسار الى بيتهِ فلما وصل اليهِ وجد النار مضطرمة في البيت المحاذي لهُ وامهُ في اضطراب شديد فنقلها حالاً الى مكان آخر واخذ يبذل جهدهُ في وقاية بيتهِ من النار فنجح بعد عناء شديد اما البيت المحاذي لهُ فاحترق كلهُ . وقد قال هذا الشاب انهُ لو خطر على بالهِ وهو في النادي ان

بيتهُ في خطر من النار لاستخف بهذا الخاطر ونفاهُ من ذهنهِ لانهُ من ابعد الناس عن تصديق الاوهام . ومن رأي الدكتور واس ان نفساً عاقلة رأت الخطر المحدق ببيت هذا الشاب وكانت تعلم انهُ لا يستسلم للاوهام فاثرت في ذهنهِ تأثيرًا جعلهُ يخرج من النادي ويسير الى بيتهِ وهو لا يعلم الغرض من ذلك . وقال في خاتمة كلامهِ انهُ ان كان عالم الارواح موجودًا وان كان الموت لا يفني النفس الخالدة فهل يبعد عن التصديق ان نفوس بعض الاموات تستاء من انكارنا الخلود فتبذل جهدها لاقناعنا بخطائنا وهل يبعد عن التصديق انها تبذل جهدها لتُرينا انها لا تزال حية وان الموت لا يقضي على النفس كما يقضي على الجسد وانها ليست في حالة تسوءنا . ولعل اعتقاد الناس بوجود الارواح الحارسة صحيح مبنيٌّ على حقائق راهنة وهذا يفسر لنا كيف كان لسقراط روح تحذرهُ من الوقوع في الخطر وكيف كان لغيرهِ ارواح تنذرهم وترشدهم . والشواهد كثيرة على ان الذين يموتون حديثاً تظهر ارواحهم لذويهم وتطلب منهم ان يفعلوا بعض الامور وهو ما يُنتظر منها

هذا والنتائج التي وصل اليها واس ومَن يذهب مذهبهُ من حيث تأثير نفوس الاموات بالاحياء مبنيَّة على مثل الحوادث المذكورة آنفاً فان كانت هذه الحوادث قد حدثت حقيقةً كما يرويها اصحابها من غير تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان فالنتائج التي وصل اليها ولس ومن يذهب مذهبهُ من الروحيين صحيحة ولكنها تجعل عقول تلك الارواح اسخف من عقول المجانين في بعض الاحوال واسمى من عقول الملائكة في احوال أُخرى . فتلطم امراة على فمها حتى تكاد تدميها لكي تعلمها ان زوجها لُطم على فمهِ وتعلم في الساعة الثالثة من النهار ما سيصيب بحارًا وجماعتهُ بعد ساعتين او ثلاث . وتثب من اقصى المشرق الى اقصى المغرب لتخبر امرأة ان اخاها قتل وقطع رأسهُ او مرَّ القطار عليهِ وداسهُ ويشق عليها ان تنذر ذلك الاخ ليهرب وينجو او ليفيق ولا يدع القطار يدوسهُ . واذا امعنتَ نظرك في كل ما رووهُ عن الارواح وجدت تسعة اعشارهِ من مثل هذه السخافات وهذا لا ينفي وجود الارواح وخلود النفس ولكن لو محصت الاخبار المذكورة آنفاً لوجد اكثرها مبالغًا فيهِ والصحيح منها ليس فيهِ من الغرابة ما يخرجهُ عن حد الحوادث العادية

اما الحلم الذي اشرنا اليهِ في صدر هذه المقالة فلا يتعذَّر تفسيرهُ على مَن يعرف كل القرائن المتعلقة بهِ وهذا نص عبارة الكاتبة

"I dreamed last night (Saturday) E. had her baby (I wonder if I am right after all) on the 30th and a boy."

اي حلمت البارحة السبت في الثلاثين من الشهر ان ا . ولدت ومولودها صبي أَفلم أُصِب

اما القرائن فهي ان السيدة التي حلمت هذا الحلم كانت تعتقد ان السيدة الحامل ستلد صبيًّا وكانت تعلم ان يوم ولادتها قريب ينتظر يومًا فيومًا وكان معها في السفينة سيدة اخرى معها طفل صغير عمره بضعة اسابيع وقد كتبت في الكتاب نفسه انها حملته يوم السبت ونومته فهذه القرائن جعلتها تهدس بولادة الطفل نهارًا وتحلم بهِ ليلاً فرسخ في ذهنها ان المولود سيكون صبيًّا وترجَّح احتمال من الاحتمالين ولم يبقَ الاَّ يوم الولادة ولكن حملها للطفل في السفينة يوم السبت اثّر في ذهنها فحلمت بهِ ليلاً وهذا يضعف سائر الاحتمالات ويرجح انها تحلم بان ا · ولدت تلك الليلة وولدت صبيًّا حتى لو حلمت ان ا · ولدت في ليلة اخرى وولدت ابنة لكان ذلك اغرب. فصحة هذا الحلم ليست من الخوارق التي نضطر ان نفرض لها ان نفسًا من نفوس الموتى رأَت الولادة في القاهرة فطارت الى اقصى بحر الروم امام اسبانيا ودخلت مخدع تلك السيدة واثرت في دماغها تأثيرًا جعلها تعتقد ان صديقتها ولدت صبيًّا. ولو لم يكن كتابها امامنا ونحن نكتب هذه السطور لصدقنا ما قالهُ لنا الذين قرأُوهُ اولاً وهو انها عينت اليوم والساعة التي ولد فيها الطفل من غير ان يشيروا الى القرائن. ولو محّص الناس اكثر الروايات الغريبة التي من هذا القبيل لزال منها ما فيها من الغرابة ورأَوها مثل سائر الحوادث الطبيعيَّة التي تعلل بالنواميس الطبيعيَّة

بقي امرٌ آخر لا يقلُّ عن هذه الحوادث غرابة وهو كيف ان عالمًا مثل واس يعتقد صحة هذه الاخبار من غير ان يمحصها التمحيص الكافي ثم يفرض لتعليلها فرضًا اذا ازال مشكلاً اوقع في مشاكل . فان مرور خاطر في ذهن الانسان ان بيت جارهِ احترق وبيتهُ في خطر من الحريق اقرب احتمالاً واسهل ادراكاً من فرض روح من ارواح الاموات رأَت البيت يحترق فبادرت واثرت في نفس ذلك الرجل . واذا كانت هذه الارواح حولنا فلماذا يقتصر عملها على انذار واحد من مئة الف مرةً واحدة في حياتهِ ولماذا لا تكون اشفق من ذلك فتنذرهُ مرارًا كثيرة ولماذا لا تنذر غيرهُ والناس كلهم محتاجون الى انذارها ولماذا تقتصر على السخافات في اكثر الاحوال

اما التعليل الذي نراهُ اقرب الى الصواب لاكثر الحوادث المتقدمة فهو ان الذين رووا اخبارها لم يرووها على حقيقتها ولو فعلوا لزالت غرابتها وما يبقى منها غريبًا بعد تمحيصهِ فحدوثهُ من قبيل الاتفاق . اما حادثة الشاب الغريق فان كانت قد رويت على حقيقتها تمامًا فهي صحيحة وتمتاز عن غيرها من الحوادث المذكورة بنبالة غايتها ولكن لا بد لطالب الحقيقة من ان يقول لماذا لا تكون الحوادث التي مثلها كثيرة ولماذا لا تظهر على اسلوب يقنع الناس كلهم

آثار فلسطين

مُني هذا القطر بسقم تاريخهِ المكتتب لكنهُ منح ما يقوم مقام التاريخ وهو رغبة الناس من علماء اوربا واميركا في النقب عن آثارهِ واستجلاء غوامضها فاستنبطوا لهُ من باطن الارض تاريخاً يفوق كل تاريخ مكتتب دقةً وإسهاباً . وهذا شأن فلسطين ايضاً فان تاريخها القديم سقيم لا يعوَّل عليهِ لكن رجال النقب يسعون لدى الدولة العلية لتأذن لهم في النقب عن آثارها القديمة وكلما انقضت مدة ُ ارادةٍ سعوا للحصول على ارادة اخرى وواصلوا النقب والبحث . ومما انضوا اليهِ همتهم البحث في خرائب جازر وهي من المدن التي ورد في التوراة ان ملك مصر اعطاها لابنتهِ لما اقترن بها سليمان الحكيم في جملة مهرها . وقد اجتمعت جمعية النقب في فلسطين في السابع عشر من شهر يونيو الماضي في مدينة لندن وخطب فيهم الاستاذ الكسندر مكاسنر والدالمستر مكاستر مدير النقب في فلسطين الآن وشرح المكتشفات التي كشفت منذ الاجتماع العمومي السابق وهاك خلاصة ما قالهُ في تلك الخطبة

ان الانقاض التي وجدت قرب سطح الارض وهي احدث ما وجد هناك يدلُّ ما فيها من الآثار على انها من عهد اليونانيين والمكابيين وتحتها انقاض من عهد اليهود الذين دخلت هذه المدينة في حوزتهم لما اعطاها فرعون لابنتهِ زوجة سليمان . وتحت هذه انقاض تدلُّ آثارها على انها من زمن دخول بني اسرائيل الى ارض فلسطين اي من زمن خروجهم من مصر وتحت ذلك انقاض المدينة القديمة التي ارسلت منها الرسائل السبع التي وجدت في تل الامرنة في القطر المصري مكتوبة بالحرف الاشوري وتحت ذلك انقاض مدينة طال عهدها جدًّا و بلغ زمانهُ اكثر من الزمن الذي مرَّ بين ايام تحتمس ملك مصر وزمن المكابيين . وهناك تنتهي انقاض البناء ويوصل الى سطح التل الطبيعي الذي بنيت المدن عليهِ وفيها آثار اقوام من سكان الكهوف وهم الذين سكنوا سورية قبل غيرهم وقبل زمن التاريخ

فالطبقة العليا من عهد المكابيين والظاهر ان هذه المدينة خربت في عهدهم ولم تبنَ بعد ذلك ولكن يظهر من الآثار التي وجدت في الاودية حولها ان تلك الاودية بقيت مسكونة بعد خراب المدينة في زمن الرومانيين واوائل عهد المسيحيين لان فيها كثيرًا من الآثار المسيحيَّة القديمة من ذلك اثار كنيسة وصينيَّة للعشاء الرباني من الخزف وفيها قطعة من الزجاج ملصقة بها يظن انهُ كان تحتها قطعة صغيرة من الخبز وانها مما كان يوضع على قبر

الميت على جاري عادة المسيحيين القدماء التي ابطلت في المجمع القرطاجني الثاني الذي عقد سنة ٣٧٩ . وفيها ايضاً آثار رومانية قديمة من ذلك آثار حمام قديم ارضهُ مرصوفة بالفسيفساء وطولها ٦٨ قدماً وعرضها ٥٨ قدماً

وهناك قبور قديمة يونانية ومكابية وقد وجد في واحد منها يد جرة من الخزف عليها كتابة عبرانية قديمة ومعها ايدي جرار خزفية من عمل رودس وعليها تاريخ من زمن المكابيين . وآثار المكابيين في جازر نفسها كثيرة جدًّا وفي جملتها برج وحمامات والسور الذي بناهُ سمعان المكابي وقصرهُ الذين كان يقيم فيهِ وقد نظف المستر مكلستر غرفة من غرفهِ وسكن فيها

وتحت آثار المكابيين وجدت آثار الفلسطينيين و بينها كثير من الخزف والقوالب التي تفرغ فيها الحلى الذهبيَّة و بينها آثار كريثيَّة تدل على ان التجارة كانت متصلة بين جزيرة كريت وبلاد فلسطين . و يظهر من التوراة ان هذه المدينة كانت في يد الفلسطينيين في زمن داود الملك

والآثار التي وجدت تحت ذلك تدلُّ على عادات الكنعانيين القدماء وشعائرهم الدينيَّة فانهم كانوا يدفنون صحفة طعام مع الميت و يضعون يدهُ فيها و يقربون الفتيان والفتيات لمعبوداتهم و ينشرون التقدمة بمنشار الى شطرين و يفعلون ذلك حينما يريدون بناء بيت او حصن و يدفنون التقدمة في الاساس وقد وجد هيكل فتًى وفتاة وهما منشوران نشرًا في سلسلتيهما

اما الانقاض التي من زمن تحتمس ملك مصر ورسائل تل الامرنة فوجد فيها صحيفة من الخزف عليها صورة الزهرة والحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والنسر والسنبلة والميزان والجوزاء والعقرب والرامي والجدي والدلو والحوت وهي تشبه صورة البروج التي وجدت في آثار بابل . وقد طبعت هذه الصور فيها بطابع اسطواني . ووجد كثير من الختوم البابليَّة الاسطوانية الشكل وهي تدل على الاتصال القديم بين جازر و بابل ولكن الآثار التي تدلُّ على الاتصال بينها و بين مصر اكثر كثيرًا وفي جملتها ختم رعمسيس الثالث وكثير من الجعلان واكثرها من زمن الدول الوسطى ووجدت قبلها آثار مصرية تمتد في تاريخها من زمن الدولة السادسة الى زمن الملك نيفاروت وهو الاخير من الدولة التاسعة والعشرين من الدول المصرية الذي حكم نحو سنة ٣٧٩ قبل المسيح ولذلك كانت جازر متصلة بمصر سياسيًّا وتجاريًّا اكثر زمن وجودها

ووجد بين الانقاض القديمة امثلة لكل نوع من المباني التي وجدت في بلاد الشام وما حولها ولاسيما المرتفعات اي الاماكن التي يعبد فيها وتقدم الذبائح · ومن احدث ما وجد فيها سرَب محفور في الصخر يوصل بهِ الى ينبوع عميق حفرهُ سكان جازر في الزمن القديم حتى يستقوا من ذلك الينبوع اذا حوصرت مدينتهم · والظاهر انهم شرعوا في حفرهِ نحو سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح وتركوهُ نحو سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وهو ينور في الصخر الى عمق ٩٤ قدماً وقد حفر على اسلوب حتى ان النور الواصل من فيهِ ينير المكان الاسفل الذي فيهِ الماء · وهو اعظم عمل هندمي اكتشف حتى الآن في فلسطين · ويسمّى الينبوع الذي في اسفلهِ بالتنور واهالي تلك البلاد يعتقدون انهُ من ينابيع الغمر التي فاضت وقت الطوفان وسنعود الى وصفهِ في فرصة اخرى

اما الآثار الباقية من عهد السكان الاقدمين الذين كانوا يقيمون في الكهوف فغير كثيرة ولكنها غاية في الدلالة فقد وُجد هناك كهوف صغيرة فيها غرف مختلفة وفوق افواه هذه الكهوف ثماني طبقات من الانقاض تراكمت فيها الانقاض في عصور مختلفة والطبقة الثالثة منها من عهد الدولة الثانية عشرة من الدول المصرية اي ان السكان الذين بقيت من آثارهم كانوا قبل المسيح بالفي سنة فالذين سكنوا تلك الكهوف تقدموهم كثيرًا في الزمن ولا يبعد انهم كانوا قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة · ووجدت على جدران الكهوف صور حيوانات كالصور التي وجدت في كهوف جنوبي فرنسا اكثرها صور بقر على غاية السذاجة وبينها صورة حيوان تحيط بهِ شبكة او شيءٌ من مثل ذلك

وحث الخطيب سامعيهِ على مساعدة جمعية النقب بالمال لكي تتمم اعمالها في الاشهر القليلة الباقية لها للنقب في ذلك المكان

وقام بعدهُ الاستاذ جورج ادم سمث فاثنى الثناء العاطر على همة المستر مكلستر وخصَّ بالثناء رجال الحكومة العثمانية الذين سهلوا عليهِ النقب والبحث وساعدوهُ اتم المساعدة ورجلاً اسمهُ سرابيون مراد وهو ناظر على الاراضي التي فيها جازر وقد عاون المستر مكلستر بكل جهدهِ · واستطرد الى شكر الاستاذ مكلستر والد المستر مكلستر وقال ان مَن سعد المستر مكلستر ان اباهُ رجل قرن العلم بالعمل وساعدهُ بمعارفهِ الواسعة

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اقتصاد الاولاد

اذا فتشت عن عيوب الناس وجدت جانباً كبيرًا منها إما إفراطهم في الاقتصاد حتى يصير بخلاً وإما افراطهم في النفقة حتى يصير اسرافاً . والبخل رذيلة سلبيَّة في الغالب قلما تعود بالضرر على صاحبها واما الاسراف فرذيلة ايجابيَّة تضر صاحبها . ولا داعي لذكر الشواهد على ذلك لان كل احد يستطيع ان يشير الى اناس ولدوا في نعمة واسعة وكان ينتظر ان يعيشوا في الراحة والرفاهة مكرمين بين اقرانهم ثم اسرفوا وتمادوا في الاسراف حتى افتقروا بعد ان اضنوا اجسامهم وعقولهم . وانما غرضنا ان نشير الى اسلوب يعلّم الاولاد على الاقتصاد فيقوي فيهم خلق الاقتصاد اذا كان موجودًا بالفطرة ويضعف خلق الاسراف اذا كان هو الموجود فيهم لا خلق الاقتصاد . وهذا الاسلوب هو ترغيب الاولاد في ذخر كل غرش يصل الى يدهم في صندوق التوفير، واهتمام والديهم بذلك حتى يرى الاولاد ان ما يفعلونهُ من هذا القبيل منظور اليهِ بعين الاعتبار ولهُ شأن كبير عند والديهم . ومتى اخذ الاولاد يتنافسون في الاقتصاد لم يبقَ خوف من انهم يعدلون عنهُ الى الاسراف ولكن اذا ظهر منهم انهم لا يبالون بالاقتصاد او انهم يقتصدون اليوم و يسرفون فيما يقتصدونهُ غدًا فهناك يجب الاعتناء والحذر . واذا لم يوجه الوالدان كل عنايتهما الى نزع الميل الى الاسراف من نفوس اولادهم فالعاقبة وخيمة عليهم . واذا وجدوا بعد طول الاهتمام والعناء ان الولد مسرف بالطبع ولا يمكن صرفهُ عن طبعهِ هذا وجب تدبير التدابير التي تمنعهُ من التصرف المطلق بمال والديهِ وبمالهِ هو اذا آل اليهِ بالارث وتقييدهُ بالانفاق مما يكتسبهُ هو وقاية لهُ من الاضرار بنفسهِ و بغيرهِ

غير ان اخلاق الانسان لا تظهر كلها دفعة واحدة ولا تجري على نسق واحد دائماً بل تختلف باختلاف السن فقد يكون في صباهُ من المسرفين المبذرين ثم ينقلب و يصير من

المقتصدين المدبرين وامثلة ذلك كثيرة وقد يكون سبب هذا الانقلاب طبيعيًّا ووراثيًّا وقد يكون عارضًا عن تغير الاحوال . ونحن نكتب هذه الكلمات وفي بالنا شابان الواحد كان غاية في الاسراف والتبذير حتى وصل الى اقصى درجات الفاقة واضطرَّ اخيرًا ان يبيع ثيابهُ ليأ كل بثمنها كل ذلك وابوهُ في سعة ولا يمدهُ بغرش ثم انقلب دفعة واحدة من هذا الاسراف الى الاقتصاد التام وهو الآن لا يفرط بغرش اذا استطاع اذخارهُ . والثاني كان ينفق كل دخلهِ وفوق دخلهِ على غير اضطرار ويشكو دائمًا من ذويهِ لانهم لا يمدونهُ بالمال . وبينما هو في هذه الحال خطب وتزوج والدخل الذي لم يكن يكفيهِ عزبًا صار يكفيهِ متزوجًا . والنصائح التي كان الاثنان يسمعانها في صباهما ولا يعيانها ولا يفهمان معناها انتصحا بها اخيرًا وصارا ينصحان بها غيرهما . وهذا يدلُّ على ان اهتمام الوالدين بتدريب اولادهما على الاقتصاد قد لا تضيع فائدتهُ ولو ظهر من الاولاد عدم الاكتراث لهُ في صباهما

وغنيٌّ عن البيان ان كل الاعمال العظيمة كالمعامل والمصانع عملت باموال المقتصدين . اما المسرفون فلا فائدة منهم الاَّ تفريق الاموال حتى ينتفع بها كثيرون ولا فائدة لهم غير لذة وقتية تعقبها حسرات دائمة

غرور الاولاد

يكتب الينا بعض الاباء من وقت الى آخر لننوّه في المقتطف بذكر اولادهم الذين فازوا في الامتحان او امتازوا على الاقران وهم لا يعلمون ان ذلك يضرُّ باولادهم لانهُ يحملهم على الغرور والاعتداد بانفسهم ولا نقول انهُ يضرُّ بهم دائمًا لانهُ قد لا يضرُّ بهم بل يزيدهم همةً واجتهادًا ولكن ضررهُ مرجح اكثر من نفعهِ . وقد اتفق اننا ذكرنا بالامس نجاح ولد من اولاد احد اصدقائنا على غير رغبة ابيهِ لاننا رأَينا ان نجاحهُ باهر جدًّا فانهُ امتاز على اكثر من الف من شبان الانكليز اقرانهِ وقد عاتبنا ابوهُ على ذكرنا هذا الخبر واخبرنا كيف تلقاهُ هو وكيف منع تأثيرهُ الضار عن ابنهِ قال احضرت ابني وقلت لهُ لقد سررت بفوزك ولكن الم يكن في الدروس التي امتحنت فيها مسائل كثيرة لا تعلمها فقال بلى فيها مسائل كثيرة لا اعلمها . فقلت لهُ هب ان بعض المسائل التي سئلتها او اكثرها كان من تلك المسائل اكنت امتزت على اقرانك كما امتزت الآن فقال كلاَّ . فقلت اذًا ان جانبًا من نجاحك كان بالصدفة والاتفاق فلا يحق الافتخار بهِ . فقال نعم هذا هو الحق . فقلت ولكن نجاح المجتهد اكثر احتمالاً من نجاح غير المجتهد وانا اعلم انك مجتهد فامدحك على اجتهادك

كما امرهُ بفوزك . فاعتبر بقولي ولم تأخذهُ الخيلاء وارجو ان يستمرّ على ذلك

فكان لكلام هذا الرجل احسن وقع في نفوسنا واردنا نشرهُ ليعتبر بهِ الوالدون الذين يضرون اولادهم بمحاولة شهرتهم سواء كانوا مستحقين ذلك او غير مستحقين . ولا اقبح من الشهرة الكاذبة ولا اضرّ من الغرور

عصير الاثمار

اذا كثرت عندك الاثمار واردت ان تحفظ عصيرها الى حين الحاجة لتضيفهُ الى الحلويات فامرث الاثمار على منخل من الشعر بملعقة من الخشب وصفِّ عصيرها في زجاجة واسعة الفم وزن الزجاجة قبل ذلك ثم زنها بعد ما تمتلئ من العصارة واضف الى كل اوقية من العصارة ربع اوقية من السكَّر الجيد ثم ضع هذه الزجاجة في حلَّة كبيرة فيها ماء بارد حتى يغمرها الماء الى عنقها وضع الحلَّة على النار حتى تغلي واتركها نصف ساعة وهي تغلي ثم ارفعها عن النار واتركها حتى يبرد ماؤُها والزجاجة فيها . ثم اخرج الزجاجة من الماء وسدها سدًّا محكمًا بفلينة واختمها بشمع الختم واحفظها الى حين الاستعمال

البطنة

البطنة او الشره او كثرة الاكل من معايب الرفاهة وقتلاها اكثر من قتلى السيف . قال بعضهم ان ربع ما نأكلهُ يكفي لغذائنا والثلاثة الارباع الباقية لا يستفيد منها الَّا الطبيب . وقد الَّف الآن احد كبار الاطباء كتابًا في الطعام قال فيهِ ان الطعام البسيط الساذج هو الذي تقوم بهِ الصحة ويدفع عن الجسم المرض وان الناس يطلبون من الله امورًا كثيرة بالصلاة وهي ميسورة لهم اذا اعتدلوا في طعامهم . وثلاثة ارباع الامراض من البطنة . او كما قال العرب ان اكثر الاوصاب من الطعام والشراب . فاذا اردت ان تحفظ صحتك فكل الطعام المناسب فقط وكلْ منهُ بالاعتدال التام ولا تأكل فوق الشبع . والاعتدال قوام الصحَّة

وفي الاطعمة على اختلافها ما يكفي لغذاء الجسم فليس العبرة بنوع الطعام بل بالكمية التي تؤكل منهُ و بالاسلوب الذي تؤكل بهِ فالاكثار من الطعام خسارة ضارَّة ولو كان الطعام نافعًا لذاتهِ .وما احسن ما قالهُ العرب قليل مما يضرُّ ولا كثير مما ينفع . فالاكثار هو الضار ولو كان من الخبز او اللحم او البيض او الاثمار او الحبوب او البقول او الماء او السكَّر

الاستحمام

من استطاع ان يستحم كل صباح فليفعل · وان استطاع ذلك او لم يستطعهُ وجب عليهِ ان يبقي جسمهُ نظيفاً · ولا يحسن الاستحمام بعد الاكل تماماً ويفضَّل ان لا يستحم الانسان الاَّ بعد الاكل بساعتين او ثلاث · ولا يجوز للانسان ان يطيل الاقامة في ماء البحر لان الماء ابرد من جسمهِ فيسلبهُ حرارتهُ الطبيعيَّة ويضعفهُ · والماء البارد ينبه الجسم اذا كانت مدتهُ قصيرة وكذلك الماء الحار اذا كانت مدتهُ قصيرة ولكن الاقامة مدة طويلة في الماء البارد او الحار تضرُّ في الحالين

تنظيف اللؤلوء

قد يتغيَّر لون اللؤلوء اذا طال الزمان عليهِ · ويعاد اليهِ لونهُ الاصلي هكذا :— اغلِ نصف رطل من النخالة (الرضَّة) في رطل من الماء بعد ان تضيف الى الماء درهماً من الشب الابيض وزبدة الطرطير · ثم ارفع ذلك عن النار واتركهُ حتى يبرد قليلاً وتصير يدك تحتمل حرارتهُ فضع اللؤلوء فيهِ وافركهُ بلطف كل لؤلوة على حدتها اي افرك اللؤلوء بالنخالة الى ان تبرد النخالة فاخرج اللؤلوء منها وافركهُ بخرقة بيضاء نظيفة ناعمة وابسطهُ على ورقة بيضاء من الورق النشاش في مكان مظلم حتى ينشف جيداً

المرأَة الايرانية

وتأْثيرها في رجال الاصلاح ببلاد ايران

اكثرت صحف الشرق والغرب هذه الايام ذكر اسباب الثورة الايرانية واسهبت في ما اتصل بها من اعمال الذين اضرموا نارها سواءٌ كانوا من رجال الصحافة والخطابة او من غيرهم · ولكنها اغفلت عنصرًا كان لهُ اعظم تأْثير في اضرام نارها ونريد بهِ النساء فقد كنَّ يحثثن الرجال على الاقدام ويستنهضن الهمم لعمل جلائل الاعمال ويحببن الى الناس القيام بالواجب لتأْييد الدستور · واول من وجَّه الانظار لسد هذا الخلل وتدارك هذا القصور كاتبة روسية اسمها ماري بلي ماركوفتش من النساء الروسيات اللواتي اقمن زمناً في بلاد ايران فقد نشرت مقالة في مجلة المجلات الفرنسوية التي صدرت في منتصف هذا الشهر (يوليو) وصفت

فيها معيشة المرأة الايرانية في منزلها وفي الهيئة الاجتماعية الفارسية واظهرت انتصارها للدستور في هذه الآونة الاخيرة فدل كلامها على ان بلاد ايران تغيرت تغيراً عظيماً بسرعة عجيبة في هذا الزمان وهاك بعض ما ورد في مقالتها . قالت

كلما اوغل السائح الغربي في بلاد الشرق رأى المرأة المسلمة تزيد تحجباً وتستراً فبنات الاستانة التركيات اقل ميلاً الى التحجب من بنات الاناضول اللواتي يسدلن عليهن برقعاً كثيفاً فلا يرى الناظر اليهنَّ غير عيونهنَّ . ثم اذا اوغل السائح حتى دخل بلاد ايران شعر كأنهُ دخل بلاد الاسلام في عهدها الاول فمنازل نسائها ذات حجابين اولها منسوج من اغصان الشجر والثاني جدار عال يرد كل طرف عن سكانها . وشتان بين منازلهنَّ هذه ومنازل نساء الاستانة فان منازلهن في الاستانة لطيفة جميلة لها نوافذ ذات شعريات ومشربيات فيتخللها شعاع الشمس و يدخلها النسيم فينعش اللواتي نعدهنَّ اسيرات فيها

يحتوي المنزل في بلاد ايران على دائرتين او ثلاث دوائر واحدة لاستقبال الحريم واخرى لاستقبال الرجال والثالثة لاقامة للعائلة . فتقيم المرأة الايرانية في هذا المنزل مستورة وراء الحجاب من المهد الى اللحد لا تبصرها غير عين زوجها وذويها الاقربين

قال لي موظف اوربي في قصر الشاه انكِ عائدة الى بلاد الغرب فاذا قال لكِ رجل انهُ ابصر امرأة ايرانية فقولي لهُ انك كاذب في ما تقول مهما كان اصلهُ وفصلهُ ومقامهُ ومهما كانت مدة اقامتهِ في ايران قد طالت . وهذا القول الثقيل لا يخلو من الصحة فان ذلك الموظف الاوربي صادق وزيراً ايرانياً وعاشرهُ سبعة اعوام وكان هذان الوزيران يتزاوران في اغلب الاحيان ومع ذلك لم يقع نظر الاوربي على زوجة صديقهِ الفارسي مرة ولا كلمها قط كلمة

هذا ويخطئ من يزعم ان منزل التركي ومنزل الايراني متشابهان . فالتركي يسكن زوجاتهِ كلهنَّ في منزلهِ او سرايهِ واما الايراني فملزم بحكم العرف والعادة ان يفرد منزلاً لكل زوجة من زوجاتهِ وهو يكتفي بزوجة واحدة غالباً ولا يميل الى تكثير الزوجات . و يكفيها ان تكون على شيء قليل من العلم والذكاء حتى تكون كلمتها نافذة عندهُ ويكون لاقوالها سطوة عليهِ . وانا اروي القصة التالية ليرى القارئ منها مقدار تعلق الايراني بعائلتهِ واهل بيتهِ وقد سمعتها في شهر ديسمبر الماضي بينما كان انصار الاصلاح يحرسون مجلس النواب

كان ايراني امي من عامة الشعب متربعاً على الارض وواضعاً بندقيتهُ عند قدميهِ وهو

يحرس المجلس فسمعته يقول لرفيق يحرس معهُ مضت عليَّ خمسة ايام لم ارَ فيها اهلي واولادي ولكن لا بأس فاني اقوم بواجب اقدس من ذلك . فهذا العامي الامي الذي لم يسمع في حياتهِ اسم فولتير وروسو ولم يخطر لهُ نظام الاحكام الغربيَّة على بال كان يعلم ويعتقد مع ذلك انهُ يقوم بواجب مقدس ليس دون الواجب عليهِ لاهلهِ واولادهِ وذلك الواجب هو ان يرى في بلادهِ نظاماً للاحكام يمتد بهِ رواق العدل وتشمل الحرية البلاد واهلها

وكان من نتائج هذه النهضة ان الرجل اجلَّ قدر المرأة في ايران ورفع شأنها فلما رأت نفسها معززة احبت ان ترتفع من المرتبة التي كانت فيها الى مقام الصديقة المعادلة لزوجها وهي تكون على الغالب امينة لهُ . والنساء المتعلمات قليلات فالاغنياء يعلمون بناتهم مع ابنائهم في منازلهم الى ان يبلغن سن الحجاب فيمنعوهنَّ عن العلم . والفقراء يعلمون بناتهم في الكتَّاب الى ان يبلغن سن الحجاب ايضاً . فاذا اراد اب ان يثقف بناتهِ بعد ذلك العمر كلف معلمة تدعى عندهم (ملاحجي) فتعلمها الحساب والكتابة والقراءة ومتى فرغت من تعليمها لزمت والدتها في منزلها حتى تتزوج . وهمُّ المرأة الفارسية غالباً زينتها وشراء ملابسها وزيارة صديقاتها وزيارة اضرحة الاولياء والقيام بصلوات شهري محرم وصفر

ولذا يعجب القارئ من نهوض المرأة الفارسية التي وصفناها نهضة واحدة حتى شاركت الرجل في طلب الحرية والدستور ولكن عجبهُ هذا يزول متى علم شدة اختلاط الايرانيين بالغربيين في هذه الايام وتعلم شبانهم في مدارس الغرب وكلياتهِ وانشاءهم المدارس العديدة لتعليم البنات كمدرسة ريشارخان الفرنسوي فانهُ تخرَّج فيها عدد كبير من البنات المتعلمات . وقد قاوم بعض الايرانيين هذه المدرسة بادئ بدء ثم اظهروا رضاهم عنها ولكن بعدما اشترطوا ان تبقى الفتاة الفارسية مبرقعة محجبة . غير ان احدى تلميذات هذه الفارسة كانت يتيمة فابت الَّا ان تطرح النقاب عنها وان تعيش كالاوربيات من عمل يديها وجعلت تروح وتجيء في الشوارع مكشوفة الوجه وكان النساء يعجبن بشجاعتها ولكن لا يجرأن على التشبه بها ولقبنها " بالآغا الصغير " وبلغ من ادبها وذكائها ان الرجال كانوا يحترمون المجلس الذي تكون فيهِ فيجلسون بغاية الحشمة والوقار ولكن الجد والكد والحاجة وانحطاط المرأة في بلادها كل ذلك اثر في نفسها فماتت في زهرة عمرها وشيعت جنازتها في مشهد عظيم مشي فيهِ الالوف من الايرانيين

لم تكد بلاد ايران تستنشق نسيم الحرية والدستور حتى هبت بعض النساء الايرانيات الى مشاركة رجالهنَّ في تلك الحركة كنساء الغرب كانهنَّ الفن كلتي الحرية والاخاء منذ

نعومة اظفارهنَّ . فراسلت بعضهنَّ الصحف اليومية ونظم غيرهن القصائد في مدح الدستور وحضَّ الرجال على الاستمساك بهِ . وبلغت شجاعة احداهنَّ مبلغاً لم يعهد لهُ نظير في بلاد فارس فكتبت الى زوجها تقول لهُ " وددت لو اني كنت بجانبك للدفاع عن مجلسنا المحبوب فكن شجاعاً قويًّا لانك تحرس مستقبل البلاد الايرانية وعلى قدر شجاعة الايرانيين تتوقف سعادة هذه البلاد في المستقبل "

ولما اقترح مجلس النوَّاب انشاء بنك وطني شكا بعضهم حاجة البلاد الى المال فاقترحت النساء بيع حليهنَّ والاشتراك في هذا الواجب الوطني

ولقد امتدت هذه الحركة من طهران الى عواصم الولايات كاصبهان ومشهد وشيراز وتبريز وخصوصاً تبريز حيث بلغت غيرة النساء فيها وحميتهنَّ حدًّا لا يوصف . فكنَّ يستوقفن الرجال في الشوارع ويخطبن عليهم عن الشرفات ويحثثنهم على الاستشهاد في سبيل حريَّة البلاد . وكانت زوجة مير حسين خان صاحب جريدة عدالت اقدم الصحف الحرة في تبريز واكثرها شهرة تساعدهُ في تحريرها وتؤَيدهُ في سياستهِ

اما مطامع المرأَة الفارسية فكانت محدودة في هذه الحركة وغايتها انها كانت تود ان ترى بلادها مرتقية في الداخل عزيزة في الخارج بعيدة عن مطامع المستبدين . وقلَّ من فكَّر منهنَّ في السعي في ابطال الحجاب لعلمهنَّ ان السعي في مقاومة هذا الامر الذي مضت عليهِ الاحقاب الطوال لا يتم في شهر او شهرين فتركن امرهُ للزمان وطلبن العلم الذي هو خير لهنَّ منهُ وابقى . فالمرأَة الشرقية ترى ما لا يطابق عقيدتها ولا مذهبها في كيفية معيشة المرأَة الغربية وتمتعها بمطلق الحرية ولذلك لا تقدم على التشبه بها في ذلك الآن وهي تقدّم رجلاً وتؤَخر أُخرى

ولكنها مع كل ترددها هذا تخطو اليوم الخطى الواسعة الى الامام ومن اراد ان يرى دليلاً قاطعاً على ذلك فلينظر الى المرأَة في الاستانة وطهران فيرى ان المرأَة الفارسية دخلت رحبة التقدم والارتقاء بعد ان قضت الاعوام الطوال وهي واقفة على بابها خائفة وجلة لا تجترئ على الدخول فيها . انتهى



دودة القطن

صدر العدد الثاني من مجلة الجمعيَّة الزراعية الخديوية مصدرًا بمقالة مسهبة عن دودة القطن رأينا ان نقتطف منها الفوائد التالية

(ضرر الدودة) قد تُلحق بالقطن ضررًا يقدَّر في السنة الواحدة بملايين من الجنيهات ففي سنة ١٨٠٥ فقدت بها مديرية البحيرة اكثر من نصف محصولها ولم يقلّ ما خسرهُ المزارعون تلك السنة عن مليونين من الجنيهات

(النباتات التي تغتذي بها) تأكل هذه الدودة القطن والبرسيم وتفضل القطن . ومتى كان الفراش كثيرًا وضع بيضهُ على غير القطن ايضًا من النبات سواءٌ كان صالحًا لغذائهِ او غير صالح . وقد وجدت دود القطن سنة ١٩٠٥ على القطن والبرسيم والبرسيم الحجازي والورق الناعم من الذرة والبطاطا والتبغ والطماطم والداتورة والخروع والبنفسج والورق الصغير من الكافور والتوت . وذكر المستر فودن ان دود القطن قد يغتذي من نبات القمح والشعير . وقال المستر بونابرت انهُ يستطيب ورق السلق

(بيض الدود) بيض دود القطن صغير جدًّا مستدير مسطَّح قطر البيضة منهُ نحو نصف مليمتر ولونهُ يختلف من الاخضر المصفر الى الاصفر البرتقالي . وتوضع البيوض على الاوراق في بقعة واحدة وتكون مغطاة بزغب اصفر قاتم وعدد البيوض التي تبيضها الفراشة في المرة الواحدة لم يعرف تمامًا ولكن ذكرت المجلة جدولاً يظهر منهُ ان عدد البيض يختلف من ٢١٤ وهو الاقل الى ١٢٥٠ وهو الاكثر . والعادة ان تضع الفراشة بيضها على ظهر الورقة وفي قليل من الاحوال على وجهها . والقطن المزروع في ارض ضعيفة او مالحة غير معرَّض للاصابة كالمزروع في ارض جيدة كأن الفراش يفضل ان يضع بيضهُ على القطن القوي

ويختلف الزمن بين وضع البيض وظهور الدود من يومين او ثلاثة في الصيف الى اربعة او خمسة في الخريف والغالب ان البيض يفقس كلهُ دفعةً واحدة

(حياة الدود) حينما تفقس الدودة يكون طولها مليمترًا واحدًا ويكون رأسها كبيرًا اسود

وجسمها مخضرًّا وتلتهم اولاً النسيج الذي يغطيها ثم غشاء الورقة الذي كانت عليهِ البيوض ثم تغتذي بالمادة اللينة في الورقة. وتنسج خيطاً حريريًّا تتعلق بهِ وتنتقل من ورقة الى اخرى وهو الذي يقيها من السقوط على الارض حين هز شجيرات القطن . ولا تكتفي باكل ورق القطن بل تأكل ايضاً زهره ولوزه الصغير حينما تكبر وتصير تترك الشجر عند اشتداد الحر وتنزل الى الارض وتغور في التراب . وتختلف مدة بقائها دودة فتكون اسبوعين في فصل الصيف واكثر من ذلك في الخريف ثم تغور في الارض وتصير زيزًا وتبقى كذلك من ٧ ايام الى ١٤ يومًا او اكثر حسب اختلاف الفصول ثم تستحيل فراشة ويكون خروج الفراش ليلاً لانهُ من الفراش الليلي

(الفراش) والفراش ذكور واناث والذكر اصغر من الانثى قليلاً وادق جسمًا . والفراش ليلي كما تقدم اي انهُ يطير ليلاً ويختفي نهارًا ولا يعلم تمامًا في اي يوم يتزاوج ويبيض بيضهُ ولكن الفراش الذي ربي في معمل الجمعية باض في الليلة الثالثة بعد خروجهِ من الشرنقة

(بقاء الدود من سنة الى أُخرى) لا يعلم اين يكون دود القطن او فراشهُ او زيزهُ زمن الشتاء ولكن يقال في هذه المقالة ان دود القطن يوجد في نوفمبر وديسمبر على البرسيم والحشائش ونباتات الجنائن و يوجد في كل شهور السنة ولكنهُ يقلُّ كثيرًا . وتغيراتهُ من طور الى آخر تكون ابطأ مدة الشتاء والمعروف الآن ان الفراش الذي يوجد زمن الربيع يبيض على البرسيم ومن المحتمل انهُ يتناسل مرارًا الى ان ينبت القطن ويكبر وفي مايو ويونيو يطير الفراش الذي تربَّى على البرسيم ويبيض على نبات القطن فيصير القطن اهم غذاء لهُ اثناء فصل الصيف ويتناسل ثلاث مرات على الاقل بين يونيو واغسطس . والفراش الذي يظهر اخيرًا في سبتمبر يكون قليل العدد لسبب غير معلوم وبعض هذا الفراش يبيض على نبات القطن ولكن ضرره لا يذكر لقلتهِ والبعض الآخر يبيض على الذرة وفي اكتوبر يصاب بهِ البرسيم البدري اصابة خفيفة

(اعداء الدود الطبيعية) لا بدَّ من انهُ توجد اعداء طبيعيَّة لدودة القطن لان الفراش الناتج في شهر سبتمبر يكون قليلاً جدًّا ولا بدَّ من ان يكون سبب ذلك ان بعض الاعداء الطبيعيَّة التي لا تُعرَف الآن تتكاثر في شهر اغسطس فتبيد اكثر الدود . وقد وُجد في السنة الماضية ان نوعاً صغيرًا من الذباب يضع بيضهُ في بيض دود القطن ليأكل ما فيهِ قبلما يفقس

ومن اعداء دود القطن نوع من الزنابير يلسع دود القطن ويبيض فيهِ ليكون جسمهُ غذاء لصغارهِ حينما تفقس . والنمل يميت زيزان الدود ويأكلها ويأكل بيض الدود ايضاً

وقد وجد موبرلي بك ان الذباب الذي اجنحتهُ كالخرَج يأْكل بيض الدود والدود الفاقس حديثاً . ويحتمل ان الزنابير تأْكل دود القطن وآكل المن يأكل بيض الدود او الدود نفسهُ ويمكن ان تكون الضفادع من اعداء دود القطن . وقد شوهد في معمل الجمعية ان بعض الديدان الكبيرة أُصيبت بمرض فامتنعت عن الاكل ثم ماتت

(مقاومة دودة القطن) ذكر في هذه المقالة ان الطريقة الفضلى لمقاومة دودة القطن بعد ظهورها هي تنقية الورق الذي عليهِ بيض الدود واتلافهُ قبل ظهورهِ وقتل الدود الذي يكون في البرسيم في شهر يونيو حينما يقطع البرسيم او يرعى آخر رعية وذلك بان تروى الارض ويحفر حولها خنادق تملأ ماء فاذا اراد الدود المهاجرة من الغيط الذي كان فيهِ البرسيم وقع في هذه الخنادق ومات وحينما تجف الارض تحرث لتعريض ما فيها من زيزان الدود لحرارة الشمس حتى تموت ولا بدَّ من تنظيف جسور الترع والمساقي من الحشائش فان ذلك يفيد في الوقاية من كل الحشرات . والاكتفاء بزرع القطن في ثلث الارض فقط

الفراخ والبيض

للبيض شأن كبير في القطر المصري وفي كل الاقطار الزراعية ولكن البيض المصري صغير جداً لقلة العناية بتربية الفراخ الكبيرة البيض ومع ذلك أُرسل منهُ الى اوربا في الستة الاشهر الاولى من هذه السنة نحو ٣٢ مليون بيضة بلغ ثمنها نحو ٤٨ الف جنيه اي بيع كل ست بيضات ونصف بغرش صاغ وهو ثمن جيد جداً اذا اعتبرت صغر البيض المصري. وارسل منهُ في هذه الستة الاشهر من العام الماضي ٤٩ مليون بيضة ونصف مليون بيعت بأكثر من ٧٤ الف جنيه فنقصت الكمية ١٧ مليون بيضة والثمن اكثر من ٢٦ الف جنيه وزد على ذلك فاننا نرى في السوق بيضاً كبيراً غير عادي في هذا القطر ويقال انهُ مجلوب من اللاذقية وغيرها من سواحل سورية

ولا بدَّ للفراخ من الماء الكثير البارد في فصل الصيف ويجب ان لا يوضع الوعاء الذي تشرب منهُ في الشمس بل في الفيء وان يوضع على شيء مرتفع عن الارض ولو قليلاً لكي لا يقع فيهِ التراب . واذا قلَّ البيض كما يحدث عادة فاضف الى الماء الذي تشربهُ الفراخ شيئاً قليلاً من الزاج الاخضر (كبريتات الحديد) وغيّر نوع الطعام ولا بدَّ للفراخ من الحبوب وشيء من الخضر كورق الخس والكرنب والسلق وقشر البطيخ والشمام وما اشبه فانها تأكلهُ كلهُ بشهية وما لا تأكلهُ يجب رفعهُ من امامها في اليوم التالي

نبات الآس

الآس من الانجم الجميلة المنظر الزكية الرائحة وهو يحمل حبًّا طيب الطعم جدًّا اذا نضج . ينبت بريًّا في بلاد الشام ويزرع بستانيًّا ولاسيما في حدائق دمشق وقد زرعهُ البعض في هذا القطر فجاد كثيرًا ورأيناهُ مزروعًا في سياجات الحدائق في البلاد الانكليزيَّة ولاسيما في غربي ويلس وهو يزرع هناك لجمال منظرهِ ومنظر زهرهِ وزهرهُ ابيض طيب الرائحة ولكن اوراق النبات هناك قليلة الرائحة العطريَّة لا تقاس رائحتها برائحة الآس الشامي ولا الذي يزرع منهُ في هذا القطر

وقضبان الآس دقيقة مستقيمة متينة تصلح لعمل السلال ولا نرى لماذا لا يكثر زرعهُ في القطر المصري حول البساتين فانهُ من اجمل الرياحين منظرًا وازكاها رائحة ويفوق سائر الرياحين بطيب ثمرهِ

زراعة البرتقال وعلاج حشراتهِ

جنائن البرتقال وكل انواع الليمون تبلغ غلة الفدان السنوية منها من خمسين جنيهًا الى مئة جنيه . وحتى الآن لا يزال البرتقال وسائر انواع الليمون ترد الى القطر المصري فقد ورد منها في العام الماضي ما ثمنهُ ٣٢٣٩٩ جنيهًا وفي الامكان ان يستغني عن توريد هذه الاثمار وان يصير القطر المصري من الاقطار التي تصدرها ولا بدَّ من ان يلجأَ الى زرع الجنائن والاكثار منها عاجلاً او آجلاً ولا سيما زراعة البرتقال والليمون لانهُ يسهل تصديرها ويسهل عمل المربيات والاشربة منهما فهما صنفان صالحان للتجارة وللصناعة الزراعية ايضًا

ويزرع البرتقال من البزر ومن الاغصان ولكن اجودهُ يطعم تطعيمًا على شجر النارنج (ابي سفير) فان البرتقال المطعم كذلك يحمل باكرًا ويكون حملهُ كثيرًا ولا يشيخ باكرًا

فتزرع بزور النارنج في اواخر فبراير وفي الربيع التالي تنقل الترفيدة وتزرع في ارض جيدة جدًّا ويجعل البعد بين الشجرة والاخرى نصف متر . وبعد سنة تقطع وتطعم من شجرة برتقال كبيرة الثمر جيدة الطعم وبعد سنة تنقل الى البستان الذي يراد زرعها فيهِ فيكون قد صار عمرها ثلاث سنوات وحينما تزرع في البستان يجعل البعد بين الشجرة والاخرى اربعة امتار ونصف ولا يترك حملها عليها الاَّ في السنة الثالثة بعد زرعها في البستان اي حينما يصير عمرها ست سنوات واذا ازهرت قبل ذلك وعقد زهرها وجب نزع حملها عنها لئلا يضعفها . ولا تضيع غلة الارض في السنتين الاوليين بل يمكن زرعها مزروعات

أُخرى ولا سيما من انواع الخضر والبقول . وكذلك يمكن زرعها في السنة الثالثة وتبلغ النفقات اللازمة لزرع الفدان باشجار البرتقال عشرة جنيهات او اكثر ويخسر من ايرادهِ في سنتين او ثلاث نحو عشرة جنيهات أُخرى ولكن هذه النفقات وهذه الخسارة تضافان الى رأس المال لان الفدان الذي يساوي مئة جنيه يصير يساوي اكثر من مئتي جنيه اذا زرع برتقالاً وشرع برتقالهُ في الحمل واذا كبر شجرهُ وكان نوعهُ جيدًا كثير الحمل يصير يساوي خمس مئة جنيه او اكثر لانهُ يؤجر في السنة باكثر من خمسين جنيهاً

وما يقال عن البرتقال يقال عن المندرين (يوسف افندي) والليمون والاضاليا ولكن اشجار الليمون تزرع قريبة حتى يكون البعد بين الشجرة والاخرى اربعة امتار واشجار اليوسف افندي تزرع وبين الشجرة والاخرى ثلاثة امتار او ثلاثة ونصف

ولا تروى اشجار البرتقال ونحوها في شهر نوفمبر ودسمبر وينابر الاَّ اذا كانت الارض رملية وتروى ريًّا خفيفًا جدًّا في فبراير ومارس الى آخر فصل الازهار ومتى ظهر الثمر واخذ يكبر تروى كل عشرة ايام

وقد اصيبت اشجار البرتقال وكل انواع الليمون بالحشرات القشرية منذ عشرين او ثلاثين سنة ووصفناها مرارًا في المقتطف وقرأْنا في مجلة شركة الترنزاكشنز منذ مدة وجيزة ان المستر بتجيون نجح في رش الاشجار المصابة بالحشرات القشرية بالمزيج التالي المعروف بمزيج القلفونة وهو مصنوع من المواد التالية

٦ كيلو غرامات من القلفونة
٢ ½ " من الصودا الكاوي
٢ ¼ " من الصابون اللين و ٤٥٠ لترًا من الماء

توضع القلفونة في كيس وتسحق سحقًا ناعماً وتغلى في ٥٤ لترًا من الماء حتى تذوب فيهِ ويذاب الصودا الكاوي والصابون في اناء آخر ويضاف مذوبهما الى مذوب القلفونة ويغلى المزيج حتى يصير لونهُ كلون القهوة ويضاف اليهِ ماءٌ حتى يصير الكل ٤٥٠ لترًا وترش الاشجار بهذا المذوب مرةً كل شهرين الاَّ في وقت الازهار

واذا كانت الحشرات القشرية قد عمَّت الشجرة كلها فاحسن طريقة لمعالجتها ان تقطع الاغصان كلها من فوق الساق وينظف الساق بالمحلول المشار اليهِ

هذا وقد جلبت الحكومة الاميركية حشرات من استراليا تأكل الحشرات القشرية وتنجي الاشجار منها فلا يتعذَّر على الحكومة المصرية ان تقتدي بها في ذلك او تتعلَّم منها



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

سكان المريخ

كنت ظننت ان حضرة مناظري يكتفي بما كتبت سابقاً ولكن يظهر لي انهُ متحمس جدًّا كما يستدل من ردهِ ولسوء الحظ عوضاً عن ان يأخذ الثلاث نقط الرئيسية التي اعترض عليَّ بها سابقاً و يدافع عنها او يدافع عن التفنيدات التي قدمتها اراهُ في ردهِ الاخير يضم كل ما كتبتهُ ويقسمهُ الى قسمين جوهريين هما كما يقول " الاول انكارهُ عليَّ اعتمادي على رأي الاستاذ ولس واتخاذي قولهُ حجةً تفوق حجة من يتخذ قول لول اذا خالفهُ والثاني انكارهُ عليَّ وعلى المقتطف حسباننا الخطوط التي تظهر على المريخ من جملة الحوادث الطبيعية التي لم يبحث احد في تعليلها حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا بناءً على ان ذلك يخالف القضايا العلمية المسلم بها "

ثم اندفع يورد الادلة و يقيم البراهين على صحة ما يعتقدهُ صواباً . ولكي لا يطول بنا الوقت ارد على ما كتب باوجز ما يمكن مراعياً في كل ما اكتب الحشمة والادب مبتعداً عن كل ما يمس حاسياتهِ واذا صدر مني ما لا اريد (و بدون قصد) فارجوهُ المعذرة

كلانا نتفق على ان ولس ولول من الاعلام في مواضيع اختصاصهما فمناظري يقر و يعترف ان لول من كبار الفلكيين والرياضيين وعلماء السبكترسكوب وانا اعترف واقر ان ولس ممن اشتهر وطار صيتهُ في الآفاق ولكن ليس في العلم الذي سماهُ حضرتهُ — علم الحياة (Biology) — بل في العلوم الطبيعية اعني بها علم الحيوان والنبات ولئلا يتصوّر انني اتحامل عليهِ اطلب منهُ ان يراجع دائرة المعارف الانكليزيَّة مجلد ٣٣ وجه ٧٣١ حيث يرى مكتوباً

Wallace (1823-) British Naturalist ولس ولد سنة ١٨٢٣ وهو عالم انكليزي من

علماء الطبيعيات ثم اذا قرأ تاريخ حياتهِ وتصفح سلسلة الكتب التي ألّفها يتضح لهُ جليًّا انهُ ما تعاطى قط البحث في علم الحياة وحينما ينتهي من قراءة تلك القطعة يرى حاشية معناها " اكثر مواد المقالة كتبها لنا صاحب الترجمة بخط يدهِ " وهذا يثبت ان ولس ليس " ممن برَّز على الاقران في علم الحياة " لان علماء بلادهِ لا يعترفون لهُ بذلك اصلاً ولا هو يتشوَّف اليهِ ولست ادري لماذا تكرم عليهِ مناظري الكريم بتلك العبارة وهو على ما اعتقد قادر على التمييز بين العلمين الطبيعيات والحياة

واذا سقط اساس دعواهُ (ولا بد منهُ) سقط كل ما بناهُ عليهِ من التسليم بما يقول ولس في هذا الامر لا بما يقول لول . والخلاصة ان الاثنين ليسا من الاختصاصيين في علم الحياة فلا رأي شخصي لهما بل هما ينقلان الينا خلاصة افكار الغير

وهنا اسأل حضرة مناظري أنعتمد على كتابة ولس وهو لم يصرف في درس هذه المسألة الاَّ وقتاً قصيرًا لا يتجاوز السنتين ومن باب الفكاهة فقط ام نتخذ قول لول الذي صرف اكثر من ثماني عشرة سنة وقد جعلها شغلهُ الوحيد واختار لنفسهِ ما يبلغ العشرة من الشبان الذين تخرَّجوا في الكليات العالية واكملوا دروسهم في المانيا ليساعدوهُ في اشغالهِ وهو يدأب ويجدّ ويبذل المال بسخاء للبحث والتنقيب ويرسل البعثات الفلكية الى اقاصي المعمور ويعرض كل ما يبدو لهُ للبحث والانتقاد

هل يعتقد مناظري العزيز ان القوى العقلية تبقى آخذة في النمو والارتقاء الى آخر العمر ام يطرأ عليها ادوار كادوار الحياة فتبتدئ وتنمو وتبلغ معظم قوتها ثم تتراجع وتنحط ولست إخالهُ الاَّ ممن يذعنون وعليهِ اخبرهُ ان ولس ابتدأ هذا البحث وهو في الثمانين من عمرهِ وحينما ظهر كتابهُ "Man's Place in the Universe." قامت عليهِ قيامة العلماء واظهروا انهُ يكتب في موضوع غريب عنهُ وبعضهم شدَّد عليهم النكير حتى نسب اليهِ الخرَف ومهما يكن من امرهم فجلُّ ما اقولهُ شخصيًّا ان ولس نقل من كتب الفلك إما عمدًا او بطريق الاتفاق ما يوافقهُ فتراهُ ينقل عن مس كلارك (Miss. Clark) او من هو بطبقتها ويترك مثلاً نيوكوم و يونغ و يكرن وفلاماريون واخاف ان يطول بي البحث في تفنيد بعض الاغلاط الفظيعة التي ارتكبها في النقل ولكني اكتفي بالمثال الآتي المنقول عن مس كلارك

" مياه ثلج القطب اذا ذابت وتوزعت على الاراضي الزراعية تكون كثافتها قيراطين فقط لان معظم ما يغطيهِ القرص ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ ميل مربع ومساحة الاراضي الزراعية ١٧٫٠٠٠٫٠٠٠ "

والذي نعلمهُ ان القرص يمتد الى عرض ٣٦،٥ وهذا يدل على انهُ يغطي ١١،٣٣٠،٠٠٠ ميلاً مربعاً على الاقل اي اربع مرات ما قدَّرتُ والاراضي الزراعية لا تزيد على ٤،٧٥٠،٠٠٠ من الاميال المربعة واكثرها تسقى من مياه القطبين فوالحالة هذه يكون معدل كثافة المياه التي تغطيها قدمين ونصف على الاقل

فيُرى مما مرَّ ان ولس بنى احكامهُ على أُسس ضعيفة ولذلك اتت نتائجهُ مخالفة للحقيقة وعندي انهُ لو اعتمد النقل عمن يشهد لهم بالسبق والافضلية لما كان كتب ما كتب

وهذه ليست اول مرة خالف فيها الرأي العام وكان مخطئاً فقد وضع سابقاً كتاباً فيهِ يطعن بالاطباء ويحمل العامة على ترك التلقيح او التطعيم بالمصل وقاية من الجدري وما شابهها من الامراض الخبيثة بدعوى ان التلقيح لا يفيد شيئاً (دائرة المعارف الانكليزيَّة مجلد ٣٣)

واذا نقبنا عن آراء علماء البيولوجية نرى انها لا تخالف نتائج لول . وقد ذكرت في ردّي السابق رأي احدهم العلاَّمة مريام Meriam وازيد الآن ان فلاماريون العلاَّمة الافرنسي ومدير مرصد باريز حاليًّا يعتقد ذات الاعتقاد وهو ذو قدم راسخة في الطبيعيات وعلم الحياة والفلسفة العقلية وقد كتب كتاباً غزير المادة موضوعهُ La Planete Mars بين ان غيرها من الاقطاب كالاستاذ ماخ Mach في ڤينا وغيرهِ من علماء الالمان قد اتخذوا خطة السكوت فلو كانوا رأوا شيئاً من آراء لول يخالف الحقائق العلمية الثابتة لكانوا ابدوهُ كما فعل ولس

اما الدليل الذي يراهُ مناظري في الطبيعة الى آخر ذلك البحث فجلّ ما اقول فيهِ انهُ مختبل وخللهُ يتضح لكل من درس قوانين ارسطوطاليس الستة الموجودة في المنطق القياسي واذا راجع حضرتهُ تلك القوانين و بالاخص ما يتعلق منها بالنفي ظهر لهُ ذلك باجلى بيان

وفي هذا البحث ايضاً ذكر مناظري من باب الاستغراب والانكار انتظارهُ وجود الحياة في بعض السيارات وتطرّق سهوًا الى النجوم الثوابت التي هي شموس

كذلك يقول حضرتهُ " .. عرفنا عناصر الكواكب وكدنا نجعلها تشعر بوجودنا " ولست اعلم ما هي الدرجة التي يقصدها بقوله " كدنا " ولكن اطلب منهُ ان يتكرم بايضاحها وايضاح الجملة وتطبيقها على الواقع اي ماذا نجعل رجلاً في القمر مثلاً يشعر بوجودنا وآخر في المريخ وهلمَّ جرًّا

اما مسألة الاديان فلا دخل لها في بحثنا لانهُ علمي محض وعندي انهُ لو تأخر نشر

ردّه وقرأ ما كتب في مقتطف حزيران الاخير من هذا القبيل وان الابحاث الدينية لا يجب ادخالها في الابحاث العلمية لكان حضرتهُ ترك ذكرها على الاطلاق

اما المسألة الثانية فقد تطرف في طريقة وضعها اذ قال " انكارهُ عليَّ وعلى المقتطف حسباننا الخ " نعم انني انكرت عليهِ ولكن لم يدر في خلدي انني انكرت على منشئي المقتطف لانني لا اعلم ان لحضرتهما رأيًا خاصًا في هذه المسألة او على الاقل ما رأيت في كتابتهما الخاصة ما يدلُّ على اعتقادهما انها من الحوادث الطبيعية

وهب انهما اعتقدا في الماضي انها من الحوادث الطبيعية فلست اخالهما الآن كذلك بعد ان اطلعا على خلاصة الارصاد التي اجريت في الصيف الماضي. وزد على ذلك انهما لا يشتغلان بالرصد وان مقامهما الادبي السامي يضطرهما لنقل كل ما هو مفيد ولذيذ وتعريب ما يكتب مع عدم التشيع لفريق دون آخر متوخيين ذكر الحقيقة فلا يبديان رأيًا الاَّ لتعميم الفائدة او لتقريب فهم المسألة ويذكران اذا كان رأيهما من باب الاعتقاد او الترجيح او الجزم ويقدمان الاسباب التي تحمل على ذلك . وبمراعاتهما هذا الامر مع غيرهِ من الامور الجوهريَّة صار المقتطف اشهر مجلة عربية ونفتخر بالقول انهُ يباري احسن المجلات الاوربيَّة

راجعت اعداد مجلة النيتشر فلم اجد عددًا صادرًا بتاريخ ٧ مارس كما اشار حضرتهُ ولذلك لم يتسنَّ لي الوقوف على تفاصيل الرأي الجديد كما هو موجود في الاصل واذا كنت مصيبًا اظن احد الهنود قدمهُ ولكنني لا اجزم بذلك وعلى كل الاحوال فالرأي المذكور ضعيف للغاية لان نباتًا كهذا لا وجود لمثلهِ على الارض

وعلى فرض انهُ موجود في المريخ فلا يكون بالحالة التي نراهُ فيها بل تذهب اصولهُ كل مذهب بدون نظام ولا ترتيب . ولا يخفى ان حياة النبات تتوقف بالاكثر على جذورها التي تمتص الرطوبة والعصارات من التربة وهذه تمتد وتتشعب في التربة وليس على سطح الارض ولو راجع حضرة المناظر مقالتي السابقة تحت عنوان " الترع في حال حركاتها " ووعى ان النمو يبتدئُ من القطبين ويتدرج الى خط الاستواء ويتعدَّاهُ الى الجهة الثانية منهُ وتذكر تعليل ذلك وقرنهُ بالمشاهد المحسوس لما كان ذكر رأي النبات الشبيه بالاخطبوط لانهُ لو كان نباتًا وعروقهُ ممتدة الى القطبين لامتصاص الماء الذائب لكان النمو يبتدئُ من خط الاستواء ويتدرج الى القطبين وهذا عكس الحقيقة

" وخلاصة القول اولاً انهُ ينتظر من علماء الفلك الذين مثل لول ان يكشفوا احوال المريخ الطبيعية " وهذا ما قد جرى " ومن علماء البيولوجية مثل والس (وقد تبين انهُ ليس

منهم كما اعتقد مناظري) هل هذه الاحوال صالحة لوجود المخلوقات الحيَّة والاحياء العاقلة فيهِ وهذا ما اردتهُ في استشهادي بولس "

اما الامر الثاني فعلماء البيولوجيا ملتزمون الحياد والفريق الاكبر يعتقدون ان شروط الحياة متوفرة في المريخ ولكنهم لا يجزمون بوجود الحياة العالية بل جل ما يقولون انها ممكنة

وقبل ان اترك القلم اطلب من حضرة مناظري القبول بما يأتي والاَّ اضطررت لترك المناقشة

(١) ان لا يأتي بالجمل المطلقة بل يقيدها بما ينطبق على موضوع المناظرة

(٢) ان يذكر المواضع التي يستشهد منها وذلك بالاشارة الى اسم الكتاب والصفحة والسطر

(٣) ان لا يكلف نفسهُ اثبات ما يعتقدهُ ان ولس "من برَّز على الاقران في علم الحياة" وذلك بالبرهان على ان لفظتي Naturalist and Biologist هما لمعنى واحد لان هذا البحث من قبيل المماحكة

(٤) ان لا يُدخل اصحاب المقتطف في مباحثتنا باقوالهِ المطلقة لكن يجوز لهُ الاستشهاد بكتاباتهما مع مراعاة الشرط الثاني

(٥) ان يبقي البحث علميًّا محضًا ولا يدخل الاعتقادات الدينية فيهِ

وفي الختام اقول ان موضوع المباحثة اولاً هل الخطوط طبيعيَّة ام صناعية وثانياً تعليل ذلك . فاذا رغب حضرتهُ ناقشتهُ على هاتين النقطتين فقط اما اذا تعدَّاها فاني لا اكتب حرفًا والسلام

منصور حنا جرداق

الناطقون بالضاد

حضرات اصحاب المقتطف الافاضل

قالت كاتبة في العدد الفائت من مجلتكم الغراء ان في اللغات الاجنبيَّة مثل الانجليزيَّة والافرنسية كلمات تنطق (بالضاد) وحكمت بعد ذلك بانهُ لا وجه لتسمية العرب بهذا الاسم وما درت حضرة الكاتبة ان الكلمات التي اوردتها لا يمكن النطق فيها بهذا الحرف الاَّ ومعهُ حروف اخرى فكلمة door مثلاً لا يمكنك ان تنطق بالضاد فيها الاَّ اذا نطقت الحرفين اللاحقين لها اما في اللغة العربيَّة فحرف الضاد ينطق بهِ مفردًا او مع غيرهِ من الحروف وهذا هو الفرق وعليهِ فالناس محقون في هذه التسمية ولاوجه للاعتراض والسلام

محمد عسران عبد الكريم

الضاد بالعربية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قرأت ما كتبتهُ حضرة الكاتبة الفاضلة الباحثة بالبادية والظاهر انها لم تأخذ الانكليزية عن اصحابها لان الكلمات التي ذكرتها لا تلفظ دالها ضاداً بل تلفظ دالاً و يغلط من يلفظها ضاداً . وقد سمعت بعض الشرقيين يلفظون الدال ضاداً في مثل dull, draw, drum, ولكن لفظهم غلط ومن المحتمل ان توجد الفاظ اخرى تلفظ دالها ضاداً لكنها لا تخطر على بالي الآن . والظاهر ان الذين حسبوا الضاد خاصة بالعرب كانوا من الفرس والترك وبعض الساميين الذين كان لهم اختلاط بالعرب وهم لا يستطيعون لفظ الضاد ولا مثيل لها في لغاتهم فقالوا انها خاصَّة بالعرب . وحتى الآن تجد علماء العرب الذين اصلهم من الترك او الفرس يلفظون الضاد العربية ظاء وقد يكتبونها كذلك . هذا هو اصل قولهم ان الضاد خاصَّة بالعرب والله اعلم

باحثة بالحاضرة



فن الولادة

تأليف الدكتور نجيب محفوظ مدرّس فن الولادة بمدرسة الحكيمات في مستشفى القصر العيني

هو كتاب مدرسي لا يستغني عنهُ مولّد ولا مولدة من الاطباء ولا بدَّ من ان يكون مؤلفهُ قد جارى في تأليفهِ احدث العلماء الاوربيين الذين كتبوا في هذا الفن وجمع فيهِ كل ما تلزم معرفتهُ لدارسيهِ من اهل اللغة العربية اطباء كانوا او قوابل . ومتنهُ موضح بمئة وثلاثة وثلاثين شكلاً . وقد احسن المؤلف بذكرهِ بعض ما يعدُّ اضافيًّا في فن التوليد وهو من اهم ما يكون في بلادنا كعمليات التعقيم وتدبير صحة الحامل

الاسلام روح المدنية

او الدين الاسلامي واللورد كرومر تاليف الشيخ مصطفى الغلاييني

يذهب لورد كرومر ان لاديان الامم شأناً كبيرًا في عمرانهم واخلاقهم وهو يعني

بأديانهم ما يعتقدونهُ وقت البحث عن عمرانهم ولو كان بعضهُ وضعيًّا وضعوهُ هم او اسلافهم ٠ واصحاب الاديان المختلفة اما ان يوافقوهُ على هذا المذهب او يخالفوهُ فيهِ فان كان الثاني فقد لا يتعذَّر عليهم ان يثبتوا لهُ ان بين اصحاب الدين الواحد البرّ والفاجر والعالم والجاهل والمرتقي والمنحط وهذا يتمشى على الافراد وعلى الجماعات فلا يكون للدين كبير تأثير فيهم ٠ وان كان الاول فلا يتعذَّر عليهم ان يبيّنوا لهُ ان ما يدين بهِ القوم الذين اشار اليهم ليس من دينهم في شيء او ليس من اصول دينهم بل هو اضافات اضيفت اليهِ او بدَع نشأت فيهِ فقد سئل احد علماء المسلمين عن قول لورد كرومر "ان الجامعة الاسلامية تستلزم السعي في القرن العشرين الى اعادة مبادئ وضعت منذ الف سنة" فقال "ان كلام اللورد كرومر غير موجه الى اصل الدين لان اصلهُ القرآن واحد فرعيهِ السنة وقد ابتدأ وجودهما من ١٣٣٧ سنة منذ بعثة النبي وتمَّ وجودهما بوفاتهِ منذ ١٣١٤ سنة واللورد لا يجهل هذا التاريخ" ٠ ثم بيَّن ان المبادئ التي اشار اليها لورد كرومر هي المذاهب التي وضعت منذ نحو الف سنة وان قولهُ هذا "هو من جنس القول الوارد في دعوة لجنة المؤتمر الاسلامي المنشورة بامضاء رئيسها الشيخ سليم البشري ان الدين داخلتهُ بدَع اخَّرت الامَّة عن الرقي" (انظر مجلة جمعية التعاون الاسلامي صفحة ٢٨١ و ٢٨٢)

والظاهر ان الناس اخطأُوا سهوًا او عمدًا قصد لورد كرومر فقاموا يشنعون عليهِ ويصفونهُ باقبح الاوصاف ٠ وهذا الكتاب الموسوم بالاسلام روح المدنية يخاطب لورد كرومر بقولهِ

كذبتَ علينا ايها اللورد عامدًا كما كذب الاوباش يوم تحزبوا

فزور وبهتان وافك مضلّل واشياء املاها الهوى المتشعبُ

وهو القائل بعد ذلك "ان جناب اللورد لم يعلم الدين الاسلامي على وجههِ بل ظنَّ انهُ هو ما رآهُ من اعمال المسلمين ايام اقام بينهم في مصر" (صفحة ٣١) ٠ والقائل "نعم اني لا انكر ان اعمال اكثر المسلمين اليوم لا تنطبق على ما امر بهِ كتابهم بل اقول ان اكثر افعالهم تناقض مبادئهُ واوامرهُ ونواهيهُ حتى حجبوا حقيقتهُ وجوهرهُ بتلك الاعمال الشائنة — فالمسلمون والنصارى وخصوصاً اهل اوربا ودولها العظيمة كلهم حاد عن دينهِ واتَّبع غير سبيلهِ ٠٠٠ غير ان الفرق بين المسلمين والنصارى من حيث ترك الجميع للدين كبير فالنصارى تركوهُ لما هو ارقى واسمى من حيث الترقي المدني والمعاشي والمسلمون تركوهُ لما هو اذل واحط في الدنيا والآخرة" (صفحة ٧٤ و ٧٥)

والقائل " ان الدين الاسلامي دخلهُ كما دخل سائر الاديان كثير مما ليس منهُ وروَّجهُ اولئك الجهلاء باسم الدين حتى عدَّهُ كثير من عوام المسلمين بل ومن علمائهم من الدين وناضلوا عنهُ كما يناضلون عن قواعدهِ الاصلية فظن مَن لا خبرة لهُ من الاجانب ان الدين الاسلامي هو عبارة عما يرونهُ من اعمال المسلمين ويسمعونهُ من افواههم ويقرأونهُ في بعض مؤلفاتهم " (صفحة ٣٢)

اذا صحَّ ذلك كلهُ اي اذا صحَّ " ان الدين الاسلامي دخلهُ كثير مما ليس منهُ " بشهادة مؤلف هذا الكتاب وشهادة شيخ الاسلام في مصر واذا كان كثيرون من علماء المسلمين يعدون هذا الدخيل من الدين نفسهِ ويناضلون عنهُ واذا كانت اعمال اكثر المسلمين اليوم لا تنطبق على ما امر بهِ كتابهم واكثر افعالهم تناقض مبادئهُ فهل يكون لورد كرومر باغياً كذاباً مزوراً يقصد الانتقام والتشفي اذا بنى حكمهُ على ما رآهُ من سيرة المسلمين وما سمعهُ من علمائهم بعد ان وصف الاسلام اسمى وصف في ما رواهُ عمَّا قيل لنجاشي الحبشة

اللهمَّ اجعلنا من المنصفين في حكمنا على انفسنا وعلى سوانا واجعلنا نرى انفسنا كما يرانا غيرنا

اما لورد كرومر فالذين عاشروهُ زماناً طويلاً يعلمون انهُ من اشد الناس حبًّا للامم الشرقية واكثرهم سعياً في ترقيتها ويعلمون ايضاً ان القيامة التي قامت عليهِ حركةٌ سياسيةٌ تجارية انشأها وروَّجها اصحاب الاغراض لغايات معلومة. والذين يقرأون كتابهُ في لغتهِ يرون انهُ يبحث فيهِ بحثاً علميًّا عمرانيًّا قد يكون مصيباً فيهِ وقد يكون مخطئاً ولكنهُ لا يقصد بهِ الانتقام ولا التشفي ولا التضليل وانما قصد الارشاد الى ما يظنهُ سبباً من اسباب ضعف الامم الشرقية

جامع الحجج الراهنة

تأليف المرحوم اقليميس يوسف داود رئيس اساقفة دمشق على السريان . وقد طبع حديثاً عن نسختين كتبتا سنة ١٨٧٣ ولم يذكر فيهِ مكان طبعهِ وهو سفر كبير يقع في ٥٠٣ صفحة

لو ان الهمة التي بذلها رؤساء المذاهب في المجادلات المذهبية بُذلت كلها في تعليم الشعب وتهذيبهِ لرأيت حال الامم غير ما هي عليهِ الآن ولا نقول ذلك حطًّا من قيمة المجادلات المذهبيَّة ولا سيما اذا كانت مبنيَّة على المباحث التاريخية كهذا الكتاب بل لان الاهم يجب ان يقدَّم على المهم. هذا من حيث موضوع الكتاب اما اسلوبهُ فيدلُّ على علم واسع وبحث

كثير واستقصاء ما وراءه استقصاء ويشهد للمؤلف بسعة العلم وعلو الهمة. واذا كان غرضهُ من كتابهِ اظهار فضل الكرسي الروماني الذي اهتمّ بارجاع الطائفة المارونية الى طاعة الكنيسة الكاثوليكية فيكون قد تجشم اشد المشاق لغرض شريف. وفي الكتاب اقتباسات كثيرة من قدماء المؤرخين واشارات الى ما وقع فيها من التحريف عمدًا مما يدلُّ على ان غرض الناس يحملهم احيانًا كثيرة على تحريف ما بين ايديهم من الكتب ولو كان الغرض دينيًا يحرّم مثل هذا التزوير الفاضح

مبادئ الاقتصاد السياسي

تأليف حسين افندي محمد فهمي المحامي لدى المحاكم الاهلية

قال المؤلف في مقدمتهِ "انهُ لما كانت خدمة هذا البلد الامين اشرف ما توجه نحوهُ الهمم واصل ما يكافأ عليهِ اولو العزم رأيت ان اقوم بعمل نادر في بابهِ فوفقني الله الى وضع هذا الكتاب في علم الاقتصاد السياسي ...... فعسى ان اكون قمت بما يجب عليَّ نحو بلادي ولعل هذا المؤلف يكون فاتحة لمؤلفات كثيرة في هذا الموضوع الجليل بلغتنا العربية الشريفة تبتدعها افكار اولي العلم الغزير والاطلاع الواسع"

ومفاد ذلك كلهِ ان الكتاب موضوع وضعًا ابتدعتهُ فكرة المؤلف ولم يلخصهُ من كتب الاوربيين ولا بناهُ عليها ولكن لا تقرأ فصلاً او فصلين حتى ترى المؤلف يعترف باقتباسهِ من الاوربيين. وقد طبع في العربية ثلاث كتب او اربع في علم الاقتصاد واعترف مؤلفوها انهم اغترفوا من موائد الاوربيين الذين وسعوا هذا العلم ووضعوا قواعدهُ واوصلوهُ الى ما وصل اليهِ الآن

والكتاب من احسن الكتب العربيَّة التي رأيناها في موضوعهِ لغةً وايضاحًا فلحضرة مؤلفهِ الشكر الجزيل

المنهج المسلوك في سياسة الملوك

تأليف الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله من علماء القرن السادس الفهُ للملك الناصر صلاح الدين يوسف وقد طبع الآن على نفقة احمد افندي زكي ابو شادي ومحمد افندي رشدي

بدأ المؤلف كتابهُ بمقدمة قال فيها ان الملك من الضروريات للرعية كالمطر للزرع والرعية بلا والٍ كالانعام بلا راعٍ . ثم بيَّن الاوصاف التي يجب ان يتصف بها الملك كأن يكون

عادلاً شجاعاً سخياً رفيقاً وفيّاً صادقاً رؤوفاً صبوراً . والمطالب التي تطلب منهُ وهي ان يسوس الجيش ويدبرهُ ويعدُّ لهُ ما يحتاج اليهِ من زاد وعلوفة ويتعرَّف اخبار عدوهِ بالجواسيس ويحرض المؤمنين على القتال ويذكرهم ثواب الله ولا يترك احداً من جيشهِ يشتغل بتجارة او زراعة . وان يصابر المشركين ويقاتل اهل الردة واهل البغي ويقسم اموال الكفار بين الغانمين ويسمع المواعظ من النسَّاك

وغنيٌّ عن البيان انهُ كان يُطلب من الملك ان يدبر كل امور المملكة في العهد الذي أُلّف فيهِ هذا الكتاب فكأَنَّ المؤلف اراد ان تدبير المملكة يقوم بان يكون ملكها متصفاً بالاوصاف التي ذكرها كالعدل والعقل والشجاعة والسخاء والرفق والحلم وان يقاتل الكفار والمشركين والمرتدين ويقتسم غنائمهم . اما الزراعة والصناعة والتجارة ومصالح الناس الذين يتعذر عليهم الوصول اليهِ فامرها كلها موكول الى الطبيعة فلا عجب اذا انحطت الممالك التي لا همَّ لملوكها الاَّ ان يُذكروا بعدلهم وسخائهم وشجاعتهم وتنكيلهم بالاعداء ويكونوا من مماديح الشعراء ولا نعجب بعد ذلك من ان اولئك الملوك تسلطوا على قطرين فيهما نحو عشرين مليوناً من النفوس ومدائن تباهي اعظم عواصم الدنيا وبعد الف سنة لم يبقَ في ذينك القطرين سبع ما كان فيهما من السكان وامست مدائنهما خراباً يباباً

ولغة الكاتب ناصعة البيان وحكمهُ في الطبقة الاولى ولا اعتراض على ما فيهِ من حيث ما يجب على الملوك وانما اعتراضنا عليهِ من حيث انهُ غير جامع لاهتمام الرعاة بمعايش الرعية

وقد اتفق اننا حينما كنا نكتب هذه السطور اتجه نظرنا الى سؤال احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي عن عدد الساعات التي يعمل فيها الاولاد في معامل حلج القطن في القطر المصري مستكثراً تشغيلهم ١٥ ساعة في اليوم ولائماً الحكومة على عدم التفاتها الى ذلك . واتجه ايضاً الى رسائل بعث بها الينا بعض المكاتبين شكوى من اهمال الحكومة المصريَّة تنقية دود القطن فلم يسعنا الاَّ رؤية الفرق الكبير بين اهتمام ابناء هذا الزمان واهتمام اسلافهم فان قوة الامة تتوقف على صحتها وصحتها تتوقف على صحة اولادها . ونجاح الامة يتوقف على ثروتها وثروتها تتوقف على زراعتها وهذه الدودة الحقيرة خسَّرت القطر المصري سنة ١٩٠٥ اكثر من مليونين من الجنيهات وما من حرب اوقدت مصر نارها وربحت بها ما يساوي نصف مليون . والاهتمام بهذه الامور وامثالها هو اساس سياسة الممالك ونجاحها



فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) الاولاد وايام الحسوم

القاهرة . احد المشتركين : يعتقد العامة انهُ اذا حبلت امرأة في ايام الحسوم تلد مولوداً خارقاً للطبيعة و يثبتون هذا الاعتقاد بحوادث يذكرونها فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ ولا ندري كيف يمكنهم اثباتهُ اما حكمنا بانهُ غير صحيح فمبني على ان في ايام الحسوم ثماني ليالٍ او نحو جزء من ٤٦ جزءا من ليالي السنة فلو كان هذا القول صحيحاً لوجب ان يكون اثنان في المئة من الناس من الخوارق وهذا غير الواقع

(٢) معنى كلمة حسوم

ومنهُ · ما معنى كلمة حسوم وهي من ١٠ مارس الى ١٧ منهُ او من اول امشير الى ٨ منهُ

ج يقال في كتب اللغة ان الليالي الحسوم هي التي تحسم الخير عن اهلها · وليس لدينا نص صريح على اصل هذه الايام ولكننا نظن ان لها علاقة بالاختلاف بين اليهود والنصارى على وقت عيد الفصح فان الفريقين كانا في بلاد العرب وكان قد وقع الخلاف بين طوائف النصارى على وقت هذا العيد منذ القرن الثاني للميلاد . او ان لها علاقة بعيد الفصح نفسهِ فانهُ كان يعيد ثمانية ايام وبقي كذلك الى القرن الحادي عشر

(٣) كيف يتكوَّن الجنين

ومنهُ . كيف يتكوَّن الجنين مدة الحمل

ج تجدون اشارة الى ذلك في مقالة الوراثة في هذا الجزء وتجدون شرحاً مسهباً لكيفية تكوُّن الجنين في كتاب الفسيولوجيا تأليف الدكتور ورتبات وفي كتاب فن الولادة الذي قرظناهُ في هذا الجزء وهو للدكتور نجيب محفوظ

(٤) الدب الروسي والاسد البريطاني

ومنهُ · لماذا يقال الدب الروسي والاسد البريطاني

ج ان الاسد شعار بريطانيا وهو رمز القوة · وشعار روسيا النسر لا الدب ولكن الدب كثير في روسيا ووطنهُ البلاد الباردة وهو رمز للقوة والفخامة فجعل رمزاً لروسيا

(٥) ابتداء السنة

ومنهُ . من المعلوم ان السنة الافرنكية كانت تبتدئ من شهر مارس وتنتهي في شهر فبراير فمن غيَّر هذا الترتيب وجعل شهر يناير مبدأ السنة

ج كانت السنة عند الرومان عشرة اشهر بداءتها في مارس ونهايتها في دسمبر ومعنى دسمبر المدة العاشرة ثم اضافوا اليها يناير وفبراير فصارت اثني عشر شهرًا وبقيت نهايتها في دسمبر وصارت بداءتها في يناير وذلك منذ سنة ٢٥١ قبل المسيح . ثم ان ديونيسيوس الصغير التي توفي سنة ٥٥٦ للميلاد وهو احد علماء الكنيسة جعل مبدأ السنة المسيحيَّة ٢٥ مارس اي يوم عيد البشارة او قبل ولادة المسيح بتسعة اشهر فجارتهُ اكثر ممالك اوربا في ذلك ولكن بقي بعضها يحسب مبدأ السنة في ٢٥ دسمبر وبعضها في ٢٥ مارس وبعضها في عيد الفصح وبعضها في اول يناير فانكلترا بقيت تستعمل المبدأ الاول والثاني من القرن السادس الى سنة ١٠٦٦ والثالث والرابع الى سنة ١١٥٥ ثم عادت الى الاول وجرت عليهِ الى اليوم التالي للحادي والثلاثين من دسمبر سنة ١٧٥١ فسمتهُ اول يناير سنة ١٧٥٢ . واستعملت اسكتلندا الثاني الى سنة ١٥٩٩ وحينئذٍ دعت اليوم التالي للحادي والثلاثين من دسمبر اول سنة ١٦٠٠ واستعملت فرنسا الاول في عهد شارلمان ثم الثالث والثاني

(٦) الجنين واشعة رنتجن

ومنهُ . هل يمكن ان يعرف جنس الجنين باشعة رنتجن

ج كلاَّ لان صورة الاجزاء اللحمية تظهر باشعة رنتجن متماثلة

(٧) وظائف الاعضاء

ومنهُ . كيف عرفت وظائف الاعضاء التي يتركَّب منها جسم الانسان وهل عرف ذلك وهي موضوعة في اماكنها او بعد استخراجها من اماكنها مع انها تكون قد فقدت حياتها

ج انكم تطلبون بهذا السؤال ان نشرح لكم تاريخ علم الفسيولوجيا من ايام اطباء اليونان الى الآن وهذا لا يكفيهِ مجلد ضخم ولكننا نقول بالاختصار ان وظائف اعضاء الجسد عُرفت بالمراقبة مدة الحياة وعرفت والاعضاء في اماكنها او بعد نزعها فمثال ذلك ان الذين شرَّحوا اول انسان او اول حيوان كبير رأَوا الطعام في معدتهِ فعرفوا ان المعدة لهضم الطعام ورأَوا الطعام ينتقل الى الامعاء وقد هضم كثيرًا او قليلاً فقالوا ان الامعاء تشارك المعدة في الهضم وربطوا اطعمة مختلفة وادخلوها الى المعدة وابقوها فيها مدة ثم اخرجوها منها ورأَوا تأْثير الهضم المعدي فيها واستخرجوا العصارة المعدية وامتحنوا فعلها بالاطعمة المختلفة وبعد بحث طويل مدة سنين

كثيرة عرفوا نصيب كل من المعدة والامعاء في هضم الطعام اي وظيفة كلٍّ منها. ورأوا البول في المثانة ورأوا قناة تمتد منها الى الكلية ورأوا الاوعية الدموية تمر في الكليتين وتتشعب فيهما ثم تخرج منها فعرفوا انهما لافراز البول من الدم. ورأوا الدم يدخل الرئتين وريديًّا كثير الفضول ويخرج منها شريانيًّا نقيًّا فعرفوا انهما لتطهير الدم. ورأوا انهُ اذا ايف عصب من الاعصاب او عقدة من عقد الدماغ بطلت حركة اليد او حركة اللسان او فقد النطق او زال البصر فعرفوا ان وظائف تلك الاعصاب والعقد الدماغية تحريك اليد واللسان الخ والآن يشتغل مئات من العلماء بالبحث عن وظائف كل عضو وكل دقيقة من دقائق الجسم لانهُ لا تزال امور كثيرة غامضة مع كثرة ما عرف من وظائف اعضاء الجسم

(٨) الداء الزهري

الاسكندرية. م. ك. ن في اي البلدان ظهرت الامراض الزهرية اولاً وعن اي شيء تأتت

ج يظهر من النظر في آثار الاقدمين ان داء الزهري قديم جدًّا فقد وجدت آثارهُ في عظام الاقدمين الذين كانوا في العصر الحجري او قبل المسيح باكثر من الفي سنة وورد وصفهُ في كتاب طبي صيني امر بجمعهِ الامبراطور هوانكتي الذي كان قبل المسيح بالفين وستمائة سنة. ويظهر منهُ ان الصينيين اول من وصف الدرجة الاولى والثانية من درجاتهِ واول من عالجهُ بالزيبق وقال بانتقالهِ بالوراثة ووصف انواع قروحهِ المختلفة وتأثيرهُ في اعضاء الجسم. وفي كتب المصريين والهنود والكلدان واليونان والرومان اشارات الى قروح تصيب الجسد حيث يظهر الزهري عادةً واتفقوا كلهم على انها صعبة البرء وتؤثر في الحنجرة والشعر وان العدوى بها تكون غالبًا من المومسات. وواضح من ذلك انهم ارادوا بها داء الزهري عينهُ. اما سبب الزهري فمكروب خاص بهِ وهو سبب العدوى ولا يعلم كيف وجد هذا الميكروب اولاً ولكن الرأي الشائع ان الميكروبات تتحول من نوع الى آخر وينشأ بعضها من بعض حسب نواميس النشوء العامة ولا نعلم الاسباب التي ولَّدت ميكروب الزهري ولا ما كان نوعهُ قبلاً

(٩) علامات الزهري

ومنهُ. كيف نعرف الامراض الزهرية عند الرجال والنساء وهل يوجد فرق بين المرضين

ج. لا فرق في ظواهرها بين الرجال والنساء ولها ثلاث درجات الاولى قرحة مفردة حمراء رمادية في المركز صلبة مقعرة عن مساواة السطح المحيط بها وحافتها متخفضة الى الداخل وقاعدتها صلبة كما يظهر باللمس ومفرزها مصلي ويختلف قطرها من ثمن عقدة

الى نصف عقدة و يرافقها تصلُّب الغدد اللمفاوية المغذية على الجانبين بلا الم وهي سريعة البرء تشفى في مدة وجيزة على الغالب . و بعد ثلاثة اسابيع الى سبعة تظهر اعراض الدرجة الثانية فتبتدئ بتكسر وضعف عامي وهزال وفقد القابلية للطعام والم الرأس والاطراف وتورم غدد الرقبة والابطين وتظهر بقع الطخية وهي اما متفرقة او مجتمعة معاً لونها احمر وتظهر كأنها مرتفعة عن البشرة وهي على مساواة الجلد و يزول لونها تحت الضغط ثم يرجع وهي عديمة الالم و يصير لونها نحاسياً وتربو عليها قشور تسقط عند اواخر مدتها وقد ينتهي بعضها بالتقرح اذا كانت بنية المصاب ضعيفة

وفي الدرجة الثالثة تتكوَّن باميات ليفية صلبة مؤلمة ثم تتحول الى ورم صمغي قابل للتقرح والتقيح يظهر على سطح الجلد . وقد تظهر في الدماغ والعمود الشوكي ومن اعراضها تقرحات جلدية وتقرحات عميقة في الحلق والحنجرة والتهاب اجزاء العين والطرش وفقد حاسة الشم الخ . واذا شئتم زيادة الايضاح فراجعوا مقالة مسهبة في هذا الموضوع منشورة في المجلد العشرين من المقتطف في جزئي يونيو و يوليو سنة ١٨٩٦

(١٠) البروتستانت وعيد الفصح

نيو اورلينس . الخواجه شديد نعمه عطايا . لماذا لا تحتفل الطوائف البروتستانتية بعيد الفصح كبقية الطوائف المسيحيَّة مع انها تحتفل مثلها بعيد الميلاد

ج لما ارادت الطوائف البروتستانتية الرجوع الى بساطة الديانة المسيحيَّة الاولى اهملت الطقوس كلها واصرَّ بعضها على هذا الاهمال الى الآن وعاد البعض الآخر الى الاحتفال ببعض الاعياد اما عيد الفصح فكان الاحتفال بهِ يشمل اظهار السرور على اساليب بعضها غير حسن وبعضها يقوم بتلاوة قصص خرافية لا حقيقة لها فنادى الاصلاح ضدها منذ القرن السادس عشر ولاسيما في البلاد السكسونية حيث يقال ان بعض تلك الاساليب وثني الاصل ولعل صعوبة تعيين يوم العيد ساعدت على اهمالهِ

(١١) فائدة الحشرات

مصر . جبريل افندي ميخائيل . يقال ان لكل كائن على الارض فائدة فما فائدة الذباب والبراغيث والبق والعنكبوت

ج اذا كان المراد بالفائدة انها حاصلة للانسان فالقول غير صحيح لان كائنات كثيرة وجدت وتلاشت والانسان لم ينل منها فائدة ما ولا علم بوجودها . ففي مجاهل افريقية واسيا كائنات كثيرة لا ينتفع احد بها وحولنا كائنات كثيرة ليس منها للانسان الاَّ الضرر كمكروب السل والتيفويد والطاعون والدفتيريا وما اشبه من الامراض القتالة واذا كان المراد بالفائدة العمل المنوط بذلك الكائن في سلسلة الكائنات فلكلٍ منها عمل

خاص في هذا الكون فالصل الذي يقتل الانسان يفيد الديدان التي تأكل جثته . اما الذباب فيفيد الانسان في انه يأكل فضلات الطعام ولولا ذلك لفسدت وافسدت الهواء ولكنه يضرُّ بهِ في نقلهِ مكروبات التيفويد مثلاً من مبرزات المصابين الى طعام الاصحاء ومكروبات الكوليرا من قيء المصابين بها الى طعام الاصحاء . والبراغيث لانعلم لها فائدة للانسان وضررها كثير ولا سيما بعد ان علم انها تطعم الانسان بمكروب الطاعون وكذلك البق لا نعلم له فائدة للانسان وضرره كثير ولا سيما اذا ثبت انهُ ينقل مكروب الجذام من المجذومين الى الاصحاء ولا نعلم ضررًا للعنكبوت غير ما يلسع منهُ ولسعهُ سام ومنهُ فائدة باكل الذباب

(١٢) الجامعة المصرية

ومنهُ . ما رأيكم في الجامعة المصرية هل وضعت قواعدها على اساس متين يضمن نجاحها او ما الذي تختارونهُ لنجاح مشروعها

ج ان اكثر الجامعات المشهورة مؤلف من مدارس عالية كمدرسة الطب ومدرسة الحقوق ومدرسة الزراعة ومدرسة الهندسة ومن مدرسة فوقها للفلسفة والعلوم الطبيعيَّة واللغوية والادبيَّة كما ابنا غير مرة . والمدارس الاولى موجودة في القاهرة وينقصها لتكون مدرسة جامعة ان تنضم بعضها الى بعض وتضاف اليها مدرسة فلسفيَّة ومدرسة للعلوم الطبيعية العليا كالجيولوجيا والبيولوجيا والعلوم اللغوية والادبيَّة كالفيلولوجيا والاركيولوجيا وتاريخ الآداب العربيَّة . اما الجامعة التي يراد انشاؤُها فتكملة للمدارس العالية الموجودة في العاصمة . واذا ظهر بعد السير فيها ان البلاد تحتمل مدارس اخرى للطب والحقوق والهندسة والزراعة ففي الامكان اضافتها اليها فتصير جامعة اسمًا وفعلاً . وكثير من المدارس الجامعة نشأ صغيرًا ونما رويدًا رويدًا . وبقي امر جوهري وهو ان المدارس الجامعة تمنح القابًا علميَّة بحق تنيلها اياهُ حكومة البلاد التي هي فيها او حكومة اخرى مرعية كالمدرسة الاميركية في بيروت فانها نالت هذا الحق من حكومة اميركا والمدرسة اليسوعية فانها نالت هذا الحق من حكومة فرنسا على ما نظن اما الجامعة المصرية فلم تنل هذا الحق من الحكومة المصرية حتى الآن . والاسلوب الذي ابتدأت بهِ يدلُّ على ان القائمين بها يلومون الحكومة لانها لم تنشئ مدرسة جامعة حتى الآن ويحسبون انها فعلت ذلك لكي لا يرتقي التعليم في البلاد فارادوا جبر هذا النقص بانشاء مدرسة جامعة للعلوم العالية . ونحن نعلم عن ثقة ان بعض رؤساء مدارس الحكومة المشار اليها آنفًا كانوا يشيرون بضمها بعضها الى بعض لتكوين مدرسة جامعة منها وقد ذاكرنا واحد منهم في هذا الموضوع منذ نحو اربع سنوات .

و يحسن بالحكومة المصرية ان لا تهمل هذا الموضوع وهي اقدر من شعبها الآن على انشاء مدرسة جامعة تجعل فروعها مدارسها الطبيَّة والحقوقية والهندسيَّة والزراعيَّة وتضيف اليها مدرسة لعلم التجارة ومدارس اخرى للعلوم العالية على انواعها وتجلب اليها من مهرة الاساتذة الاوربيين الاخصائيين الى ان يُهر من ابناء البلاد من يقوم مقامهم وتمنح الالقاب العلمية للمستحقين وقد لا تزيد نفقات مدرسة كهذه على عشرين الف جنيه في السنة فوق ما تنفقهُ الآن على مدرسة الطب ومدرسة الحقوق ومدرسة الهندسة ومدرسة الزراعة فيصير في القطر المصري مدرسة جامعة مثل اوسع المدارس الجامعة في الدنيا. وهذا لا يمنع ان تكون فيها جامعة اخرى وهي الجامعة التي انشئت الآن لان البلاد تحتمل جامعتين او اكثر اذا عكف اهلوها على العلم كما يُنتظر منهم



القانون الاساسي العثماني

أُعيد القانون الاساسي الى الممالك العثمانية في ٢٤ يوليو الماضي وصدر الامر بانتخاب النواب لمجلس المبعوثان وسيجتمع في نوفمبر المقبل وزالت المراقبة عن الجرائد والمطبوعات عموماً وعفي عن المجرمين السياسيين وشمل السرور جميع العثمانيين على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم

مركبة زبلن الهوائية

هي المركبة الرابعة من المركبات او البلونات التي صنعها كونت زبلن الالماني اطيرت الساعة الثامنة والدقيقة ٣٠ صباحاً من خيمتها عند بحيرة كونستانس في اول يوليو فصعدت الى علو الف قدم واتجهت نحو زورك ومرَّت فوق كونستانس وفردنفلد ودنترثور ولما وصلت الى زورك دارت حول كنيستها ثم عادت جنوبًا الى لوسرن فوصلتها الساعة ١٢ والدقيقة ٣٠ وطارت فوق البحيرة ثم دارت حولها وعادت شمالاً فوصلت الى كنستانس الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ بعد الظهر ثم سارت الى حدود بلاد المجر ونزلت على مئة قدم من البيوت ودام سفرها ١٢ ساعة قطعت فيها ٢٤٨ ميلاً وكانت سرعتها احياناً ٣٤ ميلاً في الساعة واعلى علوٍ بلغتهُ

٢٤٦٠ قدماً ومراد الكونت زبلن ان يطير بها و يسير مدة اربع وعشرين ساعة لكي يقوم بالشرط الذي اشترطتهُ حكومة المانيا عليهِ لكي تشتريها منهُ بمئة الف جنيه

الطواف حول افريقية

وجد بين الآثار المصرية القديمة جُعلان من عهد الملك نكاو الثاني الذي ملك سنة ٦١٠ قبل المسيح وهما كبيران جدًّا من حجر اسود رمادي طول احدهما ٢٠ سنتمترًا وطول الآخر ٢٥ سنتمترًا و يقال في الكتابة التي على وجه احدهما ان خادماً جاء واخبر الملك بان الرسول الذي ارسلهُ ليطوف حول الارض المجهولة قد عاد الى مصر فامر الملك ان يأتي حالاً اليهِ فاتى وسجد للملك واخبرهُ عمَّا شاهدهُ في رحلتهِ العجيبة فامر الملك ان تكتب اخبارهُ لانهُ لم يرَ مثلها قبلاً وقدَّم كثيرًا من التقادم الى الالهة بست ممَّا جاء بهِ الرسول من تلك البلدان

ويقال في الكتابة التي على الجُعل الثاني ان الرسول واسمهُ بتنيث امرهُ الملك ان يجد طريقاً الى البلاد الجديدة التي كانت مجهولة لدى القدماء فابتدأ السفر في السنة الثامنة للملك وبعد ان سار اكثر من شهر في البحر الاحمر دخل الاوقيانوس وسار فيهِ مدة سنة وسبعة اشهر فوصل الى امام جبل كبير يسمى قرن الارض ومن ثم ضلَّ ولم يعد يعرف اين هو وبعد سفر طويل وجد نفسهُ في مصر ونزل على ضفة النيل وكان ذلك في السنة الثانية عشرة للملك نكاو الثاني فكانت مدة سفر بتنيث اربع سنوات و يقال هناك ان الملك امر بكتابة خبر هذهِ الرحلة في لوح يحفظ في الهيكل لكي يعلم بها كل سكان الارض . ولكن لم تكشف هذه الكتابة حتى الآن

ما بني من السفن

بني في العام الماضي ٣٥٢٣ سفينة كبيرة محمولها ٣٢٧٧٨٩٤ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ٣١٢٧١٤٩ حصاناً واكثر من نصفها بني في انكلترا فانهُ بني فيها ١٨٢٥ سفينة محمولها ١٨١٤٩٦١ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ١٧٧٦٧٦٨ وما بقي في سائر ممالك العالم . وتلاها الولايات المتحدة الاميركية في كبر السفن وان لم يكن في عددها فان عدد ما بني فيها من السفن ١٧٧ محمولها ٤٥٥٧١٣ طنا وقوة آلاتها البخارية ٣٠٤٨٣١ حصاناً ثم المانيا فانهُ بني فيها ٥٠٧ محمولها ٣٢١٣٧٢ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ٢٧٩٠٩٧ حصاناً ثم اليابان فانها بنت ١٤٨ سفينة محمولها ١٢٧٧٥٢ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ١٨٧٧٢٨ حصاناً . ومعامل بناء السفن في بلاد اليابان جامعة لاحدث الاساليب وصنَّاعها من امهر الصنَّاع وهي

تنوي الآن ان تبني فيها بارجة محمولها عشرون الف طن . واكبر بارجة عند الانكليز الآن محمولها ١٨٦٠٠ طن . واكبر بارجة عند الفرنسويين محمولها ١٨٠٠٠ طن وعند الالمان محمولها ١٧١٠٠ طن وعند الدولة العلية محمولها ٣٢٥٠ طنًّا وهي ليست بارجة بل طراد محمي وعسى ان تتغير الحال قريبًا

المربعات السحرية

اذا اردت ترتيب الاعداد الطبيعية من واحد فما فوق في مربعات عددها وتر فارسم المربعات وضع ١ في المربع الذي تحت المربع الاوسط ثم سر بانحراف الى اليمين والاسفل وضع ٢ في المربع التالي لهُ و٣ في المربع الذي بعدهُ الخ ومتى وصلت الى نهاية عمود من الاسفل فانتقل الى رأس العمود الذي يليهِ يمينًا ثم انتقل الى اليمين منحرفًا كما تقدم ومتى وصلت الى طرف عمود من جهة اليمين فانتقل الى رأس العمود الذي تحتهُ من جهة الشمال وسر بانحراف الى اليمين والاسفل كما تقدم . وفي انتقالك من مربع الى آخر اذا وجدت المربع الآخر مشغولاً فاترك مربعًا تحت المربع الذي انت فيهِ وانتقل الى الذي تحتهُ ومتى وصلت الى المربع الذي فوق الاخير من الزاوية اليسرى فانتقل الى اعلى ذلك العمود ومتى وصلت الى المربع الذي في الزاوية السفلى اليمنى فانتقل الى المربع الثاني في ذلك العمود من الاعلى مثال ذلك ان توضع الارقام ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ الى ٤٩ في سبع مربعات طولاً وسبع مربعات عرضًا اي ٤٩ مربعًا حتى يكون مجموع كل عدد افقي او عمودي ١٧٥ فتوضع هكذا

٢٢	٤٧	١٦	٤١	١٠	٣٥	٤
٥	٢٣	٤٨	١٧	٤٢	١١	٢٩
٣٠	٦	٢٤	٤٩	١٨	٣٦	١٢
١٣	٣١	٧	٢٥	٤٣	١٩	٣٧
٣٨	١٤	٣٢	١	٢٦	٤٤	٢٠
٢١	٤٩	٨	٣٣	٢	٢٧	٤٥
٤٦	١٥	٤٠	٩	٣٤	٣	٢٨

وقس على ذلك سائر المربعات الوترية العدد . انتهى من السينتفك اميركان

طيارة فرمن

نال المستر فرمن جائزة امرنجو وهي عشرة آلاف فرنك لانهُ طار بطيارتهِ في السادس من يونيو عشرين دقيقة وعشرين ثانية وقطع بها نحو احد عشر ميلاً وكان الشرط لنيل الجائزة ان تبقى الطيارة طائرة ربع ساعة

ملك الانكليز والعلم

ذهب ملك الانكليز والملكة الى مدينة ليدس وفتحا المباني الجديدة في مدرستها الجامعة وقدم خطاب الى الملك فاجاب عنهُ بما ترجمتهُ " لا يخفى ما لي من الاهتمام بامر

التعليم ويسرُّني ان ارى مدارسنا العظيمة توسع نطاقهُ وتعلي منارهُ . والدرجة السامية التي بلغتها مدارسنا الكلية والجامعة من حيث تهذيب الاخلاق وتثقيف العقول لم تنحطَّ بادخال العلوم الطبيعية ولاسيما الفروع العملية التي اتسع نطاقها الآن ولا كان ذلك مانعاً من تتبع العلوم الادبية والتاريخية . ويسرُّني جدًّا ان ارى وسائل التعليم في المواضيع المفيدة للتجارة قد زادت كثيرًا لشبان مدننا التجارية حيث تعلَّم العلوم الادبية . ويصعب عليَّ ان اعبر عن كل ما يخالج فؤادي من الشكر للذين قاموا بما يطلب منهم من هذا القبيل سواء كانوا من رجال الحل والعقد او من اساتذة المدارس لانهم قاموا بهِ احسن قيام . ويسرني ايضاً انكم اعددتم المعدات اللازمة لتعليم الزراعة نظريًّا وعمليًّا لاني واثق انهُ لا يمكن الحصول على خير النتائج من اجتهادفلاَّحينا ومقدرتهم ما لم يتعلموا اصول هذه الصناعة "

مؤتمر تاريخ الاديان العام

يعقد هذا المؤتمر اجتماعهُ الثالث في اكسفرد بين ١٥ و ١٨ من شهر سبتمبر برئاسة الاستاذ تيلر والسر الفرد كومن ليل والاستاذ برسي غاردنر وسيخطب فيهِ الدكتور اڤانس عن اديان الكريتيين والمسيو فوريه عن عبادة الشمس والذبائح البشرية عند اليونان ومس ماري اون عن الاعتقاد بالمسيح عند هنود اميركا والاستاذ سايس عن تأثير الديانة البابلية في اسيا الصغرى وسورية والمستر سكيت عن ديانة الملقيين والدكتور بدج عن وجود بعض العناصر الآتية من قلب افريقية في ديانة المصريين . ويجوز التكلم بالانكليزية والفرنسوية والالمانية والايطالية

مقدار الراديوم

عند العلماء الآن لا اكثر من قمحتين من الراديوم فعند مدام كوري ١٥ مليغراماً وعند الاستاذ بورداس ١٠ مليغرامات وعند المسيو بكرل عشرة ايضاً وعند السر وليم رمسي ٢٠ مليغراماً وعند السر وليم كروكس ٢٠ وعند الاستاذ دارسنڤال ٣٠ وعند اديصن ٢٠ وعند غيرهم من الاساتذة ٢٠ مليغراماً والجملة ١٣٥ مليغراماً واكثرها راديوم صرف او املاح نقية من املاحه . وبين ايدي الناس مقادير اخرى من مركَّبات الراديوم غير نقية ولكن المرجح ان ما فيها كلها من عنصر الراديوم لا يساوي ما في المقادير التي عند العلماء . ويجب ان يضاف الى ذلك ٣ غرامات من الراديوم استخرجها الاستاذان اكسنر وفين حديثاً وهي تساوي ١٦٠٠ جنيه وسيستعير السر وليم رمسي غراماً منها لكي يبحث عن المواد التي تشع من الراديوم

فهرس الجزء الثامن من المجلد الثالث والثلاثين

الفصل السادس عشر

قصة مس مكدن

السر هنري مكدن علم لا يجهلهُ احد . ومن يجهل يخت مكدن ورفاص مكدن وفولاذ مكدن وهو صاحب المعامل الكبيرة لسبك الحديد وبناء البوارج ومخترع طريقة عمل الفولاذ وقد أُخبرت عن ثقة ان في معاملهِ لااقلّ من خمسة عشر الف عامل فهو واسع الثروة عريض الجاه ولكنهُ لا يشبع والانكليز يعبدون الالقاب كما نعبدها نحن المصريين . وتوفيت لادي مكدن ام صديقتنا منذ عشر سنوات وتزوج ابوها في اسرة من اسر الامراء واسم حميهِ الجديد لورد مورلي وهو من اقدم الاسر النرمندية التي جاءت مع وليم الظافر الى البلاد الانكليزية لكنهُ عائش على اسمهِ لانهُ بدّد ثروتهُ . وابنتهُ لادي ايثل التي تزوج بها السر هنري كان عمرها اكثر من اربعين سنة لما تزوج بها وقد بلغت هذا السن من غير ان تجد لها خطيباً لفقر ابيها فلما تزوجت جعلت تساعد اباها بمال زوجها ولها اخ اكبر منها بنحو خمس سنوات وهو الآن في الخامسة والخمسين من عمرهِ ولم يزل عزباً وتوفي ابوهُ منذ سنتين واورثهُ لقبهُ وقصرهُ والديون التي عليهِ ولكنهُ اورثهُ اسماً طيباً وعلماً واسعاً وهو من حزب الوزارة المتصدرة الآن وقد انتظم فيها لما شكلت

ومضى عشر سنوات ولم ترزق لادي مكدن ولداً وليس لزوجها اولاد من زوجتهِ الاولى غير صديقتنا مس مكدن فاهتمت لادي مكدن بان تزوج ابنة زوجها لاخيها لتنتقل ثروة زوجها الى اهلها

ولورد مورلي انيس المخضر ولكنهُ قبيح المنظر فجعل يتردّد على بيت اختهِ ويجالس مس مكدن ويتودّد اليها ودرى ابوها بذلك فلم يستنكف منهُ لاسيما وان لورد مورلي ذكر امامهُ غير مرة ان الحكومة قد تمنحهُ لقب لورد جزاء الخدمة التي خدمها اياها بانشاء البارجتين اللتين بناهما لها في العام الماضي واعترافاً بفضلهِ في انشاء مدرسة الصنائع في بلدهِ

واكثر لورد مورلي التردد على بيت السر هنري وكانت لادي مكدن تتغيب حتى تضطر مس مكدن الى مقابلتهِ ومسايرتهِ ولكن لم يخطر ببالها قط ان رجلاً جاز الخمسين من العمر يفتكر بالاقتران بفتاة لم تبلغ العشرين . ومضت الايام وهو يزور بيت السر هنري في المدينة وخارجها وكثيراً ما كان يركب مع مس مكدن الاوتوموبيل او يخرج معها الى النزهة راكباً فرساً الى جانب مركبتها او يخرج الاثنان راكبين فرسين وهي تنظر اليهِ كما تنظر الى

ابيها لانهُ كان من سنهِ تماماً ولم يخامر ذهنها اقل ظن بما يقصده. وكان هو حذوراً يخشى ان يجاهر بما في ضميرهِ فتنفر منهُ و يعود بالفشل ولعل كثيرين من الرجال مثلهُ

قالت السيدة نزهة ذلك ضاحكة

فقلت اذا بلغوا سنهُ وحملهم الطيش على حب فتاة لا يبلغ عمرها نصف عمرهم

فقالت وما اكثر هؤلاء في هذه الايام ولكن ماعلينا ولنعد الى القصة

واتفق ذات يوم ان خرجت مس مكدن الى النزهة باوتوموبيلها ولم يكن معها غير السائق وابعدت عن ضواحي لندن في غابة غيضاء كانت ترغب في التردد عليها واذا بآلة المركبة وقفت وامتنعت عن السير فنزل السائق وجعل يعالجها بما عندهُ من الادوات وغابت الشمس واظلم الليل وهو يحسب في كل لحظة انهُ نجح في اصلاحها ثم يديرها فلا تدور الى ان عيل صبر مس مكدن وعزمت على الرجوع ماشية ومرّت الساعة الاخيرة من غير ان تمر مركبة في ذلك الطريق و بينما هي واقفة تفكر في اقرب محطة او قرية تصل اليها اذا باوتوموبيل جاء نحوها مسرعاً ووقف امامها ونزل اثنان منهُ واحتملاها ووضعاها فيهِ واطلقا لهُ العنان فسار يسابق البرق ولم تغب عن رشدها مع شدة ما اعتراها ولكنها حُصرت اولاً عن النطق لشدة دهشتها

وكان في الاوتوموبيل رجلان فقط فنظرت الى الرجل الجالس الى جانبها مغضبة وقالت لهُ ما هذا العمل وما هذه الشهامة أفي انكلترا رجال يخطفون السيدات من الطريق

فتبسم وقال لها ستغيرين رأيك فينا يامس مكدن

وجعل الاوتوموبيل يدور بهم في طرق متعرجه وكان الظلام قد حلك فلم تعد ترى شيئاً ثم دخلوا باباً في زاوية حديقة وساروا فيها الى ان وصلوا الى قصر لا انوار فيهِ فنزل الرجلان من المركبة وطلبا من مس مكدن ان تنزل فابت وطلبت منهما والغيظ ملء عينيها ان يرداها الى بيت ابيها حالاً وجعلت تلوم نفسها لانها خرجت من غير سلاح وقالت انهُ لو كان مسدسها معها لطيرت دماغيهما. وخطر ببالها حينئذٍ ان هذه المكيدة عليها يقصد بها قتلها لتذهب ثروة ابيها الى ابن عمها وكان شاباً خليعاً وليس لابيها وارث غيرهُ بعدها وكان حاقداً على ابيها لانهُ لا يهيل الاموال عليهِ من غير حساب وقد طلب منها ان تقترن بهِ فابت فاضمر لها الشر وتهددها غير مرة فاسقط في يدها ووقفت والعناد ملء عينيها والتفتت اليهما وقالت ألا تعلمان ان سائق اوتوموبيلي يكون قد وصل الى البيت واخبر رجال البوليس فيقتفون اثركم ولا بدَّ ان يلحقوا بكم حالاً فارجعوا وانا اعدكم انني انزل امام بيتنا ولا اخبر عنكم

فضحك واحد منهما وقال ايخطر ببالك يا مس مكدن اننا نفعل هذا الفعل من غير ان ندبر امر سائق مركبتك فان كان قد عاد الى البيت فيكون قد عاد ماشياً ولا يصل الى اقرب محطة قبل ساعتين فانزلي واستريحي واكدي اننا نكون في خدمتك ولا ينالك منا اقل اذى ولا نطلب منك الاّ ان تسلي معنا بتغيير اسمك وسندعوك من الآن فصاعداً مس برون ثم نادى خادمةً وقال لها تعالي يالوسي وخذي مس برون الى غرفتها واهتمي بامرها

فحضرت عجوز طويلة القامة بدينة الجسم جاحظة العينين خنساء الانف قصيرة اصابع اليدين تمشي الهرولاء ودنت من مس مكدن وحاولت ان تقبل وجنتيها فدفعتها هذه عنها اولاً ثم خطر لها خاطر فندمت على ما فعلت ومدت يدها اليها ونزلت من المركبة وسارت معها

اما سائق اوتوموبيل مس مكدن فانتظر نصف ساعة ثم اخذ يمشي راجعاً الى اقرب محطة فوصلها نحو الساعة الحادية عشرة ليلاً وطلب السر هنري مكدن بالتلفون واخبره بواقعة الحال وكان السر هنري قد ذهب في المساء الى مؤتمر الحديد والفولاذ لسماع خطبة من احد العلماء الفرنسويين وللمذاكرة في موضوع ذلك المجمع وانفضّ الاجتماع الساعة العاشرة فعاد الى بيتهِ ولم يدعُ احداً من اصدقائهِ الى العشاء معهُ على خلاف عادتهِ لان افكارهُ كانت مضطربة وهو لا يعلم سبب اضطرابها ودخل البيت فوجد لادي مكدن في انتظارهِ وهي منحرفة الصحة مشغولة البال ايضاً واخبرتهُ ان مس مكدن خرجت بالاوتوموبيل الازرق الساعة السادسة ولم تعد ولا ارسلت خبراً عن سبب تأخرها . فانتظراها نصف ساعة وقاما للعشاء وقبل ان يتما عشاءهما دخل خادم وقال ان سائق الاوتوموبيل الازرق يطلب الكلام مع السر هنري فاسرع السر هنري الى التلفون وسمع السائق يقص عليهِ ما جرى لمس مكدن فاسبى الضياء في عينيهِ ظلاماً واخبر لادي مكدن بخلاصة الخبر وادار التلفون الى دائرة البوليس السري المعروفة بسكتلنديارد ونادى رئيس البوليس واخبرهُ بما كان فقال لهُ الرئيس انتظرني فاكون عندك بعد ربع ساعة وللحال ركب اوتوموبيلاً واسرع الى بيت السر هنري ومعهُ ثلاثة من رجالهِ ودخل غرفة مس مكدن وقاعتها التي تجلس فيها وفتش لعلهُ يجد كتاباً منها لابيها فلم يجد شيئاً ثم جلس مع السر هنري على انفراد وسألهُ عما يظنهُ من امر الذين خطفوا مس مكدن فقال انهُ لا يظن شيئاً ولم يخطر ذلك على بالهِ قط . فسألهُ عن ابن اخيهِ وآخر مرة رآهُ فيها وآخر كلام تكلمهُ معهُ ثم قام الى التليفون وكلم السائق وسألهُ بضع مسائل وقام برجالهِ وركب الاوتوموبيل واسرع الى بيت المستر وليم مكدن ابن اخي السر هنري وسأل عنهُ فقيل لهُ انهُ دخل غرفتهُ منذ نصف ساعة لينام فاسقط في يدهِ وكاد يرجع ولكن خطر لهُ خاطر

آخر فنزل من الاوتوموبيل وطلب من الخادم ان يريهُ الغرفة التي ينام فيها المستر مكدن فادخلهُ اليها فالتفت واذا الرجل نائم حقيقة في سريرهِ فقال في نفسهِ يستحيل ان يكون لهُ مشاركة في اختطاف مس مكدن وهو نائم مطمئن البال وقبل ان يزايل هذا الخاطر ذهنهُ عاد الى الاوتوموبيل واخذ منهُ قنديلاً من الاسيتيلين ساطع النور جدًّا ولهُ زجاجة حمراء وصعد بهِ الى الغرفة التي فيها المستر مكدن واغلق الباب ولم يجسر الخادم ان يمنعهُ عن ذلك لانهُ عرفهُ من هو والقى ذلك النور الاحمر الساطع على وجهِ المستر مكدن فجعل هذا يحرّك رأسهُ متململاً كمن يحاول الاستيقاظ من سبات عميق ولكنهُ لم يفتح عينيهِ ثم صار يتنفس تنفساً عميقاً فناداهُ رئيس البوليس باسمهِ وجرت بينهما المذاكرة التالية

رئيس البوليس — اسمع يا مستر مكدن انت نائم فلا تستيقظ

المستر مكدن — نعم انا نائم نائم

رئيس البوليس — اين رأيت مس مكدن ابنة عمك آخر مرةٍ

— في بيت ابيها

— ماذا قال لك داڤس ورفيقهُ عنها

— داڤس ورفيقهُ داڤس ورفيقهُ نعم قالا انهما يخطفانها ويخفيانها و و و

— ماذا قالا بعد ذلك

— لا اعلم ولكنهما يقنعان اباها انها انتحرت القت نفسها في البحر لكي لا تقترن بلورد مورلي فاصير انا الوارث الوحيد لعمي

— وكم تعطيهما

— لم اعدهما بشيء لاني لم اصدق كلامهما

— الى اين يذهبان بها حينما يخطفانها

— لا اعلم ولكني اظن انهما يذهبان الى البيت الاخضر في غابة سلي

— البيت الاخضر هل ذهبت انت الى هناك

— نعم ذهبت مرةً

— هل يطلقان الكلب ليلاً او يبقى مقيداً

— لا اعلم

— نمْ الآن واسترح ولا تفكر بهذا الموضوع ابداً

فانبسطت عضلات وجههِ بعد ان كانت مقبوضة وتنفس تنفساً طويلاً عميقاً ثم ادار وجههُ

وخرج رئيس البوليس برجالهِ وركبوا الاوتوموبيل واخذوا السر هنري معهم وساروا الى المحطة التي فيها السائق فاستفهموا منهُ ثانية فقال لهم انكم ترون اوتوموبيلنا في الطريق وهناك طريقان الواحدة تذهب يميناً والاخرى يساراً اما الخطفة فساروا في الطريق اليسرى الى الجهة الغربية من البلاد · وكان كاذباً بقولهِ لان الخاطفين سارا الى الجهة الشرقية حيث البيت الاخضر وكانوا يعلمون موقعهُ جيداً وخطر لرئيس البوليس ان ينوّمهُ حينئذٍ ويكتشف منهُ حقيقة الامر ولكنهُ خاف ان تفوتهم الفرصة فتظاهر كأنهُ صدّق قولهُ وامرهُ بالبقاء هناك الى ان يعودوا اليهِ ثم سار برجالهِ والسر هنري معهُ فوصلوا الى البيت الاخضر الساعة الثالثة بعد نصف الليل وكان باب الحديقة الخارجي مقفلاً فلم يتعذر عليهم فتحهُ وساروا الهوينا الى ان دنوا من الباب الداخلي فوثب عليهم كلب كبير كأنهُ الاسد ولم يكد يدنو من المركبة حتى القى عليهِ رئيس البوليس رداءً كبيراً غطاهُ بهِ وصبَّ آخر قليلاً من البنج (الكلوروفورم) على منديل وجلس اثنان عليهِ وامسكا براسهِ وادنى الثالث المنديل من انفهِ ولم يكن الاَّ عشر دقائق حتى بنجوهُ واكثروا لهُ من البنج حتى امنوا شرَّهُ وعالجوا الباب حتى فتحوهُ ودخلوا ومصباح الاسيتيلين معهم ولم يكن الاَّ قليل حتى اهتدوا الى غرفة دافس ورفيقهِ فعالجوا اولاً باب غرفة دافس ولم يكادوا يفتحونهُ حتى نهض دافس ومدَّ يدهُ ليتناول مسدسهُ ولكن رئيس البوليس وضع مسدسهُ في وجههِ باسرع من البرق وقال لهُ ارفع يديك فوق رأسك والاَّ اطرت دماغك فرفع يديهِ وهو يشتم ويلعن لا سيما وان نور الاسيتيلين الساطع كان ملقى على عينيهِ فبهرهُ حتى لم يعد يرى احداً وتقدم اثنان ووضعا القيد في يديهِ وبقي واحد واقفاً امامهُ والمسدس في يدهِ لكي يمنعهُ عن الصياح وذهب الثلاثة الباقون وفتحوا غرفة رفيقهِ وقيدوهُ مثلهُ وسألوهما عن غرفة مس مكدن فانكرا انها هناك فقالوا لهما من معكم في البيت · فقالا ليس معنا الاَّ خادمة واحدة وهي مدبرة البيت وتنام في غرفة عند السطح · وكانت قد سمعت اصواتاً في البيت فاوجست شرّاً ونهضت من سريرها ولبست ثيابها ونزلت فدنا رئيس البوليس منها والمصباح في يدهِ وقد القى نورهُ على وجهها وسألها عن اسمها فجعلت تتلعثم في الكلام كمن لا يزال النعاس رائناً على جفنيهِ فمدَّ يدهُ واختطف شعرها عن رأسها واذا بهِ لمة عارية وهي رجل لا امرأة · فدهش من جرأتهم وقال نعم وماذا تريدون فاجابهُ الرئيس ان دافس ورفيقهُ مقيدان وهما موقفان بامر الملك وانت موقف ايضاً فدلّنا على الغرفة التي فيها مس مكدن · فلعنهم ولعنها وسار امامهم الى غرفتها ولما دنوا منها سمعوها تقرع الباب من الداخل وتنادي وتقول انا هنا انا هنا

ففتحوا الباب ولما رأت اباها وقعت بين يديهِ وأُغمي عليها فاحتملوها الى الاوتوموبيل ليعودوا بها
وفي تلك اللحظة وصل اوتوموبيل آخر وفيهِ ثلاثة من الشرطة فقيَّدوا داقس ورفيقهُ
ووضعوهما فيهِ وساروا بهم الى السجن لينالوا عقابهم

وجرى ذلك كلهُ بين الساعة التاسعة ليلاً والخامسة صباحاً فلم تدرِ بهِ صحف الاخبار
وظهرت صحف الصباح وليس فيها شيء سوى ان السر هنري كلم دائرة البوليس السري عند
نصف الليل فخرج رئيس البوليس اليهِ وبقال ان اللصوص هجموا على بيتهِ وهو غائب
ودخلوا غرفة لادي مكدن وسرقوا منها حلّي تساوي اكثر من مئة الف جنيه وبينها عقد
اللؤلوء الذي اشترتهُ حديثاً بخمسة وعشرين الف جنيه . والخبر مختلق من اولهِ الى آخرهِ
ولكن السر هنري وزوجتهُ وابنتهُ لم يشاؤُوا ان يكذبوهُ . ومهارة البوليس السري عندهم
مثل مهارتهِ عندنا اليس الامر كذلك

قالت السيدة نزهة ذلك وهي ملتفتة اليَّ وكنت انا مشغولاً بسماع القصَّة وتصوُّر مس
مكدن في تلك الغرفة المظلمة بعد ان وقعت في ايدي ذينك الشيطانين افكّر بها وبكلام
السيدة نزهة وحسن القائها وفصاحة لسانها فلما بادرتني بهذا السؤَال لم يكن لي من الوقت ما
يكفي لتوجيه افكاري منها الى سؤَالها فاجبتها نعم لا ماذا قلتِ . فضحكت وقالت الظاهر
ان قصة مس مكدن اشغلتك عن كل شيء

فقلت لها ومن لا تشغلهُ هذه القصة وانتِ الشارحة لها

فقالت اني لم اشرح بل اختصرت غاية الاختصار وسأتم لكم الحديث في فرصة أُخرى

قالت ذلك ونهضت وقالت اعذروني دقيقة . وقد سكرتُ من حديثها لانني لم اسمعها
قبلاً تتكلَّم بمثل هذه الطلاقة نعم سمعت مجادلاتها عن الفيوم وبحيرة قارون وسمعت لومها
للحكومة لانها متهاونة بامر الاشقياء ولكنني لم اسمعها قبلاً تروي لنا قصَّة طويلة مثل هذه

ثم عادت بعد قليل فنهضتُ اجلالاً لها فاحمرَّت وجنتاها وقالت العفو . وادنيت منها
كرسيًّا كبيرًا منخفضًا ممَّا تستريح السيدات بالجلوس عليهِ فشكرتني وجلست وقال لها اخواها
اننا في انتظار بقية القصة

فقالت ظننت اننا اجَّلناها الى فرصة اخرى

ثم التفتت اليَّ وقالت الا تظن انني اتعبتكم بما يكفي الآن ونؤَجل التتمة الى زيارة اخرى

فقلت الامر لكِ يا مولاتي ولكنني لو خيِّرتُ لاخترت ان اسمع تتمتها الآن اذا كان
ذلك لا يتعبكِ

فقالت حتى تعفى من الزيارة الثانية

فقلت واذا كانت تتمتها تتوقف على تكرير زيارتي فانا ارضى ان تخبرينا في كل زيارة كلمة واحدة على شرط ان لا تسأموا من تكرار الزيارات

فضحكت وقالت اما السآمة فانت تعلم ان لا محل لها في بيتنا اذا زارنا اصدقاؤنا واما القصة فاذا كان لا بدَّ من اتمامها الان فاسمعوا

عادت مس مكدن او مس برون الى بيت ابيها مكسورة الجناح خائفة ان تشيع عنها اشاعات كاذبة وجعلت تتتبع الجرائد اليومية جرائد الصباح وجرائد المساء فلم ترَ اقل اشارة اليها وكانت تخاف ان يحدث السائق احد مخبري الجرائد بامرها ولكن رجال الحفظ قبضوا عليهِ بحجة التواطىء مع داقس ورفيقهِ والقوهُ في السجن

واما ابن عمها فلم يظهر انهُ علم شيئاً مما جرى لها والظاهر انهُ لم يحفظ شيئاً مما قالهُ لرئيس البوليس السري لانهُ لم يفه لاحد بكلمة في هذا الموضوع بل بقي على جاري عادتهِ يلح بطلب النقود من عمهِ فاذا حصل على شيء منها ارتفى بهِ وغاب اياماً لا يسمع لهُ صوت

و بقي لورد مورلي يتردَّد على بيت ابيها حسب عادتهِ وصارت تسمع زوجة ابيها تشير اليهِ وكانت تنتقل من التلميح الى التصريح فتصفهُ بالعلم والعقل وفكاهة الحديث وشدَّة انعطافهِ على ذويهِ وتقول هنيئاً للسيدة التي تقترن بهِ لانهُ يعبدها فتعيش معهُ ملكة

ورأت ان اباها موافق لزوجتهِ على ذلك وكانت تحبهُ وتحترمهُ وتفتخر بسعة عقلهِ وعلو مقامهِ ولكنها لم تكن تصدق انهُ يضحي سعادتها لامر زري مثل التقرُّب من عيال الاشراف او الحصول على لقب مثل القابهم لا سيما وانها ابنتهُ الوحيدة فتألمت من جراء ذلك وشعرت كأن خنجراً خرق فؤادها وقطع اصول انفتها وعزة نفسها . وكبر عليها ان تكلم اباها في هذا الموضوع ووقع نظرها ذات يوم على اعلان في جريدة يومية من سيدة تطلب فيهِ فتاة انكليزية تقرأ لها باللغة الفرنسوية لضعف عينيها فكتبت اليها وتمَّ الاتفاق بينهما كتابة ولبست ابسط ما عندها من الثياب ووضعت بعض لوازمها في كيس كبير ونزلت بهِ ونادت مركبة وسارت وكان من عادتها ان تخرج بثياب في ذلك الكيس وتذهب الى حي المساكين في مدينة لندن توزعها عليهم فظن الخدم انها ذاهبة لذلك على جاري عادتها اما هي فسارت بالمركبة الى قرب الحي الذي فيهِ بيت السيدة التي اعلنت انها محتاجة الى فتاة تقرأ لها وصرفتها هناك وسارت ماشية والكيس في يدها الى ان وصلت الى بيت السيدة فقرعت الباب ويداها ترتجفان فأتى خادم وفتح وقال لها ماذا تريدين فقالت اخبر مدام ده فور

ان مس برون حضرت حسب طلبها فاطرق الخادم هنيهة ثم اشار اليها لتدخل ومضى واخبر سيدتهُ وعاد بعد هنيهة وسار بها واصعدها الى غرفة كبيرة كالغرف التي في بيت ابيها ولكن الستائر كانت مسدولة على ابوابها وكواها فلم تكد ترى فيها شيئًا فوقفت هنيهة ريثما اتسعت حدقتاها فابصرتْ في صدر الغرفة سيدة متكئة على كرسي كبير فرفعت السيدة رأسها اليها وقالت تعالي اهذا انت يا مس برون تعالي حتى اراكِ . افتح النور يا داڤي افتح النور . ادني مني اقتربي اقتربي ولا تخافي . طيب طيب . ثم قرعت جرسًا كهربائيًا الى جانبها فاتت امرأة قصيرة القامة نحيفة الجسم كأنها جلد بسط على عظم فقالت لها مدام ده فور خذي مس برون الى غرفتها لتضع امتعتها ثم عودي بها الى هنا

وما جرى لها في بيت مدام ده فور يطول شرحهُ وقد اقامت هناك شهرين لقيت فيهما الامرين لا من مدام ده فور نفسها لان تلك السيدة كانت من فضليات النساء وارقهنَّ قلبًا على حدَّة طبعها ولكن من خدَمها وقلة ادبهم ومن ابن مدام ده فور وهو شاب متهوّر احبَّ مس مكدن وظنها من البنات المستضعفات ولما كاشفها بحبهِ ورأى منها الانفة والشمم ثاب اليهِ عقلهُ وجعل يغير سلوكهُ لاجلها فصار يقيم اكثر اوقاتهِ في البيت وكان لا يدخلهُ الَّا في اواخر الليل لينام فيهِ ولكن درت امهُ بحبهِ لها فاضطهدتها اضطهادًا مرًّا لانها كانت تجهل اصلها حتى اضطرَّت ان تعلن في الجرائد انها تود ان تأتي الى القطر المصري رفيقة مع سيدة واطَّلعتُ على الاعلان وكاتبتها فتركت مدام ده فور برضاها ولم تدَع ابنها يعلم بذلك وخرجت من بيتها سرًّا وجاءت معي الى هنا والسلام عليكم

فعجبنا من هذه القصة وشكرت السيدة نزهة وقلت لا فضَّ فوكِ . وقال لها الدكتور يوسف الم يظهر لك من كلامها ان ابن مدام ده فور كان يحبها حقيقة وانها هي كانت تحبهُ ايضًا

فقالت ياسلام اوَ تريد ان تعرّفني ومتى كان البنات يبحن باسرارهنَّ واسرار اخواتهنَّ

فقال فهمنا ياستي فلا تؤاخذينا

فقالت لا تقل فهمنا ولا ما فهمنا فاني لم اقل شيئًا ولا يحق لي ان اقول شيئًا في هذا الموضوع لان مس مكدن لم تبح لي باسرار قلبها وكل استنتاج قد يكون في محلهِ وقد يكون بعيدًا من الصواب بعد المشرق عن المغرب وعلى كل حال هي راجعة الآن مع ابيها وقد طلبت منها ان تكتب قصتها وما لقيت في بيت مدام ده فور لانها مؤثرة جدًّا وقد بقيت ثلاث ليالي تقصها عليَّ ولو كتبتها لملأت مجلدًا . وافادت في تهذيب اخلاق الشبان وفي الاهتمام باختيار الخدم لئلاَّ يفسدوا اخلاق الاولاد

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

يعقوب صرّوف دكتور في الفلسفة
وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلّد الثالث والثلاثون

الجزء التاسع

قيمة الاشتراك في السنة ليرة انكليزية تدفع سلفاً

سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٨

AL-MUKTATAF,

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY

Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

VOL. XXXIII

No. 9 September 1908.

Al-Muktataf Printing Office,

Cairo, Egypt.

المقتطف

الجزء التاسع من المجلد الثالث والثلاثين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٥ شعبان سنة ١٣٢٦

البلاد العثمانية

ماضيها ومستقبلها

ماضي البلاد العثمانية ومستقبلها موضوعان جليلان الاول منهما لا يوفيهِ المؤرخ حقهُ ولو اشتغل بهِ العمر كلهُ والّف فيهِ مئات المجلدات . والثاني تدخل فيهِ مئات من العوامل حتى يتعذَّر على الفيلسوف العمراني ان يحكم فيهِ حكماً باتًّا ولو احاط بما لا يحصى من المعلومات ولذلك لا نطمع ان نأتي في هذه العجالة الاَّ على نقطة من بحر ممَّا يمكن ان يكتب في هذين الموضوعين

***

تشمل البلاد العثمانية اعظم الممالك القديمة بابل واشور ومصر وفينيقية وممالك الحثيين واليهود والمكدونيين والعرب والارمن وممالك اليونان القديمة في بر الاناضول ومدنهم المشهورة فريجية وليسية و بثينية وليدية وبمفيلية وغلاطية وترواده وكبدوكية الخ وقد دخلت هذه الممالك كلها في حوزة الاسكندر المكدوني ولكنها انقسمت بعد موتهِ بين قوَّادهِ وصارت ممالك متباينة متنافسة . ثم دخلت في حوزة الرومان وطال تسلطهم عليها ولكن لا كما طال تسلُّط آل عثمان ولا كان عصرهم عصر علم وعرفان مثل عصرنا الحاضر مع انهُ كان من ارقى عصور التاريخ الغابر . وقبل ان استولى عليها آل عثمان استولى عليها العرب من بني امية و بني العباس وغيرهم من الدول التي نشأت في عهدهم او جاءت بعدهم

وليس في ما لدينا من كتب التاريخ تفصيل محقق يُعرَف منهُ ما كانت عليهِ هذه الممالك لما استولى عليها آل عثمان من حيث عدد سكانها ومعايش اهلها وحالهم من الحضارة ولكن

التواريخ والآثار القديمة تدل دلالة قاطعة على انها كانت قبل عهد العرب اكثر سكانًا واوفر عمرانًا مما هي عليهِ الآن حتى لا يكاد يصدَّق ان سكانها الحاليين هم نسل الذين بنوا هياكل بابل واشور ولقصر وكرنك وبعلبك وجرش وتدمر

فالقطر المصري وهو من اخصبها بقعةً واقلها تعرُّضًا للجاعات كان عدد سكانهِ نحو عشرة ملايين من النفوس في زمن الفتح فقلوا رويدًا رويدًا حتى بلغوا في زمن الحملة الفرنسوية نحو مليونين وقدَّرهم فولنه الفيلسوف الرحالة الفرنسوي بنحو مليونين وربع مليون ولولا العناية الخصوصية التي تمتع بها هذا القطر منذ ربع قرن لما زاد عدد سكانهِ الآن على سبعة ملايين او ثمانية

وسورية كانت مملكة عظيمة بل كانت تضمُّ ممالك عظيمة تناظر مصر وتحاربها ونشأ من ابنائها القرطاجنيون الذين نافسوا الرومانيين ودوَّخوا اسبانيا وايطاليا

ومملكتا بابل واشور اعظم ممالك العهد القديم واكثرها سكانًا وارقاها عمرانًا اضف الى ذلك ممالك اليمن والحجاز والانباط واليهود والارمن وممالك آسيا الصغرى والروملي

والمتواتر ان سكان الممالك العثمانية كانوا مئة مليون نفس فقلوا رويدًا رويدًا الى ان بلغوا ثمانية عشر مليونًا فقط في اوائل القرن التاسع عشر ثمانية ملايين منهم في اوربا وعشرة في آسيا اي نحو سدس عدد السكان الاصليين

والظاهر ان هذا النقص الفاحش لم يحلَّ بالبلاد من عهد قديم فقد اقام احد الانكليز سنين كثيرة في البلاد العثمانية في اواسط القرن الثامن عشر وبحث في شؤونها السياسيَّة والمعاشية بحثًا مدققًا والَّف كتابًا في ذلك طبع سنة ١٧٩٨ اي منذ مئة وعشر سنوات وعقد فيهِ فصلاً مسهبًا للاسباب التي قلَّلت عدد السكان قال فيهِ ما خلاصتهُ

" ان اول هذه الاسباب الطاعون الجارف الذي لا تخلو البلاد منهُ . وثانيها الامراض التي تنتشر بعدهُ . وثالثها سائر الاوبئة وافدة كانت او غير وافدة . ورابعها الجاعات . وخامسها الامراض التي تعقب الجاعات وتفتك بالسكان

" اما الطاعون فينتاب بلاد الدولة في آسيا مرة كل عشر سنوات ويموت بهِ ثمن السكان الى عشرهم وقد يموت بهِ ربعهم . وآخر طاعون وصل البصرة مات بهِ تسعة اعشار سكانها بعد ان فارقها ٩٦ سنة

" وينتشر الطاعون في آسيا من مصر ثم يعود الى مصر من القسطنطينيَّة وقد مات بهِ في القاهرة في يوم واحد سنة ١٧٣٦ عشرة آلاف نفس

" وقدَّر الدكتور رسل عدد سكان حلب سنة ١٧٧٠ مئتين وثلاثين الفاً فنقص عددهم في عشرين سنة مئة وثمانين الفاً وصاروا خمسين الفاً لا غير . وكان حول حلب منذ خمسين سنة اربعون قرية كبيرة عامرة بالسكان ولم يبقَ فيها الآن ساكن . وينتاب الطاعون حلب مرة كل عشر سنوات او اثنتي عشرة سنة

" وكان عدد سكان ديار بكر ٤٠٠ الف نفس سنة ١٧٥٦ فلم يبقَ منهم الآن سوى ٥٠ الفاً . وكان في بغداد ١٣٠ الفاً فلم يبقَ منهم سوى ٢٠ الفاً فان الطاعون الجارف الذي وقع فيها سنة ١٧٧٣ امات ثلثي سكانها

" وكان في البصرة مئة الف نفس منذ عشرين سنة فلم يبقَ فيها الآن سوى ثمانية آلاف نفس

" وفي القسطنطينية شيوخ يتذكرون انهُ كان في الطريق بينها وبين انقره خمسون قرية عامرة بالسكان وليس فيها الآن ساكن . وكان لاحد اصدقائي الانكليز تجارة واسعة في هذه الجهات وفي دفاترهِ ودفاتر ابيهِ اسم خمسين بلداً كان يتعامل مع سكانها ولم يبقَ فيها الآن ساكن " . انتهى ملخصاً

هذا قليل مما ذكرهُ هذا الكاتب منذ مئة وعشر سنوات وقد بحث عن مالية الدولة العلية حينئذٍ وجنديتها وبحريتها واساليب الادارة فيها مما لا نتعرَّض لهُ في هذه العجالة

والظاهر ان البلاد العثمانية بلغت اقصى درجات الضعف في اواسط القرن التاسع عشر ثم نهضت وبقيت ناهضة عشرين سنة او ثلاثين حتى بلغت بين سنة ١٨٦٠ و ١٨٨٠ مبلغاً كنا نُحسَد عليهِ ولا يزال قول المرحوم الخديوي السابق يرنُّ في آذاننا لما قابلناهُ اول مرة في سنة ١٨٨٠ فانهُ تمنَّى ان تصير مصر مثل سورية في مدارسها وجرائدها وحرية القلم واللسان فيها ونهوض اهلها في سبيل الارتقاء . كذا كانت سورية في ذلك العهد وما قبلهُ ففي سنة ١٨٧٠ وقف كاتب هذه السطور خطيباً في المدرسة الكلية الاميركية وموضوع خطبتهِ وسائل الارتقاء فذكر ما يجب على الحكومة وانحى عليها باللائمة وكان والي سورية حاضراً والمرحوم خليل افندي الخوري يترجم لهُ ما يتعذَّر عليهِ فهمهُ فهنأ الخطيب وصوَّب قولهُ وطلب صورة الخطبة منهُ

والثلاثون سنة الاخيرة ارتقت فيها ممالك الارض كلها اكثر مما ارتقت في كل العصور الغابرة الاَّ البلاد العثمانية فانها لم ترتقِ فيها الارتقاء الواجب او انحطت عما كانت عليهِ قبلها. ونحن واثقون الآن ان ذلك عصر مضى وانقضى ولن يعود وان في البلاد وسكانها كلَّ ما

يلزم للرقيّ وقد زال المانع الذي كان يحول دون انقائها وارتقائهم فلا يعقل انهم يبقون حيث هم ولا يغتنمون هذه الفرصة للتعويض عمّا فات ومجاراة الامم الراقية

البلاد كلها من ضفاف الدانيوب شمالاً الى حدود السودان جنوباً ومن تخوم بلاد الفرس شرقاً الى الادرياتيك وتونس غرباً اخصب بلدان المعمورة تربة واكثرها استعداداً للزراعة من حيث كثرة امطارها وغزارة مياهها واعتدال حرها وبردها وتجود فيها كل انواع الحبوب والاثمار وكل الحاصلات الزراعية كالحرير والصوف والقطن والكتان والزبوت والعطور وفيها كل انواع الاقاليم سهولها كالاقاليم الحارّة ونجودها كالاقاليم المعتدلة وجرودها كالاقاليم الباردة وفي كلٍّ منها ما في تلك الاقاليم من انواع الحيوان والنبات

وفيها كل لوازم الصناعة معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والزيبق والكروم والزرنيخ والمغنيس والانتيمون والسنباذج والحمر والفحم الحجري وزيت البترول . وفيها الحراج الواسعة للخشب والوقود والقوة المائية لتوليد الكهربائية وكل ما يلزم للحياكة والدباغة والصياغة والحدادة والوراقة . واهلها مشهورون بحذقهم في الصناعة ولا تزال مصنوعاتهم القديمة المعدنية والزجاجية والخزفية والحجرية مما يباهى بهِ في متاحف الدنيا وهذه المهارة قديمة من عهد الاشوريين والمصريين والفينيقيين واصولها موروثة في دم ابنائهم

وموقع البلاد التجاري من افضل المواقع في المسكونة لانها حلقة الاتصال بين الشرق والغرب والشمال والجنوب وقد تحوّلت عنها طريق التجارة بعد اختراع السفن البخارية ولكنها ستعود اليها بعد انتشار سكك الحديد فيها

فاذا اعطيت حقها من الحريَّة ووسائل الرقيّ فاقت بزراعتها وصناعتها وتجارتها ولا نرى مانعاً في طبيعة البلاد وطبيعة سكانها يمنعهم من ان يصيروا في مقدمة امم الارض

وسكانها اكثرهم من اقوام قديمة نمت قواهم الجسديَّة والعقلية حسب ناموس الارتقاء العام حتى بلغوا الدرجة العليا بين امم الارض فنشأ منهم العلماء والفلاسفة والمكتشفون والمخترعون واذا لم تمنع عنهم وسائل التعليم والتهذيب لم يقصروا عن غيرهم من ارقى الامم الراقية كما يظهر من مباراة ابنائهم لابناء الامم الاخرى اذا درسوا في مدرسة واحدة . أضف الى ذلك شدّة صبرهم وقلة اقبالهم على المسكرات وخلو اجسامهم من الادواء التي تنتج عن ادمانها

وعدد هؤلاء السكان الآن نحو ٢٥ مليوناً في الولايات غير الممتازة وستة عشر مليوناً في الولايات الممتازة والمجموع ٤١ مليوناً والولايات غير الممتازة تحتمل اكثر من مئة مليون

من النفوس فان مساحتها مليون و ١٥٦ الف ميل مربع اي خمسة اضعاف مساحة المانيا وفي المانيا الآن اكثر من ستين مليوناً فلا عجب اذا صار سكان البلاد العثمانية خاصةً غير ولاياتها الممتازة مئة مليون نفس

ولا بدَّ لهذا الارتقاء وهذا النمو من اربعة امور جوهرية تطالب الحكومة بها لانها من عملها الخاص الاول استتباب الامن العام . والثاني تحديد الاموال التي تطلب من الاهلين للحكومة حتى لا تؤخذ منهم بارة واحدة فوق ما يجب عليهم اداؤُهُ . والثالث اهتمام الحكومة بالمنافع العمومية التي يتعذَّر على الفرد القيام بها وحده ولا يحسن ان تسلَّم لشركات اجنبيَّة ولم تستعد البلاد حتى الآن لانشاء شركات لها كتنظيم شوارع المدن وانشاء سكك الحديد والمرافئ البحرية وبناء السدود في الانهر لاصلاح الري . والرابع الاهتمام بالصحة العمومية لتقليل الوفيات ومنع دخول الامراض الوافدة . اي ان تفعل الحكومة العثمانية في بلادها ما فعلهُ لورد كرومر ورجالهُ في القطر المصري وان قيل ان اعمال لورد كرومر رقّت هذا القطر ماديًّا ولم ترقِهِ ادبيًّا كما يزعم البعض قلنا اننا نحن العثمانيين لا نطلب من حكومتنا ان تهتم بترقية عقولنا وآدابنا لاننا اذا كنا عاجزين عن ترقيتها بانفسنا فلا يحق لنا ان نذكر بين امم الارض ولقد انشأنا المدارس تعلمنا وتهذبنا رغمًا عن استبداد الحكومة الماضية وبلغ شباننا اليابان شرقًا وكليفورنيا غربًا وكندا شمالاً والترنسفال جنوبًا في طلب الرزق واحراز المعالي . وكل ما يمكن للفرد او للجماعة القليلة ان تفعلهُ لا نطلب من حكومتنا ان تهتم بهِ بل نطلب منها ان تتركنا وشأننا فيهِ واما ما لا يستطيعهُ الفرد الآن كانشاء السكك الطويلة والسدود الكبيرة والمرافئ البحرية والاحتفاظ بالصحة العمومية فهو الذي نكلفها بهِ لا غير ولا نتركهُ لها لتفعلهُ وحدها بل نساعدها فيهِ جهدنا

والحكم البات في مستقبل البلاد العثمانيَّة والامة العثمانيَّة في علم الغيب ولكن الدلائل الحاضرة حتى كتابة هذه السطور تدلُّ كلها على ان المستقبل بهيج يردُّ اليها مجدها الذي تقلَّص منذ قرون . ولم تزُل عوامل التقهقر كلها من البلاد والمنتفعون من ضعف الامَّة العثمانية لا يرمون سلاحهم الّا اذا سُدَّت في وجوههم كل السبل التي يتجهون اليها فلا بد لمحبي وطنهم من المثابرة في سبيل هذا الجهاد الى ان تتلاشى كل عوامل التأخُّر ويندحر خصوم الارتقاء . وسنعود الى تفصيل بعض ما اجملنا في هذه العجالة

بقايا الوحوش المنقرضة

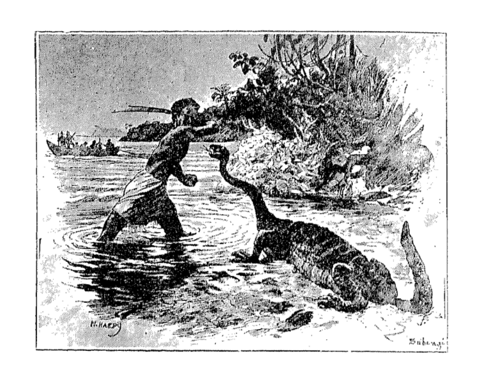
الدينوساورا

الذين بحثوا في طبقات الارض وجدوا فيها عظام حيوانات لا تعيش الآن على سطحها وبعضها كبير جدًّا كاكبر حيتان البحار. وقد عني علماء الآثار الارضية بجمع عظامها وسائر آثارها واستدلوا بالموجود على المفقود وركَّبوا هياكلها ونصبوها في متاحف الحيوانات عبرةً للناظرين . والذين زاروا معارض اوربا ومتاحف مدارسها رأوا كثيرًا منها

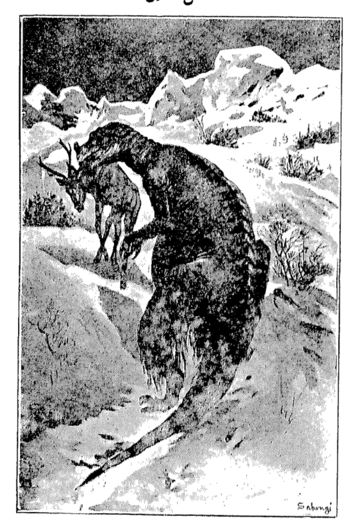
وكان المظنون ان تلك الحيوانات قد انقرضت تمامًا لانهُ لم يُعثَر عليها حيَّة في كل ما رادهُ الروَّاد من معالم الارض ومجاهلها ولكننا قرأنا منذ تسع سنوات رسالة لاحد ضباط الانكليز في مجلة العالم الانكليزية وصف فيها حيوانًا اصطادهُ البارون الفونس باريز النمسوي في جزيرة جاوى يشبه التنانين الباقية آثارها من العصور الغابرة وقد رسمهُ كما ترى في الشكل الاول وهو يشبهها شكلاً ولو قصَّر عنها جرمًا

قال ان اهالي جاوى يعرفون هذا الحيوان واسمهُ عندهم لِنجون وان البارون باريز كان سائرًا في قارب كبير من قوارب اهالي جاوى سنة ١٨٦٩ ومعهُ المستر مَّمن وهو مشهور بالصيد وبلغوا مصب نهر بتافيا عند الفجر وكانت الامواج تتعالى ضد المد واذا بالبحَّارة في اضطراب شديد وهم يقولون اللنجون اللنجون . قال البارون وامسك واحد منهم بيدي واشار الى الشاطىء الى مكان يبعد عنا نحو مئة وخمسين مترًا فالتفتُّ واذا بحيوان كبير مستلقٍ على الشاطىء فظننتهُ تمساحًا ورفعت بندقيتي لاطلقها عليهِ لكن اهتزاز القارب المستمر منعني من تسديدها. وازداد البحَّارة صراخًا قائلين اطلق النار اطلق النار فاطلقت البندقية عليهِ وكان الساحل طينًا مائعًا فجعل ذلك الوحش يرتطم فيهِ ويتقلب رأسًا على عقب والطين ينتثر حولهُ في كل جهة . وهلَّل البحارة وانتضى رئيسهم سيفًا ملقيًا وطرح نفسهُ في الماء وجعل يسبح الى الشاطىء ليقطع رأس الوحش

وجذَّف البحارة حتى دنونا من الشاطىء فامعنت النظر في الوحش جيدًا واذا هو بين الافعى والتمساح لهُ رأس الافعى وعنقها وبدن التمساح وقوائمهُ . ولما دنا الرئيس منهُ ابطل التمرُّغ في الوحل وجعل يحاول القبض عليهِ بفمهِ والرئيس يضربهُ بالسيف على رأسهِ وعنقهِ الى ان تمكن من قتله ثم جرَّهُ بذنبهِ واوصلهُ الى القارب فاصعدناهُ اليهِ فكاد يغرقهُ بثقلهِ



الشكل الاول



الشكل الثاني

وكان طولهُ نحو عشر اقدام ولحمهُ حيث جرحهُ السيف ابيض كلحم السمك وكانت الجراح فيهِ كثيرة وكاد السيف يقطع احدى قوائمهِ ومع ذلك كنت عازماً على حفظهِ ولكن لم ينتصف النهار حتى انتن وفاحت منهُ رائحة خبيثة لا تطاق فاضطررنا الى رميهِ . وقال لي المستر ميتمن اني سأرى حيوانات كثيرة من نوعهِ ولكنني لم ارَ شيئاً منها بعد ذلك ولا رأيت لها ذكراً في كتب الحيوان . انتهى

وبحثنا نحن في احدث كتب الحيوان فلم نرَ ذكراً لهذا الوحش ولا لما يشبههُ . وفي شهر يوليو الماضي رأينا في مجلة الستراند الانكليزيَّة مقالة للمسيو جورج دبوي الرحالة الفرنسوي وصف فيها حيواناً يشبه هذا الحيوان شكلاً ويكبرهُ جسماً رآهُ في سهول الاسكا في شمالي اميركا الشمالية ورآهُ معهُ اربعة من العدول وبينهم الاب لافنيو من المرسلين هناك وهو من فرنسوبي كندا

وكان المسيو دبوي قد لقي رجلاً اسمهُ بطلر من متمولي سان فرنسسكو اتى بلاد الاسكا ليبتاع حصَّة في مناجم الذهب فاخبرهُ انهُ شاهد فيها آثار حيوان من الحيوانات المنقرضة وذلك انهُ خرج لصيد الوعل مع بعض الرفاق واختبأُوا على رأس تلة تطل على وادٍ فيهِ ماءٌ يردهُ الوعل ورأوا ثلاثة اوعال تسير الهوينا نحو الماء وهي ترعى العشب في طريقها واذا بها قد وقفت بغتة وصرخت صرخة مزعجة لا تصرخها الاَّ في حالة الخطر الشديد فنزلوا الى البركة ليروا سبب رعبها واذا في الطين الذي حولها آثار وحش كبير كان نائماً عليهِ طولهُ ثلاثون قدماً وعرضهُ اثنا عشر قدماً وآثار اقدامهِ الاربع وهي كبيرة هائلة طول كل اثر منها خمس اقدم وعرضهُ قدمان ولها مخالب حادة طول المخلب منها قدم واثر ذنبهِ وهو طويل غليظ طولهُ عشر اقدام وعرضهُ قدم وثلث . واقتفوا آثارهُ ستة اميال في الوادي حتى وصلوا الى اخدود عميق فاختفت الآثار هناك

فقام المسيو دبوي في اليوم التالي مع الاب لافنيو والمستر بطلر والمستر ليمور وغيرهم وساروا الى المكان الذي شوهدت فيهِ آثار هذا الوحش وفتشوا عنهُ النهار كلهُ فلم يجدوهُ ولما اضناهم التعب ومالت الشمس الى المغيب جلسوا على قمة تلة واوقدوا ناراً وجعلوا يصطلون وغلوا الماء ونقعوا الشاي وقبل ان يشربوهُ سمعوا صوت دحرجة الحجارة وزئيراً يصمُّ الآذان فذعروا كلهم ونهضوا واذا هم بالوحش الذي كانوا يفتشون عنهُ وهو اسود ضخم الجثة وكان يمضغ شيئاً والدم يقطر من شدقيهِ وهو سائر على جانب الوادي والحجارة تتدحرج من طريقهِ وكان معهم خمسة من الهنود فانطرحوا على الارض والصقوا وجوههم بها وهم يرتجفون خوفاً وصرخ الاب

لافنيو الدينوساورس[1] دينوساورس الدائرة القطبيَّة

قال المسيو دبوي ووقف الوحش امامنا وهو ينظر الى الشمس وقد صارت كشعلة من نار قبلما توارت بالحجاب ومرَّت عشر دقائق ونحن وقوف في اماكننا لا نبدي ولا نعيد كأَننا أُخذنا بقوة سحرية . ثم ادار الوحش رأْسهُ وكأَنهُ لم يرَنا وانتصب على قدميهِ فعلا كلكلهُ عن الارض نحو ثماني عشرة قدماً وكان طولهُ من فيهِ الى طرف ذنبهِ نحو خمسين قدماً وجلدهُ كجلد الخنزير البري فيهِ هلب غليظ اسود الى الغبرة ثم جعل يمضغ ما في فيهِ وكنا نسمع صوت طحن العظام وزأَر زئيرًا مريعًا ووثب كالقنقر الى الوادي واختفى فيهِ

وذهبت انا وبطلر بعد يومين الى مدينة دوصن لكي نطلب من حاكمها خمسين رجلاً مسلحًا ليساعدونا على اصطياد هذا الوحش فضحك علينا الذين سمعوا قصتنا ولم يصدقوا كلمةً وبقينا هناك شهرًا هزءًا وسخرية

وفي غرة يناير هذه السنة جاءَني كتاب من الاب لافنيو يقول فيهِ انهُ رأَى هذا الوحش مرة اخرى هو وعشرة من رجالهِ الهنود وكان يحمل في شدقهِ وعلاً من وعول البلاد الشمالية كما ترى في الشكل الثاني ويسير بسرعة عشرة اميال في الساعة وكانت درجة الحرارة حينئذٍ ٤٥ تحت الصفر قال ولا شك انهُ الوحش الذي رأَيناهُ قبلاً سوية وقد اقتفيت آثارهُ مع الرئيس سنفش وولديهِ وهي مثل الآثار التي شاهدناها قبلاً لما كنا سوية وكان معنا ليمور وبطلر وقسناها ست مرات على الثلج فاذا قياسها مثل قياس تلك تماماً وبعد ان سرنا ميلين على هذه الصورة جعل الثلج يقع فعفا الآثار كلها

ويظهر لنا ان هؤُلاء الشهود عدول وان الحيوان المشار اليهِ لم ينقرض عن وجه البسيطة بل بقيت منهُ تنوعات في شمالي اميركا وفي بلاد جاوى الى الآن ويحتمل ان يكون هؤُلاء الشهود مخطئين في حكمهم كما اخطأَ كثيرون من الذين ادعوا انهم رأَوا حيَّة البحر الكبيرة ولكن هذا الاحتمال بعيد جدًّا والمرجح انهم مصيبون وقد رأَوا الحيوانات التي وصفوها

---

(١) الدينوساورس ومعناها الضب الهائل اسم لحيوانات منقرضة سماها بهِ الاستاذ اون سنة ١٨٤١ يظهر من آثارها ان طول بعضها كان ثمانين قدمًا او اكثر

القانون الاساسي

[ذكرنا في الجزء الماضي انهُ صدرت الارادة السلطانية باعادة القانون الاساسي الذي صدر اولاً في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٣ واعادة مجلس المبعوثان الذي فُتح اولاً سنة ١٢٩٤ وعطل سنة ١٢٩٥ . وقد رأينا ان ننشر هنا الترجمة العربية للقانون الاساسي كما نشرناها في المقطم]

ممالك الدولة العثمانية

(المادة ١) ان الدولة العثمانية تشمل الممالك والخطط الحاضرة والولايات الممتازة وهي كجسم واحد لا يقبل الانقسام ابدًا لاية علة كانت

(٢) ان عاصمة الدولة العثمانية هي مدينة الاستانة وهذه المدينة ليس لها ادنى امتياز على غيرها من البلاد العثمانية ولا هي معفاة من شيء

(٣) ان السلطنة السنيَّة هي بمنزلة الخلافة الاسلامية الكبرى وهي عائدة بمقتضى الاصول القديمة الى اكبر الاولاد من سلالة آل عثمان

(٤) ان حضرة السلطان هو حامي الدين الاسلامي بحسب الخلافة وحاكم جميع التبعة العثمانية وسلطانها

(٥) ان ذات حضرة السلطان مقدس وغير مسؤُول

(٦) ان حقوق حرية سلالة بني عثمان واموالهم واملاكهم الذاتية ومخصصاتهم المالية في مدة حياتهم هي تحت الضمانة العامة

(٧) ان عزل الوكلاء ونصبهم وتوجيه المناصب والرتب واعطاء النياشين واجراء التوجيهات في الايالات الممتازة وفقًا لشروطها وضرب النقود وذكر الاسم في الخطب وعقد المعاهدات مع الدول الاجنبية واعلان الحرب والصلح وقيادة القوة البحرية والبرية واجراء الحركات العسكرية والاحكام الشرعية والقانونية وسن النظامات المتعلقة بدوائر الادارة وتخفيف المجازاة القانونية او العفو عنها وعقد المجلس العمومي وفضهُ وفسخ هيئة المبعوثين عند الاقتضاء بشرط انتخاب اعضاء جدد لها جميع ذلك من جملة حقوق السلطان المقدسة

في حقوق تبعة الدولة العثمانية العامة

(٨) يطلق لقب عثماني على كل فرد من افراد التبعة العثمانية بلا استثناء من اي دين

ومذهب كان و يسوغ الحصول على الصفة العثمانية وفقدانها بحسب الاحوال المعينة في القانون

(٩) ان جميع العثمانيين متمتعون بحريتهم الشخصية وكل منهم مكلف بعدم تعديهِ على حقوق غيرهِ

(١٠) ان الحرية الشخصية مصونة من جميع انواع التعدي ولا يجوز مجازاة احد باي وسيلة كانت الاَّ بالاسباب والاوجه التي يعينها القانون

(١١) ان دين الدولة العثمانية هو الدين الاسلامي ومع مراعاة هذا الاساس وعدم الاخلال براحة الخلق والآداب العمومية تجري جميع الاديان المعروفة في الممالك العثمانية بحرية تحت حماية الدولة مع دوام الامتيازات المعطاة للطوائف المختلفة كما كانت عليهِ

(١٢) ان المطبوعات حرة ضمن دائرة القانون

(١٣) ان تبعة الدولة العثمانية مرخص لها بتأليف كل نوع من انواع الشركات المتعلقة بالتجارة والصناعة والفلاحة

(١٤) يسوغ لكل فرد من افراد التبعة العثمانية او لجملة منهم تقديم عرضحال بحق مادة وجدت مخالفة للقوانين والنظامات المتعلقة بالعموم الى مرجع تلك المادة كما انهُ يحق لهم تقديم عرضحالات ممضاة الى المجلس العمومي بصفة مدعين او متشكين من افعال المأمورين

(١٥) ان التعليم حر وكل عثماني مرخص لهُ بالتدريس العمومي والخصوصي بشرط مطابقة القانون

(١٦) جميع المكاتب هي تحت نظارة الدولة وسيصير النظر في الوسائل التي من شأنها جعل تعليم التبعة العثمانية على نسق اتحاد وانتظام واحد لا تمس اصول التعاليم الدينية عند الملل المختلفة

(١٧) ان العثمانيين جميعهم متساوون امام القانون كما انهم متساوون في حقوق وظائف المملكة ما عدا الاحوال الدينيَّة والمذهبيَّة

(١٨) يشترط على التبعة العثمانية معرفة التركية التي هي اللغة الرسمية لتقلد مأموريات (وظائف) الدولة

(١٩) يقبل في مأموريات الدولة التبعة عموماً ويعينون في المأموريات المناسبة بحسب اهليتهم واستحقاقهم

(٢٠) ان تكاليف الدولة (الاموال الاميرية) تضرب وتوزع على جميع التبعة بحسب اقتدار كلٍ منها وفقاً لنظاماتها المخصوصة

(٢١) كل احد امين على مالهِ وملكهِ الجاري تحت تصرفهِ بحسب الاصول ولا يؤخذ من احد ملكهُ ما لم يثبت لزومهُ للنفع العام ويدفع ثمنهُ الحقيقي سلفاً وفقاً للقانون

(٢٢) ان منزل كل احد في الممالك العثمانية مصون من التعدي ولا تقدر الحكومة ان تدخل جبراً الى مسكن انسان او منزلهِ الاّ في الاحوال التي يعينها القانون

(٢٣) لا يجوز اجبار احد على الحضور امام محكمة غير المحكمة المنسوب اليها قانونياً وفقاً لقانون اصول المحاكمة الذي سيصير تقريره

(٢٤) المصادرة (ضبط الحكومة للاملاك) والسخرة والجريمة من الامور الممنوعة وانما يستثنى من ذلك التكاليف والاموال التي تعين في اوقات الحرب بحسب الاحوال

(٢٥) لا يجوز ان يؤخذ من احد بارة واحدة باسم ويركو ورسومات او بصفة اخرى ما لم يكن ذلك موافقاً للقانون

(٢٦) ان التعذيب او كل انواع الاذى (الاهانة) ممنوعة قطعيًّا بالكلية

في وكلاء (نظار) الدولة

(٢٧) ان مسند الصدارة والمشيخة الاسلامية يفوضان من قبل السلطان الى الذوات الذين يثق بهم وكذلك مأموريات باقي الوكلاء فانها تجري بموجب ارادة سلطانية

(٢٨) ان مجلس الوكلاء سينعقد تحت رئاسة الصدر الاعظم وهو مرجع جميع الامور المهمة الداخلية والخارجية. اما قراراتهُ المحتاجة الى الاستئذان فانها تجري بموجب ارادة سنيّة

(٢٩) ان كلاًّ من الوكلاء يجري من الامور العائدة الى ادارتهِ ما هو مأذون في اجرائهِ وفقاً لقواعدهِ واما ما كان خارجاً عن دائرة مأذونيتهِ فيعرض الى الصدر الاعظم والصدر الاعظم يجري مقتضيات المواد التي لا تحتاج الى المذاكرة ويستأذن عنها من الحضرة السلطانية وما كان محتاجاً منها الى المذاكرة يعرضهُ على مجلس الوكلاء للتذاكر فيهِ ويجري ايجابهُ بمقتضى الارادة السنيَّة التي تصدر بها اما انواع هذه القضايا ودرجاتها فستعين بنظام مخصوص

(٣٠) ان وكلاء الدولة مسؤولون عن الاحوال والاجراءات المتعلقة بمأمورياتهم

(٣١) اذا شكا واحد او اكثر من اعضاء مجلس المبعوثين على احد وكلاء الدولة بما يوجب عليهِ المسؤولية في المواد التي هي من متعلقات هيئة المبعوثين فعلى رئيس هذه الهيئة الذي يتقدم لهُ تقرير الشكوى ان يرسل ذلك التقرير في خلال ثلاثة ايام الى الشعبة (اللجنة) التي تتعلق بها المذاكرة في انهُ هل يجب احالتهُ الى الهيئة المناط بها رؤية مواد

كهذه او لا وفقاً لنظام هيئة المبعوثين الداخلي وهذا بعد ان تفحص هذه الشعبة ذلك التقرير وتجري التحقيقات اللازمة وتستوفي الايضاحات الكافية من الذي اشتكي عليهِ فان قررت بالاكثرية ان هذا التشكي جرى بالمذاكرة تقدم قرارها الى هيئة المبعوثين للاطلاع عليها واذا مست الحاجة تستدعي المشتكى عليهِ وتسمع الايضاحات التي يقدمها بنفسهِ او بواسطة غيرهِ فان وافقت اكثرية الهيئة المطلقة اي ثلثاها على لزوم المحاكمة تقدم المضبطة المتضمنة طلب المحاكمة الى مقام الصدارة العظمى . وغب عرضها للاعتاب السلطانية تحال الدعوى الى الديوان العالي بموجب ارادة سنية

(٣٢) ان اصول محاكمة الوكلاء الذين يقعون تحت التهمة ستعين في قانون خصوصي

(٣٣) لا فرق البتة بين الوكلاء وبين باقي افراد العثمانيين في الدعاوي الشخصية الخارجة عن مأمورياتهم فتجري المحاكمة على هذه القضايا في المحاكم العمومية التي يتعلق بها ذلك

(٣٤) اذا حكمت دائرة التهمة في الديوان العالي على احد الوكلاء بكونهِ واقعاً تحت التهمة ينزل عن مأموريتهِ الى ان تظهر براءتهُ

(٣٥) اذا وقع اختلاف على مادة ما بين الوكلاء وبين هيئة المبعوثين واصر الوكلاء على تقرير تلك المادة فرفضتها هيئة المبعوثين ثانية رفضاً قطعياً باكثرية الآراء مبينة تفصيل الاسباب الموجبة لذلك فللحضرة السلطانية حينئذٍ وحدها ان تغير الوكلاء او ان تفض هيئة المبعوثين بشرط انتخاب هيئة جديدة غيرها في المدة القانونية

(٣٦) اذا اقتضت الحال ضرورة في غير وقت انعقاد المجلس العمومي لوضع قانون صيانة الدولة من الخطر او وقاية الامن العام من الخلل ولم يكن الوقت كافياً لجمع المجلس للمذاكرة في هذا القانون تجتمع هيئة الوكلاء وتقرر ما يلزم من الامور بشرط مراعاة احكام القانون الاساسي وبموجب ارادة سنية يكون لقرارها قوة القانون والحكم موقتاً الى ان تجتمع هيئة المبعوثين وتعطي قرارها بهذا المعنى

(٣٧) يحق لكل من الوكلاء في اي وقت شاء ان يحضر اجتماعات كلتا الهيئتين او ان ينيب عنهُ فيها احد رؤَساء المأمورين الذين تحت ادارتهِ ولهُ التقدم في الكلام على الاعضاء

(٣٨) اذا استدعي احد الوكلاء الى مجلس المبعوثين بموجب قرار الاكثرية لاعطاء الايضاح عن امر ما يحضر الى المجلس بنفسهِ او يرسل احد رؤَساء المأمورين الذين تحت ادارتهِ ويجيب عن المواد التي يسأَل عنها ويحق لهُ ان يؤَخر جوابهُ اذا رأَى لزوماً لذلك آخذاً المسأولية على نفسهِ

في المأمورين

(٣٩) جميع المأمورين ينتخبون من ارباب الاهلية والاستحقاق للمأموريات التي تفوض اليهم بحسب الشروط المعينة في النظام وكل مأمور ينتخب على هذه الصورة لايجوز عزله ما لم يبدُ منهُ حقيقةً ما يوجب العزل او يستعفي من تلقاء نفسهِ او يرى عزلهُ لازماً لضرورة تقتضيها احوال الدولة ومن كان من اصحاب الاستقامة وحسن السلوك من المأمورين وعزل من ضرورة كما ذكر يكون جديرًا بالترقي ويعين لهُ معاش التقاعد او العزل بحسب نص النظام الخصوصي الذي سيصير ترتيبهُ

(٤٠) سيعين نظام مخصوص لوظائف كل مأمورية وكل مأمور هو مسأول في ادارتهِ ووظيفتهِ

(٤١) من الواجب على كل مأمور احترام آمرهِ ورعايتهُ الّا ان الطاعة لا تتجاوز الدائرة المعينة قانونيًا والطاعة للآمر في الامور المخالفة للقانون لا تقي من المسأولية

في مجلس الامة

(٤٢) ان مجلس الامة يركب من هيئتين تسمى احداهما هيئة الاعيان والاخرى هيئة المبعوثين (النواب)

(٤٣) ان كلاً من هيئتي مجلس الامة تجتمع في ابتداء شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من كل سنة وتفتح بموجب ارادة سنية وتقفل كذلك بارادة سنية في اول آذار (مارس) ولا يجوز انعقاد احدى هاتين الهيئتين في غير وقت اجتماع الاخرى

(٤٤) اذا رأت الحضرة السلطانية وجوبًا تقتضيهِ احوال الدولة فانها تفتح مجلس الامة قبل وقتهِ وتقصر اجتماع المجلس كذلك او تطيلهُ عن المدة المعينة

(٤٥) ان افتتاح مجلس الامة يتم بحضرة الذات السلطانية او بحضور الصدر الاعظم نائبًا عنها او بحضور وكلاء الدولة مع اعضاء الهيئتين ويتلى حينئذٍ نطق سلطاني في ما يلزم اتخاذهُ في المستقبل من الوسائل والتدابير بخصوص احوال الدولة الداخلية وصلاتها الخارجية في السنة الحالية

(٤٦) ان الاعضاء الذين ينتخبون او يعينون لمجلس الامة يحلفون بالامانة للحضرة السلطانية وللوطن وبمراعاة احكام القانون الاساسي والامور المودعة لعهدتهم والابتعاد عن مخالفة ذلك . وهذه اليمين تتم بحضور الصدر الاعظم في يوم افتتاح المجلس ومن لم يكن حاضرًا من الاعضاء في ذلك اليوم يحلف هذه اليمين بعينها بحضور الرئيس والهيئة التي هو منها

(٤٧) ان اعضاء مجلس الامة احرار في ابراز آرائهم وافكارهم ولا يقيد احد منهم بوعد او تهديد ما · ولا يرتبط بتعليمات البتة ولا يجوز اتهام احد منهم بوجه من الوجوه بسبب ابراز آرائهِ او بيان افكارهِ في اثناء مفاوضات المجلس الا اذا بدا منهُ شيء يخالف لنظامات المجلس الداخلية فحينئذ يعامل بموجب النظامات المذكورة

(٤٨) اذا اتهم احد اعضاء مجلس الامة من قبل الهيئة المنسوب اليها بجناية او بمحاولة الغاء القانون الاساسي او بارتكاب الرشوة وتقررت هذه التهمة باكثرية تلك الهيئة المطلقة اي بثلثي الآراء او اذا حكم قانونيًّا على احد الاعضاء بالحبس او النفي تسقط عنهُ صفة العضوية ويحاكم ويحكم بمجازاتهِ على افعالهِ هذه في المحكمة التي يتعلق بها ذلك

(٤٩) يحق لكل عضو من اعضاء مجلس الامة ان يبرز رأيهُ بنفسهِ او يمتنع عن اعطاء رأيهِ في ما يتعلق برفض او قبول مادة مطروحة تحت المذاكرة

(٥٠) لا يجوز ان يكون شخص واحد عضوًا في كلتا الهيئتين المذكورتين في وقت واحد

(٥١) لا يسوغ الشروع في المفاوضات في احدى الهيئتين بغير حضور نصف الاعضاء المعينين وعضو واحد زيادة عن النصف · وتقرر كل المواد باكثرية الاعضاء الحاضرين المطلقة خلا الامور المشترط بها اكثرية قدرها ثلثا الاعضاء واذا تساوت الآراء فرأي الرئيس يحسب مضاعفًا

(٥٢) اذا قدم شخص ما عرضحال الى احدى هيئتي مجلس الامة بخصوص دعوى متعلقة بشخص ثم ظهر ان ذلك الشخص لم يقدم دعواهُ الى مأموري الدولة الذين يتعلق بهم رؤيتها ولا الى مرجع اولئك المأمورين فان عرضحالهُ يرفض ويرد اليهِ

(٥٣) ان سن قانون جديد او تغيير بعض القوانين الموجودة متعلق بهيئة الوكلاء الَّا انهُ يحق لكل من هيئتي الاعيان والمبعوثين ان تطلب تجديد قانون او تغيير احد القوانين الموجودة في المواد التي هي ضمن دائرة وظائفهم · وحينئذ يستأذن بذلك من الحضرة السلطانية بواسطة الصدر الاعظم فان صدرت الارادة السنية بذلك تحال الكيفية الى مجلس شورى الدولة لاجل ترتيب اللوائح المقتضاة على مقتضى الايضاحات والتفاصيل التي تؤخذ من الدوائر التي يتعلق بها ذلك

(٥٤) ان لائحة (مشروع) القوانين التي يرتبها مجلس شورى الدولة بعد ان يجري البحث والتدقيق فيها وقبولها في هيئة المبعوثين اولاً ثم هيئة الاعيان تصير دستورًا للعمل اذا صدرت الارادة السنية السلطانية باجرائها وكل لائحة قانون ترفضها احدى هاتين

الهيئتين رفضاً قطعياً لا يجوز طرحها ثانية للمذاكرة في تلك السنة

(٥٥) كل لائحة قانون لا تعتبر مقبولة ما لم تقرأ اولاً في هيئة المبعوثين ثم في هيئة الاعيان مادة مادة وتقرر كل مادة منها باكثرية الآراء ثم تقرر بالاكثرية ايضاً في هيئة مجلس الامة

(٥٦) لا يسوغ لهيئتي المجلس ان تقبلا احداً اتى اليهما للافادة عن مادة ما بطريق الوكالة ولا ان تسمعا تقريره ما لم يكن من هيئة الوكلاء او من حضر بالنيابة عنهم او من نفس اعضاء المجلس او من المأمورين الذين استدعوا للحضور رسمياً

(٥٧) ان المفاوضات (المناقشات) في الهيئتين تجري باللغة التركية أما لوائح المفاوضات فانها تطبع وتوزع على الاعضاء قبل اليوم المعين للمذاكرة

(٥٨) ان ابراز الآراء في كلتا الهيئتين يتم اما بتصريح الاسماء او بالاشارة المخصوصة او بالطريقة السرية الاّ ان ابراز الآراء بالطريقة السرية يتوقف على قرار اكثرية الاعضاء الحاضرين

(٥٩) ان ضبط الاحوال الداخلية (حفظ النظام) في كل هيئة منوط برئيسها في هيئة الاعيان

(٦٠) ان رئيس هيئة الاعيان واعضاءها يعينهم السلطان رأساً ولا يتجاوز عددهم ثلث اعضاء هيئة المبعوثين

(٦١) ان من يعين بصفة عضو في هيئة الاعيان يجب ان يكون قد فعل ما يجعله اهلاً للثقة العثمانية وسبقت له خدم حسنة مشهودة في الدولة وان لا يكون سنه دون اربعين سنة

(٦٢) ان مدة العضوية في هيئة الاعيان هي مدة الحياة وتوجه هذه المأمورية الى من هو اهل لها من معزولي الوكلاء والولاة والمشيرين وقضاة العسكر والسفراء والبطاركة ورؤساء الحاخامية والفرقاء البرية والبحرية وغيرهم من الذوات الحاصلين على الصفات المطلوبة امامن يعين من اعضاء هيئة الاعيان لاحدى ماموريات الدولة بطلبه فتسقط عنه صفة العضوية

(٦٣) ان معاش (راتب) العضوية الشهري في هيئة الاعيان عشرة آلاف غرش واذا كان لاحد الاعضاء معاش آخر او مخصصات أُخرى من الخزينة دون عشرة آلاف غرش فتزداد الى هذا القدر وان كانت عشرة آلاف او اكثر تبقى على حالها

(٦٤) ان هيئة الاعيان تدقق البحث في القوانين ولوائح (مشروعات) الميزانية الصادرة من هيئة المبعوثين فان وجدت فيها ما يخل اساساً بالامور الدينية او بحقوق حضرة السلطان

السنية او بالحرية او باحكام القانون الاساسي او باستقلال ملك الدولة او بامنية المملكة الداخلية او بوسائل المدافعة والمحافظة على الوطن او بالآداب العمومية فلها ان ترفضها قطعياً مع ايراد ملاحظاتها او ان تردها الى هيئة المبعوثين لاجل اصلاحها وتصحيحها . اما اللوائح التي تقبلها وتصادق عليها فتقدم الى الصدر الاعظم وكذلك المعروضات التي تقدم الى الهيئة تفحص بالتدقيق وتقدم الى مقام الصدارة اذا وجد لزوماً لذلك مع اضافة الملاحظات اللازمة عليها

(٦٥) ان عدد اعضاء هيئة المبعوثين يكون باعتبار شخص واحد من كل خمسين الف نفس من ذكور التبعة العثمانية

(٦٦) ان امر الانتخاب مؤسس على الطريقة السرية وستقرر كيفية الانتخاب في قانون مخصوص

(٦٧) لا يمكن الجمع بين عضوية هيئة المبعوثين ومأمورية اخرى في الحكومة خلا من ينتخب من الوكلاء لهذه العضوية فيجوز لهُ ذلك واما من ينتخب لهيئة المبعوثين من باقي مأموري الدولة فهو في خيار من قبول ذلك او رفضهِ الاَّ انهُ اذا قبل العضوية يفصل عن مأموريتهِ الاولى

(٦٨) لا يجوز ان ينتخب لهيئة المبعوثين . اولاً من لم يكن من تبعة الدولة العلية ثانياً من كان حائزاً موقتاً على امتياز خدمة اجنبية بمقتضى النظام المخصوص . ثالثاً من لم يكن عارفاً بالتركية . رابعاً من كان دون الثلاثين . خامساً من كان مستخدماً عند شخص آخر في وقت الانتخاب . سادساً من حكم عليهِ بالافلاس ولم يعد اليهِ اعتبارهُ . سابعاً من كان مشهوراً بالتصرفات السيئة . ثامناً من حكم عليهِ بالحجر حكماً لاحقاً ولم يفك عنهُ الحجر . تاسعاً من كان ساقطاً من الحقوق المدنية . عاشراً من يدعي انهُ من التبعة الاجنبية فجميع هؤلاء لا يجوز انتخابهم بهيئة المبعوثين . اما في الانتخاب الذي يجري بعد اربع سنوات فيشترط على المنتخب ان يكون عارفاً القراءة والكتابة باللغة التركية نوعاً ما

(٦٩) ان انتخاب المبعوثين العمومي يجري مرة واحدة كل اربع سنين ومدة مأمورية كل من المبعوثين اربع سنوات ويجوز تجديد انتخابهِ

(٧٠) ان انتخاب المبعوثين العمومي يبتدأ بهِ قبل شهر تشرين ثاني (نوفمبر) الذي هو بداية اجتماع الهيئة باربعة اشهر على الاقل

(٧١) ان كلاً من اعضاء هيئة المبعوثين يعتبر نائباً عن عموم العثمانيين وليس عن الدائرة التي انتخبتهُ فقط

(٧٢) من الواجب على المنتخبين ان ينتخبوا المبعوثين من اهالي دائرة الولاية التي هم منها

(٧٣) اذا فضت هيئة المبعوثين بارادة سنية يبتدأ بانتخاب جميع الاعضاء الجدد بحيث تتمكن الهيئة من الاجتماع بعد ستة اشهر في الاكثر

(٧٤) اذا توفي احد اعضاء هيئة المبعوثين او وقع تحت الحجز لاسباب قانونية او انقطع عن الحضور الى المجلس مدة طويلة او استعفى او سقطت عنهُ العضوية بسبب صدور حكم عليهِ او بسبب قبولهِ مأمورية اخرى يتعين عضو غيرهُ بحسب الاصول قبل الاجتماع التالي

(٧٥) ان مأمورية العضو الذي ينتخب عضوًا مكان احد المبعوثين تدوم الى وقت الانتخاب العمومي الآتي فقط

(٧٦) يعطى لكل من المبعوثين عشرون الف غرش من خزينة الدولة عن مدة الاجتماع في كل سنة وتعطى لهُ ايضًا مصاريف الطريق ذهابًا وايابًا باعتبار كون المعاش الشهري خمسة آلاف غرش وفقًا لنظام المأمورين الملكيين

(٧٧) تنتخب هيئة المبعوثين ثلاثة اشخاص لرئاسة الهيئة وثلاثة اشخاص لكل من الرئاسة الثانية والثالثة ثم تقدم اسماء هؤلاء الاشخاص التسعة الى الحضرة الشاهانية وبموجب ارادة سنية يعين احد الثلاثة الاولين لرئاسة الهيئة واثنان من الستة الباقين نائبين للرئيس وتجري المفاوضة علنًا او سرًّا بحسب القرار المذكور

(٧٩) لا يجوز القاء القبض على احد اعضاء هيئة المبعوثين في مدة اجتماع المجلس ولا محاكمتهُ ما لم يثبت بموجب قرار اكثرية الهيئة وجود سبب كافٍ لالقاء التهمة عليهِ من قبل الهيئة او جناية ما ويمسك حين ارتكابهِ ذلك او عقيبهُ

(٨٠) ان هيئة المبعوثين تتذاكر في لوائح القوانين التي تحال اليها فما كان منها متعلقًا بالمالية او بالقانون الاساسي يسوغ لها ان ترفضهُ او تقبلهُ او تصلحهُ . وعقب تدقيق البحث في المصاريف العمومية بالتفصيل كما هو مصرح بهِ في قانون الميزانية تقرر مقدارها بالاتفاق مع هيئة الوكلاء . وتعين كذلك مع هيئة الوكلاء الايرادات المقتضاة لمقابلة المصروفات العمومية ومقدارها وكيفية توزيعها وتحصيلها

في المحاكم

(٨١) ان القضاة الذين ينصبون من قبل الدولة بموجب النظام المخصوص وتعطى لايديهم البراءة الشريفة فهؤلاء لا يعزلون وانما يجوز قبول استعفائهم . اما صورة ترقي القضاة ومسالكهم ومبادلة مناصبهم وكيفية اجراء تقاعدهم وعزلهم عند صدور الحكم عليهم

بذنبٍ ما فجميع ذلك مصرح بهِ في النظام المذكور وهذا النظام توضح فيهِ ايضاً الاوصاف المطلوبة من القضاة ومن باقي مأموري المحاكم

(٨٢) ان جميع انواع المحاكمات تجري في المحاكم علناً والاعلامات التي تصدر منها يجوز نشرها غير ان المحاكمة تجري سرًّا في الظروف المعينة في القانون

(٨٣) يحق لكل احد ان يستخدم لدى المحاكمة جميع الوسائل القانونية للدفاع عن حقوقهِ

(٨٤) لا يسوغ لاحدى المحاكم لاية علة كانت ان تمتنع عن النظر في دعوى من اختصاصها ولا يجوز توقيف الحكم بدعوى ما او تأخيره بعد الشروع في نظر تلك الدعوى او بعد اجراء التحقيقات الاولية المقتضية لنظرها ما لم يكف المدعي عن ملاحقة دعواهُ. ولكن حقوق الحكومة في الدعاوي الجنائية تجري مجراها النظامي

(٨٥) كل دعوى يجب ان تنظر في المحكمة التي يختص بها النظر فيها اما الدعاوي التي تقع بين الافراد والحكومة فانها تنظر كذلك في المحاكم العمومية

(٨٦) ان المحكمة بجملتها تكون عارية من كل نوع من المداخلات

(٨٧) ان الدعاوي الشرعية تنظر في المحاكم الشرعية والدعاوي النظامية تنظر في المحاكم النظامية

(٨٨) ان انواع المحاكم ووظائفها ودرجات حقوقها وامر توظيف القضاة كل ذلك يعود الى القوانين

(٨٩) لا يجوز قطعيًّا لاية علة كانت ترتيب محاكم غير اعتيادية ولا لجان لنظر بعض دعاوٍ مخصوصة والحكم فيها خلا المحاكم القانونية وانما يجوز التحكيم وتعيين مولين بحسب مفاد القانون

(٩٠) لا يجوز لقاضٍ ان يجمع بين مأموريتهِ القضائية ومأمورية اخرى ذات معاش في الحكومة

(٩١) سيجري تعيين مدعين عموميين للدفاع عن الحقوق العامة في الامور الجنائية اما وظائف هؤلاء المدعين ودرجاتهم فستقرر في القانون

في الديوان العالي

(٩٢) يتألف الديوان العالي من ثلاثين عضواً منهم عشرة ينتخبون بالقرعة من رؤساء واعضاء مجالس التمييز والاستئناف وهذا الديوان ينعقد عند الاقتضاء بموجب ارادة سنية في دائرة هيئة الاعيان. ووظيفتهُ انما هي محاكمة الوكلاء ورؤساء محاكم التمييز واعضائها وكل من اعتدى على ذات الحضرة السلطانية وعلى حقوقها وكل من حاول القاء الدولة في خطر

(٩٣) ينقسم الديوان العالي الى قسمين يسمى احدهما دائرة التهمة والآخر ديوان الحكم . اما دائرة التهمة فاعضاؤُها تسعة ينتخبون ثلاثة من هيئة الاعيان وثلاثة من ديوان التميز والاستئناف وثلاثة من اعضاء شورى الدولة وكلهم ينتخبون بالقرعة من الاعضاء الذين يعينون للديوان العالي

(٩٤) يعطى القرار في هذه الدائرة باكثرية الثلثين على صحة التهمة الملقاة على الذوات المشتكى عليهم او عدمها . اما اعضاء دائرة التهمة فلا يحضرون في ديوان الحكم

(٩٥) ان عدد الاعضاء في ديوان الحكم واحد وعشرون عضوًا من اعضاء الديوان العالي منهم سبعة من هيئة الاعيان وسبعة من ديوان التميز او الاستئناف وسبعة من شورى الدولة . وهذا الديوان يحكم حكمًا باتًا وبمقتضى القوانين المؤسسة في الدعاوي التي قررت دائرة التهمة لزوم المحاكمة عليها . ويتم حكمهُ بموجب قرار اكثريتهِ بثلثي اعضائهِ اما احكام هذا الديوان فلا تقبل الاستئناف ولا التمييز

في الامور المالية

(٩٦) ان تكاليف الدولة لا يترتب منها شيءٌ ولا يوزع شيءٌ ولا يجمع شيءٌ ما لم يتعين بقانون

(٩٧) ان لائحة الدخل والخرج في الدولة هي بمنزلة قانون موضح فيهِ مقدار ايراداتها ومصروفاتها تقريبًا فكل تكاليف الدولة يعول في امر ترتيبها وتوزيعها وجبايتها على هذا القانون

(٩٨) ان اللائحة المذكورة اي قانون الميزانية العمومية يبحث فيها ويصادق عليها مادةً مادةً في مجلس الامة وكذلك الجداول المرتبطة بها المتضمنة تفاصيل الايرادات والمصروفات تنقسم الى ابواب وفصول ومواد متعددة وفقًا للاصول المتخذة نظامًا وتجري المذاكرة فيها ايضًا فصلاً فصلاً

(٩٩) ان قانون الميزانية العمومية يطرح امام هيئة المبعوثين عقب اجتماع مجلس الامة ليمكن تنفيذهُ عند دخول السنة المتعلق بها

(١٠٠) لا يجوز صرف شيءٍ من اموال الدولة خارجًا عن الميزانية ما لم يعين ذلك بقانون مخصوص

(١٠١) اذا مست الحاجة الى صرف مبلغ ما خارج عن الميزانية في غير وقت اجتماع مجلس الامة وذلك لاسباب اجبارية غير اعتيادية فان هيئة الوكلاء تستأذن من الحضرة السلطانية عن ذلك آخذة المسأولية عليها وتتدارك المبلغ اللازم لصرفهِ بموجب الارادة

السنية التي تصدر . وعليها ان تقدم لائحة ذلك الى مجلس الامة عند اجتماعهِ

(١٠٢) ان حكم قانون الميزانية هو لسنة واحدة فقط ولا يجري في غير تلك السنة غير انهُ اذا فض مجلس المبعوثين لاسباب غير اعتيادية قبل تقرير الميزانية فيسوغ للوكلاء بموجب ارادة سنية ان يداوموا اجراء حكم ميزانية السنة الماضية الى ان يلتئم مجلس المبعوثين بشرط ان لا يتجاوز ذلك مدة سنة

(١٠٣) ان لائحة قانون الحساب الختامي تتضمن مقدار المبالغ المتحصلة من ايرادات السنة المعينة لها والمصاريف الحقيقية التي صرفت في تلك السنة . وينبغي ان تكون هيئتها وابوابها موافقة بالتمام لقانون الميزانية العمومية

(١٠٤) ان قانون الحساب الختامي يطرح امام مجلس الامة في كل اربع سنوات على الاكثر من ختام السنة المتعلق بها

(١٠٥) يترتب ديوان محاسبات لرؤية حساب المأمورين الموكلين بقبض اموال الدولة وصرفها ولاجل فحص المحاسبات السنوية التي تتقدم من الدوائر المختلفة وهذا الديوان يقدم الى هيئة المبعوثين في كل سنة تقريرًا حاويًا خلاصة فحصهِ وتدقيقهِ ونتيجة افكاره وملاحظاتهِ وفي كل ثلاثة اشهر يعرض ايضًا على الحضرة السلطانية بواسطة رئيس الوكلاء تقريرًا عن احوال المالية

(١٠٦) ان ديوان المحاسبات يؤلف من اثني عشر عضوًا يعينون بموجب ارادة سنية ويستمرون في مأمورياتهم مدة حياتهم ولا يعزل احد منهم ما لم تصادق هيئة المبعوثين بالاكثرية على لزوم عزلهِ

(١٠٧) سيوضع نظام مخصوص لتعيين الصفات المطلوبة من اعضاء ديوان المحاسبات وتفاصيل وظائفهم وصورة استعفائهم وتبديلهم وتقاعدهم وكيفية تشكيل الاقلام المتعلقة بهذا الديوان

في ادارة الولايات

(١٠٨) ان اصول ادارة الولايات ستؤسس على قاعدة توسيع دائرة المأذونية وتفريق الوظائف وستعين درجاتها بنظام مخصوص

(١٠٩) سيوضع قانون مخصوص اوسع من القانون الجاري الان لانتخاب اعضاء مجالس الادارة في الولايات والالوية والاقضية ولانتخاب اعضاء المجالس العمومية التي تلتئم مرة كل سنة في مراكز الولايات

(١١٠) ان وظائف المجالس العمومية كما سيصرح بهِ القانون المذكور هي المذاكرة والمفاوضة في الامور النافعة كتنظيم الطرق والمواصلات وانشاء صناديق اموال للزراعة وترقية اسباب الصناعة والتجارة والزراعة ونشر المعارف العمومية · ومن خصائصهِ ايضاً حق التشكي الى محلات الاقتضاء حين وقوع مخالفات للقوانين والنظامات المؤسسة لاصلاح ذلك سواء كانت تلك المخالفات في توزيع الاموال الاميريَّة وجبايتها او في المعاملات العمومية

(١١١) ينشأ في كل قضاء مجلس لكل ملة ينتخب اعضاؤهُ من افراد تلك الملة ويكون من خصائصهِ النظر في مداخيل المسقفات والمستغلات والنقود الموقوفة لكي تصرف بحسب شروط واقفيها ومعاملتها القديمة لمن لهُ حق فيها وللخيرات والمبرات والمناظرة ايضاً على صرف الاموال الموصى بها كما هو محرر في وصية الموصي وعلى ادارة اموال الايتام وفقاً لنظامها الخصوصي اما هذه المجالس فانها تعرف الحكومات المحلية ومجالس الولايات العمومية مرجعاً لها

(١١٢) ان الامور البلدية تجري ادارتها في مجالس الدوائر البلدية التي ترتب في دار السعادة وفي الخارج وسيوضع قانون خاص بتنظيم الدوائر البلدية ووظائفها وكيفيَّة انتخاب اعضائها

في مواد شتى

(١١٣) اذا ظهر بعض علامات وامارات تنذر بوقوع اختلال ما في احدى جهات المملكة حق للحكومة السنية ان تعلن الادارة العرفية موقتاً بذلك المحل فقط والادارة العرفية انما هي ابطال القوانين والنظامات الملكية بصورة موقتة وسيوضع نظام خاص لكيفية ادارة المحل الموضوع تحت الادارة العرفية · اما الذين يثبت بواسطة تحقيقات ادارة الضابطة الصحيحة انهم سبب في اختلال امنية الحكومة فللحضرة السلطانية وحدها الحق بان تخرجهم من الممالك المحروسة وتبعدهم عنها

(١١٤) ان التعليم الابتدائي يجعل الزامياً لكل فرد من افراد العثمانيين وتفاصيل ذلك تقرر في نظام مخصوص

(١١٥) لا يجوز توقيف او ابطال مادة من مواد هذا القانون الاساسي لاية علة كانت

(١١٦) اذا اقتضت الظروف والاحوال تغيير بعض المواد المدرجة في هذا القانون الاساسي او اصلاحها ووجد لزوم حقيقي وقطعي لذلك جاز تغييرها على الشروط الآتية :وهي انهُ متى طلبت هيئة الوكلاء او كل من هيئة الاعيان والمبعوثين اصلاح قضية ما فاذا صادفت هيئة المبعوثين على ذلك باكثرية الثلثين وصدرت الارادة السنيَّة بشأنهِ فان هذا الاصلاح

يعتبر دستوراً للعمل . اما المادة التي يطلب اصلاحها فتبقى مرعية الاجراء حائزة قوة الحكم والنفوذ الى ان تجري عليها المذاكرات اللازمة وتصدر بشأنها الارادة السنية كما ذكر

(١١٧) اذا اقتضى الحال تفسير احدى المواد قانونيًّا فاذا كان ذلك من الامور العدلية يتعلق تفسيره بمحكمة التمييز وان كان من امور الادارة الملكية فذلك من خصائص شورى الدولة وان كان من مواد هذا القانون الاساسي فذلك متعلق بهيئة الاعيان

(١١٨) ان القوانين والنظامات الجاري العمل بها الآن وجميع المعاملات والعوائد تبقى نافذة ومرعية الاجراء ما لم يصر الغاؤها او اصلاحها بالقوانين والنظامات التي تسن في المستقبل في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٣

الراهن والواهن في المادية[1]

لو تعقَّل الانسان ما اندفع يستجلي اسرار الابدية ويستكشف مكنوناتها طمعاً في التوصل الى ما لا يدركه العقل ولا يحدّه الذهن مما هو محجوب وراء الطبيعة بحجب ابدية من الظلام الدامس . ولكنَّ الانسان فخورٌ بالطبع أنانيٌّ بالفطرة يحسب عقله النقطة الوسطى التي يدور عليها كل ما في العوالم من حيّ وجماد فيقيس ويبني ويستنتج بمقتضى ذلك العقل القاصر ثم يبرز ما ارتأى وقد توهمهُ نواميس لا تتغير ولو تغيرت السماء والارض — من ذلك المبادئ الفلسفية فقد يظن الفيلسوف ان الرأي رايهُ فيبني عليهِ احكامهُ ويقضي السنين الطوال يبحث وينقب توصلاً الى ادلة تعززهُ ثم يموت ولم يقضِ لبانتهُ ويقوم بعدهُ تلامذتهُ فيحذون حذوهُ ويسلكون مسلكهُ ثم يقضون ولم يزيدوا على ما رأى هو شيئاً يذكر

جرَّب الاقدمون ان يرجعوا بمشاهدة الطبيعة الى علةٍ ماديةٍ ازلية لكنهم اخفقوا سعياً لندرة ما كان لديهم من اصول المعرفة ولكثرة ما كان يعترض سيرهم مما توارثوهُ من المعتقدات وما استحكم في نفوسهم من التقاليد على حين كان العلم في درجة من الضعف لم يستطع بها ان يقف امام الاباطيل المنقولة والاساطير الموروثة . فقد كانت الفلسفة الماديَّة شائعة شيوعاً عظيماً في الصين وذلك حوالي القرن الخامس قبل المسيح [2] وكان زعماؤُها

(١) خطاب تلي في (حلقة الادباء) بالمدرسة الكلية السورية الانجيلية

(2) Anti-Theistic theories.

ينادون — " هلمَّ فلنجنِ من الحياة اطيبها ولنسرع الى ارتشاف كاس النعيم واذا داهمتنا المنون واقترب اجل افتراقنا الابدي فلا نبالِ ولنحتمل امر ملاشاتنا بالصبر الجميل "

وعلى هذا الخطاء كانت الفلسفة الهندية فانها تعتبر ان لا علم ولا معرفة وراء المحسوس وان علة العلل تنحصر في الماء والهواء والنار والتراب وما العقل الاَّ نتيجة هذه العناصر المتآلفة فيهِ تآلفاً غيرهُ في سائر الكائنات

على ان بلاد اليونان هي مهد الفلسفة الحقيقية فقد كان قدماء فلاسفتها يقولون بازلية المادة ويعتبرون ان كلَّ ما في الكون حتى الانسان نفسهُ مادّة تنحل صورها وتتغير ولكنها لا تتلاشى. وفي القرن الرابع قبل المسيح وضع لهم ديمقريطوس مذهبهُ المعروف "بالجوهر الفرد" وعندهُ ان المادة مؤلفة من اجزاء دقيقة جدًّا وان كل ما في الكون حاصل من تفاعل هذه الاجزاء وان النفس ليست الاَّ جسماً لطيفاً مولفاً كغيرهِ من جواهر فردة فاذا لمست الجسد شعر الانسان بوجودهِ وهو الوجدان . وهو يقول لنخضع باحترام وسرور لناموس الضرورة فهو الناموس العادل الكامل الذي يسير بموجبهِ كل ما في الاكوان وهو الناموس الوحيد الذي تتوقف سعادة الانسان عليهِ[٣]

وخالف ديمقريطوس ابيكورس وعلَّم ان المادة ليست كما يزعمون مبدأً وهميًّا لا اساس لهُ بل هي المبدأُ الراهن—علّة العلل واصل الاصول وما النفس والعقل الاَّ بعض مظاهرها. اما الخالق فامر وهميّ مستحيل وكذلك خلود النفس واستقلالها عن الجسد . وتبع المادّية خلق كثير في تلك الايام حتى لقد اوشكت ان تكون المذهب العام بين مذاهب الفلاسفة الاقدمين ولولا ان قام بعض من كبار العقليين كسقراط وتلامذتهُ لكانت المادّية بلاريب اقوى حجة في كتب الفلاسفة. وجاءت الديانة المسيحيَّة فعزّزت امر الفلسفة الالهية واستبدت بالافكار في القرون الوسطى فكلّت الفلسفة المادية عن المناضلة وتقهقرت بعض التقهقر لكن ذلك لم يطل كثيرًا اذ لم يبزغ فجر القرون الاخيرة حتى تجددت قواها بما اخترع المخترعون وما اكتشف المكتشفون فاصلت الالهيين حربًا عوانًا

قام " هوبس " وقامت الفلسفة المادية بقيامهِ ثم قضى ولكنها لم تقضِ بقضائهِ بل زادت شوكتها وعظمت سلطتها ونهض دعاتها في الارض ينادون ان المادة ونواميسها هي كل ما نعلم وجودهُ في الكون فانتشر نداؤهم في العالمين واستعذبتهُ الآذان لاسيما وقد رأوا فيهِ من الضرب على التقاليد التي طالما استعبدت الجنس البشري ونغّصت حياتهُ ما كانت

(3) Weber's History of Philosophy.

نفوسهم تتوق الى استماعهِ فتهافت الطلبة على لابلاس ولا كونت وهولباك وستروس ولامتري وسبنسر وهكسلي وتندل ورفعوهم على اكف الشهرة الى حيث النجوم في افلاكها بل والى ما فوق ذلك

قال دارون بنشوء الانواع ولم يزد على ذلك لكن الماديين لم يقفوا عند هذا الحد بل جعلوا النشوء الطبيعي اساس فلسفتهم فهم يبنون كل شيء عليهِ وقالوا ان الدين والعقل والحياة وكل ما يرى وما لا يرى ارتقى تدرجاً من المادة ارتقاء طبيعيًّا لا دخل لغير الشرائع الميكانيكية فيهِ مستندين في ذلك على العلم الطبيعي وادعوا ان فلسفة النشوء نتيجة التجارب العلمية في مثل هذا . فاخترت المادية اترابها وساورت اعداءها فغلبتهم في القرون الحديثة واستقرّت على عرش السلطة تهابها المذاهب الاخرى وتحاشى منازلتها . ولست الآن في موقف اتناول فيهِ المبادئ المادية الدقيقة وانما انا متناول المادية كما هي وباسطها على موائد النقد العلمي وقبل الشروع في ذلك لا بدّ لي من ان أسال — أيعذر الماديون اذا تمسكوا بآرائهم وتمادوا في غلوائهم على مناقضتها لمبادىء الدين — سؤال لا ارى في الاجابة عنهُ افضل من ان آتي ببعض اقوالهم في ذلك . قال سبنسر وهو لا ادريّ " ان تصور الخلق امر يستحيل على اية قوة عاقلة كانت فالذهن يرفض ايجاد الشيء من لاشيء رفضاً باتًّا ثم ولو فرضنا امكان استحضار القوة الخالقة في الذهن فلا بدَّ لنا ان نسأل انَّى اتت تلك القوَّة فان قيل من قوَّة اخرى اضطررنا الى فرض ما لا نهاية لهُ من القوى وان قيل من نفسها فاي فضل لقولهم هذا على المبدإ المادي القائل بوجود المادة من نفسها على ان استقراء المبادئ المادية يميل بنا الى القول بازليتها وقدمية قواها "

وقال غيرهُ — اذا قلنا بوجود الله فلا يسعنا الآن نبحث عن ماهيتهِ وتلك الماهية اما ان تكون ماديَّة تسير بحكم الضرورة او عقليَّة ذات وجدان وهذا يقتضي كون الله شخصاً والشخصيَّة تناقض مطلقيتهُ اذ يلزم عنها وضع حدود لله وهو ما لا يقبلهُ القائلون بوجودهِ ونتيجة ذلك ان الله اذا كان موجوداً فهو مادة او عقل فعلى كونهِ عقلاً يستحيل وجودهُ كما هو اذ وجودهُ في حالة العقل والوجدان يقتضي وجودهُ في حالة غير الحالة المفترضة لوجودهِ الكامل وعلى كونهِ ماديًّا فهو المادة نفسها كامنة فيها القوى منذ الازل

وورد في كتاب Naturalism and Agnosticism ص ٤٨ " ان المنطق يقودنا بالرغم عنا الى القول اما بالله او بالمادة فاذا جعلنا الله المقدمة الاولى في ابحاثنا رأينا الطبيعة خاضعة لهُ ناشئةً عنهُ ومسيرةً باحكامهِ واذا جعلنا المادة او الطبيعة مقدمتنا الاولى فلا

امل لنا بالتوصل الى الله لان الطبيعة لا ترينا الاّ المادة ونواميسها العمياء وعلى ذلك قال هكسلي " ان المادة ونواميسها قد نفت الخلق والروح من الوجود "

ولقد ادرك سبنوزا عسر القول بخالق خارج عن الطبيعة فصرّح بانّ الله ليس بعلةٍ تعمل من الخارج وتدفع الطبيعة دفعاً الى الامام وانما الله والطبيعة شيءٌ واحد فاذا اعتبرت الوجود باجزائهِ كان لك الطبيعة واذا اعتبرتهُ بكليتهِ كان لك الله . فالعلة الازليَّة لا يمكن ان تكون اله الاديان لان ذلك يناقض المبادئَ الاولى ويذهب بالله الى حيث لايمكننا ان نراهُ

ولقد سأل بعض المتطرفين ماذا كانت القوة الخالقة تعمل قبل الخلق . فاذا أُجيب انها كانت في حالة السكون فهو ممَّا لا يقبلهُ العقل وممَّا لا يجوز ان نعزوهُ الى الخالق وان قيل في حالة العمل كان ذلك مستحيلاً اذ تقدير كونها في تلك الحالة يقتضي خلقها خلقاً قبل الخلق وهو مناقض للواقع فماذا اذن أَيعذر الماديون اذا تمسكوا بمبادئهم وهي على ما بها من النقص والوهن كثيرة الوضوح قريبة التناول ام يدانون لاتباعهم العقل القاصر فقط ولا لوم عليهم في اتباعهِ اذ هو النور الضئيل المستودع فينا سيان كان من حيز عاقلٍ او من تفاعل اجزاء المادة

قدم المادة وبقاؤها

ولنتقدم الآن الى القسم الاول من موضوعنا فانهُ اذا ثبت انْ لا علّة للطبيعة خارجة عنها فلا بد من القول بقدمية ذلك الشيء المستقرّ وراء قوى العقل البشري اعني بهِ المادة وما بها من القوى الكامنة فيها. قالوا يستحيل على العقل تصوّر زمن ما في الماضي لم توجد فيهِ الهيولى و يستحيل ايضاً تصور زمن ما في الآتي لا توجد فيهِ تلك القوة العجيبة . فالذهن لايقبل الاّ القول بقدم المادة وبقائها . ومن اقوال تندل — " ان ناموس البقاء لم يبقِ على امر الخلق ولم يذر فالجواهر الفردة هي بدء الوجود وجدت في الزمان والفضاء اللانهاية لها ثم حدث بتصادمها الكون وقدكان موجوداً بالقوة في الهيولى الاصلية ". وللمادية على خلود المادة دليلان اولها عدم امكان ملاشاتها والثاني بقاء القوة التي نشعر بها . واليك قول العلم في ذلك نقلاً عن كتب الطبيعيات . اذا احرقت قطعة من الخشب اتحد قسم منها باكسجين الهواء فحصل من ذلك غاز وتحوّل قسم منها بالتبخر الى دقائق من الماء هي البخار المائي وحملت الريح قسماً آخر في هيئة الدخان و بقي اقل الاقسام قبولاً للاحتراق في صورة الرماد . فلو تمكنا من جمع كل هذه المواد ووزناها لرأينا انها اثقل من قطعة الخشب الاصلية بمقدار وزن الهواء الذي اتحد بها وقت الاحتراق فلا زيادة ولا نقصان في المادة الاصلية بل كل

ما حدث لها تغير من صورة الى صورة اخرى · وما يصدق على المادة من هذا القبيل يصدق على الحركة والقوة · قال سبنسر في " مبادئهِ الاولى "— ليس بقاء الحركة وازليتها بالامر الذي نستقرئهُ بالاختبار فقط بل هو من طبيعة وجداننا · لانهُ اذا اردنا ان نتصور الحركة او المادة تخلق وتتلاشى اذا اردنا ان نتصور الشيءَ حادثاً من لا شيءٍ او صائرًا الى لا شيءٍ فكأنما نحن نضع نسبةً بين حدين لا وجود لاحدهما في الوجدان وذلك مستحيل كما لا يخفى. وما يقال عن الحركة يقال عن القوة فاننا لا نعني ببقاء الحركة والمادة الأ بقاء القوة التي تظهر بها المادة والتي لولاها لم تشعر بها حواسنا

وقال برنو في سياق الكلام عن ازلية المادة ان ازلية المادة التي لا يسع الوجدان الاَّ الاقرار بها تنفي وجود خالق لانهُ اذا كان الكون ازليًّا ولا نهاية لهُ فليس لنا الاَّ ان نقول إما ان لا محل لازليّ آخر غير الكون او ان ذلك الازلي او الخالق هو الكون نفسهُ"(٤)

هذا من جهة العلة الاولى اما كيفية وجود الكون على ما بهِ من العجائب وعلى ما نراهُ فيهِ من مظاهر الحكمة والقصد فتلك مسألة شغلت عقول الفلاسفة الماديين زمناً مديداً حتى اهتدوا الى النشوء الطبيعي فقالوا بوجود الجوهر الفرد والسديم ثم انشأُوا من ذلك السائل فالجامد فالحياة فالانواع فالعقل

التكوين على مذهبهم

وجدت جواهر المادة منذ الازل بسيطة متماثلة فنشأ عن حركتها الناشئة بمقتضي الجاذبية العامة (وهي من خواص المادة الازلية) مجاميع من الجواهر متباينة العدد والحركة وهي العناصر الاولى · وقال توماس كراهم "لا يبعد ان تكون العناصر كلها من عنصر واحد يظهر فيها بمظاهر مختلفة لداعي اختلاف حالات الحركة" · ولقد زاد هذا الراي ثبوتاً ناموس تحوّل القوى فان النور والحرارة والكهربائية مثلاً يتحول بعضها الى بعض · اعتبر ذلك في الكهربائية والمغنطيسية فان قطعة الحديد قد تتكهرب فتصير مغنطيساً فاذا سألت عن السبب في ذلك لم ترَ الاَّ تغيرًا في وضع دقائق الحديد والمادة هي هي في كلا الحالين وانما الاختلاف في وضع الجواهر وحركاتها · وانك لتستقريءُ ذلك في كثير من المركبات الكيمية خذ الفحم والماس فترى ان عنصرها كربون ولكن الاختلاف العظيم بينهما ناشيءٌ عن اختلاف حركة الجواهر فيهما · والطبيعة كلها شواهد على امكان تحوّل القوى ولا يسعني الوقت ان آتي بامثلة على ذلك لاسيما وقد اصبح ناموس التحول حقيقة يعرفها كل من لهُ المام بالطبيعيات

(٤) تاريخ الفلسفة (وبر)

هذا رأيهم في اصل العناصر وهم يرجعون بذلك الى استمرار القوة وبقائها فيبنون على هذا الناموس ناموس عدم ثبات المتماثل على تماثلهِ ثم يستخلصون من ذلك الحركة الاولى الضرورية لبدء نشوءهم فمن ذلك ان المتماثل لا بد لهُ من الخروج عن طور التماثل الى طور المباينة والاختلاف — نرى ذلك في الطبيعة فانك ايان ذهبت لا يمكنك ان تجد جسماً متماثلة اجزاؤُهُ وما ذلك الاَّ لان التماثل يقتضي التغير فلو فرضنا ان السديم الذي ملأ حيز نظامنا الشمسي وُجد بالاصل متماثل الاجزاء فكل جزء من اجزائهِ لا بد لهُ من حركة تختلف عن حركة غيرهِ بالنسبة الى بعده عن مركز الاجزاء العام . فتحركت اجزاؤُهُ حركات مختلفة نشأَ عنها العناصر الاولية ثم تحرك السديم باجمعهِ نحو الاجزاء الاكثر حركةً اي الاجزاء المركزية فدارت على نفسها وحدث من دورانها علي المركز قوة الدفع عن المركز وصارت المادة تتقلص بالاشعاع فزادت حركتها وزادت بذلك قوة الدفع وما زالت على هذا المنوال حتى انفصلت الحلقات الخارجية لتساوي قوتي الجذب والدفع وتكوَّن بذلك السيارات والاقمار وغير ذلك مما سيأتي تفصيلهُ

ولابلاس ليس اول من رأى ذلك ولكنهُ اول من تحرَّاهُ واسندهُ الى مبادئ فلكية رياضية فوزن الاجرام وقاس الابعاد وطبَّق كل شيء علي ناموس النشوء العام . ولا ارى من حاجة الى الاسهاب في الراي السديمي وهو معروف لدى الصغير والكبير على انهُ لا بد لي من ذكر بعض الاسباب التي حدت بلابلاس وبامثالهِ الى التمسك بذلك الراي المادي والى تطبيق كل شيء عليهِ . من ذلك ما شاهدوهُ في نظامنا الشمسي واليك البيان

(١) ان افلاك السيارات على شكل حلقات اهليلجية مائلة الى الاستدارة مع انهُ كان الاولى ان تكون كافلاك المذنبات مستطيلة . ولا شك ان انحرافها عن الشكل المستطيل ناجم عن علاقة خصوصية بالشمس

(٢) ان افلاك السيارات موازية تقريباً لفلك الشمس مع انهُ كان يجب حسب ناموس الارجحية ان تكون على زوايا مختلفة

(٣) تسير السيارات في افلاكها في ذات الجهة التي تدور بها الشمس على محورها

(٤) ان دوران السيارات على محورها متشابه في الجهة

(٥) ان مسير الاقمار في افلاكها ودورانها علي محورها مشابه لمسير سياراتها ودورانها

فنرى من ذلك انهُ لا بد من علاقة كلية جامعة بين الشمس والسيارات وهذا ما حدا بلابلاس وغيرهِ الى القول بان الشمس والسيارات واقمارها من مادة واحدة تجزَّأت ونشأت

طبقاً لناموس الجاذبيَّة العام · ولكن من اين انت تلك المادة البسيطة وكيف تمَّ لاجزائها ان تتفاعل حسب ناموس الجاذبيَّة ذلك ما اجاب عليهِ الماديون بان المادة ازلية وكذلك قواها وكونها ازلية يقتضي كونها بسيطة وجدت في الفضاء لنفسها ثم تصادمت الجواهر لاندفاعها نحو المركز العام فحدث من ذلك الحرارة ثم تنازلت الحرارة بالاشعاع فظهرت الجواهر المزدوجة كما تظهر الغيوم في الهواء وكانت هذه الجواهر تتحرك نحو مركز الجاذبية العام لكنَّ مسيرها لم يكن في خطوط مستقيمة لان الهيولى لم تكن في شكل كامل التنظيم وهكذا تمَّ لها ان تدور على نفسها

ولزيادة الايضاح نقول · تصوَّر انهُ كان في فضائنا الشمسي جانب عظيم من السديم وُجد بذاتهِ منذ الازل على طريقة لا نعرفها وهب ان ذلك السديم كان مؤلَّفاً من جواهر فردة وكان لتلك الجواهر قوتا الجذب والدفع فلما تفاعلت الجواهر تحوَّل بعض الجاذبية الى حركة وبهذه الحركة اندفعت الجواهر نحو المركز العام وكان معدل اندفاع الواحد منها يختلف باختلاف قوتي الجذب والدفع الحاصلتين من سائر الجواهر فسار بعضها بسرعة عظيمة وسار البعض الآخر بسرعة اقل من سرعة الاول فلما تكوَّنت السيارات بانفصال الحلقات الخارجية تدريجاً لتساوي قوتي الجذب والدفع لم يكن للحلقات الاولى من السرعة ما كان للحلقات الاخرى وعليهِ نرى ان سرعة نبتون وهو الحلقة التي انفصلت اولاً اقل من سرعة عطارد وهو آخر الحلقات · ذلك لان جواهر نبتون لم تقطع في مسيرها نحو المركز العام ما قطعتهُ جواهر عطارد وهذه الزيادة في السرعة مطردة متى سرت من ابعد السيارات الى اقربها من الشمس · فاذا قيل ان ذلك لقصد الغاية منهُ حفظ التوازن العام فهل يا ترى ثمت من قصد في اختلاف سرعة السيارات في دورانها على محورها فان البون عظيم بين زحل وعطارد في ذلك · على ان مبدأ النشوء الطبيعي يفسّر لنا ذلك باجلى بيان طبقاً لناموس تحوُّل القوى فان السيارات التي تدور على محورها بسرعة عظيمة (٥) هي التي اجتازت جواهرها مسافات عظيمة في اقترابها من مراكزها والعكس بالعكس فان السيارات ذوات القدر الصغير والفلك الصغير هي التي لم تجتز جواهرها الَّا مسافات صغيرة في اندفاعها نحو المركز وهكذا لا نرى لها من السرعة في دورانها ما نراه لسائر السيارات وهذا هو المراد من تحول القوى اي انَّ السيارات ذوات القدر الكبير اكتسبت سرعتها العظيمة من حركات الجواهر في مسافات كبيرة بخلاف السيارات الصغيرة فانهُ لم يتسنَّ لجواهرها ان تجري في مسافات كبيرة كتلك

(٥) وهي غالبًا ذوات القدر الكبير والفلك الواسع

هذا هو الفصل الاول من التكوين عند الماديين وخلاصتهُ ازلية المادة والجاذبية العامة وتفاعل الجواهر وتولد الحرارة والنور من ذلك وتكوّن العناصر من اتحاد الجواهر على نُسب وكيفياتٍ مختلفة ثم نشوء الاجرام بالحركة والاشعاع

نعم اذا اعتبرنا ان لا نهاية للمادة في امتدادها فالعوالم لا يمكن ان تكون قد نشأت من تلك المادة نشوءًا ذاتيا ولكن الذهن لا يمكنهُ تصور امتداد المادة الى ما لا نهاية لهُ فلا بد اذن من القول بنهاية للمادة ومتى قلنا ذلك امكننا ان نبني على ناموس تغير المتماثل ناموس التغير من البسيط الى المركب فالاكثر تركيبًا وهذا كلهُ يستخلصونهُ من ناموس استمرار القوة التي لا بد لها من عمل تعملهُ او تغير تحدثهُ لان القوة لا يمكن ان تكون في سكون · ولقد يضيق المقام عن شرح هذا الناموس الاساسي· اما الفصل الثاني من التكوين عندهم فهو ظهور الحياة بعد ما جمدت الارض وصارت صالحة للحياة

البقية تأتي انيس الخوري

هل يوجد الناس في غير الارض

ليس من هذا البحث فائدة عملية على الاطلاق لكن الانسان لا يكتفي بما منهُ فوائد عملية كعلم الحساب وعلم الزراعة وعلم حفظ الصحة بل يتطلب ايضًا ما يغتذي بهِ عقلهُ وتتسع معارفهُ او ما ترتاح اليهِ نفسهُ التي تتوق دائمًا الى اكتشاف المجهولات والوقوف على علل المدركات · وقد قرأْنا منذ ثلاثة اشهر مقالة للدكتور لويس روبنصن في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية موضوعها هل يوجد الناس في غير الارض من العوالم فرأَينا ان نلخصها هنا لان كاتبها طرق الموضوع من باب بيولوجي اي من حيث الفواعل الطبيعيَّة التي دعت الى تولُّد الانسان

قال الكاتب ان المستر الفرد رسل ولس يقول في كتابهِ المعنون بمكان الانسان في الكون *Man's Place in the Universe.* انهُ لا بشر في غير الارض وقال الاستاذ نيوكم الفلكي انهُ يحتمل ان يوجد بين ملايين الكواكب التي ارانا اياها التلسكوب كواكب تجعل السيارات التي تدور حولها صالحة لمخلوقات مثل الانسان· اما انا فسأُبين في ما يلي ان الانسان من الارض ارضيٌّ وان البحث في تاريخهِ يدل على انهُ صار صالحًا للسكن في هذهِ الارض بعد عناء كثير وان في كل جارحة منهُ وفي كل جزء من اجزائهِ جسدًا وعقلاً ادلة على

انهُ من نتاج الفواعل الطبيعية الكثيرة المختلفة كما ان شكل تمثال النحاس ناتج من شكل القالب الذي افرغ فيهِ . فاذا اعتبر ذلك فوجود سيَّار آخر بين السيارات تجتمع فيهِ كل الاسباب التي اجتمعت في ارضنا لتكوين الانسان بعيد الاحتمال جدًّا ولو كانت تلك السيارات تعدُّ بالملايين كما قال الاستاذ نيوكم بل اذا اعتبرنا كل القوى الطبيعيَّة الفاعلة في هذه الارض كالجاذبيَّة وضغط الهواء واختلاف الحرارة والبرودة والرطوبة والنور والظلمة ونحو ذلك مما يطول شرحهُ وتفاعلها بعضها ببعض واعتبرنا ايضًا افعال الاحياء المختلفة فالمرجح انهُ لا يمكن تولُّد الانسان في غير الارض من السيارات ولو كانت شموسها تعد بالملايين

ولننظر الآن الى بعض هذه الاحوال والفواعل الطبيعيَّة التي فعلت بالكائنات الارضية مدة ملايين كثيرة من السنين

فمنذ القدم انقسمت الكائنات الحيَّة الى ما يتناول الاكسجين من الهواء والى ما يتناول منهُ الحامض الكربونيك بمساعدة نور الشمس . والاحياء التي تتناول الحامض الكربونيك هي النباتات وهذه اكتفت بما تجدهُ حولها من الغذاء فقلَّ سعيها وارتقاؤُها ولو صار لها الشأن الاكبر في ارتقاء الانسان لانها جعلتهُ يمهر في حركات يديهِ واستعمال عقلهِ كما سيجيءُ

ثم انقسمت الحيوانات من عهد قديم جدًّا الى ما لهُ سلسلة فقارية وما ليس لهُ . والحيوانات التي ليس لها سلسلة فقارية سبقت في الوجود والارتقاء الحيوانات التي لها ولا يزال بعض انواع الاولى ارقى من بعض انواع القسم الآخر كالعنكبوت والنحل والنمل . وقد اثبت الجيولوجيون ان هذه الحيوانات بلغت هذه الدرجة من الارتقاء قبلما ظهر الانسان على وجه البسيطة . ولكن يمكن ان يقال ان استغناءها عن السلسلة الفقارية لم يكن في مصلحتها لانهُ منعها من زيادة الارتقاء فقد اعتمدت على جلودها لحمايتها وقيام اجسامها فضيقت على نفسها مجال الارتقاء ولا يزال بعضها حتى الآن اذا كبر جسمهُ اضطر ان يشق جلدهُ وينسلخ منهُ ويبقى حينئذٍ مدة ساكنًا خاملاً الى ان يجف جلدهُ الجديد ويقوى ولكن اكثرها اكتفى بالجسم الصغير والعمر القصير غير انهُ اضطرَّ ان يتقلَّب على اطوار مختلفة كما نرى في صيرورة الدود زيزًا وفراشًا فيفقد في الطور الواحد ما يستفيدهُ من الاختبار في الطور الآخر ويتعذَّر عليهِ ان يوصل الى نسلهِ نتائج اختبارهِ وزد على ذلك ان ادمغتهُ صغيرة جدًّا فلا يحتمل ان تحوي الشيءَ الكثير من العقل والاختبار

والظاهر ان بعض الحيوانات الرخوة كانت تسبح في المياه فاتفق ان تصلَّب شيءٌ في وسط ظهرها فساعدها على توجيهِ حركاتها في الماء كيف شاءت وقوَّاها على اخواتها اللواتي لم يكن

تصلبهنَّ في وسط ظهورهنَّ وزاد هذا التصلُّب تنوعًا وارتقاءً باستعمالهِ على كرور الايام فصارت منهُ السلسلة الفقارية · وحينما نشأَت ذوات الفقار افترقت عن اخوانها وسارت في سبيل الارتقاء سيرًا سريعًا

نعم ان بعض الحيوانات الرخوة اي الخالية من الفقار ارتقت ايضًا ولكنها لم تستطع ان تسعى على الارض حيث يعيقها ثقلها عن الحركة كما ترى في الحلازين ولا سيما ما كان منها خاليًا من الاصداف واما في البحر فنمت وقويت كما ترى في انواع الاخطبوط حتى جارت ذوات الفقار

وهنا محكُّ الارتقاء فان الحيوانات انقسمت قسمين قسمًا يعيش في البر وقسمًا يعيش في البحر فلننظر ايهما اقدر على الارتقاء · ويظهر لاول وهلة ان الحيوانات التي بقيت مائية لم تنمُ ادمغتها فان محيطها الماء وهو دائمًا بارد رطب قليل التغير ويتعذر عليها ان تغيرهُ او تنوعهُ فلم ينفسح لها المجال لاستعمال قواها وترقيتها · وتكثر الحيوانات الآن في المياه الكثيرة الغور وقد كان الامر كذلك في الازمنة الغابرة ومعلوم ان المد والجزر شديدان في بعض الاماكن فيرتفع ماء البحر ويغمر ارضًا واسعة من ساحلهِ ثم ينحسر عنها وذلك مرتين في كل يوم · والمد والجزر ناتجان من جذب القمر وقد كان القمر في العصور الغابرة اقرب الى الارض منهُ الآن فكان فعلهُ اقوى ولذلك كانت مياه البحر تغمر ارضًا فسيحة ثم تنحسر عنها فيبقى فيها كثير من حيواناتها فتضطر ان تعيش مدة في البر وتتنفس من هوائهِ فما استطاع منها تنفس الهواء بقي حيًّا واخلف نسلاً وما لم يستطع التنفس مات وانقرض نسلهُ وحدث مثل ذلك في الانهار والبرك والبحيرات التي كانت تجف في بعض فصول السنة فتولَّد من الحيوانات المائية حيوانات برية[1] وهي الاصل الذي تولَّد الانسان منهُ

فلا يتولد انسان في سيار آخر كما تولَّد في الارض ما لم يكن في ذلك السيَّار بحار واسعة قريبة الغور مثل بحار الارض وما لم يكن لهُ قمر مثل قمر الارض يرفع ماءهُ ويخفضهُ حتى تتولد فيهِ حيوانات برية من حيواناتهِ البحرية · ولا تزال في الانسان آثار خياشيم الحيوانات البحرية وآثار فعل القمر الى الآن كما بيَّن داروين

الَّا ان الحيوانات المائية لم تصر برية دفعةً واحدة بل كانت في اول الامر تعيش في الماء واليابسة معًا ومرَّت ادهار وهي كذلك ونما بعضها نموًّا عظيمًا تفرعت اشكالها وتعددت انواعها وتولد منها فصيلتان كبيرتان وهما ذوات الثدي والطيور

(١) [المقتطف] وكل الحيوانات في الدور الاول من حياتها الجنينية مائية تعيش سابحة في سائل ثم ترتقي رويدًا رويدًا الى ان تصير هوائية ولا يستثنى الانسان منها

اما ذوات الثدي ففي قلب كلٍّ منها اربع غرف او بطينات ورئاتها كبيرة تساعدها على تناول مقدار كبير من الهواء ولذلك صار دمها يتطهَّر بسهولة ويغذي اعضاءها المختلفة ويخفي من شدَّة تأكسدهِ وسرعة حركتهِ وهذه درجة عالية في سبيل ارتقائها ولذلك لم تعد حرارتها متوقفة على حرارة ما حولها كاسلافها فاستفادت اعضاؤُها الداخلية وقلوبها وادمغتها من حرارة دمها كما يستفيد النبات من حر الصيف ونتج عن ذلك او ترتب عليهِ انها صارت تلد اولادها ولادة ولكن اولادها كانت عرضة لافتراس الزحافات الكبيرة التي كانت الارض تعج بها في تلك العصور · والغريب انهُ بقي احد منها حيًّا وهي صغيرة مستضعفة واعداؤُها كبيرة قوية شرسة ولا سلاح يقيها منها لكن حرارة دمها المملوء بالاكسيجين نجَّت بعضها فانها جعلتها سريعة الحركة ثم ان دماغها كان يتغذى بسرعة مما يرد اليهِ من الدم المطهَّر فصارت سريعة الادراك كثيرة الحيلة في الهرب والهجوم والدفاع

قلنا ان صغار الحيوانات البرية صارت تولد ولادة وكانت في صغرها قليلة الحول والحيلة لا تستطيع ان تتناول غذاءها مما حولها · والظاهر ان الطبيعة جرَّبت سبلاً مختلفة لتغذية اولئك الصغار ولا يزال بعضها مستعملاً الى الآن ولكن اكثرها شيوعًا واوفاها بالمراد ارضاع الصغير من ثدي امهِ فلما صارت الام ترضع طفلها صارت تعتني بهِ وتعلمهُ اي توصل اليهِ اختبارها وحينئذٍ صار اختبار الحيوان الواحد الذي يختبرهُ في حياتهِ يعلمهُ لنسلهِ فازداد الحيوان اختبارًا بهذه الواسطة عقبًا بعد عقب وهذا يصدق ايضًا على القسم الثاني من ذوات الدم الحار اي الطيور فانها تبيض بيضًا ولكنها تعتني بفراخها وتربيها وتعلمها والمرجح ان الطيور سبقت ذوات الثدي اولاً في سلم الارتقاء ولا تزال ارقى من ذوات الثدي من حيث بناء اجسامها ولكن هذا الارتقاء الجسدي اوقف ارتقاءها العقلي لان طيرانها سهل عليها كسب المعيشة وتجنب المخاطر فلم تعد تجهد ادمغتها فهي اشبه باولاد الاغنياء الذين يجدون حولهم من الراحة وسهولة المعيشة ما يمنعهم عن السعي والجد فيسبقهم اولاد الفقراء الذين تضطرهم الفاقة الى الاجتهاد والكدح · والآن اذا استثنينا الانسان فلا حيوان يفوق الطيور ارتقاء ولا ندري ماذا كانت تكون حالة الارض الآن لو توفقت الطيور بدل الانسان الى التفوُّق عقلاً

ويظهر من آثار الحيوانات التي وجدت في طبقات الارض ان اللبونة او ذوات الثدي الاولى كانت مثل الابسُّم وانها كانت تتسلَّق الاشجار هربًا من اعدائها ولا غرابة في ذلك لان الارض كانت مملوءة بالتنانين الكبار من انواع الزحَّافات الشديدة النهم

والحيوانات التي تتسلق الاشجار تفعل ذلك على اسلوبين فان القسم الاكبر منها تنمو مخالبهُ وتطول حتى يتمكن بها من الالتصاق بسوق الاشجار واغصانها والقسم الاصغر تنمو اصابعهُ حتى يقبض بها على الاغصان . ولا ندري الآن ما هو السبب الذي جعل بعض الحيوانات تطول اظافرهُ وبعضها تطول اصابعهُ ولكن كان لطول الاصابع شأن كبير في تولُّد الانسان فاذا كان في ايدي الحيوانات او ارجلها مخالب تتمسك بها لم تفدها المخالب الاَّ في التعرُّش والتمسك واما اذا كان لها اصابع متينة تسهل حركتها فانها لا تكتفي بالتعرُّش والتمسك بل تصير تنتقل من غصن الى آخر بسهولة . والمرجح انهُ لما صار بعض هذه الحيوانات يتعرَّش باصابعهِ وينتقل بها بين اغصان الاشجار لم يعد يهتمُّ بالنزول الى الارض بل صارت اصابع يديهِ ورجليهِ تعيقهُ عن المشي والجري فصارت معيشتهُ في الاشجار يأكل ثمارها ويتفيأُ ظلالها ويتقي بها الدبابات المفترسة التي تدبُّ على الارض كما تفعل بعض طوائف القرود الآن فنما وكبر جسمهُ اما ذوات المخالب فلم يسهل عليها البقاء في الاشجار فبقيت اكثر معيشتها على الارض كالدب والنمر ولا يقيم في الاشجار منها الاَّ الصغير الجسم الخفيف الحركة كالسنجاب

قلنا سابقًا ان النبات يأخذ الحامض الكربونيك من الهواء ويغتذي بكربونهِ بواسطة نور الشمس وما الاشجار سوى نباتات جمعت في جسمها مادة خشبية وطالت وتفرَّعت لكي تتناول الحامض الكربونيك من الجو وتتعرَّض لاكثر ما يكون من نور الشمس وجمعت في جسمها مادة خشبيَّة صلبة تمكنها من الانتصاب والارتفاع . والشجرة التي تعلو اكثر من غيرها وتعرض الجانب الاكبر من اوراقها للهواء ونور الشمس تتناول المقدار الاكبر من الحامض الكربونيك وتستخدمهُ في بناء جسمها فاذا تغيَّر الهواء او تغيرت التربة او الرطوبة او غير ذلك من الاحوال التي تنمو فيها الاشجار لم يصر النبات شجرًا بل بقي نجماً او هشيمًا ولذلك لا توجد الحراج الطبيعيَّة على كل بقعة من وجه الارض ولو كانت تربتها خصيبة كما ترى في مروج روسيا واميركا فانها كثيرة النبات ولكن لا شجر فيها اي ان نباتها لم يطمع في ان يصير شجرًا كبيرًا ولو كانت ارضنا كلها مثل مروج روسيا واميركا لما امكن نشوء الانسان فيها

واذا اعتبرنا فضل الاشجار علينا لم نستغرب عبادة الناس لها وعندي ان مهارة بعض الناس في الحساب نتجت اصلاً من تقدير اسلافنا المسافات التي كانوا يقطعونها في وثبهم من غصن الى آخر حين كانوا يسكنون الاشجار لان الانتقال بين الاغصان ليس كانتقال الماشين على الارض بخطى متماثلة متساوية بل يلزم لكل نقلة منهُ نظر وتقدير وتدقيق لاختلاف بعد الاغصان وميلها بعضها على بعض فكانت دقائق الدماغ تضطرُّ ان تفعل

فعلاً متواصلاً في تقدير تلك المسافات واعداد القوة العضلية اللازمة لقطعها وذلك التقدير من الاعمال الحسابية الدقيقة ولكن الدماغ يفعلهُ من غير ان يشعر بهِ كما تفعل المعدة افعالاً كيماوية كثيرة لهضم الطعام على غير علم منا. ولعلَّ هذه القوة الحسابية الباقية في ادمغتنا من العصور الاولى هي التي تظهر احياناً في بعض النوابغ فتجعلهم يعملون اعمالاً حسابية عقلية غريبة تظهر كانها من المعجزات. ثم ان الحيوان الذي يقيم في الاشجار لا يضطر ان تقوى فيهِ حاسة الشم ليتقي بها اعداءهُ ولذلك تجد ان هذه الحاسة اقوى في ذوات الاربع منها في الناس وطوائف القرود. ولا تضطر الحيوانات التي تقيم في الاشجار ان تقوى فيها حاستا السمع والنظر ولذلك فالسمع والنظر اقوى في اكثر الحيوانات منها في الانسان. الاَّ ان ضعف هذه الحواس في الانسان افادهُ ولم يضرهُ لانهُ لما نزل الى الارض ولم يستطع ان يقتفي اثر طريدتهِ برائحتها اضطر ان يعتمد على عقلهِ ويديهِ فاستنبط الآلات والادوات لصيد الطرايد واتقاء الاعداء. ومهما كان الانسان منحطًّا في حال الهمجية تجد في مصايدهِ واشراكهِ التي يقتنص بها الحيوانات من دلائل التعقل والتخيل والتقدير ما لا تجدهُ في اعمال بعض المتمدنين

ولقد كان الانسان في كل العصر الحجري حين كان يستعمل قطع الصوان سلاحاً معرضاً للموت جوعاً من قلة الطعام ولا سيما اذا قلَّ الصيد فكان امهرهُ في صيد الوحوش اقدرهُ على المعيشة واخلاف النسل والمهارة في الصيد تقتضي استعمال العقل والحيل والذين عجزوا عن ذلك ماتوا جوعاً وانقرض نسلهم

والحاجة هي التي قوَّت مدارك الانسان ووسعت حيلهُ فلو كان مكتسياً من اصلهِ كالطيور لما اهتم بعمل اللباس ولا وصل الى ما وصل اليهِ من الحضارة ولو كان قادراً على الطيران مثلها من اصلهِ لوجد الطعام والامن ميسورين لهُ وبقي مثل الطيور على الاكثر

هذا وفي الامكان ذكر امور اخرى كثيرة لو لم تتوفَّر للانسان لما صار انساناً فاذا توفرت هذه الفواعل كلها (التي ذكرت منها والتي لم تذكر) في سيَّار آخر من سيارات الكون وكان في ذلك السيار كل ما في الارض من الاحوال الجويَّة وكل ملابساتها التي تعدُّ بالالوف وفعلت هذه الفواعل في احياء وجدت في ذلك السيار كالاحياء الارضيَّة حين وجدت فالمرجح ان تلك الاحياء ترتقي ولكن يبقى احتمال تولد انسان منها بعيداً جدًّا لان العبرة الكبرى ليست بالفواعل بل بالمادة المنفعلة فالفواعل الطبيعية التي فعلت على الاحياء الارضية فعلت عليها كلها ولكنها لم تكوّن منها الاَّ انساناً واحداً ولم تكوّن نوعين متماثلين تماماً فان كان في الكون خلائق عاقلة فهي مختلفة عن نوع الانسان

اسامة بن منقذ وابن السلار

الفتنا احد الفضلاء الى خطإٍ في الصفحة ٤٨٣ من الجزء السادس حيث خطأنا الامير اسامة بن منقذ الكناني في زمن الملك العادل. والصواب ماذكرهُ اسامة لان الملك العادل الذي دخل اسامة في عهدهِ هو ابن السلار وزير الخليفة الظافر بالله وكان يلقب بالملك العادل وهو غير الملك العادل الذي خلف الملك الصالح. فنشكرهُ على تنبيهنا الى اصلاح هذا الخطإ

ومن رأى هذا الفاضل ان الامير اسامة كان داهية مكّارًا وهو السبب في قتل الخليفة الظافر واخوتهِ والملك العادل وربيبهِ عباس بن ابي الفتوح وابنهِ نصر مستنداً في ذلك كلهِ الى ما رواهُ ابن الاثير في حوادث سنة ٥٤٨ و ٥٤٩ فقد ذكر في تاريخ السنة الاولى ان في المحرم منها قُتل الملك العادل بن السلار باغراء الامير اسامة بن منقذ الكناني وموافقة الخليفة الظافر بالله العلوي فان الامير اسامة اغرى بقتله عباساً بن ابي الفتوح بن يحيى الصنهاجي وكان الملك العادل قد تزوج بام عباس هذا بعد قدومها الديار المصرية من المهدية ووفاة زوجها فامر عباس ولدهُ نصرًا فدخل على الملك العادل وهو عند جدتهِ وقتلهُ وولي عباس الوزارة بعدهُ

وذكر في حوادث سنة ٥٤٩ ان اسامة احفظ نصرًا هذا ابن الوزير عباس على الخليفة الظافر بالله بكلام قبيح فاستدعى نصر الخليفة الى دارهِ وقتلهُ هو واتباعهُ ثم مضى ابوهُ الى دار الخليفة وقتل اخويهِ يوسف وجبريل وغنم اموالهُ وجواهرهُ وفرَّ بابنهِ وبالامير اسامة الى بلاد الشام من وجه الملك الصالح الذي جاء من منية ابن خصيب للطالبة بدم الخليفة فوقعوا في يد الافرنج فقتلوا عباساً واسروا ابنهُ فافتداهُ منهم الملك الصالح وقتلهُ وصلبهُ على باب زويلة اما اسامة فنجا بنفسهِ ولم ينلهُ الافرنج بسوءٍ . ومن راي الفاضل المشار اليهِ آنفاً ان اسامة هو الذي اغرى الافرنج حتى اوقعوا بعباس وابنهِ ولولا ذلك ما نجا بنفسهِ منهم

ولم يكن ابن الاثير معاصرًا لاسامة فهو ناقل ما رواهُ فاذا لم يكن للمؤرخين الذين نقل عنهم غرض من الوقيعة باسامة فيكون هذا الرجل داهية من الدواهي لا سيما وانهُ لم يذكر الملك العادل في كتابهِ لباب الآداب الا قال رضي الله عنهُ او رحمهُ الله . وكتابهُ خالٍ من كل تحريف وتحشية لانهُ نسختهُ الاصلية وآدابهُ رائعة جدًّا فلما يحتمل صدورها من رجل لئيم يسعى في قتل مَن احسن اليهِ وينمُّ النمائم الفاسدة السمجة . وواضح مما ذكرهُ

ابن خلكان انهُ كان لاسامة اناس يمدحونهُ كالعماد الكاتب الذي لقيهُ وكان يتمنى ابدًا لقياهُ ويشيم على البعد محياهُ . واناس يذمونهُ كمن قال ان العادل بن السلار احسن اليهِ فعمل هو على قتلهِ . والظاهر ان ابن الاثير اعتمد على رواية هذا الاخير

وقد ابنَّا في اول مقالة كتبناها عن كتابهِ لباب الآداب في المجلد الثاني والثلاثين من المقتطف انهُ عارض الراغب الاصبهاني صاحب كتاب محاضرات الادباء وخالفهُ فبينا ترى الاصبهاني يذكر آيات الطاعة واحاديث الخضوع ترى اسامة يذكر آيات اللين للرعية ومشاورتها واحاديث العدل فيها والبر بها . اي ان الاصبهاني كان يدعو الى الحكومة المطلقة واسامة الى الحكومة المقيدة فلا يبعد ان يكون مذهبهُ السياسي هذا قد حمل بعض المتزلفين الى الملوك والولاة فانتقصوهُ واغتابوهُ . وليس لدينا الآن ادلَّة قاطعة على صحة هذا الاستنتاج ولكنهُ اولى من اتهام امير اديب مثل اسامة لقيهُ العماد الكاتب وذكرهُ بالتجلَّة والاكرام تهمةً شنعاء يترفَّع عنها غير الاخساء ألا وهي الاساءة الى من احسن اليهِ . اما اذا وجدت ادلَّة صريحة على انهُ كان كذلك واصحابها عدول ومن معاصريهِ لزمنا التسليم بها لان الافعال كثيرًا ما تخالف الاقوال وما هذا خاص بالشعراء والامراء كما قال ابن الرومي

يقولون ما لا يفعلون مسبة من الله مسبوب بها الشعراء
وما ذاك فيهم وحدهُ بل زيادة يقولون ما لا تفعل الامراء

بل يشترك فيهِ كثيرون من كل طوائف الناس بطباع مخلوقة فيهم موروثة من اسلافهم

ولن يستطيع الدهر تغييرَ خلقهِ لئيم ولن يسطيعهُ متكرّمُ
كما ان ماء المزن ما ذيق سائغٌ زلال وماء البحر يلفظهُ الفمُ

وكم من رجل تراهُ من اعلى الكتَّاب كعبًا واقدرهم على النصح والارشاد وهو مع ذلك لا يفتر عن الدسائس والفتن ولو على غير قصد الشر والاضرار بالناس ولله في خلقهِ شؤُون

وخلاصة المقال اننا نشكر حضرة الفاضل الذي الفتنا الى الخطإ في تاريخ الملك العادل اما كيفيَّة وقوع هذا الخطإ فمن انواع الذهول التي يحسن ان نفرد لها فصلاً نشرحها فيهِ شرحًا وافيًا . ويظهر لنا ان ما نسب الى اسامة من اللؤْم غير قرين الصحَّة لان اقوالهُ واقوال العماد الكاتب الذي لقيهُ تنافيهِ فاذا عثر احد القراء على ادلة قاطعة تؤيد ذلك او تنفيهِ فليتكرَّم علينا بها ولهُ الشكر

اسباب الاحتلال البريطاني

(٦)

تقدم في الجزء الماضي ان شريف باشا رضي بتأليف الوزارة وكان قبلاً يكره الاستعانة بالاوربيين لكنهُ رأى الآن ان لا بدَّ للحكومة الخديوية من الابقاء على المراقبين الاوربيين لان المراقبة افادت في توطيد دعائم المالية فاجابهُ الخديوي الى ذلك وظهر كان وزارة شريف باشا قبضت على ازمة الحكومة ولكن عرابي كان قد نشر منشورًا في ٩ سبتمبر اكّد فيهِ لقناصل الدول انهُ هو ورفاقهُ يحمون مصالح كل رعايا الدول المتحابة ووقّعهُ هكذا احمد عرابي نائب الجيش المصري كأن كل السلطة في يدهِ ويد الجيش · ومن رأي السر تشارلس كوكسن والسر ادورد ملت ان عرابي ورفاقهُ كانوا يتظاهرون بالقوة خوفًا من بطش الخديوي بهم وان كل كلمة كانوا يقولونها وكل فعل كانوا يفعلونهُ يدل على انهم كانوا خائفين من ان يؤخذوا على غرة ويُنتقم منهم· وقد صرَّح عرابي بذلك في منشور بعث بهِ الى وكلاء الدول وقال بعد ذلك انهُ سمع ان الحكومة صنعت ثلاثة اقفاص من الحديد لكي تضعهُ فيها هو ورفاقهُ وتغرقهم في النيل· ومن كان هذا اعتقادهُ لا يستغرب منهُ ان يستبسل في الدفاع عن نفسهِ . وكان الواجب ان يعامل هو ورفاقهُ بالصرامة او بالرأفة ولكن على اسلوب يقنعهم ان لا غدر في معاملتهم ولا عداء · وكان الواجب على الخديوي ان يعلم ان اول اشارة يظهر منها انهُ قد يغدر بهم تحملهم على الاعتقاد انهُ عازم على ذلك فعلاً لان الناس لم يكونوا قد نسوا ما حلَّ باسمعيل باشا المفتش وغيرهِ من الذين أُخذوا غدرًا· وطالما حذَّر رياض باشا الخديوي من ان يقول كلمة او يشير اشارة تثير الظنون في نفوس اولئك الرجال· ولا يحتمل ان الخديوي كان يقصد الغدر بهم ولكن لا يبعد انهُ لو استطاع لجعلهم يرون غيظهُ منهم بطريقة من الطرق ولو كان قد عفا عنهم · وقد اشار عرابي في منشورهِ الى دسائس يوسف باشا كامل وابرهيم اغا توتنجي الخديوي وقال انهما يبذران بذور الشقاق ولذلك فالسبب الاكبر للتمرُّد الذي حدث في ٩ سبتمبر هو الخوف ولو كانت لهُ اسباب أُخرى في الاميال الوطنية والدسائس الخارجيَّة

هذا هو التمرُّد الثالث وقد نال بهِ الجيش اكثر ممَّا نال في الاول فقوي ساعدهُ· فالتمرد الاول انتهى باسقاط نوبار باشا ولم يكن الخديوي يريد بقاءهُ· والثاني انتهى باسقاط عثمان

باشا عزمي ناظر الحربيَّة والثالث باجابة الجيش الى مطالبهِ التي طلبها بحد الحسام ولم يكتفِ باقل من تغيير الوزارة كلها فزالت هيبة الحكومة من صدور الجيش وفقد الخديوي كل سلطة وصار بقاء الوزارة متوقفاً على رغبة المتمردين

ورأَى الباب العالي حينئذٍ انهُ قد حانت الفرصة لتعزيز سيادتهِ على القطر المصري وكان عرابي قد بعث اليهِ عريضة يقول فيها ان مصر وقعت في يد الاجانب واذا لم تتداركها الدولة العلية حلَّ بها ما حلَّ بتونس . وشاع حينئذٍ ان المراد اعطاء مصر حكومة نيابيَّة والسلطان يكره ذلك ثم شاع ان في النية انشاء مملكة عربية تضم القطر المصري والقطر الشامي ولذلك خطر للباب العالي ان يرسل جانباً من جيشهِ الى القطر المصري وأُعدت المعدَّات في اوائل سبتمبر سنة ١٨٨١ لارسال هذا الجيش وكانت فرنسا تكره ذلك وانكلترا لم تكن تودُّهُ الاَّ اذا اشتدَّت الحاجة اليهِ ولكنها لم ترَ مانعاً من ارسال قائد عثماني الى مصر ليساعد الخديوي اذا وافقت فرنسا اما فرنسا فلم توافق مخافة ان يأُول ذلك الى ارسال جيش عثماني الى القطر المصري فاضطرت انكلترا ان توافقها واوعزت الى سفيرها لورد دفرن ان يقنع السلطان بالعدول عن هذا الرأي . ولكن كان لا بدَّ من وسيلة لتقوية سلطة الخديوي فارتأَى جلالة السلطان ان يرسل علي فؤاد بك وعلي نظامي باشا لكي يقدما الى الخديوي سلام جلالتهِ ويساعداهُ في الرأي لكي لا تتعطَّل مصالح الدولة العلية في مصر والحجاز فأُرسلا ووصلا الاسكندرية في ٦ اكتوبر واستاءت الحكومة الفرنسوية من ذلك وأَمر السر ادورد ملت والمسيو سينكفتس ان يقابلا المعتمدين العثمانيين بالاكرام ولكن يمنعا كل مداخلة منهما في شؤُون مصر الداخلية ورأَت دولتاها ان لا بدَّ من ارسال مركبين حربيين الى الاسكندرية تطميناً للافكار فكان لذلك ضجة كبيرة في الاستانة وقيل فيها ان الغرض من ارسالها اثارة الفتن في كل البلاد العربيَّة . ولم يكن الخديوي يعلم الغرض من ارسال المعتمدين العثمانيين وقال شريف باشا ان خير الامور تقصير مدة اقامتهما في القطر المصري وعرابي نفسهُ لم يكن يودُّ ان تتداخل تركيا في شؤُون مصر الداخلية لاسيما وان الغرض الاول من الثورة العسكرية هو التخلص من الضباط الاتراك ولذلك قال انهُ يرضخ للاوامر ويقوم بالالايهِ الى السويس

واستعرض علي نظامي باشا الجيش في العاصمة وخاطب الضباط قائلاً ان الخديوي هو نائب السلطان ولذلك فمن يعصيهِ يعصي السلطان والحت فرنسا وانكلترا برجوع هذين المعتمدين من القطر المصري وطلب الباب العالي ان يبرح المركبان الحربيان ايضاً ثغر

الاسكندرية ووقع الخلاف هل يبرح المركبان اولاً او المعتمدان اولاً وخاطب موزورس باشا سفير تركيا لورد غرانفل في ذلك فقال لهُ لورد غرانفل ان المركب الانكليزي برح مالطة ولا يصل الى الاسكندرية قبل ١٩ اكتوبر وهو يحسب ان المعتمدين يبرحان الاسكندرية قبل ذلك وأمر لورد دفرن ان يخبر السلطان ان المركبين يبرحان الاسكندرية في اليوم الذي يبرحها فيهِ المعتمدان

قال لورد كرومر انهُ اسهب في ذكر هذه الحادثة لانها تدل على حالة المسألة المصرية من حيث المداخلة الخارجيَّة فان مداخلة تركيا في شؤون مصر لم تكن تسلم من الاعتراض وكذلك مداخلة انكلترا وفرنسا لم تكن تسلم من الاعتراض وكانت انكلترا ميالة الى التسليم بمداخلة تركيا ولكن اتفاقها مع فرنسا منعها من ذلك وكانت الحكومتان الانكليزية والفرنسوية تودان ان تعملا بالاتفاق التام الاَّ ان فرنسا كانت تكره ان يزيد نفوذ تركيا في مصر وتقاوم ذلك بكل قوتها وتقول انهُ اذا كان لا بد من ارسال جيش الى مصر فليكن انكليزيًّا وفرنسويًّا واما انكلترا فكانت تقول انهُ اذا كان لا بدَّ من ارسال جيش الى مصر فهي تفضل ان يكون عثمانيًا على ان يكون انكليزيًّا وفرنسويًّا ثم اضطرَّت ان تجاري فرنسا على رغبتها . وقد ذكر لورد كرومر ذلك آسفًا ولام حكومتهُ لانها لم تنظر الى ارسال المندوبين العثمانيين بعين الرضي تمهيدًا لتعزيز سلطة الجيش العثماني في حفظ النظام اذا دعت الحاجة اليهِ . وقال ان عمل الحكومة الانكليزية اضعف عزيمة السلطان واقنعهُ انها معادية لكل مداخلة عثمانية ولذلك صارت المداخلة الانكليزية فرضًا لازمًا عليها

هذا ونحن نلخص هذهِ السطور من كتاب لورد كرومر بعد اعادة القانون الاساسي الى البلاد العثمانية ويقيننا انهُ لو كان القانون الاساسي جاريًا حينئذٍ والحكومة العثمانية في يد مجلس نوابها جارية مجرى العدل كما ينتظر منها لطفئت الثورة العرابية في ظرفة عين او لما اعترضت فرنسا اقل اعتراض على اخمادها بجيش عثماني او (وهو الارجح) لما حدثت ثورة ولكان العثمانيون والمصريون اخوة في السرَّاء والضراء وهذا الذي نرجوان يتم في القريب العاجل

وشواهد لورد كرومر وادلتهُ مقنعة على ان فرنسا هي التي اوجبت على الانكليز احتلال مصر وان الانكليز كانوا يفضلون ان تحتل البلاد جنود عثمانية ان كان لا بد من احتلالها بقوة عسكرية وهو مع ذلك يلوم الحكومة الانكليزية لانها انقادت لرأي فرنسا

ثم عاد الى سياق الحديث فقال ان السر ادورد ملت قال بُعيد ٩ سبتمبر ان الخديوي لم

يعد يثق بضباط جيشهِ ومن ثم تُفهم الخطة التي جرى عليها بعد ذلك لانهُ صار يقول ان البلاد لا تستريح ما لم تكسر شوكة الجيش فزاد النفور بينهُ وبين الجيش والحزب الوطني

اما شريف باشا فرأى مداواة العلة بالسياسة وذلك بفصل الحزب الوطني عن الجيش وقال للسر ادورد ملت ان في عزمهِ جمع مجلس الاعيان وجعلهُ نائبًا حقيقيًّا عن الامة فينزع من الجيش السلطة التي حازها اخيرًا ويصير الاعيان قوة نيابية في البلاد يعتمد عليها الخديوي وحكومتهُ في مقاومة مطالب الجيش . وصدر امر خدوي في ٨ اكتوبر بجمع مجلس الاعيان في ٢٣ دسمبر . واختصاصات هذا المجلس معينة في قانون اسمعيل باشا الذي صدر سنة ١٨٦٦ ولج عرابي في ان يوسع اختصاص هذا المجلس لكن شريف باشا لم يجبهُ الى طلبهِ فرضي وترك الامر في يد شريف باشا . الاَّ ان الاعيان انفسهم كانوا يريدون ان يوسَّع اختصاصهم . والظاهر مما كتبهُ السر اكلند كولفن في هذا الموضوع انهُ هو لم يكن مخالفًا لذلك بل كان يحسب ان توسيع اختصاص مجلس الاعيان يعود بالفائدة على البلاد وقال انهُ كان عازمًا ان ينصح لشريف باشا ليفعل ذلك

اما عرابي فكان قد صار صاحب الامر والنهي ولما أُمر بالذهاب مع الايهِ خرج من العاصمة كانهُ ملك من الملوك وقوبل باحتفال عظيم في محطة سكة الحديد فخطب في الجيش وقال ما معناهُ — نرى امام مصر الآن عصرًا جديدًا من فضل القائمين بالاعمال الذين يجب ان نثق بهم تمام الثقة وقد جاءت ساعة النجاح والفلاح فلنعترف بالفضل لاعضاء الوزارة الحاضرة ولا سيما محمود باشا سامي ناظر الجهادية وارجو ان تفهموا مقدار الفخر المحفوظ لجيش منظَّم متحد يسعى الى غاية واحدة وهي مصلحة وطنهِ ففي ايديكم قوة واذا كنتم متحدين فلا شيءَ يقوى عليكم

ولما وصل الى الزقازيق وجد الف نفس في انتظارهِ جُمعوا للاحتفال بهِ فقابلوهُ بالتهليل والابتهاج فخطب فيهم حاثًّا على الاصلاح وناقمًا على الحكومة لاستخدامها الاوربيين في مصالحها وقال ان في العاصمة ثلاثة الايات مستعدة لعمل ما يأمرها بهِ

الاَّ ان عرابي لم يكن يبدي هذا العداء للاوربيين في احاديثهِ السرية كما كان يبديهِ في خطبهِ العلنية فقد قابل السر اكلند كولفن في اول نوفمبر هو وعلي بك فهمي وطلبة بك عصمت فوصف عصر المماليك وقال ان العائلة الخديويَّة مثل المماليك في ظلم الوطنيين من اولاد العرب وان المصريين لا يأمنون على ارواحهم واموالهم فيسجنون وينفون ويخنقون ويرمون في النيل وتنهب اموالهم والعبد المعتوق اكثر حرية منهم واجهل رجل من الاتراك يفضل

على افضل رجل من المصريين وذكر حادثة اسمعيل باشا المفتش ثم جعل يبيّن كيف ان الناس كلهم من اصل واحد وانهم كلهم متساوون في الحقوق واسهب في الكلام وكان كلامهُ بسيطاً لا كلفة فيهِ ولا تصنُّع دليلاً على انهُ محض اعتقادهِ . ثم قال انهُ في اول فبراير انقضت سلطة الشراكسة في مصر وفي ٩ سبتمبر قام مقامها عصر العدل والقانون وهو والجيش معتمدون على العدل والقانون . ونفى ما يقال من انهُ يودُّ التخلص من الاوربيين سواء كانوا نزلاء او موظفين وقال انهُ لا بدَّ منهم لتعليم الشعب وانهُ هو ورفيقاهُ لم يدخلوا مدرسة ولكنهم تعلموا وتفقهوا من معاشرة الاوربيين وهو والجميع يشعرون بحاجتهم اليهم ولا يعترضون على استخدامهم في وظائف الحكومة بل ان كانت وظائف الحكومة تستدعي ان يزاد عددهم فيها فاهلاً ومهلاً بهم

وقال السر اكلند كولفن انهُ رأى في حديث عرابي هذا انهُ مخلص محب للمسالمة وهو شديد العزيمة ولكن رفيقيهِ اقدر منهُ على العمل ولو كان هو اقدر منهما على القول وهما يسكّنان ثائرهُ اذا بلغت منهُ الحدة مبلغاً يخشى منهُ

وحدث في تلك الاثناء حوادث كثيرة دلّت على ان الجيش لم يعد يطيع اوامر رؤسائهِ وهاجت الافكار بما كان يكتب في الجرائد المحلية من مقالات التهييج والطعن على الاوربيين وكان لكلامها وقع في النفوس لان بعض ما كانت تقولهُ صحيح لا ريب فيهِ

وختمت سنة ١٨٨١ والخديوي مستاء مما لقيهُ من الاهانة في ساحة عابدين يوم احاط بهِ الجيش بسلاحهِ ومنتظر فرصة لاسترجاع سطوتهِ وشريف باشا يحاول تسكين الخواطر بسياستهِ ولكنهُ عاجز عن كبح عناصر الاضطراب بعد اطلاق عنانها . وعرابي المتسلط الحقيقي في البلاد والجيش يحمي ظهرهُ فجُعل ناظرًا للحربية في اوائل سنة ١٨٨٢ لكي يكون مع الحكومة لا عليها . والناس عموماً متذمرون من الحالة الحاضرة ولكن الاتفاق لم يكن تاماً بين الحزب الوطني والجيش . والجرائد المحلية تثير العواطف ضد الاوربيين . وزاد الضباط رفعةً في عيون الشعب حتى حسبوا ان الحول والطول في يدهم واختل نظام الجيش رويداً رويداً . واحدث اثنان من رجالهِ شغباً في اوائل نوفمبر فقبض البوليس عليهما فاتى رفاقهما وانقذوهما من قبضة الحكومة عنوةً . ثم عزمت الحكومة ان تغير امير الاي الطبجية المقيم في القاهرة فلم يقبل رجالهُ بذلك وقالوا انهم لا يطيعون اوامر امير الاي آخر غيرهُ . وقد تغلّبت الحكومة عليهم ولكن بعد ان اعطتهم مطالب اخرى . واظهر الجنود الذين في السويس شيئاً من التمرُّد . وهذه الامور وامثالها دلّت على انهُ لم تبقَ قوة في مصر يمكن الاعتماد عليها

(ستأتي البقية)

الطفل

اذا اهدى الالهُ لك البريَّة فان الطفل افضلها هديَّه
ملاكٌ صالحٌ بالنوم يقضي نهارًا مثلما يقضي العشيه
سمات الظهر قد رُسمت سطورًا تترجمها أسرَّتهُ الجليه
اذا كان الخلائق مثل طفلٍ فان حياة دنيانا هنيه
لهُ مهد الدلال قد افترشنا لكي نحظى بطلعتهِ الرضيَّه
برأس بالوسادة ظلَّ مغرًى فبينهما دوام الجاذبيه
تحفُّ بهِ الطهارةُ في سريرٍ تحييهِ ولا يدري التحيه
لشدَّ قماطهِ قد طاع امرًا وآدم قبلهُ نقض الوصيه
ويرضع ثديَ أمٍّ باقتناعٍ وما طمع الفتى الاَّ بليه
يكفُّ لسانهُ عن قول سوءٍ لأنَّ لساننا شرَك المنيه
ويلبس أذنهُ عن كل قولٍ فريٍّ في الشؤُون العالميه
فكم من حولهِ تجري قضايا وليس بعالمٍ منها قضيه
فمن حضن الحنون الى سريرٍ تنقَّل جاريًا حسب المشيه
وليس بعارفٍ خيرًا وشرًّا تعرَّى او تردَّى السندسيه
رضاعٌ ثم نومٌ ثم ضحكٌ ترى فيها لبنيتهِ مزيه
نمت عضلاتهُ شيئًا فشيئًا نموَّ العقل في حالٍ خفيه
ومهما أتعب الأبوين طفلٌ فذاك اللذُّ ما كسبا عطيه
ففيهِ لذة العيش المعلَّى بدنيا كدَّرت فيها الأذيه
لخدمتهِ الجميع قد استعدُّوا فأشبه حاكمًا وهمُ الرعيه
يحيط بمهدهِ الابوان شوقًا وزار الحبُّ في الاحشا صليه
تمرُّ بهِ الحوادث بارداتٍ فتحييهِ حرارتها السنيَّه
ينام بملءِ عينٍ في أمانٍ وتحرسهُ العيونُ الوالديه
لذلك يطلبان لهُ نماءً وتوفيقًا بافكارٍ نقيه
تعاقبُ ضحكهِ وبكاهُ رمزٌ لما يلقاهُ في الدنيا الدنيه

وتعديل الملامح فيهِ سرٌّ كأعضاء بخلقتهِ سويه
نضارة جسمهِ وبها المحيَّا ولين عظامهِ ورضى الطويه
سطيحٌ ليس فيهِ من حراكٍ سوى الأطراف في حال جريه
يجيل الطرف في ما قد تجلَّى حواليهِ بمقلتهِ النقيه
وكم شبكيَّةُ العينين تبدو بها الاشباح وهو بلا رويه
يشير الى الرضاع بفتح فيهِ وميلة رأسهِ بقوًى جليه
لهُ دردٌ بثغرٍ مستطابٍ بهِ القبلات قد أخذت مزيه
ضعيف العقل والجسم المفدَّى تخرُّ امامهُ الهمم القويه
تربيهِ الأميَّةُ فهو ينشا على آثارها بقوى خفيه
فكم أُمٍّ لهُ هزّت سريرًا بيسراها وباليمنى البريه
وأُخرى زادت الكون ارتبا كاً بأولاد قد اقترفوا الخطيه
فمعقود بمنشإِهِ رجاءٌ يشبُّ بهِ بحالٍ معنويه
فيشبهُ حبةً نبتت بارض علت أوراقها وهي الزكيه
فإما أنبتت للخلق دوحاً يظلهم من الشمس العليه
وإما أنبتت شجرًا صغيرًا بلا نفع بحكم الاغلبيه
ترابٌ والحرارةُ ثمَّ مزنٌ بها ينمو النبات بذي البريه
كذلك حالة الطفل المفدَّى فاما غفلةٌ أو ألمعيه
مراقبةٌ ودرسٌ مع حديثٍ تنال بها قواهُ لوذعيه
ففكر الطفل مطويٌّ خفاءً كمون حياة حبتنا النديه
بذاكرةٍ ورأيٍ واختراعٍ صواب مع خطاء في الرويه
وان نباتنا يفنى . ولكن نفوس الناس طرًّا سرمديه
فتلزمهُ الوقاية باعتناء لهُ . نفسٌ كأنوارٍ مضيه
تفاجئها العوارض مثل ريح فتطفئها بهبَّاتٍ قويه
ولكن الزجاجة ان أحاطت بها كانت بحالتها حفيه
فسبحان الذي أنشاهُ طفلاً لينموَ نائل الرتب العليه

زحلة عيسى اسكندر المعلوف

الوراثة

اساليبها العادية

الغالب في الحيوانات الدنيا ان تكون افراد النوع الواحد منها متماثلة في كل شيء حتى كأَنها أُفرغت كلها في قالب واحد كما ترى في الذبان والبعوض والنحل والنمل اي ان الذكور تكون متماثلة والاناث متماثلة والخناث متماثلة جرماً وشكلاً ولوناً وهيئة . والذكر يشبه والده والانثى والدتها والخنثى اخوالها او اعمامها الخناث . ولكن اذا دققنا النظر وجدنا بينها فروقاً واضحة حتى لا تجد ذكرين منها متماثلين تمام المماثلة ولا انثيين متماثلتين تماماً . وقد يجري ذلك على الحيوانات العليا فالغنم التي تراها في قطيع واحد تجدها متماثلة الخرفان حتى لا ترى فرقاً ظاهراً بين خروف وآخر منها لكن راعيها يرى فرقاً كبيراً بينها ولا يلتبس عليهِ واحد بآخر . وقس على ذلك الطيور والارانب والفيران وما اشبه من الحيوانات التي تكون آجالاً او زرافات . بل اذا نظرت الى قوم لا تعرفهم كجماعة من السودانيين فانك تراهم كلهم متماثلين ولعلهم هم ايضاً يرون البيض متماثلين اذا نظروهم اول مرّة . ولا يخفى ان الفرق كبير بين كل فرد منهم وآخر . واذا كانت افراد النوع الواحد من الحيوان والنبات متشابهة فافراد نسلها متشابهة ايضاً كل عقب منها يشبه سلفهُ وكل ولد يشبه والديهِ

ولكن التشابه بين الوالدين والاولاد غير قياسي فان ابن الطويل القامة لا يكون طويلاً دائماً وابن القصير لا يكون قصيراً دائماً . والاختلاف بين الوالدين ونسلها امر مقرر كالتشابه بين الوالدين ونسلها كأَنَّ احوال المماثلة واحوال المخالفة مجموعة في الجراثيم الاصليَّة التي يتكون الجنين منها والوراثة تنقل هذهِ كما تنقل تلك من الوالدين الى نسلها

والمماثلة والمخالفة صفتان قائمتان معاً في الجراثيم الاصلية وصفة المماثلة التي تحفظ بها مقومات النوع تبقى في النوع غير متغيرة او لا تتغير في ازمان قصيرة فالصفات المقومة لنوع الانسان ثابتة فيهِ والصفات المقومة لنوع الفرس ثابتة فيهِ وهلمَّ جرًّا الَّا ان ذلك لا ينفي انها قد تتغير على مرور الزمن رويداً رويداً او دفعة واحدةً كما ابنا في مذهب ده فريس والتحول الفجائي

وقد تتناول المماثلة صفات عرضية طارئة كالعَنَش وهو وجود ست اصابع في اليد الواحدة فانهُ قد ينتقل بالوراثة في اعقاب كثيرة . والعسَر وهو استعمال اليد اليسرى فانهُ قد ينتقل في

اربعة اعقاب وقس على ذلك الاستعداد لبعض الامراض كداء المفاصل وداء النقرس وداء الاستسقاء فانها قد تتوارث وتظهر في النسل ولو تغيرت طرق المعيشة . وما يقال عن الخصائص الجسدية يقال ايضاً عن الخصائص العقلية اي انها تنتقل بالوراثة ولكنها ليست ازلية ولا ابدية بل كان وقت لم تكن فيهِ وسيأتي وقت تزول فيهِ . والغالب انها تظهر فجأَةً كما ظهرت تنوُّعات القطن العباسي والعفيفي في القطر المصري وقد تزول فجأَة كما ظهرت

وظهور الاختلاف في ما يتولَّد من النوع الواحد ليس اغرب من بقاء ذلك النوع على حال واحدة لان الدقائق الاصلية التي يتكوَّن منها الجنين كثيرة فاذا اتاهُ اربع دقائق من والدهِ واربع من والدتهِ ودخلت في الجرثومة الاصلية التي يتكوَّن منها وتركبت منها تراكيب رباعية الدقائق كان منها ١٦ تركيباً . مثالهُ لنفرض ان دقائق الاب هي ا ب ج د . ودقائق الام هي اَ بَ جَ دَ . فيتركب منها التراكيب الرباعية التالية

ا اَ بَ جَ . ا بَ جَ دَ . ب اَ بَ جَ . ب بَ جَ دَ . ج اَ بَ جَ . ج بَ جَ دَ . د اَ بَ جَ . د بَ جَ دَ . اَ ا ب ج . اَ ب ج د . بَ ا ب ج . بَ ب ج د . جَ ا ب ج . جَ ب ج د . دَ ا ب ج . دَ ب ج د . واذا تركبت هذه التراكيب الستة عشر على كل صورة ممكنة كان منها ٢٥٦ صورة . واذا كان عدد الدقائق الاصلية ١٢ فيكون مجموع الصور كلها ٦٥٥٣٦ صورة . واذا كان عدد الدقائق الاصلية ٢٤ فيكون مجموع الصور ١٦٧٧٧٢١٦ اي نحو سبعة عشر مليوناً . فوجود التشابه بين افراد النوع الواحد اغرب جدًّا من وجود التخالف . ولكن التشابه في مقوّمات النوع هو القياس ولولا ذلك ما صحَّ قول الكتاب الذي يزرعهُ الانسان فايَّاهُ يحصد وقول القائل

افعال من تلد الكرام كريمة وفعال من تلد الاعاجم اعجمُ

وهو يريد بالاعاجم اللئام . ثم ان الخصائص التي لا تظهر في الولد قد تظهر في ولدهِ فكأَن المماثلة كانت موجودة فيهِ بالقوة ولو لم تظهر بالفعل لوجود شيء آخر عدَّلها او ابطل فعلها او غطَّاها او اسكتها ثم تظهر في ولدهِ لان ذلك الشيء لم ينتقل اليهِ معها . واذا كانت الخاصة موروثة من جانب الاب فقد يرث الولد معها خاصة من جانب امهِ تبطل فعلها ثم يتزوج امرأَة ليس فيها تلك الخاصة الموروثة من امهِ او فيها ما يخالفها ويماثل الخاصة الموروثة من ابيهِ فتقوى وتظهر في ولدهِ . لنفرض ان رجلاً اسمر تزوَّج امرأَة بيضاء فولدت لهُ ولدًا لم تظهر السمرة فيهِ ظهورًا واضحاً لانهُ ورث ايضاً شيئاً من بياض امهِ ثم تزوج هذا الولد امرأَة سمراء فلا يبعد ان يولد لهُ ولد شديد السمرة لان الدقائق السمراء الموروثة اصلاً من جدهِ

تكون قد تقوّت بالدقائق السمراء الموروثة من امهِ. وقد قسمت الوراثة من هذا القبيل الى ثلاثة اشكال ممتزجة ومتغلبة وجزئية

﴿ الوراثة الممتزجة ﴾ يراد بالوراثة الممتزجة ظهور صفات الوالد والوالدة ممتزجتين في نسلها . فلون الشعر قد يكون في النسل متوسط ما هو في الاب والام فاذا كان الاب اسود الشعر والام شقراء يكون لون شعر الولد في الغالب متوسطاً بين لون شعر الاب ولون شعر الام اي ممتزجاً من لونيهما واذا كان الولد ساكناً ظهرت على وجههِ ملامح ابيهِ واذا تهيج ظهرت عليهِ ملامح امهِ لانهُ جامع بينهما. وكثيرًا ما تتغلب صفات احد الوالدين على الآخر فاذا زاد هذا التغلب ادى الى الشكل الثاني من الوراثة وهو

﴿ الوراثة المتغلبة ﴾ اذا تغلبت صفة في احد الوالدين على ما يماثلها في الآخر فظهرت وحدها في الولد او اذا ضعفت صفة في احد الوالدين حتى لم تظهر في الولد قيل ان الوراثة متغلبة وتسمى ايضاً مفردة ومستقلة وهي غالبة في المزايا الشخصية . والغالب ان الولد يرث بعض مزاياهُ من ابيهِ وبعضها من امهِ ويقال انهُ يرث قوامهُ من ابيهِ ومزاجهُ من امهِ . والاقوال التي من هذا القبيل كثيرة ويدخل تحتها قول الشاعر العربي

لا تخطبنَّ سوى كريمة معشر فالعرق دسَّاس من الطرفينِ
أوَ ما نظرت الى النتيجة انها تبعُ الاخس من المقدمتين

يريد ان الولد يرث من امهِ اكثر مما يرث من ابيهِ ولو في اخلاقهِ ولكن ذلك ليس قياساً يعوَّل عليهِ

والذين يعتنون بتربية المواشي وتأصيلها يعتقدون ان الشكل والقوام من الاب والاخلاق والاعضاء الداخلية من الام ولكن البحث الدقيق لم يؤيد ذلك . وقال بفون ان البغل يشبه اباهُ اكثر مما يشبه امهُ والنغل (ابوهُ حصان وامهُ اتان) يشبه اباهُ اكثر مما يشبه امهُ . والمأ لوف ان البغل كبير القد كالفرس امهِ والنغل صغير القد كالاتان امهِ اما في الشكل الظاهر فكلاهما يشبه الحمار اكثر مما يشبه الفرس

ويقول البعض ان الابن سرُّ ابيهِ والابنة كامها ويقول غيرهم ان ثلثي الولد للخال ويقول آخرون غير ذلك . والحقيقة ان الخصائص المتغلبة في الاب تنتقل الى اولادهِ . والخصائص المتغلبة في الام تنتقل الى اولادها. واذا تضاربت الخصائص المتغلبة في الوالدين فلا يعلم لماذا تتغلب خصائص الاب مرةً وخصائص الام اخرى فقد تزوج زنجي امرأة بيضاء في برلين فولد لهُ منها سبع بنات خلاسيات كلهن واربعة ابناء بيض كلهم . وقد يولد الصبي

شبيهًا بامهِ والابنة شبيهة بابيها ثم متى كبرا انقلبت الحال فصار الصبيُّ شبيهًا بابيهِ والابنة شبيهة بامها · وقد لا تكون المشابهة بالوالدين ظاهرة في الصغر ثم تظهر جليًا في الكبر

ذكر ده كاترفاج في كتابهِ المقدمة لدرس طوائف الناس ان المسيو لبله جفروى كان ابوهُ فرنسويًّا وامهُ زنجيَّة فورث صفاتهِ الجسميَّة من امهِ وقواهُ العقلية والادبيَّة من ابيهِ · ومن رأْي هكسلي ان اكثر ما فيهِ (اي في هكسلي) موروث من امهِ لا من ابيهِ · ومن رأْي سبنسر ان اكثر ما فيهِ من ابيهِ وانهُ لم يرث من امهِ الاَّ بعض صفاتهِ البدنية واما اخلاقهُ وقواهُ العقلية فمن ابيهِ · وقيل في ترجمتهِ انهُ ورث من ابيهِ ضعفهُ العصبي واما قوة احشائهِ فمن امهِ

و يظهر لنا ان الصفات التي يتكرر ظهورها في اسلاف احد الوالدين حتى ترسخ فيهم وتضعف الدقائق او الاميال المخالفة لها او تزول تتغلَّب على الصفات المقابلة لها في الوالد الآخر واذا اتفق ان الصفات المتقابلة كانت قوية في الوالدين على حدٍّ سوى فالتي يتفق ان توجد منها الدقائق الاكثر في البيضة وقت تلقيحها تتغلَّب في الجنين المتولد منها مثال ذلك ان البياض في الرجل الالماني صفة قديمة ثابتة لا يظهر في نسلهِ غيرها والسواد في الزنجيَّة صفة قديمة ثابتة لا يظهر في نسلها غيرها · والبيضة التي يتكوَّن منها الجنين تدخلها دقائق من جسم الاب ويكون فيها دقائق من الام فيخرج بعضها حين دخول الدقائق الآتية من الاب فاذا اتفق ان الدقائق الآتية من الاب كان فيها كثير من الدقائق التي يتوقف عليها بياض البشرة وشقرة الشعر والدقائق الباقية في البيضة كان فيها قليل من الدقائق التي يتوقف عليها سواد البشرة وفلفلة الشعر فالولد المتولد من ذلك يكون ابيض الجسم اشقر الشعر. واذا اتفق ان الدقائق الآتية من الاب كان فيها قليل من الدقائق التي يكوّن منها بياض الجسم ولون الشعر والباقية في البيضة كان فيها كثير من الدقائق المكونة لسواد الجلد والشعر فالولد المتولد من ذلك يكون اسود الجسم والشعر · واذا تساوت الدقائق من الطرفين اتى الولد مزيجًا منهما في لون بشرتهِ وشعرهِ او مائلاً الى هذه الجهة او تلك حسب كثرة الدقائق وقلتها

❊ الوراثة الجزئية ❊ اذا ظهرت في النسل بعض خصائص الاب وبعض خصائص الام غير ممتزجة بل مجتمعة اجتماعًا قيل ان الوراثة جزئية فقد يولد مهر من حصان ادهم وحجر زرقاء فيكون بعض شعرهِ اسود وبعضهُ ابيض. وقد يولد الحيوان واحدى عينيهِ مثل عيني ابيهِ والاخرى مثل عيني امهِ واذا كان اقرن فقد يكون احد قرنيهِ مثل قرني ابيهِ والآخر مثل قرني امهِ

وخلاصة المقال انهُ اذا كان الفرق كبيرًا واضحًا بين الوالدين وكان احدهما اقوى من الآخر جاء النسل مشابهًا لهُ فاذا كان الحصان اصيلاً والفرس برذونة (كديشة) ولدت منهُ

مهرًا اصيلاً واذا كانت الفرس فتيَّة والحصان كبير السن ضعيفًا كان نسلها مثلها لا مثلهُ واما اذا كانا متماثلين او كان الفرق بينهما قليلاً جاءَت الخصائص ممتزجة في واحد من نسلهما ومتغلبة في ثانٍ وجزئية في ثالث

ومن الامور المقررة التي يبنى عليها تفسير ما تقدَّم من ظواهر الوراثة انهُ اذا كان الاب كبير السن والام صغيرة السن فالاولاد الاوَل يأْتون مشابهين لابيهم والذين بعدهم يأْتون مشابهين لامهم . واذا حملت ظبية بعد الغلمة باسبوع او عشرة ايام جاء خشفها مثلها تمامًا اي ان الولد يماثل صاحب الجرثومة الاقوى او الابلغ من والديهِ

ويستخلص مما تقدم انهُ اذا كان الوالدان مختلفين نوعًا كالحمار والفرس او تباينًا كالابيض والزنجي او فصيلة كالبرذون والعراب من الخيل فنسلهما يجري غالبًا على اسلوب من الاساليب الخمسة التالية

الاول ان تكون صفاتهُ مكونة من صفات ابيهِ وصفات امهِ اما ممتزجة معًا او تتغلب فيهِ صفات احد الوالدين على الآخر او تتغلب صفات ابيهِ من بعض الجهات وصفات امهِ من جهات اخرى ويصدق ذلك على النبات كما يصدق على الحيوان

الثاني ان تكون صفاتهُ مثل صفات ابيهِ فقط او مثل صفات امهِ فقط ولو حسب الظاهر واذا ظهرت فيهِ صفات ابيهِ فقد تكون الصفات الموروثة من امهِ موجودة فيهِ بالقوة ولو لم تظهر بالفعل وكذا اذا ظهرت فيهِ صفات امهِ فقد تكون الصفات الموروثة من ابيهِ موجودة فيهِ بالقوة . ثم ان الصفات الموجودة بالقوة تظهر في النسل التالي

الثالث اذا كَمنت صفة من الصفات في النسل بتغلُّب صفة اخرى عليها او اذا شابه الولد احد والديهِ فقط دون الآخر وكانا مختلفين فالصفات الاخرى تبقى فيهِ كامنة ولا تظهر الاَّ الصفات المتغلبة ثم اذا تزوجت افراد النسل التي فيها الصفات الكامنة ظهرت في نسلها فجاء مثل والديها الاولين حسب ناموس مندل الذي وصفناهُ في الجزء الماضي ويكون ظهور الصفات وتغلُّبها وكمونها جاريًا على نسبة حسابيَّة معلومة

الرابع ان النسل قد يكون اشبه بجدهِ او احد اسلافهِ منهُ باحد والديهِ حتى لقد ظهر من تضريب انواع الحمام طيور تشبه اليمام البري تمام المشابهة ومن تضريب الدجاج طيور تشبه الدجاج البري

الخامس ان النسل قد يأْتي مخالفًا لوالديهِ كليهما تمام المخالفة حتى لقد عدهُ بعضهم نوعًا جديدًا وهو المعروف بالتحوُّل الفجائي الذي شرحناهُ في المجلد الثلاثين من المقتطف

الصحافة الهندية

في البلاد الانكليزية امير هندي اسمهُ مترا وهو من الكتَّاب المعدودين باللغة الانكليزيَّة كما انهُ من كبار الكتَّاب بلغتهِ · وقد قرأنا لهُ الآن مقالة في مجلَّة القرن التاسع عشر الانكليزية عن الصحافة الهندية ذكر فيها منشأَها والاطوار التي تقلَّبت عليها · ومما قالهُ في منشإِها ان ملوك الهند كانوا يعوّلون على اخبار عمَّالهم التي كانت ترسل اليهم بالاضطراد من بلاد الهند نفسها ومن البلدان الاجنبيَّة · ثم لما استولى المغول على البلاد نظموا ديوانًا خاصًّا بجمع الاخبار وتدوينها وكان في كل ولاية مدوّن للاخبار وقد جرى الانكليز مجراهم عند اول دخولهم البلاد · وادخل البرتغاليون الطباعة الى غوى من بلاد الهند في القرن السادس عشر وكان في بمباي مطبعة سنة ١٦٧٤ وفي مدراس مطبعة سنة ١٧٧٢ وانشأَت الحكومة مطبعة في كلكتا سنة ١٧٧٩ وأُنشئت فيها اول جريدة انكليزيَّة سنة ١٧٨٠

واسهب الكاتب في وصف الجرائد الانكليزية في بلاد الهند · والظاهر انها كانت دائمًا ناقمة على الحكومة تقوم بالطعن على رجالها حتى ضاقت الحكومة بها ذرعًا وسنَّت لها القوانين الصارمة ثم الغتها ثم اعادتها ثم أُلغتها · ولا نرى فائدة من مجاراتهِ في تتبُّع تاريخ الصحافة الهنديَّة الانكليزيَّة فنجتزي بما ذكر ونتقدم الى تلخيص ما قالهُ عن الصحافة الهندية بالذات اي عن الصحف التي نشرت بلغات الهنود انفسهم

قال الكاتب ان مجلس المديرين في بلاد الهند ارتأَى سنة ١٧٩٨ ان يعضد نشر المعارف باللغات الهندية فاهتمَّ المرسلون اولاً بانشاء جريدة هندية بلغة بنغالا ولم تكن الحكومة راضية عن جرائد الانكليز ولا عن المجلات فخافت ان تكون الجرائد الهندية مثلها او اشد منها وطأَة عليها ولكنها سمحت لهم سنة ١٨١٨ بانشاء مجلة باللغة البنغالية مشترطة ان تكون خالية من الاخبار السياسية ولا سيما ما يتعلق منها بالبلدان الشرقية وان تقتصر على المقالات العلمية واخبار الاكتشافات والاختراعات وقليل من الحوادث المحلية حتى يرغب الاهلون في مطالعتها · وكانت شهرية فظهر اول عدد منها في ابريل سنة ١٨١٨ اي منذ تسعين سنة فقوبلت بالاستحسان التام ولما رأَى منشئاها ذلك وهما من المرسلين قويت عزيمتهما وانشأا جريدة اسبوعية اصدرا اول عدد منها في ٢٣ مايو من تلك السنة واسمها سمخار در بان وكان المظنون انها اول جريدة بنغالية ولكن ثبت حديثًا ان جريدة اسمها بنغال غازت انشئت سنة ١٨١٦ باللغة البنغالية وعاشت اقل من سنة

وراق منهج السمخار لولاة الامور فاذن حاكم الهند في ان ينقلها البريد بربع الاجرة المعتادة . وكانت المراقبة شديدة على الجرائد ولكن المرسلين الدينيين ابعد الناس عن التحامل على الحكام وعن نشر الاراجيف والاخبار التي تشوش الاذهان فاشتركت الحكومة بمئة نسخة من جريدتهم وزعتها على دواوينها وساعدتها على نشر ترجمة منها باللغة الفارسيَّة وكانت الفارسيَّة لغة البلاط في بنغالا

واول جريدة وطنية في بمباي انشئت سنة ١٨٢٢ واسمها بمباي سمخار وكانت اسبوعيَّة ثم صارت يومية سنة ١٨٦٠ ولم تكد تنتشر حتى جعلت تنتقد اعمال الحكومة وتنشر عنها الاكاذيب وتقلب الحقائق وتحث الناس على العصيان والكره لرجال الحكومة . ونشرت جريدتان وطنيتان قبيل الثورة المشهورة مقالات حرَّضت فيها الوطنيين من الهنود والمسلمين على قتل كل الاوربيين فامرت الحكومة رجال القضاء ان يحاكموا اصحابهما وطابعيهما وعزمت ان تراقب الجرائد مراقبة دقيقة ولو الى حين وان تلغي ماينشر مقالات تدعو الى الثورة . فوضع قانون المطبوعات سنة ١٨٥٧ وكان في صرامته كالقوانين السابقة التي الغيت سنة ١٨٣٥ وهو يمنع انشاء المطابع بغير رخصة من الحكومة ويمنع ايضاً نشر الكتب والجرائد التي فيها شيء يدعو الى تشويش الاذهان والإخلال بالامن العام او الى احتقار الحكومة او جعل الناس يكرهونها او يعصون اوامرها او الى احتقار سلطتها الشرعية

وشمل هذا القانون الجرائد الانكليزية كما شمل الجرائد الهنديَّة فشكا الانكليز المقيمون في الهند منهُ وطلبوا ان لا تعامل الجرائد الانكليزيَّة معاملة الجرائد الهندية لكن حاكم الهند رفض طلبهم وقال ان الجرائد كلها على حدٍ سوى لدى القانون وليس من العدل ان يميز بعضها على بعض

ولما كان لورد لورنس حاكماً على الهند بين سنة ١٨٦٤ و١٨٦٩ رأى ان لا بد للحكومة الهندية من ان تنشئ جريدة تكون لسان حالها وتصلح ما ترتكبهُ صحف الاخبار من الخطإ والخطل فلم يجب طلبهُ . وقد رأى من ذلك الحين ان الرأي العام في بلاد الهند تحركهُ الجرائد فهي التي تقود الافكار وتصوّر للناس الامور كما تشاء وينتقل تأثيرها الى بلاد الانكليز فتتحكم بالرأي العام الانكليزي كما تتحكم بالرأي العام الهندي وضرر الجرائد الانكليزيَّة اشد من ضرر الجرائد الهندية لان انتقاداتها في الغالب مطاعن لا اساس لها فتنقلها عنها الجرائد الهندية وتردّد صداها كأنها حقائق مقررة . وقد ابت حكومة الهند ان تنشئ جريدة تخصها باخبارها لئلاَّ تغار منها الجرائد الاخرى فتزيد جرأة على الحكومة وتجريحاً لاعمالها غيظاً منها

وتعززت الجرائد الهندية والانكليزيَّة بين سنة ١٨٥٨ و ١٨٧٨ وزاد تأثيرها خيرًا وشرًّا و بلغ عدد الهندية منها ٢٥٤ والانكليزية ١٥٥ والتي تطبع بالانكليزيَّة ولغة هندية ٦٩ ولم ترد الحكومة ان تقيدها بقانون صارم لانها كانت تعلم فائدة انتقادها وان الموظفين يخشون سطوتها اكثر مما يخشون اي شيءٍ آخر ولكنها ارادت ان تتلافى شرها او تمنعها عن الاضرار بالناس فسنَّت قانونًا قالت فيهِ ان كل من يحاول جعل الناس يكرهون الحكومة بكلام يقولهُ او يكتبهُ بقصد ان يُقرأ او بعلامات او باية طريقة اخرى فجزاؤُهُ النفي من بلاد الهند مدى الحياة او الى مدة او السجن مدة اكثرها ثلاث سنوات او الغرامة وقد تضاف الغرامة الى النفي والى السجن . واخرجت من ذلك انتقاد الحكومة الذي لا يراد بهِ الخروج عن طاعتها المشروعة بل تعزيز سلطتها وسطوتها . وسنَّت قانونًا آخر لعقاب كل من ينشر خبرًا كاذبًا او اشاعة كاذبة وغرضهُ حمل احد من الضباط او الجنود او البحارة على التمرُّد او تخويف الجمهور وحمل احد الناس على ارتكاب امر ضد الحكومة او ضد الامن العام

والظاهر ان تغيير الولاة كان يضعف التدقيق في مراقبة الجرائد فتطرَّفت الجرائد الوطنيَّة في شدَّة لهجتها سنة ١٨٧٨ لما كان لورد لتن حكمدارًا ولم تقصر طعنها على رجال الحكومة بل تناولت نفس الحكومة الانكليزية في بلاد الهند فدعت الحال الى معاملتها بالشدة وأُمر الولاة ان يطلبوا من كل صاحب جريدة ان يتعهد بانهُ لا ينشر في جريدتهِ شيئًا يكرّه الناس بالحكومة او يلقي النفور بين طوائف الناس ولا ان ينشر شيئًا بقصد النصب على احد واذا نشرت جريدة شيئًا من ذلك انذرتها الحكومة اولاً في جريدتها الرسمية فاذا لم ترتدع جاز لها ان تحجز المطبعة التي تطبع فيها الجريدة وكل ادواتها واذا كان صاحبها قد وضع تأمينًا ضبطتهُ الحكومة . وعلى كل صاحب جريدة إما ان يضع تأمينًا كافيًا واما ان يعرض كل نسخة من جريدتهِ لمراقب المطبوعات قبل نشرها ولا ينشر الاَّ ما يجيز المراقب نشرهُ

والغى لورد ربن هذا القانون سنة ١٨٨٢ وظلت الجرائد الوطنية تطعن على الحكومة والحكومة معرضة عنها الى سنة ١٨٩١ فحاكمت حينئذٍ صاحب جريدة ومحررها ومديرها . ولكن المحلفين لم يجمعوا على الحكم عليهم فابى القاضي معاقبتهم واظهروا هم ندامتهم على ما فرط منهم وطلبوا من الحكومة ان تعاملهم بالحلم فابطلت محاكمتهم . وسنة ١٨٩٧ حوكم صحافي آخر لانهُ حاول تكريه الناس بالحكومة فحكم عليهِ بالسجن سنة ونصف سنة

وقد سنَّت حكومة الهند هذا العام قانونًا لمعاقبة الذين يحرضون الناس على القتل والثورة والمكايد الجهنميَّة . ويظن الكاتب ان هذا القانون والقانون السابق الذي يعاقب من

يحرض على عصيان الحكومة وكراهتها ونزع هيبتها يكفيان لكبح جماح الضار منها هندية كانت او انكليزية . انتهى

هذا وقد كنا نرى في ما يأتينا من الجرائد الهندية العربيَّة مقالات ونبذاً لا يقصد بها الاَّ تكريه الناس بالحكومة الانكليزية وتحريضهم عليها وآخر ما رأيناهُ فيها من هذا القبيل كلام على قانون المطبوعات الجديد ووصفها للحكم على الذين القوا القنابل " بالحكم المستبد " مع اعترافها قبيل ذلك بانهم "جناة" وانهم " اعترفوا بما جنت ايديهم ظانين انهم ارتكبوا فعلةً حسنة في سبيل الحرية " واعترافها ايضاً انهُ اعتني بهم وهم في السجن فزاد وزنهم عما كان عليهِ الاَّ انها نسبت ذلك الى شهامتهم ونشاطهم كأَن الشهامة تزيد اللحم في البدن . ولم نكن نرى في تلك الجرائد غير العداء للانكليز في ما تكتبهُ وفي ما تنقلهُ عن الجرائد المصرية وفصول التسبيح والتمهيد للظالمين المستبدين من الحكام العثمانيين الذين افتضح امرهم الآن والظاهر ان منهاجها تغير بعد قانون المطبوعات

فان كانت الحكومة الانكليزية في بلاد الهند جارية على غير جادة العدل والانصاف فلا اسهل من انتقاد اعمالها وتنبيهها الى خطاءها بروح الحب والمسالمة . وليس في الدنيا قوم اشد من الانكليز خوفاً من انتقاد الجرائد اذا كان في محلهِ . واذا كانت الامم الهندية قد عقدت النية على اخراج الانكليز من بلادها ورأَت في ذلك مصلحتها فالسبيل اليهِ ان تتعلَّم وتتقوى رويداً رويداً حتى يرى الانكليز ان البلاد صارت مستغنية عنهم وان لا قبَل لهم بالتسلُّط على اقوام اقوى منهم

ومن الغريب ان كل الحكومات المتمدنة لا تجيز لطبيب ان يطبب الابدان ما لم يتعلم علم الطب على اربابهِ ويأخذ شهادة منهم تثبت كفاءتهُ للتطبيب ولا تجيز لمحامٍ ان يحامي عن الناس امام المحاكم ما لم يتعلم العلوم القانونية في مدرسة من مدارس الحقوق وينال شهادة تثبت ذلك ثم يثبت كفاءتهُ بالامتحان اما الصحافة وعليها يتوقف ارشاد الجمهور او تضليلهُ ومعيشة الناس بعضهم مع بعض بالحب والمسالمة او قيامهم بعضهم على بعض بالبغض والمخاصمة فلا تهتم بعلم الذين يتولون امرها وكفاءتهم . واذا ارادت ان تعمل ما يجب عليها من هذا القبيل فلا اقلَّ من ان تنشئ مدرسة للصحافة ولا تجيز معاطاتها الاَّ للذين يتخرجون من تلك المدرسة او يثبتون كفاءتهم العلميَّة والادبيَّة ولا تجيز نشر جريدة ما لم تأخذ من صاحبها ضمانة مالية كبيرة حتى اذا حاكمتهُ لذنب ارتكبهُ بجريدتهِ يكون عندها الغرامة الكافية والاَّ فقد يكون ضرر الصحافة اكثر من نفعها

الاحياء في المريخ

قرأت للعالم المحقق الدكتور هنكن رسالة في هذا الموضوع نشرت في مجلة ناتشر في العدد الذي صدر في ٧ مايو (لا مارس كما طبعت في ردي خطأً) فرأيت ان الخصها لقراء المقتطف · والدكتور هنكن E. H. Hankin M. A., Sc. D. من علماء الانكليز المشهورين المعوَّل عليهم في بلاد الهند وقد تخرَّج في معمل كوخ ببرلين ومعمل باستور بباريس بعد ان درس الطب في لندن وكمبردج ونال جائزة هارفي في الفسيولوجيا ولهُ اكثر من اربعين مقالة علمية في اشهر الجرائد الطبيَّة والعلميَّة والادبيَّة · قال في الرسالة المشار اليها

اذا كانت ترع المريخ صناعية صنعتها كائنات عاقلة فيصعب علينا ان نصدق ان تلك الكائنات ليس عندها آلات للبناء والمساحة وان آلاتها ليس منها شيءٌ مصنوعاً من المعادن واذا كانت مصنوعة من المعدن فيصعب علينا ان نصدّق ان صانعيها لا يستعملون النار · ومن المظنون ان الناس اكتشفوا النار اولاً بالفرك ولكن يبعد عن الظن ان تكتشف النار بالفرك حيث ضغط الجلد لا يزيد على اربع عقد من الزيبق (اي نحو سبع ما هو على الارض) وحيث الجو خالٍ من البروق والصواعق كما يظنُّ

ثم ان الاحياء التي وجدت على الارض كان اكثرها خالياً من العقل او قليل القوة العقلية هذا هو القياس ووجود القوى العقلية السامية شاذٌّ عن هذا القياس ولم يحدث الاَّ في برهة وجيزة جدًّا من تاريخ الاحياء الارضية

فاذا قيل لنا ان الحياة موجودة في المريخ لا نكون قد عرفنا شيئاً عنها بل ان وجود ادلّة الحياة لا يستلزم وجود انواع كثيرة من الاحياء اذ يحتمل ان تكون احياء المريخ كلها نوعاً واحدًا من النبات الكبير الذي تمتد فروعهُ وتكتنف ذلك السيَّار كاذرع الاخطبوط فتمتص المياه من الثلوج القطبية حال ذوبانها وتظهر لنا ممتدة كالترع · وقد استنتج لول من استقامة هذه الترع انها صناعية وان كائنات حيَّة حفرتها ولكن استقامتها ليست اكثر من استقامة نتوات بعض الحيوانات الشمسية (Heliozoa) والشعاعية Radiolaria · وليس في طبيعة الاحياء ما ينافي ذلك كما يظهر من الالتفات الى الاحوال التي رافقت اصل الحياة على الارض او على المريخ فانهُ لا يُعقَل ان الحياة تولدت بالصدفة من التقاء جواهر العناصر التي تتألف منها الاجسام الحيَّة الآن ولا بدَّ من وجود مركبات آلية قبل ذلك

كحلقات موصلة بين الاجسام الحيَّة وغير الحيَّة . وقد تُعلم حقيقة هذه الحلقات من البحث الجاري الآن عن تثبيت نيتروجين الهواء . ولعلَّ الدرجات الاولى في نشوء الاجسام الحيَّة كانت من نوع المركبات النيتروجية التي تنتشر في الماء وليس في الماء الآن شيء منها لانها لو وجدت لاكلتها الميكروبات . ثم زادت تلك الاجسام حجماً حتى صارت كالغراء الذائب في الماء كلهِ وكانت معرَّضة للتأكسد البطيء وهو اصل التنفس . ولا شيء يمنع ان تكون الاحياء قد تولدت اصلاً على هذه الصورة وكان من الممكن ان يتسع نطاقها رويدًا رويدًا حتى تنتشر في بحار الارض كلها كالزبد على وجه الماء الا اذا وجدت قوة خارجيَّة تمنع ذلك كما ان بلورات الجليد التي يتكوَّن الثلج منها لا تكبر الى ما لا نهاية له لوجود قوى خارجة عنها تمنعها عن ذلك بل تبلغ حدًّا معلومًا وتقف عنده . وعلى هذا النمط تكوَّنت الاحياء على الارض في نقط متفرقة ولم تتكوَّن حيًّا واحدًا متصلاً ولعل سبب تفرُّقها المد والجزر والامواج واما في المريخ فلا شيء من ذلك يمنع تكوُّنها هناك جسمًا واحدًا متصلاً كما يتكوَّن الصقيع على وجه الارض

فيمكن والحالة هذه ان يتولَّد على سطح المريخ حيٌّ واحد نباتي ينتشر على سطحهِ انتشار الجليد على وجه الماء واذا تولدت فيهِ اجزاء غير صالحة للمكان الذي هي فيهِ هلكت واغتذى بها غيرها من بقية الاجزاء فيوفق ذلك الحي نفسهُ لاحوال زمانهِ ومكانهِ حتى اذا جفَّت البحار التي نشأ فيها اولاً يبقى قادرًا على امتصاص الرطوبة من الثلوج القطبيَّة . وكل مَن يسلّم باستمرار الكائنات الجرثومية لا يرى مانعًا يمنع بقاء حي مثل هذا

وهناك احتمال آخر وهو لنفرض انهُ بعد ملايين كثيرة من السنين اقتفت الارض آثار المريخ وفقدت ماءها رويدًا رويدًا . فاذا حدث ذلك اتى وقت صارت فيهِ البحار بحيرات منفصلة بعضها عن بعض ولنفرض ان احد الاحياء نظر اليها حينئذٍ من الزهرة بعين ترى على ابعاد السيَّارات أفلا يرى خطوطاً ممتدة بين هذه البحيرات وواصلة الى القطبين . أوَ لا يراها تتغير بتغير الفصول حتى كأنها ترع حفرتها ايادي كائنات عاقلة وهي في الحقيقة فروع من الاعشاب البحرية العظيمة التي خلفت الاعشاب العائشة الآن في الاوقيانوس الاتلنتيكي او في القسم المعروف منهُ ببحر سرغاسو . اوَ لا يحتمل ان فروع هذه النباتات تطول وتدق على مرور العصور حتى تصير كالترع الممتدة بين الواحات او البحيرات

هذان فرضان ذكرتهما كامرين محتملين ولكنني لست متمسكاً برأي او اعتقاد من قبيل شكل الحياة في المريخ

وقد قاس الاستاذ لول معدَّل جريان الماء في بعض ترع المريخ فهل هذا المعدل هو المعدل الاقتصادي لجريان الماء في ترع مكشوفة اوهو اكثر انطباقاً على المعدل الاقتصادي لجريان الماء في انابيب الاحياء النباتية حيث الخسارة من التبخُّر وتشرُّب الارض قليلة جدًّا

وانا من المعتقدين ان الاستاذ لول قد اثبت بمباحثهِ الباهرة ان الاحياء موجودة في المريخ وتُطلَب منهُ الآن الادلة على ان تلك الاحياء عاقلة

هذه خلاصة ما كتبهُ الدكتور هنكن اما الدكتور الفرد رسل ولس الذي اختير ممثلاً لعلم البيولوجيا مع هوكر وهيكل وراي لنكستر في احتفال داروين وولس الاخير فقد قال في كتابهِ الذي كتبهُ حديثاً ردًّا على الاستاذ لول ان الترع التي علَّل بها لول ما يرى من الخطوط على وجه المريخ يتبخَّر منها عشرة امثال ما يمكن ان يجري فيها من الماء نظرًا الى جفاف المريخ ولطف هوائهِ . ولم يبيّن لول كيف كان اولئك السكان يعيشون قبلما اضطروا الى حفر هذه الترع ولا لماذا لم يحيوا الصحاري التي تمرُّ فيها بدلاً من ان يجرُّوها مسافة الفي ميل وان كانوا على ما وصفهم من سمو المدارك فلماذا لم يجرُّوا الماء في اسراب يصنعونها لها تحت الارض حتى لا تتبخَّر مياهها وان اجراءهم الماء في ترع مكشوفة لدليل على جهلهم لا على علمهم . وان كانت هذه الترع لازمة لمعيشة السكان فكيف توفرت لهم اسباب الحضارة والعلم وهي لا تتوفر الاَّ حيث تتوفر اسباب المعيشة ويزيد بها عدد السكان زيادة بالغة

ثم ان هواء المريخ لطيف جدًّا لا يزيد على سبع هواء الارض كثافة ويشبه الهواء في الاماكن التي تعلو اربعين الف قدم عن سطح الارض . ومعلوم ان البرد يكون شديدًا جدًّا هناك ولو كنا فوق خط الاستواء . وقد قيل ان البرد لا يشتد في الاماكن العالية اذا كانت الارض سهلاً كما يشتد اذا كانت قنة جبل . وهذا مخالف للواقع فان متوسط الحرارة في كويتو (مدينة باكوادور) ٥٧ درجة فارنهيت وارتفاعها ٩٣٥٠ قدماً عن سطح البحر ومتوسط الحرارة عند الساحل هناك ٨٠ درجة فهي تهبط درجة كلما ارتفعنا ٤٠٠ قدم وقد حسب همبلت ان الحرارة تهبط درجة لكل ٣٤٠ قدماً من الارتفاع في الجبال بسبب لطافة الهواء في الاماكن العالية وعليهِ فحرارة سطح المريخ عند خطهِ الاستوائي ٢٠ درجة بميزان فارنهيت تحت درجة الجليد من هذا السبب وحدهُ . واذا اعتبرنا بعد المريخ عن الشمس فحرارة سطحهِ عند خط الاستواء ٣١ درجة تحت الصفر اي ٦٣ تحت درجة الجليد بميزان فارنهيت واذا اعتبرنا هذين السببين معاً فحرارتهُ ٧٠ او ٨٠ درجة تحت درجة الجليد

وقد علَّل ولس ترع المريخ بانها شقوق في سطحهِ مسبَّبة عن وقوع النيازك عليهِ واشار

بان يمتحن ذلك بعمل كرات من الخزف قطر كل منها ٨ عقد الى ١٠ عقد توضع كل كرة منها في قالب يزيد قطرهُ على قطرها نصف عقدة ويفرغ حولها مادة تكون سائلة وهي سخنة وتجمد اذا بردت كالزجاج او البزموث او الانتيمون او مزيج منهما فيتكون منها طبقة حول الكرة تجمد من الظاهر قبلما تجمد من الباطن فاذا علقت في الهواء حال اخراجها من القالب واديرت وأُطلق عليها خردق (رش) من بندقية فكل خردقة تصيبها تشقق ما حولها شقوقاً طويلة مستقيمة وتظهر هذه الشقوق عليها كما تظهر الترع على سطح المريخ . هذا فرض فرضهُ ولم يمتحنهُ ولا حتم بحدوث الشقوق على ما قدَّر واذا حدثت الشقوق من سبب مثل هذا فلا صعوبة في تعليل البرك او الواحات عند ملتقى الخطوط ولا في تعليل الخطوط المزدوجة . وستنجلي الغوامض لاهل العلم والعرفان وفوق كل ذي علم عليم

احد القراء

جبل ترودس

والقطن من الصخر

بلغني ان بعضهم يستخرج نوعاً من القطن او الحرير من الصخر في جبل ترودس وبعد ندفهِ يحيكونهُ فيجيء قماشاً غير قابل الحريق ولو وضعتهُ في اشد النيران المستعرة فلم اصدق الخبر حتى ذهبت بنفسي الى حيث يستخرج هذا القطن واليك تفصيل الخبر

بلغني ان المكان المذكور بالقرب من اولمبوس اوتيل حيث اقمت في جبل ترودس فقصدتهُ مع بعض الاصدقاء الافاضل فبلغناهُ بساعة واذا بهِ جبل طويل عريض وبين طبقات صخورهِ عروق يكسرها العمال من بين الصخور و يدقونها فيبقى منها القطن المذكور والذين يشتغلون في هذا العمل نحو خمسمائة وخمسة وعشرين عاملاً وقد بنت لهم شركة القطن المذكور اماكن للنام والاستراحة وسهلت لهم كل الوسائط للاشتغال بالراحة والنجاح

وقد اسعدني الحظ بالتعرف بجناب الافوكاتو ارجوسيلاس ارتاميس مدير ادارة العمل في قبرس فارشدني الى المعلومات التالية قال

منذ ثلاث سنين جاء قبرس جناب الدكتور تروميتا طبيب الاسنان ومعهُ بعض الحجارة الشبيهة بما وجد في جبل ترودس وشاهد الكثير من نوعها في قبرس فاخذ بعضها وذهب الى تريستا (اوستريا) وهناك الَّف شركة لاستخراج هذا النوع من القطن وعاد الى

قبرس فبقي سنة يشتغل بهِ ولهُ اجرة شهرية وعشرة في المئة من الربح . ولما رأت الشركة في تريستا ان هذا الشغل من اربح الاشغال بعثت حضرة مديرها المسيو بالنكو الى قبرس فاتى ومكث في اولمبوس اوتل خمسة عشر يوماً عند الخواجات خوري وكان الدكتور ترومبتا اخذ امتيازاً من الحكومة باستخراجهِ على شرط ان يدفع لها العشرين من الارباح او يعطيها عشر ما يستخرجهُ واذا تعذر عليها بيع القطن يدفع لها عشر ثمنهِ نقداً فعقد المسيو بالنكو اتفاقاً مع الدكتور ترومبتا واشترى منهُ الامتياز باربعة الاف جنيه ثم سافر الى تريستا وارسل مهندسين واتوموبيلين لنقل حجر القطن واتى بالعمال لاستخراج الحجر ودقهِ كما تقدم

وقد اهتمت الشركة الآن بجلب آلات لتنظيف القطن ودقهِ وبها يستغنون عن كثرة العمال ووفرة المصاريف وهذه الآلات تصل الى قبرس في اخر هذا الشهر ويبلغ ثمنها اربعة آلاف جنيه ويقدرون انها متى تركبت يمكن بها استخراج من ثلاثين الى اربعين طناً يومياً من القطن

اما الآن فيستخرجون من القطن من ٧ الى ٨ طنات يومياً فيرسلونها الى تريستا لتنظيفها ومتى حضرت الآلات ينظفون القطن بها في ترودس بدلاً من ارسالها الى تريستا ويكتفون بمئة فاعل عن الخمسمائة والخمسة والعشرين

وقد اكتشفوا الى اليوم اربعة انواع من القطن منها شكل ابيض يساوي الطن منهُ من عشرة جنيهات الى ثمانية عشر جنيهاً . والشكل الثاني من خمسة جنيهات الى ثمانية الطن والشكل الثالث ويسمى ساربنتينا ويقسم الى نوعين النوع الاول ويساوي ثمن الطن منهُ من ٢٥ الى ٤٠ جنيهاً الطن والنوع الثاني من ١٥ الى ٢٥ جنيهاً الطن

وزار هذا المعمل الدكتور زدارسكي الخبير بهذا النوع من القطن وقدّر انهُ في المستقبل يمكن استخراج قطع كثيرة من هذا النوع لا يقل حجم القطعة عن الانش (العقدة) ويساوي ثمن الطن منهُ نحو ستين جنيهاً

اما شركة هذا المعمل فمؤلفة من اربعة اثنان منهم يونانيان من تريستا وآخر نمسوي من تريستا ورجل اسرائيلي من تريستا ايضاً ورأس مالها ٢٦٠ الف مارك عدا ثمن الآلات التي دفعوها من مالهم الخاص

اما الشغل في هذه الشركة فمن ابريل الى آخر اكتوبر كل عام واذا توفرت لديهم الآلات فيمكن الشغل كل السنة

وقد علمت ان كل ما استخرج من القطن من اول ابتداء العمل الى الآن يقدر بنحو اربعماية طن ويظنون انهُ سيبلغ المستخرج في المستقبل الفي طن كل سنة

اما الحكومة فتأْخذ منهم حسب الاتفاق الاول عشرة في المئة من القطن ثم تشتريهِ الشركة منها اذا لم يوجد لديها من يشتريهِ منها

وقد اعطت الحكومة مثل هذا الامتياز لغير هذه الشركة لخمسين سنة كما اعطت هذه واشترطت على كل من يجد القطن ان يخبرها بالحال عن اكتشافهِ واعطتهم امتيازًا من الآن الى خمس سنين حتى اذا وجدوا شيئًا يعقدون الاتفاق معها عليهِ لخمسين سنة وخولتهم الحق بالتفتيش على ذلك في كل مكان بالجزيرة عدا المكان المكتشف بيد هذه الشركة ودائرة اتساعهِ نحو خمسة وستين ميلاً

وسالت كم يمضي من الوقت حتى ينتهي استخراج هذا القطن فقيل لي اكثر من خمسمائة سنة اذا استمر العمل على قياس الشغل كل السنة والقوة مضاعفة

والحق ان من يرى الجبال وكثرة الصخور ومن يشتغل فيها يظن انها لا تنتهي في اكثر من الف سنة

وشاهدت بعيني بعض العمال ينبشون التراب فيجدون تحتهُ صخرًا وفيهِ كثير من عروق القطن ومئات من الاكياس مملوَّة لترسل الى تريستا لاجل عملهِ طبق المرغوب وحياكتهِ ثيابًا وقمصانًا فاستغربت الامر

جبل ترودس بقبرس في ٨ اغسطس سنة ١٩٠٨ شاهين مكاريوس

القرنفل في التاريخ

قال ويربارخ الشهير ان تاريخ القرنفل يحتوي قسمًا من تاريخ الانسان وهو قول صدق لاننا اذا انعمنا النظر في التاريخ العام من اقدم الازمنة الى العصر الحاضر رأَينا للازهار شأْنًا كبيرًا في معتقدات البشر وشعائرهم الدينيَّة وتاريخ رجالهم وهذا يطلق على الهنود والمصريين القدماء واليونان والرومان والفرس والصينيين واليابانيين ونحوهم

ولما انتشرت النصرانية صار اعتبار الازهار مدنيًّا فقط ولكن بقي لهُ اثرٌ في الحفلات الدينيَّة ولا سيما في تكريس الكنائس . وحتى الآن يلقب الايطاليون زهر المنثور بزهر الفصح ولا بدَّ منهُ عندهم لاتمام بهجة ذلك العيد وترى الناس يزينون بهِ موائدهم في عيد الفصح ومعابدهم واذا لم يكن مع احدهم شيءٌ منهُ في العيد تشاءم من ذلك شرًّا . هذا وساخص مقالتي هذه بزهر القرنفل

يُطلق القرنفل على نبات بستاني له زهر احمر في الغالب طيّب الرائحة . ولقد نُسب اليهِ منذ القدم حوادث تاريخية ومشاهد اكثرها دموي . ولعل ذلك اشارة الى لونهِ الاحمر اما منشأُهُ فقد روتهُ الاساطير اليونانية القديمة كما يأتي :

خرجت الالاهة ديانة الى البرية في طلب الصيد فلم تصطد شيئًا وعادت كئيبة حزينة فابصرت في طريقها راعيًا يزمر بزمارهِ وهو على غاية من الحبور فاشتد غيظها ودنت منهُ وهي تشتمهُ وتتهددهُ بالموت لانهُ نفّر بغنائهِ صيدها . فذعر منها وبكى واستعطفها قائلاً انهُ لم يقصد الاساءة اليها . اما هي فلم تعرهُ اذنًا صاغية بل وثبت عليهِ واقتلعت عينيهِ . غير انها ما لبثت ان آب اليها رشدها فندمت اشد الندم على فعلها الفظيع وودت لو اعادت الى الراعي عينيهِ ولكن ذلك كان فوق طاقتها . ولما لم تعد تقوى على النظر الى تينك العينين خطر لها ان تؤبدهما بصورة اخرى تذكّرها على الدوام بفعلتها الشنعاء وللحال طرحتهما على الارض فنبت منهما قرنفلتان حمراوان تشيران بنقشهما الى فعلها القبيح وبلونهما الى الدم الزكي . خرافة استنبطوها للدلالة على لون القرنفل

واعظم قدر حازهُ القرنفل كان في بلاد فرنسا ولا سيما في بعض حوادثها التاريخية الدموية . اما اول ظهورهِ فيها فينسب الى عهد الملك لودوفيك التاسع الذي كان سببًا لتعظيم هذا الزهر وانتشارهِ في جميع الارجاء الفرنسوية . وذلك انهُ لما كان في حرب الصليبيين الاخيرة سنة ١٢٧٠ محاصرًا مدينة تونس فشا الطاعون في جيشهِ واباد منهُ خلقًا كثيرًا ولم يستطع الاطباء ان يخففوا وطأتهُ بجميع حيلهم وعلاجاتهم . وكان الملك قد اوجس خوفًا من هذا الوباء ولاعتقادهِ ان لكل داء دواء جزم ان في تلك البلاد نباتًا شافيًا منهُ وبينما هو يتأمل في ذلك ابصر في بقعة من الارض زهرةً ادهشتهُ بلونها الجميل وشذاها الطيب فتفاءل بها خيرًا وامر ان يُقطف من نوعها مقدار وافر ويُطبخ ويقدم للموبوئين . ويقال انهم ما كادوا يشربون من مائها حتى شفي اكثرهم واخذ ظل الطاعون يتقلص شيئًا فشيئًا غير انهُ ابى قبل رحيلهِ الا ان يصيب الملك لودوفيك نفسهُ ويفتك بهِ ولم تنجهِ تلك الزهرات منهُ . ولما عاد الصليبيون الى اوطانهم حملوا معهم شيئًا كثيرًا من زهر القرنفل تذكارًا للملك الذي كان مثال الحنو وآية الرأفة ومذ ذاك الحين صار القرنفل من احب الازهار الى الفرنسويين على اختلاف طبقاتهم

وبعد ذلك عاد القرنفل فظهر في تاريخ فرنسا ظهورًا جديدًا وصار أحب الازهار الى كوندي العظيم (لودوفيك الثاني) القائد الفرنساوي الشهير الذي قهر الاسبان في معركة

روكروى سنة ١٦٤٩ . وذلك ان هذا البطل أُلقي في سجن فنسن بسبب الدسائس التي دست عليهِ لحبًّا بالتسلية ودفعاً للضجر اخذ يعمل بالزراعة فغرس امام نافذة سجنهِ بضع قرنفلات فزهت وازهرت وخلبت لبهُ الى حد انهُ صار يفتخر بها كافتخارهِ بانتصاراتهِ الباهرة وكانت هذه الازهار سلوتهُ الوحيدة وتعزيتهُ الكبرى في السجن . واتفق ان زارتهُ الشاعرة كوندي (مدام سكوديري) فدهشت حينما رأتهُ يداري تلك الازهار يسقيها ويركس ارضها بمنتهى اللذة والغبطة وكتبت تذكارًا لذلك الابيات التي تعريبها "عندما تشاهد هذه القرنفلات التي يسقيها جنديٌّ باسل بيديهِ القاهرتين اذكرْ ان ابولون كان يبني الاسوار واله الحرب بستاني" . وفي اثناء ذلك كانت زوجتهُ (حفيدة ريشيليه الشهير) تدافع عنهُ اشدّ المدافعة وتوصّلت الى ان حملت رجال البلاط في مدينة بوردو على الاقتناع ببراءة زوجها مما اتُّهم بهِ واخيرًا فازت بانقاذهِ من السجن فلما بلغهُ هذا الخبر هتف قائلاً "اليس هذا الامر من الآيات والعجائب الجندي المجرَّب مهتمّ بغرس قرنفلاتهِ وانمائها وزوجتهُ تثير في اثناء ذلك حربًا سياسيةً شديدة وتخرج منها ظافرة ?"

ومن تلك الآونة صار القرنفل رمزًا الى اعوان كوندي وذويهِ ولبث دهرًا طويلاً رمزًا الى انقيادهم اليهِ وتفانيهم في خدمتهِ وخدمة آل بوربون عمومًا وعلى الخصوص في تضاعيف الثورة الفرنساوية التي حدثت سنة ١٧٩٣ وقُتل فيها جمهور غفير من الابرياء وذلك ان هؤلاء الشهداء كانوا يزينون صدورهم وهم منطلقون الى النطع بازهار القرنفل دلالةً على انهم يموتون ضحيةً عن ملكهم وانهم ينظرون الى عيون الموت بلا وجل . وفي هذه الآونة صارت زهرة القرنفل تُدعى " ocillet d'horeur " اي قرنفلة الهول . وصار للقرنفل لدى فلاحي فرنسا معنى خاص فان فتيات كل قرية كن يجمعن منهُ باقات ويقدمنها لشبان قريتهنَّ وهم منطلقون الى ساحات الوغى اشارةً الى رجائهنَّ بان يعود اولئك الشبان الى الوطن بعد مدة قصيرة فائزين غانمين

وكان الجم الغفير من جنود نابليون الاول يعتقدون بقوة ازهار القرنفل ويعتبرونها حرزًا قويًّا يقيهم من رصاص العدو ويشدّد عزائمهم للكفاح والانتصار . وكثيرًا ما كان يُشاهد على صدور القتلى من العساكر باقات من القرنفل كأنها تشير الى جهادهم وتصرح بانهم ماتوا دفاعاً عن الوطن متأسين بمشاهدة هذا الزهر الجميل الذي يحمل اريج الوطن ويرمز الى البسالة والاقدام . وموجز القول ان القرنفل كان لهُ شأن كبير عند عموم الجنود الفرنساوية حتى ان نابوليون العظيم لما انشأ وسام اللجيون في ١٥ مايو (ايار) سنة ١٨٠٢

اختار لربطتهِ لون القرنفل فخلَّد هذا الزهر وامتيازهُ في تاريخ فرنسا وشغف الشعب الفرنساوي بهِ منذ قديم الزمن . ومما يجدر ذكرهُ ايضاً ان لزهر القرنفل في فرنسا ذكرًا آخر مرتبطاً بالملك رينې التعس الذي بعد ان حرمهُ لودوڤيك الحادي عشر ميراث والدهِ (دوقية انجو) ارتحل الى مدينة اكس (Aix) في بروڤانس واشتغل هناك بزراعة القرنفل ولم يمضِ الاَّ القليل من الزمن حتى حذا حذوهُ في هذا الامر اكثر الاهلين فأصبحت مدينة اكس حافلة بهذا النوع من الازهار وظلَّت مشهورةً بهِ حتى الآن . وكانت زراعة القرنفل أحبَّ عمل الى دوق بورغوند حفيد لودوڤيك الخامس عشر. فهذا الدوق شغف بالقرنفل وهو في سن الحداثة وكان يدعو نفسهُ "البستاني العظيم" غير ان هذه التسمية لم ينلها الاَّ بمكر احد حاشيتهِ . وذلك ان البرنس كان اذا غرس قرنفلة يستبدلها هذا الماكر ليلاً بقرنفلة كبيرة مزدهية ويقول للبرنس في الصباح التالي "ما اعظم سلطتك على الطبيعة ايها الامير فان القرنفلة التي زرعتها امس قد نمت وازهرت في ليلة واحدة" . وكان الدوق يختال طربًا وفخرًا ويزداد اعجابهُ بقدرتهِ ويعتقد في نفسهِ القوة والجبروت

هذا هو نصيب القرنفل في فرنسا وهذا هو تاريخهُ كما ترى فلهُ شأن كبير في بعض حوادثها الشهيرة غير انهُ في البلدان الاخرى ليس دون ذلك

ففي انكلترا لم يظهر هذا الزهر الجميل الاَّ في القرن السادس عشر وحال ظهورهِ كان موضوع اعجاب الملكة اليصابات (ملكة الانكليز وقتئذٍ) وجميع اعيان دولتها . فكانوا يزرعونهُ في البساتين والبيوت المسخنة ويتأنقون في زراعتهِ بمنتهى المباهاة والفخر . اما الملكة فلم تكن تفارقهُ لحظة من الزمن بل كان في صدرها طاقة منهُ على الدوام إن في الاجتماعات البسيطة او في الحفلات الكبيرة . وحذا حذوها جميع اهل البلاط . ومما يجدر ذكرهُ ان ازهار القرنفل المختصة بالملكة كانت على جانب عظيم من الغلاء فلم تكن قيمة الزهرة الواحدة اقلَّ من جنيه . وارادت دوقة ديڤونشير في احد الاعياد ان تزين رأسها باكليل صغير من زهر هذا القرنفل فلم يتسنَّ لها ذلك الاَّ بان دفعت ثمنها مئة جنيه . والى الآن ترى دوقات ديڤونشير مغرمات بزهر القرنفل الى حد انهنَّ لا يدعنَ زهرة اخرى تضمَّ الى طاقات القرنفل التي تزين غرفهنَّ وموائدهنَّ وهنَّ يعتنينَ بهذه الازهار اعتناءً غريباً

واول مَن غرس القرنفل في انكلترا جرارد بستاني القصر وكان قد حصل على قرنفلة من بولونيا عام ١٥٩٧ ومن ذلك الحين صار القرنفل ينمو ويزداد في انكلترا ولم تدخل سنة ١٦٢٩ حتى صارت انواعهُ نحو الخمسين . وكان بركنسون البستاني يقسم هذه الانواع الى قسمين

عقيقيَّة ومنثورة · وكان اشهر هذه الانواع وقتئذٍ القرنفلة المسماة" وليم الحلو" تذكارًا لوليم شكسبير الشاعر المشهور الذي اورد في " الحكاية الشتويَّة " التي نظمها ما تعريبهُ " اخر زهور الصيف القرنفلات العقيقيَّة والقرنفلات المنثورة المخططة" وقد ذكر القرنفل ايضاً غير شكسبير من مشاهير شعراء الانكليز مثل تشوسر وملتن وسبنسر ولم ينسوا مدح القرنفل " وشذاهُ الالهي " في كل شعرٍ قالوهُ عن النبات

عُرف مما سبق ان القرنفل كان موضوع حب الطبقات العليا في انكلترا وفرنسا · اما في بلاد البلجيك فاكتسب محبة الفقراء والبسطاء فقط وعلى الخصوص فَعَلة المناجم الذين يقضون اكثر اوقاتهم في اشد عناء الاعمال فهؤُلاء كانوا يتنافسون بهذا النوع من الازهار ويعتنون بزراعتهِ الاعتناء التام · وكانوا اذا فرغوا من اشغالهم الشاقة يستنشقون شذا تلك الازهار الجميلة وفي يقينهم انها تعزّيهم برائحتها والوانها الحسناء وكأَنها تقول لهم " ولكم ايضاً قد أُعد الهناء" وقد فعل القرنفل بين تلك الطبقات الفقيرة في بلاد البلجيك ما لم تفعلهُ الارشادات والمواعظ لانهُ من المعلوم ان البسطاء اذا كانوا بطالين لا يلهيهم شغل او عمل فالغالب انهم يعكفون على المقامرة والسكر وما اشبه . اما في بلجكا فقد ضعفت هذه المفاسد كثيرًا بل اضمحلت من بعض المحال وذلك بسبب انشغاف القوم بزراعة القرنفل وتربيتهِ وهذا الانشغاف باقٍ الى الآن في بلجكا وقد انتشر في اكثر انحائها فنما زهر القرنفل في تلك البلاد وكثرت انواعهُ وصارت محببة الى اكثر طبقات الشعب وقلما ترى في تلك البلاد بيتاً خالياً من هذه الازهار الجميلة بل تراها منتشرة في كل مكان تزهو بها الحدائق والرياض ونوافذ البيوت وموائدها · اما في بيوت الفقراء والفعلة فتراها مزروعة في انية عتيقة زاهية بفاخر الوانها · ويحسب اهالي البلجيك هذا الزهر رمزًا الى الهناء العائلي والمحبة الوالدية · وكل واحد من احداث الفعلة اذا كان بعيدًا عن بلدهِ وشاهد شيئاً من زهر القرنفل تذكر حالاً والديهِ وحنَّ اليهِ اي حنين · وحينما تريد الوالدة ان تبارك ولدها تقدم اليهِ طاقة من القرنفل كأَنها الزينة الوحيدة التي تستطيع ان تمنحهُ اياها مع البركة · وكذلك اذا اراد الولد ان يكافئ والدتهُ بعد موتها فانهُ يغرس القرنفل على قبرها كدليل على اشرف عواطفهِ واشد محبتهِ لها · وطاقة القرنفل تستخدم هناك بين المتحابين هديةً سنية وترجماناً فصيحاً للافكار والعواطف و يشاهد القرنفل على كثير من الصور القديمة وخصوصاً صور النساء وترى ازهارهُ في كنيسة فيرار على صور بعض القديسين وتشاهدها مرسومة على بعض الانسجة والمطرَّزات وخصوصاً في مدينة بروسل

ولقد حاز القرنفل اعتبارًا فائقًا عند فعلة النمسا في تيورنغن حتى اذا رأى احدهم نوعًا جديدًا منهُ ينشغف بهِ ويدفع ثمنهُ نصف اجرتهِ عن اسبوع كامل واذا كان لا يملك الَّا نجحة اعطاها للحصول على ذلك النوع . غير ان الالمان لم يحفلوا بالقرنفل بنوع عام . نعم انهم كانوا يعتبرونهُ على الدوام رمزًا الى الثبات والامانة لان ازهارهُ لا يتغير لونها في الغالب ولو جُففت ولكن شعراءهم امتهنوا القرنفل لما رأَوا احتفال الشعراء الفرنسويين بهِ فصار يدعى عندهم "زهر المجد الباطل" و"جمال الجسم" ويُشبَّه بالمرأة الجميلة العارية من المحاسن الادبية . وفي هذا الصدد قال غوتي شاعرهم المشهور "ايتها القرنفلات انتنَّ جميلات ولكنكنَّ متشابهات بحيث لا تفرق الواحدة عن الاخرى فلا يتيسر لي ان اختار شيئًا منكنَّ"

اما زمن ظهور القرنفل في المانيا فكان على عهد كارلوس الخامس وذلك انهُ بعد ان فرغ من حروبهِ في تونس وانقذ اثنين وعشرين الفًا من النفوس من رق العبودية وعاد الى بلادهِ ظافرًا مجيدًا احضر معهُ شيئًا من زهر القرنفل وقد شغف بهِ الى حد انهُ لم يعد يفارقهُ فامر ان يغرس في جميع حدائقهِ

واذا تحوَّلنا الى ايطاليا رأَينا القرنفل قد اكتسب رضى جميع السكان على اختلاف الطبقات والاميال وحينما يأزف اوانهُ ترى نساء الطليان يبرزنَ من منازلهنَّ زرافات وقد تزينَّ بباقات منهُ في صدورهنَّ وعلى رؤوسهنَّ . وزهر القرنفل في هذه البلاد يُحسب منذ القدم عوذة الحب وخصوصًا بين الفلاَّحين فاذا اراد احد الشبان منهم السفر الى مكان بعيد تقدمت اليهِ محبوبتهُ ووضعت في صدرهِ طاقة من هذا الزهر كأنها تسأل لهُ سفرًا سعيدًا وعودًا حميدًا وهي في الحقيقة تعتقد ان هذه الطاقة سترافق حبيبها في سفرهِ وتصدُّ عنهُ جميع الإِحَن وتذكّرهُ بها كيف سار فيقتبل هذه الهدية ويحتفظ بها كاحتفاظهِ بنفسهِ . وفي مدينة بولونيا أُطلق على القرنفل اسم "زهرة القديس بطرس" . وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر يونيو (حزيران) — يوم تذكار هذا القديس — يزينون بازهارهِ جميع الكنائس والبيوت وقلما ترى احدًا من الرجال او النساء غير متزين في ذلك اليوم بشيءٍ منهُ حتى الشيوخ والجنود يشاركون الجميع بهذه الزينة فترى مع كلٍّ منهم زهرة في عروة ردائهِ . وقد ظهر القرنفل في ايطاليا قبل ظهورهِ في بلجكا بمئة عام ولذلك تراهُ في ايطاليا اكثر انتشارًا وانواعًا مما هو في بلجكا ويُقال ان اول ظهورهِ عند الايطاليان كان على يد متى سلفاتيك سنة ١٣١٠ وانهُ جُلب من المشرق مع غيرهِ من الازهار

وللقرنفل اعتبار عظيم في المخاطبات الحبية السريَّة بين المحابين في اسبانيا وخاصةً في

فالنسيا حيث يعتني بهِ اربابهُ الى حد انهُ ينبت عندهم على مدار السنة تقريباً غير انهُ في شهر دسمبر (كانون الاول) يبلغ ثمنهُ منتهى الغلاء حتى ان بعض المحبين يدفعون ثمن الزهرة ستة ريالات وهديَّةً مثل هذه حينئذٍ تعد اثمن التحف وافخر الطرف عند حسان الاسبان . ويتخاطب الاسبانيون بالوان القرنفل ويتفاهمون كأنها من اللغات المكتتبة

وقد بقيت امور كثيرة في تاريخ القرنفل وكلها تدلُّ على علو منزلتهِ بين الازهار وما كان لهُ من الشأن والاعتبار خليل بيدس



النموغرافيا

اي حل المسائل الحسابيَّة والجبرية بالجداول

لا يخفى ان كل المشتغلين بالعلوم التي تحتاج الى حساب وتدقيق كالفلكيين والمهندسين والمساحين والبنائين والتجارة والمدفعية يحتاجون الى اجراء حسابات عديدية كثيرة قد تكون صعبة وقد تكون طويلة مملة ولوكانت سهلة كعمليات الضرب والقسمة والترقية والتجذير الاَّ ان الاستاذ موريس دوكاني العالم الرياضي الفرنسوي قد ازال تلك الصعوبة وذلك الملل باختراعهِ جداول تعرف منها نتائج العمليات بسهولة تامة وباقل ما يكون من الوقت وهو واضع العلم الذي فيهِ هذه الجداول ويسمَّى علم النموغرافيا كما ان الاستاذ مونج وضع علم الهندسة الوصفية الذي يمكن بواسطتهِ ايضاح جميع اشكال الاجسام الطبيعيَّة ذات الابعاد الثلاثة بواسطة رسم موضوع على سطح مستوٍ

هذا وقد وعد المقتطف قراءهُ الكرام بانني سانشئُ فصولاً قريبة المأخذ في هذا العلم الجديد افادة لقرائهِ المشتغلين بالعلوم الرياضية وانجازًا لذلك بادرت الآن بهذا الفصل فاقول

لا يخفى ان المشتغلين بالعلوم الهندسية ونحوها يملون من العمليات الحسابيَّة الطويلة ويودون الوصول الى نتائجها من غير تعب . وقد استنبطوا اساليب مختلفة للوصول الى ذلك كالجداول العددية وعملها عسير جدًّا ولا تسمح الاَّ بحل العبارات ذات الكميتين المتغيرتين وكالآلات والمساطر الحسابيَّة وهي في الغالب غالية الثمن لا يتيسر لكل احد الحصول عليها

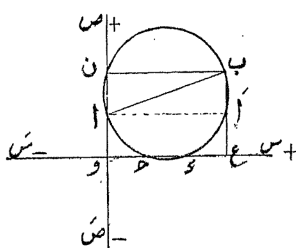
ولا نستعمل الآ في العمليات العمومية كالضرب والقسمة والتجذير

وقد التجأ الرياضيون منذ مدة الى اجراء حساباتهم بالطريقة الرسميَّة (غرافيك) وهي مسهلة الاستعمال لان النظر يقوم فيها مقام الحساب العددي . وتنقسم الى قسمين مختلفين احدهما الحساب بالخطوط Le calcul par le trait وسنبينهُ في ما يلي والثاني الحساب النموغرافي La Nomographie وعليهِ مدار هذه المقالة

اما الحساب بالخطوط فبني على رسم خطوط هندسية بسيطة يمكن قياسها بسهولة هي وما بينها من الزوايا والاقواس بالنسبة الى مقياس يتَّفق عليهِ ويصنع منها رسم هندسي يسمَّى لوحةً (Epure) يستخرج منها مقدار الخطوط الاخرى حسب المقياس المتفق عليهِ . وايضاحاً لذلك نذكر المثالين التاليين

الاول لنفرض اننا اردنا ان نعرف العدد الذي مربعهُ يساوي مجموع مربعي عددين معلومين ا و ب . فارسم مثلثاً قائم الزاوية طول ضلعيهِ مساوٍ للمقدارين ا و ب حسب المقاس المتفق عليهِ فوتر هذا المثلث يساوي العدد المطلوب حسب الوحدة في ذلك المقياس

الثاني لنفرض اننا اردنا حل هذه المعادلة من الدرجة الثانية وهي س^{٢} + م س + ي = ٠ حيث تكون س رمزًا للمجهول و م و ي رمزين لعددين معلومين فنرسم مستقيمين احدهما قائم على الآخر س سَ ص صَ يتقاطعان في نقطة و كما في الشكل الاول ثم نعين نقطة ا في الخط المستقيم ص صَ بحيث يكون طول وا مساويًا للوحدة المأخوذة مقياساً اي سنتمترًا مثلاً ثم نعين على المستقيم س سَ البعد وع مساويًا لمقدار − م وعلى المستقيم ص صَ البعد ون مساويًا للعدد ي ونقيم على النقطتين ع و ن عمودين على



المحورين س سَ ص صَ فيتقاطعان في نقطة ب فيوصل المستقيم ب ا ويجعل قطرًا للدائرة التي تقطع المستقيم س سَ في نقطتي ﺣ د فيكون البعدان وﺣ ود هما مقدارا س اي جذرا المعادلة . ولبرهان ذلك نرمز بالحرف اَ الى نقطة تقاطع الدائرة بالعمود ب ع فيكون وﺣ + ود = ود + دع = − م و وﺣ × ود = وا × ون وون = ع ب = ي . وحيث ان

مجموع الجذرين يساوي المكرر م بالسالب وحاصل ضربهما يساوي المكرر الثاني ي وهذه الخاصية لا تتم الاَّ في المعادلة ذات الدرجة الثانية فيكون الحل صحيحاً مع ملاحظة ان وا = الوحدة اعني وا × ون = ون = ع ب = ي كما تقدم

ولزيادة الايضاح رسمنا الشكل باعتبار ان الوحدة تساوي سنتمترًا وجعلناهُ مثلاً لحل المعادلة الآتية وهي

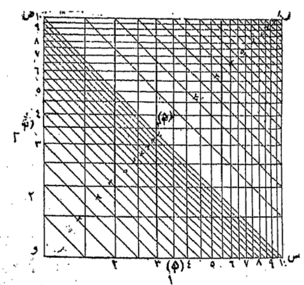
س٢ — ٣ س + ٢ = ٠ ومن الشكل يعلم ان جذري المعادلة هما سَ = و ﻫ = ا و سً = ود = ٢ وان المثلثين اللذين تقدَّم بيانهما قد اتَّضح منها كيفية ايجاد النتيجة بواسطة الحساب بالرسم والآن ننتقل الى علم النموغرافيا بالذات

عُلم مما تقدَّم انهُ للحصول على نتيجة العملية بواسطة الحساب بالرسم يلزم على كل حال عمل رسم توضح فيهِ المقادير بخطوط هندسيَّة بمقدار الاعداد المتداخلة في العمل ولكن علم النموغرافيا لا يحتاج الى ذلك لان فيهِ جداول ذات ارقام يمكن بواسطتها استعلام النتيجة الحسابية بقراءة الارقام التي عليها وهذه الجداول تعمل مرة واحدة وتستعمل دائماً وتسمَّى باسم اباك اي رقعة او جدول او نموغرام اي قانون او ناموس مرسوم

وهاك وصف ثلاثة من الجداول النموغرافية البسيطة تعلم منها نتائج الضرب والقسمة بثلاثة مقادير متغايرة كما في القانون $ﻫ_٣ = ﻫ_٢ × ﻫ_١$

جدول الخطوط المتقاطعة لعمليتي الضرب والقسمة

هذا الجدول عبارة عن شكل مربع مثل وس وص كما في الشكل الثاني فيهِ ثلاثة انواع من الاتجاهات كل اتجاه منها مركب من ثلاثة خطوط مستقيمة متوازية عليها ارقام فالاول عبارة عن $ﻫ_١$ وهو الخطوط العموديَّة على الضلع و س . والثاني عبارة عن $ﻫ_٢$ المكون لجميع الخطوط القائمة على الضلع وص . والثالث عبارة عن $ﻫ_٣$ المكون لجميع الخطوط الموازية للوتر س ص . وهذه الخطوط تكوَّنت من وضع مقدار لوغارثمات الاعداد



من ٢ الى ١٠ على كلٍّ من المستقيمين وس وص مبتدءًا من نقطة و في كلٍّ منهما · والنقط التي حدثت رقمت عليها تلك الاعداد واقيم عليها اعمدة على المستقيمين المذكورين فحدثت الخطوط المعبَّر عنها بالرمزين $ه_١$ $ه_٢$ اما خطوط $ه_٣$ فتكوَّنت من وصل نقط تقاطع خطوط $ه_١$ $ه_٢$ باضلاع المربع

ولنشرح الآن كيفيَّة الحساب بهذا الجدول بتطبيقهِ على قانون $ه_٣ = ه_٢ \times ه_١$ بفرض ان $ه_١ = ٢$ و $ه_٢ = ٤$ فانظر الى تقاطع المستقيمين $ه_١$ $ه_٢$ المعينين برقمي ٢ و ٤ فينتج مقدار $ه_٣$ على الخط المعين برقم ٨ الموازي للوتر س ص والمار بنقطة التقاطع المذكورة

و بعبارة اصرح لنفرض انك اردت ان تعرف الحاصل من ضرب ٢ في ٤ فانظر الى الرقم ٢ في اسفل الجدول والى الرقم ٤ في الخط القائم عن الشمال وانظر اين يلتقي الخطان العموديان القائمان عليهما فتجدهما يلتقيان في الوتر الذي عددهُ ٨ فالحاصل من ضرب ٢ في ٤ يعدل ٨ · واذا اردت ان تعرف الحاصل من ضرب $\frac{1}{2}$ ٦ في ٦ فانظر الى النقطة بين ٦ و ٧ في الاسفل واصعد مع الخط العمودي المرسوم عليها الى ان تصل الى حيث يتقاطع هذا الخط بالخط المرسوم على ٦ من اليسار عموديًّا فتجد ان الخطين يلتقيان تحت الوتر ٤٠ قليلاً فالحاصل من ضرب $\frac{1}{2}$ ٦ في ٦ اقل من اربعين قليلاً

ويمكن القسمة بهذا الجدول ايضًا فاذا اردت ان تعرف الخارج من قسمة ٤٠ على ٨ فانظر الى وتر ٤٠ والى نقط تقاطعهِ بالعمودي ٨ والى الجهة الاخرى من الجدول حيث يصل الخط المار بنقطة التقاطع هذه فتجد انهُ قائم على الرقم ٥ فالحاصل من قسمة ٤٠ على ٨ يعدل ٥ واذا كانت المقادير المفروضة غير مبينة في الجدول بان كانت ٢٫٣ او ٦٫٤ فتعيَّن نقطتاها بالنظر حسب التدريج اللوغارثمي الذي على الرسم . وهذه العملية تسمَّى بالتقدير النظري Interpolation graphique

الاباك المسدس لبيان عملية الضرب والقسمة ايضًا

هو عبارة عن الاباك الذي تقدَّم شرحهُ ولكن حُسّن بحذف جميع الخطوط $ه_١$ $ه_٢$ $ه_٣$ وابقاء ارقام النقط التي على وس و وص ووضع النقط والارقام على القطر ور حيث تتقاطع الخطوط القائمة على وس و وص كما ترى في الشكل الثالث · واذا اردت استعمال هذا الاباك او الجدول فارسم على شفاف ثلاثة خطوط متقاطعة مثل $م ه_١$ $م ه_٢$ $م ه_٣$ حتى تكون اتجاهاتها قائمة على الضلعين وس وص وعلى القطر ور ويسمّي كل خط من هذه

الخطوط الثلاثة دليلاً فاذا فُرض ان $ه_1$ = ٢ و $ه_2$ = ٥ اي اذا اريد ضرب ٢ في ٥ فلايجاد $ه_3$ اي حاصل الضرب حرّك الشفاف على الجدول حتى يقع الدليل م $ه_1$ عموداً على الضلع و س دائماً واستمرّ في حركة الشفاف حتى ان الدليلين م $ه_1$ م $ه_2$ يمرّان بالنقطتين ٢ و ٥ فنقطة تقاطع الدليل الثالث مع و ر هي حاصل الضرب

وهذا الجدول اوضح من الجدول السابق للتقدير النظري غير انهما لا يستعملان الاّ لبيان معادلات ذات شكل بسيط خصوصي

جداول النقط ذات الاستقامة الواحدة

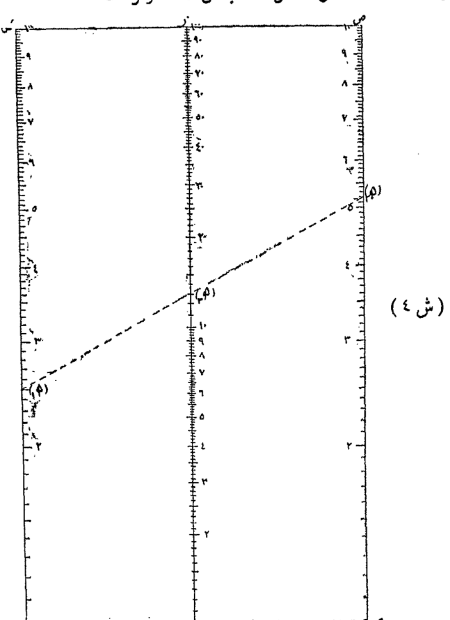
نشرح الآن ابسط نموغرام من هذا النوع وهو اسهل واوضح واتم من الاباكين المتقدمين وفيهِ ثلاثة محاور متوازية كما ترى في الشكل الرابع على الصفحة التالية س سَ ر رَ ص صَ بينها مسافتان متساويتان وعليها نقط وارقام تبعد عن س و ر و ص بمقدار قيمة لوغارثمات هذه الارقام · والمقياس واحد على المحورين س و ص اما المحور ر فالمقياس عليهِ نصف الوحدة المأخوذة للمحورين س و ص

كيفيَّة استعمالهِ — لنفرض ان $ه_1$ = ٥,٢ و$ه_2$ = ٢,٥ فاذا اردت معرفة حاصلها نأخذ على المحور س النقطة $ه_1$ بمقدار ٥,٢ وعلى المحور ص النقطة $ه_2$ بمقدار ٢,٥ وصل بينهما بخيط دقيق يقطع المحور ر فيقطعهُ في النقطة ١٣ فهي مقدار $ه_3$ اي الحاصل من ضرب $ه_1$ × $ه_2$ او ٥,٢ × ٢,٥ . وبدل الخيط الدقيق يمكن استعمال شفّاف عليهِ خط مستقيم بصفة دليل يمر بين رقمي النقطتين $ه_1$ $ه_2$

ويمكن استعمال هذا النموغرام للقسمة ايضاً بوصل رقم $ه_1$ مع رقم $ه_3$ فيصل الخط الى رقم $ه_2$ على المحور ص

وبمقارنة هذا النموغرام بالاباك المتقدم ذكرهُ نجد ان مقادير الارقام $ه_1$ $ه_2$ $ه_3$ تتكوّن في الاباك على ثلاثة خطوط متقاطعة في نقطة وفي هذا النموغرام نجد انها على ثلاث نقط على استقامة واحدة ويتضح من ذلك انهُ يمكن تحويل الاباك الى نموغرام وبالعكس وذلك بواسطة تحويل هندسي يسمَّى تحويل التناظر Transformation corrélative

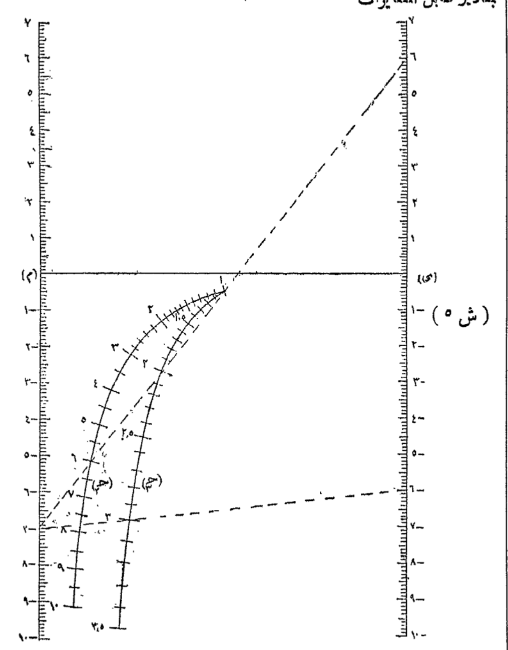
ويمكن ايضاً تحويل النموغرام الواحد الى جميع النموغرامات المبينة لقانون هذا النموغرام وذلك بواسطة تحويل هندسي يسمّى تحويل التناسب Transformation homographique وفائدة ذلك البحث عن الشكل الانسب من تلك النموغرامات



(ش ٤)

ولا يخفى انهُ لا يمكن معرفة المقادير التي تزيد على اربعة ارقام باستعمال هذا النموغرام معرفة تامّة ولكن المعرفة التقريبية تكفي في تطبيقات كثيرة ولا سيما في التطبيقات المتعلقة بفن الهندسة . والغرض من علم النموغرام حصر جميع القواعد الاساسية المختصة ببيان المعادلات والقوانين مهما كان عدد متغيراتها بواسطة جداول مرسومة ذات ارقام وهذه الجداول

النموغرافية مكونة من اجزاء هندسيَّة مرقَّمة بحيث ان الارقام المختصة بكل من تلك الاجزاء الهندسيَّة تقابل متغايرات القانون او المعادلة المعتبرة وبحيث ان الارتباط الجبري بين المتغايرات الموضح بواسطة قوانين هو نفسهُ موضح على الرسم بارتباط هندسي بسيط بين النقط المرقمة بمقادير تقابل المتغايرات



(ش ٥)

وعندهم طرق مختلفة للبيان النموغرافي ابسطها واحسنها طريقة المسيو دوكاني للنقط ذات الاستقامة الواحدة فانهُ يشتق منها جملة طرق تؤدي الى الغرض المطلوب . وايضاحاً لذلك نشرح النموغرام ذا النقط التي على استقامة واحدة في حل معادلة الدرجة الثانية

س٢ + م س + ي = ٠ ومعادلة الدرجة الثالثة س٣ + م س + ي = ٠

وهذا النموغرام المرسوم في الشكل الخامس مركب من مستقيمين متوازيين عليهما ارقام بمقياس متري اعتيادي تدل على المعلومين في المعادلة وهما م و ي وهو مركب ايضاً من مقياسين على خطين منحنيين وهما ح٢ وح٣ يدلان على جذري معادلتي الدرجة الثانية والثالثة

كيفية استعمال هذا النموغرام

لحل معادلة س٣ — ٧ س — ٦ = ٠ فيها المعلومان م = — ٧ و ي = — ٦ فلمعرفة الجذر الموجب لهذه المعادلة يكفي ان تأخذ نقطة تقاطع المنحني ح٣ بخيط دقيق يمتد من نقطة رقم — ٧ على المقياس (م) الى نقطة رقم — ٦ على المقياس (ي) فرقم نقطة التقاطع وهو ٣ هو الجذر الموجب لهذه المعادلة . ولمعرفة جذريها السالبين نبدل س بالحرف — س فتنتج المعادلة س٣ — ٧ س + ٦ = ٠ وفيها م = — ٧ و ي = ٦ وبأخذ نقطتي تقابل الخط ح٣ مع الخيط المار بنقطتي — ٧ و + ٦ ينتج جذرا المعادلة السالبان ١ و ٢

وكل ما ذكر عن المعادلة ذات الدرجة الثالثة يطبق على المعادلة ذات الدرجة الثانية وذلك باخذ نقطة التقابل على المنحني ح٢ بدل اخذها على المنحني ح٣ واذا خرج المقداران المعلومان م و ي من حدود النموغرام في الشكل ٥ تستعمل القاعدة الآتية التي بها يمكن تصغير هذين المقدارين لادخالها في حدود الرسم وهي ان يعوض بالمقدار ﻫ ص في المعادلة المتغيرة مثلاً من الدرجة الثالثة باخذ مقدار المكرر ﻫ عدداً صحيحاً اختيارياً وبقسمة كل من حدود هذه المعادلة على ﻫ٣ فتأول هذه المعادلة الى ص٣ + $\frac{م ص}{ﻫ^٢}$ + $\frac{ي}{ﻫ^٣}$ = ٠ باخذ المقدارين $\frac{م}{ﻫ^٢}$ و $\frac{ي}{ﻫ^٣}$ كارقام تابعة لحرفي م و ي على النموغراف ينتج مقدار ص على المنحني (ح٣) ويكون مقدار س = ﻫ ص

مثال ذلك س٣ — ١٢ — ١٦ = ٠

عوّض عن س بالمقدار ٢ ص باعتبار ان ﻫ = ٢ واقسم الطرف الاول على ٨ تأول المعادلة الى ص٣ — ٣ ص — ٢ = ٠

وتحل بالنموغرام باخذ م = — ٣ وي = — ٢ فينتج ص = ٢ ويكون مقدار س = ٤

فريد بولاد ومحمد منيب

مهندسان بعموم مصلحة سكة الحديد



الزراعة المصرية

في عهد الاحتلال الفرنسوي

وضع المسيو جيرار الذي كان رئيساً لهندسة الجسور والطرق في زمن الحملة الفرنسوية وعضواً في الاكادمية العلمية الملكية وفي الجمعيَّة الجغرافية المصرية كتاباً في هذا الموضوع . وهو يقع في ٢٢٤ صفحة كبيرة مملوءةٍ بالفوائد الزراعية والتجارية والصناعية مما يعزّ الوقوف عليهِ في غيرهِ . وبدأهُ بوصف رحلتهِ في النيل وبيان الغاية منها فقال

تمهيد

عهد اليَّ على اثر احتلال الجيش الفرنسوي لمديريات القطر المصري بركوب النيل حتى الشلال الاول للبحث عن تأثيرهِ في خصب البلاد وجمع ما يتيسر لي من الموادّ والمعلومات اللازمة لتنظيم الري بمقتضى رسم عام يعمل لذلك

فبرحت القاهرة في ١٩ مارس سنة ١٧٩٩ مصحوباً ببعض اعضاء لجنة الصناعة . وفي اثناء سفرنا وجَّه كل منا عنايتهُ الى ما يلائم ذوقهُ الخاصّ من الابحاث . اما انا فكانت غايتي الجلّى تحسين البلاد وتوطئةً لذلك لم ارَ بدًّا من الوقوف على حالتها الحاضرة والإحاطة بالمنافع التي تعود عليها من الزراعة والصناعة والتجارة . فوجدت امامي متَّسعاً للبحث في هذه الشؤُون وجمعت من المواد والمعلومات فوق ما كنت ارجو نيلهُ

فبدأْت من اول يوم سافرنا فيهِ بتدوين ما يتصل بي من المعلومات التي كنت اتلقاها تارةً من مشايخ القرى الذين كنت استدعيهم اليَّ لهذه الغاية وطوراً من المزارعين الذين كنت التقي بهم في تجوالهم وادعوهم الى مركبنا

ولم يكن على المترجم الذي استصحبناهُ الَّا اعادة الاسئلة على من كنت القيها عليهم في اوقات مختلفة فيتمكن سريعاً من استيعاب جوهر اجوبتهم وترجمتهِ ولذلك فاذا صحَّ لي الشك بصحة اقوالهم فاني على يقين من صحة نقلها اليَّ

وعند وصولنا الى اسيوط كانت عساكر الجنرال دسكس لم تتمكن بعدُ من احتلال جميع اعالي الصعيد فاقمنا في تلك المدينة من٢٨ مارس الى ١٨ مايو وشهدت في هذه المدة طريقة الحصاد وتمكنت من مشافهة المزارعين في ما يختص بالزراعة ومقتضياتها في جميع فصول السنة ومن ثمَّ توجهنا الى قنا برًّا متتبعين ضفة النيل اليسرى فبلغناها في ٢٥ مايو . ومن حسن الحظ التقيت هناك بالجنرال بليار الذي كان متوليًّا امر تلك المديرية فوجدتهُ على اهبة السفر وقد اعدّ حملة عسكريَّة للاستيلاء على ميناء القصير . فسنحت لي بذلك فرصة موافقة طالما تمنيتها للوقوف على دخائل الصحراء التي تفصل وادي النيل عن البحر الاحمر ولمعرفة ما انا في احتياج اليهِ من احوال التجارة المتداولة على ذلك الطريق بين مصر و بلاد العرب . وفي اليوم التالي صحبت هذه الحملة الى القصير حيث وضعت حاميةً فرنسوية وعدنا في ١٤ يونيو . ومكثنا في قنا الى ٢٦ منهُ فاتسع لي الوقت للبحث والتثبُّت ممَّا كنت قد علمتهُ عن الاعمال والمحصولات الزراعيَّة واضفت الى معلوماتي ما علمتهُ عن تلك الجهة . ومن ثمَّ سرنا برًّا على ضفة النيل اليمنى حتى انتهينا الى اسنا في ٣٠ منهُ فلم اجد فيها ما يختلف عما كنت قد علمتهُ اثناء اقامتنا في اسيوط وقنا وبعد ان مكثنا فيها ستة ايام رحلنا عنها في ٩ يوليو يممين الشلال الاول فبلغنا اصوان في ١٢ منهُ وقفلنا عنها راجعين في ٢٦ فوصلنا في ٣٠ الى اسنا حيث اقمنا ايضاً عشرة ايام وغادرناها لمشاهدة سهل طيبة فبلغناهُ في ١١ اغسطس ونزلنا على الضفة اليسرى وامضينا اليوم التالي على الشاطئ المقابل واقمنا في الاقصر حتى ٢٩ منهُ فعدنا الى اسنا حيث لبثنا ايضاً الى ١٤ سبتمبر و بذلك نكون قد امضينا فيها ٢٥ يوماً في ثلاث مرات مختلفة . وفي عودتنا لم اعرّج على قنا لاني كنت قد قضيت لبانتي منها فتوجهت توًّا الى مديريَّة جرجا التي كنت تخطيتها في ذهابنا مع ما لها من الاهمية في الصعيد واقمت فيها من ١٢ الى ٢٠ سبتمبر و بعد ذلك امضيت ثلاثة ايام في اخميم ورحلتُ عنها الى اسيوط فبلغتها في ٢٥ سبتمبر سنة ١٧٩٩ وكانت مياه الفيضان قد اخذت في الانحسار فشهدت الناس يزرعون

وفي ذلك الحين كان الجنرال دسكس قد اتخذ مدينة اسيوط مركزًا لهُ ليشرف على حركات مراد بك . فحمل عليهِ في اول اكتوبر واوغل في مطاردتهِ في الصحراء الى ما وراء الفيوم متتبعاً الضفة اليسرى من بحر يوسف . فصحبتهُ في هذه الغارة بقصد تفقد احوال الفيوم ولكنهُ تلقى بعد ذلك بعشرة ايام خبر عودة القائد العام الى فرنسا وامرًا برجوعهِ هو الى القاهرة فاضطرتني الحال الى العدول عن زيارة الفيوم . وسافرنا حالاً الى المنيا ومن هناك

اقلعنا في النيل في ١٤ اكتوبر فعدت الى القاهرة في ١٦ منهُ بعد غياب سبعة اشهر

وكان الجنرال كايبر الذي كان قائداً للجيش قد غيَّر نظام اعمال الجمعية الجغرافية المصرية ونظام لجنة الصنائع وعيَّن عدة لجان أُخر عهد اليها بمراجعة جميع ما كتب مما يلمح فيهِ النفع وضممت انا الى لجان الزراعة والتجارة فقضيت جانباً من شهري نوفمبر ودسمبر في ترتيب المواد والمعلومات التي كنت قد استحصلت عليها من الصعيد لعرضها على اللجان التي صرت احد اعضائها . وفي اثناء هذين الشهرين زرت الاهرام وسقّارة حيث امضيت عدة ايام ووطدت علاقاتي مع مشاهير تجار القاهرة من نصارى ومسلمين فتهيأ لي الحصول على المعلومات التي ستَرِد في ذيل هذا التقرير في الباب الذي افردتهُ لتجارة مصر الحالية

وفي ٢٤ دسمبر سنة ١٧٩٩ سنحت لي فرصة موافقة لاكتشاف احوال الطريق الموصل بين القاهرة والسويس مجتازاً وادي التيه . فوصلت الى السويس في ٢٨ منهُ بعد مسير اربعة ايام واقمت فيها الى ٢٢ يناير سنة ١٨٠٠ وظفرت بفوائد جمة اضفتها الى ما كنت قد علمتهُ عن تجارة مصر مع بلاد العرب · وعدت الى القاهرة من اخصر طريق وهو الذي يمرّ بين المقطم وبركة الحاجّ فبلغتها في ٢٤ منهُ

وفي تلك المدة كانت الجنود العثمانية تتهدد مصر ولم تبطئ ان هاجمتها وكان من الضروري اعادة القتال ونيل الظفر الذي فصل فيهِ الخطاب بموقعة عين شمس

وكنت في ذلك الحين منذ حدوث تلك الموقعة الى ان تمكنت الجنود الفرنساوية من العود للاستيلاء على الصعيد مقيماً في الجيزة فانكببت على تمحيص الاخبار والمعلومات التي استحصلت عليها مما يختص بالزراعة في ضواحي القاهرة

وفي ١٠ مايو سافرت الحامية الجديدة الى الصعيد فصحبت الجنرال زيونشك الذي عين قومندانًا لمديريتي بني سويف والفيوم · فتبعت المشاة على ضفة النيل اليسرى ووصلنا الى بني سويف في ١٣ منهُ . فتمكنت في اثناء سيرنا البطيء من الحصول على معلومات جديدة عن زراعة البلاد التي اجتزناها · وبعدما لزمت الجنرال زيونشك ثلاثة ايام افترقت عنهُ لتفقد احوال مديريَّة الفيوم فتجولت فيها مصحوبًا بقائد الجند الذي كان قد تولَّى امر الضرائب على تلك المديرية فاقمت فيها من ١٧ مايو الى ٢٣ يونيو وعدت الى القاهرة وكان الجنرال كايبر القائد العام قد قتل في ١٤ يونيو وانتقلت القيادة الى غيرهِ · فاقمت في القاهرة نحوًا من خمسة اشهر اتحيَّن الفرص لتفقد احوال مصر السفلى (الوجه البحري)

وكان فيضان هذه السنة بالغًا حدَّهُ فبت اترقب انكشاف الاراضي للجولان في الوجه

البحري واخيرًا سافرت في ١٠ دسمبر الى طنطا وجلت في مديرية المنوفية ووصلت الى فرع النيل الذي يعرّج على رشيد مقابل الرحمانية ومن ثمَّ توجهت شرقًا الى سمنود على فرع دمياط مارًّا بالمحلة الكبيرة

وتركت سمنود في ٣١ دسمبر مقلعًا في ترعة النعبانية التي تصبّ في بحيرة البرلّس . فاجتزت هذه البحيرة ليلاً ووصلت الى بلقيم وهي اهم القرى المبنيَّة على اللسان الفاصل بين هذه البحيرة والبحر المتوسط

وفي ٢ يناير سنة ١٨٠١ استأنفت السفر متتبعاً شاطئ البحيرة الى ان انتهيت الى قرية روس على الضفة اليمنى من النيل مقابل مدينة رشيد . وكان الجنرال زيونشك قومندانًا على هذه المدينة فاقمت معهُ الى ٩ منهُ فبذل وسعهُ في مساعدتي على نحو ما فعلهُ في الفيوم . ثم عدت فعبرت النيل عند مصبهِ وتتبعت شاطئ البحر على مسير يومين الى ان انتهيت الى بوغاز البرلّس وهو المصب الرئيسي لمياه بحيرة البرلّس . ومن هناك ذهبت الى دمياط فوصلتها في ١٣ يناير بعد سفر ثلاثة ايام وكانت هذه المرة الثانية التي زرت فيها دمياط لاني كنت قد تفقدتها منذ سنتين وحدث لي ما اضطرني الى البقاء فيها مدة شهرين . فاكملت هذه المدة ما كنت قد بدأت بهِ من التعرف باحوال التجارة مع سوريا ووقفت على احوال زراعتها الخاصة . فاقمت فيها الى ١٨ منهُ وانتقلت الى المنزلة وهي قرية كبيرة تسمى باسمها البحيرة التي تغطي الجهة الشرقية من الدلتا . ثم تفقدت مصايد السمك في المطرية وفي ٢٣ منهُ اقلعت في ترعة اشمون الى المنصورة فدخلتها في ٢٥ منهُ وخرجت منها في ٢٧ منهُ قاصدًا صان فالصالحية ووصلتها في ٣٠ منهُ وغادرتها في اول فبراير الى بلبيس فالقاهرة فانتهيت اليها في ٤ منهُ

ولم يمضِ على عودتي زمن يسير حتى توقفت الاعمال الحربيَّة وكان لا بد من انضمامي الى احد اقسام الجيش فبقيت في القسم الذي كان بقيادة بليار حتى اجلينا عن القطر المصري فتركنا ابا قير في اوائل شهر اغسطس

فيرى جليًّا ممَّا تقدم اني تابعت البحث في جميع مديريات القطر المصري ووفَّيت هذا البحث الجليل ما يستحقهُ من العناية والدقة في البحث والتنقيب فقمت بمهمتي الخاصة وهي الوقوف على احوال الزراعة والتجارة والصناعة كما يرى ذلك مفصلاً في الابواب التالية

(ا)

مساحة الاراضي المزروعة — الريّ — وسائط الريّ الصناعية

يجتاز النيل في جريهِ شمالاً من اصوان الى القاهرة نحو الف كيلو متر . فيجري في وادٍ عرضهُ نحو ثلاثة فراسخ [1] محصور بين سلسلتي جبال تمتد احداها شرقًا الى البحر الاحمر وتنتهي الاخرى عند حدود صحراء ليبيا . وتفترق هاتان السلسلتان تحت القاهرة فتنعطف الاولى الى جهة البحر الاحمر وتمتد الثانية الى الشمال الغربي حتى البحر المتوسط

والارض بين هاتين السلسلتين وبرزخ السويس مكونة من رواسب النيل اذ كان يخترقها في اماكن مختلفة تبعًا للطوارىء التي كانت تطرأ على مسيلهِ فتغير جهة جريهِ . فاذا ضممنا هذه الارض المتسعة الاطراف الى اراضي مديريَّة الفيوم والاراضي الواقعة في نفس وادي النيل الضيق المتقدم ذكرهُ يتكون من ذلك مجموع الاراضي الصالحة للزراعة في القطر المصري ومساحتها نحو مليونين ومائة الف هكتار (اي نحو خمسة ملايين فدان)

اما التربة فمؤلفة من طبقة سطحية مكسوة بطينة دكناء وتحتها طبقات رملية مختلفة الكثافة يرتشح من خلالها ماء النيل والمياه التي تغطيها ابَّان الفيضان

فبلاد كهذه واقعة بين الدرجة ٢٤ و ٣١ من العرض حيث لا يقع المطر الاَّ نادرًا لا يتأتى اخصابها الاَّ بان تسقى مباشرةً بماء النيل سيحًا (بالراحة) او بآلات

ويبتدئ ارتفاع النيل في المدار الصيفي فيبلغ اشدَّهُ في الاعتدال الخريفي ويعود الى الانخفاض تدريجًا حتى المدار الصيفي من السنة التالية . فيكون زمان ارتفاعهِ ثلاثة اشهر وانخفاضهِ تسعة اشهر . وفي زمن التحاريق يكون علوّ الاراضي التي ينحسر عنها الماء من ٨ الى ١٠ امتار فوق سطح الماء في جهات الصعيد ومن ٤ الى ٥ امتار في ضواحي القاهرة ومترًا واحدًا فقط عند مصب فرعي رشيد ودمياط

وبعد شهرين من ابتداء الفيضان اي بين ٢٠ و ٢٥ اغسطس تقطع السدود التي تكون قد اقيمت على رؤُوس الترع على جانبي النيل

وهذه الترع تتجه في الصعيد مخرفة نحو سلسلتي الجبال المجاورة لوادي النيل حتى تصل الى سفحها فتمتد اذ ذاك متوازيةً الى الصحراء . وهناك يعترض سيرها سدود تستوقف المياه فترتفع وتغشى جزءًا من الاراضي التي على جانبيها وكلما زاد النيل ارتفاعًا علت المياه في هذه الترع وزادت مساحة الاراضي التي تغطيها

---

(١) نحو ١٢ كيلو مترًا

وعندما يبلغ ارتفاع الماء معظمهُ يقطع السد الحاجز فتتجاوزهُ المياه جاريةً من تلقاء نفسها على حدود الصحراء الى ان تلتقي بسدٍ آخر فتتجمع وترتفع وتطغى على الاراضي المحصورة بين السدين . ثم يقطع السد الثاني فتجري المياه حتى يستوقفها سد ثالث وهكذا الى ان تتغطى جميع الاراضي الواقعة على ضفتي النيل بماء الحياض التي تتكون من تعاقب السدود عليها في هذه الترع . وتؤخذ المياه ايضاً على ابعاد مختلفة من النيل بواسطة ترع خاصة تسقي ما لا تصل اليهِ مياه الحياض فتزيد بذلك مساحة الاراضي التي يغمرها الماء

وتلافياً لانحسار المياه عن الاراضي المغمورة بها ورجوعها الى النيل يقام على شاطئيهِ سدود اخرى تدعى جسوراً فتستخدم ايضاً للمرور عليها اثناء الفيضان اذ تكون الاراضي مغطاة بالمياه التي كثيراً ما يزيد ارتفاعها عن مساواة سطح النيل . فيرى من ذلك ان نظام الري هذا يقوم بانشاء حياض متتابعة اثناء الفيضان يرتفع بعضها عن بعض تدريجاً فيسقى بها ما لا يتأتى سقيهُ من النيل مباشرةً

ولذلك فتحسين نظام الري في القطر المصري لا يتوقف على تعميق الترع بمقدار ما يتوقف على حفظ السدود المعترضة

اما الجسور التي تمتد غالباً من بلدة الى اخرى وتستخدم للمواصلات اثناء الفيضان فيعتني بها اهالي البلاد . ولما كانت مصنوعة من التراب مما يجعلها عرضةً لان تخترقها المياه او تقطعها اذا هاجتها الرياح كان لا بد للاهالي من تقويتها بالحصر وما اشبه يعضدونها بنصائب خشبيَّة يغرزونها عمودية عليها

وتستخدم هذه الطريقة من الري في الوجه البحري على النحو الذي وصفناهُ في الصعيد فيرى من ذلك ان مساحة الاراضي التي تغمرها المياه تتوقف اولاً على ارتفاع الفيضان وثانياً على المدة التي يسمح بها لبقاء المياه في الحياض . وبما ان الاراضي الواقعة تحت الحياض تبقى بدون ري حتى تفتح السدود وتأتيها المياه من الاحواض التي فوقها فتأخير فتحها يضرُّ بالبلاد السفلى ويفقدها جميع الامتيازات التي تتمتع بها البلاد العليا ببقاء المياه على اراضيها زمناً طويلاً . وكثيراً ما ادى تضارب المصالح من هذا القبيل الى خصومات دموية كانت عيوب البوليس تزيدها عدًّا حتى استحكم العداء بين اهالي بعض القرى المتجاورة منذ زمن لا يحيط بهِ التاريخ

ومعظم السدود التي تخترق مصر العليا وقلب الدلتا تقاطع طولاً بجسور (كباري) تبنى اعتيادياً من الطوب . وهي ذات قناطر عرض الواحدة منها نحو ثلاثة امتار والمسافة التي

بين ركن واخر منها مبنيَّة ايضاً فتمر المياه من فوقها بعد ان تكون قد مكثت مدة كافية على الاراضي الواقعة فوق هذه الجسور

وجميع الاراضي التي تروى بماء النيل منذ اول فتح الترع لغاية قطع السدود تزرع زرعاً خاصًّا يطلق عليهِ اسم بياضي وهو ما لا يحتاج الى سقي حتى وقت جناه ُ . اما ما يزرع في نفس الفصل في الاراضي التي لا تروى بماء النيل مطلقاً او تروى ريًّا ناقصاً فيحتاج معهُ الى استعمال الوسائط الصناعية فيسمى بالشتوي

وبعد استغلال الزرع البياضي او الشتوي يبدأ بزراعة الصيفي في زمن هبوط النيل فيلزم لريهِ عناء دائم يزيد مشقة كلما زاد النيل هبوطاً

وعند اول ارتفاع النيل وانتهاء الزراعة الصيفيَّة يبتدئ زرع الدميري وهو ما يزرع في الاراضي السفلى والنباري وهو ما يزرع في الاراضي العليا وكلما ارتفع النيل وزادت المياه في الترع خفّت مشقة الزراعة . وتعاقب الزراعة على هذا المنوال يؤدي الى تقسيم طبيعي للسنة عند سكان الريف في مصر . فيقسمها الى ثلاث مدد كل مدة منها ٤ اشهر . الاولى مدة زراعة البياضي او الشتوي والثانية مدة زراعة الصيفي والثالثة مدة زراعة الدميري او النباري في الخريف

وعند ما تكون الاراضي التي تزرع في المدتين الثانية والثالثة مجاورة للنيل او الترع تسقيها الانفار بالدلو او بالشادوف . وبمدة الزراعة الصيفيَّة تسقى اراضي الصعيد من ثلاثة مواقف متتابعة في كل منها نفران يتعاقبان على انتشال المياه بالدلو . اما في زمن زراعة النباري فلا يستخدم الاَّ نفران في موقف واحد

اما الاراضي البعيدة عن النيل والترع فتروى بواسطة السواقي فيستخرج الماء من آبار تحفر لهذه الغاية بواسطة حبل محبوك الطرفين وقد نيط اليهِ اكواز من الفخار على مسافات متقاربة ولف على عجل تديرهُ الثيران

وفي الوجه البحري وخصوصاً في شمالي الدلتا حيث الآبار التي يحفرونها قليلة العمق يستعملون دواليب خشبيَّة عوضاً عن طريقة الحبل المحبوك الطرفين فتعلق الاكواز على محيطها ويديرها الثيران او الجواميس

وقد سبق طبع اوصاف هذه الآلات على حدة فيكفي هنا القول بانها من ابسط الآلات وانسبها استعمالاً في هذه البلاد حيث اجرة الاعمال اليدوية رخيصة للغاية

وقد علمت من نتيجة التجارب التي عملها المهندس المسيو دويثانوي ان العامل المصري

يمكنهُ ان يرفع بالدلو ٤٩ لترًا و ٢٧/١٠٠ من الماء في الدقيقة على علو مترين و ٨٨ سنتيمترًا وذلك اقل بكثير من قوة الرجل الاعتيادية كما تبين ذلك من الامتحانات التي اجريت في اوربا حيث اتضح ان العامل يمكنهُ ان يرفع في الدقيقة ٥٥ لترًا من الماء على علو ٤ امتار

وجرب المهندس المذكور قوة الساقية ذات الحبل المحبوك الطرفين فوجدها توازي تقريبًا خمسة اضعاف قوة الرفع بالدلو بواسطة نفر واحد . وعلى ذلك فيمكن لخمسة انفار فقط ان يتمموا نفس العمل الذي يقتضي لهُ استخدام ثور واحد

الزراعة في البلاد العثمانية

ليس لدينا احصاء رسمي عن احوال الزراعة في البلاد العثمانية ولذلك يضطر الباحث في هذا الموضوع ان يعتمد على تقارير قناصل الدول الاوربيَّة كما سيجيء

والذي نعلمهُ عن ثقة ان البلاد العثمانية كلها من اخصب البلدان وانهُ يجود فيها كل ما يمكن ان يجود في غيرها في الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة لانها جامعة بسهولها ونجودها وجبالها بين هذه الاقاليم كلها ولكن نظام العشور فيها يغلّ ايدي الفلاحين وقلّة طرق المواصلات تمنع نقل الحاصلات فلا بدَّ لاصلاح الزراعة فيها من امرين جوهريين الاول ربط ضرائب محدودة على الاراضي او على الحاصلات ولا بأس بنظام العشور اذا لم يكن التزامًا بل روعي فيهِ العدل التام . والثاني تمهيد الطرق حتى تقل نفقات النقل . وهاتان المسألتان اصعب المسائل كلها ويجب الاهتمام بهما قبل الاهتمام بتنظيم الجيش وبناء البوارج لانهُ ان لم يصر دخل الحكومة العثمانية ثلاثين مليونًا او اربعين مليونًا من الجنيهات فمن العبث ان تهتم ببناء البوارج والبارجة الواحدة لا تبنى الآن باقل من مليوني جنيه . ولا يتضاعف دخل الحكومة الا اذا تضاعف دخل الاهالي

ولا نبالغ اذا قلنا ان دخل الحكومة يجب ان يبلغ ٤٠ مليونًا من الجنيهات وهو الآن اقل من ٢٠ مليونًا لان دخل حكومة ايطاليا ٨٠ مليونًا من الجنيهات وعدد سكانها نحو ٣٣ مليونًا من النفوس لا غير ودخل حكومة اسبانيا يبلغ ٤٠ مليونًا من الجنيهات وعدد سكانها اقل من عشرين مليونًا من النفوس . اما الحاصلات الزراعية التي وقفنا على احصائها في بعض الكتب الاوربيَّة فهي ما يأتي

الحراج او الاحراش — في البلاد العثمانية ٢١ مليون فدان من الاحراش ٣ ½ منها في اوربا وما بقي في اسيا ومساحة الاحراش في انكلترا لا تزيد على ثلاثة ملايين فدان

وفي المانيا وهي من اوسع الممالك احراشاً تبلغ اقل من ٢٥ مليون فدان · وفي احراش البلاد العثمانية الصنوبر والشوح والشربين والسنديان والارز والجوز ونحو ذلك من الاشجار التي يستخرج منها خشب البناء والتجارة

الحبوب — يبلغ حاصل القمح سنويًّا نحو مليوني طن وحاصل سائر الحبوب نحو ثلاثة ملايين طن ونصف اي ان قيمة غلة الحبوب السنوية نحو خمسين مليونًا من الجنيهات

الخمور — صنع فيها سنة ١٩٠٧ نحو ٦٢ مليون كيلو من الخمر ونحو ٩ ملايين كيلو من السبيرتو و ٦ ملايين كيلو من البيرة

الحرير — بلغ موسم الشرانق في ولايتي بورصة واشميد وحدهما نحو سبعة ملايين كيلو سنة ١٩٠٧ . وقد صدر من البلاد العثمانية من الحرير سنة ١٩٠٦ ما ثمنهُ نحو ٣ ملايين ليرة عثمانيَّة ومن العنب ما ثمنهُ مليونان و ٣٥٠ الف ليرة ومن الحبوب والدقيق ما ثمنهُ مليون و ٨٨٠ الف جنيه ومن الصوف ما ثمنهُ ٩١٠ آلاف جنيه ومن التين ما ثمنهُ ٩٠٠ الف جنيه ومن البن ما ثمنهُ ٨٩٠ الف جنيه ومن الافيون ما ثمنهُ ٧٣٠ الف جنيه ومن الجلود ما ثمنهُ ٧٣٠ الف جنيه ومن قموع البلوط ما ثمنهُ ٦٢٠ الف جنيه · وبلغت قيمة الصادرات كلها سنة ١٩٠٦ نحو عشرين مليونًا من الليرات واكثرها ان لم نقل كلها من الحاصلات الزراعية هذا عدا التبغ · اما التبغ فبلغ الصادر منهُ سنة ١٩٠٦ اكثر من ١٨ مليون كيلو فاذا حسبنا ثمن الكيلو ثمانية غروش فقط بلغ ثمن التبغ الصادر نحو مليون ونصف من الجنيهات

وقد بلغت قيمة الصادر الى القطر المصري فقط في العام الماضي من البلاد العثمانيَّة مليونين و ٩٧٣ الف جنيه او نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات المصريَّة وكلها صادرات زراعية ولم يرد الى البلاد العثمانية من القطر المصري في العام الماضي الاَّ ما قيمتهُ نحو ٣٣٧ الف جنيه او اقل من قيمة التبغ الوارد الى القطر المصري من البلاد العثمانية لان قيمتهُ بلغت في العام الماضي نحو ٣٥٦ الف جنيه مصري او نحو نصف قيمة كل التبغ والتنباك الواردين الى القطر المصري

الزراعة والعثمانيون المهاجرون

قابل حضرة صديقنا فرح افندي انطون صاحب مجلة الجامعة ناظر الداخلية في بلاد كندا واستعلم منهُ عن اساليب تملك الاراضي الزراعية في تلك البلاد وحث اخوانهُ العثمانيين المهاجرين على السعي في امتلاك الارض واحيائها والاشتغال بالزراعة وحسنًا

فعل ولكنهُ لو عرف حينئذٍ ان الامَّة العثمانية نالت ما كانت تصبو اليهِ وهو حكومة دستوريَّة ترجي ان تكون مثل حكومة كندا اهتماماً باصلاح بلادها لو عرف ذلك قبلما قابل وزير كندا لعدل عن مقابلتهِ وبذل همتهُ في حث المهاجرين العثمانيين على الرجوع الى بلادهم وتعميرها

لقد جلنا في جهات مختلفة من ايطاليا وفرنسا وسويسرا وانكلترا وبحثنا عن احوال الزراعة فيها وسمعنا شكاوي الفلاحين فرأينا ان البلاد العثمانية تفضل البلدان الاوربيَّة في جودة تربتها واعتدال حرها وبردها واوقات وقوع المطر فيها. امسكت السماءُ عن المطر شهراً وبعض شهر في سويسرا في صيف سنة ١٩٠٠ فيبست المراعي وكادت المزروعات تتلف. وتواصلت الامطار في الصيف الماضي ببلاد الانكليز فتعذَّر على الناس حصد مزروعاتهم. وكم من مرة كانت تشرق الشمس في الصباح فيخرج الحاصدون ويشرعون في الحصاد وبعد اقل من ساعتين تغيم السماءُ ويقع المطر فكنا نراهم ينظرون الى جهات الافق بوجوه باسرة بعد ان كانت باشرة وعيون يكاد القنوط يزيل لألاءها ثم يرمون مناجلهم ويهرولون الى بيوتهم ولا نظن ان حال اهل الزراعة في كندا اصلح من ذلك لانهم تحت رحمة الاحداث الجوية من حر وبرد ومطر وثلج

ولا مشاحة في ان اكثر البلدان التي هاجر اليها العثمانيون في اميركا الشمالية والجنوبيَّة وافريقية واستراليا وجزائر البحر حكوماتها اصلح جدًّا من الحكومة العثمانية كما كانت في العهد الذي ختم في ٢٤ يوليو الماضي. والمنتظر الآن ان تصطلح حكومة البلاد العثمانية سريعاً حتى تضاهي اصلح الحكومات الاوربيَّة وحينئذٍ تزول الاسباب التي دعت العثمانيين الى المهاجرة والمرجح عندنا ان كثيرين منهم يرجعون الى بلادهم لانهم لا يجدون بلاداً اوفر منها خيرات فضلاً من ملاءمة هوائها لما الفوهُ هم واسلافهم من قبلهم. وعسى ان يعودوا اليها مكتسبين همة واختباراً ليساعدوا المقيمين فيها على اصلاحها وابلاغها الدرجة التي تستحقها بين ممالك الارض الراقية

موسم القطن المصري :

ثبت الآن ان الموسم الماضي الذي ينتهي الآن بلغ سبعة ملايين ونحو سدس مليون قنطار ففاق ما كان ينتظر ولولا هبوط الاسعار الذي اصاب نصفهُ الاخير لاغدق الخير على القطر المصري. اما الموسم المقبل فنموهُ جيد ولكن الدودة ظهرت في اماكن كثيرة من

الوجه البحري واضرَّت ضررًا كبيرًا ولم تهتم الحكومة بابادتها كما فعلت في السنين الماضية ولذلك يخشى ان يزيد ضررها . ولكن غزارة الفيضان هذا العام قد تقنع الفلاحين بان ماء النيل كافٍ فلا يتهافتون على الافراط في ري القطن خوفًا من العطش وان فعلوا ذلك فالمرجح انهم يخلصون القطن من الضرر الذي كان يصيبهُ من العطش ومن الافراط في الري وقت الفيضان فتعادل الفائدة الحاصلة من ذلك الضرر الناتج من الدودة ويأتي الموسم كبيرًا وافيًا كالموسم الماضي او اقل منهُ قليلاً ولكن الاسعار الحاضرة تجعل ثمن الموسم الحاضر اقل كثيرًا من ثمن الموسم الماضي ولا امل بارتفاع الاسعار الاَّ اذا أُصيب القطن الاميركي بآفة فقلَّ محصولهُ وحينئذٍ يستفيد الاميركيون انفسهم من ارتفاع الاسعار ويستفيد القطر المصري ايضًا

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

آداب المعاشرة

للاوربيين الذين نعاشرهم عادات يجرون عليها ويحسبون الإخلال بها من قلَّة الذوق ونقص التربية وكثير منها معقول ولا بدَّ من الاقتداء بهم فيهِ لمن يريد التشبه بهم . واذا كانت عاداتنا القومية تمنعنا من التشبه بهم فيجدر بنا ان نعرف عاداتهم حتى لا نخطئ في سلوكنا معهم اذا زرناهم او عاشرناهم ومن هذه العادات ما يأتي

اذا التقى رجل بامرأة من معارفهِ في الطريق وظهر على وجهها انها تريد ان تتكلم معهُ وجب عليهِ ان يدور ويرافقها وهي تتكلم معهُ لكي لا يوقفها في الطريق . ولها وحدها الحق ان تنهي الكلام معهُ وتأذن لهُ في الانصراف ولكن يجب عليها ان تختصر الكلام تمام الاختصار لكي لا تضطرهُ الى المشي معها طويلاً

اذا صعد رجل وامرأة في سلَّم او نزلا فيها وجب على الرجل ان يتوقف قليلاً لكي تسبقهُ المرأة في الصعود او النزول الاَّ اذا كان السلَّم واسعًا يسع الاثنين ليصعدا او ينزلا معًا بسهولة

اذا التقى رجل بامرأة في مكان ضيق فوقف لكي تعبر امامهُ وجب عليهِ ان يرفع لها برنيطتهُ قليلاً ولو لم يكن يعرفها · ويجب عليها ان تشكرهُ على ذلك باظهار البشاشة لهُ لكن فعلهُ وفعلها لا يحسبان سبباً للتعرُّف في المستقبل فلا يحق لهُ ان يسلم عليها في المستقبل كانهُ تعرَّف بها ولا يحق لها ان تسلم عليهِ كأنها تعرَّفت بهِ

البيض الجديد والقديم

البيضة الجديدة تكون مملوءَة اي ان بياضها وصفارها يملأَان قشرتها فاذا سلقتها حينئذٍ لم تجد فيها مكاناً فارغاً · ولكن قشرتها ذات مسام فيتبخَّر منها بعض ما في البيضة ويدخل الهواءُ فيتحد ببعض دقائقها ويحلها او يفسدها · والتبخُّر والانحلال اشد في الصيف منهما في الشتاء كما لا يخفى

والبيض الجديد اثقل من البيض القديم لوجود هذا الفراغ في البيض القديم فاذا اذبت اوقية من الملح في ثماني اواقي من الماء ووضعت بيضة جديدة في هذا الماء فانها تغرق فيهِ حالاً واما اذا وضعت بيضة قديمة فيهِ فانها لا تغرق بل تعوم فيهِ او تطفو على وجههِ حسب قدميتها

والبيض القديم لا يحفظ مدة طويلة ولا فائدة من حفظهِ واما البيض الجديد فيحفظ اذا دهنت قشرتهُ بمادة لزجة تسدُّ مسامها كمذوب سلكات الصودا (المعروف بالماء الزجاجي) تذاب اقة من هذا المركب في اثنتي عشرة اقة من الماء البارد ويوضع البيض في اناء خزفي مدهون ورؤُوسهُ الى اسفل ويصبُّ عليهِ المذوب المذكور حتى يغمرهُ جيداً ويعلو فوقهُ ويغطى الاناء ويوضع في مكان مظلم الى حين الاستعمال والاقة من سلكات الصودا تساوي نحو ثلاثة غروش وهي تكفي لحفظ ٣٥٠ بيضة او اكثر

ولا بدَّ من غسل البيض جيداً بماء فاتر حينما يخرج من هذا الاناء لاستعمالهِ

ومن الطرق الشائعة لحفظ البيض ان تصب اقتان من الماء على اقة من الجير (الكلس) الجديد وثلث اقة من الملح ويحرَّك المزيج جيداً وحينما يبرد تضاف اليهِ عشرة دراهم من زبدة الطرطير ويترك المزيج يومين وهو يحرَّك من وقت الى آخر ثم يوضع البيض في اناء من الخزف المدهون ويصب السائل عليهِ

ومنها الطريقة الاميركية وهي ان يذاب صمغ اللك في الالكحول حتى يكون منهُ فرنيش خفيف او يذاب غراء السمك بالماء حتى يكون منهُ غراء خفيف جداً ويدهن البيض بهذا او ذاك فتنسد مسامهُ ويحفظ زماناً طويلاً

اكثر الاوصاب من الطعام والشراب

هذه حكمة قديمة يؤيدها اختبار كل انسان فان سوء الهضم سبب اكثر ما يشاهد من انحراف الصحة والتعب والقلق والغثيان وضيق الخُلق . ودواؤهُ سهل غالبًا وهو الاعتدال في الطعام والامتناع عن الاشربة الروحيَّة . ويراد بالاعتدال تناول الطعام في اوقاتهِ المحدودة والاقلال منهُ على قدر الامكان ومضغهُ جيدًا جدًّا والاكتفاء بما عرف المرءُ بالاختبار انهُ يسهل عليهِ هضمهُ . فكُلْ ما تستطيبهُ وامضغهُ جيدًا ولا تزد عن الشبع لقمةً واحدة ولا تكثر من الالوان لئلا تشبع من اللون الواحد ثم تغريك نفسك بالاكل من لون آخر فيكون ما تأكلهُ منهُ زائدًا عمَّا تستطيع معدتك وامعاؤك هضمهُ فيفسد هضمك وتسوء صحتك

ولا تتأخر في العشاء الى ما بعد الساعة السابعة الاَّ اذا كنت تنام بعد الساعة العاشرة ولا تجعل الفترة بين طعام وطعام اقل من اربع ساعات

ولا بأس بشرب الكثير من الماء لانهُ يغسل المعدة والامعاء ويساعد على تذويب الطعام وهضمهِ . وباكل الكثير من الفواكه الناضجة كالعنب والكمثرى (الاجاص) والخوخ (الدراقن) وما اشبه فان الفواكه مغذية لذاتها وفيها مواد تساعد الجسم على هضم غيرها من الطعام وافراز الفضول منهُ . وخير الاوقات لاكل الفاكهة الصباح

تسكير الاثمار

يسكَّر المشمش والخوخ والدراقن والكمثرى وما اشبه من الاثمار هكذا : — ينزع قشر الاثمار وتوضع في اناء فيهِ ماءٌ بارد وتوضع على النار حتى تغلي فيزالُ الماء عنها ويصب عليها ماءٌ بارد ويزالُ عنها حتى تبرد ثم تصب اوقية من الماء على اربع اواقي من السكر وتسخن على النار ليذوب السكر ويشتد قوام الشراب ويصير يمتد منهُ خيط اذا رفعتهُ بملعقة فتوضع الاثمار في هذا الشراب وتغلى فيهِ ثم ترفع عن النار وبعد قليل ترد الى فوق النار وتغلى بضع دقائق . ثم تصب الاثمار وما معها من الشراب في وعاء وتترك الى اليوم التالي ويزالُ الشراب عنها ويغلى حتى يسيل ثم يصب فوقها ويترك يومًا آخر ويزالُ عنها ثانية ويغلى حتى يشتد قوامهُ جيدًا وحينئذٍ توضع الاثمار فيهِ وتغلى وترد بعد ذلك الى الوعاء

وفي اليوم التالي يزالُ الشراب عنها وتبسط على لوح واسع حتى تجف ويذر عليها كثير من السكر الناعم واذا جفت يذر عليها ايضًا من السكر الناعم

باب التقريظ والانتقاد

العرب قبل الاسلام

الشكُّ اول مراتب اليقين اما في تاريخ العرب قبل الاسلام فالانكار اول مراتب اليقين لانهُ لم يكن للعرب تاريخ مكتتب فلما فتحوا عيونهم ورأوا لواءهم منشوراً على ممالك كبيرة وكلمتهم نافذة في امم عظيمة جمعوا ما استطاعوا جمعهُ من اخبار اسلافهم المتواترة واوردوهُ على صور تعود عليهم بالفخر ولو بعدت عن المنقول والمعقول حتى انهم انطقوا آدم بالشعر العربي وجعلوا اسلافهم نقطة دائرة الكون ولذلك لا سبيل الى معرفة الحقيقة مما دونوهُ الَّا اذا ايدتهُ تواريخ الامم المعاصرة او الآثار القديمة او لم تكن فيهِ مناقضة للمنقول والمعقول ولم يقم حتى الآن من ابناء العربيَّة من اكتشف اثرًا واحدًا من اثار العرب القديمة وقلَّ مَن عثر على فقرة واحدة في تواريخ الاقدمين لم يسبقهُ اليها غيرهُ من علماء الافرنج. فنعتمد على ابحاث الباحثين من الاوربيين وجهد المجتهد منا ان يحسن القياس عليها والاستنتاج منها

هذا وقد وُفّق صديقنا جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال الى تأليف تاريخ للعرب قبل الاسلام فجمع ما كتبهُ العرب والافرنج في هذا الموضوع وتفهمهُ واستخلص منهُ تاريخًا مسهبًا ذكر فيهِ الاقوال الراجحة والمرجوحة واستنتج منها نتائج معقولة. ومن النتائج التي استنتجها ان حمورابي او همورابي عربي الاصل وهو ما قال بهِ احد مكاتبي النشرة الاسبوعية منذ اكثر من خمس سنوات حينما كشفت قوانين همورابي حيث قال انهُ كان ساميًّا على الترجيح دخل ارض شنعار الخصبة من بلاد العرب وكان قد غلب الكلدانيين واستولى على بلادهم. وقد نقلنا قولهُ هذا الى المقتطف في الصفحة ٤٨٧ من المجلد ٢٨ الصادر سنة ١٩٠٣

ومما اوردهُ المؤلف من الامور التي تستوقف النظر الكتابة التي وجدت على قبر امرء القيس بن عمرو وقد قال انها عربية ولو كان خطها نبطيًّا وهذا نصها

تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو اسر التاج وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مدحجو عكدي وجاء بزجو ? في حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه

الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغهُ عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

قال وهذا لسان عربي تشوبهُ صبغة ارامية وتفسيره

"هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي تقلَّد التاج واخضع قبيلتي اسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج الى اليوم وقاد الظفر الى اسوار نجران مدينة شمر واخضع معدًّا واستعمل بنيهِ على القبائل وانابهم عنهُ لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغهُ الى اليوم توفي سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من ايلول وُفّق بنوهُ للسعادة". اي توفي سنة ٣٢٨ للميلاد

وواضح مما تقدَّم ان العربية التي كانت تكتب في زمن امرىء القيس هذا بعيدة جدًّا عن العربيَّة التي نكتب بها الآن والتي كُتب بها كل ما وصل الينا من كتب العرب واشعارهم فهل كان للعرب لغات متباينة بين التاريخ الميلادي والتاريخ الهجري واللغة المعربة واحدة منها او ان العربيَّة المعربة التي كتبت بها الكتب والدواوين لغة مصطنعة صنعها علماء العرب وعلماء الفرس ووضعوا فيها ما وضعوهُ ونسبوهُ الى الذين سبقوهم ودونوا فيها ما دونوهُ من اخبارهم

ولم نرَ المؤلف اشار الى ان هرقل ولَّي عثمان على مكة بعد ان تنصَّر وذلك سنة ٦١٠ للميلاد اي قبل الهجرة باثنتي عشرة سنة فقط فان لهذا الخبر ان كان صحيحًا شأنًا كبيرًا في تاريخ العرب . ويا حبذا لو ميَّز بميز ما كل ما نقلهُ عن كتب العرب من غير ان تثبتهُ التواريخ المعاصرة لهُ او العاديات لئلا يظن القارئ انهُ كلهُ او بعضهُ من قبيل ما هو مثبت

وفي الكتاب مباحث طلية حرية بالمطالعة وهو موضح بصور كثيرة مما كشف من الآثار العربية ولم ينشر في الكتب العربيَّة الى الآن. ولم نرَ هذا العام كتابًا عربيًّا عني بهِ اكثر من المنجد وهذا الكتاب فنحث كل احد على مطالعتهِ والانتفاع بهِ

بين القاهرة والسويس

بحث مستفيض في طبوغرافية الارض وجيولوجيتها

The Topography and Geography of the District between Cairo and Suez, by T. Barron, A.R.C.S., F.G.S.

لا تمضي سنة الاَّ وتتحفنا مصلحة المساحة بكتابين او اكثر عن اعمالها في تخطيط القطر المصري وجيولوجيتهِ وهذا الكتاب خاص بالارض التي بين القاهرة والسويس على جانبي

خط السويس القديم وطريق البريد القديمة وفيهِ كلام مسهب عن جبل المقطم والاشجار المتحجرة وكيفيَّة صيرورة الخشب حجرًا برسوب السلكا بدل الدقائق الخشبية وقد كانت السلكا ذائبة في مياه الينابيع الحارَّة المندفعة من الجياسر القديمة ولم تزل آثار هذه الجياسر كثيرة على جوانب بركان قديم كان هناك · وفعل الرياح بالصخور والحصى ومقالع الجبس ونحو ذلك مما لا يخلو من فائدة لغير الباحث في علم الجيولوجيا · وقد الحقت بهِ خريطتان الاولى لشكل البلاد التي البحث فيها والثانية لانواع طبقاتها وهي ملونة بتسعة الوان للدلالة على انواع الصخور والطبقات الارضية

وبعدها رسوم كثيرة لطبقات الارض ونسبة بعضها الى بعض في ارتفاعها وجهات ميلها

ولا نرى كتابًا من الكتب التي تنشرها مصلحة المساحة مثل هذا الكتاب الاَّ ونسأل انفسنا قائلين ترى هل يمكن ان نترجم هذه الكتب الى العربيَّة وما نفعل بالكلمات العلمية التي فيها واكثرها لاتيني او يوناني وهي تعدُّ بالمئات والالوف ولا يستعمل العلماء غيرها سواء كتبوا بالانكليزية او الفرنسوية او الالمانية او الطليانية · انجاريهم في استعمال هذه الكلمات كما هي او نحاول ترجمتها · وهل يُعقل اننا ننفق الوقت والمال على كماليات لا ينتفع بها واحد من مليون من السكان ونحن في اشد الحاجة الى الحاجيات

تقرير عن اعمال مصلحة المساحة

سنة ١٩٠٧

A Report on Work of the Survey Department in 1907

غدت مصلحة المساحة في القطر المصري من اهم المصالح الاميرية بهمة مديرها الكبتن ليونس ورجالهِ فمن اعمالها التي يشعر بفائدتها كل صاحب طين في هذا القطر طبعها خرائط الاطيان التي يعرف بها كل مالك حدود ملكهِ · وقد كان لديها في اول العام الماضي ٧٨٦٠٤٢ خريطة من هذه الخرائط واضافت اليها في بحر السنة ٦٠٩٥١٩ خريطة فصار المجموع ١٣٩٥٥٦١ وهبت وباعت منها ٣٩٤٨٥٠ في مدة السنة وبقي عندها نحو مليون خريطة اي انها وهبت وباعت نحو اربع مئة الف خريطة · ويظهر لنا ان ثمن الخرائط الحالي غالٍ جدًّا وما دام رواجها كثيرًا بهذا المقدار فيحسن بمصلحة المساحة ان ترخص ثمنها فتنتفع الناس ولا تخسر لان الخريطة التي تبيعها بخمسة غروش لا يكلفها طبعها وثمن ورقها

نصف غرش . نعم ان عمل الخرائط يكلف كثيرًا ولكن اذا دُفعت النفقات الاولى فاجرة الطبع وثمن الورق زهيدان جدًّا

ومن اعمال هذه المصلحة حساب الاطوال والابعاد في مساحة الاراضي بالمثلثات وبالخطوط المستعرضة (ترڤرس) وقد ظهر ان الفرق بينهما لدى التحقيق طفيف جدًّا من نحو نصف متر الى نحو تسعة اعشار المتر في كل كيلومتر وهذا الفرق الطفيف يشهد لمساحيها بالتدقيق

ومنها نشر الارصاد الجوية وكانت تنشرها اولاً شهرية فعدلت عن ذلك وصارت تنشرها سنوية فتضطر ان تتأخر في نشرها والغالب ان تفوت الفائدة الذين يبنون احكامهم على هذه الارصاد لمعرفة مستقبل الاحداث الجوية فعسى ان ترى ذلك وتعود الى نشر التقارير الشهرية

ومن اعمالها حل المواد الكيماوية والبحث عن تركيب الاتربة والحجارة والادهان والمياه وما اشبه . وقد فُوّض اليها البحث عن نقاوة الغاز الذي تنار بهِ العاصمة فوجدتهُ غير نقي سنة ١٩٠٣ و١٩٠٤ و ١٩٠٥ فغرّمت شركة الغاز في هذه السنوات الثلاث بواحد وعشرين جنيهًا ومن ثم صار الغاز نقيًّا دائمًا حسب المطلوب

والظاهر ان المقاييس التي تقاس بها نقاوة الغاز كثيرة المرحمة فقد جاءنا بالامس احد الاصدقاء وقال ان في الشارع الشمالي الشرقي من ادارتكم رائحة خبيثة جدًّا كأنَّ جثة مدفونةٌ في الارض فذهبنا الى هناك وشممنا رائحة الهيدروجين المكبرت ممزوجة برائحة الامونيا فقلنا لا بدَّ من ان انبوب الغاز مشقوق هنا وهذه رائحتهُ لقلة نقاوتهِ وطلبنا شركة الغاز بالتلفون لحضر عمالها حالاً وحفروا الشارع فوجدوا انبوب الغاز مشقوقًا كما قلنا وقد افسد التراب كلهُ فاصلحوهُ وانقطعت الرائحة الخبيثة . فان كان ذلك الغاز نقيًّا ليس فيهِ اكثر من اربع قمحات من الامونيا في كل مئة قدم مكعبة من الغاز وليس فيهِ من الكبريت اكثر من عشرين قمحة في كل مئة قدم مكعبة فتكون حاسَّة الشم في الذين كرهوا رائحتهُ الخبيثة قويَّة جدًّا . الاَّ ان شروط الحكومة مع شركة الغاز خالية من القيود والحدود على ما يظهر من التقرير كأن الذين وضعوها يجهلون ما هو جارٍ في البلدان الاخرى من هذا القبيل . ولا سلطة للحكومة على الشركة اذا كان نور الغاز ضعيفًا او غير منتظم فقد يكون نور الشبكة عشرين شمعة بدل اربعين بل قد يهبط الى عشر شمعات ولا سلطة للحكومة على تغريم الشركة او اجبارها على ابدال الشبكات باصلح منها

عفة الاولاد

لا بدَّ للولد ان يعرف وقتاً ما كيف وُلد وكيف يولد له اولاد . ويقول الاكثرون ان هذه المعرفة تأتي في وقتها متى بلغ اشدَّهُ ولا داعي لتعليمهِ اياها قبل ذلك بل يجب ابقاؤُها سرًّا غامضاً الى ان يصل اليها من نفسهِ . ويقول غيرهم انهُ لا بدَّ من الوصول الى هذه المعرفة عاجلاً او آجلاً وانهُ يخشى ان يسيء الاولاد الى انفسهم اذا لم ينبهوا الى ذلك وتبيَّن لهم المضار قبل الوقوع فيها ومنهم مؤلف هذا الكتاب وقد جعلهُ على سبيل دروس بسيطة قريبة المأخذ كتب بها الى ولد صغير ودرَّجهُ فيها تدريجاً الى ان اطلعهُ على ما يعلمهُ الشاب . وقد عني بترجمتهِ حضرة الاديب سليم افندي الخوري من كتَّاب قلم السكرتير المالي في حكومة السودان فجاءت عبارتهُ طلية قريبة الفهم فنثني عليهِ ثناء جميلاً

ديوان النظرات

للشاعر المطبوع مصطفى افندي صادق الرافعي ديوان آخر سماهُ ديوان الرافعي صدر منهُ ثلاثة اجزاء وهذا ديوان ثانٍ وقد صدر منهُ الآن الجزء الاول وهو مبدوء بمقدمة في حقيقة الشعر . وفيهِ كثير من القصائد الحسان التي نظمها في العام الماضي وهذا العام من ذلك لاميَّة وصف فيها حالة الاجتماع في العام الماضي ولام مدعي الوطنيَّة لتخبطهم كقولهِ

لنا كل يوم الف رأي وما لنا ... علينا من الافعال فرد دليلِ
نقلّدُ الفاظ السياسة عُمرنا ... ونذهل عند الحزم ايَّ ذهولِ
ولا طَول فينا غير نوع تطاولٍ ... ولا فضل فينا غير بعض فضولِ
فيا عصبة الاحزاب ردوا حلومكم ... وجرُّوا على غير الثرى بذيولِ
فقد سطعت في مصر منكم عجاجة ... ولكنها لاحت بغير صليلِ
عجاجة صيف قد اثارت قتامها ... خيول سباق لا ضراغم غيلِ

والقصيدة طويلة وكلها على هذا النسق وفي الديوان كثير من الموشحات والمقاطيع وقصائد الوصف كقولهِ في زهر الفول

نائمات بروضها في سريرِ ... بين خز وسندس وحريرِ
هزَّها الفجر فاستفاقت كما تط ... رف بعد الكرى جفون الصغيرِ
جال فيها الندى كما حيَّر الدم ... ع دلالُ الهوى باهداب حورِ

والديوان مطبوع طبعاً حسناً وثمنهُ خمسة غروش ويطلب من كل المكاتب

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) عقاب يمنع الاستخدام

مصر . فرنسيس افندي فهمي . اذا قضى شخص مدة من الزمن في خدمة الحكومة بصفة مستديمة ثم رُفت منها للحكم عليهِ من المحاكم بالحبس مدة من الزمن في قضية ما فهل يجوز استخدامهُ مرة اخرى في وظائف الحكومة اذا تحصَّل على شهادة دراسية ارقى من التي كان حائزاً عليهِ وقت استخدامهِ في المرة الاولى

ج اذا حكم عليهِ لذنب يتعلق بوظيفتهِ كأَن ارتشى او اختلس من اموال الحكومة وهو مؤْتمن عليها او لجناية تمس كرامتهُ كالسرقة والتزوير فلا يجوز استخدامهُ ثانيةً واما اذا حكم عليهِ لذنب اتاهُ خطأً كأَن كان يطلق بندقيتهُ على صيد فاصاب رجلاً وقتلهُ فلا نرى سبباً يمنع استخدامهُ ثانيةً سواءٌ نال شهادة دراسية او لم ينل

(٢) منع الملل

ومنهُ . ما هي احسن طريقة يتخذها الانسان حتى لا يمل من السهر في المذاكرة او ما هي الادوية التي يجب استعمالها في مثل ذلك

ج ان الملل ناتج عن تجمُّع الفضول في الدماغ من كثرة تشغيلهِ او في جانب مخصوص منهُ ويزول بالراحة واستنشاق الهواء النقي الى ان تزول الفضول ويستريح الدماغ او بالاشتغال بموضوع آخر لا يتعب ذلك الجزء من الدماغ فاذا ملَّ الانسان من الاشتغال بالمسائل الرياضية ثم طالع قصة فكاهية او كتاباً تاريخيًّا فالغالب ان دماغهُ يستريح بعد قليل ويسهل عليهِ الرجوع الى المسائل الرياضية . والراحة اسلم عاقبة لمن يجد اليها سبيلاً . واذا استعملت المنبهات لتنبيه الدماغ افادت ولكن فائدتها وقتية ويزيد التعب بعدها

(٣) الحذق والنجاح

مصر . اديب افندي شاهين . جاء في كتاب ادب الدنيا والدين الابيات الآتية لابرهيم بن هلال

اذا جمعت بين امرئين صناعةً
فاحببت ان تدري الذي هو احذقُ
فلا تتفقّد منها غير ما جرت
بهِ لها الارزاق حين تفرّقُ
فحيث يكون النقص فالرزق واسعٌ
وحيث يكون الفضل فالرزق ضيقُ

فهل توافقون على هذه القضية وهل لها تعليل طبيعي او هي بخلاف ما يحكم بهِ العقل

ج ان الحذق في الاعمال لا يستلزم الحذق في كسب المال وجمعهِ . ولما كانت قوى العقل محدودة فالغالب ان من يمهر في الاعمال تنصرف قوى عقلهِ اليها فلا يمهر في اساليب جمع المال ومَن ينصرف عقلهُ الى جمع المال لا يمهر في الاعمال . الاَّ ان ذلك غير مطَّرد فان رجلاً مثل لورد كلفن كان نابغة عصرهِ في العلوم الطبيعية حتى فاق كل احد فيها ومع ذلك مهر في جمع المال من طريق العلم اي استفاد مالاً كثيرًا من استخدام مكتشفاتهِ العلمية للاعمال ولم يكتفِ بالشهرة العلمية كما يكتفي كثيرون من العلماء فقول الشاعر صحيح غالبًا وهذا هو سببهُ ولكنهُ ليس قاعدة مطَّردة

(٤) منع اكل الفاكهة

ومنهُ . كثرت الفواكه في هذه الايام من عنب وتين وبطيخ وشمام الخ فهل تكرمون بنشر نبذة في فوائدها ولماذا تمنع الحكومة الاهالي عن اكل الفواكه ايام الاوبئة

ج اما فوائدها فقد نشرنا مقالات كثيرة عنها في السنين الماضية وسنعود اليها ايضًا واما ضررها في زمن الاوبئة فلهُ سبب معقول ولولم تقصدهُ الحكومة وهو ان الفاكهة تؤكل غالبًا من غير ان تغسل جيدًا اوتنظف مما عليها . والذبان تحمل ميكروبات بعض الامراض الوبائية كالكوليرا والتيفويد وتلقيها على ما تقع عليهِ من الفاكهة فالذي يأكلها يبتلع تلك الميكروبات وهو لا يدري اما اذا غسلت جيدًا ونزع قشرها فلا ضرر منها . ثم ان الفاكهة غير الناضجة عسرة الهضم غالبًا وعسر الهضم يعدُّ الجسم للاصابة بالامراض

(٥) التزلق والصحة

ومنهُ . في المنتزه الذي بالجزيرة على يمين كبري قصر النيل ملعب يلعب فيهِ البعض لعبة التزلُّق على عجلات توضع في الاقدام . فهل من هذه اللعبة فائدة للصحة وهل منها ضرر في فصل الصيف

ج ان كل الالعاب المسلية التي لا تشغل العقل تفيد في اراحتهِ والتي فيها حركات رياضية كهذه اللعبة تفيد ايضًا في تنشيط الدووة الدموية ولكن تزول فائدتها اذا كان المكان مزدحمًا بالناس لان الفائدة من تنشيط الدورة الدموية قائمة بتنفُّس الهواء النقي فاذا لم يكن الهواء نقيًّا فلا فائدة من كثرة تنفسهِ واذا عرق من يلعبها وتعرَّض للهواء من جهة دون اخرى زالت الموازنة من جسمهِ وتعرَّض

للزكام او التيبس او نحو ذلك مما يصاب بهِ من يلفحهُ الهواء

(٦) الجرح والقلي

نيو اورلينس . الخواجه شديد نعمة عطايا . الشائع ان الجرح يتهيج من رائحة القلي فهل هذا صحيح

ج لا نظن ان احدًا حقَّق صدق هذه الاشاعة ولكنها اذا كانت مبنيَّة على الاختبار اي اذا كان الجرح يتهيج حقيقة من رائحة القلي كما هو شائع فيكون لان دقائق الجسم تطلب الغذاء حينئذٍ وتهجم الكريات البيضاء والحمراء الى حافتي الجرح وتهيجهُ كما يفرز اللعاب من الفم عند رؤْية الحوامض

(٧) سلطة الروس في الشرق

ومنهُ . هل تستطيع الدولة الروسيَّة ان تعيد سلطتها الى الشرق الاقصى كما كانت قبل الحرب اليابانية

ج نعم يمكنها ان تعيد سلطتها الآ الى الاماكن التي استولت عليها اليابان وكان نفوذ الروس فيها قويًّا قبل ذلك لان اليابان حريصة على تعزيز سلطتها حرص الروس او اكثر. ويقال عن ثقة انهُ لو استمرت الحرب سنة اخرى لعاد الفوز للروس لانهم لم يكونوا قد بعثوا بنخبة جنودهم الى ساحة القتال

(٨) الازمة المصرية والاميركية

ومنهُ . هل من علاقة للازمة المالية المصرية بالازمة الاميركية وكيف ذلك

ج لما حدثت الازمة الاميركية وطُلبت النقود من اوربا غلت فيها وصار يصعب ارسالها الى القطر المصري او توسيع الكردتو لهُ فاثر ذلك في اشتداد الازمة المصريَّة ولا علاقة للازمتين في ما سوى ذلك بدليل ان النقود عادت من اميركا الى اوربا فرخصت فيها جدًّا ولا تزال الازمة المصرية مستحكمة

(٩) الكويت والمحمره

شبراخيت . الدكتور محمد عشماوي لهجت الجرائد في هذه الايام بذكر الكويت والمحمَّرة فالرجاء افادتنا عن موقع تينك المدينتين وما يعرف عنهما

ج الكويت على الساحل الغربي من خليج العجم عند رأسهِ الشمالي وهي من املاك الدولة العثمانية ولكنها تكاد تكون مستقلة وفيها آمن مرفإٍ للسفن في شرق بلاد العرب سكانها نحو اثني عشر الفًا وكان في النية مد سكة الحديد اليها من السويس ومنها الى الهند فتكون اقصر طريق بين اوربا والهند وهي مدينة نظيفة الشوارع كثيرة السفن الشراعية يأْتيها العرب من الاحساء ونجد بالخيل والغنم والبقر ويأْخذون بدلاً منها المنسوجات والاسلحة والتمر

اما المحمَّرة فمدينة في خوزستان ببلاد

فارس قرب حدود الدولة العلية حيث يلتقي نهر كارن بشط العرب . سكانها نحو خمسة آلاف نفس وسيكون لها شأن كبير في مستقبل بلاد الفرس لان نهر كارن المبنيَّة عليهِ يمرُّ في بلاد كثيرة الخصب مسافة ١١٧ ميلاً لكنَّ زراعتها مهملة الآن

(١٠) التلغرافات المصرية

الدامر بالسودان . محاسب . قلتم في ما كتبتموهُ عن سكك الحديد والتلغرافات في الجزء السابع من مقتطف هذه السنة ان الافرنج المقيمين في القطر المصري على قلة عددهم يرسلون اكثر من نصف ما يرسلهُ سائر السكان . والحقيقة على ما اظن انهم يرسلون اقل من نصف ما يرسلهُ سائر السكان لان ما يرسلهُ سائر السكان هو ٢١٤٧٤٦٥ وما يرسلهُ الافرنج نحو ٨٠٠٠٠٠ فهي اقل من النصف افليس الامر كذلك

ج كلاَّ وظنكم خطأ وسببهُ على ما يظهر انكم فهمتم من كلمة "سائر السكان" جميع السكان مع ان معناها بقية السكان . ولا ندري لماذا يخطئ الناس في القطر المصري معنى كلمة "سائر" مع ان النص عليها صريح ان معناها باقي او بقية من سأر الشارب ابقى والسائر الباقي لا الجميع كما يتوهم البعض . او انكم لم تلتفتوا الى قولنا ان ما يرسل باللغات الافرنجية هو اكثر من ثماني مئة الف لا ثماني مئة الف فقط كما ذكرتم وحقيقة الارقام عند التدقيق هي هذه

التلغرافات الاوربية المحلية	٨٤٣٧٣٩
التلغرافات العربيَّة المحلية	١٥٣٢١٤١

فالاوربيَّة اي الافرنجيَّة اكثر من نصف العربيَّة

(١١) شجر المنجو

ومنهُ . جاء في مقالة شجر المنجو المدرجة في باب الزراعة في ذلك الجزء عينهِ ان حمل شجر الفدان ثمنهُ مئتا جنيه والحقيقة على ما اظن يجب ان تكون ٢٠ جنيهاً لان الشجرة التي تحمل الفي ثمرة يبلغ ثمنها جنيهين لا عشرين جنيهاً باعتبار ثمن الثمرة مليم واحد

ج نعم لو كان ثمن الثمرة مليماً واحداً لكان حسابكم صحيحاً ولكن ثمن الثمرة عشرة مليمات وقد بلغ هذه السنة عشرين مليماً او ثلاثين وقد ذكر في المقالة التي تشيرون بلسان مؤلفها ان الشجرة حملت الفي ثمرة وبلغ ثمن ثمرها من ٣٠ جنيهاً الى ٣٥ جنيهاً اي من ٣٠٠٠ غرش الى ٣٥٠٠ غرش فيكون ثمن الثمرة الواحدة من ١٥ مليماً الى ١٧ مليماً ونصف مليم



التلفون بلا سلك

نجح التلفون بلا سلك ونقل الكلام بهِ بين باريس وديب مسافة مئة ميل وبين مكان قرب كوبنهاغن ومكان آخر قرب برلين والبعد بينهما ٢٦٠ ميلاً و يظن البعض انهُ سينقل الكلام بهِ بين اوربا واميركا في القريب العاجل

بعثة شاركو القطبية

سافر الدكتور فرنسوى شاركو نحو القطب الجنوبي فاقلع من الهافر في ١٥ اغسطس وهو يحسب انهُ سيبقى في رحلتهِ هذه نحو سنتين وغرضهُ الاول جلب المتحجرات التي وجَّه الدكتور نوردنسكيولد الانظار اليها واخذ معهُ مؤُونة تكفي عشرين رجلاً اكثر من سنتين وجمهوراً من كبار العلماء وقد وهبت الحكومة الفرنسوية ٣٢٠٠٠ جنيه من نفقات هذه الرحلة

البعثة الدنمركية

يوم سافر الدكتور شاركو بالبعثة الفرنسوية العلمية الى الاصقاع الجنوبية عادت بقية البعثة الدنمركية الشمالية بعد ان نفد القضاء برئيسها واثنين من رفاقهِ برداً وجوعاً

كلف الشمس

عادت الكلف الكبيرة الى الظهور على وجه الشمس ومنها ما يرى بالعين لكبرهِ فان طول بعضها اكثر من مئة الف ميل وقد كان المظنون ان دَوْر الكلف الكبيرة انقضى قياساً على الادوار الماضية ولكن جاء الامر على غير القياس . ولا بدَّ من ان يضع المرء زجاجة سوداء او مدخَّنة بينهُ وبين الشمس ليستطيع النظر اليها

بلون الكونت زبلن

ذكرنا في الجزء الماضي نجاح الكونت زبلن في اطارة بلونهِ ١٢ ساعة قطع فيها ٢٤٨ ميلاً . وفي الرابع من اغسطس طار بهذا البلون ٣٦٠ كيلو متراً قطعها في ثماني ساعات ولما نزل الى الارض كان قد مضى على بلونهِ احدى عشرة ساعة وهو في الهواء . ثم عاد بهِ في الخامس من اغسطس لكي يزيد هيدروجينهُ لان بعض الهيدروجين افلت منهُ فقضى ثماني ساعات لقطع مئتي كيلو متر واذا بزوبعة شديدة اصابتهُ ونزعت مركبة منهُ ورمت بها الارض

فاشتعل بنزين الآلة المحركة التي فيها وحرق ما يليها من البلون ثم عادت العاصفة ورفعتهُ في الهواء وهو مشتعل وعبثت بهيكلهِ . الاَّ ان الحكومة الالمانية لم تحرم الكونت من الخمسة والعشرين الف الجنيه التي وعدتهُ بها فاعطتهُ اياها واكتتب لهُ الجمهور بخمسين الف جنيه اعترافاً بفضلهِ وعلو همتهِ

طيارة ريط

اشرنا في مقتطف اكتوبر في العام الماضي الى طيارة ريط واخيهِ اللذين قال اكتاف شانوت كبير مهندسي شيكاغو انهما اقرب الى حل مسألة الطيران من كل احد وقد وصفنا طيارتهما هناك بالاسهاب ثم اتى احدهما بها الى فرنسا وطار بها مراراً امام الجماهير وكان يدور في الهواء كيف شاء ثم يعود الى المكان الذي طار منهُ وبلغت سرعتهُ مرة في الهواء ٦٥ كيلو متراً في الساعة

دواء داء النوم

رأى السر هنري هسكث بل حاكم اوغندا ان الاتكسيل الذي وُصف دواء لداء النوم لا يفيد في شفائهِ وخير منهُ ابعاد السكان عن سواحل فكتوريا نينزا فابعدهم وفصل المصابين عن غير المصابين فلم يمت بهِ منهم في العام الماضي سوى اربعة آلاف نفس ولم يصب بهِ احد من الاوربيين

جثة خنومن نخت

وصفت مس مرغريت مري جثة محنطة وجدت قرب اسيوط يقال في الكتابة التي عليها انها جثة خنومن نخت وهو من عهد الدولة الثانية عشرة وقد نشأ قبل المسيح بنحو ٢٥٠٠ سنة ويتضح من ذلك ان التحنيط قديم جداً في القطر المصري خلافاً للذين زعموا انهُ نشأ فيها سنة ١٦٠٠ قبل المسيح وعلى تابوت هذه الجثة كتابات كثيرة يقال فيها تنبسط الام نوت عليك وتجعلك مثل الهٍ من غير عدو وليمنحك انو بس رب سبا ان تقطع السماء وتصل الاماكن الطاهرة . وقد فحص الدكتور كرون هذه الجثة فقال ان دماغها مثل متوسط ادمغة الاوربيين في هذا العصر ولكن عظام البدن فيها بعض الشبه لعظام القرود والظاهر ان صاحبها توفي وعمرهُ بين الستين والسبعين واسنانهُ كلها سليمة ما عدا واحداً ولكنها قد بريت كلها كأنهُ كان يأكل اطعمة صلبة تبري الاسنان

السمك في بحر لوط

الاعتقاد الشائع ان بحر لوط او البحر الميت خالٍ من السمك ولكن وجد السمك الآن في بعض جهاتهِ وكتب الدكتور مسترمان انهُ ذهب الى المكان الذي وجد السمك فيهِ فرأى فيهِ سمكاً من نوع سمك الشبوط (كبرينودن)

فهرس الجزء التاسع من المجلد الثالث والثلاثين

الفصل السابع عشر

مغاضبة المحتلين

لما اتمّت السيدة نزهة قصة مس مكدن كان ابرهيم بك قد عاد الى البيت وغابت الشمس فاستأذنتُ في الانصراف فلم يؤذن لي وقال ابرهيم بك بل تتعشَّى معنا ووافقهُ ولداهُ ونظرت السيدة نزهة اليَّ نظرة ظاهرها التوسُّل وباطنها الامر المطاع وقالت نعم تتعشَّى معنا وابي يتم لنا قصة الثورة العرابية حتى يكون يومنا كلهُ قصصاً بقصص

فقلت يا حبذا الف امر مثل هذا الامر . ولكن لا بدَّ لي من اخبار خادمي حتى لا ينتظرني وحتى يعرف اين انا لاني كنت منتظرًا واحدًا يزورني الليلة . فقمت الى التلفون لاخبر خادمي فقال الدكتور يوسف تمهَّل . ما قولكم في الذهاب الى الجزيرة وتناول العشاء فيها فقالت اختهُ احسنت فان هذا الحر الباكر يكاد يزهق نفوسنا ثم نظرت الى ابيها تطلب مصادقتهُ وكان يشعل سيكارتهُ فقال لا بأس فاني اذهب معكم على شرط ان نجلس وحدنا منفردين . فقال امين افندي هذا سهل جدًّا نجلس بعيدين عن كل احد على ضفَّة النيل

وكنت ارى ذلك المطعم في طريقي الى الجزيرة في اولهِ عن اليمين بين النيل والطريق ولكنني لم ادخلهُ من قبلُ فاستحسنت رأيهم

وقالت السيدة نزهة ألا تدعون المستر مكنزي للعشاء معنا فانهُ يريد ان يسمع تتمة اخبار الثورة على ما ظهر لي

فقال الدكتور يوسف بلى ندعوهُ ثم قام الى التلفون ودعاهُ للعشاء معهم في لوكندة زندر على النيل الساعة الثامنة مساء

فقلت اذا كان الامر كذلك فاسمحوا لي بالذهاب الى بيتي الآن ثم اوافيكم الى هناك في الساعة المعينة . فسمحوا لي والتقيت في طريقي بصديق لي كنت اعرفهُ من عهد المدرسة وهو من اعضاء الجمعية السرية فتصافحنا ومشينا سويةً وقبل ان يطول الحديث اظهرت عتبي عليهِ لانهُ لم يشركني في جمعيتهم . فتجاهل امرها ولكنني اخبرتهُ بكثير مما اعرفهُ عنها حتى لم يعد يشك في اني واقف على كل امورها فقال — نعم وانت ترى اننا نجحنا نجاحًا باهرًا فاضطررنا وكيل المحتلين الى الاستعفاء

فقلت ان كان الامر كما تقول فقد عملتم على خراب البلاد واوقعتم القطر المصري في ضيقة مالية تستحكم حلقاتها حتى تخنق الزراعة والتجارة

فقال هذه واقعة الحال الآن ولكن هذه الازمة مفتعلة اوقعنا فيها اصحابك حتى نكمّ افواهنا عن الكلام ونتوسل اليهم ليفرجوا كربتنا. ولكن لن نفعل. ولا بدّ من ان نلتجيء الى الفرنسويين فانهم اطيب عنصرًا وارحم وأرأف واقرب الى مساعدتنا بالمال

فقلت نعم ويهبونكم المال هبةً

فقال لماذا الهبة نستدينهُ منهم برباهُ

فقلت بربا طفيف اثنين او ثلاثة في المئة كما تستدين حكومتهم منهم

فقال كلا لا اظن انهم يدينوننا الآن باقل من سبعة في المئة

فقلت يا سلام سبعة في المئة وهل ذلك مرحمة منهم

فقال ولكن كيف العمل أليس ذلك ارحم من البنوك التي لا تقبل الآن ان تعطي غرشًا باقل من تسعة في المئة والغالب انها لا تدين احدًا لا برهن ولا بغير رهن

فقلت سبعة في المئة لننظر ماذا نفعل بهذه الاموال وكيف نستثمرها

فقال نوفي بها ديوننا المطلوبة منا الآن اقساطًا وفروقات

فقلت ومن اين نوفيها هي اخيرًا

فقال من ريع اطياننا لان ليس لنا مورد آخر للرزق

فقلت وما هي نسبة ريع الاطيان الصافي الى ثمنها

فقال نحو خمسة في المئة

فقلت بل قل اربعة او ثلاثة في المئة اذا اعتبرنا الاسعار الفاحشة التي اشتريناها بها من الدومين ومن بعضنا

فقال نعم قد لا يكون الريع الصافي اكثر من اربعة في المئة

قلت فكيف نوفي ديونًا رباها السنوي سبعة في المئة ألا تكون النتيجة اخيرًا اننا نضطر ان نبيع اطياننا لكي نوفي ديوننا وماذا يصيب الاطيان اذا عرضت للبيع فان الفدان الذي يساوي مئة جنيه الآن لا يشتريهِ احد حينئذٍ بخمسين جنيهًا

فقال وكيف العمل انترك اصحابك يتحكمون بنا كما يشأوون ولا يفرجون كربتنا ولماذا لا نقول انهُ اذا استمرّ ثمن القطن على ما هو عليهِ او زاد حتى بلغ ٢٥ ريالاً كما نرجو تنفك هذه الضائقة من نفسها لان الزيادة في ثمن القطن وحدها تزيل العسر المالي فاذا بلغ الموسم سبعة ملايين قنطار وزاد ثمن القنطار جنيهًا فالزيادة وحدها تفرج القطر. ثم اني استغرب منك كيف انك تحسب ان الانسان يعيش بالخبز وحدهُ ألا تحسب ان لنا حياة ادبية حياة

قومية حياة سياسية اتريد ان نبقى موتى ولا شأن لنا يتحكم اصحابك بنا كيفما شاؤوا فقد استأثروا بالحربية والمالية والداخلية والحقانية والمعارف والاشغال · كل المناصب العالية في يدهم وكل شيء في يدهم يأتي الصعلوك منهم فيستبد ويأمر وينهي كأنهُ الحاكم بامرهِ افلم يحن لنا ان نستقل بانفسنا انبقى تحت وصاية الاجنبي ألم نبلغ سن الرشد

ودنونا حينئذ من بيتهِ فدعاني اليهِ ففحصت ساعتي ووجدت انني استطيع ان اقضي معهُ ساعة اذا اردت فقبلت دعوتهُ وجلسنا في مكتبهِ منفردين وكان محامياً ومكتبهُ في بيتهِ وعدنا الى حديثنا السابق فقال

الا تظن اننا بلغنا سن الرشد فان البلاد في ثروة عظيمة والامة كلها مستيقظة مطالبة بحقوقها وفوزها الاخير يشدد عزائمها ويحقق لها النجاح التام .

فقلت وما هو النجاح الذي تنتظرونهُ او ما هو الامر الذي تطلبونهُ

فقال يا سلام أأنت غائب عن البلد ألا ترى اننا كلنا نطلب الجلاء وعود البلاد الى اصحابها · فقلت واذا لم يشأ المحتلون ان يجلوا فماذا تعملون

فقال نغاضبهم ونغاضبهم ونستعين باحرارهم عليهم ونبين كراهتنا لهم بكل واسطة ممكنة ولو اضطررنا الى ايقاد نار الثورة في البلاد · فقلت لهُ هب ان لك ديناً على احد من عمد البلاد وانت مرتهن اطيانهُ واردت ان تضع رجلاً من قبلك وعلى حسابك يراقب زراعة الاطيان المرهونة ويقبض ثمن المحصولات لايفاء قسط الدين وهب ان العمدة اراد طردهُ من اطيانهِ وانت لا تأمن العمدة ليستلم ثمن المحصول ويعطيك اياهُ فماذا تفعل

فقال ابذل جهدي حتى ابقي وكيلي هناك ولكن اذا اثبت العمدة اخلاصهُ ومقدرتهُ على الدفع لم تبقَ لي حاجة بالوكيل

فقلت اتسترجع وكيلك من غير ان تقتنع انت ان العمدة مخلص لك وقادر على ايفاء الاقساط المطلوبة وعازم على ذلك · فقال كلا

فقلت عليك نور هذا شأن المداينين من الاوربيين فانهم لا يثقون اننا قادرون على ايفاء الدين ولا اننا نقصد ذلك ودليلي على هذا انهُ يوم يُعلَم ان المحتلين عازمون على الجلاء تهبط اسعار الاوراق المصرية ولما استعفى وكيلهم امس هبطت الاسعار هبوطاً غير قليل فالماليون لايثقون بنا حتى الآن واعمالكم هذه تزيد عدم ثقتهم بنا

فقال وما دخل الماليين بالاحتلال والجلاء

فقلت أإلى هذا الحد ألا تعلم ان الاحتلال الانكليزي من اولهِ الى آخرهِ منتدب ومدَّبر

بسعي اصحاب الديون المصرية ولحماية مصالحهم وكل وزارة تقصد ان تعبث بمصالحهم يسقطونها في الحال . ولكن عقدة المسألة ليست هنا بل في امر آخر اذا عرفتهُ كما عرفتهُ انا تطن لهُ اذناك . فاعلم ان غرض جمعيتكم الذي ترمي اليهِ تعزيز سلطة انكلترا في القطر المصري لكي تزيد ثقة المداينين بالديون الجديدة التي استدانها القطر منهم والتي يحتمل ان يستدينها في القريب العاجل وقد أُنشئت جمعيتكم ونفخ في أنوفكم طلب الجلاء لهذا الغرض لا لسواهُ

فقال هذا كلام لا يعقل لاني اعرف ان اكثر الذين يساعدوننا من افضل الناس واشدهم اخلاصاً لكل الشعوب المهضومة الحقوق ولا غرض لهم الاَّ مساعدة البشرية

فقلت وما ادراك انهم غير مأجورين باموال المداينين للغرض الذي اشرت اليهِ كما كان الذين اوقدوا نار الثورة العرابية يحركون الثورة هنا ومستأجروهم يضغطون على الوزارة في فرنسا وانكلترا حتى تهيأَت اسباب الاحتلال وتم فعلاً

فنظر اليَّ طويلاً وهو صامت لا يتكلم كانهُ كان يفكر في ماقلتهُ لهُ ونظر الى سقف الغرفة واعاد نظرهُ اليَّ وهو يحرك سبابتهُ اليمنى . ثم قال قد يحتمل ان تكون مصيباً لان فلاناً اخبرني ان بعض الاوربيين كانوا يحرضونهُ هو ورفاقهُ على الثورة في زمن عرابي ولكن يصعب عليَّ ان اسيء الظن بفلان وفلان من اعضاء مجلس النواب الانكليزي ولماذا لا تنضم الينا لعلنا نصل الى الحقيقة من تبادل الآراء واذا شئت فاني اعرض اسمك غداً على لجنة انتقاء الاعضاء

فقلت حباً وكرامة . ومشيت الى بيتي وانا أُفكر في كلام هذا الرجل وفي الغشاوة المسدولة على عيون هؤلاء القوم وفي خطإِ المحتلين لانهم لا يعطونهم مطالبهم المعقولة المشروعة ولانهم لا يزالون يكثرون من احضار الرجال من بلادهم ليقيموهم في خدمة الحكومة ولا يعتنون الاعتناء الواجب بانتقاء الاكفاء من الوطنيين وفوق ذلك لانهم يتركون عوامل التهييج تفعل فعلها في البلاد وهم قادرون على اخمادها في لحظة من الزمان اذا ارادوا فيستريحوا و يريحوا وكدت ارتاب في حسن نيتهم لولا علمي انهم لا يتعرَّضون لعوامل التهييج لئلا يتسع الخرق عليهم في بلادهم فيتخذ اعوان الثورة ذلك حجة عليهم . وعدت الى التفكير في دخولي الجمعية السرية عضواً فيها فتهللت في اول الامر حتى خطر لي انهُ قد يطلب مني الوعد بان لا ابوح باسرارها فلا تبقى فائدة من دخولي فيها بل لا اعود قادراً على استعمال ما اعلمهُ عنها الآن فوقعت في حيص بيص ورأيت اني اخطأت في قبولي ما عرض عليَّ

وجاءني رجل كنت في انتظارهِ لاشغال خاصة فقضيناها وحالما انصرف اتى المستر مكنزي واخذني معهُ في مركبتهِ الى الجزيرة الى مطعم زندر

الفصل الثامن عشر

تتمة اخبار الثورة

مصر بلاد العجائب والنيل اعجب ما فيها ولقد عرف القدماء كيف يتمتعون بمنظره البهيج والنسيم العليل الذي قلما ينقطع عنهُ في زمن الحر فبنوا كثيرًا من مبانيهم الفخيمة على ضفتيهِ كهيكل لقصر وهيكل كوم امبو وكمدينة منف عاصمتهم الكبرى . واما المتأخرون فاهملوهُ كل الاهمال اما لانهم عجزوا عن تشييد المباني العظيمة التي لا يخشى عليها من فيضانهِ او لانهم خافوا ان تمر بهِ سفن الاعداء فتصل اليهم وكيفما كانت الحال فالضفة الشرقية من النيل حيث مدينة القاهرة لا تشمل الاَّ بولاق احقر احياء مصر والقصر العالي وقصر البرنس ابراهيم اللذين هدما الآن ليتاجر بارضها وقشلاق قصر النيل والمباني الحديثة التي بنيت في قصر الدوبارة واما الضفة الغربية فاذا استثنينا قصر الجزيرة الذي بيع وجعل فندقًا فلم يكن عليها بناء آخر منذ بضع سنوات وحتى الآن لا نجد عليها الاَّ بضع بيوت الى جانب فندق الجزيرة وشرقي حديقة الجيزة . ولقد كان المنتظر ان تكون المباني منتظمة في عقدين متصلين متناسقين على الضفتين من ساحل بحر الروم الى اعالي الصعيد

ومما يستغربهُ الاجنبي ايضًا قلة استعمال النيل للنزهة فانك ترى القوارب البخارية مستمرة السير في كل الانهار التي تجري في المدن الكبيرة واما النيل فقلما ترى فيهِ قاربًا من قوارب النزهة نعم ان الذهبيات كثيرة فيهِ ولكنها لاصحابها وقلما يشاركهم فيها احد غيرهم ولعلَّ سبب ذلك شدة البعد بين طبقات السكان في هذا القطر فالطبقة العليا والوسطى طبقة التجار وموظفي الحكومة على غاية النظافة غالبًا في ثيابها وابدانها واما طبقة العمال والفلاحين فعلى غاية القذارة حتى يتعذر عليك ان تجالس مع واحد منها لخبث الرائحة التي تنبعث من عرقهِ وثيابهِ ولذلك فكل ما يجمع بين هذه الطبقات لا يفلح لان الفلاح يبتعد عن الخواجه او الافندي وهما يبتعدان عنهُ وزد على ذلك ان نساء الطبقة الوسطى والعليا من الوطنيين يبتعدون عن هؤلاء وعن هؤلاء فينقسم الناس الى ثلاث فرق قلما تجتمع معًا فتضطر سكك الحديد مثلاً ان تخصص اكثر مركباتها لركوب العمال والفلاحين وكل الطبقة السفلى من الشعب فيركبوا فيها رجالاً ونساءً من غير تمييز ويفعلوا كذلك في مركبات الترامواي . وبعض المركبات لركوب النساء خاصة من الطبقة الوسطى والعليا وبقية المركبات للطبقة الوسطى والعليا فيركب فيها رجال الوطنيين ورجال الاجانب ونساؤهم . فالعادات مانعة من امتزاج الناس كلهم

بعضهم مع بعض ولذلك قلما تراهم يجتمعون بكل طبقاتهم في حديقة او مشهد عام على خلاف ما نراه في المدن الاوربية حيث تركب الترامواي فيجلس على يمينك احد الموظفين او احد التجار وعلى يسارك خادمة حاملة سلتها بيدها ونازلة لتشتري اغراضها من السوق . وتركب سفينة للنزهة في السين او الرون او التيمس فتجدها مملوءة بأناس من كل الطبقات رجالاً ونساء وكلهم بثياب نظيفة حتى لا تأنف من الجلوس مع احد منهم

جالت هذه الخواطر في بالي في لحظة من الزمان حالما دخلت المطعم ورأيت الجالوس فيه يعدون بالمئات وليس فيهم رجل من اصحاب العمم ولا امرأة من لابسات الحبرات بل كلهم من الاوربيين نزلاء القطر او المتشبهين بهم من الشرقيين ولم ارَ فيه امرأة واحدة وطنية من الخمسة الملايين من الوطنيات غير السيدة نزهة . والمكان جميل جداً جميل في موقعهِ على ضفة النيل جميل في حسن تنسيقهِ وترتيبهِ. خمائل صغيرة من الرياحين اقيمت بينها موائد الطعام وبُثت فوقها المصابيح الساطعة النور وكان ابرهيم بك واولادهُ قد سبقونا وجلسوا حول مائدة كبيرة منفردة على حافة النيل وقد زينت بالازهار فاستقبلونا حالما دخلنا وجلسنا بينهم كأننا كلنا من عائلة واحدة وجاء الندل بالاطعمة والاشربة المبردة ودار الحديث اولاً على جمال ذلك المكان وعلى هجوم الحر باكرًا قبل المعتاد بنحو شهر من الزمان

فقال رياض وكان قد جاء من المدرسة الزراعية ليتعشى معنا انهم زرعوا القطن في ارض المدرسة قبل الميعاد بعشرين يوماً لشدة الحر فقالت السيدة نزهة كنا نقول ان البرد احضرهُ لنا الانكليز من بلادهم فماذا نقول الآن في الحر . فقال لها المستر مكنزي والحر ايضاً من بلادنا من الهند او من استراليا او من اوغندا

فقلنا كلنا برافو كل الضربات منكم . وقال لهُ امين افندي على مَ لا تريحونا وتريحوا انفسكم . فقال لهُ اهكذا يكون اكرام الضيف

فقال امين افندي شروط الضيافة ثلاثة ايام واما انتم فجعلتم الايام سنين وعشرات السنين

فاجابهُ انكم انتم تمنعوننا من الخروج من بلادكم

فقال ابوهُ وهذا هو الصواب ولو لا مشاغبة المشاغبين لخرجوا منذ زمن طويل ونحن كالمرتطم في الطين يزيد غوصاً فيهِ كلما زاد حركة للخروج منهُ

واتفق جلوسي امام السيدة نزهة وكنت اذا دعيت الى الطعام في بيت ابيها اجلس عن يمينها او يسارها فلا اراها مواجهة اما هناك فجلسنا كيفما اتفق وكانت لابسة ثوباً ابيض عليهِ شريط وردي دقيق وعلى رأسها برنيطة ريشها ابيض كبير اطرافهُ وردية وشعرها تحتهُ

قصائب مجتمعة بعضها مع بعض وفي عنقها قلادة من الذهب الوهاج ووجهها مشرق كالبدر وقد توردت وجنتاها من شدة الحر او من حركة روحها في جسمها وكانها كانت تحاول ان لا تنظر اليَّ لئلا تقع عيناها على عينيَّ ثم ترى انها السيدة الوحيدة بيننا ولا بد لها من ان تشغلنا بالحديث وتوفق بين مشاربنا شأن السيدات المتجملات بالكمالات. والكلام لا يصل الى القلوب ما لم ترافقهُ لحظات العيون فلما بذلت جهدها في اطرافنا بالحديث وكان لا بدَّ لها من ان تقع عيناها على عينيَّ كلما التفتت صبغ الحياء وجنتيها. هذا هو تفسيري لتورد وجهها الذي لم اعهدهُ على هذه الصورة من قبل لان اقليم مصر يزيل حمرة الوجه وقد اكون مخطئاً مغترًّا بنفسي ولكن هذا الاغترار حلو المذاق اذا لم يعقبهُ الفشل باكتشاف حقيقة تناقضهُ

وأُتينا بالقهوة بعد الطعام وطالبت السيدة نزهة اباها بوعدٍ وكأنها كانت قد تعبت من الحديث وودت ان تلقي الحمل على غيرها

فقال ابرهيم بك اننا ختمنا الكلام بالتمرد العسكري الذي اسقط وزارة رياض باشا واقام وزارة شريف باشا وانال البلاد حكومة دستورية حسب وعد الخديوي لخاصتهِ قبلما تولى فقد أُخبرت عن ثقة ان جماعة من الماسون ساعدوهُ على اخذ الخديوية بعد ابيهِ ان هو وعدهم باعطاء البلاد حكومة دستورية ولولا ذلك لانتقلت الى حليم باشا حسب رغبة الباب العالي وبعض الدول الاوربية. ولما افتتح مجلس الاعيان وخاطبهُ كعادة الملوك عند افتتاح مجالس نوابهم اجابهُ رئيس المجلس وأحد الاعيان جواباً ملؤُهُ الشكر لهُ وكانت الدلائل كلها تدل على ان الخديوي راضٍ بما جرى والامة راضية ايضاً حتى ظن البعض ان تمرد الجنود كان مفتعلاً لاسقاط وزارة رياض باشا وانهُ كان بموافقة الخديوي ولكن المطلعين على دخائل الامور ينكرون ذلك كل الانكار

وشاع حينئذٍ ان مجلس الاعيان سينظر في ميزانية الحكومة وهذا يبطل عمل المراقبة المالية او يجعلها تحت امر مجلس الاعيان. وبلغ الخبر المداينين الاوربيين فقاموا وقعدوا واوجسوا شرًّا واقنعوا غمبتًّا صنيعتهم لكي يمنع مجلس الاعيان من النظر في الميزانية ورأى غمبتًّا ان فرنسا لا تستطيع ان تعمل من غير انكلترا لئلا تعارضها انكلترا وتبطل فعلها فتوسل اليها لتساعدهُ في ابقاء المراقبة على المالية المصرية وارسلت الحكومتان لائحة الى الحكومة المصرية تؤيدان فيها سلطة الخديوي وتمنعان مجلس الاعيان من النظر في الميزانية وتتوعدان الحكومة المصرية بالمداخلة الفعلية اذا حدث في البلاد ما يخل بالنظام الحاضر. فاغتاظ الاعيان من ذلك ومن الخديوي ايضاً حاسبين ان اللائحة اتت بايعاز منهُ واتحد مجلس

الاعيان مع الحزب العسكري مع ان شريف باشا كان قد نجح في التفريق بينهما
وبعد اخذ وعطاء دام نحو شهرين طلب مجلس الاعيان من الخديوي ان يغير الوزارة لانهم رأَوا من شريف باشا الميل الى موافقة انكلترا وفرنسا . وقدموا لهُ صورة القانون الاساسي لمجلس النواب وطلبوا منهُ ان يمضيها وقالوا لهُ ان ليس لدولة اجنبية حق ان تباحثنا في حقوقنا من جهة النظر في الميزانية . فاضطر الخديوي ان يسقط وزارة شريف باشا وطلب منهم ان يدلوهُ على الاشخاص الذين يختارونهم نظارًا فطلبوا منهُ ان يعين محمود باشا سامي رئيساً للنظار وكان ناظرًا للحربيَّة فعينهُ وعيَّن عرابي ناظرًا للحربية وكان بقية النظار من الحزب الوطني او العسكري ما عدا مصطفى باشا فهمي ناظر الخارجية

وكان شريف باشا يظن الى ذلك الوقت انهُ يمكن اصلاح الاحوال وازالة الخلاف بحسن السياسة اما حينئذٍ فرأى ان لا بدَّ من ارسال رجل من الاستانة تتبعهُ الجنود العثمانية لقمع الثورة وكان هذا رأي الخديوي ايضاً فاغتاظ زعماءُ الحزب العسكري من ذلك وتحالفوا على خلع الخديوي ومن ثم عاد مجلس الاعيان في يد الحزب العسكري

وصل ابرهيم بك الى هنا والتفت فالتفتنا واذا الدكتور عبد الله واقف فوق رأسي فرددنا لهُ التحية ودعاهُ ابرهيم بك للجلوس معنا . والتفتُّ الى السيدة نزهة لأَرى تأثير قدومهِ فيها فرأَيت اللون يزول من وجهها ثم يعود اليهِ كأَنها قلقت من مجيئهِ في تلك الساعة ولم ادرِ ما تعليل ذلك . ونادى ابرهيم بك الخادم فاتاهُ بكرسي وجعل هو يعتذر عن مجيئهِ الينا فقال لهُ امين افندي على مَ الاعتذار يا اخي فان المكان واسع يسعنا ويسعك

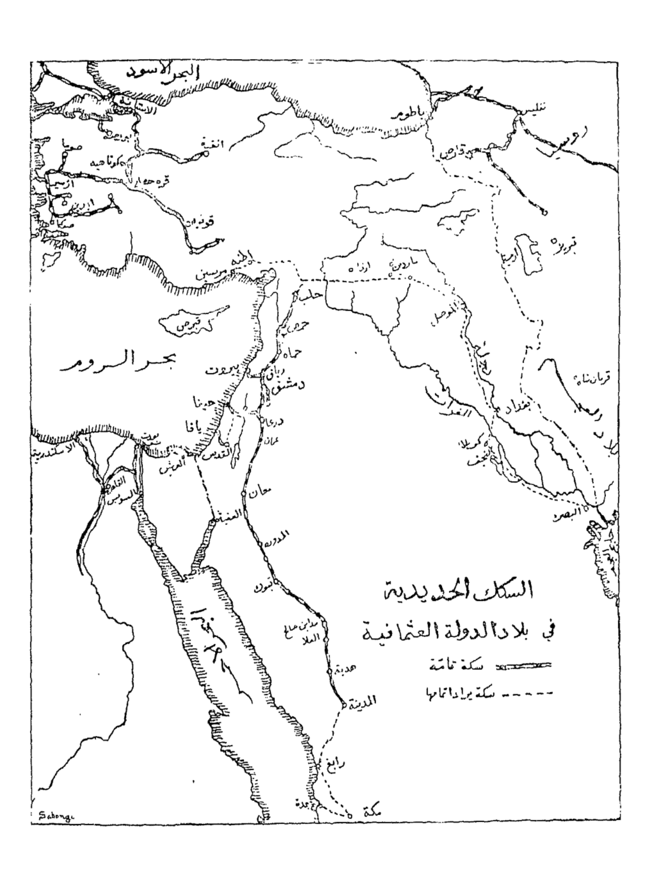
فقال اعتذر لاني ضيف غير مدعوّ

فقال لهُ امين افندي لو دعوناك لحسبت علينا اجرة مشوارك نصف جنيه في هذه الازمة المالية

فقال لهُ رياض لعلك نسيت انهُ جرَّاح والجراح لا يدعى الاَّ الى العمليات الجراحية واجرة المشوار من جنيهين فصاعدًا الى عشرة او عشرين . أَصحيح يا دكتور انك اخذت في مشوارك الى اسيوط مئة وستين جنيهاً

فقال نعم ولكنني بقيت هناك ثلاثة ايام

ولما رأَيت ان الحديث دار على الاطباء والجراحين التفت الى المستر مكنزي وجعلت اكلمهُ بالانكليزيَّة . ثم دعانا الدكتور امين لمشاهدة المشي على البكر فشاهدناهُ نحو ساعة من الزمان وانفرط عقدنا ولما ودعت السيدة نزهة قالت لي زرنا غدًا فاطلعك على شيءٍ غريب


السكك الحديدية
في بلاد الدولة العثمانية
سكة تامة
سكة يراد اتمامها
البحر الاسود
بحر الروم
قبرص
باطوم
تفليس
روسيا
قارص
تبريز
انقرة
قونيه
ازمير
اضنه
مرسين
حلب
حمص
حماه
بيروت
رياق
دمشق
حيفا
يافا
درعا
عمان
القدس
العريش
معان
العقبة
تبوك
مدائن صالح
العلا
المدينة
رابغ
جدة
مكة
الموصل
بغداد
كربلا
النجف
البصرة
القاهرة
السويس
الاسكندرية
Sabongi

المقتطف

الجزء العاشر من المجلد الثالث والثلاثين

١١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٦ رمضان سنة ١٣٢٦

سكة الحجاز

لقينا بالامس ضابطاً من ضباط الجيش العثماني الذين اقاموا في اليمن سنين كثيرة فوصف لنا تلك البلاد وصفاً اقرب الى تخيُّلات الشعراء منهُ الى حقائق العلماء . ويظهر من اقوال الثقات الذين طافوا في جزيرة العرب من حدود اليمن وحضرموت جنوباً الى حدود مكة شمالاً بعيدين عن الساحل الغربي ان وصفهُ صحيح لا مبالغة فيهِ وان البلاد تشبه لبنان وسويسرا. جبال مرتفعة تجتذب الغيث من السحاب . وسهول منبسطة تكسوها الرياض والغياض باثواب قشاب . واودية منخفضة تجري في قلبها الغدران وتكتنفها الروابي والهضاب

جزيرة العرب اوسع بلدان الدولة العثمانية مساحتها مليون ميل مربع وقد يظن لاول وهلة انها كلها صحارٍ وقفار وجبال صخرية قاحلة كما يراها من يدخلها من ساحل البحر ولكن الذين تيسَّر لهم اختراقها والبحث فيها من اهل العلم والسياحة يقولون ان ثلثها صحارٍ لا تسكن وثلثاها اراضٍ زراعية خصيبة لا تعوزها الاَّ ايادي العمَّال ولكن القفار تحيط بها فيتوهَّم من يراها ولا يتخطاها ان البلاد كلها مثلها . ولقد احسن القس زويمر حيث قال ان بلاد العرب مثل سكانها ظاهرها عبوس كالح وقلبها ملؤُهُ الكرم والبشاشة

فمن نجد الى اليمن وعمان جبال مرتفعة علوها نحو ٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر ثم تعلو رويداً رويداً حتى يبلغ ارتفاعها عشرة آلاف قدم فتكون مثل اعلى جبال لبنان . والحر شديد في سهولها واوديتها ولكن الرطوبة قليلة الاَّ في سواحلها البحرية ولذلك يكون حرُّها محتملاً واما في جبال اليمن وعمان فلا تزيد الحرارة فيها في شهر يوليو على ٨٠ او ٨٥ بميزان فارنهيت فهي مثل بلاد الشام من هذا القبيل وابرد من القطر المصري . ويتكوَّن الصقيع في صنعاء

ثلاثة اشهر من السنة و يغطي الثلج جبل قُبَيْل في فصل الشتاء كلهِ و يشتد البرد شتاء فيهِ وفي كل الجانب الشمالي من بلاد العرب · والهواء في نجد طيب منعش للابدان

وقال السر وليم موير في وصف الطائف " بلاد خصيبة جميلة · غدران في كل مكان تتحدَّر من الآكام · وسهول لابسة حلَّة سندسيَّة ومحلاة بقلائد الاشجار وظلها الوارف · والطائف مشهورة بفاكهتها عنبها كبير الحب لذيذ الطعم واثمارها مختلفة الانواع والاشكال · الخوخ والرمان واللوز والتفاح والمشمش والتين والسفرجل كلها كثيرة جدًّا و بالغة اقصى درجات الكمال في نموها وطيب طعمها "

وليس في بلاد العرب انهار كبيرة ولكن الامطار التي تقع فيها ولا تجري في غدرانها تغور في ارضها وتظهر ثانية عيونًا متدفقة في الجهات الشرقية منها في الاحساء والبحرين · وتكثر السيول في اليمن وفي كل اودية بلاد العرب · بلاد مثل هذه يحيط بها البحر من ثلاث جهات بين الهند ومصر والشام على ابواب اوربا وقد سماها الرومان بالعربية السعيدة لكثرة خيرها وميرها مرَّت عليها القرون وهي تزيد انحطاطًا قرنًا بعد قرن وعامًا بعد آخر حتى في الزمن الذي ارتفع علمها على الجانب الاكبر من المعمورة كانت تستورد الطعام من مصر والشام والاَّ مات اهلها جوعًا والى الآن لا معيشة لاهل عاصمتها الاَّ من الحجاج

ليقل المفسّرون ما شاؤُوا في تفسير ذلك فانهُ لا يغيّر حالة البلاد الحاضرة وهي ان خيرها كثير ولكن لا ينتفع بهِ اهلها ولا غيرهم . ولم يكن اهلها كذلك من قديم الزمان لانهم اهل تجارة وكان لهم ملك واسع وانفة شماء حتى اعجزوا الروم والفرس وكان المصريون قبل ذلك ينظرون اليهم بعين المهابة والوقار و يحسبون بلادهم منبع الخيرات وجنَّة الخلد

اشرنا الى الماضي البعيد لنسترشد بهِ الى المستقبل اما ما بينهُ و بين الزمن الحاضر فاننا نودُّ ان ننساهُ ولا نذكر منهُ الاَّ حسنة واحدة فتحت باب المستقبل الذي نتمنى ان يعيد الى البلاد عزها الاسبق . وهذه الحسنة هي سكة الحديد التي فُتحت رسميًّا في اول الشهر الماضي

شرعت الحكومة العثمانيَّة في انشاء هذه السكة من الشام الى الحجاز سنة ١٩٠٠ ففي شهر ابريل من تلك السنة اعرب جلالة السلطان عن رغبتهِ في انشائها ودعا المسلمين في كل اقطار الارض الى الاشتراك في هذا العمل الجليل بالتبرع بالمال واكتتب هو بخمسين الف ليرة عثمانيَّة فلبى المحسنون طلبهُ من كل اقطار المسكونة وابتدأ العمل في ٣١ اغسطس من تلك السنة وهو عيد الجلوس الخامس والعشرون · ولقد سار العمل من دمشق الى المدينة سيرًا حثيثًا على غاية الانتظام

فبين دمشق ومعان ٤٥٩ كيلو مترًا ومحطات كثيرة . ومعان امام خرائب البتراء المدينة القديمة التي كانت عاصمة مملكة الانباط . وقد ظهرت فوائد هذه السكة في كل تلك البلاد مع قرب العهد بها فزادت عمارتها وانشئت فيها القرى ونشطت الزراعة من عقالها . والبلاد كلها من اخصب البلدان وقد كانت تمون الالوف والملايين في غابر الزمان . واصبحت عمان بلدة كبيرة انشئت فيها ورشة لاصلاح القاطرات والمركبات ومخازن للبضائع وفندق للسيّاح وهي مرتفعة عن سطح البحر ١٠٧٤ مترًا فتضاهي مصايف لبنان في ارتفاعها ويقال ان هواءها جاف جدًّا وانهُ ابرد من هواء حلوان واجف فهي مصحَّة للابدان من اجود المصاح

والسكة بين دمشق ومعان تكاد تكون في مستوىً واحد . وتهبط بعد معان قليلاً ثم تصعد الى علو ١١٥٢ مترًا فوق سطح البحر عند محطة عقبة الحجاز وهي امام خليج العقبة والمسافة منهُ اليها نحو ٩٠ كيلو مترًا ومن السويس الى خليج العقبة ٢٦٠ كيلو مترًا فالمسافة كلها اقل من ٣٥٠ كيلو مترًا ومن السويس الى معان اقل من ٣٢٠ كيلو مترًا فلو انشئت سكة حديديَّة من السويس الى معان او الى عقبة الحجاز لما زادت نفقات انشائها على مليون جنيه

والبلاد بعد عقبة الحجاز قفار تنحدر رويدًا رويدًا الى ان تصل الى تبوك حيث الارتفاع عن سطح البحر ٧٧٥ مترًا والبعد عن دمشق ٦٩٢ كيلو مترًا وهناك محطة كبيرة ومستشفى وورشة لتصليح الآلات ثم ترتفع الارض بعد ذلك رويدًا رويدًا حتى يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ١١٠٣ امتار عند الدار الحمراء و١١٥١ مترًا عند المطلع ثم تهبط باسرع مما صعدت وعند المطلع مفرق السيول بين وادي عطبل ووادي حمض

وستكون مدائن صالح او العلا المستودع الكبير قبل الوصول الى المدينة المنورة وذلك يتوقف على الماء فاذا وجد ماء كاف في مدائن صالح اختيرت على العلا

ولهذه السكة مبدأ آخر من مدينة حيفا على شاطئ بحر الروم الى درعا كما ترى في الخريطة التي في صدر هذا المقالة . وطول السكة كلها من دمشق الى المدينة المنوَّرة ١٣٠٠ كيلو متر وكيلو متران وقد بلغت نفقات انشائها ثلاثة ملايين من الجنيهات وحينما يتم انشاؤُها الى مكة المكرمة يصير طولها ١٧٥٧ كيلو مترًا والى جدة يصير طولها ١٨٢٠ كيلو مترًا ومن حيفا الى درعا ١٦١ كيلو مترًا . وبين المدينة ومكة تصل السكة الى شاطئ البحر الاحمر عند رابغ فتصير رابغ مرفأً يوصل منها الى مكة جنوبًا والى المدينة شمالاً ولا

تزيد نفقات مد السكة الى مكة وجدة على مليون وربع مليون من الجنيهات اذا عمل فيها الجنود كما عملوا في السكة الى المدينة

والبلاد بعد مكة شرقاً وجنوباً بلاد الخير والمير فلا بدَّ من مد سكك الحديد فيها مع الزمن لاستثمار خيراتها فاذا تمَّ لها ذلك واعتمد اهلوها على سعيهم لا على صدقات الحجاج واموال الاوقاف صارت من افر بلدان الدولة العثمانية عمراناً

وقد اثنى الذين شاهدوا هذه السكة ورأوا جودة ادواتها وعرفوا قلة نفقاتها على دولة المشير كاظم باشا الذي كان ناظراً للانشاءات وقومندانا للجنود العاملة وعلى سعادة ميسنر باشا رئيس المهندسين الالماني الذي تولى انشاءها الى ان بلغت مدائن صالح عند حدود الحجاز

ولا يخفى ان اكثر دخل السكة سيكون من الحجاج ولذلك لا يظهر نفعها تماماً الاَّ بعد وصولها الى مكة وحينئذٍ يصير منها دخل وافر يزيد على نفقاتها لانهُ اذا فرض عدد الحجاج الذين يأتون بها الى مكة خمسين الفاً فقط ومتوسط اجرة الواحد منهم عشرة جنيهات بلغ دخلها من ذلك نصف مليون من الجنيهات في شهرين من الزمان و يظهر لنا ان الدخل يتضاعف في السنة كلها. ومهما كانت النفقات كثيرة لا تزيد على سبعين او ثمانين في المئة من الدخل فتقوم السكة بنفقاتها وصيانتها ويبقى منها شيءٌ من الربح فوق النفع الكبير الذي تنتفعهُ البلاد منها بزيادة عمارتها. واذا مدَّت الى اقصى اليمن وحضرموت عادت تلك البلاد في ربع قرن الى المنزلة التي كانت فيها لما لُقّبت بالعربيَّة السعيدة. ولقد احتفل بافتتاح هذه السكة رسميًّا في اول سبتمبر الماضي في المدينة المنورة فقدمها الوفد السلطاني من دمشق وفيهِ كثيرون من مكاتبي الجرائد و بينهم مندوب من قبل المقطم وافتتح الاحتفال مفتي دمشق الشام بالدعاء للاسلام وتلاهُ دولتلو كاظم باشا بخطبة وجيزة شكر بها الجنود لقيامهم بانشاء هذه السكة قياماً يخلد لهم الذكر والفخر في تاريخ الجنود العثمانية واطنب في شكر المهندسين على ما بذلوهُ من الهمة وما تحملوهُ من المشاق حتى انجزوا عملهم وتكلم بعض الحضور بما ناسب المقام ووقف جواد باشا رئيس الوفد السلطاني وابلغ الجنود شكر الحضرة السلطانية لهم ثم اعلن افتتاح السكة رسميًّا . وكان المهندس الماهر مختار بك حاضراً وهو الذي اتمَّ السكة من مدائن صالح الى المدينة المنورة فحملهُ الجموع هو وجواد باشا على الاكف من شدة الاحتفاء بهما وطلبوا من مختار بك ان يقسم لهم على انهُ يتم السكة الى مكة المكرمة فاقسم انهُ يبذل جهدهُ في هذا السبيل

الثورة العثمانية

من ينظر في حوادث الكون بعين التروي يجد انها تتبع في سيرها اسلوبين مختلفين الواحد اسلوب التدرُّج اي التغير البطيء المتوالي والثاني اسلوب الانقلاب الفجائي . والغالب ان يشترك الاسلوبان معاً فيكون الاول ممهداً للثاني. فاذا اختلَّ بناء بيت انصدعت جدرانهُ كلها او بعضها ومال على احد جوانبهِ ميلاً طفيفاً وقد تمرُّ عليهِ الايام والسنون وميلهُ لا يزيد في اليوم والشهر زيادة يشعر بها ثم ينهدم كلهُ بغتةً في لحظة من الزمان. واذا فعلت الزلازل بجبل فقدت جانباً منهُ فقد يبقى ذلك الجانب متصلاً بالجبل وتمرُّ السنون وهو يزيد انفصالاً عنهُ زيادة طفيفة جدًّا لا تكاد تظهر لعين الرائي الى ان تختل الموازنة ويقع مركز الثقل خارج القاعدة او يتغلب الثقل على قوة الاتصال فينهدم ذلك الجانب بغتةً ويخرّب في طريقهِ القرى والمزارع

وقد حدث شيءٌ من ذلك في البلاد العثمانية فان سوء الادارة الذي حل بها منذ خمسة وعشرين عاماً زاد رويدًا رويدًا حتى انفتهُ النفوس الكبيرة فانصدع بعضها وهاجر البعض الاخر من البلاد وجاهر بمقاومة سوء الادارة وكشف عيوبهِ وهو لا يزيد الاَّ استحكاماً الى ان ضاقت حلقاتهُ على ضباط الجيش العثماني واكثرهم من المتعلمين المتهذبين الذين يأنفون من الضيم ولا يصبرون على المذلة اذا استطاعوا الخروج منها . وكان اصحاب النفوس الكبيرة الذين غادروا البلاد العثمانية قد اتحدوا على التنديد بالادارة السيئة الضاربة اطنابها في بلادهم فاشترك معهم كثيرون من اولئك الضباط وجاهروا بطلب الاصلاح اي باعادة القانون الاسامي وجعل حكومة البلاد العثمانية دستورية نيابية مثل سائر البلدان الاوربيَّة . ولما رأى رجال الحكومة ان هذا الطلب عادل وانهُ لاقبل لهم بمقاومة الجيش قرَّ رأيهم على اعادة القانون الاساسي واجابة حزب تركيا الفتاة او جمعية الاتحاد والترقي التي الَّفها ضباط الجيش فصدر امر جلالة السلطان باعادة القانون وحلف على العمل بهِ امام شيخ الاسلام والغى طغمة الجواسيس وامر بانتخاب النوب لمجلس المبعوثان واسند مناصب الوزارة الى الوزراء الذين اشارت بهم جمعية الاتحاد والترقي الى ان يجتمع مجلس المبعوثان وتسند الوزارة الى زعمائهِ. ولقد كنا نثبت في المقطم جريدتنا اليومية عيوب الحكومة الماضية ولاغرض لنا الاَّ الارشاد الى مواقع الخطإِ لاصلاحهِ والاشارة الى المفاسد لازالتها ومرَّت عشرون سنة من حين انشاء المقطم الى ان صدرت الارادة السنية باعادة القانون الاسامي ونحن جارون في خطة

واحدة نمدح ما نراهُ مستحقاً للمدح ونذم ما نراهُ مستحقاً للذم من اعمال الحكومة الماضية . وصغار الاحلام يظنون اننا نندد بالدولة العثمانية نفسها وما تنديدنا الاَّ بالحكومة العثمانية او الحكومة الحميدية التي كانت سائدة في ذلك الحين

ولم يحن الوقت الآن للبحث في تاريخ هذه الثورة التي قلبت الحكومة العثمانية من حكومة استبدادية الى حكومة دستورية وذكر اقدار الرجال الذين كانت لهم اليد الطولى فيها والدماء التي اريقت في سبيلها . ولكن لا بدَّ من فعل ذلك كلهِ حالما تتوطد اركان مجلس المبعوثان وحينئذٍ تكون مجلدات المقتطف العشرين من خير المصادر لجمع الحقائق التي يتألَّف منها تاريخ هذه الثورة الشريفة وتكون الاعمال التي عملتها جمعية الاتحاد والترقي والاقوال التي فاه بها زعماؤُها من ادلّ الادلة على نبالة الامَّة التركيَّة وكرم اخلاقها

وقد اشتهر من هؤُلاء الزعماء اسم ضابطين من ضباط الجيش وهما انور بك ونيازي بك واثَّر عملهما في نفوس الامَّة العثمانية عموماً تأثيرًا دعاها الى الاهتمام بانشاء بارجتين حربيتين تسميهما باسميهما اعترافاً منها بفضلهما فأبيا ذلك وطلبا ان تسميا باسم مدحت باشا واضع القانون الاساسي واحمد نامق كمال المنشىء التركي البليغ الذي رقَّى مدارك امتهِ بكتاباتهِ

وقد جرى لمكاتب التيمس مع انور بك احد هذين الزعيمين حديث اعرب فيهِ عن مقاصد جمعية الاتحاد والترقي فآثرنا اثباتهُ هنا لانهُ من اقوى الادلة على نبالة مقاصد هذه الجمعية وحصافة رأيها وحسن نظرها في العواقب قال المكاتب

جرى لي حديث طويل طلي مع انور بك هذا الصباح قبل مغادرتي لسلانيك وهو يجيد الفرنسوية فكان يكلمني بها بتأنٍ وتروٍ وتواضع ويشرح سياسة جمعية الاتحاد والترقي باسهاب ويخبرني بما تنوي فعلهُ في المستقبل وهو من اوجه اعضائها كما لا يخفى . وهاك الاقوال التي قالها نقلتها وهو يفوه بها وارسلتها لتنشر برضاهُ وموافقتهِ قال

" تراني اشتغل في مكتب سياسي ولكن ارجو ان تعلم اني لست زعيماً لثورة بل جندي اضطرتهُ الاحوال الى الاشتغال بالسياسة . فقد ساقتني التقادير الى هذا المكان لاني وان كنت قد انتظمت بين اعضاء جمعية الاتحاد والترقي منذ اعوام لم اقدم على عمل عمومي حتى وشى بي جواسيس المابين وصدر اليَّ الامر بالذهاب الى الاستانة فلم امتثل الامر بل فعلت كما فعل رفيقي نيازي بك فالتجأت الى الآكام وكان من وراء ذلك انني نلت شهرة لم اكن اتطلبها ولا كنت اسعى اليها ولكن يعلم اخواني الضباط لحسن الحظ ان منتهى غايتي واقصى مناي خدمة وطني بكل اتضاع

اما الثورة فثورة وطنية لا ثورة عسكرية لانها ثورة امة باسرها على حكومة اوصلتها الى شفا اليأس والقنوط وليس الجيش صاحب الامر والنهي فيها بل هو خادم الامة المنفذ لارادتها المتمم لرغائبها . هذه حقيقة اريد ان ترسخ في الاذهان . اما جمعية الاتحاد والترقي فقائمة الآن مقام مجلس المبعوثان وهي تشير على الحكومة بما يجب عليها فعلهُ وتمدها بالرأي وتطلعها على كل ما تهم معرفتهُ في المسائل العمومية

وقد كانت هذه الثورة ثورة على استبداد المابين ولكن اللجنة تؤيد السلطان الملك الشرعي ما دام يحترم الدستور

اما الدول الاوربيَّة فاللجنة تروم اكتساب ثقتها باجتناب كل ما يسوءها . وقد عاد النظام الى مكدونية الآن لا بفعل الدول بل لان تأثير الثورة فيها كان تحريك عوامل الصلح والسلام بين اهليها . واما مسألة استرجاع الدول لضباط الجندرمة من مكدونية فمن المسائل التي يتعلق بالدول حلها وستحل من نفسها بطبيعة الحال لانهُ اذا بقي النظام مستتبًّا في مكدونية فان الدول تسترجع جنودها طبعًا لزوال الحاجة اليهم

واما الجيش العثماني فجمعية الاتحاد والترقي تريد اجراء الاصلاح التام فيهِ . فينبغي للرعايا العثمانيين ان ينالوا كلهم نصيبهم من الخدمة العسكريَّة مهما كانت اديانهم ومذاهبهم فكما ان الجيش البريطاني في الهند مؤلف من المسلمين والبراهمة والسك والمسيحيين كذلك يجب على المسيحيين ان ينتظموا في سلك الجيش العثماني ويقفوا فيهِ جنبًا لجنب هم واخوانهم المسلمون . وكذلك يجب اصلاح نظام الجيش وجعل طريقة التعليم والتمرين فيهِ اصلح والعمل بها اسهل مما هو عليهِ الآن وتوسيع المجال للافراد حتى يظهروا ما امتازوا بهِ ويتقوى روح التعاون والتضامن بينهم . وقد كانت عزائم الضباط تثبط في ما مضى والذين يجدُّون ويجتهدون منهم يوشى بهم الى المابين ويتهمون بالتآمر على الفتن واما في المستقبل فسيكون المجال فسيحًا في الجيش لكل من يجدُّ ويقصد التقدم والنبوغ فيهِ والخلاصة ان الذي نريدهُ هو جيش وطني لا جيش اسلامي فقط

وليس للجامعة الاسلامية محل في خطة جمعية الاتحاد والترقي . والقطر المصري خارج عن نطاق اعمالنا ومراميها وحزب تركيا الفتاة يأبى التعرض لعمل الحكومة الانكليزية الجيد في مصر ولا يعير المهيجين والمحرضين فيها اقل مساعدة او التفات فهمُّ اللجنة كلهُ هو اصلاح تركيا وترقيتها على المبادىء الدستوريَّة واملنا ان نجد في ذلك تأييدًا من حكومة الملك ادورد وميلاً الينا وعطفًا علينا من الحكومة الانكليزية " . اه

قال المكاتب . فهذه هي كلمات ذلك الضابط العثماني الشاب الذي اكتسب ببسالتهِ وسموّ اخلاقهِ مزيد الاحترام والحب والاكرام من امتهِ وهو لا يزال في السابعة والعشرين من عمرهِ يستخدم النفوذ الذي حازهُ بحكمة ودراية تحكيان حكمة اقطاب السياسة المجربين وحنكة ذوي الخبرة المدربين . انتهى

وقد اشتهر هذان الضابطان الصغيران في رتبتيهما في الجيش الكبيران بقلبيهما ونفسيهما اشتهاراً عظيماً فطبَّق اسماهما الآفاق وتحدَّث العثمانيون والاجانب بصنيعهما فقرنت الصحف العثمانية اسم كل منهما بكلمة (قهرمان حريت) اي بطل الحرية

ونيازي بك يوزباشي في الجيش العثماني ولد في رزنه من ولاية موناستير ونشأ فيها وهو اشد شكيمة واقوى عضلاً واصبر على الحرب والقتال من رفيقهِ انور بك . كلفتهُ الدولة مطاردة العصابات البلغاريَّة منذ خمسة اعوام فقام بمهمتهِ خير قيام الّا انهُ كان كلما قبض على رجال عصابة ترد اوامر الاستانة الى المتصرف او القائمقام باخلاء سبيلهم . ولما علم ان لا فائدة من تعبهِ وتعقبهِ الثوار قعد عن ذلك واخذ يفكر في طريقة اخرى ينجّي بها البلاد مما وقعت فيهِ . ثم انشأت جمعية الاتحاد والترقي فرعاً لها في سلانيك فانضم اليهِ واصبح من اقدر رجالهِ وانفذهم كلمة . ولما قررت الجمعية وجوب استعمال القوة كان نيازي بك اول من استنفرتهم الى القتال فنفروا . وهو يناهز الخامسة والثلاثين حسن الطلعة برّاق العينين تدل ملامحهُ على الفروسية والشجاعة والاقدام

وانور بك ارق من صديقهِ عاطفة وانحل جسماً . ولد في الاستانة وتخرج في مدرستها الحربيَّة ثم انتظم في سلك الفيلق الثالث فبلغ درجة بكباشي فيهِ . وهو من خيرة الضباط المتعلمين قضى في مقدونية زماناً طويلاً فاثرت فيهِ حالها الاخيرة تأثيراً عظيماً ورأى البلاد تخرج من يد الدولة رويداً رويداً فاخذ مع اخوانهِ الضباط يفكرون في طريقة يصلحون بها تلك الحالة فلما تأسس فرع جمعية الاتحاد والترقي في سلانيك دخل فيهِ واحكم صلات المودة بينهُ وبين نيازي بك وبقية اخوانهِ وكان من خيرة الرجال العاملين على نشر الآراء الحرة بين طبقات ضباط الجيش . فلما دنت ساعة العمل واستنهضت الجمعية همة اعضائها نهض في مقدمتهم برجالهِ وانضم الى نيازي بك فكان روح تلك النهضة الشريفة للاصلاح والحرية

هذان هما البطلان اللذان يعزى اليهما الفضل الاكبر في تخليص الدولة العثمانية مما كانت فيهِ كما يعزى الى الذين جاهروا بالسنتهم واقلامهم من احرار العثمانيين

المجتمع الروماني زمن القياصرة

لمّا دالت الحكومة الجمهوريّة من البلاد الرومانية انتهت السلطة فيها الى القياصرة الذين تبوأوا الملك ووسدت لهم السلطة المطلقة فكانوا رؤساء المجلس الاعلى وقادة الجيش وواضعي الضرائب ومشترعي الشرائع والاسياد المطاعين في اوامرهم والحاكمين بلا معارض

وكان القيصر يتمتع ما دام حيًّا بالحكم المطلق واليهِ ينتهي الامر والنهي حتى اذا مات اجتمع المجلس الاعلى المعروف بالسنا وجعل يبحث في اعمالهِ ويفحص سائر شؤُونهِ واحوالهِ فاذا تبيَّن لهُ منها ما يخرج عن العدل وكان مشوبًا بالجور والظلم امر بكسر تمثالهِ ونبذ اسمهِ من مصاف العظماء واذا ظهر لهُ عكس ذلك ووجد اعمالهُ طيبةً لا غبار عليها من الظلم والعسف رفعوهُ الى مصاف الارباب وصار في عداد الالهة على ان هذا المجلس قلما شجب اعمال القياصرة ولهذا صار اكثرهم اربابًا وشيدت لهم الهياكل وقام الكهان على سدانتهم . وتأليه الملوك عادةٌ سرت اليهم من البلدان اليونانية الشرقية

وترى صفحات التاريخ ملأى باخبار القياصرة واستبدادهم في الامة وانتهاء السلطة اليهم فكانوا يأتون من الاعمال ما يريدون غير معارضين في شيء مما يحكمون بهِ على الناس واملاكهم ونفوسهم على ما قال في ذلك مشترع روماني ان امر القيصر فوق كل شريعةٍ الاَّ انهُ كان بينهم نفرٌ من ذوي النفوس الطاهرة يتّبعون الحق في احكامهم فلا تسكرهم خمرة السؤدد ولا تأخذهم بهرجة الملك فيسرفون في الجور والعسف كما فعل نيرون في اعنات الاعيان ومصادرة الاغنياء

قلنا ان القيصر كان يترأس المجلس الاعلى المعروف بالسنا وقد ظلَّ هذا المجلس على شأنهِ الاول ايام الجمهورية ينضمُّ اليهِ اعاظم الاغنياء وكبار رجال السلطنة وتتطاول الى الدخول فيهِ كبراء الامة ولا بدع فهو اعظم منصبٍ واشرف مقام يستطيع الروماني الحرّ الوصول اليهِ متى كانت الاسر النبيلة تتفاخر باحراز احادها العضوية فيهِ وإن كان في زمن القياصرة عطلاً من كل سلطة غير اتسام الاعضاء بالنبالة والشرف

وما كان الشعب الروماني في اعتبار الحكومة كل من سكن البلاد واقام فيها بل جماعة الوطنيين المتمتعين بالحقوق المدنية الممتازين على مساكنيهم بامور كثيرة من مثل حسبان الوطني عضوًا في الهيئة السياسية يحق لهُ الانتخاب وحضور الحفلات المقدسة والتمتع بحماية

الشريعة والزواج القانوني وان يكون ابا عائلةٍ بمعنى انهُ السيد المطلق على زوجتهِ واولادهِ وهو حرٌّ في الوصاية والبيع والشراء . ومن لم يكن وطنيًّا يمنع من حضور الحفلات ومن التجند ولا يستطيع الزواج ولا يحسب ابا عائلةٍ ولا صاحب ملك ولا يباح لهُ الاحتماء بعدل الشريعة ولا طلب المقاضاة في المحاكم

ولم يكن الوطنيون سواء من حيث الحقوق والاعتبار بل كانوا مراتب بعضها فوق بعض ولكل مرتبةٍ منها شأن خاص يميزها عن المرتبة الاخرى واعلى تلك المراتب شأنًا الاعيان وهم ابناء اعضاء المجلس الاعلى (السنا) او الولاة والقضاة وكان كل من تولّى احد هذه المناصب العالية حسب نبيلاً واتصل الشرف باولادهِ من بعدهِ وكان اذا حاز رجل منهم منصبًا تردّى بحلةٍ موشاة بالارجوان واتخذ مقعدًا خاصًّا بالوظيفة وحق لهُ ان يصنع تمثالاً على صورتهِ وينصبهُ في احد مخادع منزلهِ الى ان يموت فيحمل التمثال فوق عجلةٍ ويسار بهِ في موكبٍ حافل وبعد التأبين يوضع في مقدس البيت ويحسب في عداد آلهة العائلة حيث كان من عادة الاسر الرومانية ان تعبد اجدادها

ولما رأى القياصرة ان البيوتات الشريفة القديمة على وشك الاندثار طفقوا يولون مناصب الشرف اغنياء الرومانيين من التجار والصيارف وكبار الملاك بحيث لم يطل الامر كثيرًا حتى اصبحت العيال الرومانية ذات الثروة الطائلة من الاشراف وكانت عيشة كل واحد من هؤلاء الاشراف في منتهى الابهة يحيط بهِ عدد من الارقاء يقيمون على خدمتهِ في قصرهِم في رومية يزدحم فيهِ كل يوم جماهير من الزائرين يجيئونهُ لتأدية الاحترام . ولم يكن عمل الشريف الاَّ الانهماك بالملذات والاسترسال الى الشهوات وكان اذا خرج الى السوق يحفّ بهِ خلق كبير من الارقاء والاتباع . هذه كانت عادة الاشراف والاعيان ومن انجم منهم عن اتباعها سلقتهُ الالسن بالهزء

ويلي هؤلاء الاشراف جماعة الفرسان وهم الوطنيون اصحاب الثروة الذين لم يتصل اليهم الشرف ارثًا عن آبائهم على انهم لا يبلغون هذه المرتبة الاَّ اذا تسجلت ثروتهم في دفاتر الحكومة وتبلغ من المال قدرًا معلومًا يساوي من نقود هذه الايام زهاء عشرة آلاف فرنك ويحق لاهل هذه المرتبة حضور المشاهد والملاعب العمومية والجلوس فيها بعد الاشراف وان ينتخب منهم الولاة والقضاة واعضاء المجلس الاعلى ومن نال منهم احدى هذه الوظائف حسبوهُ شريفًا وتوارث الشرف عنهُ ابناؤُهُ من بعدهِ حينئذٍ يحق لهم التمتع بامتيازات الاعيان من مثل التصدر في المحال الاولى في الملاعب والحفلات واذا حكم عليهِ بالموت فلا يكون

بالصلب او بالقائهِ الى الوحوش الضارية . ولا يُعاقب بالعذاب كما كان يعاقب المجرمون من سائر مراتب المجتمع

ويلي هاتين المرتبتين الوطنيون الاحرار وهم السواد الاعظم من الشعب الروماني ويؤلفون من الوطنيين الايطاليين اهل الصناعات والحرف ومن ابناء الارقاء المعتقين وكلهم يظلّون على ما توارثوهُ من الاعمال ولا يحق لهم حمل السلاح ولا الانتظام في سلك الجيش

ولقد كان اهل هذه المرتبة معظم الشعب الروماني قبل ان استفحل شأن السلطنة وامتدت فتوحاتها الى شرق الارض ومغربها ثم انهُ تغير الحال في هيئة الاهلين بما اضيف اليهم من الارقاء المعتقين الذين لما ضاقت بهم اسباب الارتزاق شرعت الحكومة منذ سنة ١٢٥ قبل المسيح تستحضر القمح من سيسيليا وافريقيا وتبيعهُ منهم بنصف ثمنهِ وسنة ٦٥ قبل المسيح صارت توزع القمح والزيت مجاناً حتى بلغ عدد من توزع عليهم القوت مجاناً سنة ٤٦ قبل المسيح ٥٢٠,٠٠٠ نفس

اما الارقاء فكانوا احطّ مراتب المجتمع الروماني شأناً واشدها شقاء واكثرها ويلاً القتهم رحى الحرب الى رحمة الظافر فحقن دماءهم وابقى عليهم كأنهم المتاع يتصرف فيهم على ما يشاء غير معارض فيما يريدهُ منهم وقد جملتهم سنن الحروب القديمة غنيمة الظافر وثمرة انتصارهِ . وكان من عادة الرومان اذا زحفوا لاكتساح بلاد سار معهم تجار الرقيق ليشتروا منهم اسارى الحرب ويسيروهم الى اسواق رومية ليباعوا فيها بالمزايدة . وقد كان في مدينة من المدائن الرومانية سوق خاصة لبيع الارقاء كما كان فيها اسواق اخرى لبيع الخيل والبقر وغيرها من الحيوانات الاليفة وكانوا يوقفون الرقيق المعد للبيع على دكة عالية ويضعون في عنقهِ بطاقة تعلن عمرهُ ومناقبهُ ومعايبهُ

ولم يكن يباح للرقيق التمتع بالحقوق المدنية ولا يجوز لهُ التملك ولا الزواج ولا ان يكون ابا عائلة ولا ان يرافع في المحاكم مطالباً المعتدي عليهِ بشرعة القانون والمالك فيهِ حق تصرُّف المالك بملكهِ فيبعث بهِ الى اي موضع شاء ويشغلهُ بما اراد من الاشغال الشاقة وهو غير مسؤول في اطعامهِ كثيراً او قليلاً ولا في ضربهِ الضرب الشديد حتى الموت

واما معاملة السيد للرقيق فكانت على ضروب شتى تختلف لاختلاف اخلاق الاسياد وطباعهم فقد كان للادباء منهم عواطف سامية ومبادئ جليلة فلا يلقى الارقاء منهم الاّ اللين والتؤدة فقد انبأتنا الاخبار عن شيشرون وسنكا وبلينيوس انهم كانوا يطعمون الارقاء من افخر ما يأكلون ويجالسونهم على موائد الطعام ويحادثونهم في شؤونهم ويكثرون لهم

الهبات حتى اذا ماتوا اخلفوا لاولادهم شيئاً من المال . وعلمنا من سير غيرهم انهم كانوا يعاملون الرقيق كالحيوان الاعجم ويأخذونهُ بكل ضروب القسوة والجنف . قيل ان احد الاعيان بينما كان يطعم السمك في بركة ماء في بيتهِ واذ مرَّ بهِ واحدٌ من الارقاء فكسر اتفاقاً وعاء كان هناك فاحتدم السيد غيظاً وطرح الرقيق في البركة ليكون طعاماً للسمك . وحدَّث سنكا باشياء كثيرة مما كان يعانيهِ الارقاء من جنف الاسياد وغطرستهم من ذلك انهُ اذا تنحنح الرقيق او عطس وسيدهُ على مائدة الطعام او وقع المفتاح منهُ على الارض فاصات تقوم قيامة السيد فيوسعهُ ضرباً وشتماً فاذا تبرم او ظهرت على وجههِ علائم الكدر والملل جلدهُ بالسوط شديداً . وكان بعض الاسياد يضرب الرقيق ضرباً مبرحاً حتى يكسر عضواً من اعضائهِ ومن ذلك ان الفيلسوف ابكتوتس كان جنبهُ مكسوراً من ضرب سيدهِ لهُ يوم كان رقيقاً . ولم يكن النساء اوفر حلماً من الرجال ولا اقل منهم قسوةً فقد كانت الاماء يقمن على تزيين سيداتهنَّ وتبريجهنَّ والسيدات يغرزن الابر في ذراع الامة المسكينة وهي تحتمل عذاب الوخز المرصاصةً والسيدة مسرورة من هذه المداعبة . ولم يكن الراي العام يسفّه مثل هذه القسوة ولا كانت الشريعة تنهى عن ارتكابها حتى انهُ كان في القرن الاول للمسيح انهُ اذا قُتل سيد في منزلهِ اقتصت الحكومة من ارقاء المقتول وان لم يكن لديها ما يثبت ارتكابهم الجريمة او يوقع الشبهة عليهم

وكنت ترى جلد الارقاء ازرق من ضرب السياط وكان لباسهم قمصاناً من الاسمال البالية وهم يحلقون شعور رؤُوسهم ويدمغون جباههم ويعاقب الآبق منهم شر عقاب بان يلقى الى الوحوش الضارية فتمزقهُ تمزيقاً

وكان كلما اعتز شأن رومة وعظم سلطانها ازداد عدد الارقاء فيها حتى صار الواحد من الاشراف يملك من العشرة الى العشرين الف رقيق على ان كثرة الارقاء وما كانوا يقاسونهُ من جور الموالي ادى بهم الى شق عصا الطاعة والخروج على اسيادهم في مواضع كثيرة من السلطنة من مثل ثورة صقلية وسبارتاكوس اللتين افضتا الى اضعاف صولة الاشراف واعتلاء شأن الارقاء

ولما وقفت السلطنة الرومانية عن السعي وراء توسيع املاكها عدلت الى الرفق بالارقاء واصدرت امراً سنة ٢١٢ تعلن فيهِ وطنية سكان السلطنة من اشراف وارقاء

ولم يكن النساء احراراً فكانت العذراء في البيت تحت امر ابيها يتصرف في شؤُونها على ما يريد ولا ارادة لها على نفسها فيختار لها الزوج ويزفها اليهِ واذا صارت زوجة لبثت

ايضاً تحت سلطة زوجها وهو سيدها المطاع فاذا شاء ابقى على حياتها او اماتها غير مسؤول

ومع ما للرجل الروماني من السلطة المطلقة على زوجتهِ فقد كان يساويها بنفسهِ ولا يسومها الخسف او يحمل على حطة قدرها فيعهد اليها بادارة المنزل والرئاسة على الارقاء فيهِ وهي تقوم بتربية الاولاد والعناية بهم والنظر في شؤون الارقاء وتوزيع الاعمال عليهم ولا تحتجب عن الرجال شأن النساء عند اليونان وانما كانت تجلس في القاعة تستقبل الزائرين من الرجال وتأكل معهم في الولائم على موائد الطعام وتحضر الحفلات والمشاهد الأ انها لم تكن على شيء من العلم لقعود الرومان عن تعليم بناتهم وكان جل ما يطلبونهُ من المرأة الزهد ويذكرونهُ لها على ضريحها حيث يكتبون عليهِ كانت تلازم البيت وتقوم على غزل الصوف

وكان الاب الروماني كاهن العائلة في عبادة اسلافها والسيد المطلق في شؤونها يحق لهُ طلاق زوجتهِ وطرد اولادهِ او بيعهم جميعهم في الاسواق وغير ذلك من حق المالك في ملكهِ وكان الصبيان يشاركون الاب في اعمالهِ وتقيم البنات في البيت تحت امرة الام يتعلمنَ الغزل والنسج ويتدربن على القناعة والطاعة

ولم يكن للرومان عناية كبيرة بتعليم اولادهم فكان معظم الاهلين اميين يجهلون القراءة والكتابة الأ نفرًا من اغنياء الامة واشرافها كانوا يبعثون باولادهم الى المدارس ليتلقوا فيها القراءة والكتابة والبيان في اللغتين اللاتينيةَّ واليونانية عن اساتذة يونانيين يقبضون اجورهم الزهيدة من الآباء ويسلكون في التعليم طريقة الضرب بالسوط والقضبان وقد وجدوا في بمبايي صورة تمثل المعلم يجلد تلميذًا ورفاقهُ قابضين عليهِ

ان انصراف الرومانيين الى السياسة وتطلعهم الى الفتوحات حال دون سعيهم وراء العلم ومع ذلك فقد اخذوهُ عن اليونان وسلكوا فيهِ مناهجهم فبعد ان كانت مدارسهم مقتصرة على تعليم الاولاد القراءة والرياضة البدنية صارت تلقنهم العلوم لاسيما البيان بكل ضروبهِ ولم تعدم الفلسفة طلاَّبًا يؤمون دارها ويرفعون لواءها وان لم يزيدوا على ما وضع اليونان شيئًا فقد تسربت الروائية بآدابها الى شرائعهم وكان لها فيما سنُّوهُ شأن عظيم

وما ضرب الرومان عن الفنون صفحًا ولا اهملوا الصناعات وان لم تكن نشأة ارضهم فقد تحدوا اليونان فيها وتابعوهم في معظمها وازدهت الآداب اللاتينية في ايام اغسطس قيصر وعظم شأنها حيث ظهر في تضاعيفها فطاحل الشعراء مثل فرجيل وهوراس واوفيد وغيرهم ومثل ذلك قل عن صناعة البناء في عهد هذا القيصر فقد بلغت من الاحكام والجمال مبلغًا كبيرًا

وكانت منازل الاغنياء في شكل يباين شكل الدور الفخيمة لعهدنا هذا اذ لم يكن لها

من واجهات الى الخارج وغرفها مظلمة صغيرة يتخللها نور النهار من عرصة الدار وكانت القاعة الكبرى في الوسط وهي ملأى بتماثيل اجداد الاسرة وتنار من كوىً قائمة في السقف وفسحة الدار مبلطة بالفسيفساء

وكان للتمثيل شأن عظيم عند الرومان يتوافدون اليهِ في ايامهِ المعروفة افواجاً ويحسبونهُ من اعظم مظاهر الانس واكبر مجالي السرور حتى كان القياصرة يزيدون في عدد ايامهِ المعينة استرضاء للامة فقد كانت تقام زمن الحكم الجمهوري ٦٦ مرة كل سنة فزيدت في زمن القياصرة حتى صارت ١٥٥ مرة في السنة وتبتدئ الالعاب عادةً عند شروق الشمس وتختتم عند غروبها ولا يحضرها غير الاحرار من الوطنيين

وكانت الالعاب عندهم على ضروب شتَّى منها التمثيل وقد اتبعوا فيهِ لاول عهدهم النهج اليوناني بان يلعب الممثلون ادوارهم بوجوهٍ عارية على ان هذا الضرب من التمثيل والضروب الاخرى منهُ كالتراجديا وغيرها لم تنطبق على اذواق الرومانيين ولا راقت في اعينهم لخلوهم من العواطف السامية والرغبة في العلم وتملك الميل الحربي فيهم بحيث لا تسرّ نفوسهم ولا ترتاح خواطرهم الاَّ حيث يرون الدماء تهرق والنفوس تزهق من مقارعة الابطال ومصارعة الوحوش

وقد بذل الرومان جهدهم في تشييد المحال المعدة للالعاب والتمثيل فاقاموها بين التلال والآكام ليكون الموضع على شكل مستدير ويصلح مقاعد للمشاهدين وكانت الملاعب القديمة مؤلفة من قسمين قسم معد للمشاهدين وهو على شكل نصف دائرة والقسم الثاني للممثلين على شكل قائم الزوايا وكان موضع المتفرجين فسيحاً جدًّا في احد ملاعبهم يسع زهاء مئتين وخمسين الفاً وقيل انهم زادوهُ في القرن الرابع اتساعاً حتى صار يسع حوالي ثلثمائة وخمسة وثمانين الفاً

وفي تلك المحال المعدَّة للالعاب كان يزدحم اشراف الرومانيين والوطنيون الاحرار منهم مع نسائهم واولادهم ويقضون النهار بطولهِ يتفرجون على الملاعب الكثيرة منها سباق المركبات التي تجرها اربعة افراس وكان السائق يعدو بمركبتهِ ثلاث مرات حول الملعب ويتم في النهار الواحد خمسة وعشرين شوطاً وكان لكل سائق جماعة من النصراء والمتشيعين يحملون اشارةً ملونةً تميزهم عن نصراء السائق الآخر وكان الناس يتحدثون كثيرًا بامر هذا السباق ويهتمون بهِ جدًّا حتى كان القياصرة انفسهم في بعض الاحايين ينحرفون الى حزب منها دون الآخر وتتخذ المناظرة شكلاً سياسيًّا

وهنالك نوع آخر من الالعاب لهُ شأن عظيم ذلك ان تطلق الوحوش الضارية على مشهد

من المتفرجين ويبرز لقتالها الرجال الاشداء مسلحين بالحراب ثم زادوا هذه المشاهد شراسة بان تبرز الرجال وهي عزل من السلاح لمقاتلة الوحوش فتهجم عليهم الكواسر وتمزقهم تمزيقاً تقشعر منهُ الابدان ومع ذلك لم يكن يرى شيءٌ من علائم الكدر والاشمئزاز على وجوه المتفرجين من الرجال والنساء والاولاد بل كان يرى عليهم دلائل المسرة والرضى

ومن المشاهد الوطنية المصارعة وهي مبارزة الرجال بالسلاح فكانوا يأتون بالمحكوم عليهم واسرى الحرب والارقاء الى ساحة الملعب حيث يمتقل كل واحد منهم سلاحهُ الوطني ويقتتلون حتى يلقي الظافر خصمهُ على الارض مجندلاً بدمائهِ وكثيرًا ما كان يدخل في زمرة المتبارزين جماعة من الوطنيين الاحرار حتى من الاشراف انفسهم ويأخذون في المناجزة حتى ينالوا شرف الغلبة او يقضى عليهم

وكانت الحلفات شائعة في كل البلاد الرومانيَّة على ان معظمها كان في المواضع اليونانية الشرقية وكان لكل صناعة حلفة خاصة بها تجمع اعضاءها الى التعاضد والتعاون وكان ينخرط في سلك تلك الحلفات احياناً نفر من الاغنياء واصحاب الثروة كحلفة العشارين جباة الضرائب والحلفة التجاريَّة التي كانت تتجر بين ايطاليا وغاليا الاَّ ان سواد اعضائها كان من الاوساط

ولم تكن الحكومة الرومانية راضية عن هذه الحلفات فكانت تثبط سيرها وتمنع اجتماعها ثم عدلت الى الرفق بها وآل الامر اخيرًا في القرن الثالث ان مدت لها يد الاسعاف

ولئن بلغت هذه السلطنة العظيمة مبلغاً عليًا من البسطة والجاه وتوفرت فيها اسباب الحضارة والعمران فقد كانت آداب اهلها سافلة كلها فساد ودعارة حيث كان الفسق والفجور والغلو في الترف وقسوة الاسياد على الارقاء زيًّا متبعاً لا تحمرّ لهُ الوجوه ولا تبكت عليهِ الضمائر ومما زاد في طين فسادهم بلة ضعف التدين فيهم لان عقيدتهم الاولى على خشونتها كانت لا تخلو من زواجر تنهى عن المنكر فلما ضعفت فيهم بما تبذوهُ من وهنها ضربوا بنصالها عرض الحائط ولم يرجعوا الى عاداتهم القديمة ولا الى الفضائل الفطريَّة التي تحلَّى بها اجدادهم

والفرق بين اليونان والرومان ان الاولين ظلُّوا سائدين في آدابهم عصورًا طوالاً بعد سقوط دولتهم بخلاف الرومان الذين سقطت آدابهم ابَّان ازدهائهم السياسي وامتداد سلطانهم وبعبارة اخرى غُلب اليونان على ملكهم وممالكهم ولكنهم غلبوا بلغتهم وعلومهم وآدابهم فكان اليوناني المغلوب سيدًا بعلمهِ وحكمتهِ والروماني غالبًا بسيفهِ وبطشهِ ومغلوبًا بفسادهِ وطيشهِ

طرابلس صموئيل يني

الراهن والواهن في المادية

(تابع ما قبلهُ)

الحياة

ما هي الحياة وكيف ظهرت " ابقيت القوة الخالقة السنين الطوال تنظر الى السديم وترقب المادة الاصلية الى ان تقلصت وانفصلت الارض عن الشمس ام صبرت حتى تكونت القشرة الخارجية على وجه الارض وحتى تصاعد البخار وتجمعت المياه في الابحار وصارت الارض صالحة للحياة ثم قالت لتكن الحياة فكانت " . سؤال سألهُ تندل واجاب عليهِ بان الحياة نشأت من مادة الكون الاصلية نشوءًا طبيعيًّا محضًا . وكيف يسوغ القول بان الحياة دخلت المادة دخولاً وكل ما في الكون حولنا شاهد على وحدة الكائنات وعلى ارتباطها الكلي بعضها ببعض . قال هيكل " نقصد بالنشوء العام ان في الطبيعة وحدة جامعة تدفع الكون الى الترقي وان كل ما في العوالم من حركات الاجرام السماوية الى حركة الحجر الذي نرميهِ ومن حياة النبات الى قوى النفس حاصل بتفاعل الجواهر والقوة[1]" وقال ايضاً " ان اكتشاف الاحياء الميكروسكوبية المعروفة بالمونوا (Monna) دليل واضح على امكان حدوث التولد الذاتي فان هذه الاحياء على بساطتها التي لا بساطة بعدها حية تظهر فيها الحياة كما تظهر في غيرها من الاحياء ولا ريب ان كل الانواع نشأت من اصول كهذي" [2] على ان هكسلي قد وجد في رأس شوكة القريص من صغار الدقائق البروتبلاسمية ما تحسب المونوا جواميس بالنسبة اليهِ وعندهُ ان من دقائق كهذي نشأنا كأننا رجالاً ونساءً ولنسمع حجتهُ في ذلك

قال — " من يسمعني اصرح بان حركات الفنجا والفورمينزا (نباتات معروفة) ليست الا بعض خواص المادة البروتبلاسمية يندهش وينسب قولي هذا الى الهذيان ولكنهُ لو علم ان البروتبلاسم المركبة هي منهُ هو عين البروتبلاسم في سائر الاحياء لما توقف عن التصريح بمثل ما صرحت بهِ بل ولزاد على ذلك ان كل حركة حيوية هي خاصة من خواص القوى الكامنة في البروتبلاسم " [3] اه

ان العقل لا يمكنهُ انكار ناموس الاتصال لانهُ يراهُ جليا في كل اجزاء الوجود فاذا

(١) Truths of Evolution (٢) تاريخ الخليقة لهيكل ٧٥ (٣) Errors of Evolution

سلّمنا بظهور الحياة بغتةً هتكنا حرمة هذا الناموس وهو مما لا يسلّم بهِ العقل ولو دقيقةً واحدة·
اوَ ليس واضحاً ان مملكتي النبات والحيوان مشتركتان في الحيوية وقوة الحس نستنتج ذلك من عدم امكاننا ان نضع حدًّا فاصلاً بينهما فكيف يسوغ لنا ان نقول ان حياة النبات غير حياة الحيوان وان القوّة الخالقة خلقت كلاً منهما خلقاً خاصًّا · واذا التفتنا الى الجماد رأينا ان ناموس الاتصال واضح فيهِ ايضاً اعتبر ذلك في المشابهة الكلية بين احط الاحياء وبين اقرب المركبات الكيماوية الى الحي فتكاد لا ترى ثمت من فاصل بينهما. نعم لم يستطع احد ان يعبر الهوّة التي بين الجماد والحيّ ولم يستطع احد حتى الوقت الحاضر ان يولّد الحياة توليدًا اصطناعيًّا ولكنَّ ذلك لا ينفي القول بهِ ولا يزعزع الرأي القائل بان الحياة قوة مادية او كما قال سبنسر "وفاق تام بين الاحوال الخارجية والاحوال الداخلية "وهوذا العلم نفسهُ يصرّح بان ما نسميهِ قوةً حيويَّة ليس الاَّ قوى كيماوية · تتغيّر بتغيّر الفواعل الفاعلة فيها . وكما ان الآلة لا تستطيع ان تخلق قوةً جديدة كذلك الجسم فانهُ يأخذ القوى من المحيط ويكيّفها بحسب الاحوال · فالمشي والعدو والتسلق والجذب والدفع والتنفُّس والهضم وغيرها ليست الاَّ حركات ميكانيكية كيماويَّة وما القوّة التي نراها في العضلات الاَّ القوّة التي كانت في الطعام والشراب · قال هربرت سبنسر " امس كان العلماء يجزمون بانهُ يستحيل اصطناع مركب آليّ اما اليوم فقد بطل وهمهم في ذلك لاسيما وقد تمكنوا من صنع الوف من المركَّبات الآلية ولا يبعد انهم يتمكنون من صنع اكثرها " اه

وقال هكسلي في كلام لهُ عن اصل الحياة · " ان وجود الحياة متوقف على وجود بعض المواد الطبيعيَّة كالحامض الكربونيك والماء والنشادر فاذا انتزعتَ احدى هذه المواد ذهبتَ بالحياة اجمع · ومن المعلوم ان البروتبلاسم مؤلف من كربون وهيدروجين واكسجين وكلّ من هذه الثلاثة جامد لا حياة فيهِ فاذا سأل سائل كيف تهيأ للحياة ان تنبعث مما لا حياة فيهِ قلنا كيف تهيأ للماء ان يتولد من الهيدروجين والاكسجين ولا اثر للمائيَّة في احدهما — انقول ان المائيَّة اتت من حيث لا نعلم ودخلت في اكسيد الهيدروجين حالما تمّ تركيبهُ ام نقول ان المائية خاصة من خواصّ المادة تظهر في تركيب خصوصي كالاكسيد المذكور · واذا لم نستطع ان نقول ان المائيَّة دخلت في مركب الاكسجين والهيدروجين فماذا يسوّغ لنا ان نقول ان في بعض التراكيب الخصوصية تدخل الحياة دخولاً وانهُ متى تمّ تركيب البروتبلاسم دخلت الحياة من الخارج واستقرت في بيتها الجديد · أليس ذلك مجرد تحكّم ومحض مكابرة أوَ ليس الاولى ان نقول ان الحياة ناتجة من تركيب خصوصي في المادة" اه

هذا ولقد بطل ما كان يزعمهُ الخلقيون من خلق الانواع دفعةً واحدة ورجعوا الى القول بان الانواع من اصل واحد بسيط او من اصول قليلة ولكنهم توقفوا عن عبور ما بين اصل الاصول والجماد وتركوا الماديين وحدهم يجتازون على جسر ناموس الانصال الذي المعنا اليهِ سابقاً

الحياة " هي البروتبلاسم ليس الاَّ وكل مظاهرها ناجم عن حركات تلك المادة الغريبة الشاملة الاحياء . ولم يرَ العلماء في تجاربهم حتى الآن سوى العناصر الكيماوية . نعم لم يتمكنوا من توليد الحياة اصطناعيًّا وقد لا يتمكنون من ذلك لعسرهِ ولكنهم لا يرون في الحياة غير قوة من قوى المادة . قال زهاوي زاده جميل صدقي افندي في كلام لهُ عن التولُّد الذاتي[1] " وربما سلَّم بعض الحيويين بالترقي والنشوء للآليَّات الاَّ انهُ يبقى مصرًّا على عدم التسليم بان الحياة نوع من القوى الطبيعيَّة او هي تحوّلٌ عنها . والمحققون على انها قوة من القوى الطبيعيَّة للدلائل التي تدل بمجموعها على صدق الدعوى وان كانت ضعيفة بالنظر اليها واحدًا واحدًا . والاكثر على انها فوق الطبيعة لمجرّد ان المثبتين لا يستطيعون ان يستخرجوا اليوم من الجماد حيوانًا او نباتًا . وليت شعري كيف يمكن لهم ان يتصوروا الشيء خارجًا عن الطبيعة وهل يوجد محل خارج عن الطبيعة حتى يمكن ان يردَ منهُ الشيء فيحل في الطبيعة ثم يخرج منها اليهِ . الم يكفِ المخالفين اقناعاً ان كثيرًا من الامور التي كانوا يظنونها خارجة عن الطبيعة اكتشف اخيرًا حقيقتها فاعيدت الى محلها في الطبيعة

" وما ادراك لعلَّ الحياة ايضاً من تلك الامور واذا لم تكن الحياة من نوع القوى الطبيعيَّة فكيف تحول الواحدة منها الى الاخرى .... ايريدون ان يصنعوا بايديهم اليوم مادة حيَّة من الجماد راسًا حتى يصدّقوا . كلاَّ فان الزمان الذي يتهيأ فيهِ هذا ربما كان بعيدًا لما ان حقيقة الحياة لم تكشف بتمامها في الحاضر وجلُّ ما يظنهُ العلماء انها والقوى الطبيعيَّة في الاصل واحد

" لا اخال العلماء يقولون بالحدوث والاعدام للاشياء في الحاضر فجميعهم قائلون بالبقاء وعلى هذا فأسالكم اذا مات حيوان فمن المحقق ان الحياة لم تبقَ فيهِ وحيث انها لم تعدم فلا بدَّ انها ذهبت فلننظر كيف يمكن لها ان تذهب . واذا وضعنا الحيوان المذكور في قنينة سميكة الجدران مسدودة سدًّا محكمًا ومات فيها كيف تذهب حياتهُ . فهي لكونها لا تعدم لا بد انها تفارق جسدهُ وتذهب واذا ذهبت فعلى اي كيفية تخرج من القنينة . هل تنفذ

(١) المقتطف مجلد ٢٠ ص ٩٠٠

مسامّ القنينة وتخرج كذلك فاذن هي جسم كالاجسام او انها تهز جدران القنينة او الاثير المتخلل مسامها فهي اذن حركة وقوة كسائر القوى ولا يتصدر لخروجها الاّ احدى هذه الكيفيات . اه "

وكلام الماديين في نشوء الحياة من الجماد كثير وانما اكتفيت بهذا النذر القليل حبًّا بالاختصار . ولنتقدم الآن الى الفصل الثالث من موضوعنا وهو يبحث في ان العقل كالحياة قوة من قوى المادة

العقل

وكما ارجع الماديون الحياة الى المادة هكذا ارجعوا العقل الى حركات في الدماغ وقالوا ان لافرق بين المظاهر العقلية والقوى الحيوية وان لا فصل في الخط الذي يصل الاميبا والبرتوجونا بافلاطون وشكسبير

العقل قوّة مستقرّة في الدماغ وهي تتحوّل الى غيرها من القوى الطبيعيّة. فالحرارة والنور والحركة مثلاً قد تتغير فتصير شعورًا وفكرًا والعكس بالعكس . والمادة لم تكتسب حركتها وقواها من الخارج بل هي ازلية فيها فما الذي يحمل البعض على القول بان للكون روحًا شاملة هي اصل الحياة او ان للفرد نفسًا خاصة هي مبعث العقل . العلّ المادة مرسح فقط تظهر فيه القوى وتمثل ادوارها ام هي منشأها وعلة وجودها . ولا يُستفاد من ذلك ان الفكر خاصة من خواصّ المادة العامة . كلاّ فانهُ كما ان الذوق لا يكون الاّ في اللسان والشم في الانف والمرارة في الكبد هكذا الفكر لا يوجد الاّ في عضوٍ خاص بهِ وهو الدماغ[1] . قال دافد هارتلي " ان اختلاف النفس عن الجسد عرضيّ لا جوهري فان التجارب الصادقة تريبنا ان العلاقة بين الجسد والنفس كلية ومن المستحيل ان يتفاعل شيئان مختلفان في الجوهر — اني ارى العالم الماديّ كالسلّم درجات درجات فاذا بدأنا بالحجر الذي هو احطّها ثم شرعنا نصعد الى النور الذي هو اعلاها وبعبارة اخرى اكثرها روحًا وحياةً رأينا الفرق بين الحجر والنور عظيماً الى درجة يعسر فيها تصوُّر كونهما مادة على السواء ومع ذلك فنحن لا ننكر مادية النور بل لا نقول بفرق بين الحجر والنور من جهة الجوهر. فماذا يمنعنا عن الصعود الى ما فوق النور حتى نصل الى العقل فان الفرق بين الشعور والنور اقلّ منهُ بين النور والحجر "اه

قال الماديون بمادية العقل وهم يستندون في ذلك كما المعنا سابقًا الى ناموس الاتصال

(١) تولند . تاريخ الفلسفة لوبر

فلا يرون من فصل في هذا الوجود —النبات متصل بالحيوان والجماد بالنبات — اذ بذلك تتمّ الوحدة الرابطة الكائنات بعضها ببعض والقول بفصلها واستقلالها لا يقبلهُ الباحث المدقّق اعتبر ذلك في احطّ الحيوانات المعروفة فترى انها بسيطة جدًّا لا اعضاء لها ولا اعصاب ومع ذلك فلها قوة الحسّ التي تمكنها من القيام بامر حياتها وانك لترى كلما ارتفعت في سلم الاحياء ان ارتقاء الجهاز العصبي مطّرد وان القوى النفسانيَّة متوقفة في ظهورها على درجة ارتقاء الجهاز العصبي وهذا التوقُّف او هذه العلاقة كلية بحيث لا يمكن وجود العقل والادراك الاَّ متى بلغ العصب من الارتقاء مبلغًا عظيمًا جدًّا . فبدلاً عن ان يكون الجسم خليَّة واحدة او مجموع خلايا قليلة كما هي الحال في بعض الاحياء الدنيئة كالبروتوزوى والمونوا والاسفنج نراهُ يتقدَّم حتى يصير ذا اعضاء مستقلة ثم يظهر فيهِ العصب الواحد ويتقدم العصب بتقدم الحيوان ويتفرَّع الى اعصاب كثيرة ثم يرتقي ويتزايد حتى يصل في الفقريات الى الجهاز العصبي العظيم البالغ في الانسان اعظم اطوار ارتقائهِ

ثم ان الدماغ درجات فمنهُ الصغير والمتوسط والكبير ومنهُ البسيط والكثير التركيب على مقتضى ارتقاء الفرد الحيّ وعلى درجة تقدمهِ في ميدان النشوء العام . واعظم الادمغة وارقاها دماغ الانسان فان فيهِ من التلافيف والصلات ما لا يوجد في غيرهِ من سائر الحيوان . واذا هبطنا من الانسان الى ما دونهُ من الحيوان رأينا الدماغ يصغر تدريجًا حتى لا نعود نرى لهُ من اثر في الحيوانات التي لافقار لها . بل نرى هنالك عوضًا عنهُ العقد العصبيَّة متفرقة في الجسم على ابعاد مختلفة . وتقل العقد والاعصاب كلما هبطنا حتى نصل الى حيث لا عصب ومع ذلك نرى ان الحيوان لا يزال يتأثر من المحيط ويتحرك بحسب المؤثرات الفاعلة فيهِ . فكيف ذلك وكيف نرى علاقة العصب بالقوَّة المنبعثة منهُ ولا نقول بان هذه القوة خاصة من خواصّ البروتبلاسم . الحسّ من خصائص البروتبلاسم وهو مما يشترك فيهِ الحيوان والنبات وتتوقف قوّتهُ على مقام الفرد الحيّ في عالم الاحياء واليهِ ارجع الماديون كل المظاهر العقلية والغرائز الداخلية . فقالوا في الغريزة مثلاً انها نتيجة الاختبار المكرَّر . فان من الفواعل الطبيعية ما هو محبوب ومنها ما هو مكروه فاذا تأثر حيوان لفاعل مكروه اندفع عنهُ واذا تكرر ذلك المؤثر تعلَّم الحيوان ان يكرههُ وهذا الكره يتقوى ويتوارثهُ الخلف عن السلف فيصبح غريزةً او ملكة فيهِ

من ينكر قوّة الفهم والادراك في الحيوان ألا ترى ان الثعلب يقيس و يستنتج وبعبارة اخرى يتفلسف وليس لديهِ الاَّ الشعور بالمؤثرات الخارجية . نعم لا يستطيع ان يجرّد لان

التجريد يقتضي جهازاً عصبياً اكثر تركيباً وملاءمة لذلك . واذا كان الحيوان (وليس له الاّ الحسّ) يقرن الحوادث بعضها ببعض ويدرك بواسطة الاختبار ما يهمهُ ادراكهُ من ماجريات الكون فلماذا نجعل عقل الانسان مستقلاً او لماذا نخلق فيهِ نفساً تستقرُّ في الجسد وتبعث اليهِ بالعقل هبةً من النفس الشاملة . هل الانسان من فلتات الطبيعة شاذٌّ عن مجرى الكون او هو من هذا العالم خاضع للنواميس التي يخضع لها سائر الاحياء . ان العقل يقوى بقوة الاعصاب ويمرض بمرضها بل يموت بموتها وهذا مناقض لمبدإِ استقلالهِ اذ ان ذلك يقتضي كونهُ كاملاً في البساطة والكامل في البساطة كيف ينمو ويقوى ويموت ؟ قال احدهم " اذا كانت النفس غير ماديَّةٍ فلا حيز لها وما لا حيز لهُ لا يوجد في مكان فهو غير موجود "

جاء لسبنسر في فلسفتهِ الادبيَّة قولهُ (١) — " العقل عبارة عن الشعورات الناشئة من المحيط وعن علاقات تلك الشعورات بعضها ببعض . فالشعور الاول بسيط جدًّا وعملهُ الحركة الانعكاسيَّة ولكنهُ يزداد تركيباً كلما ازدادت المؤثرات وكلما كثر الاختبار . اما الفعل الانعكاسي فهو انتقال التأثر من عصب الحس الى عصب الحركة رأساً بدون توقف . فاذا حدث التوقف وذلك عند ازدياد العلاقات والشعورات في الاعصاب الحسَّاسة صار عدد الصور الناشئة عن ذلك كبيرًا جدًّا بحيث يتعذر انتقالها الى اعصاب الحركة بدون توقف قليل وهذا التوقف القليل قبل الحركة هو الفكر . وكلما ازدادت المؤثرات وكثر تركيب الشعور والصور المسببة عنها طال التوقف او الفكر حتى تصل في ذلك الى حالة الحكم والتمييز وهي الحالة التي تتمكن فيها بعض الصور من النظر الى بعضها ومن التأثر المتبادل " اه

فنستنتج من ذلك ان العقل اولهُ وآخرهُ الشعور وان الشعور مسبَّب عن تأثر العصب من المحيط واما القول بان العقل جوهر مجرد عن المادة فمما لا يوافقنا عليهِ العلم اذ لا وجود لغير المادة في عالم الوجود . اعتبر ذلك في الادلة الآتية (٢)

(١) ان النفس تنمو بنموّ الجسد وتتكامل قواها بتكامل قواهُ فاعضاء الجسد تتكامل الدنيئة منها اولاً فتفعل افعالها ثم التي فوقها كذلك ولا تزال تتكامل حتى تصير كفأً لقضاء كل اعمالها . وينشأ الجسد ثم ينمو حجماً وقوةً حتى يأتي طور الانحطاط فينحط وفي غضون ذلك تشرع النفس في النمو ولا تزال تتقوّى وتنمو حتى تصير كفأً لقضاء اعمالها

(١) المجلد الاول ص ١٠٤ من Synthetic philosophy باب الفلسفة الادبية
(٢) نقلت بتصرّف قليل عن مذهب الماديين في المقتطف السنة الخامسة ص ١٦٢

(٢) ان النفس لا تكتفي بمقارنة الجسد والنمو بنموه بل تعتمد عليهِ ايضاً للحصول على المعرفة وما يتلو تلك المعرفة من الانفعال اللذيذ او المؤلم كالانبساط والانقباض

(٣) انها والدماغ سيّان فانهُ اذا اصاب الدماغ ما يغيّر تركيبهُ او يحبط اعمالهُ او اذا قطعت اعصاب من اعصابهِ فربما جُنّ الانسان وذهب عقلهُ فينقلب ما نسميهِ نفساً فيصير ذاتاً اخرى تعاكس تلك في طبعها كما يستدل من انعكاس افعالها . والخلاصة انَّا لا نعلم بوجود النفس (او العقل) غير مقارنة للجسد ولا دليل لنا من البحث والمشاهدة على وجودها كذلك وان النفس تنمو بنمو الجسد وتعتمد عليهِ في ادراكها وانفعالها وترتقي بارتقائهِ وتضعف بضعفهِ . ويترتب على ذلك ان النفس فعل من افعال الجسد وان جوهرها جوهر الدماغ وبهذا يتضح سبب نموها بنمو الجسد واعتمادها عليهِ في الادراك . واما كونها جوهراً غير مادي فلا يحل مشكلاً من المشاكل ولا يقنع عقل العاقل — انتهى باختصار —

سأل العقليون كيف يصير الشعور عقلاً وكيف تتحول التأثرات الخارجية الى عواطف داخليَّة وقاموا يتددون بالقائلين بذلك وقد فاتهم ان ناموسي بقاء القوة واستمرارها يفسران ذلك باجلى بيان فانهُ كما ان النور والحرارة ضربان من الحركة هكذا الشعور والفكر والارادة وغيرها ضروب من الحركة يتحول بعضها الى بعض طبقاً لناموس بقاء القوة

اما الارادة فيرجعون بها الى الاميال والعواطف التي تنشأ من الشعور . ولما كانت الاميال متباينة القوى كان لا بد لاحدها ان يكون الاعظم فيها قوة وتأثيراً . والارادة انما هي اتباع هذا الميل الاعظم فهي مقيدة بمثل ما تتقيد بهِ سائر الاميال . انظر الى نفسك حينما تعمل عملاً فترى انك مدفوع الى ذلك العمل بعلل كثيرة وهذه العلل اما ان تكون خارجيَّة تأتيك من المحيط رأساً او داخليَّة تمرّ منها على عدة اسباب حتى تصل الى السبب الاول وهو المحيط فالمحيط كل شيء ومهما اراد الانسان فهو انما يريد مدفوعاً بما لا قبل لهُ على عصيانهِ

هذا ما يوصلنا اليهِ البحث والمقام اضيق من ان اسهب في ردكل مظهر عقلي الى اسباب خارجيَّة لاني لا اقصد في كلامي الليلة الاَّ مختصر معنى الماديَّة على طريقة واضحة بحيث يتناول العقل القصد المراد منها لا سرد الادلة والبراهين في تقريرها ولا لبسط التجارب في شرح مشاكلها وغوامضها

بقي عليَّ امر لا بد لي من ذكرهِ في هذا الباب وهو (الوجدان الذاتي) او الشخصيَّة . فالمعترضون يقولون لو فرضنا ان النفس مؤلفة من جواهر فردة فكيف تم لتلك الجواهر

العديدة ان تصير ذاتاً واحدة تشعر بوجودها وتدرك ما هو خارج عنها . ومع عظم اهمية هذا الاعتراض فهو لا يفند شيئاً من المبادىء المادية اذ ان بمثل هذا الاعتراض يعترض على العقلية نفسها فكيف تجيب لو سئلت كيف تم للصور العقلية ان تصير صورة واحدة . ذلك سرّ لا المادية تفسره ولا العقلية تفسره وجل ما للماديين في ذلك قولهم[1] ان بين اعصاب الحس واعصاب الحركة علاقة داخلية فاذا كانت تلك العلاقة منظمة جداً اي قد تكرر حدوث الفعل فيها مراراً عديدة كانت الحركة انعكاسية والاّ فهي وجدانية بمعنى انها تقتضي توقف الصور عن المرور فتقع تحت حكم الفكر والارادة . فالوجدان هو الحالة التي تكون فيها العلاقة بين عصبي الحس والحركة غير كافية لمرور الشعور في طريقة يكون العقل بها انعكاسياً

جاء للويس في كتابه مسائل الحياة والعقل ص ١٩٦ ما يأتي :— الشعور ثلاثة انواع — شعور الحس وشعور الفهم وشعور الارادة . ولا يفرق الشعور العام عن الوجدان العام الاّ التمييز ولكن التمييز نفسهُ شعور يفوق ما سواهُ في التأثير والقوة . فالوجدان هو الشعور نفسهُ في حالة يرى بها ما سواهُ من الشعورات الذاتية او الشخصية فما هي الاّ مجموع الصور العقلية مجموع تتحد فيهِ صفات كل صورة ويكون من اتحادها فرد او حال . ومَثَلُ هذه الشخصية مَثَل مركز الجاذبية في جسم ما فانهُ كما ان لكل جزء من الجسم ثقلاً خاصاً ومركزاً خاصاً وان لمجموع الاجزاء ثقلاً هو مجموع اثقالها ومركزاً هو ملتقى مراكزها هكذا لكل صورة من صور الدماغ مركز . ولكن مركز المراكز هو الوجدان الذاتي وكما يتغير مركز الجاذبية بتغير الاجزاء هكذا يتغير الوجدان بتغير الصور العقلية . وقال سبنسر ايضاً

" ان الصور المولدة في الدماغ لا بدّ لها من رابطة او مركز عام تمرّ فيهِ فكلما ازدادت الصور قلّ الوقت اللازم لمرور كل صورة على حدة فصارت الصور تمر متلاحقة متماسة وحدث من ذلك خط من الصور متصل هو الوجدان الذاتي او النفس

فالنفس حاصلة من تلاقي القوى العقلية فاذا فني الدماغ وفنيت المظاهر العقلية فني العقل وتلاشت النفس

هذي هي مبادئ الماديين فلنتقدم الى الرد عليها مختصرين في الرد ما اختصرنا في الكلام عنها (ستأتي البقية) انيس الخوري

---

[1] سبنسر

تجارة مصر منذ مئة عام

يعلم قراء المقتطف حال التجارة المصرية الآن مما ننشره لهم عاماً بعد عام . وقد اطلعنا على كتاب للمسيو جيرار الذي كان رئيساً لهندسة الجسور والطرق في زمن الحملة الفرنسوية وصف فيهِ احوال القطر المصري الزراعية والصناعية والتجارية فرأينا ان نقتطف المقالة التالية من قسمهِ التجاري

(١) التجارة الداخلية

لا اهمية للتجارة بين اسنا والشلال الاول لان الاهالي هنالك فقراء يكدحون وراء رزقهم اليومي وينقلون النزر اليسير مما يستغنون عنهُ من لوازم المعيشة في قوارب يسيرونها في النيل الى الجهات القريبة منهم . غير ان مدينة اسنا وهي محط رجال البكوات المنفيين تفوق ما يجاورها من المدن في اهميتها التجارية لاسيما وان العرب الضاربين في الصحاري المجاورة من العبابدة والبشارية يختلفون اليها لشراء حاجاتهم من مثل القطاني والارز والحديد والاقمشة التي يبدلونها بجمال وفحم وصمغ وعبيد مما يقع لهم الاستيلاء عليهِ إما في الصحراء وإما خطفاً من قلب افريقية

ويكثر في اسواق اسنا الزبدة والجبن والحبوب والدجاج والحمام والخضر والصوف وغزل القطن جميع ذلك يرسل اليها من الجهات القريبة منها فضلاً عما يرد اليها من مصر واخصهُ الحديد والرصاص والنحاس والصابون والارز . وفيها مستودعات لواردات سنّار من ريش النعام والعاج والابنوس وصغار العبيد الذين لا يمكثون فيها الاّ ريثما يتهيأ ترحيلهم الى القاهرة

ويرسل منها الى مصر مقادير وافرة من زيت الخس والتمر والفحم والسنّا والشبّة وقليل من الحبوب

واجرة قنطار الزيت (١٢٢ رطلاً) من اسنا الى القاهرة ٤٠ مايدة (٥ غروش صاغ) واجرة قنطار البلح (٢٥٠ رطلاً) ٨٠ مايدة ويصدر منهُ من النوبة وغيرها بطريق اسنا نحو خمسة آلاف قنطار سنوياً . واجرة قنطار الفحم ٣٠ مايدة الى مصر حيث يباع القنطار بزرّين محبوب (اي ٣٦٠ مايدة)

واكثر ما تنقل البضائع الى مصر بالنيل في مراكب ملاحوها من البرابرة . وسواد التجار يفضلون طريق النيل لانهُ اقل تعرضاً لسطو الاشقياء وغزو الغزاة من العرب

ويلي اسنا في الاهمية التجارية في اعالي الصعيد بلدة قوص من حيث يرسل الشال الصوف الابيض الى مصر ويصدَّر القمح الى بلاد العرب بطريق القصير

وتقام في كل اسبوع اسواق للبيع والشراء في جميع مدن الصعيد أهمها سوق مدينة الفيوم التي يأتيها الاهالي والعرب من جميع الانحاء المجاورة يتبادلون فيها السلع والمأكولات . وتضرب على هذه الاسواق رسوم يتقاضاها البك المتولي امر الجهة التي تقام فيها اوالكاشف الحاكم عليها . وكان الرسم المضروب على سوق مدينة الفيوم ١٤٠٠٠٠ مايدة (كل ٨ مايدات بنحو قرش صاغ) سنويًّا ولكن المتعهدون يضربون رسومًا مختلفة على كل ما يدخل الى هذه السوق فيبلغ ما يأخذونهُ سنويًّا بنحو ١٧٠٠٠٠ مايدة . فكان رسم الدخولية ١٠ مايدات على كل اردب قمح ولا شيءَ من الرسوم على الاقمشة القطنية والصوفية والقطن المغزول لان الحاكة يدفعون رسومًا خاصة بحرفتهم فتُعفى لذلك مصنوعاتهم من سائر الرسوم . ومعدل الربا في الفيوم ١٠ في المئة سنويًّا

وفي القاهرة اسواق عديدة لبيع المأكولات وغيرها . ولهذه الاسواق شرطي يسمونهُ الآغا يتفقدها كل يوم راكبًا حصانهُ يتقدمهُ وزَّانٌ حامل ميزانًا كبيرًا وسُنَجًا مختومة ويتبعهُ نفر مسلحون بالعصيّ . فاذا تقدمت اليهِ شكوىً من شارٍ يشكو بها نقص الوزن يأمر وزَّانهُ الخاص بتحقيق ذلك امام حانوت البائع فان وجد اعوجاجًا في البائع احالهُ على أتباعهِ يقوّمون اعوجاجهُ بعصيّهم . فيتألَّب حولهُ الباعة جيرانهُ يهتمُّون بأمرهِ ويدخلونهُ الى دكانهِ مطيبين خاطرهُ حتى اذا جاء دور احدهم في الانطراح تحت عصيّ رجال الآغا يعاملهُ هو بنفس هذه المعاملة

وقد تجري شُرَط الاسواق على هذه الخطة في المدن الاخرى المهمة ولكن بطريقة اقلّ انتظامًا

وتمتاز طنطا عن جميع مدن الوجه البحري باتساع اشغالها واهمية اسواقها وموالدها السنوية ولاسيما مولد السيداحمد البدوي الذي يعلن الباشا الحاكم يوم افتتاحهِ بفرمان يرسلهُ الى المديريات السبع وهي : الصعيد والجيزة والبحيرة والمنوفية والغربية ومديريتي الشرقية . فتزدحم الجماهير في وكالات الجامع الاثنتي عشرة وفي الاسواق والارباض تغشاها الخيم . وكان امر البوليس منوطًا بكاشفين ترسلها مديريتا المنوفية والغربية فيشرفان على الاسواق الغاصَّة بالمواشي والمأكولات وضروب الاقمشة البلدية والاوربية والهندية يؤتى بها من الاسكندرية والقاهرة . ويحافظان ما امكن على الأمن وهو كما ذكرنا قبلاً عرضة لان

تعبث بهِ العرب والاحزاب المتعادية . وتقام ايضاً اسواق على جانب من الاهميَّة في محلة مرحوم وسمنود . وتعتبر المنصورة نقطة الاتصال بين القاهرة ومدينتي دمياط ورشيد حيث مخازن البضائع الاوربية والسوريَّة

اما الامن في الوجه البحري فمختل في الداخلية اذ لا وجود للبوليس الاَّ في المدن المهمة وعلى الشطوط والاطراف حيث تكثر تعديات العرب

(٢) التجارة بين مصر وداخلية افريقية

تقوم القوافل التجارية في اوقات معينة الى مصر من دارفور وسنَّار وفزَّان وهاك بيان امر كلٍ منها

قافلة دارفور

تحمل هذه القافلة الى الديار المصريَّة العاج والتمر الهندي والقرَب من جلود الجمال وريش النعام والشَّشم والكرابيج والصمغ والشبَّة والنطرون وبعض جلود النمر الخ . غير ان معظم تجارتها بالرقيق الاسود صبياناً وبناتاً بعضهم يختطفهُ النخَّاسون من قرى دارفور وبعضهم يؤْخذون اسرى في الحرب . ويباع الرقيق في القاهرة بما يساوي الآن خمسين ريالاً مصرياً [١] والخصي منهم بضاعف ذلك وفي دارفور نفسها يدفع الجلابون على روايتهم ثمن الرقيق الواحد اربع شقق او خمس من قماش الكتان الاسيوطي او من قماش القطن المحلاوي

وتؤَلف القافلة من خمسة الاف جمل تقطع المسافة بين دارفور واسيوط في ٤٠ او ٥٠ يوماً . وبما ان آبار المياه في الطريق بعيدة بعضها عن بعض ومدة السفر طويلة يخصص الجلابون وهم ارباب القوافل نحو ثلث جمال القافلة لحمل الماء والتبن فقط لحمل البضائع والباقي لاغراض مختلفة من مثل الركوب ونقل الذخائر والمؤَن واحمال الجمال التي تُعقر او تموت في الطريق

وكان لا يسمح للقافلة ان تتخطى اسيوط الاَّ بعد دفع الرسوم التي يبين مقدارها كاشف الواحات الخارجة لقيمة القافلة وهذا يتقاضى من كلٍ من الجلابين السهم الذي يلحقهُ من ذلك . وكانت الضريبة على كل رأس رقيق نحو ٧٠ غرشاً صاغاً وعلى الجمل نحو ٣٥ غرشاً صاغاً . وتؤْخذ ضريبة ثانية على القافلة في القاهرة تساوي ربع هذا الرسم عدا رسم الدخولية في مصر العتيقة بواقع ١٢ غرشاً على الجمل . ويدخل مصر سنوياً من دارفور بين خمسة آلاف وستة آلاف رقيق اربعة اخماسهم جوارٍ . ويرأس كل قافلة قائد من قبل

(١) نستعمل في ما يأتي قيم العملة الحالية

ملك دارفور: يستولي على مرتب من الجلابين وهو ٣ غروش عن كل جمل و٧ غروش عن كل رفيق

اما مقادير البضائع التي تنقلها قافلة دارفور سنويًا الى القاهرة ومتوسط اثمانها فبوجه التقريب كما يأتي :—

عاج ٤٥٠ قنطارًا ثمن القنطار ٩ جنيهات

تمر هندي ٦٠٠ قنطار. ثمن القنطار جنيهان

صمغ عربي ١٥٠٠ قنطار والقنطار منها ١٥٠ رطلاً ثمن القنطار ٤ جنيهات

ششم ٦٠٠ قنطار ثمن القنطار ٦ ريالات

كرابيج ٣٠٠ كرباج ثمن الكرباج ٧ غروش

ريش نعام ٢٥ قنطارًا ثمن قنطار الاسود منهُ ١٧ جنيهًا والابيض بنحو سبعة اضعاف ذلك

قرَب من جلود الجمال والثيران ٤ آلاف زوج ثمن الزوج ٤ ريالات

نطرون الف قنطار (القنطار ١٢٠ رطلاً) ثمن القنطار ٦ ريالات

شبَّة ٢٠٠ قنطار (القنطار ١٥٠ رطلاً) ثمن القنطار ريال ونصف وهي تستخرج من قاع البحيرات والمستنقعات في دارفور

وقد تستغرق إقامة الجلابين في مصر اكثر من ستة اشهر يستبضعون في اثنائها ما يلزم لهم من السلَع البلديَّة والاوربيَّة من مثل الاقمشة والخرَز الملوّن والدمالج والحديد والرصاص والنحاس والسلاح والبارود والحلى الفضيَّة الخ

وفي هذه الاثناء يبيعون معظم جمالهم فلا يبقون منها الَّا ما يلزم لرجوعهم . وفي عودتهم يدفعون في القاهرة رسماً قدره ½ ٥ غرش عن كل جمل محمَّل

قافلة سنَّار

تسير قافلة سنَّار في طرق متشعبة تنتهي الى ابريم في النوبة ومن هناك تتابع السير الى دارفور فاسنا حيث تحطّ رحالها زمنًا يتمكن فيهِ الجلَّابون من بيع جانب من جمالهم وبضاعتهم ثم تقلع القافلة ببضاعتها في النيل الى القاهرة وفي اجتيازها النيل تدفع ضريبةً في منفلوط قدرها ثلاثة غروش صاغ عن كل رأس رقيق واخرى في المنيا وضريبةً ثالثة في بولاق . غير ان كلاًّ من الضريبتين الاخيرتين يساوي نصف الضريبة الاولى

والذي يختلف من محمولات هذه القافلة عمَّا تقدم ذكرهُ في الكلام على قافلة دارفور

هو الرقيق الحبشي الذي تحضر هذه القافلة عددًا قليلاً منهُ فيباع باكثر من غيرهِ والتبر ومقدارهُ قليل ايضاً وتباع الاوقية منهُ في مصر بنحو اربعة جنيهات ونصف

قافلة فزّان

بلاد فزّان في داخل بربرا على بعد عشرين يوماً من طرابلس الغرب واربعين من القاهرة وفيها نحو اثنتي عشرة قرية يختلف بعدها عن طريق القافلة بين نصف يوم وثلاثة ايام . وهي في فيافٍ قلما يقع فيها المطر فتسقى بالآلات . واهلها مسالمون متحضرون يربّون المعزى والجمال والحمير وليس عندهم خيل ولا غنم

وفي يوليو سنة ١٨٠٠ حضر شيخ قافلة فزّان الى القاهرة ومعهُ ثمانية تجار وثمانية جمّالة معهم خمسة وعشرون جملاً ستة منها محملة بضاعة طرابلس الغرب من طرابيش وبرانس واحرمة صوفية وعشرة محملة تمرًا وما بقي للزاد ونحوهِ من لوازم السفر . وكان جميع رجال القافلة عزلاً من السلاح مع ان قبيلة اولاد علي كانت قد سلبت القافلتين السابقتين عند حدود مديرية البحيرة

ويغلب ان يكون التجار المرافقون لهذه القافلة من الحجاج القاصدين مكة فيحضرون معهم شيئاً من الاقمشة الطرابلسيَّة يعتاضون بارباحها عن بعض نفقاتهم

وتعود القافلة ببعض الاقمشة الكتانية والارزّ اما الحاجات الاخرى فتشتريها من طرابلس الغرب

اختراق أفريقية

اشرنا في العام الماضي الى رحلة صديقنا المستر سفدج لندر واختراقهِ افريقية من شرقيها الى غربيها في طريق لم يسر فيهِ احد من الاوربيين قبلهُ . وقد بعث الينا الآن بخطبة تلاها في الدار العلمية الملكية ببلاد الانكليز فرأينا ان نقتطف منها ما يلي قال

لقد اخترقت افريقية من شرقها الى غربها في اوسع عرض منها وقضيت في ذلك ٣٦٤ يوماً في الحل والترحال واضطررت ان اعرّج مرارًا واسير في طرق ملتوية فبلغت المسافة التي قطعتها ٨٥٠٠ ميل . قمت من جبوتي في املاك فرنسا وقطعت بلاد الحبشة الى نهر بارو وزرت القبائل النازلة الى الشمال والجنوب من نهر السبت وهو امتداد نهر بارو وكان سفري كلهُ على الخيل والبغال الى ان وصلت الى النيل على سبعين ميلاً من كدك (فشودا) جنوبًا

ومن ثم قطعت بحر الغزال والحراج التي تليهِ الى نهري مبومو واوبنغي في بلاد الكنجو الفرنسوية وزرت في طريقي ولاية الكنجو الحرَّة . ولما وصلت الى حيث ينحرف نهر اوبنغي الى الجنوب سرت في جهة شمالية غربيَّة مع جماعة من رجالي نحو بحيرة شاد وعبرتها ولكنني لم اواصل السير هناك غرباً بل ارتددت شرقاً لاني اردت ان افحص بعض المنخفضات في صحراء الكانم وزرت في طريقي بعض القبائل النازلة شمالي بحيرة شاد وعبرت بلاد الشناقي ودرت جنوباً الى ان وصلت الى الطرف الشمالي الشرقي من بحيرة شاد وقطعت ٨٥٠ ميلاً من الصحراء راكباً على الجمال الى ان وصلت الى النيجر بطريق سوق زندر ثم سرت بقارب ٦٨٠ ميلاً فوصلت الى مدينة تمبكتو وواصلت السير في النيجر وعبرت نهر السنغال الى ان وصلت الى الراس الاخضر وهو ابعد نقطة من افريقية غرباً

وقد استعملت في رحلتي هذه كل انواع المطايا الخيل والبغال والحمير والثيران والجمال والقوارب الخشبيَّة والحديديَّة والارماث . ولم يكن معي في وقت من الاوقات اكثر من ثلاثين دابَّة للحمل ولا اكثر من اربعين رجلاً . ولم اكد اقطع ثلث هذه المسافة حتى فارقني كل رجالي وذلك في اصعب الاماكن في قلب افريقية ولم يبقَ معي الاَّ رجل واحد من اهالي الصومال فاحتلت انا وهو على تسيير قافلتنا وعبور الحراج بها وكانت الامطار تتدفَّق علينا تدفقاً واستخدمت رجالاً غير الذين تركوني ولكني لما مررت في بلاد التوارك لم يبقَ معي منهم سوى ثلاثة وست جمال وجُنَّ اثنان من الرجال . وكنا نقطع ٢٣ ميلاً كل يوم والعادة ان اصحاب الرحلات لا يقطعون هناك اكثر من عشرة اميال في اليوم . واطول مدة استرحت فيها ١٢ يوماً لما بلغت النيل وعشرة ايام في تمبكتو

وكان اكثر سيرنا في بلاد وبيئة انتشرت فيها الحمَّى الملاريَّة ولما وصلت السنغال كانت الحمَّى الصفراء ضاربة اطنابها فيها . ولما بلغت الساحل الغربي ركبت سكة الحديد الفرنسويَّة ولكن اتفق ركوبي في مركبة فيها رجل فرنسوي مصاب بالحمَّى الصفراء فاضطررت ان اقيم في الكورنتينا . ولم يكن معي ادوية تستحق الذكر في كل سفري ولا آلة لترشيح المياه . ولا اهتممت بلذع البعوض ولا بالوسائل الطبيَّة وكانت النتيجة اني عدت الى اوربا وانا على تمام الصحة ولم البس في هذه الرحلة خوذة تقي من الشمس ولا ثياباً تقي من المطر بل لبست ثيابي العادية التي البسها في مدينة لندن وقطعت هذه المسافة كلها وليس معي شيء من الاسلحة ولا سكين صغيرة الاَّ ان رجالي كانوا مسلحين بالبنادق الكثيرة الطلقات ولكن قلما كنت اعطيهم خرطوشاً ولم يكن معي رجل ابيض وقد قمت وحدي بكل نفقات هذه الرحلة

هذه خلاصة رحلتي والآن اشرحها لكم باكثر تفصيل واسهب في وصف غريبة او غريبتين من الغرائب الكثيرة التي لقيتها فيها

لم يكن اختراق بلاد الحبشة من الصعاب ولكنني خفت من حدوث ما لا يحمد في سكة الحديد من جبوتي الى ديردوى مسافة ١٩٠ كيلو مترًا لكثرة اهتزازها ولما بلغت ديردوي مضيت الى مدينة هرر وقابلت رأس مكُنّن وهو من اقدر رجال الحبشة · ولما عدت الى ديردوى نظمت قافلتي واتجهت نحو العاصمة وسرت في بلاد تكاد تكون قفرًا وزرت في طريقي كثيرًا من قبائل الدناكل وهم اقوام لا بأس بهم ولكنهم كثيرًا ما يقتلون الغرباء الذين يمرُّون في بلادهم ويمثّلون بهم وكانوا قد قتلوا رجلين من العرب ورجلاً من الاحباش قبلما اخترقت بلادهم بايام قليلة · وقد خاف منهم الجنود الاحباش الذين اتوا معي لحمايتي. وبلغت اديس ابابا عاصمة الحبشة بعد سير اثني عشر يومًا ونزلت ضيفًا على السرجون هرنجتون سفيرنا لدى الامبراطور منلك وعلى الاوربيين القلال العدد الذين هناك. ولقيت من الامبراطور كل حفاوة واكرام · واديس ابابا اشبه بمعسكر كبير منها بمدينة وقصر منلك او قصوره فيها اشبه بمعمل كبير منها بقصور الملوك فان داخل اسوارها مضرب النقود والآلات البخارية والورش المختلفة ومنلك يقضي اكثر اوقاته فيها لا على عرشهِ لانهُ يكره السياسة

والسرجون هرنجتون رجل مقتدر وبحنكتهِ وحسن تدبيرهِ بقي اسمنا مكرَّمًا في بلاد الحبشة ولولاهُ لخسرنا ما كان لنا من النفوذ وخرجنا من تلك البلاد صفر اليدين · اما الآن فلا خوف على نفوذنا هناك والفضل كل الفضل لهذا الرجل - وكل من يزور بلاد الحبشة يقول ان فيها رجلين يخشى بأسهما ويحمى جانبهما وهما الامبراطور منلك والسرجون هرنجتون · والامبراطور يعتمد على رأي السرجون ويقدر مشورتهُ قدرها وعندي ان كثيرًا من الاصلاح الذين تمّ في بلاد الحبشة كان بمشورتهِ

وكلمة الامبراطور نافذة في رعيتهِ وهم يعبدونهُ عبادة كأنهُ اله ويشاركهم في ذلك غير الاحباش من القبائل الخاضعة لهم وكلمتهُ شريعة لهم وامرهُ مطاع فيهم ورجالهُ يتغلبون على اعدائهم بما لهم من الهيبة في النفوس لا بمهارتهم الحربيَّة فاذا توفي منلك لم يسهل على مَن يخلفهُ ان يقبض على زمام البلاد لاسيما وان عيون الدول الاوربيَّة طامحة اليها من كل الجهات

ومنلك من اعدل الملوك واكرمهم واشدهم رزانة · ولو كان اصغر سنًّا وساح في اوربا لعاد منها بامور كثيرة تأول الى اصلاح بلادهِ · وكل ما تحتاج اليهِ بلاد الحبشة حكومة منظمة وشرائع ثابتة

ولم اجد كبير صعوبة في المسير من تلك البلاد الى نهر السُبت واقيت في طريقي قبائل الغالا في غربي بلاد الحبشة وهم يكرهون الاحباش مع انهم خاضعون لهم واذا مات منلك فلا يبعد ان يخلعوا طاعة الاحباش ويستظلوا بالعلم البريطاني . وهم اهل نظر يحرثون الارض ويربون المواشي ولهم المام بالتجارة ويدينون بالاسلام

والجانب الغربي اخصب بلاد الحبشة وهو معتدل الهواء لارتفاعهِ ويسهل اصلاح زراعتهِ وفيهِ البن البري وهو من افخر انواع البن والصمغ الهندي ومعادن كثيرة ويجمع التبر من مسيل نهر بارو

ويلي الارض المرتفعة ارض منخفضة من املاك الحبشة يديرها اناس من حكومة السودان وهناك يسكن اليمبو وهم جيل من الناس طوال القامة جدًّا كأنهم الجبابرة

واول نقطة فيها مأمور مصري جمبلا وهي خبيثة الهواء لا تبقي على انسان ولا حيوان رأيت فيها بعض تجار اليونان وكلهم في حالة يرثى لها من فعل الحمّى الملارية بهم ورأيت على قبر الجنرال غاتكر قطعتين من الخشب في شكل صليب وكثيرًا من الشوك منعًا للضباع من نبش الجثة واكلها

ولقيت قبائل النوير جنوبي نهر السُّبت وهم اقوام غريبو الاطوار لا يأتمنون احدًا ولا يأتمنهم احد عندهم كثير من المواشي لكنهم لا يبيعون منها ولا يقايضون وثيرانهم ليست اقل شراسة منهم فكانت تهجم على دواب قافلتي حيثما رأتها ورجالهم يطلون ابدانهم بطلاء ابيض واما نساؤهم فيحافظن على لونهنَّ الاسود ولا يلبسن الاَّ ابسط الملابس الطبيعيَّة . وكلهم ممتازون بطول ارجلهم ويطلون شعورهم بطلاء لزج ويجمعونها معًا في شكل مستدق وهذا الطلاء يصبغ الشعر بلون احمر، ويدلُّ طول سوقهم على انهم مخلوقون ليعيشوا في بلاد كثيرة المستنقعات كأنهم طيور الماء وكثيرًا ما ترى الواحد منهم واقفًا على رجل واحدة كأنهُ مالك الحزين

وقد اضطررت ان اعبر نهر السبت مرارًا كثيرة وهو عميق سريع الجري فكنت اجد مشقة كبيرة في عبرهِ برجالي وبغالي وكانت البغال تسبح سباحة ونحن نطلق البنادق حولها خوفًا من التماسيح وكابدنا مشقات كثيرة الى ان بلغنا التوفيقيَّة على النيل وهي اقفر بقاع الارض[1] وهناك حامية من الجنود السودانية

ولما دنونا من النيل دخلنا بلاد الشلوك وقد كانوا اكثر عددًا واقوى صولة منهم الآن

(١) [المقتطف] وصلنا اول تلغراف منهُ من التوفيقية

ولكن حملات الدراويش والمصريين والنخاسين بددت شملهم وكادت تقرضهم ويظهر من انتشار لغتهم انهُ كان لهم صولة واسعة فاني رأيت الناس يتكلمونها او يفهمونها في عالية الحبشة وبلغني ان الامر كذلك في الجنوب حتى فكتوريا نينزا . وهم فريقان احدهما يعترف بالقرابة بينهُ وبين النوير ولا سيما بين الدنكا . واكثر الشلوك الآن على ضفة النيل الشمالية بين بحيرة نو ومصب السُّبت وبلادهم سهل فسيح تكثر فيهِ الاعشاب الكبيرة وتخترقهُ الخيران الكثيرة والمنخفضات التي يغمرها الماء زمن فيضان النيل وليس فيها الَّا قليل من شجر الدوم والهجليج والدلب ويفسد هواؤُها في فصل المطر

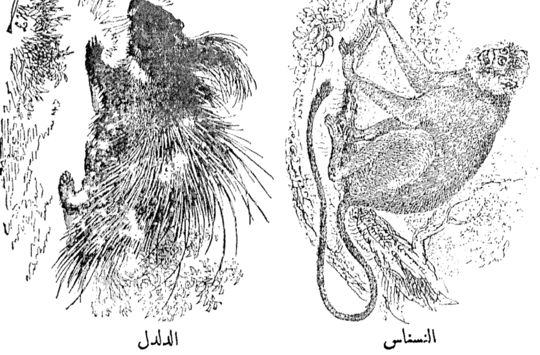
وقلما يتزوج الرجل من الشلوك بغير امرأة واحدة لغلاء مهر النساء فان مهر الزوجة لا يكون اقل من ثلاثة ثيران او اربعة او اربعين رأساً من الغنم او المعزى عدا الهدايا التي يهديها الخطيب الى اهل الفتاة قبل الاتفاق على مبلغ المهر وتعد الثيران او الغنم والمعزى التي يتفق عليها بقطع من القش توضع على الارض وقت الخطبة فاذا تم الاتفاق بين الخطيب واهل الفتاة على المهر اخبروها بذلك حتى اذا قبلت اهدى اليها الخطيب سواراً من النحاس او العاج فتلبسهُ بذراعها . وقد يتزوج احدهم بفتاة ويعد اهلها بالمهر ثم يعجز عن الوفاء بوعدهِ فتؤْخذ زوجتهُ منهُ . وبعض الشلوك ينزعون الثنيتين والرباعيتين من الفلك الاسفل كما تفعل بعض القبائل في قلب افريقية

والبلاد حول بحر الغزال من اقبح البلدان وقد اتفق اني مررت فيها من مشرع الرق الى واو في اشد شهور السنة حرًّا وجفافًا قبل فصل المطر وكثيرًا ما كنت اعجز عن استقاء الماء الكافي لما معي من الدواب من الآبار التي هناك

والدنكا اقارب الشلوك جاء اسمهم على ما اظن من دنجو الذي يقال في تقاليد الشلوك انهُ كان اخًا لجوا كنجو وهما اول من ظهر من قومهما في تلك البلاد فاختصم الاخوان وعبر دنجو النيل وسكن على ضفتهِ اليمنى ومنهُ جاءت قبائل الدنكا

ولما قطعت بلاد بحر الغزال ووصلت الى ديم زبير سرت في الحراج الاستوائية متجهًا الى الجنوب ومررت على كثير من القبائل في اطراف بحر الغزال . اما قبائل النيام نيام فليس هذا اسمهم بل هو لقب ضخمٌ يلقبهم بهِ غيرهم واما هم فيسمون انفسهم اسنده من سنده اي تحت . وقد رأيت بعضهم وهم مشوهو الخلقة بطونهم كبيرة ورؤُوسهم مستطيلة بلهٌ خبثاءُ لا يؤْمن شرهم لكنني وجدت في لغاتهم امورًا تدل على انهم مختلطون من اصل مرتقٍ وهذه الامور قد تكون عرضية ولكن سواءٌ كانت عرضية او غير عرضية فهي مما لم ارَ لهُ مثيلاً

الغورلا



النسناس

الدلدل

في الايطالية والفرنسوية والالمانية والاسبانية والبرتغالية والانكليزية فاذا اراد الواحد منهم ان يضيف اليهِ شيئاً غير حي خارجاً عنهُ استعمل ضمير المتكلم المضاف اليهِ كما نقول بيتي ورمحي ولكن اذا اراد ان يضيف اليهِ شيئاً متعلقاً بهِ مثل ابيهِ ويدهِ لم يقل كما نقول نحن ابي ويدي بل اضافهُ الى ضمير مثل الضمير المرفوع عندنا كأنهُ يقول اب انا يد انا للدلالة على ان المضاف من اهلهِ او من نفسهِ . وبعض الاسماء عندهم مستعار من الحوادث الطبيعيَّة او من عالم النبات فمعنى اسم اللحية عندهم مطر الذقن ومعنى اسم الراحة ورقة الذراع ومعنى اسم الظفر قشر الاصبع واسم القدم ورقة الساق ويسمون النجوم بما معناهُ اعداء الشمس . وللواحد والاثنين والثلاثة الى الخمسة اسماء مفردة واما الستة فاسمها واحد من اليد الاخرى والسبعة اثنان من اليد الاخرى والثمانية ثلاثة من اليد الاخرى والاحد عشر واحد من القدم والستة عشر واحد من القدم الاخرى والحادي والعشرون رجُل واصبع والحادي والاربعون رجلان واصبع والحادي والستون ثلاثة رجال واصبع وهلمَّ جرًّا

وكان غرضي الوصول الى مملكة زميو وهي اكبر الممالك في اواسط افريقية فقطعت الحراج لهذه الغاية وتركني حينئذٍ كل الرجال الذين كانوا معي ما عدا واحدًا من اهالي الصومال فسقنا القافلة وحدنا وكان فصل المطر قد مات اكثر الدواب التي معي وكان الحر شديدًا يزهق النفوس والارض مستنقعًا متصلاً والاشجار تلطم الاحمال على ظهور الدواب فنحلها او نوقعها ونضطر الى ربطها مرارًا في اليوم والامطار تنصبُّ علينا كافواه القرب والاشواك والادغال تنشب في اقدامنا وأُصبنا كلانا بالحمَّى ومضى علينا شهر ونحن على هذه الصورة نقاسي اشد المشاق الى ان بلغنا نهر مبومو وكان في قافلتي ثلاثون دابة بين بغال وحمير فلم يبق منها سوى اربعة حمير فاسترحت هناك يومين استرجعت فيها قوتي وعدت الى مواصلة المسير

وعلى نهر مبومو ونهر اوبنغي قبائل كثيرة اكثرها من اكلة لحوم الناس والنهران يفصلان بلاد الكنغو الحرَّة عن الكنغو الفرنسويَّة وما رأيتهُ من بلاد الكنغو الحرَّة يدل على حسن الادارة فيها واهاليها على تمام الرضى وقد اصلحت طرق البلاد وزراعتها وما يشاع على ضد ذلك غير منطبق على الحقيقة . والموظفون الايطاليون في حكومة الكنغو باذلون اقصى جهدهم في اسعاد السكان والسكان يحبونهم ويكرمونهم

وقد قطعت مرارًا الطريق الذي مرَّ بهِ الكولونل مرشان ورأيت الخريطة التي رسمها منطبقة غاية الانطباق على البلاد وهي في غاية الضبط والاحكام

وقمت من اوبنغي بار بعين جمّالاً وسرت نحو بحيرة شاد وكان الفصل لا يزال ممطرًا واضطررنا ان نقطع انهرًا كبيرة ونمر على كثير من القبائل الغريبة الاطوار وفي جملتهم قبيلة المجيا وقبيلة السنجا ونساؤُهما يثقبن شفاههنَّ السفلى ويدخلن في الثقب عودًا او عظمًا او قطعة مستطيلة من البلور او يعلقن في الشفة العليا حلقةً كبيرة جدًّا حتى تطول الشفة بها وتتدلَّى وقد يعلقن حلقة بكل شفة من الشفتين ·

وزرت بلاد الالمان في الكمرون ولقيت حسن الضيافة من الموظفين الالمانيين ووجدت انهم يحسنون الاعتناء بالسكان وان البلاد آخذة في الارتقاء بعنايتهم

وقد قيل ان ماء بحيرة شاد آخذ في النبوض ومن المحتمل انها تجف تمامًا لكثرة التبخُّر منها ولان الانهر التي تصب فيها تحمل اليها كثيرًا من الطمي فيرسب فيها ويختلط بالنباتات التي تنبت وتيبس فيها فيعلو قاعها رويدًا رويدًا · ولا شبهة ان هذه البحيرة كانت في العصور الغابرة اوسع مما هي عليهِ الآن · وقد حفر الملازم فريدنبرج بئرًا على بعد من البحيرة فوجد ترابها طبقات مترادفة من الرمال والمواد النباتية البالية وهي تدل على ان البحيرة كانت تغمر المكان الذي حفرت فيهِ البئر وتبين كيف ترسب المواد النباتية والرمال بعضها فوق بعض

وسرت في نهر النيجر بقارب من الحديد فقضيت ٢٨ يومًا حتى وصلت الى تنبكتو ولم يسر القارب في مسيل النيجر نفسهِ بل في الارض التي طغي عليها ماؤُهُ. ولا تسل عمَّا لقينا من المشاق في طريقنا من القصب والحلفا ولا ما بُلينا بهِ من البعوض . وكثيرًا ما كنا نجد الجنادل في طريقنا والماء يجري بينها سريعًا مزبدًا فنضطر ان نعود ادراجنا . واتفق مرةً ان وصلنا الى شلال من هذه الشلالات فخرج الرجال من القارب وربطوهُ بالحبال من الجانبين لكي يمنعوهُ من الانقلاب وبقيت انا وحدي فيهِ والدفة في يدي وكانت امتعتنا فيهِ لكن المياه رفعتهُ وقذفت بهِ فوقع الرجال الممسكون بالحبال في الماء وكاد بعضهم يغرق ودفع القارب الى اسفل وامتلأ ماء لكنني نجوت من الغرق وانقذنا القارب والامتعة

اما مدينة تنبكتو فمبنيَّة على جانبي كثيبين من الرمال ممتدين شرقًا وغربًا فيها خمسة الآف من السكان المقيمين واربعة الآف من التجار الذين يترددون عليها اكثرهم من طرابلس الغرب ومراكش وغدامس وتدوف وطوات واهاليها يتكلمون بكثير من اللغات الافريقية

واسهب الخطيب في وصف معادن البلاد ونباتاتها ومدح الموظفين الفرنسويين على ما لقيهُ من كرمهم وقال ان العلماء منهم باذلون جهدهم في درس طبائع البلاد ومصادر ثروتها والاساليب التي تستثمر بها والضباط الذين يقودون جنود السنغال ماهرون في كل شيء فتراهم

يمسحون البلاد ويبنون البيوت ويحفرون الترع ويعلمون الاهالي كل ما يحتاجون اليهِ لمعيشتهم ورجال الادارة منهم من اكثر الرجال حنكة وامهرهم في اساليب السياسة . وختم بالشكر للورد كرومر والسردار ولوكيلي فرنسا وبلجكا السياسيين في مصر وللكبتن اون لانهم كلهم ساعدوهُ بما سهل عليهِ اختراق افريقية

معجم الحيوان

[لا يخفى على مَن اشتغل بالترجمة من اللغات الاوربيَّة او بالتأليف على منهاج الاوربيين ان من انواع الحيوان والنبات ما اسماؤُهُ معروفة مشهورة كالغراب والفرس والتين والزيتون فلا تخفى على احد ولا تخفى دلالة الاسم على المسمَّى . ومنها ما اسماؤُهُ غير معروفة او غير مشهورة او اخطأ المترجمون في ترجمتها وشاع الخطأ دون الصواب وهذه كلها يستصعب المترجم تحقيقها من مظانها كلما وصل اليها وليس في العربية حتى الآن قاموس عربي افرنجي عُني مؤلفهُ بترجمة كل اسماء الحيوانات والنباتات التي لها اسماء في العربيَّة او بين الناطقين بها ناهيك عن ان تعريف اسماء الحيوانات والنباتات في كتب اللغة العربية قلما يدل عليها

وقد عني صديقنا الدكتور امين معلوف منذ مدة بالبحث عن اسماء الحيوانات ووضع لها معجماً ذكر فيهِ الاسم العربي والاسم الفرنسوي والاسم الانكليزي والاسم العلمي ووصف كل حيوان وصفاً اوجز فيهِ او اسهب حسب مقتضى الحال فرأَينا ان ننشر هذا المعجم تباعاً في المقتطف لعرضهِ على الباحثين في هذا الموضوع وعسى ان يتحفنا المؤلف بمعجم آخر للنبات لانهُ يبحث في هذين الموضوعين بحثاً دقيقاً يعود عليهِ بالشكر . المقتطف]

ذوات الايدي الاربع QUADRUMANA

❁ البَعام ❁ Anthropopithecus troglodytes. E. Chimpanzee. F. Chimpanzé

نوعٌ من القرود الشبيهة بالانسان واقربها اليهِ في تركيب الجسم . طول البالغ منهُ نحو متر ونصف ويداهُ تصلان الى ركبتيهِ فقط ولا ذنب لهُ . وطنهُ الحراج الكثيفة في اواسط افريقية

اما لفظة البَعام هذه فقد سمعتها مراراً من عرب السودان وهو الاسم الذي يعرف بهِ

هذا الحيوان عندهم وقد ذكر هذه اللفظة الدكتور شوينفورث[١] ونعوم بك شقير[٢] والبكباشي امري[٣]

❖ الغُورِلاَّ (افريقية) ❖ Gorilla. E. Gorilla. F. Gorille. جنسٌ من القرود الشبيهة بالانسان وهو اكبر من البعَام واقوى منهُ واشرس

❖ الإنسان الوَحْشيّ[٤] (تعريب أُرانغ اوتانغ بلغة ملقّة) ❖ Simia Satyrus. E.&F. Orang-Outang من القرود الشبيهة بالانسان ولكنهُ اقل شبهاً بهِ من البعام والغورلاَّ وهو اقصر منهما ويداهُ طويلتان جدًّا ومسكنهُ الاشجار في غياض بورنيو وسومطرة

وقد ورد ذكر هذا الحيوان كثيرًا في كتابات العرب ولكنهم لم يضعوا لهُ اسمًا على ما اعلم . فقد جاء في كتاب عجائب الهند لبُزُرك بن شهريار[٥] " قال حدثني محمد بن باشاد قال رأيت بسريرة (سَرَبُزَة)[٦] عند امرأة بها دابة على صورة بني آدم الَّا ان وجههُ اسود مثل وجه الزنج ورجليهِ ويديهِ طوال ازيد مما عليهِ الآدمي ولهُ ذنب طويل وعليهِ شعر مثل شعر القرد .... فقلت لها ما هذا فقالت " من اهل الغياض والاشجار " . وكان يصيح صياحًا ضعيفًا لا يفهم ما هو . وهو قريب من القرد الَّا ان وجههُ وجه بني آدم وخلقتهُ مثل بني آدم " . وارجح ان هذا الحيوان هو الانسان الوحشي بعينهِ ولو وصفهُ بطول الذنب فقولها لهُ " من اهل الغياض والاشجار " هو ترجمة ارانغ اوتانغ بلغة تلك البلاد . وجاء في اثار البلاد للقزويني وعجائب المخلوقات لهُ ايضًا شيء مثل هذا عند ذكرهِ جزيرة زابج[٧] وعليهِ ارى ان احسن تسمية لهذا الحيوان هو ما وضعهُ المرحوم احمد فارس

❖ الجِبُون (معرَّبة) ❖ Hylobates E.&F. Gibbon. جنس[٨] من القرود

---

(١) The Heart of Africa, by Dr. Schweinfurth. (٢) تاريخ السودان لنعوم بك شقير وقد جاء فيهِ سهوًا ان البعام هو الاران اوتان وهذا لا وجود لهُ في افريقية (٣) دليل الحيران الى لغة عرب السودان البكباشي امري (٤) طبائع الحيوان للمرحوم احمد فارس طبع في مالطة سنة ١٨٤١

(٥) هذا الكتاب نشرهُ في اوربا المسيو فان درليث وعلق عليهِ شرحًا مستوفيًا يدلُّ على مكانة ناشرهِ من العلم والتدقيق ثم انهُ بعد صدور مقالة المطبوعات المعربة في مجلة المشرق ظهر هذا الكتاب مطبوعًا في مصر وحبذا لو ان طابعهُ اشار الى فان درليث . واظنهُ لم يطلع على مقالة مجلة المشرق (٦) فرضة ونهر في سومطرة اسمها الآن بالمبانغ

(٧) المرجح انها جاوى او بورنيو (٨) قد اتبعت اصطلاح المحدثين في ترجمة Genus جنس و Species نوع و Variety صنف و Family عائلة و Order فصيلة وهلمَّ جرًّا

الشبيهة بالانسان وهو طويل اليدين جدًّا ويوجد منهُ انواعٌ كثيرة اكثرها في جزائر المحيط الهندي

❁ القِرْد ٠ الرُّبَّاح ❁ والانثى ❁ إِقّة ❁ Papio. E. Baboon F. Babouin.
القرد حيوانٌ من ذوات الايدي الاربع وهو قصير الذنب متصلّب الأليتين قبيح المنظر رأسهُ شبيهٌ برأس الكلب ويوجد منهُ انواعٌ كثيرة منها نوعٌ واحدٌ في اليمن والباقي في افريقية ٠ والقرود هي الحيوانات التي نراها مع القرّادين ويسميها اهل الشام السعادين ومن اسماء القرد الشائعة عند العامة الميمون وهو اسم القرد بالتركية ومن الغريب ان علماء الحيوان يطلقون لفظة الميمون ايضاً على نوعٍ من القرود قائم بنفسهِ ويسمى عندهم C. Maimon وهذه اللفظة ليست مشتقة من العربية او التركية بل من لفظة يونانية معناها السملاة

والقرد كما وصفهُ العرب هو الحيوان الذي يعرفهُ اهل مصر والسودان وبلاد العرب بهذا الاسم في وقتنا الحاضر وهو ما يسميهِ الافرنج بابون ولذلك لا ارى موجباً لاستعمال لفظة سعدان او ميمون او بابون كما تجد ذلك في بعض المؤلفات الحديثة ولا بأس بتسمية الحيوان الذي يسميهِ الانكليز Mandrill بالميمون فهو احد انواع القرود ويعرف عند الافرنج بالميمون ايضاً ٠ اما البعام وما يليهِ من القرود فالاصلح تسميتها "بالقرود الشبيهة بالانسان" كما يفعل الافرنج. اما الرُّبَّاح فهو ذكر القرود في كتب اللغة وحسب رواية المسعودي[1] هو القرد بلغة اهل اليمن ويُظن ان هذه اللفظة من اصلٍ ساميٍّ بمعنى رب او سيد[2] لانهم كانوا يعظمون القرد في اليمن كما كان يفعل قدماء المصريين

❁ النِسْناس والنَّسْناس ❁ E. Monkey واحد النسانيس وهي طائفة من ذوات الايدي الاربع تحتها اجناس وانواع كثيرة ويختلف النسناس عن القرد بطول ذنبهِ وعدم تصلّب اليتيهِ وهو الطف منهُ منظرًا واقل شراسةً

والنسناس في كتب العرب جنس من الخلق يثب على رجل واحدة لكل واحد منهم يدٌ ورجل من شقٍّ واحد او خلق على صورة الناس وخلاف ذلك من الاقوال الخرافية ٠ وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب انهُ أُتي بنسناس من اليمن الى الخليفة المتوكل. واما في وقتنا الحاضر فاهل مصر واليمن والسودان يطلقون هذه اللفظة على ما يسميهِ الانكليز

(١) مروج الذهب للمسعودي (٢) Symbolae Physicæ seu Descriptiones Mammalium &c. Ehrenberg & Hemprich.

Monkey وقد استعملها كثيرون من المؤلفين بهذا المعنى ولا ارى مانعاً لذلك فكثير من اسماء الحيوانات المعروفة عند الافرنج مأخوذ عن خرافات اليونان وعندي ان العرب قديماً استعملوا هذه اللفظة لهذا الحيوان بعينهِ ثم بالغ كتابهم في وصفهِ شأنهم في كل شيء . ومبالغتهم في الوصف امرٌ مشهور ولدينا امثلة كثيرة عن حيوانات بالغوا في وصفها حتى يتوهم القارئ انها خرافية كالأصلة مثلاً فالقارئ يرتاب في صحة وجود هذا الحيوان حسب وصفهم لهُ والاصلة تعرف بهذا الاسم في السودان في وقتنا الحاضر وهي من الثعابين الكبيرة وسيأتي ذكرها

❀ الليمُوْر (لاتينيَّة بمعنى شَبَح) ❀ E. Lemur F. Lémur جنس من ذوات الايدي الاربع وهو دقيق الخطم كبير الاذنين وذنبهُ طويل وكثيف الشعر ورأسهُ شبيه برأس الثعلب ويوجد منهُ اجناس وانواع كثيرة اكثرها جميلة المنظر

ذوات الايدي المجنحة CHEIROPTERA

❀ الخُفَّاش (من الخَفَش اي ضعف البصر) . الوَطْوَاط . السَّغَا (لعلها من سَحِيخ بالمصرية القديمة[1]) ❀ E. Bat. F. Chauve-Souris. الخفافيش طائفة من الحيوانات اللَّبونة [2] وهي مجنَّحة الايدي وتطير ويوجد منها اجناسٌ وانواعٌ كثيرة

❀ المصَّاصَة[3] ❀ F.&F. Vampire. من الحيوانات اللبونة الطائرة التي تشبه الخفافيش وهي اكبر منها . تهاجم الانسان وغيرهُ من الحيوان وهو نائم وتمصّ دمهُ الى ان يموت . وتوجد المصَّاصة في اميركا الجنوبية

اكلة الحشرات INSECTIVORA

❀ التَلْبَا (معرَّب اللفظة اللاتينية) الخُلد الاوروبي ❀ Talpa. E. Mole. F. Taupe نوع من اكلة الحشرات التي تعيش تحت الارض وهو مفيد للزراعة لانهُ يأكل الحشرات بخلاف الخلد المعروف في الشام ومصر فانهُ من القضَّام واكلة البقول وهو مؤذٍ للزراعة كثيراً

(١) بغية الطالبين في علوم وعوائد قدماء المصريين لاحمد بك كمال (٢) هذه اللفظة وضعها المرحوم الدكتور زلزل تعريباً للفظة Mammalia (٣) هذا الحيوان لا اسم لهُ بالعربية وهذه اللفظة وردت في معجم بادجر واظنها من اوضاعهِ وهي في غاية الموافقة

والحيوان المسمى Mole بالانكليزية لا اسم لهُ بالعربية ولا وجود لهُ في مصر والشام فالمسمى خلدًا بالعربية يسميهِ الانكليز Mole-rat وسيأتي ذكرهُ . وهذا الخطأ في الترجمة قد ينتج عنهُ ضرر كبير فقد رأيت احدى المجلات العربية تشير بتربية الخلد لاهلاك الحشرات . ولكن الخلد لا يأكل الحشرات مطلقًا بل جذور النباتات وهو مؤذٍ للزراعة كثيرًا ولا ريب في ان تلك المجلة نقلت ذلك عن احدى اللغات الاوربية فظنت ان Mole او Taupe هو الخلد بالعربية فاذا كان لا بد من ترجمة Mole بالخلد وجب تسميتهُ بالخلد الاوربي تمييزًا لهُ عن الخلد المعروف عندنا

❁ القُنفُذ . الأَنقد . الحسيكة . الدُّلَدُ ❁ Erinaceus. E. Hedgehog. F. Hérisson.

جنس من الحيوان من اكلة الحشرات وهو اكبر من الفار قليلاً وجسمهُ مغطًّى بشوك قصير وتسميهِ العامة في الشام بكبَّابة الشوك . اما في مصر وبلاد العرب فيعرف بالقنفذ

وقد ظن كثيرون ان القنفذ هو الدُلدل او النيص Porcupine لان القنفذ من اسماء الدلدل في بعض انحاء الشام والحقيقة ان القنفذ هو هذا الحيوان القصير الشوك المسمى Hedgehog والدلدل هو المسمى Porcupine وهذا من فصيلة غير فصيلة القنفذ وسيأتي ذكرها . فعرب البادية[1] واهل مصر يسمون هذا الحيوان قنفذًا كما ذكرت وقد جاء في كلام العرب ما يؤيد ذلك . قال الدميري " القنفذ صنفان قنفذ يكون بارض مصر قدر الفار ودلدل يكون بارض الشام والعراق في قدر الكلب القَلَطيّ " وقال عند ذكر الدلدل " الدُلدُل عظيم القنافذ وانما شبهتهُ بالقنفذ لانهُ اكثر ما يظهر بالليل ولانهُ يخفي رأسهِ في جسدهِ ما استطاع " وقال الجاحظ " وفرق بين القنفذ والدلدل كفرق ما بين الفار والجرذان والبقر والجواميس والبخاتي والعراب والضأن والمعز والذر والنمل" . وقد ذكر الجاحظ وكثيرون غيرهُ ان القنفذ يأكل الحيات وهذا لا يصدق على الدلدل لانهُ من القضام واكلة البقول الَّا ان بعض علماء العربيَّة حسبوا القنفذ والدلدل نوعًا واحدًا وقالوا ان الدلدل هو القنفذ او العظيم من القنافذ . اما لفظة ابي شوك فيطلقها عرب البادية على القنفذ وعرب السودان على الدلدل

تنبيه ان حرف E المتقدم على الاسماء الافرنجية يدل على الانكليزية والحرف F على الفرنسوية

(1) Arabia Deserta, by C.M. Doughty, I. p. 326

السوريون في زمن الفتح

قلنا في المقالة التي صدَّرنا بها الجزء الماضي ان الممالك العثمانية كانت قبل عهد العرب اكثر سكانًا واوفر عمرانًا مما هي عليهِ الآن حتى لا يكاد يصدّق ان سكانها الحاليين هم نسل الذين بنوا هياكل بابل واشور ولقصر وكرنك وبعلبك وتدمر

ولا يختلف اثنان في ان عمران البلاد كان بالغًا اقصاه في زمن الاشوريين والمصريين والفينيقيين واليونان والرومان الى القرن الاول والثاني من التاريخ المسيحي ولكن من يقرأ فتوح الشام للواقدي ونحوه من الكتب العربيَّة يتوهم ان سورية كانت خالية من رجال العلم والفضل في زمن الفتح وقُبيلهُ وبُعيدهُ لانهُ لا يرى لهم فيها ذكرًا ولا اثرًا كأنَّ عمرانها كان قد زال وعفيت آثارهُ منذ قرون كثيرة لكن المحققين اثبتوا ما ينافي ذلك فانهُ كان للسوريين في ذلك العصر شأن كبير في العلوم والفنون والصناعة والتجارة فقد نشأ منهم كثيرون من الاعلام مثل بروكوبيوس المؤرخ بل اشهر مؤرخي مملكة الروم (البزنطية) وهو سوري ولد بقيصريَّة من اعمال فلسطين في اواخر القرن الخامس للميلاد ودرس الشريعة وسار مع بليساريوس قائد جنود الروم من قبل الامبراطور يوستنيانوس لمحاربة الفرس سنة ٥٢٦ للميلاد ولمحاربة الوندال في افريقية سنة ٥٣٣ ولمحاربة القوط الشرقيين في ايطاليا سنة ٥٣٦ . وعاد الى القسطنطينيَّة فاكرمهُ الامبراطور يوستنيانوس وجعلهُ محافظًا على المدينة سنة ٥٦٢ . والَّف تاريخًا كبيرًا في ثمانية مجلدات اثنين منها لحروب الفرس من سنة ٤٠٨ الى سنة ٥٥٠ واثنين لحروب الوندال من سنة ٥٣٢ الى سنة ٥٤٦ واربعة لحروب القوط وهي تمتد الى سنة ٥٥٢ والَّف ايضًا ستة كتب عن المباني التي انشأها يوستنيانوس او رممها . وعن سيَر الناس المتصلين ببلاطهِ . واشهر كتبهِ تاريخهُ عن الحروب لانهُ اثبت فيهِ ما رآهُ مرأى العين او ما بحث عنهُ وتحققهُ بنفسهِ

ومنهم اڤاغريوس المؤرخ وهو من اهالي سورية وكان من كبار المحامين وقد تقلب في كثير من مناصب الدولة الرومانية ولهُ تاريخ موثوق بهِ للمدة التي بين سنة ٤٣١ و ٥٩٤

ومنهم يوحنا النحوي وسرجيوس الحمصي العالم بطبائع الحيوان . وسرجيوس الراسي الطبيب شارح فلسفة فيثاغورس وافلاطون . وساويروس الانطاكي

ووصل السوريون الى بلاد الهند واقاموا في سواحلها ووصلوا الى جبال حملايا وفي

اشعار الهنود اشارات الى التعاليم التي تعلموها من السوريين في ذلك الحين ووصلوا الى بلاد الصين في عهد الامبراطور تاي تسنغ بين سنة ٦٢٧ و ٦٤٩ وقد وُجد في بلاد الصين لوح عليهِ كتابة صينيَّة وكتابة سريانية وتاريخ الكتابتين يوافق سنة ٧٨١ المسيحية ويظهر منها ان امبراطور الصين امر حينئذٍ بترجمة الانجيل الى اللغة الصينيَّة ونشرهِ في بلاد الصين وامر ايضاً بان تبنى كنيسة للمسيحيين وان السفارة التي ارسلها ملك الروم الى بلاد الصين سنة ٦٤٢ كانت من السوريين النسطوريين . وحروف الهجاء المغولية مشتقة من الكتابة السريانية

هذا من حيث تأثير السوريين في البلدان الشرقية قُبيل الفتح وبعيدهُ اما تأثيرهم في البلدان الغربية فيكفي للدلالة عليهِ ما قالهُ القديس ايرونيموس وهو " ان حب الكسب حمل السوريين على ارتياد العالم كلهِ وغرامهم بالتجارة جعلهم يطلبون الغنى تحت شفار السيوف ويغلبون الفقر باقتحام المخاطر في الوقت الذي تغلَّب البرابرة فيهِ على المسكونة " . وقد كانت صور عاصمة الفينيقيين ملكة التجارة قبل المسيح باحد عشر قرناً وصارت في القرن الخامس والسادس بعد المسيح محور تجارة الحرير . وكان التجار يفدون على ايطاليا من صور وبيروت . وتدل الكتابات القديمة التي وجدت في آثار اوربا ان السوريين كانوا في اكثر مدن اوربا التجارية في ناربون وبوردو وليون وجينه وبسانسون واورلين وتور وباريس وستراسبرج وترف ورنزابرن وباڤاريا وفي سوث شيلدس من انكلترا . ولم يكتفوا بالتجارة بل اشتغلوا بزراعة الجنائن ونقلوا الى اوربا كثيراً من الاثمار والبقول وعلموا اهليها كيفيَّة زرعها واتجروا فيها بالمنسوجات الحريريَّة وادخلوا الى اوربا اسلوب النقش السوري وقد استخدمهم شارلمان لتنقيح ترجمة الاناجيل

وهم الذين بنوا المباني الكبيرة لملوك الحيرة وبني غسان وبني ساسان ايضاً كما يستدل من وجود اوراق العنب في نقوش تلك المباني وقد وجدت آثار عربيَّة قديمة من القرن السادس وعليها كتابات عربية وسريانية وهي تدلُّ على ان السوريين بنوها للعرب او كانوا مشتركين معهم فيها

لكن مجد الملك والاستقلال زال عنهم منذ خربت مملكتهم ولم يعد اليهم الاَّ في زمن العرب حين صارت دمشق كرسي الخلافة العربيَّة في عهد بني اميَّة ثم اعيد الملك اليها مراراً ولكنهُ كان كموج البحر وقت جزرهِ يتقدم قليلاً ثم يرتد اكثر مما تقدم . وعسى ان يكون زمان الجزر قد انقضى وحان زمان المد فتعود البلاد السوريَّة مع سائر البلاد العثمانية الى اوج مجدها الذي فارقها دهوراً طوالاً .

الطيران والمراكب الطيارة

تأتينا الانباء البرقية هذه الايام عن طيران ريت وفرمن وزبلن بآلاتهما الطيَّارة · وترد الاخبار عن الجوائز السنية التي وُعد بها مَن يقطع المسافة الفلانية ببلونهِ او طيارتهِ· وقد عاد الناس الى احلامهم التي كانوا يحلمون بها في طفوليتهم وهي مجاراة الطيور والتخلص من مشقة السير برًّا وبحرًا · ولكن هل تحقق تلك الاحلام اي هل يصير الطيران عملاً تجاريًا فتصنع مركبات طيارة يطير بها الناس عامتهم وخاصتهم من مصر الى الاسكندرية مثلاً بدلاً من السير بسكة الحديد فتغني آلة الطيران عن القطرات البخارية كما اغنت هذه عن الجمال والخيل والبغال ويصير نقل البضائع بين مصر والاسكندرية بالمركبات الطيارة اقل نفقة من نقلها بسكة الحديد· ونقلها من الاسكندرية الى مرسيليا اقل نفقة من نقلها بالسفن البخارية او تبقى المركبة الطيَّارة العوبة يلعب بها الناس يركبها اثنان او ثلاثة للنزهة او آلة حربيَّة يصعدون بها للاستطلاع كما يركبون الغواصات ويسيرون تحت الماء· هذه المسائل قد اجبنا عنها غير مرة وقلنا ان ركوب الهواء من باب تجاري ضرب من المحال ما لم تكتشف قوة تمنع ثقل المادة

وقد اطلعنا الآن على مقالة في هذا الموضوع للاستاذ سيمون نيوكم رئيس الجمعية الفلكيَّة باميركا نشرتها مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية فرأينا ان نلخص منها ما يأتي قال

ان ما تمَّ حديثًا من استنباط طيارة طار بها الانسان اول مرةٍ ومن الاصلاح المستمر في البلون حتى صار يدار في الهواء كما يريد راكبهُ قد جعلا الاكثرين يظنون انهُ سيكون للطيران شأن كبير في التجارة · وظنون الناس في ما تفضي اليهِ المخترعات الجديدة مبنية على ما علموهُ مما افضت اليهِ المخترعات القديمة فان ازدياد النجاح في الآلات الهوائية كازدياد النجاح في الآلات البخارية ولذلك يظن لاول وهلة ان الآلات الهوائية ستصل الى ما وصلت اليهِ الآلات البخارية او الآلات الكهربائيَّة· بل ان النجاح في ركوب الهواء ايسر تصوُّرًا من نجاح الآلات البخارية والآلات الكهربائية لاننا لم نكن نعلم ما ستفضي اليهِ واما الآلات الهوائية فالغرض الذي ترمي اليهِ معلوم محدود وهو ركوب الهواء والسير بالمركبات الهوائية بدلاً السير بالمركبات البخارية والسفن البخاريَّة · ولما وضعت الآلة البخاريَّة في اول مركب بخاري كانت في تراكيبها واوصافها مما يستحيل ان تسير بهِ

السفن الكبيرة في عرض البحار ولم تبلغ ما بلغتهُ الآن الأ بعد ان تناولتها ايدي المخترعين والمستنبطين فغيروا وبدلوا وزادوا وانقصوا واصلحوا كثيراً حتى بلغت ما بلغتهُ

وليست المسألة الآن مسألة امكان الطيران او امكان ركوب الهواء فانهُ قد ثبت من زمان منغلفيه انهُ يمكن عمل بلون يطير في الهواء ويحمل في مركبتهِ رجلاً او اكثر وثبت منذ عشرين سنة انهُ يمكن التحكم بالبلون حتى يذهب يميناً او شمالاً حسبما يشاء راكبهُ. وثبت الآن انهُ يمكن ان تُصنع طيارة كبيرة ذات سطحين مستويين تحمل الانسان وتطير بهِ. ولكن المسألة المهمة هي هل في الامكان السير في الهواء من باب تجاري اي هل يمكن ان نبدل مركبات سكة الحديد والسفن التجارية بمركبات طيارة كما ابدلنا مركبات الخيل والبغال بمركبات سكة الحديد وكما ابدلنا السفن الشراعية بسفن بخارية

ولا بدَّ قبل الايغال في هذا الموضوع من ذكر الفرق بين تقدُّم المعارف وتقدم المخترعات فالمعارف لاحد لها واوضح دليل على ذلك اكتشاف الراديوم فان هذا العنصر يُصدر من الحرارة ما لا ينطبق على قاعدة من القواعد العلميَّة الطبيعيَّة فاذا كشفت العلوم سبيلاً لابطال الثقل اي لملاشاة الجاذبيَّة فذلك السبيل يغير مسألة الطيران كل التغيير ويسهّل ما نراهُ الآن متعذّراً وكذلك اذا امكن استخلاص الراديوم بالقناطير بدلاً من استخلاصهِ بالقمحات او اذا اكتُشف معدن او مزيج معدني اشد متانة من الفولاذ عشرة اضعاف فمسألة الطيران تتغير عمَّا هي عليهِ الآن

ولكن رجال الاختراع غير ملتفتين الآن الى هذه الجهة اي انهم لا يحاولون اكتشاف طريقة لابطال الثقل ولا اكتشاف منجم للراديوم يستخلصُ منهُ بالقناطير ولا عمل مزيج معدني امتن من الفولاذ مراراً كثيرة وقد تركوا ما هو محجوب في علم الغيب وهم يحاولون الآن استخدام الامور المعروفة للوصول الى ركوب الهواء من باب تجاري

ولركوب الهواء الآن طريقتان مختلفتان الاولى طريقة الآلات التي تطير في الهواء بواسطة حركتها كما يطير الطائر بتصفيق جناحيهِ. والآلة التي جاءت وافية بالغرض حتى الآن هي ذات السطوح المستوية. وقد استعمل البعض آلة ذات اجنحة تطير بحركة اجنحتها ولكن ذات السطحين جاءت اصلح منها حتى الآن وسواءٌ كان الفوز اخيراً لهذه او لتلك فهي آلة تطير بحركة اجزائها لا غير لانها اثقل من الهواء جدًّا فلا تطير من نفسها

والثانية طريقة الآلات التي فيها غاز اخف من الهواء يملأُ بهِ كيس كروي او اسطواني فيبقى اخف من الهواء ويطير بخفتهِ وتضاف اليهِ آلة تديرهُ فيتجه بها هو وما يتصل بهِ ويسير

من مكان الى آخر. وقد اطلقنا على الاولى اسم الطيارة وهو مثل الاسم الذي استعمله الكاتب (flyer) وعلى الثانية اسم البلون وسماهُ الكاتب مركب الهواء (airship)

ومجال الطيارة محدود اكثر من مجال البلون لانهُ لا بدَّ لها من سطح متسع حتى يحملها الهواء ولا بدَّ من ان يتسع سطحها على نسبة ثقلها فاذا حمل المتر المربع ثقلاً معلوماً لزم لعشرة امثال ذلك الثقل عشرة امتار مربعة ولالف ثقل مثلهُ الف متر مربع ويجب ان تكون السطوح افقية . والطيَّارات التي صنعت حتى الآن تحمل رجلاً واحداً او اثنين فاذا اريد ان تحمل مئة رجل وجب ان يتسع سطحها مئة ضعف او خمسين ضعفاً . ويظهر باقل نظر ان ذلك ليس مما يمكن العمل بهِ لانهُ اذا اتسعت السطوح كذلك لم يعد في الامكان عمل عصي خفيفة تحملها وتكون متينة واذا كانت العصي متينة كافية لحملها وجب ان يزيد ثقلها فلا تعود الطيارة تحملها وتحمل الرجال الذين يركبونها

ثم انهُ اذا اختلَّ شيءٌ في آلة الطيارة فلا يمكن ايقافها في الهواء لاصلاحهِ لانها اذا وقفت عن الحركة وقعت كما يقع الطائر اذا كسر جناحهُ ولم يصنع الناس حتى الآن آلة لا يمكن ان يقع خلل فيها فاقل خلل يصيبها يعرّض كل راكبي الطيارة للقتل . ولو كانت السفن تعرَّض للغرق كلما وقع خلل في آلتها البخارية لما رأينا سفن البخار تقطع البحار

ولا بدَّ للطيارة من ان تطار قريبة من الارض لكي يبقى راكبها قادراً على رؤية سطح الارض وتحكيم وضع سطوحها بالنسبة اليهِ لان كل انحراف في وضع السطوح بسبب سرعة الطيارة او بطئها ومقاومة الهواء لها يعرّضها للوقوع كما تقع اذا كنتَ واقفاً في قطار سائر ووقف بغتةً

وهاتان العلتان لا تتناولان البلون لان طيرانهُ مناسب لجرم الغاز الذي فيهِ لا لسطحهِ فيمكن تكبيرهُ في الطول والعرض والعمق لا في الطول والعرض فقط كسطحي الطيارة ويمكن توقيفهُ في الهواء لاصلاح ما يعتري آلتهُ من الخلل . وقد يظن لاول وهلة انهُ اذا كبر جرم البلون كثيراً وجب ان تزاد القوَّة اللازمة لتسييرهِ على نسبة جرمهِ . وليس الامر كذلك لان القوة اللازمة لتسيير السفن الكبيرة لا تزيد على نسبة جرمها وثقلها بل على نسبة مربع طولها واما سعة السفينة لحمل البضائع فتزيد على نسبة مكعَّب طولها اذا كانت الابعاد متناسبة اي اذا وجدت سفينتان من شكل واحد تماماً وطول احداهما مئة متر وطول الاخرى مئتا متر ولزم لتسيير السفينة الاولى الف حصان فيلزم لتسيير الثانية اربعة آلاف حصان ولكن اذا كانت الاولى تحمل الف طن فالثانية تحمل ثمانية آلاف طن لا اربعة آلاف طن .

وعلى هذا المبدإ تزيد قوة البلون بزيادة حجمهِ ويزيد الاقتصاد في القوة اللازمة لادارتهِ. فلا شيء من النواميس الطبيعيَّة يمنع تكبيرهُ الى اي حد اريد . والمسأَلة المهمة هي الى اي حد يمكن تكبيرهُ وتبقى ادارتهُ ميسورة

واول شيء يعترض تكبير جرم البلون مقاومة الهواء لهُ وهو مسرع فيهِ فان اكثر القوة التي تستعمل لتسيير القطرات البخارية ينفق على مقاومة الهواء لها فيجب ان ينفق اضعاف اضعاف تلك القوة على مقاومة الهواء لبلون يحمل ما يحملهُ القطار البخاري ويسير بسرعتهِ اي اذا صنعنا بلونًا يحمل من الناس والبضائع ما يحملهُ قطار بخاري ويسير بسرعة مثل سرعتهِ وجب ان نضع في ذلك البلون آلات بخارية قوتها تزيد على قوة آلات القطار البخاري مرارًا كثيرة وتحرق فيها من الفحم او من الوقود ايًا كان نوعهُ اضعاف اضعاف ما يحرق في القطار البخاري . فاذا بلغت اجرة نقل القنطار في القطار البخاري خمسة غروش فلا يبعد ان تبلغ اجرة نقلهِ في البلون مئة غرش او مئتي غرش والمسافة واحدة والسرعة واحدة . فلا يحتمل ان يستعمل البلون من باب تجاري الاَّ اذا كشف العلم نواميس غير معروفة من نواميس المادَّة لا دليل الآن على وجودها

ولكن لاستعمال البلون مزايا على سكة الحديد لا يصحُّ اغفالها فاولاً لا يلزم لهُ مد الخطوط الحديدية وهي كثيرة النفقة جدًّا وثانيًا توجد بقاع من الارض لا يمكن مد سكة الحديد اليها كالاصقاع القطبيَّة فهذه يمكن البلوغ اليها بالبلون ولكن الاماكن التي من هذا القبيل قليلة جدًّا وليس لها شأن كبير وما بقي من الاماكن التي لم تصل اليها سكك الحديد حتى الآن ستصل اليها عاجلاً او آجلاً ومهما كانت نفقاتها كثيرة فهي ليست شيئًا في جنب النفقات اللازمة لنقل الركاب والبضائع بالبلونات هذا اذا سهل عمل بلون يحمل الركاب والبضائع وكان الخطر من ركوبهِ والنقل بهِ قليلاً جدًّا كالخطر من ركوب سكك الحديد والسفن البخارية ولكن اين تلك السهولة واي امان لمن يسير على متن الريح بالنسبة الى مَن يسير على بساط الارض

وقد اهتمت الدول الاوربيَّة بالبلون لاستعمالهِ في الحرب ولا شبهة في فائدتهِ للاستطلاع ولكن هل من فائدة لهُ في الهجوم على العدو اي في نقل الجنود والقاء القنابل على الحصون والمدن ولا سيما اذا كانت البلاد جزيرة مثل انكلترا يسهل الوصول اليها بالبلون ويصعب بغيرهِ وقت الحرب

ان جرم البلون كبير جدًّا فلا يخطئهُ رصاص العدو ورصاصة واحدة تخرقهُ وتتلفهُ

مهما كانت صغيرة واذا كانت مما يتفرقع اشملت ما فيهِ من الغاز فيحترق ويهلك من فيهِ . ورجل واحد معهُ بندقية كثيرة الطلقات يستطيع ان يتلف عدداً كبيراً من البلونات قبلما يعلم الذين فيها اين هو . وكم بلون يلزم لنقل جيش كبير يخشى شرهُ . ولا بدَّ لهذه البلونات ان تبيّت العدو ليلاً او في الصباح حين يغشاها الضباب والاَّ رآها العدو واتلفها حالاً . وكيف يتيسر لها النزول من الهواء في حالك الظلام او حينما يكون الضباب مغطياً الارض لان الذين في البلون لا يعلمون اين هم الاَّ من مشاهدة الارض تحتهم . نعم قد يعينون موقعهم من مراقبة الشمس والنجوم ولكن ذلك صعب ولا يمكن التدقيق فيهِ كما يمكن في السفن البحرية

هذا من حيث استعمال البلون لنقل الجنود اما من حيث استعمالهُ للهجوم اي لاطلاق المدافع وطرح الديناميت فلا تطلق منهُ الاَّ مدافع صغيرة جداً لا يعتدُّ بها في حروب هذه الايام واذا القى الدينامت في اماكن مزدحمة بالسكان مثل مدينة لندن اضرَّ بها ولكن ذلك ممنوع بقوانين الحرب الحاضرة . وغاية ما يستطيعهُ من الضرر غير الممنوع انهُ يطرح الديناميت على الحصون والسفن الحربيَّة ولكن الديناميت الذي يطرح طرحاً لا يؤَثر مثل الديناميت الذي يطلق اطلاقاً كالتربيد ونحوهِ . ويسهل تسديد المدافع عمودية الى البلون حتى تصل قنابلها الى علو ميلين وقنبلة واحدة تخرق البلون وتتلفهُ . وقنبلة الديناميت التي يطرحها البلون عن علو ميلين يجب ان تكون صغيرة خفيفة لان الهواء هناك خفيف جدًّا يبلغ ثقلهُ النوعي ربع ثقلهِ على سطح الارض فلا يستطيع البلون ان يحمل قنابل ثقيلة . ولذلك فاحتمال ضرر الحصون بقنابل الديناميت التي تطرح من البلونات قليل جدًّا

وطرح قنابل الديناميت على السفن الحربيَّة اقل ضرراً لان البلون يكون سائراً ولا يسهل على مَن فيهِ معرفة مقدار سيرهِ بالتحقيق ولا معرفة مقدار سير السفينة بالتحقيق حتى اذا القيت قنبلة من البلون تصل الى السفينة فاذا كان في بلون مئة قنبلة وزن كل منها طن والقاها على سفينة حربيَّة من علو ميلين فالمرجح انهُ لا يصيبها منها الاَّ قنبلتان او ثلاث وهذه القنابل لا تضر السفينة باكثر من ثغرة تثغرها في ظهرها اما جوانبها فتبقى سليمة . ثم ان البلون الذي يحمل مئة قنبلة من هذه القنابل يجب ان تكون سعتهُ اللازمة لحمل القنابل وحدها خمس مئة الف متر مكعب وذلك يعادل اسطوانة قطرها اكثر من ٢٥ متراً وطولها الف متر

ولذلك كلهِ لا يحق لانكلترا ان توجس اقل خيفة من ان يهاجمها عدو بالبلونات . وما الحرب بالآلات الطيارة الاَّ من قبيل التخيلات الشعرية

طيارة ريت وسهولة الطيران

جاء في الفصل السابق ان الطيران بعيد او مستحيل من باب تجاري ولكن اعمال الناس لا يقصد بها الكسب دائمًا فالذي يركب اوتوموبيلهُ ويخرج بهِ للنزهة ينفق عليهِ في يومهِ خمسين غرشًا او مئة غرش وهو لو ركب الترامواي الكهربائي لسار تلك المسافة عينها بغرشين او ثلاثة . والذي يركب يخته ويسير في عرض البحار من مرفإٍ الى آخر ينفق عليهِ في سنتهِ الوفًا من الجنيهات وهو لو ركب سفينة تجارية من سفن التجار لاكتفى بعشر تلك النفقة

ويظهر لنا ان الطيارة التي صنعها ولبور ريت واخوهُ ستستعمل يومًا ما كما يستعمل الاوتوموبيل حتى اذا خرجتَ الى النزهة رأيت عشرات منها وكل طيارة لا تزيد في طولها وعرضها على الاوتوموبيل الكبير وراكبها يطير بها فوق الارض ويسير بسرعة الطيور . نعم لا تصير هذه الطيارة بحيث تنقل بها البضائع كالمركبات التي تجرها الدواب او كالمركبات البخارية ولا تناظر الترامواي الكهربائي ولكنها تقوم مقام البيسكل وقد تقوم مقام الاوتوموبيل وتمتاز عليهِ في كونها تحمل راكبها فوق الاشجار والجدان وتسير بهِ في اماكن لا طرق فيها . وايضاحًا لذلك نشرح طيارة ريت وما عُمل بها حتى الآن

تؤَلف هذه الطيارة من سطحين منبسطين متوازيين ينصب احدهما فوق الآخر طول كلٍّ منهما ١٢ مترًا وعرضهُ متران والبعد بينهما ست اقدام اي اقل من مترين قليلاً والعوارض المبسوط عليها هذان السطحان من الخشب الخفيف المتين وكذلك العوارض او العصي الفاصلة بين السطحين . والسطحان من نسيج رقيق متين كالشاش المعروف بالموصلينا . فالطيارة مثل بيت طويل ضيق لهُ سطح من قماش وارض من قماش وجوانبهُ الاربعة مفتوحة للهواء وينتأُ منهُ عوارض دقيقة تتصالب معهُ متصلة بدفة مقدمة ودفة مؤخرة وكل دفة منها سطحان صغيران من القماش احداهما افقية والاخرى عمودية . وهما كالجناحين للطيارة ويوضع داخل هذا البيت آلة غازولين تدير الدفتين . وثقل البيت وحدهُ مع الآلة ٨٠٠ ليبرة وثقلهُ مع ثقل الرجلين الذي يركبانهِ والوقود والماء ١١٥٠ ليبرة ومساحة السطحين والدفة الافقية ٥٧٥ قدمًا مربعة فكل قدم مربعة منها تحمل ليبرتين من ثقل الطيارة والرجلين ويقال ان القدم المربعة في بعض الطيارات الفرنسوية تحمل ثلاث ليبرات ونصف ليبرة فطيّارة ريت غير مثقلة بحملها ولذلك تسير بسرعة فائقة فقد جاء في الانباء البرقية الاخيرة ان سرعتها بلغت اربعين ميلاً في الساعة . والسرعة تتوقف على ادارة السطحين لا على سرعة

الآلة المحركة. والآلة المحركة تسيّر الطيارة برفاص لولبي من الخشب قطرهُ ست اقدام وآلة الغازولين هذه قوتها ٢٥ حصاناً

واكبر اعتراض يعترض بهِ على هذه الطيارة انها اذا اصابت دفتها آفة ما او اذا اصاب مديرها امر منعهُ من ادارتها سقطت على الارض بمن فيها وليس الامر كذلك في طيارة فرمن لان هذه لا تقع على الارض لاقل علة

وطيارة ريت تجري اولاً على عجلتين على خطين من الحديد الى ان تصير سرعتها كافية للصعود في الهواء والغالب ان تصير سرعتها كافية بعد ما تسير مئة قدم او اقل

وقد كتب المستر ريت واخوهُ في مجلة السنتفك الاميركية يقولان ان الطيارة توضع مواجهة للريح على خطين كخطوط سكة الحديد وتدار الآلة التي فيها وتجلس انت في مكانك الى جانب مدير الطيارة وتكون الطيارة مربوطة بحبل فتفكهُ ويكون معها رجل واقف على الارض فيدفعها ويجري معها وقبلما يسير خمسين قدماً تكون سرعتها قد صارت اشد من سرعتهِ حتى اذا قاربت آخر الخطين حرّك مديرها الدفة المقدمة فترتفع الطيارة عن الخطين وتسبح في الهواء حتى اذا صارت على ارتفاع مئة قدم من الارض لم تعد تشعر بحركتها واذا لم تمكّن برنيطتك على رأسك اطارتها الريح عنهُ . ثم يحرك المدير الجناح الايمن فتدور الطيارة الى اليسار ولكنك لا تشعر بشيء كما يشعر من دارت بهِ المركبة بغتةً . وترى الاشباح تحتك على الارض تمرُّ مرَّ السحاب حتى اذا عادت الطيارة الى فوق المكان الذي طارت منهُ اوقف مديرها الآلة المحركة وجعلت الطيارة تهبط على سطح مائل الى ان تصل الى الارض

وظاهر مما تقدم ان مساحة سطحي هذه الطيارة كبيرة جدًّا فان طول كلٍّ منهما ١٢ مترًا وانهُ لا بدَّ لها من عجلة تجري عليها اولاً على خطين من خطوط سكة الحديد ولا يتيسر وجود ذلك في كل مكان وانهُ لا بدَّ لها من رجل يدفعها بيدهِ وهي على الارض وهذه الشروط كلها مما يمنع استعمالها استعمال الاوتوموبيل ولكن اثبت احد المشتغلين بعمل هذه الطيارات انهُ يمكن عمل طيارة ثقلها ١٥٠ ليبرة فقط فتحمل رجلين وتطير بهما على ما جاء في العدد الاخير من السينتفك اميركان . فاذا ثبت ذلك فتكون مساحة هذه الطيارة نحو ثمن مساحة طيارة ريت ورجلان يحملانها من مكان الى آخر ولا مانع يمنع اتصال العجلتين بها او جعلها اربعاً متصلة بالطيارة فتجري عليها اولاً كما يجري الطائر الكبير على رجليهِ قبلما يطير. واذا كانت على هذه الدرجة من الخفة فلا داعي لخطين حديدين تجري عليهما اولاً

فاذا ثبت الامر الذي ذكرتهُ السينتفك اميركان فلا نرى في النواميس الطبيعيَّة ما

يمنع تحقيق بقية الامور وحينئذٍ يصير الناس يذهبون بطياراتهم كما يذهبون بسياراتهم او درَّاجاتهم ويطيرون بها من مكان الى آخر كالطيور ولو لم تستعمل لنقل الناس والبضائع كالسفن وسكك الحديد

حركات النبات

ملخصة من خطبة الرئاسة للاستاذ فرنسيس دارون رئيس مجمع تقدُّم العلوم البريطاني الذي التأَم في ٣ سبتمبر الماضي

لا بدَّ لي قبل الدخول في موضوع خطبتي من ان اشير الى الخسارة التي خسرها المجمع البريطاني بموت لورد كلفن فقد انضمَّ الى هذا المجمع سنة ١٨٤٧ وبقي يتردد عليهِ اكثر من خمسين سنة . ولسنا الآن نتكلم على عملهِ في العالم ولا على مقامهِ في عيون اصدقائهِ بل على تأْثيرهِ في الذين لم يكن يعرفهم شخصيًّا فيظهر لي انهُ كانت تنتشر منهُ قوة سحريَّة تسحر الذين لا يعرفونهُ كما تسحر معارفهُ ولذلك فقدوهُ هم كما فقدهُ اصدقاؤُهُ . ولقد اعضاء هذا المجمع ايضًا صديقهم السرجون افانس الذي رأَسهم في اجتماع تورنتو سنة ١٨٩٧ ولقد كان يواظب على اجتماعات المجمع من حين انضمَّ اليهِ سنة ١٨٦١ فقد فقدنا شخصهُ المحبوب ومشوراتهِ الحكيمة

واسمحوا لي ان اشير الى شخص آخر وهو السرجوزف هوكر الذي كان رئيسًا لقسم النبات في هذا المجمع منذ اربعين سنة وتكلَّم حينئذٍ مدافعًا عن مذهب النشوء "بفصاحة ومهارة" كما قال والدي . ويسرُّ كل اعضاء هذا المجمع ان السرجوزف هوكر لم يزل مواظبًا على الاشتغال بالمواضيع التي ارتقت في يدهِ والتي اعترف لهُ الجميع انهُ ابن بجدتها وحامي حقيقتها

ولقد تنتظرون مني ان اتلو عليكم خلاصة ما تمَّ في مذهب النشوء منذ خمسين سنة اي منذ اول يوليو سنة ١٨٥٨ حينما أُعلن مذهب اصل الانواع بواسطة الانتخاب الطبيعي بلسان المستر دارون والمستر والس . وجمع هذه الخلاصة من الاعمال الكبيرة التي لا استطيعها وغاية ما تنتظرونهُ من رئيسكم ان يكلمكم على المواضيع التي اشتغل بها بنفسهِ ولقد كان اشتغالي بحركات النبات فعن هذا الموضوع اتكلَّم وبهِ ابتدئُ . ومرادي ان ابيّن لكم بنوع عام كيف ان التغيرات التي تحدث حول النبات تؤَثر فيهِ وتجعلهُ يتحرك بعض الحركات ثم

ابين ان ما يصدق على التغيرات الوقتية التي تحدث في النبات ونسميها حركات يصدق ايضاً على التغيرات الدائمة التي نقول انها بنائية اي في بنية النبات

وعندي انهُ اذا كان درس حركات النبات يتناول المنبهات وفعلها بهِ فالتغيرات الحادثة في بنيتهِ تجري هذا المجرى ويجب ان يبحث في الموضوعين على اسلوب واحد ولهذا شأن كبير لانهُ يدلُّ على ان ما نراهُ في حركات النبات مما يشير الى مبدإِ العادة او الذاكرة لهُ محلٌّ في بناء النبات وعليهِ يتمشَّى تكوُّن الحي من البيضة . ولقد حاول كثيرون ربط الذاكرة بالوراثة وسأُحاول انا ايضاً ذلك على اسلوب آخر وهو وراثة الصفات المكتسبة ولو حسبهُ بعضكم من الامور التي انتقضت

الحركات

كتب ابي سنة ١٨٨٠ في كتابهِ عن حركات النبات " انهُ يستحيل ان لا نندهش من المشابهة بين حركات النبات المذكورة آنفاً وكثير من الحركات التي تحركها الحيوانات الدنيا على غير ادراك منها " . وقد وجَّه ساخ الانظار في العام السابق الى المشابهة الجوهرية بين تأَثُّر النباتات وتأَثُّر الحيوانات . والآن لا نقول ان النبات يتكلَّم كما يقال في قصص الاولاد ولكننا نقول ان النباتات والحيوانات متشابهة في انفعالها بالمؤَثرات وان ذلك صار من الامور المتعارفة

ومما يستغرب في امر المؤَثرات ونتائجها ان مقدار الاثر لا ينطبق دائماً على مقدار المؤَثر ولكن لا وجه للاستغراب لاننا نعرف المؤَثر والاثر الذي ينتجهُ ولا نعرف الامور المتوسطة بينهما في تركيب الجسم الحي كما ان قذف القنبلة من المدفع لا يساوي فعل الكبسول الذي يحرق الذخير بل يزيد عليهِ كثيرًا لانهُ ناتج عن القوى المذخورة في حبوب البارود . وما يقال عن فعل المؤَثرات بالنبات يقال عن فعلها بالحيوان

التغيرات البنائية

اي التغيرات التي تحدث في بنية النبات والحيوان تبعاً للمؤَثرات . رأى كابس ان نوعاً من الفطر ينمو على اجسام الذباب الميت ويبقى نامياً ست سنوات متوالية من غير ان تظهر فيهِ اعضاء التوليد ثم اخذ قطعة منهُ وزرعها في مكان آخر فظهرت فيها اعضاء التوليد حالاً

وزُرع نوع من الطحلب الاخضر في سائل فيهِ قليل من مادة مغذية فجعل ينمو بانقسام الحويصلات . وزُرع في ماء نقي في نور ساطع فنما على اسلوب آخر بتزاوج دقائقهِ . ومن ذلك ان نوعاً آخر من النباتات الدنيا اذا زرع في يوم رطب انتج بزورًا بوضعهِ في الماء إما

في النور او في الظلام ولكنهُ اذا زرع في مذوب معلوم لم ينتج بزورًا الاَّ اذا وضع في الظلام· ومن النبات ما يتغير لون زهرهِ من الازرق الى الابيض ومن الابيض الى الازرق حسب تغير احوال زراعتهِ· وتتغير الازهار على صور مختلفة بتغير الاحوال المباشرة للنبات

وظاهر من ذلك ان الاثر يبقى ثابتًا في النبات ويجري النبات عليهِ ولو زال المؤَثر كأنهُ يتذكرهُ وينفعل بهِ وهذا اول اصل طبيعي للذاكرة· وما يصدق على النبات من هذا القبيل يصدق على الحيوان بنوع عام فان احوال الحيوانات العليا حتى الانسان نفسهِ تتوقف كثيرًا على تاريخها فحالة الواحد منها تتوقف على حالتهِ الفسيولوجيَّة الحاضرة التي اوصلتهُ اليها المؤَثرات التي اثرت فيهِ والانفعالات التي انفعل بها والفرق بين الحيوانات العليا والدنيا من هذا القبيل انما هو في الكم لا في الكيف

العادة والحركة

من النبات ما تذبل اوراقهُ ليلاً كالسنط ثم تنتعش نهارًا فيقال انهُ ينام ليلاً ويستيقظ نهارًا وان ذلك حادث من فعل النور بهِ كما يفعل بالواح التصوير وبالراديومتر· ولكن اذا وضعنا هذا النبات نفسهُ في غرفة مظلمة فان اوراقهُ تذبل فيها ليلاً وتنتعش نهارًا ولو لم ترَ نور الشمس فتفعل ذلك بحكم العادة اي ان تعاقب النهار والليل على ذلك النبات اوجد فيهِ عادة يعود اليها كل يوم· وحيث ان المؤَثر الخارجي قد زال والنبات في الغرفة المظلمة فالذي اثر فيهِ هو مؤَثر داخلي ولذلك يمكن تعريف العادة بانها نتيجة توالي المؤثرات وتوالي آثارها حتى ترتبط تلك الآثار ارتباطًا يجعلها تتوالى من نفسها ولو زالت المؤَثرات

وهذا يشبه المثل الذي فرضهُ هربرت سبنسر وهو انهُ اذا وجد حيوان مائي بسيط يقبض اهدابهُ اذا لمسها سمكة او قطعة من نبات البحر فاذا صارت الاسماك والاعشاب تلمسهُ في النور صار اللمس والنور يؤَثران فيهِ تأثيرين متصلين في وقت واحد ثم يصير يتأَثر من النور وحدهُ لانهُ يعلقهُ بالمؤَثر الآخر ويصير ينقبض بالنور ولو لم تلمس

وقد بيَّن جنس اصل الذاكرة في الحيوانات الدنيا كالنقاعيات فاذا صببت ماء فيهِ لعلَّ على حيوان من هذه الحيوانات الدنيا اثَّر فيهِ اولاً اثرًا غير ظاهر واذا واظبت على صب ذلك الماء زاد الاثر فالتوى الحيوان الى جانب من جانبيهِ واذا كررت صبَّ الماء دار الحيوان وغيَّر جهة سيرهِ ثم اذا طال صب الماء ايضًا عاد الحيوان الى انبوبهِ الذي خرج منهُ· واذا تكرَّر صب هذا الماء عليهِ صار ينفعل الفعل الاخير اي يرجع الى انبوبهِ حالما يصيبهُ الماء من غير ان يتدرَّج على الحالات الاربع المار ذكرها· اي ان الشيء اذا تكرَّر اسرع

فعلهُ واسرع الوصول الى النتيجة الاخيرة وهذا نفس ما يحدث في الذاكرة وائتلاف الافكار واحراز المعارف في الناس انفسهم

وقد اوضح كيبل فعل العادة بالحيوانات الدنيا من مراقبتهِ طبائع حيوانات صغيرة تشبه الدود توجد على شواطىء برتني حيث المدّ والجزر فاذا كان الجزر خرجت هذه الحيوانات واجتمعت في بقع خضراء فاذا عاد المد وغطاها عادت الى مخابئها . ثم نقلت هذه الحيوانات الى حوض الحيوانات المائية فبقيت مدة تختفي في زمن المد مع انها بعيدة عن فعلهِ كانها تفعل ذلك بمادة تمكنت منها

وعادات الانسان من هذا القبيل فاذا اعتاد ان يسير في طريق كل يوم ويدور منها كلما وصل الى نقطة معلومة فانهُ يصير يدور كلما وصل الى تلك النقطة على غير انتباه ولا يفسّر ذلك قولنا ان المحرك الذي يحركهُ للسير كل يوم يكون من مقتضاهُ ان يصل الى تلك النقطة ويعود منها كمن يأخذ تذكرةَ ذهاب واياب بسكة الحديد وانما يفسر رجوعهُ بانهُ نتيجة اتصال الافعال العصبيَّة بعضها ببعض من قبيل ائتلاف الافكار . وعلى هذا النمط يستيقظ الانسان في ساعة معلومة صباحًا اذا اعتاد ذلك وعليهِ ايضًا تجري افعال النبات التي تنتاب في اوقات معلومة كذبول الاوراق ليلاً اي انها استمرار فعل مؤثر زال وبقي اثرهُ

وقد يعترض على ذلك بان ائتلاف الافكار يقتضي وجود الاعصاب والنبات لااعصاب لهُ . ولكن لا ينكر ان في النبات خاصتين على الاقل من خواص الحيوان الاولى شدَّة التأثر ببعض المؤثرات والثانية نقل هذا التأثر من جزء الى آخر من اجزاء النبات . نعم ليس في النبات مجموع عصبي مركزي وليس فيهِ الاَّ نظام مركَّب من النويَّات ولكن لهذه النويات بعض خواص الخلايا العصبيَّة وبعضها خيوط تفعل فعل الاعصاب وقد قال سبنسر " انهُ كلما تأثر العصب بمؤثر ما صار اقبل للتأثر بذلك المؤثر " افلا يصدق ذلك على النباتات كما يصدق على النقاعيات . وقد ابنّا انهُ يبقى في النبات اثر المؤثرات الخارجية كما يبقى في الحيوان فلا مانع يمنع ائتلاف هذه المؤثرات في النبات كما تأتلف في الحيوان

ورب معترض يقول ان ائتلاف المؤثرات يقتضي وجود شيء من الوجدان اي شعور الحيوان بانهُ موجود . ويستحيل علينا ان نعرف هل يشعر النبات انهُ موجود او لا يشعر ولكن ناموس الاتصال بين الاحياء يقتضي ان يوجد فيها كلها شيء من القوة العقليَّة واذا صحَّ ذلك وجب علينا ان نعتقد ان في النبات شيئًا من الوجدان الذي فينا

ومذهبي انهُ اذا اعتبرنا التأثر بالمؤثرات الخارجيَّة فالنبات والانسان من قبيل واحد لا فرق بينهما ولكن اذا نظرنا الى تصرف النبات والانسان بهذه المؤثرات وجدنا الفرق بينهما كبيرًا جدًّا . وارى نفسي مضطرًّا الى القول بان التذكر في كل الاحياء يتوقف على التغيرات التي تحدث في البروتوبلازم ولذلك يجوز ان نستعمل هذه التغيرات دليلاً على الافعال التي يقال لها عادات

العادة في بناء الاجسام

نظرنا في ما يكون في الحركات من الذاكرة وقد ابنت ان التغيرات التي تحدث في بنية الاجسام هي انفعالات ناتجة عن مؤثرات مثل المؤثرات التي تحدث التغيرات الوقتية . وعندي ان اوضح امثلة العادة موجود في ابنية الاجسام الحيَّة وانفعالها بالمؤثرات الخارجيَّة فالحي يتكوَّن من جرثومة اصلية بسلسلة متتابعة من النمو والانقسام وكل حلقة من هذه السلسلة تتبع التي قبلها كما تتابع الاعمال التي نعمل بمجرَّد العادة . وما التولُّد سوى نوع من العادة اي انهُ سلسلة من الافعال يتلو بعضها بعضًا بعد زوال الفواعل التي كانت تفعلها اصلاً . وبين التولد والعادة مشابهة حقيقية لا وهمية ولذلك قلت ان للذاكرة محلاًّ في بناء الاجسام كما لها محل في الاعمال الوقتية التي تعملها الاجسام الحيَّة . ولا ينكر ان في ادوار التولُّد الصفتين اللتين تكونان في العادة وهما الثبوت حتى يصير العمل آليًّا والتغير حتى يمكن تغيره ولو قليلاً . فان العادة لا تكون ثابتة دائمًا بل قد يعتريها التغير على اوجه مختلفة فقد يُنسى بعضها وقد يضاف اليها انفعالات جديدة . وكذلك التولُّد فان الدرجات الاولى منهُ تجري على نسق واحد كأَنَّ امورها كلها ثابتة والدرجات الاخيرة كثيرة التغيُّر كأَن كثيرًا من امورها متغير . وقد ابان والدي انهُ " اذا حسبنا ان الانواع تنوعات ثابتة الخواص حقَّ لنا ان ننتظر تغيرًا في اعضائها التي تغيرت منذ عهد قريب ولذلك فالصفات التي تميز النوع اكثر تغيرًا من الصفات التي تميز الجنس " . وهذا يصدق على العادة فاذا اعتاد رجل من صغرهِ ان يكرّر جملة معلومة ثم زاد عليها في كهولتهِ بعض الكلمات فانهُ يجد تغيير الزيادة اسهل من تغيير الاصل

ومن المقرر ان الحيَّ الذي يتولد من بيضة يمر في نموهِ على الاطوار التي مرَّت عليها اسلافهُ في سلسلة نشوئها . وهذا يماثل ما يحدث في الذاكرة فكم من مرة نحاول ان نتذكر بيتًا من قصيدة فلا يخطر على بالنا ما لم نتلُ القصيدة من اولها الى ان نصل الى ذلك البيت كأَنَّ كل بيت منها ينبه الذهن الى البيت الذي بعدهُ

وقد ذهب هرنج الى ان الذاكرة والوراثة من قبيل واحد وقال "ان بين ما انا عليهِ اليوم وما كنت عليهِ امس الليلَ والنومَ وفقد الشعور ولا موصل بينهما الاّ الذاكرة" وكذلك يوجد فاصل بين كل حي وما يتولد منهُ ولا يصل بينهما الاّ الذاكرة الموجودة في خلايا الجراثيم التي يتولد الحي منها . وكل حي متصلٌ بالاصل الذي يتولد منهُ بالذاكرة . وخلايا الجراثيم التي يتكونَ الجنين منها متصلة بالجسم كلهِ حتى تضاف اليها آثار جديدة كلما فعلت الفواعل بالجسم الذي هي منهُ . وهذا يضطرنا الى التسليم بمذهب الوراثة الجسدية او وراثة الصفات المكتسبة . ولهذا الموضوع اي لوراثة الصفات المكتسبة شأن كبير في وراثة نتائج التعليم والتهذيب او التغرير والتضليل او التحسين والتشويه او الاستعمال والاهمال . وقد تكون وراثة الصفات المكتسبة اصلاً اساسيًّا في النشوء والارتقاء

[ثم شرح الخطيب مذهب سمن وما يُعترض بهِ عليهِ وما فيهِ مّما يؤيد المذهب الذي ذهب هو اليهِ اي ان آثار المؤثرات تحفظ في الخلايا والجراثيم التي يتكون الجسم منها وتظهر بعد ذلك بفعل مثل فعل الذاكرة . الى ان قال] فالكلب الذي يهارش الكلاب ويعضها قد يعض شفتيهِ احيانًا فيصير يبعد شفتيهِ كلما هجم على غيرهِ وتتمكن منهُ هذه العادة حتى تصير صفة موروثة ويصير يكشر عن انيابهِ كلما اغتاظ . ولعلَّ عادة الكشر عن الاسنان وقت الغيظ موروثة في الناس من اسلافهم الذين كانوا يعضون غيرهم ويبعدون شفاههم لئلاَّ تصيبها اسنانهم . وما الاحياء سوى سلسلة كبيرة متصلة الحلق وكل حلقة منها تعلمت بالاختبار شيئًا كان يجهلهُ اسلافها ورسخ بعض ما تعلمتهُ فيها وظهر في نسلها بنوع من التذكُّر . ومذهب التذكُّر هذا يقوي مذهب النشوء بالانتخاب الطبيعي ويوضحهُ فانهُ اذا كان مؤدَّى النشوء تدريب الاحياء وتعويدها فهلاك الاحياء التي لا تتعلم ولا تتدرب هو جزء جوهري من النشوء ومنهُ اكبر فائدة في نشوئها . ولا يكتفي الانتخاب الطبيعي بذلك بل يرقي الاحياء اي يعلّم كل نوع جديد منها ما تعلمهُ سلفهُ ويزيد عليهِ كما يفعل من يربي الحيوانات ويدربها على الاعمال المدهشة التي تعملها في المشاهد العمومية . فيفعل النشوءُ ما يفعلهُ المدرب وسبيلهُ الصبر والمواظبة وطول الزمان

اسباب الاحتلال البريطاني

(٧)

لما تمرّد الجيش المصري في ٩ سبتمبر خاف المداينون الفرنسويون علي ديونهم فاقترحت الحكومة الفرنسوية علي الحكومة الانكليزية ان تشتركا في المراقبة عليهِ وترسلا جنرالين من قوّادهما ليتوليا امرهُ وتدريبهُ. فقالت الحكومة الانكليزية للحكومة الفرنسوية هب ان الجيش المصري لم يطع اوامر هذين الجنرالين فماذا نفعل . فاجابت الحكومة الفرنسوية انهُ يجب حينئذٍ على انكلترا وفرنسا ان تؤيداهما وترسلا بوارجهما الى الاسكندرية . وأُرسل هذا الاقتراح الى مصر فازدراهُ شريف باشا والسر اكلند كولفن ورجعت فرنسا عنهُ الى ان تغيرت الوزارة الفرنسويَّة في اواسط ديسمبر سنة ١٨٨١ وجاء غمبتا وهو في عنفوان قوتهِ فقال للورد ليونس سفير انكلترا انهُ لا بدَّ من تأييد الخديوي وجعلهِ يثق بمساعدة فرنسا وانكلترا لهُ واقناع خصومهِ نصراء اسمعيل باشا وحليم باشا ان فرنسا وانكلترا لا تتخليان عنهُ ولا تسلمان بتوسط الباب العالي. وقال انهُ قد حان الوقت للاشتراك في العمل اذا دعت الحاجة الى ذلك

ولما بلغ كلام غمبتا اذن لورد غرانفل وزير انكلترا اجاب بما يستفاد منهُ تأييد الحكومة الفرنسويَّة في وجوب الاهتمام بالمسألة المصرية واظهار اتفاقهما ولكن لا بدَّ من النظر والتدقيق قبل اختيار السبيل الذي تجريان فيهِ اذا عاد الاضطراب الى مصر

وفي ٢٤ ديسمبر قال المسيو غمبتا ان مجلس الاعيان المصري قارب الاجتماع وانهُ لا بدَّ وان يغير في مركز مصر السياسي فيكون من الحكمة ان فرنسا وانكلترا تخبران معتمديهما ليبلغا الخديوي انهما تؤيدانهِ لكي يتقوّى على تعزيز سلطتهِ فيكون ذلك بمثابة الخطوة الاولى من اتفاقهما في المسألة المصرية حتى اذا عرض مايدعو الى عمل آخر عملتاهُ معاً متفقتين

وكتبت انكلترا الى معتمدها في مصر تستشيرهُ في ذلك فاجاب انهُ لا بأس بهِ وطلب منها ان تنتظر مذكرة كتبها السر اكلند كولفن شرح فيها حالة مصر بالتفصيل واوجب بقاء المراقبة المالية وكل ما يتعلَّق بها واخراجها من اختصاص مجلس الاعيان او مجلس النواب . واوجب ايضاً بقاء الموظفين الاوربيين في المناصب التي هم فيها لاتمام اصلاح الحكومة

ووصلت هذه المذكرة الى لندن في ٢ يناير وفي ذلك اليوم عينهِ وصلت اليها اللائحة

التي كتبها غمبتا لترسل الى مصر باسم انكلترا وفرنسا . وارسلت انكلترا هذه اللائحة الى معتمدها في مصر بالتلغراف في ٦ يناير وارسلت فرنسا لائحة مثلها الى معتمدها فابلغها المعتمدان الى الخديوي فاعرب لهما عن شكرهِ لدولتيهما . ولكن نواب الامَّة المصرية اغتاظوا من هذه اللائحة وحسبوا ان غرضها تأييد الخديوي عليهم ونزع سلطة الباب العالي . وكانت نتيجتها اتحاد النواب والجيش على مقاومة انكلترا وفرنسا والرجوع الى تركيا لانقاذهم من اعتداء اوربا

وكان مراد الحكومة الانكليزية انهُ اذا دعت الضرورة الى المداخلة الفعلية في شؤُون مصر فلا بدَّ من الالتجاء الى الدولة العلية واما فرنسا فكانت تحسب ذلك ضربًا من المحال ولا ترضى بتوسط تركيا في حال من الاحوال . والظاهر ان الحكومة الانكليزية رضيت باللائحة المشتركة وما فيها من التهديد والوعيد منعًا للمداخلة الفعلية فجاءت اللائحة موجبة لهذه المداخلة وللحال شعر وزيرها لورد غرانفل بخطإهِ واراد ان يتلافى الامر بتفسير يرسلهُ الى مصر وطلب من سفير انكلترا في باريس ان يذاكر الحكومة الفرنسوية في امر هذا التفسير فاجاب غمبتا انهُ ينظر في الامر ولكنهُ لا يرى فائدة من ارسال اي تفسير كان

واراد مجلس الاعيان حينئذٍ ان ينظر في قسم من ميزانية الحكومة المصرية فاعترض المراقبان وشريف باشا على ذلك وعُرِض الامر على الحكومة الانكليزية فاجاب لورد غرانفل ان لا مانع عند الحكومة الانكليزية من ان ينظر مجلس الاعيان في الميزانية . قال ذلك وهو يرغب في التخلُّص من الارتباط مع فرنسا . اما فرنسا فاجابت بانها لا تسلّم لمجلس الاعيان ان ينظر في الميزانية لئلاَّ يأُول ذلك الى ابطال ما فعلهُ قومسيون التصفية وابطال المراقبة المالية . فاضطرت الحكومة الانكليزية ان تجاري الحكومة الفرنسوية وشريف باشا في منع مجلس الاعيان من النظر في الميزانية ولكنها وضعت مشروعًا يخوّل النواب المصريين المراقبة على الايرادات وعرضتهُ على الحكومة الفرنسوية . فقال غمبتا انهُ يوافق عليهِ مبدئيًا ولكن "الموافقة مبدئيًا" في عرف السياسة لا تفيد شيئًا . ثم نقّح المشروع تنقيحًا ازال فائدتهُ . ولما اخبر شريف باشا مجلس الاعيان بما قرَّ عليهِ قرار فرنسا وانكلترا ذهب وفد منهم الى الخديوي وطلبوا منهُ تغيير الوزارة حالاً وقدموا اليهِ نسخة من قانون اساسي ليوقعها وقالوا ان النظر في ميزانيتنا ليس من المواضيع التي يحق للدول الاجنبيَّة ان تباحثنا فيهِ . فاضطرَّ ان يجيبهم الى طلبهم وعيَّن محمود باشا سامي رئيسًا للنظار حسب طلبهم وكان ناظرًا للحربيَّة وذلك في ٣ فبراير سنة ١٨٨٢ وجعل عرابي ناظرًا للحربيَّة

ورأَى شريف باشا حينئذٍ ان لا بدَّ من رفع الامر الى الباب العالي ومجيء الجنود

العثمانية الى مصر لحفظ النظام فيها وكان هذا رأي الخديوي ايضاً اما غمبتا فكان مخالفاً لهما في الرأي وحاسباً ان الخطب يتفاقم بمجيء الجنود العثمانية الى القطر المصري فكتب لورد غرانفل الى لورد ليونس سفير انكلترا في باريس يقول ان مقتضى سياسة انكلترا حفظ سلطة الباب العالي على مصر واذا حدث فيها امر يدعو الى المداخلة الفعلية فالحكومة الانكليزية تعترض اشد الاعتراض على احتلال البلاد لان هذا الاحتلال يلقى المقاومة من مصر ومن تركيا ويحرك غيرة الدول الاوربيَّة ويثير الظنون في نفوسها ويؤدي الى مشاكل كثيرة وفرنسا لا ترضى ان تحتل انكلترا مصر ولا انكلترا ترضى ان تحتل فرنسا مصر ولا يناسب ان تحتلها الدولتان معاً واما احتلال الجنود العثمانية فانكلترا لا تودهُ ولكن الاعتراض عليهِ اقل من الاعتراضات على احتلال فرنسا وانكلترا كلتيهما او احتلال واحدة منهما واسلم عاقبة

وفي اليوم التالي استعفى غمبتا وخلفهُ المسيو ده فرسينه

واستخلص لورد كرومر مما لخصناهُ من كتابهِ ومما لم نلخصهُ لضيق المقام ان الحكومة الانكليزيَّة كانت تودُّ ان لا تتداخل في شؤُون مصر بالقوة الحربية وانهُ اذا كان لا بدَّ من القوة الحربيَّة وجب ان تكون من الدولة صاحبة السلطة على مصر وهي تركيا لا من فرنسا ولا من انكلترا . ولو ترك لورد غرانفل حتى يتصرف في هذه المسأَلة حسب رغبتهِ لما وقع الاحتلال على الراجح ولما وقع الاحتلال الانكليزي على الارجح . ولكنهُ انقاد لرأْي غمبتا فدخل مأزقاً افضى الى الحرب والاحتلال . وقد انفردت انكلترا بذلك لان وزارة فرسينه ابت ان تشاركها بعد ان اشار غمبتا بهذه المشاركة

وحاولت انكلترا حينئذٍ ان تغير بعض البنود في قانون مجلس النواب المصري فقال لها المسيو ده فرسينه" انهُ من السخافة ان نفكر في شكل البساط الذي نفرشهُ في البيت والبيت مشتعل". وزاد السر اكلند كولفن على ذلك وقال" ان البيت آخذ في التهدم على رؤُوسنا ونحن نفكر في بناء طبقة اخرى فوقهُ . فالبحث في القانون الاساسي عبث قبل استتباب سلطة الحكومة وقمع الثورة العسكرية"

ولم يكن عرابي يجد غير التنشيط من الاستانة ومن بعض الانكليز المؤيدين للحزب الوطني واشهرهم المستر بلنت فانهُ كان في مصر بين سنة ١٨٨١ و١٨٨٢ فالقى سهمهُ مع العرابيين ولم يخطر ببالهِ ان مساعدة الامَّة في ما تطلبهُ لا يكون بمساعدة جيشها على التمرُّد وكان يحض الامَّة على الالتصاق بالجيش والاَّ اخذت اوربا بلادهم فقد ذكر الاستاذ شوينفرث

العالم الطبيعي المشهور في كتاب كتبهُ الى جريدة التيمس في ٢١ يونيو سنة ١٨٨٢ ان اهالي جورجيا اروه تلغرافاً مرسلاً اليهم من المستر بلنت يخاطب فيهِ اعضاء مجلس النواب المصري قائلاً

Si vous allez vous désunir de l'armée, l'Europe vous annexera

اي اذا كنتم عازمين ان تنفصلوا عن الجيش فاوربا تضمكم اليها . ويعتقد لورد كرومر ان المستر بلنت كان حسن النيَّة ولو كانت نتيجة نصحهِ مناقضة لما قصد . اما نحن فلا نعتقد الاخلاص في هؤُلاء المحرّضين ولا نحسب الأ انهم مأجورون من المداينين لحمل انكلترا على ضم البلاد اليها حتى تصير ديونهم بمأمن من كل خطر او حتى ترتفع قيمة سنداتها

ومن ثم زالت سلطة المراقبين فاستعفى المسيو دبلنير ولما رأى محمود باشا سامي رئيس النظار انهُ لا يستطيع عزل كل الموظفين الاوربيين خذلهُ الحزب الوطني واتهمهُ عرابي بالتذبذب واخذ يرقي ضباط الجيش من غير امتحان وانتشرت الفوضى في البلاد وزالت هيبة المديرين وجعلت عصابات اللصوص تسطو على القرى وكثر ابتياع الاسلحة النارية واقفلت البنوك ابوابها دون المستدينين وجعل صغار المرابين يأخذون ستة في المئة شهريًّا وهبطت اسعار الاطيان حتى ان الفدان الذي كان يباع بستين جنيهاً بيع بثمان وعشرين جنيهاً . وجعل الجنود يقولون ان الاطيان اطيانهم لا اطيان اصحابها وبدت كل علامات الثورة في البلاد وخاف اصحاب المصالح الكبيرة من الوطنيين وحاولوا الانفصال عن الجيش

وقد اعترض الباب العالي على لائحة انكلترا وفرنسا وقالت روسيا والنمسا والمانيا وايطاليا انهنَّ يردن بقاء الحالة في مصر على ما كانت عليهِ اي على ما اتفقت عليهِ الدول الاوربيَّة وما هو وارد في فرمانات الدولة العلية ذات السيادة على القطر المصري . فاستاء الباب العالي من قولهنَّ " ذات السيادة " وقال ان لهُ سلطة فعلية على البلاد وان سلطان العثمانيين هو سلطان المصريين . فعرضت انكلترا مسألة مصر على الدول الاوربيَّة وطلبت منهنَّ ان ينظرن فيها وبينما كانت المخابرات السياسية العقيمة دائرة بين الدول الاوربية حدث في مصر حادث تفاقم بهِ الخطب وهو ان تسعة عشر من الضباط الشراكسة اتُّهموا بالمؤامرة على قتل عرابي فقبض عليهم وعلى غيرهم وفي جملتهم عثمان باشا رفقي الذي كان قبلاً ناظرًا للحربيَّة وحوكموا في مجلس عسكري سري وحكم على اربعين منهم بالنفي الى اقاصي السودان وكان عثمان باشا رفقي واحدًا منهم

باب التقريظ والانتقاد

جعرافية الشريف الادريسي

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

وقعت لي نسخة من كتاب نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمداين والافاق . ولم يذكر فيها اسم مؤلفها ولا مكان طبعها فكتبت الى مدير المشرق اسأله عن ذلك بالكتاب الآتي وهو

"حضرة العالم الفاضل الاب لويس شيخو المحترم .

غب الاحترام. اعرض مما حصل مؤخرًا في نو بقي كتاب في علم الجغرافيا موسوم "بنزهة المشتاق . في ذكر الامصار . والاقطار . والبلدان . والجزر . والمداين . والآفاق" . وهو في نسخة مطبوعة غير وارد فيها اسم مصنفها ولا المدينة التي طبعت فيها لكنني ارجح من هيئة حروفها وكلمة GEOGRAFIA المطبوعة على ظهر جلد الكتاب بحروف مذهبة ان ذلك كان بمدينة رومية من ايطاليا وان عهد طباعتها يتناول نحو ثلاثة قرون . وهي مؤلفة من ٣٢٦ صفحة وفي كل خمسة وعشرون سطرًا بمعدل نحو ثماني كلمات لكل سطرٍ منها . وقد استفتح مصنفها الكلام فيها بما نصهُ

"بسم الله الرحمن الرحيم وبهِ الاعانة — الحمد لله رب العالمين

اما بعد اني وقفت على الكتاب المسمَّى بنزهة المشتاق في احتراق (بالحاء المهملة غلط طبع والصحيح اختراق) الآفاق . وتأملت معانيهُ ومقاصدهُ . واستحسنت مصادرهُ ومواردهُ . الاَّ انهُ اكثر القول واعاد . ونقّص من ذكر بعض الاقاليم وزاد . على حسب ما احب واراد . فاخذت من كلامهِ ما وافق المراد . وما بهِ الحاجة ماسّة الى معرفة المراسي والبلاد . ومن الله عزّ وجل اسأل العون لا اله الاَّ هو وهو حسبي ونعم الوكيل"

وقد تحريت بما لديَّ من الوسائل عن واضع هذا الكتاب النفيس فلم اتوصل الى نتيجة على انني اعلم ان الكتاب الذي يشير اليهِ هذا المؤلف المجهول الاسم العيسوي المذهب هو

"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للشريف ابي عبد الله محمد ابن محمد الادريسي الصقلي المولود بمدينة سبتة من قواعد بلاد المغرب سنة ٤٩٣ هجرية والمتوفى سنة ٥٦٠ . وهو كما لا يخفى احد ائمة العرب الذين اشتهروا بعلم النجوم والجغرافيا وغيرهما . وروى صاحب كشف الظنون وغيره من المحققين انهُ صنف كتابهُ هذا لروجار الفرنجي الثاني صاحب صقلية وهو من اصدقاء الشريف والجزء في منتصف المائة السادسة للهجرة . وورد ايضاً في كشف الظنون بخصوص الكتاب المذكور ما نصهُ . "والمعروف انهُ اختصرهُ بعضهم" على انهُ اغفل اسم مختصرهِ

وفي هذا الصدد اقول اني رأيت في بعض المطولات ما يستفاد منهُ ان كتاب الشريف الادريسي طبع على اصلهِ العربي برومية سنة ١٥٩٢ ميلادية عن نسخة خطية وجدت وقتئذٍ باحدى مكاتب فلورنسا وان الاستاذ جبرائيل الصهيوني مدرس اللغتين السريانية والعربية والترجمان يوحنا الحصروني وكلاهما من موارنة جبل لبنان اجابا دعوة من دعاهما وترجما الى اللاتينيةً مختصر كتاب الشريف الادريسي وطبعت هذه الترجمة في باريس سنة ١٦١٩ . وان هاتين النسختين العربية الاصلية والترجمة اللاتينية تعتبران مختصراً عن نسخة عربية كبيرة تلفت في حريقة مكتبة الاسكريال باسبانيا سنة ١٦٧١ . فان قام برهان صحيح على هذا المختصر العربي المنسوب للادريسي وذلك بوجود نسخة منهُ او اكثر في احدى المكاتب العمومية او الخصوصية اقول "قطعت جهيزة قول كل خطيب" . لكنني اخشى تطرق الخطاء في هذه المسألة وان يكون ما ترجمهُ العالمان المذكوران هو كتاب آخر يصح القول عنهُ استناداً على اشارة كشف الظنون المذكورة آنفاً اعني (والمعروف انهُ اختصرهُ بعضهم) انهُ هو النسخة التي وقعت في نوبتي كما بسطت في صدر تحريري هذا . ويجرئني على اعتبارهِ كذلك ما شاهدتهُ مؤخراً وهو عنوان مطبوع على جلد نسخة اخرى من الكتاب نفسهِ (حوتها مكتبة احدى المدارس في بيروت) ينص ان مؤلفها الادريسي والحقيقة انها كما قلت سابقاً لمؤلف عيسوي نبغ في اواسط القرن السادس من التاريخ الهجري . فلا يبعد ان مشابهة مبحث الكتابين وترتيب فصولها قد اورثا هذا الالتباس والسهو

ومع ما في ذلك كلهِ فنظراً لما اعهد في حضرتكم من الفضل جئت باسطري هذه راجياً ان تتكرموا بالافادة على صفحات مجلة مشرقكم الغراء عما تعلمونهُ عن مصنف الكتاب المذكور ولا زلتم مرجعاً لكل مستفيد

الداعي

مراد بارودي صيدلي

بيروت في ٢٩ آذار سنة ١٩٠٨

فاجاب حضرتهُ في العدد الرابع لشهر نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٨ صفحة ٣٢٠ من مجلة الشرق بما نصهُ

" س سألنا جناب الصيدلي مراد افندي بارودي ما نعرف عن جغرافية الشريف الادريسي وطبعاتها

جغرافية الادريسي

ج جغرافية الشريف الادريسي من اجلّ وانفس ما وضعهُ العرب في تخطيط البلدن. وكتابهُ معنون بنزهة المشتاق في اختراق الافاق يعرف منهُ اربع نسخ كاملة اثنتان منها قديمتان مزّينتان بخوارط عديدة ملّونة زاهية الواحدة في مكتبة باريس العموميَّة. والاخرى في خزانة كتب اكسفورد وفي المكتبتين ايضًا نسختان اخريان كاملتان دون الخوارط . وهذه الجغرافية قد نقلها اميداي جوبار الى الافرنسية عن نسختي باريس. اما النص العربي فلم يطبع منهُ الاَّ بعض الاقسام كوصف الشام ووصف المغرب ووصف ايطالية . ومن الجغرافية المذكورة مختصر منهُ عدة نسخ اشهرها نسخة باريس ولا يعرف اسم صاحبها. وهذا المختصر قد طبع اولاً في رومية في مطبعة اسرة مادسيس سنة ١٥٩٢ . وطبع على صورتين الاولى في العربيَّة فقط دون ذكر محل الطبع والسنة وعنوانها " نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمدائن والافاق " والثانية في العربية مع عنوان لاتيني والتصريح باسم المطبعة وسنة الطبع وهذا المختصر نقلهُ الى اللاتينيَّة العالمان المارونيان جبرائيل الصهيوني وحنا الحصروني وطبعاهُ في باريس سنة سنة ١٦١٦ "

ولما وقفت على هذا الجواب ورأيت ان حضرتهُ اغفل سؤالي واجابني ببعض ما ذكرتهُ في خطابي كأني غير عالم بهِ كتبت اليهِ في ذلك اقول

غب الاحترام . اعرض اني تناولت منذ بضعة ايام العدد الرابع من مجلة المشرق الغراء للسنة الحالية وطالعت فيهِ جواب حضرتكم على رسالة قدمتها لكم في الشهر الماضي استعلامًا عن كتاب عربي في علم الجغرافيا عنوانهُ (نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمداين والافاق) قد اسعدني الحظ مؤخرًا بان اشتريت منهُ نسخة ضممتها الى خزانة كتبي المطبوعة والمخطوطة . ومن مراجعة النظر على الرسالة المذكورة يتبين لحضرتكم ماهيتها وانها ليست سؤالاً بسيطًا تجرّد عن نصب البحث والاستقصاء

لجأت الى فضلكم في هذه القضية واملت ادراك المطلوب. على انهُ لسوء الحظ قد فاتني ذلك اذ وجدت جواب حضرتكم لا ينطبق على الغاية التي توخيتها. ويتبين الامر من اعادة

النظر على نص سوالي المتعلق بالمختصر الجغرافي الذي عندي وجوابكم عليهِ وقد اوردتموهُ معنونًا "جغرافية الادريسي". نعم لم انسَ انني في رسالتي الاولى اتيت عرضًا على ذكر العلامة الفلكي الجغرافي المشهور بالشريف الادريسي والكتاب الذي صنفهُ للملك روجار الثاني في علم الجغرافية . وفضلاً عن ذلك لا اجهل ما كان للمومإ اليهِ من المنزلة العلمية السامية عند علماء المشرق والمغرب ولا سيما بكتابهِ هذا الموسوم "بنزهة المشتاق في اختراق الآفاق". وقد طالعت في مظانهِ كل ما قيل عنهُ حتى وانهُ كان المعول عليهِ عند الفريقين دهورًا عديدة ولدي ايضًا بعض الملاحظات على استقصاءات الفريق الثاني لكن لا محل لاستيفاء الكلام عليها في هذا المقام

وقد ذكرتم حضرتكم في جوابكم عرضًا ان لكتاب الشريف الادريسي مختصرًا مقتصرين بالتنويه بهِ ان اسم صاحبهِ غير معروف وانهُ يوجد منهُ عدة نسخ اشهرها نسخة باريس على انكم لم تتفضلوا مراعاة للمقام ببيان شيءٍ من امر هذا المختصر تحرمونني الفائدة المطلوب التوصل اليها بواسطتكم رغمًا عن انني متخذ المختصر الذي عندي موضوعًا للسوءال والبحث عن اسم واضعهِ ليس الاَّ . وقد قلت في رسالتي الاولى مصرّحًا انهُ لرجل عيسوي نبغ في اواسط المائة السادسة للهجرة . فاعود الآن وارجوكم نظرًا لتوفر الوسائط المعتبرة لديكم ان تفيدوني عن علاقة المختصر بنسخة باريس التي اشرتم اليها — بالمختصر نسختي — والمختصر الذي يستفاد وجودهُ من رواية كشف الظنون الوارد فيها باثناء وصفهِ لكتاب الشريف الادريسي "والمعروف انهُ اختصرهُ بعضهم" وقد ذكرت الداعي الى ذلك في رسالتي السابقة

ايضًا ورد في جواب حضرتكم ان طبعة سنة ١٥٩٢ برومية هي عن نسخة المختصر الباريسية . وقد رأيت في دائرة المعارف البريطانية ان طبعة تلك السنة نقلت عن نسخة عربيَّة مخطوطة مصنفها الشريف الادريسي عُثِرَ عليها باحدى مكاتب فلورنسا كما ذكرت قبلاً . فالقارئ يرى في هاتين الروايتين تناقضين احدهما مصدر النسخة المذكورة والاخر التباس كونها المختصر المجهول اسم صاحبهِ او الكتاب الاصلي للشريف الادريسي . فايتهما اصح يا ترى . على انني اقول لا بد من التوصل الى الحقيقة بزيادة التحري والتمحيص

وبعودي الآن الى هذا الموضوع ارجو ان لا احمل حضرتكم ثقلة كبيرة على انني واثق انكم تجدون لي عذرًا مقبولاً نظرًا لاهمية الموضوع عند القوم الساعين وراء هذه المباحث التي لا تخلو من فوائد ذات شأن . ورغبة في زيادة التمحيص والاستقصاء ارجوكم ان تتكرموا بنشر عريضتي هذه بنصها في العدد القادم من مشرقكم الاغر نعساها ان تصيب من

فضلكم وفضلٌ بعض القراء المضطلعين نصيباً طيباً ولا زلتم من اكابر الفضل والادب

حاشية — لربما ترون حضرتكم من المناسب ان تنشروا رسالتي الاولى الوارد فيها مقدمة المختصر الذي عندي ليعرف الكتاب قراء المشرق الذين يودون البحث في هذا الموضوع · او اذا شئتم ان تقتصروا على اثبات المقدمة فقط في المحل الموافق فالامر موكول لعناية حضرتكم"

ثم كتبت اليهِ ثانيةً وثالثةً فاجاب في العدد الثاني من المشرق وهو لشهر آب (اغسطس) الماضي بما نصهُ

"س عاد جناب الفاضل مراد افندي البارودي وطلب منا زيادة ايضاح في مختصر جغرافية الادريسي المعروفة "بنزهة المشتاق ومخترق الآفاق" وما يوجد بين المختصر المطبوع في رومية من العلاقة مع المختصر الذي ذكرهُ صاحب كشف الظنون اذ قال "والمعروف انهُ اختصرهُ بعضهم"

مختصر نزهة المشتاق للادريسي

ج نجيب على هذا السؤال انالمستشرقين الذين وصفوا كتاب الادريسي ومخطوطاته الكاملة او المختصرة لم يزيدوا بياناً على ما اثبتناهُ سابقاً في جوابنا الاول لجناب المستفيد (ص ٣٢٠) واذ لم نطلع نحن عياناً على هذه المخطوطات فلا يمكننا ان نجيبهُ جواباً شافياً يروي غليلهُ · وغاية ما امكننا استخلاصهُ من اوصاف العلماء التي فيها تباين والتباس عظيم ان الشريف الادريسي ألَّف كتابهُ نزهة المشتاق لروجار صاحب صقلية ومن هذا الكتاب اربع نسخ نسختان في باريس ونسختان في اكسفورد واجود هذه النسخ واكملها نسخة باريس الموسومة بالعدد ٢٢٢١ وهي كاملة وفيها ١٩ خارطة ومثلها في الجودة نسخة اكسفورد التي عددها ٣٨٣٧ — ٣٨٤٢ الاَّ انها ناقصة · ومع نفاسة هذا الكتاب الجليل لم يطبع منهُ حتى الآن الاَّ بعض الاقسام كوصف الشام ووصف ايطالية ووصف المغرب · الاَّ انهُ نقل بتمامهِ الى الفرنسوية بهمة العلامة جوبرت (Gaubert) · ويظهر ايضاً ان الشريف الادريسي صنَّف للملك غليلم الاول كتاباً جغرافيًّا اوسع دعاهُ روض الانس ونزهة النفس وهو اليوم مفقود قال العلامة دوزي (ان ابا الفدا استعان بهِ في كتابهِ تقويم البلدان ودعاهُ كتاب الممالك) · اما المختصر المدعو (نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزائر والآفاق) فيعرف منهُ ست نسخ والمستشرقون لا يعيرونها كبير بال ولذلك يمدونها دون وصفها او المقابلة بينها · وعلى رأي العلامة جوبرت ان النسخة المطبوعة في رومية سنة

١٥٩٢ هي المختصر الموجود في خزانة كتب باريس وانها هي التي نقلها سنة ١٦١٩ العالمان المارونيان جبرائيل الصهيوني وحنا الحصروني الى اللاتينيَّة وسمياها بالجغرافية النوبية (GEOGRAPHIA NUBIENSIS) هذا محصَّل بحثنا في هذا الشأن وان اسعدنا الحظ في سفرنا قريبًا الى اوربا ان نراجع هذه المخطوطات فعلنا ان شاء الله فيمكننا ان نزيد المستفيد ايضاحاً „ . انتهى

اني اشكر حضرة الاب الفاضل على رجوعهِ الى هذا الموضوع رغبة في ارواء غليل المستفيد الذي لدى اطلاعهِ على الجواب المار ذكرهُ رأى كما لا بد ان يرى غيرهُ من المطلعين عليهِ انهُ جاء ايضاً غير وافٍ بالمقصود وفيهِ من التكرار لما ورد في جواب حضرتهِ الاول ومن الخروج عن الغاية المطلوبة ما لا يخفى على صاحب البصيرة . هذا فضلاً عن انهُ لم يتعرض فيهِ قط لايراد ادنى فائدة او اشارة الى مصنف ذلك المختصر „ العيسوي المذهب „ الذي هو اساس السؤال والبحث . ولو اقتصر حضرتهُ على ذلك فقط لما عرَّض نفسهُ للمؤاخذة في ما تذرَّع بهِ من الاغضاء عن اصحاب الفضل وبخسهم اشياءهم اذ قال „ والمستشرقون لا يعيرون نسخ المختصر المذكور كبير بال ولذلك يعدونها دون وصفها والمقابلة بينها „ . فبين حكمهِ هذا وما يعتقد بهِ المصنف العيسوي الموما اليهِ كما يستفاد من قولهِ في المقدمة (وهو السبب الذي دعاهُ الى وضع الكتاب) „ اما بعد انني وقفت على الكتاب المسمى بنزهة المشتاق في اختراق الافاق (كتاب الشريف الادريسي) وتأملت معانيهُ ومقاصدهُ واستحسنت مصادرهُ ومواردهُ . الَّا انهُ اكثر القول واعاد ونقَّص من ذكر بعض الاقاليم وزاد على حسب ما احبَّ واراد الخ „ تناقض ظاهر يستلفت النظر . اما ما عزاهُ حضرتهُ الى المستشرقين بدون تخصيص من انهم لم يعيروا نسخ المختصر المذكور كبير بال فانهُ قول عام ولا يخلو من الغرابة وكان الاصوب لحضرتهِ ان يصرح باسم من ذهب منهم هذا المذهب

وقد قصدت الآن حدائق مجلتكم المقتطف الشهيرة مؤملاً دانيات القطوف من اثمارها في هذه المسألة التي ابسطها على صفحاتها لكل راغب في هذه الابحاث واسلفكم الشكر الجزيل

مراد بارودي

[المقتطف] ان ما ذكرتموهُ عن الشريف الادريسي وكتابهِ نزهة المشتاق هو المعروف المذكور في الانسكلوبيذيا البريطانية وكشف الظنون وغيرهما . اما النسخة التي وقعت لكم من المختصر فقد راينا في المكتبة الخديوية نسخة مثلها مطبوعة وعلى ظهر الصفحة الاولى منها ما يأتي

في جغرافيا الكلية

De Geographia
Universali

كتاب نزهة المشتاق . في
ذكر الامصار . والاقطار .
والبلدان . والجزر
والمداين
والافاق

Hortulus
Cultissimus, mire Orbis regiones, Provincias, Iusulas
Urbes, carunιq. dimensiones & Ori—
zonta describens
Romae
In Typographia Medicea ;
M.D.XCII

ومقدمتها مثل مقدمة النسخة التي عندكم تماماً وكلمة اختراق بالحاء المهملة . وهي كثيرة التصحيف والخطإ المطبعي وفيها ٣٢٦ صفحة في كل صفحة ٢٥ سطرًا وارقام الصفحات غير مطبوعة عليها بل مكتوبة كتابةً بقلم الرصاص . وحيث ان اسم الكتاب ومكان طبعهِ على ظهر الصفحة الاولى التي فيها المقدمة فهذه الطبعة غير الطبعة التي عندكم ولو ماثلتها في ما ذكرتموهُ من المقدمة او تخالفها في الصفحة الاولى على الاقل . وطول الصفحة ½ ٢٣ سنتمتر وعرضها ١٦ سنتمترًا وطول الكتابة فيها الى آخر البرواز ١٨ سنتمترًا وعرضها ١٠ سنتمترات ولها حلية في منتصف البرواز من الجهات الاربع ولم يذكر فيها اسم المختصر

وفي المكتبة الخديويَّة المجلد الاول من كتاب الشريف الادريسي نفسهِ الذي الَّفهُ سنة ٥٤٨ وهو خط نسخ سنة ٧٤٨ اولهُ مذهب الحواشي والفواصل وفيهِ رسوم ملونة يراد بها خرائط البلدان و يبتدئُ هكذا

" كتاب فيهِ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

" الحمد لله ذي العظمة والسلطان والطول والامتنان والفضل والانعام . والآلاء الجسام الذي قدَّر فحكم ورزق فانعم وقضى فابرم ودبر فاتقن و بدأ فاحسن ما صور " . . . الى ان قال " وان افضل ما عني بهِ الناظر واستعمل فيهِ الافكار والخواطر محاسن الملك العظيم رجار المعتز بالله المقتدر بقدرتهِ ملك صقلية وانطاكية وانكوره وقلورية امام رومية

الناصر للملة النصرانية اذ هو خير من ملك الروم بسطاً وقبضاً " وعلى ظهر هذه الصفحة اسم الكتاب تحيط بهِ رسوم مذهبة

وطول الصفحة منهُ نحو ٣١ سنتيمترًا وعرضها ½ ٢٣ وطول الكتابة فيها ½ ٢٢ وعرضها ½ ١٦ سنتمتر وفيها ١٣ سطرًا وفي بعض الصفحات اسطر قليلة او كلمات قليلة . وقد قابلنا بين النسخة المطبوعة والنسخة المخطوطة فرأينا المطبوع مختصرًا من المخطوط بحذف امور اكثرها مما لا يدخل في علم الجغرافيا ولو لم يخلُ من فائدة . وايضاحاً لذلك نذكر فقرة من كل منهما وقد اختصرنا ما نقلناهُ عن كتاب الادريسي حيث ترى النقط

من كتاب الادريسي	من المختصر
" والسرين حصن حصين حسن موضعهُ كثيرة مياههُ ولواليهِ وجابيهِ شيء معلوم ورسم ملزوم على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن بالبحار والمتاع والدقيق وجباياتهُ المحصلة يصل نصفها الى صاحب تهامة ونصفها الثاني الى صاحب مكة الهاشمي وكذلك من السرين الى مرسى السفينة ثلث مراحل وهي قرية عامرة وبها مستراح للمراكب ومنها الى جدة على الساحل ثلث مراحل وهي فرضة لاهل مكة وبينهما اربعون ميلاً . وجدة مدينة عامرة تجاراتها كثيرة واهلها مياسير ذوو اموال واسعة واحوال حسنة ومواع (؟) ظاهرة ولها موسم قبل وقت الحج مشهود في البركة تنفق فيهِ البضائع المجلوبة والامتعة المستجبة والذخائر النفيسة وليس بعد مكة مدينة من مدن الحجاز اكثر من اهلها مالاً ولا احسن منهم حالاً وبها والٍ من ناحية الهاشمي صاحب مكة يقبض صدقاتها ولوازمها ومكوسها ويحرس عمالتها ولها مراكب كثيرة تتصرف الى حالات كبيرة وبها مصايد للسمك الكبير والبقول بها ممكنة .... ومدينة مكة قديمة ازلية البناء مشهورة البناء معمورة مقصودة من جميع الارض الاسلامية واليها حجهم المعروف وهي مدينة	" والسرين حصن حصين وكذلك من السرين الى حرس السفينة ثلثة مراحل وهي قرية عامرة وبها مستراح للمراكب ومنها الى جدة على الساحل ثلث مراحل وهي فرضة لاهل مكة وبينهما اربعون ميلاً ومن مكة الى المدينة التي تسمَّى يثرب على طريق الجادة نحو عشر مراحل (وذكر هنا الطرق بين مكة والمدينة بالاسهاب وذكر ما لا ذكر لهُ في كتاب الادريسي هنا ثم قال) وحولها (اي حول المدينة) نخل وتمرها حسن ومنهُ يتقوتون في معايشهم وليس لهم زرع ولاضرع وشرب اهلها من نهر صغير يأتي اليها من جهة المشرق جلبهُ عمر بن الخطاب "

بين شعاب الجبال وطولها من المعلاة الى المسفلة نحو ميلين وهو من جهة الجنوب الى جهة الشمال ومن اسفل جبل اجناد الى ظهر جبل قعيقعان ميل والمدينة مبنيّة في وسط هذا الفضاء .... وفي وسط مكة مسجدها الجامع المسمّى الحرم وليس لهذا الجامع سقف وانما هو دائرة كالحصيرة . والكعبة وهو البيت المسقف في وسط الحرم . وهذا البيت طوله من خارجه من ناحية المشرق اربعة وعشرون ذراعاً وكذلك طول الشقة التي يقابلها من جهة الغرب و ..... الخ "

وقال في الكلام على المدينة

"والمدينة يثرب في مستوى من الارض حارة سبخة كان عليها سور قديم ويخارجها خندق محفور وهي الآن في حين تأليفنا لهذا الكتاب عليها سور حصين منيع من التراب بناه قسيم الدولة المغربي .... واهلها فقراء قليلو المال لا صنع لهم ولا ضياع عندهم وحولها نخل كثير وتمرها حسن ومنهُ يتقوتون في معايشهم ولا لهم زرع ولا ضرع وشرب اهلها من نهر صغير يأتي اليها من جهة المشرق جلبهُ عمر بن الخطاب " ..
ولم يذكر مدفن النبي ولا اشار اليهِ

وظاهر من ذلك ان الفرق بين الاصل والمختصر كبير جدًّا . وقد قال حضرة محرر المشرق في جوابهِ الاول ان المختصر طُبع على صورتين الاولى لم يذكر فيها محل طبعهِ والسنة التي طبع فيها والثانية ذكر فيها العنوان اللاتيني واسم المطبعة وسنة الطبع . وعليهِ فالمرجح ان النسخة التي عندكم هي من الصورة الاولى والنسخة التي في المكتبة الخديوية من الصورة الثانية

ولا نعلم كيف استدللتم على ان المختصر مسيحي ولكن يظهر لنا من كلامهِ على بيت المقدس ان استدلالكم وجيه فقد نعت قبر المسيح بالمقبرة المقدسة واستعمل بعض التعابير الدينيّة المسيحيّة . ولسوء الحظ لم نستطع ان نقابل ذلك بما ذكرهُ الشريف الادريسي لان الجزء الذي في المكتبة الخديوية ينتهي في الاقليم الثاني والكلام عن بيت المقدس في

الاقليم الثالث . ويحتمل ان يكون الطابع للمختصَر قد زاد هذه النعوت

ويتضح مما تقدَّم اولاً ان النسخة التي عندكم تشبه النسخة المطبوعة التي في المكتبة الخديويَّة ولكنها تخالفها في ذكر العنوان . ثانياً انها مختصرة من جغرافية الشريف الادريسي ولكنها ليست لهُ فانتم مصيبون في استنتاجكم . وثالثًا ان المختصِر مسيحي على الراجح كما استنتجتم ولم يذكر في نسخة المكتبة الخديويَّة اسم المختصِر كما لم يذكر في نسختكم ولم نعثر على اسمهِ في ما عندنا من المظان

ثم اننا وجدنا في سكلوبيديا تشمبرس الانكليزية ان المختصَر طُبع في كسروان من اعمال لبنان بحروف كرشونية وذلك سنة ١٥٩٧ فلعلَّ اسم المختصِر ذُكر في هذه الطبعة وعساكم تعثرون على نسخة منها

والخلاصة ان ما ذكرتموهُ عن جغرافية الشريف الادريسي صحيح وان المختصَر لرجل آخر غيرهِ كما قلتم وان هذا المختصر طبع على صورتين كما قال محرر المشرق وعلى احدى الصورتين تاريخ الطبع وهو سنة ١٥٩٢ ومكان الطبع وهو رومية والصورة الاخرى غفل من ذلك ولا نعلم اسم المختصر والمرجح انهُ مسيحي واذا وقعت لكم نسخة من الطبعة المطبوعة في كسروان فمن المحتمل ان تجدوا فيها اسمهُ

باب المراسلة والمناظرة

عبرة وذكرى

استاذيَّ الفاضلين

قضى والدي نحبهُ منذ سنة واحد عشر شهرًا ولهُ من العمر اربع وخمسون سنة وكان يدخن من التبغ كل يوم اربعة دراهم فقط ويتعاطى من الافيون كل يوم بقدر القمحة في الصباح ومثلها في المساء . فسألتهُ يومًا هل يمكن ان يبطل الدخان فقال لي لا يمكنني ذلك لاني اشربهُ منذ اكثر من ثلاثين سنة وكنت اشرب منهُ في اليوم الواحد اكثر من اوقية فولَّد عندي داء البلغم حتى منعني النوم فاستشرت طبيبًا فاشار عليَّ بابطالهِ واذا لم يكن ابطالهُ بالمرة فاخفف من شربهِ فبلغ بي التدريج في التخفيف من شربهِ الى ان صرت اشرب منهُ اربعة دراهم كل يوم كما ترى . فبينما كنت اسرح الطرف في رياض المقتطف اذ وقع

نظري على نبذة في مضار التدخين فدفعتها اليهِ وقلت لهُ طالع هذه النبذة فطالعها بامعان ولما انتهى من مطالعتها قال لي ان شاء الله سأجتهد في ابطالهِ . فبعد ان كان يشرب اربعة دراهم في اليوم صار يشربها في يومين وهكذا الى ان ابطلهُ تماماً . ثم قلت لهُ كيف ترى صحتك الآن فقال لي احسن منها قبل فجزا الله المقتطف ومنشئيهِ عني خيرًا . وبعد مدة اطلعتهُ على نبذة في مضار الافيون فطالعها وقال لي اني أُصبت منذ عشرين سنة بمرض عضال اعيا الاطباء فوصف لي احد الاصحاب الافيون فقلت لهُ ان الطبيب لا يرضى بذلك فقال لي خذهُ بدون اطلاع الطبيب ولا تخبرهُ بذلك فطاوعتهُ على ما امر وقام في نفسي ان من ضمن الاسباب التي ساعدت على شفائي الافيون فصرت اتعاطاهُ على هذه الصورة الى الآن ولكنني ساشرع في ابطالهِ دفعة واحدة

واول يوم ابطل الافيون حصل لهُ اسهال بسيط فلما مرَّ اليوم الثاني وما بعدهُ ازداد الاسهال واخذت قوتهُ في الاضمحلال . على انهُ كثيرًا ماكانت تأتيهِ هذه الحالة ولكن بصفة ابسط من ذلك . فسأَلتهُ هل يرغب في اخذ شيء منهُ ثانيًا فاجاب كلا . واخذ جسمهُ في الانحلال فاستحضرت لهُ بعض الاطباء فوصف لهُ الادوية اللازمة فلم تنجع وتوفي بعد مضي ستة اشهر من تاريخ هذه الحادثة . على انني لو أُعطيت حريتي لطلبت تشريحهُ لمعرفة ما تفعلهُ هذه السموم القاتلة في جسم الانسان . ولكن ما قدر كان

مصر في ١٢ سبتمبر سنة ١٩٠٨ احد المشتركين ح ٠ ١

كتاب المصابيح

حضرة صاحب "المقتطف" الاغر

بمناسبة خبر كتاب المصابيح للبغوي الذي ادرجتم خبرهُ وكتبتم عنهُ في المقتطف (المجلد ٣٣ ص ٤٥٤) بادرت الى كتابة هذه السطور . وهو ان عندي ايضًا نسخة من مصابيح البغوي وهي وان لم تكن اقدم من نسختكم لكنها من الآثار القديمة النادرة مكتوبة من اولها الى آخرها بقلم واحد وبمداد واحد ليس في سطورها ولا في رسوم كلماتها واشكالها تفاوت اصلاً

والكتاب على قطع كبير في ٣٠٧ صفحات في كل صفحة منها سبعة عشر سطرًا واكثر كلماتهِ مشكولة وبين اسطرهِ وحواشيهِ شروح كثيرة بخطوط مختلفة بحيث لا يوجد في حواشيها واطرافها موضع خالٍ من الكتابة . وورق الكتاب من نوع واحد متقن جدًّا مكتوب على آخرهِ هكذا :

" تم الكتاب بحمد الله ومنهِ بعون الله وحسن توفيق الملك الفتاح الكبير وفرغت يد معلقهِ الضعيف الفقير النحيف المسيء المذنب الراجي عفو ربهِ الخبير وكرم المولى البصير وهو على ما يشاء قدير ايوب بن يعقوب الاكبر مَن احسن الله اليهِ واليهما من شهر المبارك اواسط شهر ربيع الآخر في يوم الاحد في بلدة بروسا حرسها الله تعالى من جميع آفاتهِ مع بلاد المؤمنين لسنة اربع وسبعين وسبعمائة من هجرة النبي صلى الله عليهِ وسلم حامدًا لله ومصليًا على نبيهِ محمد وآلهِ وصحبهِ اجمعين رحم الله امرءًا نظر فيهِ وقرأ ودعا لكاتبهِ المذنب آمين يا رب العالمين " . وبعدهُ مكتوب بخط آخر هكذا :

" قابلتهُ وصححتهُ ثالثًا مع الاصل مرتين في بلدة دمشق غفر الله ذنوبهُ وذنوب المسلمين الناظرين "

ولعل المراد من قولهِ الاصل هو نسخة المصنف نفسها والله اعلم

بلدة " اورنبورغ " في الروسيَّة رضاء الدين بن فخر الدين

ما الذي اتى بهِ دارون

حضرات اصحاب المقتطف

قلما تفتح كتابًا من كتب الافرنج الباحثة في العلوم الطبيعية الآنَ وتجدهم ينوهون فيهِ بمذهب النشوء الذي قال بهِ دارون ظنًا منهم ان دارون هو اول من ابتدعهُ . على ان هذا المذهب ليس من مبتدعات دارون ولا رسل ولا غيرهما بل هو من مبتدعات العرب وقد كانوا يدرسونهُ في مدارسهم كما يظهر من اقوال فيلسوف كبير من فلاسفتهم وهو ابن مسكويه المتوفى في آخر القرن الرابع الهجري حيث قال

" اول ما يرقى النبات من منزلتهِ الاخيرة ويتميز بهِ من مراتبهِ الاول هو ان ينقلع من الارض ولا يحتاج الى اثبات العروق فيها بما يحصل لهُ من التصرف بالحركة الاختيارية وهذه الرتبة الاولى من الحيوانية ضعيفة لضعف اثر الحس فيها وانما تظهر بجهة واحدة اعني حسًا واحدًا وهو الحس العام الذي يقال لهُ حس اللمس وذلك كالصدف وانواع الحلزون الذي يوجد في شاطيء الانهار وسواحل البحار وانما تعرف حيوانيتهُ و يعلم انهُ ذو حس واحد من اجل انهُ اذا استلب من موضعهِ بسرعة وعلى عجلة وخفة فارق موضعهُ واستجاب للاخذ وان أُخذ بابطاء وعلى ترتيب لزم موضعهُ وتمسك بهِ وذلك لانهُ يحس ان لامسًا يريد اخذهُ فيصعب حينئذٍ جذبهُ وتناولهُ من مكانهِ لتشبثهِ بهِ وهو يضعف عن التنقل وان كان قد

انقلع من الارض وصارت لهُ حياة ما لانهُ في الافق القريب من النبات وفيهِ مناسبة منهُ . ثم ينتقل عن هذه الرتبة الى ان ينتقل ويتحرك وتقوى فيهِ قوة الحس كالدود وكثير من الفراش والدبيب ثم يرتقي عن هذه المرتبة ايضاً ويقوى اثر النفس الى ان يصير منهُ الحيوان الذي لهُ اربعة حواس كالخلد وما اشبه . ثم يرتقي من ذلك الى ان يصير لهُ من حس البصر ضعيف كالنمل والنحل والحيوان الذي عيونهُ تشبه الخرز وليس لها اجفان ولا ما يستر احداقها ثم يقوى ذلك الى ان يصير منهُ الحيوان الكامل في الحواس الخمس وهي مع ذلك متفاوتة المراتب فمنها البليدة الجافية الحواس ومنها الزكيــة اللطيفة الحواس التي تستجيب للتأديب وتقبل الامر والنهي وتستعد لقبول اثر النطق والتمييز كالفرس من البهائم والبازي من الطير . ثم يقرب من آخر مرتبة البهائم ويصير في افقهِ الاعلى وفي مرتبة الانسان وهذه المرتبة وان كانت شريفة فهي خسيسة دنية بعيدة عن مرتبة الانسان وهي مراتب القرود واشباهها من الحيوان التي قاربت الانسان في خلقتهِ الانسانية وليس بينها وبينهُ الاّ اليسير الذي ان تجاوزهُ صار انساناً فاذا بلغهُ انتصبت قامتهُ ويظهر فيهِ من قوة تمييز الشيء اليسير فضل تمييز واهتداء الى المعارف ويقوى فيه اثر النفس ويقبل التأديب بالفهم والتمييز "

فترون من ذلك ان هذا الكلام مثل كلام فلاسفة القرن العشرين من هذا القبيل واعم منهُ فهل منا معشر الشرقيين من رجل يرفع عقيرتهُ امام الغربيين ويريهم ان رأي النشوء ليس من آراء فلاسفتهم ولا من مميزات جيلهم وانما هو رأي العرب ايام كانت دولتهم هي الدولة وصولتهم هي الصولة حين كانت الفلسفة في عصورها الذهبية

علي سيد يوسف

[المقتطف] ليس المراد بمذهب دارون القول بان انواع الحيوانات والنباتات مرتقٍ بعضها من بعض لان هذا قال بهِ كثيرون قبل دارون من ايام اليونان والرومان بل المراد بمذهب دارون ان هذا الارتقاء حدث بقوة طبيعية تدريجية وهي الانتخاب الطبيعي والجنسي واقامة الادلة القوية على ذلك . ولا يزال جمهور من العلماء والفلاسفة يخالفون دارون في ذلك فبعضهم يقول ان هذا الارتقاء حدث بالانتخاب الفسيولوجي وبعضهم يقول انهُ لم يحدث بقوة طبيعية بل بقوة الهية فلا سبيل للبحث فيها . فهل تظنون ان ابن مسكويه كان يقول ان كل انواع النبات والحيوان تولّدت بقوة طبيعية لا الهية فان كان الامر كذلك فقد سبق دارون الى هذا القول ويبقى ان تذكروا هذه القوة والادلة التي اقامها على ان هذا التولُّد حدث بها لان دارون لم يكتف بالقول بل حاول تأييد قولهِ بالامتحان والمشاهدة مدة سنين كثيرة

وجمع مما شاهدهُ وامتحنهُ بنفسهِ ومما شاهدهُ وامتحنهُ غيرهُ ما لو ترجم الى العربية لملأ عشرة مجلدات مثل مجلدات المقتطف فهل فعل ابن مسكويه مثل ذلك

ان نسبة ما فعلهُ ابن مسكويه وكل فلاسفة العرب والعجم والهند واليونان والرومان من حيث مذهب النشوء الى ما فعلهُ دارون كنسبة القارب الصغير الذي يصنع الآن في بلاد الفلاحين ويتسع رجلين او ثلاثة الى السفينة البخارية التي تقطع الاوقيانوس بعشرة آلاف راكب وفيها من الآلات البخارية ما قوتهُ قوة اربعين الف حصان . او كنسبة العربة التي يجرها حمار الى قطار سكة الحديد . او كنسبة عزبة صغيرة مبنية بالطوب الى مدينة كبيرة مثل القاهرة او باريس او لندن

واذا اردنا ان نباهي باسلافنا فالمباهاة ليست هنا بل في المبادىء الاخلاقية والفلسفية التي وضعوها او اهتدوا اليها فانها قد تفوق المبادىء التي وضعها علماء اوربا وفلاسفتها وكذلك يمكن المباهاة بهم في كثير من الامور الادبية والصناعية التي كادوا يبلغون بها حدَّ الكمال



الزراعة المصرية

في عهد الاحتلال الفرنسوي

ادوات الزراعة — معيشة الفلاح — واحوال البلاد

في هذا الزمن (اي في آخر القرن الثامن عشر) لا تزال ادوات الزراعة واخصها المحراث والنورج والمحفة (المسوحة) والمنجل والرفش والمذراة على ما كانت عليهِ منذ القدم فلم ينبغ من حسَّن فيها او اضاف اليها شيئًا بل بالعكس قد يستغني عن استعمال بعضها كما يشاهد ذلك في ادفو حيث يستغنى عن استعمال النورج ويكتفى ببسط ما يراد درسهُ على الجرن وتستخدم الثيران لدوسهِ الى ان يتكسر دقيقًا وتتناثر الحبوب من سنابلها . وفي معظم جهات القطر المصري يستخرجون الحبوب مما لا يصلح قشهُ علفًا بدقهِ بالنبابيت الى ان تتناثر الحبوب منهُ وهي ابسط عملية تعمل بالفطرة

واكثر ما يستخدم من البهائم في الزراعة الثيران وقد يستخدمون الاناث للحرث ويندر استخدام الحمير والجمال لذلك

ومن تأمل حالة الفلاح يرَ تمام المشابهة بين سذاجة معيشتهِ وبساطة اعماله . فانهُ يشتغل من طلوع الشمس الى غروبها ويعيش على الذرة والبصل والخيار والقثاء والجبن والفول والعدس الخ فيأكل في اليوم مرتين احداهما في الساعة الحادية عشرة صباحاً والاخرى في المساء وقلما يأكل اللحم الاَّ في شهر رمضان فيأكل شيئًا من لحم الماعز او لحم الجاموس مسلوقًا

وتختلف اجرة العامل في الزراعة باختلاف الاماكن فهي في الصعيد غرش او اقل يوميًا وتتراوح في مديرية الفيوم وضواحي القاهرة والوجه البحري بين غرش وغرشين

وتقدر نفقة مأكل الفلاح في الوجه القبلي بنحو ثلث غرش في اليوم

وهو لا يلبس الاَّ جبة سمراء محوكة من صوف الغنم البلدي وشالاً يضعهُ على كتفيهِ وعمة يستعملها نحو ثلاث سنين ونصف سنة فتبلغ نفقة ملابسهِ سنويًا ١٨ فرنكاً ونفقة مأكلهِ ٣٥ فرنكاً • ويضاف الى ذلك نفقات شتى تقدر باثني عشر فرنكاً فيكون مجموع ما ينفقهُ الفلاح الصعيدي سنويًا نحو ٦٥ فرنكاً • وتزيد عن ذلك قليلاً نفقات الفلاح في الوجه البحري

هذه هي حالة الفلاح فيما يختص بمعيشتهِ واعمالهِ • فيرى منها بُعدهُ عن التمتع بالراحة او التمكن من تحسين حالة الزراعة ولا سيما ان معظم المزارعين ليسوا مالكين بل مستاجرين وان المماليك كانوا يضربون الضرائب الباهظة على الاراضي ليتمتعوا بحاضرهم لعلمهم ان البلاد ليست لهم فلا يهمهم امر تحسينها • وفضلاً عن ذلك كانوا قومًا همجًا على جانب عظيم من الجهل فاستأصلوا بجهلهم كل نظام يعود بالاصلاح

ومع كل هذا الانحطاط كانت البلاد بين اسيوط وقنا تتحسن في اواسط القرن الثامن عشر لخروجها في ذلك الوقت عن حكم المماليك

ويقطن في اماكن مختلفة على جانبي النيل اقوام رحلت اليها من اليمن وقبائل اتتها من شمال افريقيا فبقي بعضها على بداوتهِ يرعى المواشي وتحضَّر البعض الآخر واحترف الزراعة

وكان منذ نحو ٢٥٠ سنة ان قدمت من ضواحي تونس قبيلة تدعى الهواري واحتلت ما بين جرجا وفرشوط واخذت تعمر الاراضي المقفرة وتغتصب القرى العامرة الى ان استتب لها امتلاك كل البلاد ما بين هو وقرية الشيخ سليم واثرت فعلت كلمتها وامتدت سطوتها

تحت امرة شيخها الذي كان يقيم في فرشوط . وآخر من قاد هذه القبيلة شيخ اسمهُ همام حكم الصعيد من اسيوط الى اصوان وكان يستولي على ريعهِ فيبلغ سنويًا بنحو ١٥٠٠٠٠ اردب حنطة يدفعها لباشوات مصر وبكواتها . وكانت سلطتهُ تتعاظم بتعاظم الشقاق بين المماليك واخيرًا جرد عليهِ علي بك جيشًا عظيمًا يقودهُ محمد ابو الذهب فالتقاهُ همام بخمسة وثلاثين الف فارس ولكنهُ هزم عند اسيوط وفرَّ الى اسنا حيث مات في سنة ١٧٩٦ وصادرت الحكومة املاكهُ . وقد انفقت الالسن على امتداح هذا الشيخ وما بذلهُ من العناية بالجسور وحفظ الامن بواسطة خفر انشأهُ في البلاد

وبعد موتهِ صار الصعيد ملجأً للبكوات الفارين فاستفادوا من استخدام الخفر الذي لم يكن لهُ مثيل في المديريات الاخرى . وكانت مطامعهم في العودة الى الحكم على القاهرة تقوي نهمهم في ابتزاز ثروة البلاد فبهظوها بالضرائب الفادحة وزادوا زراعتها انحطاطًا وظلوا على ذلك الى ان استولى الفرنسويون على مصر

اما قبائل العرب التي احتلت ضفتي بحر يوسف والعطفية على شاطئ النيل المقابل فنزعت الى الزراعة ولكنها لم تنزع عنها عاداتها الموروثة من الغزو والقتال . فكانت احيانًا تتحارب واحيانًا تسطو على القرى المجاورة فتضطر اهلها إما لمهاجرتها واما لفداء انفسهم وكان موقف الفلاحين حرجاً اذ يرون انفسهم بين قبائل متعادية عرضة للنهب والسلب فيلتزمون ان يدفعوا جانبًا كبيرًا من الضرائب عن القبائل التي تتكفل بحمايتهم من العربان جيرانهم ومن القبائل الرحل التي كانت تجتاح اكثر انحاء الفيوم . وآل الامر الى ضعف الفلاح ورهبتهِ حتى لقد كان ينظر الى هؤلاء الاعراب نظر المستأجر الضعيف الى المالك القوي

وعلت سطوة البدو في جميع اطراف القطر المصري ما خلا الاماكن القريبة من المدن الكبرى حيث قوة الحكومة على اشدها ففي الوجه البحري ولا سيما عند اطراف صحاري برزخ السويس وجوانب بحيرة مربوط القديمة كانت فرسانهم تجتاز النيل لاقل داعٍ فتدخل البلاد خلسة وتنهب القرى المجاورة

هذه كانت حالة البلاد لذلك العهد اعراب تغزو وحكام تلهو وفلاح يشقى وارض بالدماء تسقى

الري في العراق

لقد كانت فاتحة اعمال الحكومة العثمانيَّة الحاضرة ان اهتمت بمصادر ثروة البلاد وباغزر هذه المصادر بل المصدر الحقيقي المنتج وهو الزراعة . وكأنها نظرت الى نجاح القطر المصري الذي خرج من الافلاس الى السعة باصلاح الري فارادت ان تقتدي بهِ ولذلك استدعت مهندس الري صاحب المشروعات الكبيرة السر وليم ولككس ليتولَّى ادارة الري في البلاد العثمانية ولاسيما في العراق العربي

ولم يخطر على بال السر وليم ولككس لما انتبه الى ري العراق منذ خمس سنوات وكتب فيهِ ما كتب ممَّا عربناهُ ونشرناهُ في المقتطف انهُ يرى في حياتهِ تحقيق امانيهِ ولا خطر ذلك على بال احد بل لقد قلنا لهُ ان المشروع حسن لذاتهِ ولكن اين الامان على حياة العمال ومَن يكفل للفلاح هناك ان يتمتَّع بثمرة تعبهِ ونحن نرى الناس يتركون اراضيهم بوراً هرباً من جور الملتزمين والحكام ولكن التغيير الكبير الذي حدث في الحكومة العثمانيَّة يوم اعلان الدستور قد ازال كل العقبات من سبيل هذا المشروع فاستدعي صاحبهُ حالاً لتحقيقهِ ولم يبقَ الاَّ ان تُصادق الحضرة السلطانية عليهِ

وقد رأينا ان نعيد الآن نشر خلاصة الخطبة الاولى التي القاها السر وليم ولككس في هذا الموضوع وقد نشرناها حينئذٍ في جزء مايو سنة ١٩٠٣ وهذا نصها

اتنفض بابل واشور عنهما غبار العصور الغابرة . ويعود الى بغداد عصر الرشيد والمأمون ويرتع الامن في ربوع العراق وتفيض الخيرات من دجلة والفرات . كل ذلك محتمل وقد صار على قاب قوسين بعد ان اعتمدت الدول الاوربية على مد سكة الحديد الى بحر فارس. ولكن كم يبقى للسكان من خيرات بلادهم بعد ان تتمكن فيها اقدام الاوربيين وتعطى لهم الاراضي الواسعة مع الامتياز وكيف يجاري ابناء المشرق الذين ضعفت هممهم من طول ما لقوا من الذل والامتهان ابناء المغرب الذين نشطوا للعمل منذ مئتي عام وهم لا يرون غير مثيرات النخوة ومقويات العزائم حتى من ملوكهم وامرائهم . هذه مسألة يصعب النظر فيها من الآن

أما تلك البلاد فكانت مهد العمران وخصبها الطبيعي مما لا يختلف فيهِ اثنان وقد كان ريها منتظماً في العصور الغابرة انتظاماً لا يفوقهُ انتظام الري في القطر المصري الآن . ومن رأي السر وليم ولككس المهندس المشهور في هذا القطر انهُ يسهل اعادتها الى ما كانت عليهِ

فتصير مثل القطر المصري من حيث سهولة الري والصرف وتدفق الخيرات . وقد انشأ خطبة مسهبة في ذلك تلاها في الجمعية الجغرافية فلخصنا منها ما يلي لعلهُ يكون محرضاً لابناء الشام والعراق على ترك المهاجرة الى البلدان القاصية وانتظار ما يمكن عملهُ في بلادهم . قال ما مفادهُ

ان مدينة بغداد تعلو عن سطح البحر (بحر فارس) ٦٦ متراً وتبعد عنهُ ٥٥٠ كيلو متراً على خط مستقيم او ٨٠٠ كيلو متر اذا قيس البعد على مسير دجلة . وحولها الآن قفار قاحلة ولكنها كانت في سالف الزمن تاج ما تمتلكهُ الدول التي دان لها المشرق . هذا كان شأن البلاد على مئة ميل حول بغداد من كل ناحية

اذا نزلت في دجلة من الشمال الى الجنوب تصل اولاً الى دورا مأخذ ترعة نهروان والسهل الذي نصب فيهِ نبوخذ نصر التمثال الذهبي ولعلهُ نصبهُ تذكاراً لتجديد هذه الترعة . ثم تل اليج حيث مات الامبراطور يوليانوس من جراحهِ حينما أُخرج الرومانيون من تلك الاقطار واستولى عليها ملوك الفرس فدان لهم المشرق كلهُ . ثم تصل الى اوفيس التي كان فيها اغنى اسواق المشرق التجارية ومنها الى بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين . فالمدائن عاصمة آل ساسان ملوك الفرس فسلوقية عاصمة المكدونيين في المشرق واخيراً تصل الى بابل سيدة المدائن وهي على الفرات لا على دجلة

والبلاد بين ترعة نهروان وبين دجلة شرقاً وغرباً عجزت قبائل العرب عن العيث فيها فظلت اخصب بلدان المشرق وكأن ملوك الكلدان انشأوا تلك الترعة وغيرها من الترع لكي يمنعوا الغزاة عن بلادهم كما فعل مينا ملك مصر لما حوَّل مجرى النيل الى الجهة الشرقية امام منف لكي يكون فاصلاً بينها وبين القبائل التي كانت تغزو بلادهُ آتية من بلاد العرب

ويقع المطر في تلك البلاد لكنهُ قليل جداً لا يكفي للزراعة . يقع في السنة من اربعة سنتيمترات الى ٢٤ سنتمتراً لا غير فلا بدَّ من ري الارض من الانهار والترع اذا اريد ان تزرع شيئاً

ودجلة من بغداد الى بحر فارس قليل التحدُّر لا يزيد تحدُّرهُ على $\frac{1}{13000}$ فهو مثل النيل من هذا القبيل ويفرق عنهُ في ان الدلتا التي يرسب فيها طمي دجلة بعيدة عن مصبهِ وليست مثل الدلتا التي بين فرعي النيل

ويبتدئُ دجلة من الآكام التي الى الجنوب الغربي من بحيرة وان ويمر من عند مدينة نينوى القديمة ويقطع تلالاً حجرية ويعمق مجراهُ حتى يصير نحو ٢٥ متراً وسرعتهُ مترين ونصف متر في الثانية من الزمان ثم يخرج منها ويدخل وادياً منبسطاً فتقل سرعتهُ وتصير

متراً في الثانية وهناك يلقي ما كان يحمله من الطمي فتكوّن منهُ سهل خصيب حول بغداد . وعلى ثمانين كيلو متراً من بغداد جنوباً تصير الرواسب التي ترسب منهُ ناعمة جداً مخلوطة بالملح وتستمرّ على ذلك الى البحر فلا تصلح للزراعة مثل الاراضي التي حول بغداد . ويفيض كما يفيض النيل ويغمر الاراضي التي حوله من بغداد الى البحر ويصب فيهِ نهران من الجهة الشمالية الشرقية احدهما فوق بغداد والآخر تحتها ويتفرع من ثانيهما ترع كثيرة

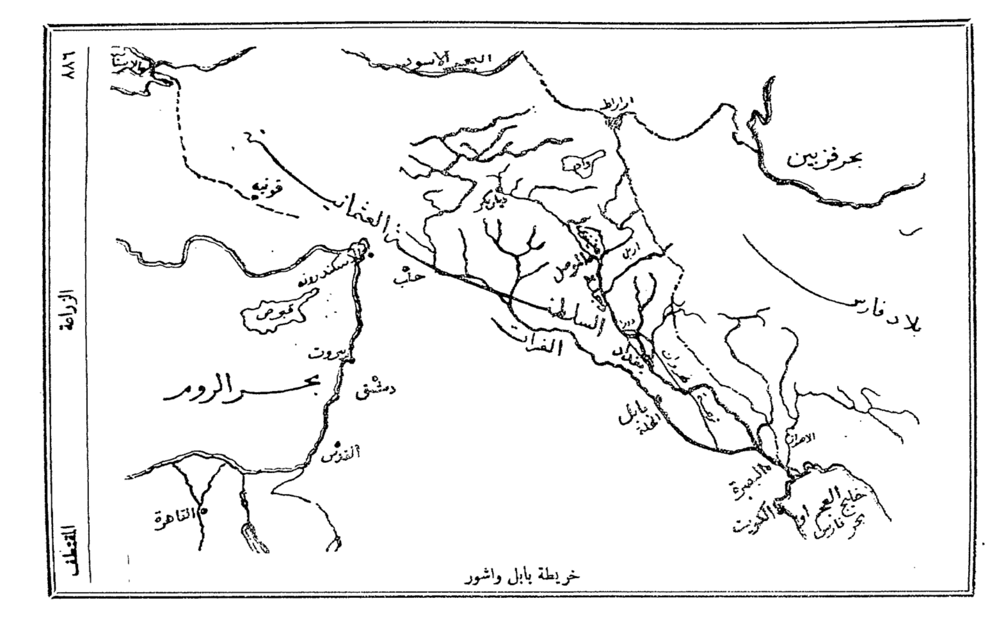
ويبتدئ فيضان دجلة في اواخر فصل الشتاء حتى اذا اشتدّ الحر واذاب الثلج عند مصادره ومصادر نواصره زاد فيضانهُ فصلح للري الصيفي مثل انهار الهند . وكلما زاد الحر شدة وزادت حاجة المزروعات الى الماء زادت مياههُ فيضاناً

وفي رأس دلتا دجلة خرائب مدينة اوفيس وهي مثل القاهرة في مصر ومنها تبتدئ الترع العظيمة التي تروي دلتا العراق

وكان للري هناك سبيلان كبيران الواحد بترعة نهروان والثاني بترعة دجيل جنوبيهُ وكان الاقدمون قد اقاموا سدوداً في الاماكن العالية ترتفع بها المياه ويقال ان الاسكندر المكدوني خرب بعضها ليغزر الماء في دجلة ويسهل عليهِ ركوبهُ بسفنهِ ولا بدّ من ان يكون بناها بعد ذلك

وترعة نهروان في العراق مثل احد الرياحات الكبيرة في القطر المصري طولها اربع مئة كيلو متر وقد بلغت اعلى درجة من الانتظام على عهد بني ساسان ملوك الفرس ثم على عهد هرون الرشيد . ولها مأخذان من دجلة حتى اذا ملأ الطمي احدهما ولزم تطهيرهُ جرى الماء اليها من المأخذ الثاني . وبُعد المأخذ الاول عن الثاني ستون كيلو متراً وعند ملتقى المأخذين قنطرة موازنة اسمَّى القنطرة الكسروية وعند مأخذ الفرع الاعلى قنطرة اخرى للموازنة تسمَّى قنطرة الرصاص لان الرصاص مصبوب بين حجارتها وكذلك عند المأخذ الثاني قنطرة موازنة اخرى وهي الآن خراب

ثم اسهب في وصف الاعمال الهندسيَّة التي كانت على دجلة من ترع وقناطر وسدود وما اشبه لتسهيل الري وبيَّن ذلك كلهُ بالرسوم وقال في وصف ترعة نهروان ان ترع مصر لا تقابل بها لان اكبر ترعة في القطر المصري لا يزيد عمقها على عشرة امتار وعرضها على ستين متراً واما ترعة نهروان فيبلغ عمقها احياناً خمسة عشر متراً واتساعها ١٢٠ متراً . هذا من حيث نظام الري الاول واما نظام الري الثاني بترعة دجيل فمدارهُ على ترعة طولها مئة كيلو متر وعرضها خمسون متراً



خريطة بابل واشور

وبيّن كيف خربت تلك البلاد وعفت آثار مدنها بطغيان دجلة على ترعتيهِ وتخريبهِ سدودها وجرفهِ كل ما في البلاد من مدن وقرى ومزارع وانسان وحيوان فانتشر الخراب في بلاد طولها اربع مئة كيلو متر وعرضها ثلاثون كيلو متراً كانت اعمر بلدان المسكونة واكثرها سكاناً . وعنده ان تلك البلاد تعود الى مجدها السابق باصلاح ترعة نهروان واصلاح ري العراق بها . ثم شرح الاعمال الهندسيَّة اللازمة لذلك وقدَّر ما يلزم لها من النفقات وما ينتج عنها من الفوائد فقال ان النفقات تبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات يصلح بها مليون و ٢٨٠ الف فدان من اجود الاراضي الزراعيَّة فيصير الفدان منها يساوي ٣٠ جنيهاً على الاقل فتساوي كلها ٣٨ مليون جنيه ولا يقلُّ صافي ريعها في السنة عن مليوني جنيه فيكون المال الذي ينفق على اصلاحها قد جاء بفائدة ٢٥ في المئة سنويًّا

هذا من حيث الارض العالية التي في بداءة ذلتا دجلة اما البطائح التي تحتها ولاسيما بين دجلة والفرات فهي قاحلة الآن ولكن الدلائل كثيرة على انها كانت تروى وتستغلُّ في قديم الزمان كما يظهر من آثار الترع والاعمال الهندسيَّة التي فيها . وهناك ارض مساحتها مليون ونصف مليون من الفدادين بين بغداد وبابل يمكن اعادة ريها وزرعها وقد تلفت منذ عهد طويل وصارت مستنقعات لان الترع التي فيها أُهملت لما تولَّى البلاد اناس لا يحسنون امرها فامتلأت مجاريها طمياً وحشائش وتهدَّمت جسورها فلم تعُد تكفي لاحتواء ما يجري فيها من الماء ففاض على الارض التي حولها واغرقها فصارت مستنقعات وبطائح

وقابل تلك البلاد بالقطر المصري وقال ان مجرى النيل لم يمتلئ بالطمي مع ما مرَّ عليهِ من القرون لان ري الحياض كان من مقتضاهُ اجراء ماء الفيضان الى الحياض على جانبي النيل فيرسب ما فيهِ من الطمي ويعود اليهِ صافياً ولكن اذا بطل ري الحياض في القطر المصري خشي ان يرسب الطمي كلهُ في مجرى النيل فلا يعود كافياً لاحتواء ماء الفيضان كلهِ فيطغي على البلاد ويغرقها وحثَّ على الانتباه لذلك من الآن . ثم عاد الى ري العراق فقال ان نجاح مصر ابتدأ يوم صمم مهندسو الملك مينا اول الفراعنة على اعلاء جسر النيل الغربي وترك الجانب الشرقي من غير جسر حتى يمتنع طغيانهُ على الجانب الغربي فيصلح للزراعة ومثل ذلك يمكن ان يفعل في العراق فيقام جسر لدجلة على الضفَّة الغربيَّة وجسر للفرات على الضفة الشرقية ويمد جسر الفرات الى ما تحت بابل وجسر دجلة الى عند منعطفهِ . وتصلح الارض التي بين هذين النهرين وتفتح فيها الترع وتزرع

وقد ثبت لي من اعمال الري في مصر ان كل النفقات اللازمة للسدود والترع والمصارف

وما اشبه تبلغ خمسة جنيهات ونصف جنيه عن كل فدان والنفقات اللازمة له من تقصيب وتلويط وما اشبه تبلغ ثلاثة جنيهات ونصف جنيه والجملة ٩ جنيهات فيصير يساوي ثلاثين او اربعين جنيهاً وقد قدرنا ثمن فدان الارض على ترعة نهروان في بلاد العراق بخمسة وثلاثين جنيهاً بعد اصلاحهِ واصلاح ريهِ لان الفدان الذي مثلهُ في مصر يساوي الآن من ستين جنيهاً الى مئة فنقدر الفدان الذي يصلح بين دجلة والفرات بخمسة عشر جنيهاً اي بنصف ما يساويهِ الفدان الذي مثلهُ في مصر وهناك مليون وخمس مئة الف فدان يمكن اصلاحها كذلك ينفق على اصلاحها وريها وصرفها ١٣ مليون جنيه فتصير تساوي ٢٢ مليون جنيه

وباضافة الاراضي التي في رأس دلتا دجلة الى البطائح التي تحتها تصير المساحة ٢٨٠٠٠٠٠ فدان والنفقات اللازمة لاحيائها ٢١ مليون جنيه فتصير تساوي ٦٠ مليون جنيه على الاقل

وفي دلتا الفرات ودجلة خمسة ملايين فدان اي قدر مساحة الاراضي الزراعيَّة في القطر المصري كلهِ واذا ابتدأ العمل في اصلاحها سهل جلب المال من اوربا لاتمامهِ فان الفدان في مصر يحمل من الدين عشرين جنيهاً ومع ذلك لا يجد الحمل ثقيلاً . ثم اذا مُدَّت سكة الحديد وكثرت فروعها في البلاد زاد السكان وزادت الخيرات وارتفع ثمن فدان الارض المصلحة في اعالي البلاد من ٣٥ جنيهاً الى ثمانين وفي اسافلها من ١٥ الى ٣٥

وختم خطبتهُ بكلام بليغ قال فيهِ

ان امامنا الآن إحياء بلاد قديمة كان اسمها مرادفاً للخصب والفلاح والعظمة مدة قرون كثيرة فقد كان هناك سهول خصبة ومدن عامرة وملوك اعزاء وقوَّاد اشداء ورجال حكماء تداولوها الوفاً من السنين كما تشهد كتب الاخبار ونقوش الآثار وهي لا تقل عن اخبار مصر وآثارها قدماً وصحة . وهناك ادلة كثيرة على غنى تلك البلاد وانها كانت مطمح انظار الفاتحين والتملك عليها غاية ما يفاخرون بهِ فان الدولة التي كانت تملك تلك البلاد في العصور الغابرة كانت تملك المشرق والدولة التي تفقدها تفقد المشرق . بلاد مثل هذه جديرة بان تحيا من مواتها . وان عرفنا السبب الذي افقرها سهل علينا ان نعيد اليها خصبها السابق . والارض التي اجابت داعي العلم القديم فتدفقت منها خيرات كفت بلاط ملوك الفرس معا يؤْثر عنهم من الانغماس في الترف والملاذ لا بدَّ من ان تجيب داعي العلم الحديث وترد المال الذي ينفق عليها اضعافاً كثيرة . ولا بدَّ الآن من الاستعانة بمعارف الغرب على هذه الاعمال كما استعين سابقاً بمعارف الشرق . وقد كانت تلك البلاد تروى وتزرع بواسطة معارف حكماء الكلدان ومهندسيهم ومراقبي الاحداث الجوية منهم وصار احياؤُها وزرعها الآن اصعب

مما كان قبلاً ولكن علوم ابناء هذا العصر صارت ارقى من علوم الاقدمين ولا يصعب معها رد تلك البلاد الى سالف مجدها فتعود جنة الشرق كما كانت قبلاً ويقصدها الناس من مشارق الارض ومغاربها

وتسمى بغداد دار السلام وقلما وجدت السلام من حين بنيت الى الآن لما حلّ بها من تيمورلنك وهولاكو وخلفائهما الذين اضروا بالبلاد اكثر مما اضرّ بها تحول دجلة عن مجراه ولكنها ستجد السلام الذي أُضيفت اليهِ تيمناً وستجتمع الوف وعشرات الالوف من العمال من الهند ومن مصر ايضاً يجتمعون في ذلتا دجلة بمدون سكة الحديد من الكويت الى الشمال ويفتحون ترعة من اوفيس الى الجنوب

وستشرع السكة الحديد بنقل العمال والادوات من خليج العجم لحفر الترع واحياء الموات وانشاء المدن ولا يتم مدها واتصالها باسيا الصغرى حتى يكون جانب كبير من الارض قد أُصلح وكثرت خيراتهُ لتنقلها السكة شرقاً وغرباً . وليس على وجه البسيطة ارض اصلح من اراضي دجلة لزرع الحبوب ولقد سمعت الدكتور شوينفرث رئيس هذه الجمعية السابق يقول فيها ان من هناك اصل القمح وانهُ كان ينبت بريًّا في تلك البطاح ومنها نقل الى اربعة اقطار المسكونة ويخصب هناك القطن والذرة وقصب السكر وكل الحاصلات المصرية التي تنبت صيفاً . وهناك وطن المزروعات الشتوية كالحبوب والقطاني والبرسيم والافيون والتبغ وليست بي حاجة الى الكلام على فراديس بابل وبغداد القديمة . والارض التي اقليمها يزكي المزروعات زكاءها في الاقاليم الحارة وانهارها تسقى من ثلج الجبال فتروي ملايين الفدادين وقت اشتداد الحر والظمإِ لا يعقل انها تبقى قفرًا قاحلاً بعد ان تخرقها سكة الحديد وتسعى عاصمتها بغداد وراء موارد الثروة . ولا بدَّ من ربح وافر لتلك الطريق مما تنقلهُ من بضائع الشرق والغرب ولكن اذا عاد الى البلاد سابق خصبها وتدفقت منها الخيرات زاد ربحها ربحاً وتحققت فيها آمال الذين انشأوها وخالج نفوسهم احياء البلاد لما اشاروا بها

انتهى كلام السر وليم ولككس ملخصاً وقد الحق خطبتهُ برسوم كثيرة نقلنا واحداً منها لكي يتضح للقارىءِ مواقع الاماكن التي ذكرها واضفنا اليهِ اسماء اماكن أُخرى اتماماً للفائدة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) حقيقة السحر

البني جيورجيا باميركا. الخواجه الياس نعوم · هل في الساحر قوة فائقة الطبيعة يفعل بها الاعمال التي تنسب الى السحرة واليكم مثالاً من ذلك

وقع شابٌ في هوى ابنة شريفة واذ لم يتوقَّع واسطة للوصول اليها دفعهُ الغرام لاستخدام السحر فذهب الى انسان مشهور بهذه الصنعة واطلعهُ على امرهِ . فقال لهُ الساحر اذهب الى بيتك ونم وهي تأتي اليك عند منتصف الليل وعليك ان تترك النافذة الوسطى مفتوحة · فذهب الشاب ومن شدة اشتياقهِ لم ينم بل بقي منتظرًا قدوم محبوبتهِ ولكنهُ نسي فتح النافذة الوسطى · فعند انتصاف الليل احسَّ فاذا بشيء لطم النافذة فكسَّر زجاجها ووقع على صحن الدار اذ كانت غرفتهُ عليَّة فنزل ليرى ماذا جرى فرأى البنت التي يهواها مخدشة الرأس والوجه تخبط بدمائها . فللحال ذهب الى الساحر واعلمهُ بالامر فحينئذٍ اعطاهُ الساحر ورقة وامرهُ ان يضعها في فمها ففعل وللحال طارت كما جاءَت راجعة الى بيتها · وفي اليوم التالي رآها اهلها وسأَلوها السبب فلم تجب بكلمة ولم تفتح فاها بل كانت تذهب وتجيء كأَنها سالمة واخبر اهلها بعض الشيوخ وبعد الفحص حكموا انها مسحورة · ففتحوا فاها واخرجوا الورقة منهُ وفي تلك الدقيقة وقعت على الارض مائتة · فما قولكم في تعليل هذه الحادثة

ج اننا لا نصدقها بل نعتقد انها موضوعة وليس في البشر قوة فائقة الطبيعة فاذا استطاع احد الناس ان يفعل فعلاً مناقضًا للنواميس الطبيعيَّة او مخالفًا لها كما فعل هذا الساحر وجب ان نتثبَّت اولاً من ان ما نسب اليهِ من الفعل قد حدث حقيقة فاذا وجدنا انهُ حدث حقيقةً فيكون قد حدث بقوة طبيعيَّة لم نكن نعرفها فنبحث عنها وعن الاسباب التي تجعلها خاصَّة بالساحر دون غيرهِ · ولم نبحث حتى الآن عن عمل من الاعمال المنسوبة الى السحرة ورأيناهُ

صحيحاً ولا علمنا ان احداً بحث بحثاً مدققاً عن اعمال السحرة ووجد انها صحيحة . وقد كتبنا فصولاً مسهبة في فساد السحر في السنين الاولى من المقتطف فعليكم بمراجعتها . ولا تنسوا ان افضل مقياس نعرف به صحة الدعاوي هو استعمالها والانتفاع بها فلو كانت دعاوي السحرة صحيحة لاستعملها الناس وانتفعوا بها كما يستعملون الطب والصناعات المختلفة . افرضوا ان الساحر الذي اشرتم اليهِ قدر حقيقة على سحر هذه الابنة وجعلها تذهب ليلاً الى بيت رجل وتلقي نفسها من نافذة بيتهِ فما كان يمنعهُ من جعل قوّاد اليابان يلقون انفسهم في البحر حينما كانت الحرب ناشبة بين الروس واليابان فيستتب الفوز للروس او ما يمنعهُ من جعل ابنة احد كبار الاغنياء تهواهُ وتأتيهِ بثروة ابيها . وانتم تعلمون ان السحرة اي مدعي السحر من افقر الناس فلو كان فيهم قوة سحرية كما يزعمون لاستفادوا منها واغتنوا وعاشوا بالراحة والرفاهة

(٢) المندل

ومنهُ . هل المندل صحيح وكيف تعللون هذه الحادثة

سرق لنسيب لي شيءٌ وضع عندهُ امانة واذ لم يهتدِ اليهِ ذهب الى ضارب مندل فاحضر هذا ابنة لا تتجاوز الثانية عشرة من عمرها واحضر طستاً مملوءاً ماء وامر البنت ان تنظر في الماء ثم امرها ان تعزم الملك الاحمر ففعلت فاتى الملك الاحمر ومعهُ رجالهُ وكلهم بهيآت غريبة . وبعد انصراف الملك امرها بان تسأل احدهم عن سارق ذلك الشيء وان يأتي بهِ فذهب وبعد قليل رجع ومعهُ الرجل السارق ووصفت ملامحهُ فعرفهُ نسيبي . ثم امرها ان تسأل عن موضع السرقة وان يذهب معها ويريها اياها . فاحست البنيَّة انها ماشية في اسواق المدينة وصارت تذكر اسماء الشوارع التي مرت بها الى ان انتهت الى بيت فذكرت اسم صاحبهِ ودخلت معهُ فاراها الشيء المسروق واين هو موضوع . فعندئذٍ ذهب نسيبي الى البيت الذي وصفته البنت فشاهد المسروق في نفس المحل الذي وصفتهُ . فما قولكم في هذا ايضاً

ج لقد سمعنا قصصاً كثيرة مثل هذه ولكننا لم نرَ احداً حتى الآن استرجع بواسطة المندل شيئاً سُرق لهُ . والقصة التي اخبرتم بها نسيبكم مخالفة للنواميس المعروفة ولا نتردد في الحكم انها غير صحيحة او ان الصحيح منها غير ما ذكرتم ولو كانت صحيحة كلها لاستخدم المندل في اكتشاف السرقات كلها واغنى صاحب المندل من هذه الصناعة في اسبوع واحد وان قيل كيف يروي الناس روايات كاذبة مثل هذه قلنا ان بعض الناس يسهل عليهم ان يخدعوا غيرهم بمثل هذه الاكاذيب فيختلقونها لكي يخدعوا بها غيرهم او لكي يسلّوهم وبعضهم يتوهم امراً ثم يصدق وهمهُ

كأَنهُ من الحوادث الواقعة. قلنا انهُ ان كان في القصة المتقدمة شيءٌ من الصحة فيكون غير ما ذكرتم ونحن نريد بذلك انهُ قد يصيب الابنة الناظرة الى الطست شيءٌ من الذهول كما يصيب من ينام النوم المغنطيسي فتصير تتوهم انها ترى ما يذكرهُ لها منومها كأَنها تحلم حلماً فاذا كان ضارب المندل عارفاً بالسارق والمسروق فقد يستطيع ان يهدي الابنة اليهِ باسئلتهِ لها. واذا كان كلامها وكلامهُ مبهماً وكان صاحب السرقة معتقداً ان السارق فلان فلا يبعد ان يطبق كلامها المبهم على ما هو راسخ في نفسهِ فيراهُ منطبقاً عليهِ واذا صدقت في حادثة من مئة حادثة ذكر الناس هذه الحادثة ونسوا التسع والتسعين

(٣) اختلاف الوقت

فوه. حسن افندي حسن الملاحة. لقد بحثت مع كثيرين من المشتغلين بعلم الهيئة في تحديد الوقت بين بلدين طولها وعرضهما معروف معلوم بطرق سهلة فلم نتوفق الى طريقة عامة لذلك الموضوع. وقد رأينا بعد طول البحث ان نرسل الى جنابكم سؤالاً آملين ان تتكرموا بحلهِ وبتعيين الطريقة الحسابية العامة لحل امثاله وهو: عرض القاهرة ٣٠ ٢ ٤٠ وطولها . والوقت ١١ ساعة و٥٠ دقيقة قبل الظهر فكم تكون الساعة في المدينة المنورة وعرضها ١٥ ٢٤ وطولها ٣٩ ٨

ج ان المسألة بسيطة جدًّا ولا داعي لتعيين العرض فيها. وطريقتها ان تستعلموا فرق الطول بين المكانين فيكون الفرق في الوقت دقيقة واحدة لكل ١٥ دقيقة من الطول او ساعة لكل ١٥ درجة. وفرق الطول بين القاهرة والمدينة ٥١٩ دقيقة من القوس فهي تعدل ٣٤ دقيقة من الساعة و٣٦ ثانية وعليهِ يكون الوقت في المدينة المنورة حينئذٍ بعد الظهر باربع وعشرين دقيقة و ٣٦ ثانية

(٤) شركة السوكرتاه

الاقصر. م. ر لقد سوكرت حياتي على مبلغ ٥٠٠ جنيه عشرين سنة في شركة جرِيشام وانا ادفع اليها الآن ٦٢٣ غرشاً كل ثلاثة اشهر فما هو المبلغ الذي يعطى لي بعد مضي العشرين سنة واذا توفيت حينئذٍ فهل يعطى ورثتي المبلغ المؤَمَّن عليهِ مع الارباح وكم هي وهل تستحسنون عمل هذه الشركة وهل هي مأمونة

ج ان الارباح التي تعطى لكم او لورثتكم تتوقف على شروطكم مع الشركة. والشركة التي ذكرتموها مأمونة ومن احسن الشركات وشروطها عموميَّة مطبوعة. ونحن نستحسن مبدأ شركات التأمين لان الغرض منها جمع المال من الذين يعيشون عمرًا طويلاً واعطاؤُهُ لورثة الذين يموتون باكرًا كما ان غرض شركات سوكرته الحريق جمع المال

من الذين لا يحترق ما يسوكرونهُ واعطاؤُهُ للذين يحترق ما يسوكرونهُ

(٥) سقوط ثمر المنجو

المودة . حنا افندي عبد الملك . ما السبب في سقوط طرح اشجار المنجه قبل دور استوائها وما هي الواسطة لحفظها

ج ان اسباب سقوط الثمر عن الشجر قبل نضجهِ مختلفة فقد تكون ضعف الشجر وقد تكون كثرة حملهِ وقد تكون حشرات تضرب عروقهُ وقد تكون تعرُّض الشجر للرياح الشديدة والغالب انكم تجدون سقوط الثمر عندكم ناتجاً عن سبب او اكثر من هذه الاسباب

(٦) جنين البيضة

مسيسبي باميركا . الخواجه داود سليمان ابو حيدر . جاء في الجزء الثامن من المقتطف هذه السنة في الكلام على الوراثة ان جنين الطائر يتكون في البيضة فنرجو الافادة هل يتكون الجنين من صفار البيضة او من بياضها او منهما كليهما

ج يبتدئ تكونهُ من نقطة بيضاء في الصفار . اكسروا بيضة جديدة في صحفة فترَوا صفارها يعوم عليها ويكون فيهِ نقطة بيضاء اصغر من حبة العدس وهي الجرثومة التي يتولَّد الفرخ منها ثم تدخل بقية البيضة صفارها وزلالها في تركيب جسمهِ

باب الاخبار العلمية

مجمع تقدم العلوم البريطاني

التأم مجمع تقدُّم العلوم البريطاني في مدينة دبلن في الثاني من سبتمبر برئاسة الاستاذ فرنسيس دارون بن دارون الشهير فخطب خطبة الرئاسة في دار جامعة ارلندا الملكية وقد نشرنا خلاصتها في هذا الجزء ثم خطب رؤَساء الاقسام المختلفة في مواضيع اقسامهم و بلغ عدد الحضور ٢٢٧٠

مؤْتمر تاريخ الاديان

التأم مؤْتمر تاريخ الاديان في اكسفود بين ١٥ و ١٨ سبتمبر برئاسة السر الفرد ليل وتليت فيهِ مقالات كثيرة في تاريخ الاديان المختلفة كاديان الشعوب المنحطة واديان الصينيين واليابانيين والمصريين والساميين والهنود واليونان والرومان والالمان والديانة المسيحية . وسنأتي على تفصيل ذلك في الجزء التالي

مؤتمر السل

يلتئم مؤتمر السل الدولي العام في مدينة وشنطون باميركا بين ٢١ سبتمبر و ١٢ اكتوبر برئاسة رئيس الولايات المتحدة

هنري بكرل

خسرت فرنسا والعلم عموماً خسارة كبيرة بوفاة الاستاذ هنري بكرل العالم الطبيعي المشهور . وهو من بيت علم وفضل فان جده انطوان بكرل كان من اشهر علماء الكهربائية في عصره . واباه كان من مشاهير علماء الطبيعة ايضاً

وهنري بكرل المتوفى الآن ولد في اواخر سنة ١٨٥٢ ولما توفي جده سنة ١٨٧٨ اخلفه ابوه وجعل هو مساعداً له ومن اول اشغاله اكتشاف الاستقطاب المغنطيسي وقد اكتشف دوران سطح استقطاب النور بواسطة مغنطيسية الارض سنة ١٨٧٨ وبحث عن حرارة باطن الارض وخواص الكوبلت والنكل المغنطيسية وحقق مقدار خواص الاوزون المغنطيسية ثم التفت الى موضوع الفصفورية الذي اشتغل به ابوه سنين كثيرة وهو اول من نشر شيئاً عن اشعة المواد الفصفورية الذي افضى الى اكتشاف الراديوم وقد اكتشف هذه الاشعة اولاً في الاورانيوم ثم اكتشف انها تفعل فعل اشعة رنتجن وتؤثر بدليل الكهربائية فسميت اشعة بكرل

وسنة ١٨٩٨ رأت مدام كوري ان الثوريوم من العناصر المشعَّة فجعلت تبحث هي وزوجها في غيره من العناصر فوجدت ان قوة الاشعاع توجد في غير الاورانيوم اشد مما توجد فيه وتوصلت بعد بحث طويل دقيق الى اكتشاف الراديوم وثبت حينئذٍ ان اشعة بكرل موجودة في عناصر اخرى غير الاورانيوم الذي بحث بكرل فيه اولاً واستمرَّ على البحث فرأى ان هذه الاشعة على ثلاثة انواع وألَّف سنة ١٩٠٣ كتاباً كبيراً في هذا الموضوع جمع فيه خلاصة مباحثه فله الفضل الاكبر في انهُ اكتشف خاصَّة جديدة من خواص المادة وفتح باباً جديداً للبحث فيها وقد اعطي جائزة نوبل هو ومدام كوري وزوجها سنة ١٩٠٣ ومنح كثيراً من النياشين العلمية

وكانت وفاتهُ في الخامس والعشرين من اغسطس الماضي عن ٥٦ سنة وقد ترك مئة الف فرنك لاكادمية العلوم تذكاراً لابيه وجده

طيارة الاخوين ريت

لا يزال المستر ولبور ريت يطير بطيارته في فرنسا واما اخوه اورفل ريت فكان طائراً بطيارته في اميركا في ١٧ سبتمبر ومعهُ ضابط اسمهُ سلفردج فانكسرت شفرة من شفار المروحة (الرفاص) التي تدفع الطيارة

بحركتها فاختلت موازنة الطيارة وسقطت بها فقتل الضابط وكسرت فخذ المستر ريت

رحلة سفن هدن

بعث الدكتور سفن هدن الى جريدة التيمس تفصيل رحلته الاخيرة الى تبت . وخلاصتها انهُ اكتشف منابع البراهما بوترا ونهر السند ونهر ستلج . واكتشف ان الجبال التي هناك متصلة في سلسلة واحدة وهي اكبر سلاسل الجبال في الدنيا . ومتوسط ارتفاعها اعلى من متوسط ارتفاع جبال حمالايا فان ارفع قنن جبال حمالايا اعلى من ارفع قنن هذه الجبال نحو ٤٠٠٠ او ٥٠٠٠ قدم ولكن منخفضات هذه الجبال ارفع من منخفضات جبال حمالايا . وهي قرعاء لا شجر فيها ولا انجم

ذبح الحيوانات

رأى البعض ان ذبح الحيوانات التي يؤكل لحمها يؤلمها واذا كان لا بدَّ من ذبحها فالشفقة تقتضي ان تذبح على اسلوب لا يؤلمها وعيَّنوا الجوائز لمن يستنبط طريقة لقتل الحيوانات من غير الم . فاعتمدت المانيا على قتل الحيوانات الكبيرة برصاصة تطلق عليها من فرد فتميتها حالاً من غير الم والفرنسويون على مسمار يربط على رأس الحيوان ويضرب بمطرقة فيخرق رأسهُ الى الدماغ ويميت الحيوان في لحظة من غير الم والاسبانيون على قطع الحبل الشوكي برمح او خنجر . وغيرهم على غير ذلك من الوسائل لكي لا يتألم الحيوان حين قتله

السليت Cellit

لا يخفى ان السلولويد يشبه العاج ويمكن تلوينهُ بالوان مختلفة وهو يسبك ويخرط ويلوى ويفعل بهِ كل ما يراد وعيبهُ الوحيد انهُ يشتعل ويلتهب بسرعة وقد حاول كثيرون عمل سلولويد لا يشتعل فنجحوا ولكن السلولويد الذي صنعوهُ لا يذوب الاَّ في الكلوروفورم فعملهُ مضر بصحة العمال والآن اكتشف نوع من السلولويد يذوب في الكافور وفي الاثير الخليك وغيرهما من المذوبات التي لا تضر بصحة العمال وهو شفاف تماماً لين كالجلد لا ينقصف ولا يؤثر فيهِ الماء ولكن مزيتهُ الكبرى انهُ لا يشتعل . وقد أُطلق عليهِ اسم السليت ففيهِ كل مزايا الزجاج والجلاتين والسلولويد والجلد والصمغ الهندي وهو المادة الوحيدة الجامعة بين شفافية الزجاج وليونة الجلد . وقد شرع الصناع يصنعون منهُ مواد كثيرة جدًّا

نسف الالغام عن بعد

يقال ان تلميذاً في مدرسة بطرس برج الكهربائية الصناعية اكتشف طريقة لنسف الالغام بالكهربائية من غير سلك ولتسيير الطرابيد ونسفها ايضاً فاذا صح ذلك تغير نظام الحروب البحرية

فهرس الجزء العاشر من المجلد الثالث والثلاثين

الفصل التاسع عشر

باب الخراب

دعاني احد الاصدقاء الى العشاء معهُ في نادي الاطباء فاتيتهُ نحو الساعة الثامنة مساء لارى مَن يجتمع فيهِ منهم فلما دخلتهُ مررت امام غرفة فيها كثيرون حول موائد اللعب ولم اكد اتبين احدًا منهم من انعقاد دخان التبغ فوق رؤوسهم ودخل بي صديقي تلك الغرفة فرأيت الدكتور عبدالله الجرّاح بين الجلوس فنهض وسلم عليَّ ورحّب بي وقدم لي كرسيًّا لاجلس الى جانبهِ واحضر صديقي كرسيًّا وجلس وقال لي الدكتور عبد الله ألا تشاركنا في اللعب فقلت لهُ مضى عليَّ الآن خمس سنوات لم امسك الورق بيدي فلا اريد ان اعود الى هذه العادة

وكانت عادة اللعب قد تمكنت مني وخسرتني اكثر الثروة التي ورثتها من ابي وفي ساعة واحدة عدت الى نفسي واقسمت لاخي يمينًا مغلظة ان لا اعود الى مسك الورق بيدي ابدًا ومرَّت خمس سنوات وانا مبرّ بقسمي فانقطعت الى اعمالي واطياني والبحث ووجدت فيها اكبر مسلٍ لي وبالاجتهاد والاقتصاد استرددت ما خسرتهُ وزدت عليهِ ولكن لما دعاني الدكتور عبد الله لمشاركتهم في اللعب شعرت بدافع يدفعني الى ذلك لا استطيع مقاومتهُ لكنني قلت في نفسي انهُ لم يبقَ في الامكان ان اتعلق على اللعب بعد ان تمكنت من تركهِ خمس سنوات لاسيما واني مشغول بمشاغل كثيرة فالجمعية السرية تشغل بالي دائمًا وصورة نزهة لا تفارق ذهني وهبوط اسعار الاملاك اوقع خللاً كبيرًا في ميزانيتي فصرت اخاف من هبوط الاجور اجور الاملاك واجور الاطيان فاخسر خسارة كبيرة. وجلس صديقي حالاً مقابلتي على مائدة اللعب ولما قطع الدكتور عبد الله الورق اعطاني منهُ والظاهر ان مشاغلي الكثيرة اضعفت عزيمتي فمسكت الورق غير محاذرٍ ولعبنا نصف ساعة ربحت فيها نحو عشرة جنيهات ثم قمنا للعشاء ورأيت ونحن على العشاء بعض الذين كنت اعلم انهم من الجمعية السرية فسقت الحديث معهم الى احوال مصر السياسيَّة وغصنا في الموضوع حتى لم اعد ابالي بالرجوع الى مائدة اللعب . وجاءني الدكتور عبد الله يقول اتكسب فلوسنا وتهرب فقلت لهُ هاك فلوسك واخرجت العشرة الجنيهات من جيبي ودفعتها اليهِ فقال الفلوس ليست لي لاني انا لم اخسرها بل خسرها غيري فقلت لهُ اعذرني الليلة على كل حال لاني مشغول مع اخواني هنا بامر آخر فتبسم وتركنا

وتبيّن لي من الحديث مع هؤلاء الرجال وكانوا اربعة انهم قد عقدوا النيّة على مناوأة المحتلين بكل واسطة ممكنة وانهم واثقون بالفوز عليهم لان احرار الانكليز يشدّون ازرهم وقال لي واحد منهم سمعت الاستاذ فلاناً يقول ان رأيك مثل رأينا من جهة السعي وراء الاستقلال ولو كنتَ مخالفاً لنا في اسلوب هذا السعي

فقلت ومَن لا يريد الاستقلال لبلادهِ ولكن اذا اردنا الاستقلال وجب ان نسير اليهِ في طريقهِ لا في الطريق التي تؤدّي الى ضدهِ

فقال هل سمعت او عرفت ان امّة نالت استقلالها بالمسالمة

فقلت نعم هذه امة الترنسفال نالت استقلالها بالمسالة

فضحك وقال كلاَّ ثم كلاَّ بل نالتهُ بعد حرب شيبت الاطفال ـــ ولم تعطها الحكومة الانكليزية استقلالها الاَّ خوفاً من استمرار هذه الحرب ولو خفيةً اي بالمباغضة والمشاكسة ولقد احسنت صنعاً لان نتيجة ذلك كانت نزع الاحقاد من النفس. حتى استراليا وسكانها من الشعب الانكليزي نفسهِ لم ترضَ بغير الاستقلال ولم تنلهُ الاَّ وانكلترا مغلولة اليدين بحرب الترنسفال

واستمرَّ معنا الكلام الى الساعة الحادية عشرة وقد انسوا بي وكاد واحد منهم يدعوني الى الاشتراك معهم ولكنني شعرت كأن رفيقهُ الذي كان جالساً الى جانبهِ داس على قدمهِ فانتبه الى نفسهِ

وكان اليوم التالي يوم جمعة فزارني صائب بك ومعهُ الاستاذ الذي كشف لهُ سر الجمعية السريَّة. زاراني قبيل الظهر فتكلمنا في مواضيع مختلفة ودعوتهما للغداء معي فاجابا دعوتي فاكلنا وشربنا واستطاب الاستاذ ما عندي من الشراب فافرط فيهِ حتى غاب عن الصواب وجعل صائب بك يسألهُ عن الجمعيَّة السرية وهو يجيب بكل صراحة وسرد اسماء اعضائها وخلاصة اعمالها واخبرنا عن فروعها في الاقاليم المصرية وفي السودان ايضاً. والظاهر ان الذهول استحكم منهُ هذه المرّة فكشف لنا اموراً تقشعرُّ منها الابدان واخبرنا ان الجمعية انقسمت منذ شهرين الى جمعيتين ظاهرية وباطنية والباطنيَّة اعضاؤُها من الاخصاء وهو معهم وذلك اني انكرت عليهِ ان تكون مقاصدها كما قال لان لي اصدقاء بين اعضائها مثل فلان وفلان ويستحيل عليهم ان يوافقوها على اعمال جهنميَّة مثل هذه فاباح لنا حينئذٍ بما لم يبح بهِ قبلاً وهو ان الجمعية قسمان وهؤُلاء من القسم الظاهر فقط ولا علم لهم بما يجري في القسم الباطن ولا يختار احد للقسم الباطن الاَّ بعد الوثوق التام من اخلاصهِ وتفانيهِ

في افتداء الوطن وقال ان الجمعيات الفرعية مقسومة كذلك ودفتر القسم الباطن في خزنة الحديد ولها مفتاحان احدهما مع الرئيس والآخر مع الصرّاف

فسألتهُ عن الميعاد المحدَّد للعمل فقال بعد اربعة اسابيع تماماً فتضرم نار الثورة في البلاد كلها في يوم واحد وفي ساعة واحدة و يستولي القائمون بها على مخازن الاسلحة والميرة في مصر والسودان و يقوم حينئذٍ متطرفو الاحرار على حكومتهم و يلجئونها الى ترك البلاد

ثم جاشت نفسهُ واخذ يتقيأ وجاء الخادم واعتنى بهِ الى ان فرغ من الاستفراغ فنظر اليَّ مدهوشاً واخذ يعتذر عمَّا بدا منهُ فطيبت خاطرهُ وكنت اشعر كمن ارتكب جناية كبيرة لاني اغتنمت فرصة سكرهِ لاقف على اسرارهِ ولكن المسألة هامَّة عامَّة تضيع فيها المصالح الخصوصيَّة ولا يجوز ان احجم عن اكتشاف خبر مثل هذا اذا كان اكتشافهُ لا يتأتى الاَّ على صورة تؤلم نفسي .

وبعد قليل ودعني صائب بك والاستاذ وعاد صائب بك اليَّ بعد ساعة من الزمان وسألني عمَّا عوَّلت عليهِ فقلت لا اعلم ولم اكن اعلم ما يجب ان افعلهُ حينئذٍ

وقصدت لورد هارفي قبيل المساء واطلعتهُ على كل ما علمتهُ من التدابير المدبَّرة وعلى فروع الجمعية في الاقاليم والسودان فاكبر الامر جدًّا وقال انظر الى هؤلاء الناس كيف يحرشوننا ليخرجونا ونحن امبراطوريتنا واسعة وكدنا نضيق بها ذرعاً ولكن الماليين يودون ان نضم مصر اليها ايضاً و يغرون هؤلاء الناس بما يوجب علينا ذلك وهذا امر لا نسعى اليهِ ولا نريدهُ. وبعد حديث طويل واخذ وعطاء قام الى التلفون واستدعى قائد جيش الاحتلال فنهضت لاودعهُ فودَّعني وقال شرّفني في الغد لننظر في المسألة ثانيةً

واتيت من بيتهِ ماشياً ومررت على نادي الاطباء فرأيت من نفسي دافعاً يدفعني الى دخولهِ فدخلتهُ بحجة ان ارى بعض اعضاء الجمعية السرية من قسمها الباطن لعلي اقف على شيء منهم او لعلي انذرهم بسوء المصير ولم اكد ادخل حتى رأيت الدكتور عبد الله وبعض رفاقهِ الذين لعبوا معي في النوبة الماضية فاستدعوني الى اللعب معهم وقال لي بعضهم انهُ ليس من اللياقة ان اكسب منهم واهرب فجلست معهم وتناولت الورق. جلسْت قبيل الساعة السابعة ومرَّت السابعة والثامنة والتاسعة وتعشيت معهم وعدنا الى اللعب ومرَّت ساعة بعد ساعة وانا اكسب منهم والذهب يتكوَّم امامي وانا اعزم ساعةً بعد اخرى ان اردَّ اليهم كل ما كسبتهُ منهم ثم قلت في نفسي اني انتظر الى ان ينقلب الزهر ضدي فاقوم واترك اللعب وارد اليهم كل ما كسبتهُ منهم ولما صار امامي نحو الف جنيه طلب واحد منهم ان يأخذ

البنك فاخذهُ مني فابتدأتُ اخسر فنهضت وكنا قد بلغنا الساعة الثانية بعد نصف الليل وقلت لهم انظروا كم خسر كلٌّ منكم فانا ارد اليهِ ما كسبتهُ منهُ . فقال الدكتور عبد الله هذا امر لا نقبلهُ ابدًا وما دام الزهر قد دار فاصبر حتى تخسر ما كسبتهُ . رأيتهُ يكلمني ويغمز الباقين بعينيهِ فاغتظت منهُ وجلست ولا ادري هل سحروني او استهووني او فعل بي نيكوتين التبغ المنعقد فوق رأسي تخدُّر اعصابي حتى فقدت الشعور

مضى الليل وطلع النهار ونحن جلوس حول مائدة اللعب . وجاءنا الخادم بقليل من اللبن والقهوة ومرَّت ساعة بعد ساعة ونحن جلوس لا حديث ولا كلام غير الفاظ الشتائم للورق الى ان صارت الساعة الثانية بعد الظهر فاتى الخادم كلاً منا بقليل من الخبز واللحم فابطلنا اللعب نصف ساعة وقمت لاستنشق الهواء فكدت اقع مغمًى عليَّ وكنت قد خسرت خسارة باهظة وقام في نفسي ان لا بدَّ من الانتظار الى ان يدور الزهر فاسترد ما خسرتهُ واترك اللعب بتاتًا وكانت قوى جسمي قد خارت من السهر والجوع والقلق فخارت معها قوى عقلي ونفسي . وعدنا الى مائدة اللعب ورفاقي يكسبون الواحد بعد الآخر وانا اخسر وهم سكوت وانا لا اتنازل الى التذمُّر وكتبت لهم التحويل بعد التحويل الى ان مضى الليل التالي كلهُ وكادت الشمس تشرق فنهض الدكتور ابرهيم وامسك بيدي وقادني الى امام المرآة وقال انظر الى وجهك فهل تريد ان تقتل نفسك وتقتلنا معك . خسرت خسرت وهذا نصيبك ولكن حرام عليك ان تموت وتموتنا معك لكي تسترد خسارتك

فنظرت الى المرآة ولو لم ارهُ واقفًا الى جانبي وممسكًا بيدي لما صدقت ان الصورة التي كنت اراها هي صورتي وقد كلح وجهي وتقطَّب جبيني وغارت عيناي . وخطر ببالي حينئذٍ ان التحاويل التي اعطيتهم اياها لا بدَّ من ان تُقدَّم الى البنك في ذلك اليوم وليس لي فيهِ ما يقوم بايفائها ولا بايفاء ربعها فضاقت الدنيا في وجهي واظلم النور في عيني والتفتُّ اليهِ وقلت لهُ ارجو من فضلك ان لا تقدموا التحاويل الى البنك اليوم بل تتركوها الى الغد وارجو ان تخبروني بمجموعها فعاد اليهم وجمعوا قيمتها واخبروني فاصطكَّت ركبتاي وقلت اذًا امهلوني ثلاثة ايام وقمت لامشي فلم استطع فسندني اثنان منهم واستدعوا مركبة اركبوني فيها وركب معي الدكتور عبد الله واوصلني الى بيتي وكان خادمي جالسًا في انتظاري ومستغربًا غيابي فلما رآني داخلاً على تلك الحالة والجرَّاح معي لم يشك في اني أُصبت بنازلة . واي نازلة فسرت الى سريري وانطرحت عليهِ واوصى الدكتور عبد الله خادمي ان يسقيني قليلاً من اللبن والكنياك وخرج

اين آمالي. اين مستقبلي . اين العمل السياسي الكبير الذي اؤتمنت عليه لانقذ بلاداً برمتها من الخراب والدمار . اين محبتي لنزهة وعزمي على مكاشفتها بذلك اين آمال اهلي بي . ذهب كل ذلك في ليلة واحدة . ضاعت حياتي . ضاع مستقبلي . يا الهي ما هذه البلية ما هذه المصيبة اين انتِ يا دموع الحزن يا دموع الندامة لتجلي ظلام عينيّ . اين انتِ يا قطرات الدم النقي لتدخلي دماغي وتزيلي صدأ النصب من نفسي اما من صديقٍ اما من رفيق . كيف اسوّي اشغالي مع البنك ومن اين آتي بالنقود لاوفي ما تقيدت بايفائهِ . نعم لم اخسر كل ما املكهُ ولكن ثروتي اطيان وبيوت ومن يشتريها مني في هذه الازمة المالية . لم تفض دموع الحزن من عينيّ من حين وفاة ابي وامي الا الآن لكنها ليست دموع الحزن بل دموع الضيق والغيظ دموع الالم النفسي . هل ارزح تحت هذا الحمل هل انتحر هل اشمت خصومي بي واترك نزهة الدكتور عبد الله خصمي الوحيد . خارت قواي وتولاني سلطان النوم

فتحت عينيّ بعد اربع وعشرين ساعة فرأيت الدكتور يوسف جالساً امامي وحاولت الجلوس فلم استطع ولا عرفت حينئذٍ كم مضى عليّ وانا نائم ولا ما بلغهُ من امري وتبسم وقال لقد شغلت بالنا ولكن الحمد لله على السلامة . فالنوم يرد القوى ولا شيء يقوم مقامهُ ثم نادى الخادم ليأتيني بكاس من اللبن والقهوة ولما شربتها اعتذرت لهُ عن اشغالي بالهُ على هذه الصورة . وقلت لهُ ان لا بدّ لي من النهوض الآن لاني مشغول جداً وطلبت منهُ ان يصف لي شيئاً ينعشني ويقويني فتبسم وقال لي قضي الامر فلا تتعب بالك

فقلت واي امر . فقال مسألتك مع البنك

فاقشعرّ بدني واضطربت في امري ولم ادرِ هل عرف حقيقة ما جرى لي ومن اخبرهُ فقلت لهُ زدني بياناً

فقال ان ذلك اللعين عبد الله قد اخبرنا بخسارتك في نادي الاطباء وعرفنا انها حيلة مدبرة عليك منهُ ومن اولئك اللصوص رفاقهِ فمضى ابي امس الى البنك وكلم المدير واوقف دفع التحاويل

ما غريق تتقاذفهُ الامواج وقد خارت قواهُ وكلّت يداهُ وخدرت رجلاهُ وانقطعت انفاسهُ فودع الحياة واستسلم للقضاء ثم مدت اليهِ يدٌ قوية وانتشلتهُ من غمرات الردى . وما سقيم استيقظ ليلاً فوجد بيتهُ يشتعل وقد امتدت النار الى كل غرفهِ واحاط بهِ اللهب من كل ناحية وكاد الدخان يخنقهُ ثم اختطفهُ رجل بيديهِ وطرحهُ على ملاءة تحملها الرجال

فوصل اليها سالماً . وما مجرم قضي عليهِ بالموت فودعهُ اقاربهُ وخلانهُ ونصبت لهُ المشنقة وعلق فيها وقبل ان تقبض روحهُ جاءهُ العفو من السلطان فانزل سالماً باشد دهشة مني وشكرًا لمن انتشلني من مخالب الخراب والموت . ولم ادرِ كيف اخفي دهشتي واعبّر عن شكري فانتصبت في سريري ومددت يديَّ الى الدكتور يوسف وقبضت على يدهِ ودموع الفرح في عيني وقلت لهُ أفي يقظة انا ام في حلم ماذا جرى لي هل جننت هل سحروني

فقال هي غلطة ومن منا لا يغلط

فقلت واي غلطة أيقضي الانسان على نفسهِ في ليلة واحدة ويهدم كل ما بناهُ في حياتهِ ماذا فعلت وكيف انقدت الى هؤلاء الاشرار . ماذا قال ابوك عني وماذا قالت اختك ولا بدَّ من ان يكون الدكتور عبد الله قد طبَّل وزمر الآن واخبر كل اهل مصر اني خسرت اموالي بالقمار . ياللعار يا للخجل اين اخبئ نفسي ما ذا جرى لي ياد كتور وما ذا اصابني

فاخذ يهون عليَّ مصيبتي واوصاني بملازمة فراشي الى ما بعد الظهر واوصى الخادم والطباخ بنوع الطعام الذي يهيأ لي وخرج وهو يقول ان اباهُ قد دبر امر البنك واني لا اخسر غرشاً واحدًا . وكنت اعلم ان ذلك كلهُ من قبيل التطمين لي لا غير والاَّ فكيف لا ادفع كل غرش تعهدت بدفعهِ وقد ابيت فقيرًا لا املك شيئًا اذا بيعت اطياني واملاكي باسعار ما يعرض للبيع عرضاً . وهل استطيع ان ابدأ الحياة من جديد . وماذا يقول عني لورد هارفي والمستر مكنزي وكل الذين كانوا يثقون بي وكيف اصبح في عيني السيدة نزهة لا بقاء لي في هذه البلاد ولا بدَّ من الرحيل الى اميركا او استراليا او اية بلاد اخرى

وزارني المستر مكنزي بعيد الظهر فاخبره الخادم اني مريض ودخل واخبرني بقدومهِ فامرتهُ ان يدخلهُ اليَّ ثم ندمت على ما فعلت فدخل واعتذر لانهُ لم يعلم بمرضي قبلاً وسألني عن حالي ولما رأيت انهُ لا يدري شيئًا من قصتي اطمأن بالي واخذنا في الحديث وتجنبت الاشارة الى الجمعية السرية على قدر طاقتي لاني شعرت اني لم اعد اهلاً للبحث عنها وتذكرت حينئذ قصة الجرذ الذي فقد قوتهُ لما أُخرجت النقود من جحرهِ فظن المستر ما كنزي اني خائر القوى من شدة المرض فلم يطل زيارتهُ ولا اخبرني بما صمموا عليهِ

لما كنت مستغرقاً في نومي بعد ذينك اليومين العبوسين اللذين فقدت بهما ما املكهُ كان الدكتور عبد الله جالساً في بيت ابرهيم بك ينفث سموم نميمتهِ ادخل اسمي في الحديث عرَضاً كما اخبرني رياض . ثم قال لم اكن اظن انهُ مولع باللعب الى هذا الحد فقد بقي يومين وليلتين جالساً على مائدة القمار حتى خسر كل ما يملكهُ نحو اربعين الف جنيه واذا

عُرضت اطيانهُ وعقاراتهُ للبيع لا اظن انها تباع بهذا الثمن وانا اشفق عليهِ ولولاي لبقي يلعب الى الآن وانا آسف جدًّا لاني كنت اودهُ واحسب انهُ من العقلاء ولكن القمار يتغلَّب على اكبر العقول فقد قرأت عن بعض وزراء انكلترا انهم ماتوا في فاقة شديدة من المقامرة

فقالت لهُ السيدة نزهة ومتى كان ذلك . فقال لها امس واول امس واضطررت اخيرًا ان انهضهُ بنفسي واضعهُ في مركبة وامضي بهِ الى بيتهِ ولولاي لقتل نفسهُ وانا اخاف الآن ان امضي واسأل عنهُ لئلا يكون قد انتحر حقيقةً . لا تستعملي احدًا ياستي نزهة ولا تخافي الأَّ من النهر الهادىء . انا اعرف هذا الرجل منذ سنين كثيرة وكان يقامر وقد خسر كل ما ورثهُ من ابيهِ ثم خدمة السعد ولمَّ حالهُ وعاد الآن فخسر في ليلة واحدة كل ما يملكهُ . الله يستر عليهِ . انا ارى في وجهك انكِ انتِ ايضًا متأسفة عليهِ . فقالت لهُ ما ادرانا ماذا جرى واصفرَّ وجهها وكأَنها خافت ان يغمى عليها فقامت وخرجت

قال رياض وتبعتُها الى غرفتها فقالت لي اطرد هذا اللعين من هنا فانهُ هو السبب في خراب صديقنا فلان وانا اراهن على ذلك. ورأيت الدموع في عينيها فقلت لها قومي واغسلي وجهك ثم عدت الى الدكتور عبد الله لاني تركتهُ وحدهُ فقال لي ما لها فقلت لا شيءَ ثم جلست صامتًا فسألني عن ابي واخويَّ فقلت لهُ لا اعلم الى اين ذهبوا وكأَنهُ شعر اني مستثقل زيارتهُ فنهض وودعني ومضى

هذا ما اخبرني بهِ رياض بعد حدوثهِ باشهر ولم استغربهُ لانني كنت اتوقعهُ من الدكتور عبد الله بعد ان رأيتُ منهُ ما رأيت

الفصل العشرون

الفراق

لما رأى الدكتور عبد الله ورفاقهُ ان البنك ابى دفع التحاويل واشرَّ عليها بالرفض قدموها الى المحكمة ورفعوا عليَّ قضايا طالبين مني قيمتها وتبرع امين افندي بالدفاع عني على غير رغبتي وحضر الى المحكمة وطلب المرافعة فاجَّلتها المحكمة الى ما بعد الاجازات على جاري عادتها لان قضاتنا حرسهم الله يشكون دوامًا من كثرة القضايا فيقضون الوقت في تأجيلها ومتى جاء الحر خافوا ان يذيب ادمغتهم فهجروا البلاد الى ربوع اوربا . وقد بقيت في تلك الجلسة الى آخرها لارى مقدار شغلهم فوجدت انهم حضروا بين الساعة التاسعة والعاشرة مع ان القانون يقضي بحضورهم الساعة الثامنة . ثم خرجوا بين الساعة العاشرة والحادية عشرة

للراحة كأنهم تعبوا من الجلوس ساعة واحدة . والراحة خمس دقائق ولكنها دامت اكثر من نصف ساعة وعادوا الى الجلسة فنظروا في قضيتين لا غير وانتهت الجلسة ولم يقيموا في كراسي القضاء اكثر من ساعتين

وكنت اود ان ادفع قيمة التحاويل لاصحابها ولو استغرقت كل ما املكه ولا يذكر اسمي معلقاً بلعب القمار لكن امين افندي منعني من ذلك وقال لي اخطأت بلعبك والاعتراف بالخطإ اشرف من اخفائهِ واما هم فخدعوك ولا حق لهم بقرش مما كسبوهُ منك وعندي احكام كثيرة حكمت بها المحكمة بفساد هذا المكسب فعلى مَ تضر نفسك لكي تمتعهم بنتيجة خداعهم وعندي دليل مقنع على انهم غشوك . وبمثل هذا الكلام اقنعني حتى رضيت بالمقاضاة ولكنني لم اكن اتوقع ان يحكم لي

وكأن السيدة نزهة رأت صغر نفسي فعطفت عليَّ اكثر من عادتها لكي لا احسب انها ابتعدت عني بعد ارتكابي هذا الخطأ . وكنت قد صممت على مغادرة القطر المصري والذهاب الى اميركا او استراليا هرباً من العار فذكرت ذلك امامها عرضاً وقلت لها ان لي صديقاً في استراليا ذهب اليها وهو لا يملك شيئاً وصار الآن على ثروة طائلة من تربية الغنم وارسال لحمها الى اوربا وقد كتب اليَّ مراراً يدعوني اليهِ والمرجح انني البي دعوتهُ الآن واصير راعياً للغنم

فتبسمت وقالت طالما قرأت عن استراليا ووددت الذهاب اليها افلا تأخذني معك

فقلت يا حبذا واكون في خدمتك

فقالت وارعى لك الغنم مثل الراعيات المذكورات في خرافات اليونان فاسدل شعري والبس وشاحاً ساذجاً ولكنني لا احسن اللعب على الصفارة مثلهنَّ . ما اجمل عيشة البداوة بعيداً من شرور الحضارة ومفاسدها . ولكن ألا تذهب معنا اولاً الى اوربا فقد صممنا امس على الذهاب اليها بعد اسبوعين . اتانا كتاب من السر هنري مكدن يدعونا كلنا الى الذهاب اليهم وقضاء شهر من الزمان في مصيفهم وطلب منا ان نخبرك بذلك وندعوك للذهاب معنا فلنذهب الى هناك اولاً ثم نعود الى هنا ونسافر الى استراليا

فقلت لها انتِ تمزحين فلا يحسن بمثلي الذهاب الى النزهة بعد ان اصابني ما اصابني

فقالت يا سلام اخارت عزائمك من هذه الخسارة الطفيفة

فقلت لها اني مسرور لانكِ لا تعلمين مقدارها

فقالت هب انك خسرت كل ما تملكه بل قد بلغني انك خسرت كل ما تملكه حقيقة فهل نسيت ما يقول الشاعر " ما الفخر بالمال ان الفخر بالرجلِ "

المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد الثالث والثلاثين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٧ شوال سنة ١٣٢٦

دولة آل عثمان

سألنا غير واحد من قرّاء المقتطف ان ننشر لهم تاريخاً مختصرًا لدولة آل عثمان نلمّ فيه بالامور الرئيسة في تاريخهم من حين منشإهم الى الآن مما يمكن ادماجه في مقالة او بضع مقالات فرأينا ان اجابة طلبهم قد صارت الآن في حيز الامكان بعد ان استتبّت الحرية للمطبوعات في الممالك العثمانيّة وسنقتصر على ذكر الاخبار والحوادث بعد تمحيصها معتمدين على بعض التواريخ الموثوق بها

لما ضعف شأن الممالك الاسلامية في اواسط القرن الثالث عشر قبل قيام صلاح الدين الايوبي وجعلت قبائل التركمان تهاجر من تركستان غربًا هربا من وجه المغول وطمعا بالاستيلاء على ما ضعف شأنهُ من بلاد الاتراك السلاجقة هاجر امير من امرائهم اسمهُ سليمان شاه ومعهُ نحو خمسين الفا من التركمان وكان ذلك حوالي سنة ١٢٢٤ للميلاد او ٦٢١ للهجرة فوصل الى حلب بطريق اذربيجان ثم اراد العودة الى بلادهِ فغرق في الفرات ودفن في جوار قلعة جعبر ويسمَّى المكان الذي دفن فيهِ ترك مزاري اي مزار الترك فرجع اثنان من اولادهِ الى بلادهم بكثير من رجالهِ وكان لهُ ولد آخر اسمهُ ارطغرل فسار باربع مئة فارس من عشيرتهِ الى جهة الاناضول ويقال انهُ رأى في طريقهِ جنود السلطان علاء الدين السلجوقي صاحب قونية تقاتل التتار فانضمَّ اليهم وقاتل معهم فانهزم التتار من وجههم فسرَّ السلطان علاء الدين بهِ واقطعهُ بلادًا خصيبة على تخوم بلاد الروم وهناك ولد لهُ ولدهُ ثمان او عثمان الذي سميت منهُ الدولة العثمانية والامة العثمانيَّة وكانت ولادتهُ سنة ١٢٥٨

وتوفي ارطغرل سنة ١٢٨١ وخلفهُ ولدهُ عثمان فحارب الروم واخذ منهم بلادًا كثيرة

فسرَّ بهِ سلطان السلاجقة وارسل اليهِ لواء ابيض اعلاماً بامارتهِ ولقبهُ عثمان الغازي

وانقرضت الدولة السلجوقية في اول القرن الرابع عشر فانقسمت بلادها الى عشر امارات وكانت امارة عثمان واحدة منها فاستقلَّ فيها وضرب السكة باسمهِ وتابع الغارات على حدود مملكة الروم واستولى على برصى ونيقوميدية ونيقية . وخلفهُ ابنهُ أُرخان الغازي سنة ١٣٢٦ وجعل برصى عاصمة مملكتهِ وقلَّد اخاهُ علاء الدين باشا منصب الوزارة وارسل ولدهُ الاكبر سليمان باشا الى الروملي فاستولى على غاليبولي وأُطلق على رجالهِ اسم العثمانيين نسبة الى والدهِ عثمان الاول . والسلطان ارخان هو اول مَن نظم مملكة آل عثمان في غربي اسيا واقطع قواد جيشهِ الاقطاعات . وقسم بلادهُ اولاً الى سنجقين ثم الى ثلاثة لكي يعبيء كل سنجق جيشاً للذود عن البلاد

واقتصر ارطغرل وعثمان الاول على استخدام فرسان الاتراك وكانا يجمعان المشاة وقت الحاجة اليهم لاجل الحصار ومناوشة الاعداء ثم يصرفانهم وقت الاستغناء عنهم فرأى السلطان ارخان ان ذلك غير وافٍ بالغرض فنظم جيوش المشاة او البيادة وقطع لهم الرواتب وقسمهم الى عشرات ومئات والوف جارياً في ذلك مجرى الروم في تنظيم جنودهم وكانوا اولاً من اولاد الاتراك ثم ابدلهم باولاد الروم بمشورة الوزير قره خليل لكي لا يكون لهم عصبيَّة فكثر عددهم حالاً لان النصارى رأوا ان لا ناصر لهم من ملوك الروم وكانوا يكرهون اللاتين فاختاروا خدمة الاتراك وجعل ابناؤُهم يتطوعون للخدمة في الجيش العثماني من تلقاء انفسهم او باشارة والديهم . والبسهم الحاج بكطاش واضع الطريقة البكطاشية قبعات من الجلد وسماهم بالانكشارية وهي بالتركية يكي چاري اي الجيش الجديد

ونظم السلطان ارخان فرقاً من الفرسان اضافهم الى الانكشاريَّة وقسموا اولاً الى قسمين الصباحية او الفرسان والسلحداريَّة او المناوشة وهم ايضاً من اولاد النصارى واسرائهم . ولم يكن السلطان ارخان اكبر اولاد السلطان عثمان بل كان اخوهُ علاء الدين اكبر منهُ لكن علاء الدين كان من رجال العلم فلا يصلح لامتشاق الحسام وتوسيع نطاق الملك كاخيهِ ارخان ولذلك اوصى عثمان بالملك لارخان وبتدبيرهِ لعلاء الدين فجعلهُ وزيراً لاخيهِ وبذلك ابطل نظام الوراثة للبكر من الاولاد

ولما كان نجم الدولة العثمانية آخذاً في الاشراق وعلمها في الانتشار كان الصقالبة قد اخذوا في الاعتداء على حدود مملكة الروم من جهة الشرق واستولى ملك السرب على شبه جزيرة البلقان وجعل همهُ حماية البسفور من آل عثمان فاستمان ملك الروم بالعثمانيين

عليهِ فغلبوا السرب سنة ١٣٥٣ وخرج رؤساء السرب والالبانيين على ملك الروم فاستعان بالسلطان ارخان سنة ١٣٥٦ فارسل ابنهُ سليمان لنجدتهِ فعبر البحر على الارماث بثمانين من جنودهِ وامر بعض الزوارق وعبر بها جيشهُ واستولى على غاليبولي في السنة التالية كما تقدم وكان ذلك بداءة فتح العثمانيين في اوربا فافتداها الامبراطور يوحنا السادس بابنتهِ اعطاها زوجةً لارخان ومات الامير سليمان في زمن ابيهِ ودفن في ساحل اوربا فخلفهُ في ولاية العهد اخوهُ مراد وتوفي السلطان ارخان سنة ١٢٦٠ ودفن في مدينة برصى

وزار الشيخ شرف الدين ابن بطوطة الرحالة المشهورة مدينة برصى في عهد السلطان ارخان ووصف ممالك الاتراك واحوالهم المعاشية وصفاً نرى في ايرادهِ اكبر فائدة للباحثين في تاريخ المملكة العثمانية قال في وصف السلطان ارخان " هو السلطان اختيار الدين ارخان بك ابن السلطان عثمان جوق وتفسيرهُ بالتركية الصغير . وهذا السلطان اكبر ملوك التركمان واكثرهم مالاً و بلاداً وعسكرًا لهُ من الحصون ما يقارب مئة حصن وهو في اكثر اوقاتهِ لا يزال يطوف عليها و يقيم بكل حصن منها اياماً لاصلاح شؤونهِ وتفقد حالهِ ويقال انهُ لم يقم قط شهرًا كاملاً ببلد ويقاتل الكفار ويحاصرهم ووالدهُ هو الذي استفتح مدينة برصى من ايدي الروم وقبرهُ بمسجدها وكان مسجدها كنيسة للنصارى و يقال انهُ حاصر مدينة يزنيك نحو عشرين سنة ومات قبل فتحها فحاصرها ولدهُ هذا الذي ذكرناهُ اثنتي عشرة سنة وافتتحها وبها كان لقائي لهُ وبعث اليَّ بدراهم كثيرة "

وفي رحلة ابن بطوطة امور كثيرة نشير اليها استطرادًا لعلاقتها بتاريخ آل عثمان من ذلك انهُ كان ينزل غالباً في زوايا الاخية وهو مرتحل في تلك البلاد وهم دراويش كالرهبان يكرمون الضيف ويقومون على خدمتهِ . قال في كلامهِ على مدينة بولي " ودخلنا المدينة فقصدنا زاوية احد الفتيان الاخية ومن عوائدهم انهم لا تزال النار موقدة في زواياهم ايام الشتاء ابدًا يجعلون في كل ركن من اركان الزاوية موقدًا للنار و يصنعون لها منافس يصعد منها الدخان ولا يؤذي الزاوية ويسمونها البخاري واحدها بخيريّ . قال ابن جزى وقد احسن صفي الدين ابن العزيز بن سرايا الحلي في قولهِ في التورية وتذكرتهِ بذكر البخيري

ان البخيريَّ مذ فارقتموهُ غدا   يحثو الرماد على كانونهِ الترب
لو شئتمُ انهُ يمسي ابا لهبٍ   جاءت بغالكم حمالة الحطبِ

فلما دخلنا الزاوية وجدنا النار موقدة فنزعت ثيابي ولبست ثياباً سواها واصطليت بالنار

واقى الاخي بالطعام والفاكهة واكثر من ذلك فللهِ درهم من طائفة ما اكرم نفوسهم واشد ايثارهم واعظم شفقتهم على الغريب والطفهم بالوارد واحبهم فيهِ واجملهم احتفالاً بامرهِ فليس قدوم الانسان الغريب عليهم الا كقدومهِ على احب اهله اليهِ . وبتنا تلك الليلة بحالة رضية ثم رحلنا بالغداة فوصلنا الى مدينة كردي بولي وهي مدينة كبيرة في بسيط من الارض حسنة متسعة الشوارع والاسواق من اشد البلاد برداً وهي محلات متفرقة كل محلة تسكنها طائفة لا يخالطهم غيرهم وسلطانها السلطان شاه بك من متوسطي سلاطين هذه البلاد حسن الصورة والسيرة جميل الخلق قليل العطاء . صلينا بهذه المدينة صلاة الجمعة ونزلنا بزاوية منها ولقيت بها الخطيب الفقيه شمس الدين الدمشقي الحنبلي وهو من مستوطنيها منذ سنين ولهُ بها اولاد وهو فقيه هذا السلطان وخطيبهُ ومسموع الكلام عندهُ ودخل علينا هذا الفقيه بالزاوية فاعلمنا ان السلطان قد جاء لزيارتنا فشكرتهُ على فعلهِ واستقبلتُ السلطان فسلمتُ عليهِ وجلس فسألني عن حالي وعن مقدمي وعمن لقيتهُ من السلاطين فاخبرتهُ بذلك كلهِ واقام ساعةً ثم انصرف وبعث بدابة مسرجة وكسوة . وانصرفنا الى مدينة برلو وهي مدينة صغيرة على تل تحتها خندق ولها قلعة باعلى شاهق نزلنا منها بمدرسة فيها حسنة وكان الحاج الذي سافر معنا (وهو الذي كان يترجم لابن بطوطة) يعرف مدرّسها وطلبتها ويحضر معهم الدرس وهو على علاتهِ من الطلبة حنفي المذهب ودعانا امير هذه البلدة وهو علي بك ابن السلطان المكرم سليمان بادشاه ملك قصطمونية وسنذكرهُ فصعدنا اليهِ الى القلعة فسلمنا عليهِ فرحّب بنا واكرمنا وسألني عن اسفاري وحالي فاجبتهُ عن ذلك واجلسني الى جانبهِ وحضر قاضيهِ وكاتبهُ الحاج علاء الدين محمد وهو من كبار الكتّاب وحضر الطعام فاكلنا ثم قرأ القراء باصوات مبكية والحان عجيبة وانصرفنا وسافرنا بالغد الى مدينة قصطمونية وهي من اعظم المدن واحسنها كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار

ثم ذكر سلطانها فقال

هو السلطان المكرم سليمان بادشاه وهو كبير السن ينيف على سبعين سنة حسن الوجه طويل اللحية صاحب وقار وهيبة يجالسهُ الفقهاء والعلماء دخلت عليهِ بمجلسهِ فاجلسني الى جانبهِ وسألني عن حالي ومقدمي وعن الحرمين الشريفين ومصر والشام فاجبتهُ وامر بانزالي على قرب منهُ واعطاني ذلك اليوم فرساً عتيقاً قرطامي اللون وكسوة وعيّن لي نفقةً وعلفاً وامر لي بعد ذلك بقمح وشعير

وسافر من هناك بحراً قاصداً بلاد القرم ودخل مدناً كثيرة من مدن الترك وقال انهُ

رأى في قيسارية مدينة الماجر يهوديًا سلّم عليهِ بالعربي فسألهُ عن بلادهِ فذكر انهُ من بلاد الاندلس وانهُ اتى على طريق القسطنطينيّة العظمى و بلاد الروم وبلاد الجركس وذكر ان عهدهُ بالاندلس منذ اربعة اشهر

ثم قال ورأيت بهذه البلاد عجبًا من تعظيم النساء عندهم وهنّ اعلى شأنًا من الرجال — فاما نساء الامراء فكانت اول رؤيتي لهنّ عند خروجي من القرم رؤية الخاتون زوجة الامير سلطية في عربة لها وكلها مجللة بالملف الازرق الطيب وطيقان البيت مفتوحة و بين يديها اربع جوارٍ فائقات الحسن بديعات اللباس وخلفها جملة من العربات فيها جوار يتبعنها ولما قربت من منزل الامير نزلت عن العربة الى الارض ونزل معها نحو ثلاثين من الجواري يرفعنَ اذيالها ولاثوابها عرًى تأخذ كل جارية بعروة و يرفعنَ الاذيال عن الارض من كل جانب ومشت كذلك متبخترة فلما وصلت الى الامير قام اليها وسلم عليها واجلسها الى جانبهِ ودار بها جواريها وعلى هذا الترتيب نساء الامراء واما نساء الباعة والسوقة فرأيتهنّ واحداهنّ تكون في العربة والخيل تجرها وبين يديها الثلاث والاربع من الجواري يرفعنَ اذيالها وفوق رأسها البغطاق وهو اقروف مرصع بالجوهر وفي اعلاهُ ريش الطواويس وتكون طيقان البيت مفتحة وهي بادية الوجه لان نساء الاتراك لا يحتجبنَ . وتأتي احداهنّ على هذا الترتيب ومعها عبيدها بالغنم واللبن فتبيعهُ وربما كان مع المرأة منهنّ زوجها فيظنهُ من يراهُ بعض خدامها

ثم ذكر سلطان تلك البلاد وقال " ان اسمهُ محمد اوزبك خان ومعنى خان عندهم السلطان . وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشان رفيع المكان قاهر لاعداء الله اهل قسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم وبلادهُ متسعة ومدنهُ كثيرة منها الكفا والقرم والماجر وازاق وسرداق وخوارزم وحاضرتهُ امرا وهو احد الملوك السبعة الذين هم كبراء ملوك الدنيا وعظماؤها وهم مولانا امير المؤمنين ظل الله في ارضهِ امام الطائفة المنصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة ايد الله امرهُ واعز نصرهُ وسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان اوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين

" ومن عادة هذا السلطان ان يجلس يوم الجمعة بعد الصلاة في قبة تسمى قبة الذهب مزينة بديعة وهي من قضبان خشب مكسو بصفائح الذهب في وسطها سرير من خشب مكسو بصفائح الفضة المذهبة وقوائمهُ فضة خالصة ورؤوسها مرصعة بالجواهر و يقعد السلطان على

السرير وعلى يمينهِ الخاتون طيطغلي وتليها الخاتون كبوك وعلى يسارهِ الخاتون بيلون وتليها الخاتون اردجي ويقف اسفل السرير عن اليمين ولد السلطان تين بك وعن الشمال ولدهُ الثاني جان بك وتجلس بين يديهِ ابنتهُ ابت كجك واذا اتت احدى نسائهِ قام لها السلطان واخذ بيدها حتى تصعد على السرير واما طيطغلي وهي الملكة واحظاهنَّ عندهُ فانهُ يستقبلها الى باب القبة فيسلم عليها ويأخذ بيدها فاذا صعدت على السرير وجلست حينئذٍ يجلس السلطان وهذا كلهُ على اعين الناس دون احتجاب ويأتي بعد ذلك كبار الامراء فتنصب لهم كراسيهم على اليمين والشمال "

ووصف هؤلاء الزوجات واحدة واحدة وقال في وصف الثالثة واسمها بيلون انها بنت ملك القسطنطينية العظمى السلطان تكفور وانهُ زارها فرآها قاعدة على سرير مرصع وبين يديها نحو مئة جارية روميات وتركيات ونوبيات والحجَّاب بين يديها من رجال الروم فسألت عن حاله ومقدمهِ وبعد وطنهِ وامرت بالطعام فحضر واكل بين يديها. قال "ولما اردنا الانصراف قالت لا تنقطعوا عنا وترددوا الينا وطالعونا بحوائجكم واظهرت مكارم الاخلاق وبعثت في اثرنا بطعام وخبز كثير وسمن وغنم ودراهم وكسوة وثلاثة من جياد الخيل وعشرة من سائرها ومع هذه الخاتون كان سفري الى القسطنطينية العظمى كما نذكرهُ بعد "

وكان سفر ابن بطوطة الى بلاد الترك وبلاد الروم سنة ٧٣٢ للهجرة او سنة ١٣٣١ للميلاد اي في السنة السادسة من ولاية السلطان ارخان فما رآهُ بعينهِ ووصفهُ في رحلتهِ يصح الاعتماد عليهِ كاصدق وصف لتلك البلاد وسكانها في ذلك الحين وقد قال — " ان بلاد الروم احسن اقاليم الدنيا وقد جمع الله فيهِ ما تفرق من المحاسن في البلاد فاهلهُ اجمل الناس صورًا وانظفهم ملابس واطيبهم مطاعم واكثر خلق الله شفقة ولذلك يقال البركة في الشام والشفقة في الروم وانما عني بهِ اهل هذه البلاد وكنا متى نزلنا بهذه البلاد زاوية او دارًا يتفقد احوالنا جيراننا من الرجال والنساء وهنَّ لا يحتجبن فاذا سافرنا عنهم ودعونا كانهم اقاربنا واهلنا وترى النساء باكيات لفراقنا ومن عادتهم في تلك البلاد ان يخبزوا الخبز في يوم واحد من الجمعة يعدون فيه ما يقوتهم سائرها فكان رجالهم يأتون الينا بالخبز الحار في يوم خبزهِ ومعهُ الادام الطيب اطرافًا لنا بذلك ويقولون لنا ان النساء بعثن هذا اليكم وهن يطلبن منكم الدعاء. وجميع اهل هذه البلاد على مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنهُ "

وواضح مما تقدم ان الاتفاق كان تامًّا بين الروم الذين بقوا على النصرانية والروم الذين

دانوا بالاسلام والاتراك الذين نزلوا بلادهم يساكن بعضهم بعضاً ويتزوج بعضهم من بعض لا يفرق الدين بينهم وان العادات الرومية كانت متغلبة الى ذلك العهد فيجلس السلطان على عرشهِ وتجلس زوجتهُ معهُ كما يفعل ملوك اوربا الآن وقد رأى ابن بطوطه ذلك بعينهِ واستغربهُ فخصهُ بالذكر ولكنهُ لم يسخر بهِ مع انهُ كان شديد التنطع كما يظهر من تسميتهِ المسيحيين بالكفار وباعداء الله

وواضح ايضاً مما تقدم ان السلطان ارخان كان حينئذٍ اميرًا من امراء تلك البلاد وليس من اعظمهم لكنهُ عمّر طويلاً فانهُ توفي سنة ١٣٦٠ للميلاد اي بعد نحو ثلاثين سنة من مشاهدة ابن بطوطة لهُ فلا يبعد ان يكون قد فتح بلادًا كثيرة واتسعت مملكتهُ في زمانهِ . وسنأتي على ذكر من خلفهُ من سلاطين آل عثمان واحدًا واحدًا ونتوخى ذكر ما قالهُ عنهم المؤرخون المعاصرون لهم ونقتصر على الامور الكلية

البلغار

حدث في الشهر الماضي ان بلاد البلغار اعلنت استقلالها عن الممالك العثمانية وقد كانت امارة مستقلة في ادارتها ليس للدولة العلية عليها الا السيادة الاسمية . والظاهر انها كانت تطمع في توسيع تخومها فلما رأت ان الشعب العثماني استيقظ ولم يعد في الامكان ان ينال منهُ شيء اكتفت بما لها واعلنت استقلالها لتضع حدًا بينها وبين سائر البلاد العثمانيَّة

وبلاد البلغار بين نهر الدنيوب وجبال البلقان مساحتها ٢٤٦٩٩ ميلاً مربعًا ومساحة الروملي الشرقية المضافة اليها ١٣٨٦١ ميلاً وكان عدد سكانهما منذ ثلاث سنوات اربعة ملايين و ٣٦ الفاً ثلاثة ارباعهم من الروم الارثوذكس والخمس من المسلمين والباقون من الكاثوليك واليهود . وعاصمتها مدينة صوفية سكانها ٨٢٦٢١ نفساً . وقد قدِّر دخل الحكومة هذا العام ١٢٧٢٣٥٧٠٠ فرنكاً ونفقاتها كذلك وتبلغ قيمة صادراتها نحو ١١٥ مليون فرنك وقيمة وارداتها نحو ١٠٨ ملايين فرنك

وكان فيها منذ سنتين ٤٥٨٤ مدرسة ابتدائية فيها من التلامذة مئتان وخمسون الفاً من الصبيان ومئة وخمسون الفاً من البنات وفيها عدا ذلك ٣٨٥ مدرسة عالية تحوي نحو ٢٧ الفاً من الذكور ونحو ١٧ الفاً من الاناث والتعليم فيها الزامي بين السنة الثامنة والثانية عشرة ثم يصير حرًا . ويظهر لنا مما قرأناهُ عنها ومما سمعناهُ من بعض رجالها الذين التقينا

بهم انها جارية في سبيل الارتقاء جريًا حثيثًا بهمَّة شديدة وعزيمة ماضية

وقد كانت هذه البلاد جزءًا من ممالك الدولة العلية ففصلت عنها بمعاهدة برلين سنة ١٨٧٨ بعد الحرب العثمانية الروسية كما سيجيء

واصل سكانها من بلاد الروس نزلوا من ضفاف الفلكا حيث كانت مدينة بلغار عاصمتهم وقطعوا نهر الدانيوب في القرن السادس وتوطنوا في الجانب الشرقي من جزيرة البلقان وغلبوا اهلها الصقالبة الذين سبقوهم اليها ولكنهم اقتبسوا لغتهم وعاداتهم وامتزجوا بهم . وتنصَّر اميرهم سنة ٨٤٦ وحاربوا المجر واليونان في القرن التاسع والعاشر وانتصروا عليهم فبلغوا اوج مجدهم حينئذٍ وتلقب اميرهم بلقب القيصر وكانت مملكتهُ تشمل مكدونية وتساليا والبانيا وابيروس . وسنة ٩٧٦ لقب قيصرهم نفسهُ امبراطور الصقالبة ولكن لم يطل الزمن حتى انفصلت بلغاريا الشرقية عن الغربية وانضمت الى مملكة الروم ثم تبعتها بلغاريا الغربية . وجاهرتا بالعصيان بعد ذلك واستقلتا وعادتا مملكة واحدة تناوئ مملكة الروم وظلت كذلك الى ان دخل العثمانيون اوربا واستولوا على ترنوڤو عاصمة البلغار سنة ١٣٩٣ ومن ثم ضعف شأن البلغاريين ومرَّت السنون وهم يزيدون ضعفًا وانحطاطًا الى ان انشئت المدارس في بلادهم في اواسط القرن الماضي فاستيقظوا من سباتهم . والظاهر ان حكامهم والجنود غير المنظمة التي كانت في بلادهم عاملوهم بالقسوة فحدثت "الفظائع البلغارية" وكلنا يعلم ان الحكومة الماضية كانت تجور على رعاياها وتعاملهم بالعنف والقسوة واذا رفعوا رؤُوسهم لجأَت الى سياسة الحجاج سياسة السيف كما فعلت في بلاد الشام سنة ١٨٦٠ فكانت نتيجة ماحدث في البلغار ان شهرت روسيا الحرب على الدولة العلية بحجة حمايتها لنصارى المشرق وانتهت الحرب بمعاهدة برلين واستقلال البلغار استقلالاً اداريًّا تحت سيادة الباب العالي وابيح للبلغاريين ان ينتخبوا اميرهم فيثبتهُ السلطان بموافقة الدول الاوربيَّة

والامير الحالي الامير فردينند هو اصغر اولاد البرنس اغسطس امير سكس كوبرج وغوثا ولد سنة ١٨٦١ وقد انتخب اميرًا للبلغار سنة ١٨٨٧ ولم تصادق الدولة العلية على انتخابهِ الا سنة ١٨٩٦

والمرجح الآن ان الدولة العلية تعترف باستقلال البلغار ان كانت البلغار تدفع اليها ما يوازي الجزية التي كانت تتقاضاها منها عنها وعن الروملي الشرقية وتدفع اليها ايضًا قيمة السكة الحديديَّة الممتدة في الروملي الشرقية فلا تكون الدولة قد خرجت بصفقة المغبون وانما تكون قد فقدت سيادة اسميَّة لا غير

الاحتفال بالدستور

لقد كان لاعلان الدستور في البلاد العثمانية اعظم وقع في نفوس العثمانيين فعقدوا لهُ حفلات باهرة في بلادهم وفي كل البلدان التي هاجروا اليها تُلي فيها من الخطب والقصائد ما لو جُمع لملأ مجلدات كثيرة . وقد اخترنا من ذلك خطبة وقصيدة رأيناهما من ادل ما انشئ في وصف الحالة الحاضرة . والخطبة وموضوعها " نحن والدستور " لحضرة الاستاذ جبر ضومط من اساتذة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت والقصيدة وموضوعها " وليس يفرقنا دين ولا نسبُ " لعزتلو افندم سعيد بك شقير مدير عموم حسابات السودان

نحن والدستور

كنا منذ بضعة اسابيع بل منذ اقلّ من ذلك يناجي احدنا نفسهُ ولا اقول اصدقاءهُ بسوء ما صرنا اليهِ ويخافُ على نفسهِ مغبةَ تلك المناجاة . يخاف ان يبدو على وجههِ شيء من امارات ما يجول في خاطرهِ فيؤخذ بتبعة ذلك الخاطر ويُساق الى السجن او المنفى . وان كان ممن يؤْبهُ لهُ فربما سيق الى القتل او الكورك ومَن يجسرُ ان يدفعَ او يقولَ رفقاً . وربما كان عقاب الشافع او طالب الرفق اشد من عقاب المتهم

منذ بضعة اسابيع كان كثيرون من اعيان العثمانيين واشدهم محبة واخلاصاً في رفع شأن العثمانية يخاف ان تفلت من صدرهِ زفرةٌ او بابغتهُ تنهُّد فينقل عنهُ خبر تلك الزفرة او ذلك التنهد جاسوس عليهِ من المتظاهرين بصداقتهِ او ممن هم في خدمتهِ بل ربما نقل عنهُ الخبر احد بنيهِ او امرأتهُ وهناك الطامة الكبرى والبليَّة العظمى

منذ بضعة اسابيع ايها السادة كان تألُّم المتألم منا سرًّا على ما وصلت اليهِ العثمانية وعلى ما صار اليهِ العثمانيون ذنباً من اكبر الذنوب وكان احدنا يخاف ان بعض اهل الشرّ والنذالة يدسُّ في بيتهِ او بين كتبهِ كتاباً او بعض وريقاتٍ بصورة كتاب الى احدهم او مقالةٍ لجريدة فكان ذلك يكفي لان يُحسب من اكبر المجرمين والخونة المارقين ولو كان صدرهُ يغلي بحب العثمانية والعثمانيين

وخلاصة ما يقال أنا كنا منذ بضعة اسابيع والظلمة تغشانا والمخاوف تتهدد كل عثماني حرٍّ منا نزيه في نفسهِ صادق في عثمانيتهِ مخلص لامتهِ . واريد بالاخلاص الاخلاص الحقيقيَّ المبنيَّ على العلم والحكمة والامانة لا هذا الاخلاص المدَّعي زوراً المنافق فيهِ بهتاناً

الذي كان كثيرون يضعونهُ على وجوههم السمجة والسنتهم الكاذبة

كنا منذ بضعة اسابيع والصدور ضائقة بما فيها والنفوس واجمة من هول ما ترى من موقفها والعقلاء النزهاء لا يدرون ماذا يصنعون ولا ماذا يقولون وكأَنما أُطبقت عليهم السماء وسدَّت عليهم منها منافذ الرحمة او ضغطت عليهم الارض حتى رضتهم رضًّا فألصقتهم بالتراب او دفعتهم الى مخارم الجبال وبطون الغيران وظلمات الكهوف وقد حصرت صدورهم وساءَت او كادت ظنونهم تسيءُ بالعناية الالهية . بينما نحن في هذه الظلمة المدلهمة وفي حال من اليأْس والقنوط ما شهدنا مثلها ولا اباؤُنا الاولون سطع علينا بغتة نور القانون الاساسي فاشرقت على آثارهِ شمس الحريَّة الشخصيَّة والحريَّة القوميَّة والحريَّة الفكرية الادبيَّة

ما بين غفلة عين وانتباهتها يغير الله من حالٍ الى حالِ

واذا عظمت النعمة فليس بإزائها الَّا الشكر . فالشكر لله ثمَّ الشكر لهُ . وبعد الشكر لله لا يسعنا الاغضاء عمَّا فعلهُ امراء جنديتنا العثمانية البواسل نيازي وانور والوف امثالهم وكلهم في الشرف والهمة والاستبسال في سبيل العثمانية نيازي وانور

وبعدُ فموضوعي مؤلف من كلمتين الاولى منهما « نحن » والثانية « الدستور » ولا بدَّ لي من تحديد ما يراد بهاتين اللفظتين وابدأ بلفظة الدستور اولاً واعني كل دستورٍ عموماً ودستورنا العثماني خصوصاً

ما هو الدستور ؟ هو القوانين المسنونة وفقاً للاختبار والحكمة ليعامل بموجبها افراد الامة اسعاداً لهم من حيث هم افراد واسعاداً وتعزيزاً لهم من حيث هم امة اي مجموع افراد . وللافراد كل الحق والحريَّة ان يتقاضوا المعاملة بموجب نص تلك القوانين صراحةً او ضمناً وللامة ايضاً ملءُ الحق والحريَّة ان تحتاط لحفظ هذه القوانين وصيانة حرمتها ممَّن يتخوف منهُ الاعتداء عليها او اهمال العمل بها

هذا تحديد شبيه بتحديد الناطقة ولكنني لا اضمن انهُ جامع مانع كما اني لا اضمن ان يكون موافقاً تمام الموافقة لتحديد فلاسفة العمران او المتشرعين ولكنني اقول انهُ تحديد فيهِ من الصحة القدر الذي اريدهُ لبيان اهميَّة كل دستور وعظم قيمتهِ الحقيقية

على انهُ يجوز تعدد التعاريف اذا كان المعرَّف متَّسعاً كما هي الحال في الدستور لانهُ يجوز ان يكون الحد او التعريف صفةً من صفاتهِ او غاية من غاياتهِ كما يجوز ان يكون بياناً لكيفيَّة حصولهِ والعوامل التي اثَّرت في كيانهِ تدريجاً وما أُنفق في سبيل ذلك من القوى المعنويَّة والماديَّة حتى بلغ ما بلغ اليهِ

الدستور ايها السادة هو نتيجة محاربات الخير والشر اجيالاً الله يعلم كم هي عدتها وبعبارة اخرى هو مجموع ما استفادته الانسانية من غلبات الخير على الشر في اثناء العراك الهائل الذي قام بينهما من اول عهد الانسان الى الآن هو نتيجة غلبات العدل على الجور والعقل على الحيوانية والعلم على الجهل في اثناء مئات من الاجيال هو ثمرة عقل كل عاقل في المجتمع الانساني وحكمة كل حكيم واستقامة كل مستقيم وصبر جميع هؤلاء على المجاهدة المستمرة مدى الحياة اثناء الاجيال التي غبرت . هو الغاية ومجموع النتائج التي حصلت من سيف استلّ في نُصْرة العدل والحق والاستقامة منذ قام عادل وعارف بالحق ومستقيم بين افراد الانسانيّة لحد هذه الساعة

الدستور العادل المرعي الاجراء عند كل امة متمدنة هو الغاية ومجموع النتائج التي حصلت من كل لسان تكلّم بالحق انتصاراً للعدل واذلالاً للجور كما انهُ غاية ومجموع نتائج كل ما خطّهُ يراع حكيم عالم وكاتب فاضل انتصاراً للانسانية على الحيوانيّة وللعلم على الجهل وللحكمة على السفاهة ولكل ما هو شريف وعادل على ما هو خسيس وجائر

بل الدستور العادل المرعيُّ الاجراء هو عند التحقيق مظهر لارادة الله في المجتمع العمراني واثر مما علّم بهِ وجاهد لهُ الانبياء والمرسلون ومن اقتفى خطواتهم واهتدى بهديهم من العلماء الراسخين والاولياء الصالحين والوعّاظ اهل الغيرة المتقين

ايها السادة هذا هو الدستور العادل على الاطلاق ودستورنا العثماني دستور خاصّ يشتمل على كل ما يشتمل عليهِ دستور عام ويتناول كل ما قلناهُ عن الدستور العادل من الصفات والمقوّمات وزيادةً ايضاً شأن كل خاصّ فانهُ يشتمل على العام وزيادة . وهذه الزيادة هي تعريض نفوس نحو من اربعمئة الف رجل من رجالنا العثمانيين للموت في حرب اهليّة طاحنة . ولولا حكمة امراء هذا الجيش ومن نصرهم من خيرة اعيان العثمانيين بالرأي والمال . ولولا اقتناع جلالة مولانا السلطان بانّ ما عُرِضَ من الطلب على جلالتهِ بواسطة جنديتنا الباسلة انما هو صوت الامة — لولا ذلك كلهِ لكانت الدماء الآن تسيل انهاراً والاموال تُنفَق جُزافاً في سبيل الحصول على هذا الدستور

فهذا هو دستورنا العثماني الذي احرزتهُ لنا سيوف اجنادنا العثمانيين بمعاضدة احرارنا المجدين من امراء ووزراء وقادة جند باسل وعلماء اعلام وفقهاء عظام واهل حلّ وعقد من اعيان الامة ووجهائها في سائر انحاء المملكة فانهم كلهم رضوا بهِ وحلفوا الايمان الرهيبة على مراعاتهِ والاحتفاظ بهِ كما يحتفظون باموالهم واعراضهم وانفسهم وكلهم امضى على وجوب

الطاعة لهُ والعمل بهِ فاصبح من ثمَّ مجدَ الامة وقوَّتها وملك كل فرد من افرادها يتمتعون ببركاتهِ في حياتهم ويورثونهُ لمن يخلفهم من ابنائهم بعد مماتهم . فَلْيَحْيَ هذا الدستور مجد الامة وحياتها وعزّها ولْيَحْيَ القائمون بنصرتهِ والعاملون بهِ

ترون ايها السادة مما ذكرتهُ في بيان حقيقة الدستور أني لا أرى انَّ افراحنا بهِ هي صبيانيَّات تافهة ولا احتفالاتنا ومظاهراتنا الخارجية تكرمةً لهُ ولحماتهِ تهوُّسات ضارَّة بل هي مهما بلغت مع القصدِ والحكمةِ قليلةٌ في جنبِ اهميتهِ ومقدار قيمتهِ . وايُّ قيمةٍ اعظمُ من قيمة الحياة حياة الفكر والقول والعمل المشروع للفرد وحياة العزّ والقوَّة والتوازر والاستقلال والاستبسال للامة . فمن اراد الحياة فليقلْ ليحيَ الدستور العثمانيُّ والقائمون بهِ ومن اراد الموتَ موتَ الذلّ والصَّغار والاستعباد فلا رحمهُ الله وليمُتْ هذا الشخص من بين جماعة العثمانيين الحرَّة

ايها الكرام فرغتُ الآن من الكلام على الدستور وهو احد كلمتي موضوعي وبقي عليَّ الكلام على الكلمة الثانية منهُ وهي كلمة " نحن " فأرجو ان تعيروني إصغاءكم في بيان المراد منها وما اليهِ فانَّ هذا البيان الثاني لا يقلُّ في الاهميَّة عن البيان الاول إنْ لم يكن اهمَّ منهُ

قلتُ ما محصَّلهُ انَّ دستورنا العثمانيَّ هو مجسمُ ارادة الامة العثمانيَّة العادلة الخيّرة وهو ملك أفرادها اليوم وميراثُ ابنائها غداً . وقد نعتنا الارادة بالعادلة الخيرة والاَّ فالاستبداد ارادةٌ وحكومةُ الظلم والجور والبغي ارادةٌ ايضاً . وارادة الامة العثمانيَّة (وكل امةٍ) هي ارادةُ مجموع افرادها او من ينوب منابهم من المتبوعين واهل الجاه الذين يقولون عن اتباعهم ويقطعون من دون استشارتهم ومراجعتهم

لكن ربما يُستنتجُ من قولنا ان الدستور هو مجسّمُ ارادة الامة ان قيامهُ او سقوطهُ متوقفان على ارادة الامة فاذا ارادت اقامتهُ قام اي روعيت احكامهُ وعُمل بها واذا ارادت اسقاطهُ سقط اي أُهملت احكامهُ وعُمل باحكام مناقضة لها . وظاهر هذا الاستنتاج صحيح ولكنهُ ظاهرٌ مموَّهٌ مشوبٌ بكدورةٍ من النظر الفاسد . والحقيقة هي ان قيام الدستور اي مراعاة احكامهِ والعمل بها دليلٌ على ان في الامة ارادة خيرة عادلة غالبة والدستور هو مجسم تلك الارادة . واما اذا سقط فلا يكون سقوطهُ دليلاً على ان الامة ارادت اسقاطهُ بل هو دليلٌ على ان الامة ميتة لا إرادة لها كأُمة لا كافراد . وبعبارة اخرى لما كانت الامة هي مجموع الافراد كان لنا ان نقول ان قيام الدستور واستمرارهُ مرعيًّا دليلٌ على ان هذا المجموع حيٌّ مريد ارادةً خيّرة عادلة اما سقوطهُ اي اهمال العمل بهِ فدليلٌ على ان

هذا المجموع (لا الجميع) ميتٌ جبنًا او جهالةً كمجموع لا كافراد اذ لا تخلو الامة من افراد لم ارادة خيرة تعضد الدستور العادل ولكنهم كثيرًا ما يكونون مضمونين مغلوبين على ارادتهم كما كان الحال عليهِ بيننا منذ بضع سنين بل منذ بضعة اشهر

ولنرجع الآن بعد هذا الاستطراد الى بيان المراد بكلمة " نحن " فمن نحن ؟ يجوز لي ان أعمم في الجواب وان أخصص فان عممت قلت نحن من العثمانيين الذين لهم ارادةٌ وارادتهم جزءٌ من ارادة الامة العثمانية . وان خصصت قلت نحن جماعةٌ اكثرهم من اللبنانيين قاموا باحياء هذه الليلة الزاهرة لتحيَّة الدستور والاقرار بالمنة علينا لحماتهِ من امراء جنديتنا البواسل . ومعظم هذه الاكثريَّة من قضاء الشوف وهم من اعيانهِ واهل الوجاهة فيهم ممن يجوز ان تمثل ارادتهم ارادة الاهلين كلهم او اكثرهم . لكن يا ترى اذا مثلت ارادة هولاء السراة الحاضرين الآن ارادة اكثر اهل قضاء الشوف فهل تمثل ارادة اللبنانيين كلهم . وهب انها مثلت ارادة كل اللبنانيين فهل تنطبق ارادتهم على الدستور العثماني الذي هو مجسم ارادة مجموع الامة العثمانية العادلة المقدسة

جائزٌ ان يكون الجواب من قبيل الجواز او من قبيل القطع بالحكم . اما انا فاقول ان ارادتكم ايها السراة العثمانيون التي تمثل ارادة اهل قضاء الشوف كلهم على الارجحية الغالبيَّة ولعلها ايضًا تمثل ارادة كل اهل لبنان لا تنطبق على ارادة الامة العادلة تمام الانطباق الواجب الَّا مع الاخلاص . فان كنتم مخلصين في ارادتكم واتفاقكم المتبادل فارادتكم منطبقة على الدستور وهي جزءٌ من ارادة الامة . اما اذا لم يكن اخلاصٌ وكان هناك اهواءٌ واغراضٌ ذاتيَّة خاصة فحسبكم ان مثل هذه الاغراض كانت فيما مضى سببًا لكل الويلات التي مرَّت بنا . الويلات التي لا نذكرها بل لا تمرُّ في خواطرنا الَّا وتنقبض صدورنا اشد الانقباض من مجرد ذكرها بل من مجرد مرورها في البال مرور المسرع فانا اتقدم اليكم بالشرف العثماني و بشرف جنديتنا الباسلة ان تراجعوا ضمائركم وتتفطنوا لخفايا النفس وتفتشوا مخابيها فلعل هناك هوًى يلوّن للارادة حب الذات بلون محبة الامة والشرف ويصوّر لها الغرض الخاص بصورة الغرض العام والمصلحة الذاتية بصورة المصلحة القومية العمومية

ايها الوجهاء من كان منكم يحبُّ الظهورَ وبُعدَ الصيت — ولا عارٌ ولا غضاضةٌ على احد بسبب ذلك — فليراجع نفسهُ وشرفهُ العثمانيَّ قبل ان يجزم ارادتهُ بما هو في سبيلهِ من الوسائل التي تؤدي بهِ الى غايتهِ هذه فانَّ هذه المحبة قد تنقادُ للهوى والهوى في جانب الباطل دائمًا وعلى عداءٍ مع الدستور المقدَّس

ان المناصب في خدمة الامة على اختلاف انواعها وتفاوت درجات شرفها واهميتها جائزة لكل عثماني كفء لها ومباح له طلبها والسعي في احرازها بل والتنافس في ذلك ايضاً الا ان الشغف بالتربع في المناصب قد يباينهُ الاخلاص احياناً كثيرة ويداخلهُ الهوى ولذلك ففيهِ ما فيهِ من الخطر الذي قد يسوق صاحبهُ الى الجري في خطة القوم السالفين خطة التزلف الى من في يدهم الامر والنهي والعزل والتنصيب. فمن كان يرغب في المناصب فليحاسب نفسهُ وليتقِ مغبة التزلف الى من انقذوا الامة من الحالة التي كانت فيها قبلاً الى الحالة الجيدة الشريفة التي هي عليها الآن . فما اوصلنا الى ما وصلنا اليهِ سابقاً الاّ اطماع واغراض وحبُّ وجاهةٍ وتفوّق في غير موضعها او في غير الحق. فجرّت كل هذه او بعضها الى التزلف . والمتزلف قلَّ ان يصوّر الامور الاّ في غير صورتها الحقيقية . فالاناة الاناة والاخلاص الاخلاص ايها العثمانيون والاّ شمت بنا الاعداء وكثيرٌ ما هم . اما والذي نفسي في يدهِ اني لأفضّل ان تضرب عنقي على ان آتي ما فيهِ معرّة او غضّ من شرف عثمانيتنا الجديدة فانها تجلّت للملإ اجمع للصديق والعدو نقيةً من كل دنس ومن ثمَّ فاقلّ هفوةٍ منا نحن مريديها تظهر على بياضها النقي لطخةً سوداء شائنة يتألم لها قلب المحب وتصغر نفسهُ ويطير لها فرحاً قلب العدو وتندفع نفسهُ الخبيثة للتشنيع والمذمة ويطلُّ راسهُ كبراً بعد ان كان اخنسهُ صغاراً وجبناً — ومع اني اشعر هذا الشعور وانا صادق فيهِ نظير كل واحدٍ منكم—مع ذلك لا آمن من بدوات النفس واهوائها الخفية المنحرفة ان تفسد اخلاصي إن لم اكن على اشدّ الحذر منها والانتباه لها — اخاف هذا مع بعدي عن التدخّل بما يسمونهُ سياسةً او حزباً وانصراف نفسي عن الوظائف جملة بما انا راضٍ بهِ تمام الرضى من خدمة العلم والتعليم

على انَّ الاخلاص وهو من مقوّمات العثمانية واهمّ اركان هذا البنيان الجديد الشريف الذي شرع فيهِ احرار العثمانيين لا يكفي وحده ان لم يصحبهُ العلم والخبرة فكم من هبّة جهل وتسرُّعٍ من اخلص المخلصين افسدت رأياً كان فيهِ مجد العثمانية وقوّتها وحياتها لم يكن يطمع في افسادهِ اعدى اعدائها . والعلم نتيجة الفكرة والتروّي والتدبر فلا بدَّ لنا اذن من كل هذه قبل العمل . وربما الحق بنا المخلص المتسرّع من الضرر في ساعة اضعاف ما يلحقهُ بنا المنافق في ساعات بل في اشهر

تعلمون ايها السادة انَّ يومنا الذي نحن فيهِ يوم تأسيس لا تزيين وهو يوم لهُ ما بعدهُ فان كان الاساس من ثمَّ راسخاً ثابتاً فكلما بني عليهِ فيما بعد يكون شبيهاً بهِ ويكون لنا ايضاً

والاَّ فانتم ادرى مني بمصير بنيان تسرع في تأسيسهِ . وعليهِ فنحنُ اليومَ احوجُ الى التروّي والفكرة من كل الايام التي مرّت بنا ومن كل الايام التي ستمرُّ بنا بعد ان تستتبَّ امورنا ويرسخ اساسُ عثمانيتنا الجديدة الحرّة

فيا ايها الذين تسرعون في آرائكم ولا تفكرون في عواقب ما ترتأون ولا في مغبّة اعمال لم توفَّق الى الرأي الصائب دعوا التسرع جانبًا فان تسرعكم لا يفيدنا الآن وان كنتم اخلص المخلصين واغيرَ اهل الغيرة الحقة على شرف العثمانية ومصلحة العثمانيين . إنا في حاجة الى المخلصين اصحاب العلم والخبرة الذين قبل ان يقولوا يفكرون ويتروّون وبعد ان يقولوا يفعلون كما يقولون مثل هؤلاء تطمئنُّ اليهم نفوسنا ونسلّمُ اليهم قيادتنا وتدبيرنا

ولا اعني باصحاب العلم والخبرة الثرثارين المكثرين من فضول الكلام كما اني لا اعني بهم من يستظهرون آدابًا ويكتبون اقوالاً او يحملون في ذاكرتهم اسفارًا او ينظمون وينثرون مدحًا وهجاءً بل اعني باصحاب العلم الذين نحتاج اليهم اليوم اصحاب الرأي الاصيل والتدبير المحكم الذين يعرفون اهواء الامة ويعرفون امراضها ومواضعَ الخلل فيها ثم هم يعرفون كيف يصرّفون تلك الاهواء على مقتضى العقل والحكمة وكيف يداوون تلك الامراض ويسدّون ذلك الخلل ولا بدّ ان يكون واحدُهم عارفًا ايضًا بمجمل احوال الامة العثمانية وما بينها وبين بقيّة الدول من المعاهدات والمتاجرات ويعرف ايضًا ما لتلك الدول من الخطط والتقليدات

هؤلاء هم الرجال الذين نريدهم في الوقت الحاضر وهم من المرادين بقولنا "نحن" في موضوعي "نحن والدستور" ثم لا بدَّ ان يكون لهؤلاء الرجال من مساعدين على شاكلتهم في الاخلاص والنزاهة والعلم والخبرة . واما الرجال الذين نريدهم مع الايام فلا مجال الآن لذكرهم وتعريفهم وما نطلبهُ من كل واحد منهم . وآخر ما اختم بهِ مقالي أنَّا نريد بلفظة "نحن" العثمانيين المخلصين النزهاء اهل العلم والخبرة اهل الحكمة والتدبير الذين يقولون قليلاً ويفعلون كثيرًا . نريد بلفظة "نحن" المخلصين من اهل النجدة والفتوّة كهؤلاء البواسل الذين يبذلون نفوسهم دون الامة ودون انفاذ مآل دستورها او قانونها الاسامي العادل ويجعلون سيوفهم رهنًا لاشارة اهل العلم والرأي والحكمة والتدبير من غير لغط ولا قلقلة ولا دعوى. بمثل هؤلاء يحيا الدستور ويعظم شأن الامة فليحيوا وليحيَ الدستور الذي هو مجمع ارادة الامة ارادتها العادلة الخيّرة ولتحيَ الامة وليحيَ ابناؤها هؤلاء الاجناد البواسل وكلُّ اصحاب الارادة الحرّة والاخلاق الشريفة الفاضلة وليحيَ ايضًا رأس الامة العثمانية المجيدة الذي اصبح يرى ويحسب نفسهُ ابًا وافراد امتهِ اولادًا والسلام

وليس يفرقنا دين ولا نسبُ

اليوم تفتخر الاتراك والعربُ ... قد عاد عزمٌ والمجد والحسبُ
عزٌّ بهِ فاخروا من عزَّ قبلهمُ ... من البرايا وسادوا اينما ذهبوا
لأن تكن عرضت في وجههِ سحبٌ ... فالبدر في الافق تغشاهُ فيحتجبُ
او لم يكن عاد بعد الحجب مكتملاً ... فانهُ سائرٌ للتمّ يقترب
واليوم يبدأ تاريخ لمملكةٍ ... للجيش فضل بهِ بالتبر يكتتبُ
دستورها للمعالي سوف يرفعها ... وحكمها الشوروي المجدَ يجتلبُ
احرارَ امتنا انهضتمُ وطناً ... بكم سيبلغ شأوًا دونهُ السحبُ
فكم صبرتم على ضيمٍ المَّ بكم ... وما ثنى عزمكم ضيمٌ ولا وصبُ
وكم سعيتم وكان الموت يحصدكم ... فما رجعتم ولا خارت لكم ركبُ
ما مات من بطل الاَّ انبرى بطلٌ ... العيش محتقر في الموت مرتغبُ
في الدردنيل وفي البسفور اعظمُكم ... منها بقايا عليها المجد مكتتبُ
وفي الحجاز لكم في تربهِ رممٌ ... اسمى واشرف ما قد ضمت الترب
وفي القلوب لكم ذكرٌ يخلد للادهار ما بقيَ التاريخُ والكتبُ
علَّمتم الشرق والانظار قاطبةً ... ان العظيم لديهِ تصغرُ النوبُ
ولا تنال المنى والمرءُ معتزلٌ ... في بيتهِ جزعًا ان المنى تعبُ
ماتوا فعشنا واحيوا بعدهم وطناً ... فكل ما نحن فيهِ بعض ما وهبوا
ولم تمت روحهم بل دبَّ ثائرها ... في من اتى بعدهم كالنار تلتهبُ
اسدٌ بواسل يقفون الاسود وفي ... صدورهم انفسٌ من دونها الشهبُ
اذا دعا الموت فردًا هبَّ كلهم ... حتى كأن المنايا الكأس والحببُ
ظن الطغاة سكونًا منهمُ جزعًا ... لكنهم سكنوا حينًا لكي يثبوا
ومذ غدا الظلم منهُ الارض واجفة ... ثاروا كأنهم البركان يضطربُ
ما قدموا حذرًا او ردهم خطرٌ ... وان يكن في جبين الليث ما طلبوا
ولا اشترتهم وعودٌ ملؤها ذهبٌ ... ولا ثناهم وعيدٌ ملؤهُ الغضبُ
ولا استمالهمُ مجدٌ بكون بهِ ... ظلمُ العباد ولا غرتهمُ الرتبُ
قالوا وقد شهروا الصمصام واندفعوا ... كالرعد يقصف في احشائهِ اللهبُ

للشعب حقٌ اتينا اليوم نطلبهُ — إما نذوق الردى او يصدق الطلبُ

حقٌ شريفٌ لنا قد بات مغتصباً — والرد يلزم من قد راح يغتصبُ

عشنا بعصرٍ عجيبٌ أن يعاش بهِ — لو لم نعش فيهِ قلنا إنهُ كذبُ

فالحرُّ مضطهدٌ والامن مضطربٌ — والعرض منتهكٌ والرزق منتهبُ

فاستلَّ سيفاً نيازي كلهُ لهبٌ — وقال انور قولاً دونهُ الذهبُ

ان التعصب في الاديان حكّم سيف — رقابنا الظلم للارواح يستلبُ

الدين لله دينوا كيف شاءكمُ — أما بدين هوى الاوطان فاعتصبوا

هذي يدي اننا والله اخوتكم — وليس يفرقنا دينٌ ولا نسبُ

وكلنا واحدٌ قد ضمنا علمٌ — هو الهلال اليهِ الكل ينتسبُ

فيهِ لنا نسبٌ ما فوقهُ نسبٌ — فيهِ التآخي فلا تركٌ ولا عربُ

فعاهدونا على هذي اليمين ففي — حفاظها للعلى والعز مطّلبُ

فنحن موتى فان متنا مجاهدةً — في الحق فالموتُ فيهِ المجد يكتسبُ

حقن الدماء بذُلٍّ والردى شرعٌ — واشرف الدم ما بالعز ينسكبُ

حول الخليفة خوّانٌ لهم اربٌ — في ذل مملكةٍ عزت بها الحقبُ

ما همهم قط والاكياس عامرةٌ — دمٌ بها سالَ او ربعٌ بها خربُ

اذا استجير بهم في أزمة نزلت — جاءتهمُ فرصة عفواً ليكتسبوا

قد استبدوا باحكام لهم فسدت — وكان دينهمُ التفريق والعصبُ

نفرقونا وسادوا في مظالمهم — ان عورضوا نقموا او خوصموا نكبوا

لله كم ركبوا اثماً وكم سفكوا — دماً بريئاً وكم عاثوا وكم سلبوا

وكم محضناهم نصحاً فما انتصحوا — وكم صخبنا فلم يسمع لنا صخبُ

اذا التوى الحكم في ارض وخانك في — تقويمهِ النصحُ لبّتك القنا السلبُ

اليوم يومهم جئنا نحاسبهم — على الذي خسروهُ والذي كسبوا

هبوا اذاً معنا في مطلب جلل — فالحق منتصرٌ والله مرتقبُ

فيا لها دعوةً في النفس قد وقعت — كأنها السحر للالباب يختلبُ

هبَّ الجميع فلا الانساب تفرقهم — ولا مذاهبهم في الدين والشعبُ

اتباع موسى وعيسى والنبي بها — عافوا الشقاق وفي استجوابها اصطحبوا

لما رأى الظالمون الصوت تجدهُ — نار البنادق والهندية القضبُ

والشعب والجند بحرٌ هاج مضطرباً ‏ اخلوا كراسيهم كالبرق وانقلبوا
وفرَّ ذاك وهذا راح مختبئاً ‏ يرجو النجاة اثيماً قلبهُ يجبُ
كانما الارض غضبى في وجوههم ‏ لا الغورُ يعصمهم فيها ولا الهضبُ
وباد للظلم عصرٌ يومهُ حقب ‏ وعاد للعرش عزٌ كاد ينقضبُ
هزَّ الحسام لخوف السيف يفعل في ‏ ذوي المظالم فعل السيف يختضبُ
فكم ظُلمنا لان الظلم لذ لهم ‏ وكم أُهنا ولا ذنب ولا سببُ
وكم صبرنا فزادوا في مظالمهم ‏ وكم شكونا فكان الويل والحربُ
وكم هجرنا لننجو منهم وطناً ‏ وكم تركنا حبيباً فيهِ يكتئبُ
كانما نحن اعداءٌ لهم خلقوا ‏ وكل همهم الارغام والسلبُ
لا رحمة ليتيم في قلوبهم ‏ ولا لارملة اودى بها الشجبُ
حال اذا لم تكن في ذاتها عجباً ‏ فانما صبرنا فيها هو العجبُ
أليوم يا ايها الاحرار عيدكمُ ‏ بل عيدنا بكم فيهِ لنا الطربُ
فما سفكتم دماً في نيل مطلبكم ‏ ولا تركتم فتاة الحي تنتحبُ
قد ادهش الارض فعل دونهُ صغرت ‏ اعاظم الخلق ما شادوا وما نصبوا
علم وحزم وتدريب ومقدرةٌ ‏ لم تروِها كتب الماضيين والخطب
ان الاولى زعموا بالامس عن سفهٍ ‏ ان لا رجال بتركيا لقد كذبوا
شاء الالهُ على ايديكم عظةً ‏ لمن طغى وغدا للظلم يرتكبُ
أن ليس حق يدوم الدهر محتجباً ‏ وليس من ظالمٍ الاَّ وينقلبُ
اليوم نمرح احرارًا بفضلكمُ ‏ نغدو ونمسي ولا همٌّ ولا نصبُ
قد أُطلق الحر من سجن أُهين بهِ ‏ وعاد للوطن المحبوب مغتربُ
فلا جواسيس نخشى من وشايتهم ‏ ولا جرائد تأتينا فنرتعبُ
وان مشينا فلا جاسوس يتبعنا ‏ وان جلسنا فلا جاسوس يرتقبُ
ننام في الليل لا الاحلام تقلقنا ‏ وننهض الصبح لا خوف ولا رُعُبُ
ولا نداجي امرءاً قد راح يظلمنا ‏ وننطق الحق لا سجن ولا عطبُ
كم بين حال اتتنا كلها طرب ‏ وبين حال عدتنا كلها رهبُ
من شابهُ الشك في ما نيل من وطر ‏ او ظنهُ حلماً او انهُ لعبُ
يجيبهُ الجيش والاسياف قد شهرت ‏ هذي الحقيقة ما في امرها ريبُ

لا زلت يا جيشنا فخرًا لامتنا وحظ اعلامك الامجاد والغلبُ
كنا نراك رهيبًا بعدهُ أرب واليوم صرت حبيبًا قوبهُ الاربُ
وكنت تنفذ مضطرًا لكربتنا فصرت فرّاجها ان حلت الكربُ
حررتنا فاذا جدنا بانفسنا فليس نفعل الاَّ بعض ما يجبُ
ما دام سيفك مسلولاً وانت بهِ لنصرة الحق والاحرار تنتدبُ
وكلما وقعوا في مأزق حرج منك انبرى لحمام جحفل لجبُ
نرقى المعالي وتركيا لنا وطن للعزّ والمجد فيهِ ترفع القببُ

الراهن والواهن في المادية

(تابع ما قبلهُ)

مواضع الوهن في المادية

وجود الله — قال ديكارت الفيلسوف الرياضيّ الكبير في وجود الله ما مؤدّاهُ ان صورة الله في عقولنا لا يمكن ان تكون منا لانَّنا محدودون وكذلك صورنا العقلية محدودة ومن المقرر ان العلة المحدودة لا تستطيع انشاء المعلول غير المحدود . اما القول بان صورة الله سلبيَّة ففاسد لان تلك الصورة اعظم صور عقولنا تتقدَّم جميع الصور في الوضوح والقوَّة بل وبدونها لا يمكننا انشاء صورة المحدود . ولا يسوغ لنا ان نقول ان عقل الانسان غير محدود بالقوَّة ولذلك يمكنهُ انشاء صورة الله . لانَّ صورة الله ليست صورة الكامل بالقوَّة بل صورة الكائن بالفعل اعتبر ذلك في عدم امكاننا ان نضيف شيئًا الى كمال الله مهما اتسع نطاق معرفتنا . وليس ذلك فقط بل وجود الله امر ملازم لصورة الكمال وهو ليس موجودًا لاننا نتصورهُ ولكننا نتصورهُ لانهُ موجود

وقال ليبنتز — ان مجرد تصورنا عن ادراك وجود الله دليل على ان النفس ليست اسمى الموجودات نعم ان لها مكانًا رفيعًا ولكنها قاصرة بحد ذاتها ولذلك نرى افكارنا مضطربةً وصورة الكائن المطلق ضعيفةً ومشوَّشة ومجرَّد هذه الحقيقة يقودنا الى الحكم بان الكائن الاعلى وراء افهامنا وانهُ خلق العالمين مقيدًا فقط بادراكهِ غير المحدود . اه

واللاادرية حليفة المادية في اكثر مبادئها وساعدها الايمن في تعزيز مذهب النشوء الطبيعي على انها تناقضها في مسألة العلة الاولى وهذا امامهم سبنسر فانهُ على تشيعهِ للماديين

نرى فلسفة تتناول النسبي والمطلق او بالحري المظهر والجوهر وهو يقول " مع ان ادراكنا للمطلق مستحيل ومع ان صورتهُ غير واضحة في اذهاننا لكنما وجودهُ حقيقي لان الوجدان لا يمكنهُ الاَّ ان يرى جوهرًا حقيقيًّا وراء اعراض الطبيعة وهذا الجوهر المجهول ضروري وجودهُ في الذهن لادراك المظاهر الخارجية ومن المستحيل محوهُ من الوجدان " اهـ . فاللاادرية لا تقول بنفي الخالق او الجوهر المطلق المجهول بل بالعكس تؤيدهُ وتقول انهُ يستحيل تصور النسبي بدون المطلق وان القوَّة المجهولة مع عدم امكاننا ان ندركها كائنة ولعلها نفس القوة التي ترمي اليها الاديان

هذا من جهة ومن الجهة الاخرى نرى ان العلم لا يسوّغ لنا الجمع بين صفات المادة كما نعرفها وبين القول بحركتها الذاتية الاولى . فان المادة على رأي الطبيعيين هي كمية من قوَّة الاستمرار والقوَّة هي المعدل الذي تتحرك فيهِ المادة وهي لا يمكن ان تكون الاَّ في مادتين لاحداها نسبة خصوصية الى الاخرى ويجب ان تكون محمولة على شيء مادي لان الفضاء لا يحملها فاذا تفاعل جزآن تغير معدل حركة الدقائق وهذا التغير في معدل الحركة هو القوَّة اما قول بعضهم بان القوَّة هي كل ما يحدث تغيرًا في المادة فلا يجوّز لنا علم الديناميك اطلاقهُ . وهب ان المادة ازلية وان قواها كذلك فكيف تمَّ لجواهرها التفاعل ولا شيء بينها غير الفضاء . قالوا الاثير يحمل القوَّة ولكن اليس الاثير نفسهُ مادة فماذا يحمل القوَّة بين جواهرهِ . قال الفيلسوف نيوتون " لست اخال فيلسوفًا يزلُّ زلَّة كهذه "

حدَّد يونغ قوَّة الاستمرار بانها الحالة التي لا يمكن للمادة فيها ان تغير حالتها التي وجدت عليها الاَّ لسبب خارجي . فاذا فرضنا على الرأي السديمي المادي ان الكون وجد لنفسهِ فاي شيء دفعهُ الى الحركة . ان قلنا سبب خارجي طبيعي فالعقل يرفض ذلك اي يرفض وجود مادة قبل المادة الازلية . وان قلنا سبب داخلي فوجود الفضاء بين اجزاء المادة يمنع ذلك ايضًا فماذا اذن اليس ذلك دليلاً على علة غير مادية دفعت الكون الى الحركة والارتقاء . ناهيك بوجود العقل المطلق فانهُ اي شبه بين الصور العقلية وبين القوى المادية . نعم ان المنطق قد لا يقودنا الى ادراك عقولنا والى تفهم استقلالها ولكن العقل نفسهُ يمتدّ في نظرهِ الى ما وراء المنطق ويرينا ما لا تقدر الحواس ان ترينا اياهُ . ويتصوَّر من تلقاء نفسهِ حرًّا غير مضطرّ والعمل الحرّ لا يمكن ان يكون ماديًّا

العقل المطلق علة الوجود وهو منشأ الحقائق ومبعث الصور الازلية وكل عقل من عقولنا انما هو صورة من تلك الصور الازلية . ومقدرة العقل المطلق على ابراز صورهِ الازلية انما هي

الارادة الحرّة فهو يرى و يعرف ويشعر ونفوسنا تشعر بكماله وتراهُ شخصاً دائماً الى الابد

مذهب النشوء الطبيعي — وكما انهم لا يرون في العقل ما ينفي وجود الخالق هكذا لا يرون في العلم ما يثبت مذهب النشوء الطبيعي ولنبسط مبادئهُ مبدأً مبدأً ثم نرى الضعف في كل منها بالاختصار وهي

(١) ان الكون جسم واحد محدود

(٢) ان اصل الكون جواهر فردة كانت في حالة التماثل والتراخي التامة

(٣) ان بقاء المادة والقوّة واستمرارها اهم اسباب التغير

(٤) ان التغيّر من البسيط الى المركب يتوقف على مبدأَي التلازم والالفة

(٥) ان الحياة والعقل مظهران من مظاهر بقاء القوة وتحولها

فيعترضون على الاول بان الجسم الواحد لا بدَّ لهُ من نشوء ونموّ وانحلال ادوار تتوالى على كل جزء من اجزاء الوجود فاعتبار الكون كله جسماً واحداً يقودنا الى القول بانهُ نشأ عن كون قبلهُ وهو خبط ظاهر . ثم ان عقولنا قاصرة عن ادراك كلية الاشياء ولو فرضنا انها استطاعت ان ترى الكون جسماً واحداً فلا بد لها ان ترى حدودهُ بالنسبة الى غيره لان الجزء الواحد لا نعرف اطرافهُ بلا نسبة الى غيره فاذا صح ذلك لم نقدر ان نقابل الكون الاَّ بالفضاء والفضاء لا نسبة فيه ففرضنا اذاً فاسد

اما زعم اصحاب النشوء ان الجواهر الفردة كانت في كمال البساطة والتماثل وانهُ لا بدَّ للبسيط المتماثل من التغير ففاسد ايضاً لانهُ كيف يتهيأ للتام في البساطة والتماثل ان يتغير ولا شيء وراءهُ يفعل به ويغير توازنهُ . قال لورد كلفن "اذا كانت البساطة تامة فالسكون ايضاً تام" . فكيف يقبل العقل القول بان الجواهر كانت في حالة التفاعل والحركة . وعلى المذهب المادي يجب ان يبقى الكون كما وُجد منذ الازل اي في حالة السكون والبساطة على ان الكون قد تغير وتبدل وهو في تقدم مستمرّ افلا يقتضي ذلك وجود قوة وراءهُ هي الخالق العلة الازلية التي حركت الجواهر المتماثلة الساكنة والتي دفعت الكون الى الترقي طبقاً لنواميس شاءت فوضعتها حرّة غير مقيّدة بناموس

اما القوّة فالعلماء لحد الوقت الحاضر لا يعرفون عنها الاَّ اقلَّ من القليل وآراؤهم في ماهيتها واهنة جدًّا . اعتبر ذلك في سبنسر فانهُ على رسوخ قدمه في الفلسفة وقف حيران وسأل نفسهُ — "ما هي القوّة التي نجزم ببقائها ؟ اهي تلك القوة التي تؤثر في عضلاتنا والتي تشعر بها حواسنا ؟ كلاَّ — بل هي تلك القوة المطلقة المجهولة المستقرّة وراء الصور

والمشاهد . ونحن مع عدم امكاننا ان ندركها نتأكد انها ابدية لم تتغير ولن تتغير . كل شيء زائل ولكنها علة العلل الباقية الى الابد ". فالقوة التي نشعر بها ليست علة النشوء والترقي وانما هي تلك القوة المجهولة مصدر كل قوة عقلية كانت او مادية فباي حق نقول انها مادية ونحن لا نستطيع ادراكها بحواسنا بل كيف يسوغ للمادي او للاادري ان يؤمن بقوة كهذه واول مبادئهِ نكران كلّ ما لا يقع تحت الحسّ والاختبار

هذا ولقد حبط مسعاهم في انشاء العناصر الكيماوية من المادة الاولى واعظم من ذلك خبطهم في مسألة الجوهر الفرد فقالوا ان الجوهر جسم لاحدّ لهُ ولاهيئة خاصة . وما ابعد قولهم هذا عن الصواب فكأنهم بقولهم هذا يعنون ان الجوهر الفرد جسم ولا جسم فتأمَّل . ولا يسعني الوقت ان استفيض في الجوهر الفرد وفي احدث الآراء فيهِ فانتقل الى الاعتراضات على الرأي السديمي وهي كثيرة اذكر منها ما اوردهُ العالم الرياضي رابنات احد اعضاء مجمع العلوم الفرنساوي فقد انتقد هذا الرأي انتقاد الرياضي المدقق وبيَّن بالادلة الراهنة انهُ اذا صحّ قول الفلكيين في ان مدة دوران الشمس تعدل ٢٥٫٣ يوماً فمدة دوران السديم حينما كان ممتدًّا الى الارض يجب ان لا تقل عن ٣١٨١ سنة وللسبب نفسهِ يجب ان لا تقلّ مدة دورانهِ حين كان ممتدًّا الى نبتون عن ثلاثة ملايين من السنين وهذا التعديل يجعل نشوء السيارات من مادة الشمس الاصلية امرًا مستحيلاً

ولقد وزن الطبيعي الشهير همبولدت السيارات وقاس كثافتها فوجد ان اثقالها تناقض الرأي السديمي وهاك تعديلهُ

كثافة الارض	١	كثافة اورانوس	١٧٨٫
" زحل	١٤٠٫	" نبتون	٣٣٠٫
" المشتري	٢٤٣٫	" الشمس	٢٥٢٫
" الزهرة	٩٤٠٫	" عطارد	٩٥٨٫

فمن هذا يتبين ان الشمس التي يجب ان تكون حسب الرأي السديمي اكثف من جميع السيارات ليست كذلك بل ان كثافتها لا تزيد على كثافة نبتون (وهو ابعد السيارات) الاَّ شيئًا قليلاً

ومما يناقض الرأي السديمي وجود ذوات الاذناب في النظام الشمسي فان ذلك الرأي يقتضي ان لا يوجد مذنب في نظامنا حتى ولا على ملايين الملايين من الاميال منهُ . فان المذنبات يجب ان تكون في اعماق الفضاء حيث السديم لا يزال يسبح اذ ان كثافة المذنبات

لا تعلو على الصفر شيئاً يذكر . وليس ما ذكرت من اعتراضاتهم الا وشلاً من بحر فالذي يحب التعمق في ذلك فليراجع ما كتبوهُ في افلاك السيارات وحركات الاقمار وكمية القوة الموجودة في نظامنا فان هناك من الحقائق ما لا يستطيع هذا الرأي ان يفسّرهُ

ولنتقدّم الآن الى الحياة — فنرى ان التولد الذاتي وهو من اهم اركان النشوء فاسد وقد نفاهُ المدققون النفي التام واثبتوا ان الحياة من الحياة والنشوئيون انفسهم لا ينكرون ذلك قال تندل بعد ان بحث في التولد الذاتي نحواً من ثمانية اشهر — "ان اتعابي في تعزيز هذا المبدإ ذهبت ادراج الرياح فاني لم اجد للتولد الذاتي من اثر بل بالعكس رأيت كل التجارب تناقضهُ" . اه . وبمثل ما صرّح تندل صرّح غيرهُ من كبار النشوئيين كهكسلي وسبنسر و برتون وغيرهم وكلهم مجمعون على ان العلم ينفي التولد الذاتي وينقض اقوال دعاتهِ . الحياة من الحياة فبين الحيّ وغير الحي هوّة لا يستطيع العلم ان يعبرها وليس لنا الاَّ ان نقول ان الحياة نشأت من قوة ليست في المادة

تمسك الماديون بناموس تحوّل القوى و بنوا عليهِ كثيراً من اقوالهم في ماديَّة الحياة فمن ذلك ان الحياة قوة طبيعيَّة لانها تتحول الى غيرها من القوى الطبيعيَّة ولكن البحث العلمي اثبت نقيض ذلك فقد وجد هاليس انهُ اذا تركنا ساق كرمة ما يمتص الزئبق من انبوب ارتفع الزئبق بقوّة الامتصاص الى علو ٣٠ بوصة ليس الاَّ ولكنّ السيال النباتي يرتفع الى اعلى الاشجار وليس الذي يدفعهُ الى ما ينيف على المئة قدم احياناً بالرغم عن قوة الجاذبيَّة الاَّ القوة الحيوية التي نقاس بقوة طبيعيَّة . ثم ان الحيّ يحفظ حرارتهُ ويدفع عنهُ طوارئ المحيط اعتبر ذلك في كريات الدم فانها تسبح في سيال فيهِ كثير من الصودا والبوتاسا ومع ذلك فهي بالرغم عن ناموس الامتصاص تحفظ البوتاسا الموجود فيها فلا يخرج منها وتصدّ الصودا عن الدخول اليها . ونظهر في الحيّ قوة الانتخاب والرفض في انتقاء الدم للاكسجين في الرئتين وتركهِ في الانسجة واستبدالهِ هناك بالحامض الكربونيك . فهل في الطبيعة قوة ما تشابه القوّة الحيوية — تلك القوة العجيبة التي تستخدم العوامل الكيماوية والطبيعة لاتمام مشيئتها . ولقد وضع هكوك للحياة مميزات تميزها عن القوى المادية منها

(١) ان الحياة تتطلب الارتقاء الى ما هو اعلى واسمى . نعم ان كل مركب مؤلف من اجزاء تفقد باتحادها ماهيتها الفردية (وهو ما نسميهِ بالاتحاد السلبي) ولكن الجسم الحي مع احتياجهِ الى هذا الاتحاد لا يكتفي بهِ بل يكيّف كل مركب فيهِ تكييفاً يكون منهُ بين المركبات السلبية علاقة عجيبة ندعوها الذاتية او الشخصيَّة

(٢) في ان للحيّ قوة التمثيل وهذا لا يتأتى عن البروتبلاسم وحده بل يدل على ان وراء البروتبلاسم قوة غريزية تدفعهُ الى ذلك

(٣) في ان الحياة تولد الاعضاء العجيبة التي لكلٍّ منها عمل خاص بهِ وهذه الاعضاء يديرها عضو واحد هو رأسها والمتسلط فيها وهذا اعظم نظام وارقاهُ ومن المستحيل ان نراهُ في العالم الماديّ

هذا والقائلون بالنشوء الآلي اي نشوء الانواع من انواع ابسط منها لم يتجاوزوا الى ما وراء ذلك بل غاية ما وصلوا اليهِ بالاستقراء ان الانواع نشأت من انواع ابسط منها وان كل الاحياء من حي واحد او احياء قليلة جدًّا . فما الذي يسوّغ لنا الاندفاع الى اجتياز ما بين الحياة والموت ونحن لم نستطع حتى الوقت الحاضر ان نبين ان الحياة نشأت من الجماد بل كل تجاربنا في ذلك ذهبت ادراج الرياح . بقي علينا العقل وهو اعظم حجة عند المعترضين على المادية . قال الماديون ان العقل اهتزازات في الدماغ يزول متى زالت تلك الاهتزازات ولقد جمع المقتطف في الجزء الثامن من السنة الخامسة اهم الاعتراضات على هذا المذهب الماديّ ومنها

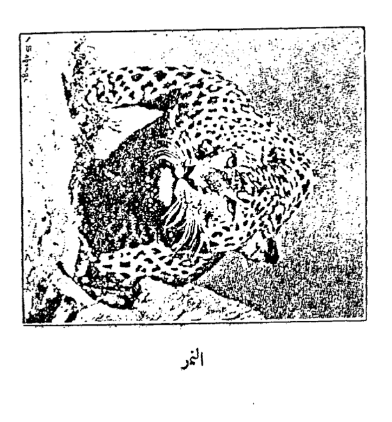
(١) لو كانت كل انفعال نفوسنا اهتزازًا في الدماغ فقط مما يؤثر فيهِ من الخارج لوجب ان المؤثرات المتشابهة تؤثر فيها تأثيرات متشابهة والواقع بخلاف ذلك

(٢) لو كانت النفس لا تحصل الاَّ من المؤثرات الخارجيَّة لوجب ان تكون افكار الانسان دائمًا حسب ما يؤثر فيهِ والواقع انهُ قد يفتكر بغير ما يؤثر فيهِ

(٣) لو كانت النفس من المؤثرات في الحواس فكيف نعلل القوة الذاكرة ونحن نعلم ان دقائق الدماغ تدثر على الدوام ويتجدد غيرها فيقوم مقامها . فلو كانت الذاكرة مجرد تأثير محسوس في تلك الدقائق لا نتفي زوالها عند دثور الدقائق

(٤) ولو كانت النفس هي الدماغ وكل معارفها من تأثير المحسوسات فبمَ نعلل البديهيات فينا وباي تجريد او تعميم نعلم ان الكل اكبر من جزئهِ وكيف نعلم بلا نظرٍ وكسبٍ ان الاشياء المتساوية اذا اضيف اليها اشياء متساوية فمجموعاتها متساوية . نعم انهُ لولا الحواس لكانت النفس لا تنبه فينا لفعل شيء من افعالها ولكنها متى تنبهت بالحواس صارت فاعلاً مستقلاً لافعال عديدة كما انها تنفعل من الحواس

(٥) ان كل القوى المادية تقبل القياس واما قوى النفس فلا تقاس بقياس ولا يتصوّر قبولها للقياس . فما لا يقبل القياس ليس كمًّا وما ليس كمًّا فمحال ان يكون قوة مادية . ومنها ان قوى النفس لا يصدق عليها ما يصدق على المادية من بقاء قواها على



النمر

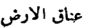


الوَشَق



البَبر





عناق الارض



الثفا



الفهد

مقدارها اذا استحالت بعضها الى بعض • ومنها ان قوى النفس عاقلة مختارة حرّة تقصد مما تفعلهُ غايةً قد سبق رسمها في ذهنها • انتهى

بقي علينا الوجدان الذاتي وهو اعظم حجج العقليين واقوى اعتراضاتهم في دحض الآراء المادية • يراد بالذات ذلك الشيء الفرد الداخليّ الذي يرى و يشعر بنسبتنا الى المحيط والذي يفحص احوالنا الداخلية في تأملاتهِ الانعكاسية • ونحن لا نستطيع ان ندركهُ بحواسنا وانما نشعر بوجودهِ متى وقفنا نتأمل في انفسنا فنتأكد اننا لسنا اجساماً ماديةً فقط بل بالعكس يلوح لنا من وراء المادة كائن لا ندركهُ تمام الادراك وهو الذي نعبّر عنهُ بكلمة " انا " • فمن اقوال الماديين ان " الذات " لا يمكن ان نتصورها مستقلةً عن الجسد • ولقد دفع فيلسوف الالمان الشهير لوتزي هذا الوهم بقولهِ " ان الذات لا تتوقف على غير الذات ولكن على شعور مستقلّ بواحدٍ احد يراهُ العقل ثم يقابلهُ بالخارج عنهُ وتلك المقابلة واسطة ادراك ما هو خارج عن الذات لانهُ اذا لم يشعر العقل اولاً باستقلال الذات لا يمكنهُ ان يجعل نسبةً ما بينها و بين غيرها اما الوجدان الذاتي فهو الحالة التي يقف فيها العقل يقابل الذات بما هو غير ذات " • ثم انتقل الى تفنيد قولهم بان الوجدان هو حاصل القوى العقلية فقال في كتابهِ المشهور (الميكروكوزمُس) ص ١٦٣ ما ملخصهُ — ان صورنا العقلية تظلّ كما هي مهما تقلبت عليها الاحوال فانك لا تستطيع ان تتحد صورتين في الوجدان بحيث يحصل من اتحادهما صورة ثالثة خذ مثالاً لذلك الالوان والانغام فان لكلّ لونٍ ولكلّ نغم وجوداً مستقلاً فلا يتحد فيهِ لونان او نغمان بحيث يصير منهما لون او نغم ثالث فلو كان الوجدان كما يزعمون حاصلاً من الصور العقلية لما رأينا فيهِ هذا الاستقلال الذي نراهُ لافراد الالوان والانغام بل كنا نرى حاسة الالم تنقض حاسة السرور وحاسة الحزن تبطل حاسة الفرح • والواقع خلاف ذلك وهذا دليل على وحدانيّة الوجدان وعلى استقلال الذات او النفس التي ترى افراد الحاسات وتقابلها بعضها ببعض ثم تحكم بميزة كل منها • تمرُّ الصور وتختفي والنفس ثابتة لا تتغير " اه

هذا عن الوجدان اما الارادة فالمادية تقول بتقييدها بناء على الناموس القائل ان لكلّ علة معلولاً ولكلّ معلول علة ولكن فاتهم ان هذا الناموس لا يصدق على اطلاقهِ • قال الفيلسوف المشار اليهِ آنفاً " لا مسوّغ للقول ان كل مظهر من مظاهر الكون انما هو معلول يلزمهُ علة يدلك على ذلك عدم امكاننا ان نصل الى علة اولى لان تلك العلة حسب هذا المبدإ يجب ان تكون معلولاً لما قبلها ولكن مجرد قولنا بعلة اولى دليل ان ليس كل

شيء معلولاً يجب تعيين علتهِ . فما المقصود اذن من ناموس العلة والمعلول — المقصود منهُ ان كل مظهر يظهر في الوجود يسير بمد ظهورهِ طبقاً لشرائع الكون التي لا تتغير وحدهُ — " ان كل جزء من هذا الوجود (مهما يكن منشأهُ) يفعل بغيرهِ مما لهُ علاقة بهِ على طريقة تدفعهُ الى السير بحسب النواميس الطبيعة "

قال لوتزي " ثم لو فرضنا ان الاختبار لا يرينا في الكون الاَّ العلة والمعلول فما ذلك بدليل على ان الاختبار يصدق على حياتنا العقلية اذ لا مسوّغ لاعتبارها ميكانيكية تسير بحكم الاضطرار ". وختم قولهُ في هذا الصدد بما يأتي " اغرب الغرائب ان يرتاب الانسان في وجود عقلهِ وهو لا يشعر مباشرةً بغيرهِ او ان يعزو وجودهُ الى المادة التي حولهُ وهو لا يعرف المادة الاَّ صوراً من صور ذلك العقل الذي يتسارع هو الى انكارهِ " اه

كلمة في الختام

هذه مقالة انتقادية وجيزة حاولت ان ابسط فيها مبادئ الفلسفة المادية بسطاً مختصراً بحيث يتناول القارئ معناها من اقرب طريق . والانسان ميال الى الافتكار في منشأهِ ومصيرهِ وهو من حيث ذلك اما مؤمن بما يقولهُ رجال الاديان من الوحي او منكر لهُ ومثل الاول مثل الطفل يشعر بضعفهِ ويرى ضرورة الاعتماد على ابيهِ فيسير آمناً مسروراً ومثل الثاني مثل المتلمس في ظلمات لا يعرف لها اول من آخر وكلاهما سائر نحو غرض واحد

ولقد رأيت الباحث المستجدّ كالنحلة تحطّ على اية زهرة عرضت لها تارةً يعجب بالمادية وطوراً بالالهية وهو بين هذه وتلك كالقارب في الخضمّ المائج تتقاذفهُ الامواج وتتلاطمهُ اللجج وقد فقد الدفة فاستسلم للعوامل تذهب بهِ حيث شاءت . فاذا تعمق في البحث قليلاً وجد ان اتعابهُ ذهبت سدى وتحقق ان العقل البشري لا يستطيع الوصول الى علة العلل وان الايمان غاية العلم كما انهُ غاية الدين

المادية هي هي من اول نشأتها الى الوقت الحاضر وهي مع تحككها بالعلم لم تشف غليل الظمآن الى الحقيقة . والالهية ايضاً لا تفرق اليوم عما كانت عليهِ في قديم الزمان وهي ليست الاَّ لاهل الايمان والتسليم . والانسان قاصر وسيبقى قاصراً يتوق الى معرفة ما وراء الطبيعة فيرجع خائباً ويطلب ادراك العلة الاولى فيقف حيث كان حيراناً تدهشهُ النجوم بافلاكها وتروق لهُ الطبيعة باشكالها ثم يبدو لهُ الموت فيوجف قلبهُ هلعاً وتظلم دنياه فزعاً . المادي يؤمن والالهي يؤمن واساس ايمانهما واحد العجز عن الادراك والتوق الى المعرفة

كل مظاهر الكون اسرار لم يدرك الانسان منها شيئاً فمالهُ يتطالّ الى معرفة الجوهر

والجوهر وراء العقل المحدود ألا فليبدأ بنفسهِ كما قال سقراط وليفهمها فان سعادتهُ متوقفة على فهم نفسهِ

الايمان خير من التسرع الى النكران والرجاء اثمن ما يتطلب المرء في دنياهُ وليعتبر الذي تصفح بعض الاوراق بما قالهُ نيوتن امام العلماء " اني لا ازال على الشاطىء اجمع حصىً ". لنكتفِ باننا قاصرون عن ادراك ما وراء عقولنا

الكلية السوريَّة الانجيليَّة انيس الخوري

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

السباع CARNIVORA

❖ الأَسد والانثى لَبُوءَة (من لبُوْ بالمصرية القديمة وهي لَبِي بالعبرانية ولَبُوْي بالقبطية [١]) ❖ Felis leo. E. & F. Lion نوعٌ من السباع [٢] من عائلة السنَّور وهو اشدها قوةً واهولها منظرًا. لونهُ الغبرة الضاربة الى الصفرة وللذكر منهُ لبدة تزيدهُ مهابةً وقد يكون عطلاً منها

وللأَسد اسماءٌ كثيرة اكثرها مشتقٌ من صفاتهِ وقد بحث فيها ابن سيدة بحثًا مستوفيًا في الجزء الثامن من المخصَّص

❖ البَبْر والبَبِر (فارسيَّة معرَّبة [٣]) ❖ F. Tigris E. Tiger F. Tigre نوعٌ

---

(١) بغية الطالبين ومعجم بروكش الهيروغليفي وغيرهما (٢) السبع هو المفترس من الحيوان مطلقًا والعامة تخصصهُ بالاسد وقد استعمل هذه اللفظة بمعنى Carnivore كثيرٌ من كتاب العرب منهم القزويني وابن سيده والجاحظ وهي افضل كثيرًا من تعريب اللفظة الافرنجية بآكلة اللحوم (٣) الالفاظ الفارسية المعربة للسيد ادّى شير رئيس اساقفة سعرد وهو من انفس الكتب العربية المطبوعة حديثًا واني وان كنت لا اعرف الفارسية استبيح سيادتهُ في مخالفتهِ في بعض الالفاظ كقولهِ ان لفظة الفارس بمعنى الاسد مشتقة من پارس بمعنى الفهد وارى ان اشتقاقها من فرس الفريسة اي دق عنقها اقرب الى العقل لانهم لم يقولوا الفارس فقط بل قالوا اياها فراس والفرّاس والمفترس والفرانس والفريسة الخ هذا فضلاً عن ان الفهد كان معروفًا عند العرب ولا يعقل انهم يستعملون هذه اللفظة للاسد ولفظة پارس هذهِ حسب زعم كاترمير تركية الاصل اخذها الفرس عن الترك ويقابلها يوز بالفارسية (انظر شرح كاترمير لكتاب جامع التواريخ لرشيد الدين صفحة ١٥٩)

من السباع الهندية من عائلة السنور يعادل الاسد في عظم الجثة والقوة الا انهُ اشد منهُ بطشاً وهو ابيض البطن والجانبين مع صفرة ومخطط بخطوط سود

ولا بد لي من الاطالة في الكلام عن الببر والنمر والفهد والوشق وعناق الارض وذلك لكثرة الخطا في ترجمة هذه الالفاظ · فالعرب لم يكن عندهم لفظة يعبرون بها عن هذا الحيوان المسمى Tigre عند الافرنج فاستعملوا اللفظة الفارسية ولم يسموهُ نمرًا ولا النمر الهندي ولا بأس بتسميته بالاسد الهندي كما جاء في محيط المحيط فانهُ اقرب الى الاسد مما هو الى النمر · وقد وردت لفظة الببر كثيرًا في المؤلفات العربية وفي الشعر العربي والمقصود بها هذا الحيوان المخطط المسمى Tigre عند الافرنج فقد جاء في كتاب عجائب المخلوقات " الببر حيوانٌ هندي اقوى من الاسد بينهُ وبين الاسد معاداة واذا قصد الببرُ النمر فالاسد يعاون النمر " وقال الدميري[1] في آخر كلامهِ عن الببر " وذكر في ربيع الابرار ان الببر على صورة الاسد الكبير وهو ابيض يلمع بصفرة وخطوط سود " وقال الجاحظ[2] " الفيل والببر والطاووس والببغاء والدجاج السندي مما خصّ الله بهِ الهند " . وقال في محلّ آخر " لان هذه السباع القوية الشريفة ذوات الرياسة كالأسد والببور والنمور لا تعرض للناس الاّ بعد ان تهرم فتعجز عن صيد الوحش " · وهو نفس ما يقولهُ الافرنج الآن عن هذه الحيوانات عند ما تصير من اكلة لحوم البشر . ثم قال في محل آخر "والببر هنديٌّ مثل الفيل ايضاً والكركدّن فلا يقوم لهُ سبعٌ ولا بهيمة ولا يطمع فيهِ ولا يروم ذلك منهُ " · وقد وردت هذه اللفظة في كتاب كليلة ودمنة ويفهم من سياق القصة انهُ من الحيوانات المفترسة فلو كان المقصود بهِ احد السباع المعروفة عند العرب كالنمر او الأسد او الفهد لما تعذر على ابن المقفع استعمال لفظة عربية حتى الى بكلمة اعجمية · وقد تُرجمت هذه اللفظة Tiger في النسخة الانكليزية من كتاب كليلة ودمنة[3] وورد ذكرها في مفردات ابن البيطار في آخر باب النمر حيث قال "والببر سبعٌ كبير" وتُرجمت Tigre في الترجمة الفرنسوية[4] . وهذه اللفظة مستعملة في بعض انحاء الهند في وقتنا الحاضر لهذا الحيوان بعينهِ[5] وكذلك الفرس

---

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري (٢) كتاب الحيوان للجاحظ

(٣) Kalila & Dimna, translated from the Syriac by Keith-Falconer

(٤) Traité des Simples, par Ibn El-Beithar, Traduction française

(٥) Ad-Damiri's Hayat Al Hayawan, by Lt.-Col. Jayakar

فانهم استعملوها بهذا المعنى ايضاً كما ورد في شرح جامع التواريخ الذي ذكرتهُ فقد ذكر الشارح كلمة ببر وقال عنها Qui designe le veritable tigre royal [1]

✥ النَمِر والنِمْر والنَمْر (سُمي بذلك للنُمَر اي النقط التي فيه) ✥ Felis pardus. E. Leopard or panther. F. Leopard ou panthère.

نوعٌ من السباع من عائلة السنَّور وهو اصغر من الاسد الا انهُ اجرأ منهُ وهو منقط الجلد نقطاً سوداً بعضها يشبه الحَلَق ويوجد منهُ صنف اسود . ووطن النمر افريقية وجنوبي آسية وهو پلنك بالفارسيَّة وقپلان بالتركية [2] وقد سمي نمراً لانهُ أنمَر اي منقط واهل الشام والعراق وبلاد العرب ومصر والسودان تسمي النمر ما يسميهِ الافرنج Leopard وقد رأيتهُ مراراً وصدتهُ وسأَلت العرب عنهُ وكلهم سموهُ نمراً وهم يعرفون الفرق بينهُ وبين الفهد فالفهد يختلف عنهُ كما سيجيءُ . واسم النمر بالعبرانية نامر[3] وجاء في التوراة « هل يغير الكوشيّ جلدهُ او النمر رقطهُ » (ار ١٣ : ٢٣) وهو نمرُو[4] بالاشورية وتراهُ مرسوماً على الآثار الاشوريَّة منقطاً . وقد اجمع علماء الافرنج مثل القانون ترسترام[5] وهمبرخ واهرنبرج[6] انهُ المعروف عند علماء الحيوان باسم F.pardus حتى ان الاخرين سمياهُ Felis nimr فوصف النمر في الكتب العربيَّة واستعمال العامَّة لهذه اللفظة في وقتنا الحاضر والآثار الاشوريَّة والتوراة كلها مجمعة على ان هذا الحيوان مرقط

✥ عَنَاق الارض . العَنَاق . التُفَه . الغُنجُل . العُنفُط . المِيلاغ . المِلْياغ . الزَغبَر . الزُغبور . الحُنجُل . الفُرَانق . (معرَّب پروانك بالفارسية اي النذير[7]) ✥

Felis caracal. E. Caracal or Red lynx. F. Caracal lynx.

نوعٌ من السباع من عائلة السنَّور وهو اكبر منهُ قليلاً وجميل المنظر جداً . لونهُ احمر ولهُ خصلة من الشعر الاسود في اعلى كلٍّ من اذنيهِ وهو يستأنس بسهولة ويصيد ويسمى سياه كوش بالفارسية وقره قولاق بالتركية ومعنى الاسمين الاذن السوداء ومن التركية اشتقت اللفظة الافرنجية

---

(١) Hist. des Mongols de Rachid El-Din, par Quatremère

(٢) نزهة القلوب نقلاً عن شرح جامع التواريخ الذي ذكرته آنفاً

(٣) Animals of the Bible, by H. C. Hart.

(٤) The Mammalia of Assyrian Sculptures, by Rev. Will. Houghton.

(٥) Fauna and Flora of Palestine, by Canon Tristram.

(٦) Symb. Physic. Mamm., Ehreng. et Hemp.

(٧) الالفاظ الفارسية المعربة . وفي كثير من كتب اللغة الفرانق هو الببر وهو خطأ

وقد وصف مؤلفو العرب هذا الحيوان وصفاً مدققاً حتى لم يبقَ عندي اقل ريب في انهُ المسمّى Caracal عند الافرنج وليس Badger بالانكليزية و Blaireau بالفرنسوية كما تجد ذلك في اكثر المعجمات فقد جاء في الدميري " عناق الارض دويبة اصغر من الفهد طويل الظهر يصيد كل شيء حتى الطير وهو التُفَه المتقدم ذكرهُ ". ثم قال عند ذكر التفه " ويسمى عناق الارض والفُنجل نوع من السباع نحو الكلب الصغير على شكل الفهد وصيدهُ في غاية الجودة والملاحة وربما واثب الانسان فيعقرهُ ولا يطعم غير اللحوم وقد وصفهُ الناشئ في ابيات

حلوُ الشمائل في اجفانهِ وَطَفٌ صافي الاديم هضيم الكشح ممسودُ
فيهِ من البدر اسماء توافقهُ منها لهُ سُفَعٌ في وجههِ سودُ
كوجهٍ ذا وجهُ هذا في تدوُّرهِ كأنهُ منهُ في الاجفان معدودُ
لهُ من الليث نابانُ ومخلبهُ ومن غريب الظباء النحر والجيدُ "

وهذا الوصف لا ينطبق على الغُرَيْر Badger بل على ما يسميهِ الافرنج Caracal فالغرير ليس بصافي الاديم بل لونهُ سوادٌ في بياض وغبرة وليس بهضيم الكشح بل يوصف بالسِمَن ولا هو حلو الشمائل ولا مدوَّر الوجه بل مستطيلهُ . واحسن من ذلك وصف القزويني لهُ حيث قال " العناق يقال لهُ بالفارسية سياه كوش فوق الكلب حجماً حسن الصورة جدًّا لونهُ كلون البعير الاحمر واذناه سود ". وهذا الوصف ينطبق تماماً على ما يميهِ الافرنج Caracal وقد جاء في كتاب التاريخ الطبيعي الانكليزي(١) ان هذا الحيوان يسمى Siah gush بالفارسية ووصفهُ مثل وصف القزويني . وعناق الارض يصاد بهِ في الهند في الوقت الحاضر(٢) ولم يسمع مطلقاً ان الغرير يصاد بهِ بل يصيدونهُ في بلاد الانكليز . وهذا الخطأ في ترجمة عناق الارض قديم جدًّا تجدهُ في معجم ريكاردسون المطبوع سنة ١٨٠٦ وقد ارتاب لاين(٣) في صحة هذه الترجمة

واول من انتبه لهذا الخطإ على ما اعلم القانون ترسترام فاصاب في ترجمة عناق الارض Caracal ثم عاد وترجم Badger عناق الارض ايضاً نقلاً عن المعجمات . ويظهر لي ان الكولونل جايكر اخذ عنهُ وقال ان Badger يسمى عناق الارض في فلسطين والذي اعلمهُ ان هذا الحيوان يسمى الغُرَيْر في الشام وهو الْبَغْر والغُرْغُور في كتب اللغة ولا اظن ان ترسترام سمع

---

(١) The Royal Natural History (٢) دائرة المعارف الفرنسوية وغيرها

(٣) انظر كلمة عناق في لاين

هذه اللفظة في فلسطين وكثير من الاسماء العربية التي ذكرها غير معروفة في فلسطين بل في مصر فقط واظنهُ اخذ اكثرها عن وصف البعثة الفرنسوية لمصر[١]. وقد ورد ذكر عناق الارض في خطط المقريزي نقلاً عن عبد الله ابن سليم الاسواني حيث قال في وصف بلاد البجه اي شرقي السودان " وبها سائر الوحش من السباع والفيلة والنمور والفهود والقردة وعناق الارض والزباد " فلا يمكن ان يكون المقصود Badger لان هذا الحيوان لا وجود لهُ في افريقية . وذكر شو في رحلتهِ ان هذا الحيوان يوجد في شمالي افريقية وسماهُ سياه كوش وقره قولاق وبالانكليزية Black-eared cat لكنهُ لم يذكر لفظة عناق الارض ويظهر انهُ كان معروفاً باسمهِ الفارسي والتركي في تلك النواحي ورحلة شو هذه في اواخر القرن الثامن عشر[٢]

✤ القط[٣] ✤ Felix E. Cat F. Chat جنسٌ من السباع يوجد منهُ انواع كثيرة منها القط الاهلي المعروف ومنها القطاط الوحشية وهي كثيرة

✤ الثِفا ✤ Felis chaus E. Jungle cat F. Chaus نوعٌ من السنَّور الوحشي وهو اكبر من السنَّور الاهلي وقصير الذنب ويوجد في مصر والشام ولم ارَ ذكرًا لهذه اللفظة سوى في الدميري حيث قال " الثفا السنور البري وهو قريب من الثعلب على شكل السنور الاهلي " ولم يزد على ذلك . والسنور المعروف عند علماء الحيوان باسم F. chaus يعرف في مصر في وقتنا الحاضر بالثِفا واظنهُ الحيوان الذي يسميهِ الدميري الثفا لتشابه الوصف واللفظ

✤ الجَغوَر (اميركية معربة) ✤ النمر الاميركي Felis onca. E. & F. Jaguar هذه اللفظة وردت جاكوار وجغور في دائرة المعارف ففضلت الثانية على الاولى

✤ البُومَا (اميركية معربة) ✤ الاسد الاميركي Felis concolor E. & F. Puma

✤ الوَشَق (فارسية معربة[٤]) ✤ Felis lynx E. European lynx F. Loup cervier.

نوعٌ من السباع على شكل عناق الارض الاَّ انهُ اكبر منهُ قليلاً وهو اغبر اللون ومنقَّط بنقط غير واضحة

---

(١) Description de L'Egypte, tome xxiii

(٢) Travels in Barbary, by Thos. Shaw

(٣) لفظة القط متشابهة في اكثر اللغات وكلها مأخوذة عن العربية وهذه على الغالب اخذتها عن مصدر افريقي وهي كديس باللغة النوبية وهو بحث طويل لا محل لهُ هنا

(٤) Note Sur Ibn El-Beithar par M. Leclerc,

وهذه اللفظة لا وجود لها في الدميري والقزويني وكتب اللغة المعروفة وقد وردت في مفردات ابن البيطار ومعجم دوزي[١] وربكاردسون والمنجد[٢] وفي مفردات ابن البيطار الفرنسوية تجدها مترجمة Loup cervier وكذلك في معجم دوزي وذكرها الدكتور رسل ايضاً ويظهر انها كانت مستعملة في ايامهِ في حلب لهذا الحيوان بعينهِ وسماهُ الدكتور رسل Lynx بالانكليزية ووشق بالعربية لكنهُ كتب اللفظة العربية وشاق[٣]

﴿ الفَهْد ﴾ Cynælurus jubatus. E. Cheetah or Hunting leopard
F. Guépard ou Leopard de chasse

نوعٌ من السباع بين الكلب والنمر الاَّ ان قوائمهُ اطول من قوائم النمر وهو منقط بنقطٍ سود لا يتكون منها حلق كالنمر ومخالبهُ لا تدخل في قُنُوب[٤] كمخالب النمر فهو بهذا شبيه بالكلب وهو يدجن بسهولة ويصيد واسمهُ يوز ويارس بالفارسية وچيته بالهندية[٥] واما في اللغات الاوروبية فقد تقلبت عليهِ اسماء كثيرة كما سيجيء

وقد ظن بعضهم ان الفهد هو ما يسميهِ الافرنج Lynx وبعضهم ترجمهُ Leopard فالذين ترجموا النمر Tigre ترجموا الفهد Leopard والذين ترجموا النمر Leopard ترجموا الفهد Lynx والسبب في ذلك على ما اظن ان الفهد لم يكن معروفاً تام المعرفة عند الافرنج قبل اوائل القرن الماضي واوّل من وصفهُ وصفاً تامًّا منهم العلاّمة كوفيه[٦] ولذلك ترى اسمهُ حديثاً عندهم فلفظة Cheetah هندية ولفظة Guépard استعملها الفرنسويون لجلود هذا الحيوان في السنغال[٧] في اوائل القرن الماضي فالذين ألّفوا المعجمات في اوائل القرن الماضي وترجموا النمر Leopard وهو صواب ظنوا ان الفهد هو ما يسمى عندهم Lynx لانهم لم يجدوا حيواناً مشابهاً لهُ بالوصف اكثر من هذا الحيوان وهكذا وقع الخطأ. والمدققون مثل بركهارت[٨] وشو[٩] لم يقعوا في هذا الخطإ فانهما ذكرا الفهد بلفظهِ العربي اي Fahed ولم يترجما هذه اللفظة وشو رآهُ في الجزائر ووصفهُ وصفاً حسناً ويظهر ان هذا الحيوان كان معروفاً عند قدماء اليونان فكان النمر يسمى عندهم Πάρδος او Πάρδαλις والفهد Λεωπάρδος

(١) Supplements aux Dictionaires Arabs, Dozy

(٢) المعجم المدرسي الحديث للاب لويس معلوف

(٣) The Natural History of Aleppo, by Dr. Alex. Russel

(٤) القنب من الاسد ما يدخل فيهِ مخالبهُ من يدهِ وكذلك الكم (المخصص لابن سيده)

(٥) Note sur Rachid El-Din par Quatremère

(٦) و (٧) Cassell's Natural History (٨) انظر الملحق في آخر رحلة بركهارت في النوبة

(٩) Travels in Barbary, by Thos. Shaw

اي اسد نمر كأنهُ متولد بين الاثنين وقد نقل العرب ذلك عنهم فقال الدميري ما نصهُ
" وزعم ارسطو انهُ يتولد (اي الفهد) بين نمرٍ واسد " . ثم ان الافرنج اهملوا كلمة Pard
واستعملوا مكانها كلمة Leopard للنمر فلم يبقَ عندهم لفظة للفهد فاستعملوا بعد ذلك لفظة
Once او Ounce وهي لفظة اخذها البرتوغاليون من يوز الفارسية ثم عادوا واستعملوا هذه
اللفظة لغير الفهد ايضاً واخيرًا ثبت الانكليز على اللفظة الهندية Cheetah والفرنسويون
على لفظة Guépard

والمعول عليهِ هو الاسم العلمي فعلينا ان نثبت الآن ان الفهد في كتب العرب والفهد
حسب تسمية العرب لهُ في وقتنا الحاضر هو الحيوان الذي يسميهِ العلماء C. jubatus . فالفهد
مشهور عند العرب من قديم الزمان وكانوا يصيدون بهِ كما يفعلون الآن وقيل ان اول من
صاد بهِ كليب ابن وائل واول من حملهُ على الخيل يزيد بن معاوية . وقد اثبت كاترمير[١]
انهُ نفس الحيوان المسمى چيته عند الهنود و يوز و پارس عند الفرس وكانت الفرس تقول
پارسجي كما كانت العرب تقول فهَّاد وهم يصيدون بهِ في الهند وفارس وبلاد العرب في وقتنا
الحاضر . وكان يؤْتى بالفهود من بلاد النوبة الى مصر من ايام الفراعنة الى ايام المماليك . وذكر
بركهارت ان امراء سنار ارسلوا هدية من الفهود الى الجنرال كليبر[٢] . وكان عندي فهدٌ في
كسله سنة ١٩٠٣ وكل العرب هناك سموهُ فهدًا واتيت بهِ الى حديقة الجيزة وسماهُ الكابتن
فلور C. jubatus والكابتن فلور من الذين يعوَّل عليهم . وقد سماهُ العلماء مثل ترسترام[٣]
واهرنبرج وهمبرخ[٤] فهدًا والاخيران ذكرا انهما سمعا هذه اللفظة في النوبة وقالا ان الفهد
هو F. jubata وكفى بالاخيرين شاهدًا لانهما من العلماء المدققين . وقد وصفت العرب
هذا الحيوان وصفًا لا ينطبق الأ على ما يسميهِ العلماء C. jubatus كما ترى في هذه الابيات
في وصف الفهود نقلاً عن الجاحظ

مرقّمةُ الاذناب نمرٌ ظهورها مخطّطةُ الآماق غلبُ الغوارب
مولعةٌ قطبُ الجباهِ عوابسٌ كأنّ على اشداقها خطُّ كاتب

وقال بعضهم في وصف فهدة

ومقلةٍ سال سوادُ الحجرِ منها الى شدقٍ رحيب المفغر

(١) Note sur Rachid El-Din par Quatremère
(٢) Note by Burkhardt in his Travels in Nubia.
(٣) Fauna and Flora of Palestine, by Canon Tristram
(٤) Symb. Phyic. seu description. Mam., Ehrenberg et Hemprich.

في ذنبٍ طالَ وجلدِ انمرِ وأيطلَيْ مستأسدٍ غضنفرِ

فهذا السواد بين المحجر والشدق لا يوجد في النمر Leopard ولا في الوشق F. lynx ولا في عناق الارض F. caracal بل في الحيوان المسمى C. jubatus كما ترى في الرسم

وكنت اود ان لا يقع هذا الخطأ في مؤَّلفين ظهرا هذه السنة وهما المنجد للاب لويس المعلوف وترجمة حياة الحيوان للكولونل جايكر وقد انتخبت هذين المؤلفين لما لهما من الشهرة ولانهُ سوف يعوّل عليهما في المستقبل فالصورة التي تمثل الفهد في المنجد هي صورة الوشق كما ان صورة النمر هي صورة الببر والصورة التي تمثّل عناق الارض هي صورة الحيوان المعروف في الشام بالغرير وهو الغرغور او اليغر وسيأتي ذكرهُ . وقد وقع مثل ذلك على ما يظهر للكولونل جايكر فان الجزء الثاني من مؤلفهِ لم يظهر بعد لكن ورد ذكر الفهد في سياق الكلام في الجزء الاول وأرى انهُ ترجمهُ Lynx كما انهُ ترجم عناق الارض او التفه Badger

الدكتور امين المعلوف

تزوير الكتب والمصنوعات

نشرنا في المجلد الثالث والعشرين من المقتطف خلاصة رواية للويس ده رجمون ومهّدنا لها تمهيداً قلنا فيهِ " لم نرَ في كل ما طالعناهُ من اخبار المتقدّمين والمتأخرين حقيقيةً كانت او موضوعة شيئًا يفوق هذه القصةَ لا في غرابة حوادثها ولا في انطباق وصفها على ما يُعلم من احوال البلاد التي حدث فيها واخلاق اهلها . وقد ادّعى راويها انها حقيقية وصدّقهُ كثيرون من نخبة علماء الجغرافيا لما رأَوا الانطباق المشار اليهِ آنفاً لكن البعض ارتابوا فيها بعد ذلك وقالوا انها موضوعة او ان جانباً منها حقيقي وجانباً موضوع . ومهما يكن من ذلك فالوصف الذي فيها حقيقي يعوَّل عليهِ كما يعوَّل على اصدق كتب الرحلات . وقد نشرت في جريدة العالم الانكليزية واقبل القراء على مطالعتها اقبالاً لا مزيد عليهِ واستأذنا صاحب الجريدة في نقلها ملخَّصة الى العربية فاذن لنا وسننشرها تباعاً مقتصرين منها على ما كثُرت فائدتهُ العلمية ونضيف اليها من الحواشي ما تتمُّ بهِ الفائدة"

ولما شرعت جريدة العالم في نشرها كان محررها واثقاً انها صحيحة فان لويس ده رجمون جاء ادارة تلك الجريدة بكتاب من احد اعضاء البارلمنت وقصَّ قصتهُ على مديرها وكان كلامهُ عن استراليا وسكانها وحيواناتها ونباتاتها واخلاق اهلها منطبقاً تمام الانطباق على ما

يعرف عنهما . وقد عرَّفهُ مدير تلك الجريدة بكثيرين من العلماء الباحثين في شؤون استراليا فباحثوهُ طويلاً ولم يجدوا في كلامهِ شيئاً يدلُّ على انهُ مصطنع بل وجدوا في قصتهِ اموراً كثيرة يستفيد العلم من نشرها . ولقيهُ اعضاء مجمع تقدُّم العلوم البريطاني فاخبرهم كيف وقع بين ايدي الاخطبوط وكيف انكسرت بهِ السفينة وكاد يغرق لولا كلبهُ وكيف اقام في جزيرة ولا طعام لهُ الاَّ لحم السلاحف وتزوج امرأة من اهالي تلك البلاد الاصليين ورأس قبيلة من قبائلهم وهم من اكلة لحوم الناس

ثم كُشف امرهُ قبل ان تمَّ نشر قصتهِ وعُرف انهُ مزوّر محتال . والتقينا باناس من سكان استراليا في رحلتنا الاخيرة الى اوربا وسألناهم عنهُ فاخبرونا انهُ زار استراليا بعد نشر قصتهِ وحاول القاء الخطب في مدنها عن سكانها الاصليين فلم يحفل بهِ احد لان المزور مكروه ولو جاء بالنفائس

وتزوير القصص والكتب شائع جدًّا وقد كان في الازمنة الغابرة اشيع منهُ الآن ولا نبالغ اذا قلنا ان نصف الكتب المنسوبة الى سقراط وافلاطون وارسطوطاليس وغيرهم من الفلاسفة ليس لهم بل منسوب اليهم زوراً فيؤلف الواحد كتاباً ويدَّعي انهُ لرجل من مشاهير القدماء ليتيسَّر لهُ بيعهُ بثمن كبير . اسلوب من اساليب التعيُّش ولكنهُ من افسدها واضرّها . وقد لا يكون غرض الواضع ماليًّا بل يكون ادبيًّا كما في تأليف كتاب نهج البلاغة ونسبتهِ الى الامام علي على قول من يقول انهُ ليس لهُ . ولعلَّ كثيراً من الكتب التي بين ايدينا موضوع لغاية دينيَّة او سياسيَّة والذين نُسب اليهم لا علم لهم بهِ ومن هذا القبيل العهد القديمة التي يقال انها اعطيت لرهبان دير سينا واهالي ايلة وغيرهم

ومن احدث المزورين الذين خدعوا الناس بتزويرهم زماناً طويلاً رجل فرنسوي اسمهُ جورج شلماناصر نشأ في اواخر القرن الثامن عشر وادعى انهُ ولد في جزيرة فورموسا التابعة الآن لليابان وانهُ من متنصرة اليابانيين وجاء البلاد الانكليزية ونشر فيها كتباً بلغة فورموسا وترجمها الانكليزية وانتدبهُ مطران مدينة لندن لترجمة كتاب التعليم المسيحي الى تلك اللغة وأُرسل الى اكسفرد لتتميم دروسهِ فيها فألَّف كتاباً عن فورموسا باللاتينية ترجم الى الانكليزية وراج رواجاً كبيراً . وكل ما كتبهُ هذا الرجل مختلق لا حقيقة لهُ وقد كُشف تزويرهُ اخيراً فاعترف بما جنت يداهُ وآب بالخزي والعار

ومن هذا القبيل رجل اسمهُ ڤربن لوكاس زوَّر نحو ٢٧٠٠٠ مستند ومنها مكاتيب نسبها الى كثيرين من المشاهير مثل الاسكندر المكدوني ويوليوس قيصر ولوقا الانجيلي

وكليوباطرة ملكة مصر ودانتي وشكسبير وصافو ونيوتن وبسكال . وقدَّم الى الاكادمية الفرنسوية اربع رسائل ادَّعى ان بسكال كتبها بين سنة ١٦٢٣ و١٦٦٢ وفيها ادلة على انهُ سبق اسحق نيوتن الى اكتشاف قوانين الجاذبيَّة . ودام البحث في هذا الشأن سنتين واخيرًا اقرَّت الاكاديمية على صحة هذه المكاتيب وعلى ان شرف السبق لبسكال في اكتشاف قوانين الجاذبيَّة وكان ذلك سنة ١٨٦٩ . وبقي هذا الاعتقاد شائعًا الى ان قام لفريه الفلكي المشهور واثبت تزوير لوكاس وان الرسائل الاربع اختلقها ولا علم لبسكال بها لكن لوكاس كان قد ربح من التزوير ٦٠٠٠ جنيه

ومن المزورين الكبار رجل اسمهُ سيمونيدس كان معاصرًا للوكاس فانهُ زوَّر تاريخًا لمصر الفهُ باليونانية ونسبهُ الى رجل اسمهُ اورانيوس وكتبهُ على رق الغزال بين سطور كتابة قديمة زاعمًا ان كتابتهُ اقدم من الكتابة التي على الرق وذلك انهُ احضر كتابًا قديمًا مكتوبًا على رق الغزال في القرن الثاني عشر وكتب تاريخهُ بين سطورهِ واعتنى لكي لا يتصل حرف من كتابتهِ بحرف من الكتابة التي كانت على الرق حتى يظهر لمن يراهُ ان الكاتب الذي كتب في القرن الثاني عشر وجد رقًّا عليهِ كتابة قديمة طامسة فكتب كتابة عليهِ . واعتنى سيمونيدس ايضًا بجعل الكتابة اليونانيَّة منطبقة على ما كان شائعًا في العصر الذي نسب التاريخ اليهِ شكلاً وانشاء وتابع بنصن في تاريخ مصر ولبسيوس في عدد السنين وهما من اشهر علماء الآثار المصرية . وارتاب العلماء في صحة هذا التاريخ ففحصوهُ فحصًا كيماويًا وميكروسكوبيًا ولم يجدوا فيهِ شيئًا يدلُّ على انهُ مزوَّر فعزموا على طبعهِ في اكسفرد ونشرهِ ولكن شهرة سيمونيدس بالتزوير اعادت الشك الى نفوس بعض الباحثين فاعادوا البحث والتدقيق فوجدوا ان حرف M اليوناني الكبير يختلف بعض الاختلاف عمَّا كان متَّبعًا في الزمن الذي نسب ذلك التاريخ اليهِ ووجدوا ايضًا حبر كتابتهِ في مكان واحد جاريًا فوق الكتابة التي كانت على الرق فثبت لهم حينئذٍ انهُ مزوَّر

وقصة القس شابيرا وتزويرهُ لنسخة من التوراة كتبها بالحروف الارامية لا تزال ترنُّ في الآذان وقد ادَّعى انهُ وجدها في كهف من كهوف فلسطين ولما كشف تزويرهُ مضى وشنق نفسهُ

وقد جاءنا في الصيف الماضي رجل يحمل تاريخًا عربيًّا قديمًا ادَّعى انهُ كُتب منذ الف سنة او اكثر والكتابة قديمة ولو لم ترتقِ الى الزمن الذي ادَّعاهُ ولما رأينا انهُ يصعب اقناعهُ بفساد دعواهُ من شكل الكتابة تفحصنا الورق فوجدنا عليهِ علامة معامل الورافة

الايطالية في القرن السابع عشر فدللناه عليها ولعلها صرفتهُ عن عزمهِ وهو عرض الكتاب على المتحف البريطاني

والتزوير شائع في الصناعة كما هو شائع في الكتابة فان باعة العاديات (الانتيكات) في القطر المصري قلما يعرضون شيئاً منها صحيحاً والغالب انهم يصنعون ما يبيعونهُ او تصنعهُ لهم المعامل في اوربا و يدفنونهُ في الارض مدة ثم يستخرجونهُ و يبيعونهُ كأنهُ من الآثار القديمة ومن هذا القبيل ان رجلاً ايطاليًّا اسمهُ باستيانيني ولد سنة ١٨٣٠ وربي في الفاقة الشديدة وكان ماهرًا في الصناعة والتقليد فاستخدمهُ رجل لصنع العاديات وبيعها كأنها صحيحة فصنع مرةً تمثالاً لساڤونارولا المصلح الايطالي واعتقد الخبيرون بصناعة النحت انهُ من صنع ميخائيل انجلو النحات الشهير واشتروهُ بعشرة آلاف فرنك . واعدَّت لهُ احدى الاميرات الروسيات هيكلاً لتضعهُ فيهِ ثم اعترف باستيانيني انهُ هو الذي صنعهُ لاجل الكسب

ومنذ عهد قريب اشترى متحف اللوڤر تاجاً قيل انهُ تاج الملك سيتافارنس وانهُ احتفر من جنوبي روسيا ودفع ثمنهُ اربعة آلاف جنيه . ثم ثبت ان هذا التاج مزور صاغ اكثرهُ صائغ من صاغة اودسا وكان لهذا الاكتشاف شأن كبير اوقع الريب في كثير من التحف التي في اللوڤر وغيرهِ من المتاحف

ومن اغرب ما روي من هذا القبيل ان احد اساتذة مدرسة ورتنبرج الجامعة واسمهُ برنجر كان يعلّم تلامذتهُ ان المتحجرات تكوّنت من العاب الطبيعة فقال بعض تلامذتهِ اذا كانت الطبيعة تستطيع ان تصنع حجارة مثل هذه فعلى مَ لا نصنع نحن مثلها فاتوا بحجارة يسهل نحتها وصنعوا منها دمًى مختلفة الاشكال والهيئات وطمروها حيث ينقب معلمهم الاحافير فعثر عليها واحلّها محلاً رفيعاً . ولما رأى تلامذتهُ منهُ ذلك اكثروا من عملها فزادوهُ إعجاباً بل ضلالاً على ضلالهِ . ولما صار عندهُ قدر كبير منها صوَّرها وطبعها في كتاب كبير ولم يلبث هذا الكتاب ان انتشر حتى اشتهر ايضاً ما كان من امر التلامذة واصطناعهم لما وُصف في الكتاب فلقي مؤلفهُ من التعيير والازدراء قدر ما كان ينتظر من الفخر والاحتفاء فجعل يشتري النسخ التي باعها و يحرقها الى ان اتى على اكثرها وكان كلما قلَّت النسخ غلا ثمنها فانفق كل ما كان يملكهُ ومات فقيرًا منصدع الفؤاد . ويقال ان واحدًا من عائلتهِ طبع الكتاب ثانيةً فراجت نسخهُ كثيرًا لما اشتهر عنها فردَّت الى العائلة ثروتها وزادت عليها . ويقال ان هذا الكتاب افاد البليئتولوجيين (علماء الحفريات) فائدة لا تقدَّر حتى لا ينخدعوا بمثل هذه الاخاديع

معالجة الكوليرا

كتب الدكتور بركت (R. W. Burkett) في احدى المجلات الطبية ما يأتي :

كانت الوفيات اثناء وباء الكوليرا الذي ظهر في سيلهت من جنوب أسام (Sylhet, Lower Assam) في فبراير ومارس وابريل ومايو من سنة ١٩٠٨ لا تقل عن ٩٥ في المائة وكانت المدة بين ظهور الاعراض الأولية وساعة الوفاة لا تزيد على عشر ساعات وكثيرًا ما رأيت شبانًا يموتون في ٦ ساعات او ٨ ساعات ورأيت اطفالاً تموت بعد ساعتين من الاصابة

وكذلك كان الموت في الذين يصابون اصابات متفرقة بعد زمن الوباء والمعالجة بطريق الفم لا تجدي نفعًا لان القيء يبتدئ حالاً بعد ظهور الاسهال ويكون عادة غزيرًا متواليًا. وكذلك المعالجة من المستقيم لا تفيد

ولقد كانت النتيجة حسنة جدًّا منذ ابتدأت اعالج المصابين بالكوليرا بالحقن تحت الجلد بمقدار ⅙ او ¼ قمحة من المورفين لاني لم افقد مصابًا واحدًا من الذين عالجتهم بهذه الطريقة على شرط الاسراع بالمعالجة قبل ظهور علامات الهبوط

ولقد افادت هذه الطريقة حتى في الاحوال المتقدمة التي ظهرت فيها علامات الهبوط الشديد فيفقد المريض كل علامات الحياة

وهذه المعالجة تفيد الاطفال والشبان معًا غير ان الذين اصيبوا بالكوليرا وهم في حالة تيفويديّة الشكل مات بعضهم لان تلك الحالة تحتاج الى تمريض وتغذية باعتناء شديد وكان السبب في موتهم عدم الاعتناء بهم في هذا الدور

وحقنة المورفين تحت الجلد هي احد امرين ضروريين جدًّا في المعالجة والامر الثاني هو استيعاب كمية كبيرة من الماء من وقت الى آخر من ابتداء الاصابة الى آخرها واذا كان المصاب في حالة هبوط شديد فيحقن اولاً بالمورفين ثم يحقن في اوردتهِ بمحلول ملح الطعام وفي هذه الحالة يمنع من الشرب لئلاً ينبه القيء. ولم ارَ مصابًا واحدًا لم تحسن حالهُ بعد حقنة المورفين لانها تمنع القيء والاسهال والمغص والتشنجات وينام بها المصاب نومًا هادئًا عميقًا من ٥ ساعات الى ٨

وقد يطلب المصاب الماء ويشرب بكثرة بعد الحقنة وقبل ان ينام وهذا الشرب لا يكون مصحوبًا بقيء وبعد ان يستيقظ من نومهِ يزول الهبوط المستولي عليهِ وتحسن نبضهُ وتتغير حالتهُ وقد يتقيأ بعد مضي ٨ ساعات او ١٢ ساعة من وقت الحقنة وينشأ هذا القيء عن الحقنة

نفسها ويختلف عن قيء المرض

واحياناً تعود الاعراض مرة ثانية بعد انقطاعها في مدة اربع وعشرين ساعة وفي هذه الحالة تكرر حقنة المورفين وهي تكفي لشفاء المريض . وهذه النكسة تحصل من تناول اغذية غير قانونية واما انا فلا اسمح بطعام مدة اربع وعشرين ساعة

ولقد دلتني تجاربي انهُ كلما كثرت كمية الماء سواء كان بالشرب او بالحقن في الوريد او بكليهما زاد الأمل في الشفاء وقرب وقته

واحسن شيء لمقاومة الهبوط هو الماء والشاي السخن. والشاي افضل شيء لادرار البول

واذا كانت حقنة المورفين لم تعمل الا بعد مضي ساعات كثيرة من الاصابة حيث يكون المصاب قد فقد بالقيء والاسهال كمية كبيرة من السوائل فيمنع من التبويل مدة يومين او ثلاثة ولا يكون في ذلك ازعاج له. ولم أجد فائدة في استعمال الاستركنين او الادوية الكحولية وكانت كل معالجتي قاصرة على ما ذكر

واما من جهة الغذاء فقد كنت اطعم المصابين كما يطعم الاطفال

كيف يفيد المورفين ؟ اني اظن ان المورفين يأتي بالفائدة لانهُ يريح الجسم راحة هو في حاجة اليها وفي اثنائها يستعد الجسم للمقاومة بافراز المواد التي تقاوم فعل سم الكوليرا وكل من يرى مصاباً بالكوليرا ويشاهد ما يقاسيهِ من الآلام والتهيج يوافق على اعطائهِ مخدراً ومسكناً لا يزيد في هبوطهِ وكل من يرى السوائل الزلالية التي يفقدها المريض بالقيء والبراز لا بد ان يبحث عن طريقة ليرد بها الى الجسم هذا النقص وكل من يرى مصاباً اصابهُ الهبوط بسرعة قبل ان يفقد شيئاً من السوائل الزلالية يتأكد انهُ لا بد من ادرار بولهِ لاخراج المواد السامة من دمهِ

ولقد عالجت مئات من المصابين بالكوليرا بهذه الطريقة في احوال غير مناسبة وكانت النتيجة حسنة فكم يكون النجاح اذا كانت الاحوال مناسبة انتهى

كلمة للمعرب. ان نظرية الكاتب في معالجة الكوليرا بهذه الطريقة مقبولة جداً ولقد اظهر ارتياحهُ من نتيجتها حتى في الاحوال غير المناسبة كأن يكون قد مضى على المصاب مدة طويلة حتى ظهرت علامات الهبوط وكوجود المصابين في محلات غير صحية وكعدم تيسر الممرضين والممرضات للاعتناء بهم فاذا كان قولهُ صحيحاً ولا اخالهُ الا كذلك وعُمل بهِ خفت وطأة هذا الوباء وقلت الوفيات بهِ حتى لا يعود الناس يجزعون منهُ عند نزولهِ ضيفاً ثقيلاً عليهم

الدكتور محمد عبد الحميد حكيم اسبتالية قليوب

الراديوم في طبقات الارض

من خطبة الاستاذ جون جولي رئيس قسم الجيولوجيا في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني

يمتاز هذا العصر بقرب المدة بين اكتشاف الحقيقة العلمية وبين استعمالها . ففي سنة ١٩٠٣ ثبت بالدليل ان حرارة الراديوم تكون اعلى من حرارة ما يجاورهُ وتبقى كذلك . وكان بعض العلماء قد تهيأوا لهذا الاكتشاف بمباحثهم المختلفة فلما ظهر جعلوا يبحثون في علاقتهِ بنظام الكون وفي كيفيَّة الانتفاع بهِ فصنع بعضهم ساعةً تتحرَّك بفعل الراديوم لا غير فان فيها ورقتين من ورق الذهب الرقيق فتتكهربان بفعل الراديوم وتندفعان فتتصلان بشيء موصل يزيل كهربائيتهما فتعودان الى وضعهما الاول ثم تتكهربان وتندفعان وهلمَّ جرًّا ويستمرُّ ذلك ما دام قربهما قليل من الراديوم لان القوة تصدر منهُ من غير انقطاع . وقولنا من غير انقطاع انما هو بالنسبة الى ازمنتنا القصيرة ولكن لا بدَّ من انقطاع القوة على تمادي الزمن لانها تزول كلها في ثلاثة آلاف سنة ولما كانت الازمنة الجيولوجية تقاس بملايين السنين فالزمن الذي تتم فيهِ قوة الراديوم طفيف جدًّا بالنسبة الى الازمنة الجيولوجية وعليهِ يجب ان لا يبقى في الارض شيءٌ من هذا العنصر اذا لم يتولد فيها من عنصر آخر

وقد ثبت الآن ان الراديوم يتولَّد من الاورانيوم ولكنهُ لا يتولَّد منهُ توًّا كما يتولد الولد من والديهِ بل يفصل بينهما والد آخر كأن الاورانيوم جدٌّ للراديوم لا والدٌ لهُ ولذلك فالاورانيوم هو علة بقاء الراديوم في الارض مع ما ينفد من الراديوم كل عام . اما ما يستحيل من الاورانيوم الى راديوم في السنة فقليل جدًّا لا يزيد على جزء من عشرة آلاف مليون جزء فينقص الاورانيوم نحو واحد في المئة كل مئة مليون سنة

وقد اتضح الآن ان الراديوم غير محصور في مكان واحد او امكنة قليلة بل هو موجود في كل مكان فهو موجود في الهواء وفي الماء وفي التراب وفي كل انواع الصخور . وقد حسب الاستاذ رذرفرد انهُ اذا كان مقدار الراديوم في الارض جزءا من خمس مئة الف مليون جزء منها فهو كافٍ ليردَّ الى الارض كل الحرارة التي تخسرها بالاشعاع . وقد بيَّن الاستاذ سترت ان مقدار الراديوم في صخور الارض واتربتها اكثر من ذلك كثيرًا فاستنتج انهُ غير موجود في باطن الارض كما هو موجود في قشرتها او انهُ لا يوجد الا في ما سمكهُ ٤٥ ميلاً من قشرة الارض والا لزادت حرارتها عمَّا هي عليهِ الآن

ثم بيَّن الخطيب كيف يكثر الراديوم في قشرة الارض ويقل في باطنها لانهُ لو وُجد

في باطنها اولاً بسبب ثقل عنصرهِ للزم ان يرتفع الى سطحها وينتشر فيهِ بسبب حرارتهِ الذاتية لان الحرارة تمددهُ فيخف ويصعد. ولعلَّ حرارتهُ وصعودهُ الى وجه الارض كان لها يدٌ في ثوران البراكين. واستطرد من ذلك الى وصف اشتغالهِ في هذا الموضوع وتجاربهِ التي جرَّبها لمعرفة مقدار الراديوم في المواد الارضيَّة فاثبت انهُ موجود في طبقة الصخور النارية في دكان من بلاد الهند ومساحة تلك الطبقة هناك ٢٠٠٠٠٠ ميل مربع وسمكها ٤٠٠٠ الى ٦٠٠٠ قدم ومتوسط مقدارهِ فيها مثل متوسط مقدارهِ في الصخور التي مثلها في شمالي ارلندا او في غرينلندا.

وكذلك وجدهُ في صخور الغرانيت على معدَّل واحد مهما اختلفت اماكنها وقارَّاتها

وقد امتحن مياه الاوقيانوس من اماكن مختلفة فوجد الراديوم فيها كلها ومقدارهُ قليل يبلغ ١٦ جزءا من الف الف مليون جزء وعليهِ فمقدارهُ في ماء البحار كلها نحو عشرين الف طن

وكما يوجد الراديوم في الصخور النارية وماء البحر يوجد في الصخور التي تكوَّنت بالرسوب في الماء ولكن مقدارهُ في الرواسب التي في قاع البحر يختلف كثيرًا فهو في بعضها نحو عشرة اضعاف ما هو في البعض الآخر ولا يعلَّل وصول هذا المقدار من الراديوم الى مياه البحر بما يصبُّ فيهِ من الانهر لان الراديوم في ماء النيل ربع ما هو في ماء البحر فلا بدَّ من ان المياه تجلب معها الى البحر شيئًا من الاورانيوم فيتراكم في قاعهِ على طول الزمن وبسبب كثرة الراديوم فيهِ

ويُعلم مقدار الرواسب التي رسبت في البحر من قديم الزمان الى الآن وكونت الصخور الرسوبيَّة من مقدار الملح الذي لا يزال ذائبًا في ماء البحر فان هذا الملح كان اصلاً في الصخور النارية ونسبتهُ اليها معروفة فاذا عرفنا مقدارهُ في ماء البحر الآن عرفنا مقدار الصخور الناريَّة التي انحلت وذاب الملح منها ثم تكونت منها الصخور الرسوبيَّة. وقد حسب الخطيب ان الصخور النارية التي ذاب منها ملح البحر تعدل ٩١٠٠٠٠ مليون مليون طن او نحو ٨٤٠٠٠٠٠٠ ميل مكعب من الصخور النارية

ووجد الخطيب بالامتحان ان مقدار الراديوم في الصخور الرسوبيَّة من كل الانواع اقل قليلاً من مقدارهِ في الصخور الناريَّة فاذا كان في هذه خمسة فهو في الصخور الرسوبيَّة اربعة. وهو في الرواسب التي في قاع البحر اكثر منهُ في الصخور الرسوبيَّة وفي الرمال والاتربة لان هذه كشفت زمانًا طويلاً فزال منها اكثر الراديوم الذي كان فيها فان الخطيب لم يجد في رمال بلاد العرب الاَّ نحو عشر ما وجدهُ في الصخور الرسوبية

ثم التفت الى كرة الارض كلها وقال ان كان الراديوم غير موجود في باطنها فالاورانيوم

الذي يتولد الراديوم منهُ موجود فيهِ فهل هو سبب حرارة باطن الارض · وبحث في حرارة الارض فذكر اولاً انهُ لا اتصال بين حرارة باطنها وحرارة ظاهرها بل قد زال هذا الاتصال منذ ملايين كثيرة من السنين قدرها لورد كلفن باكثر من الف مليون سنة لان الصخور التي بين باطن الارض وظاهرها غير موصلة للحرارة واذا وجد الراديوم في باطن الارض فحرارتهُ لا تسد مسدَّ ما يشعُّ من حرارتها سنويًّا لان هذه الحرارة لا تصل الى ظاهر الارض · وبعد ان اسهب في هذا الموضوع وذكر تجاربهُ المختلفة استنتج ان للراديوم يدًا في تكوُّن جبال الارض فانهُ يكون موجودًا بكثرة في صخورها الناريَّة ومتى تراكمت عليها المواد التي تجرفها المياه او ترسب منها صارت الحرارة المتولدة منهُ تزيد عامًا بعد عام وقرنًا بعد آخر الى ان تصير كافية لرفع المواد المتراكمة فوق الصخور النارية وبذلك يعلل تكوُّن الجبال او هو مساعد لفعل التقلُّص الذي عوَّل عليهِ الجيولوجيون حتى الآن كعلَّة لتكوُّن الجبال

اديان الامم المنحطة المدارك

اشرنا في الجزء الماضي الى التئام مؤتمر تاريخ الاديان في مدرسة اكسفرد الجامعة في اواسط شهر سبتمبر الماضي · وقد دُعينا الى هذا المؤتمر ولكن تعذَّر علينا تلبية الدعوة فبعث الينا احد الاصدقاء باكثر المقالات التي تليت فيهِ ومنها مقالة في اديان الامم المنحطة المدارك لمستر هرتلند العالم الانثروبولوجي الذي كان رئيسًا لقسم الانثربولوجيا اي علم الانسان في مجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٩٠٦ تلاها في ١٥ سبتمبر وجاء فيها على ما يقولهُ الباحثون في هذا الموضوع من حيث تولُّد الاعتقاد الديني في الانسان فابتدأ خطبتهُ بالاشارة الى اشغال الاستاذ تيلر استاذ الانثروبولوجيا في اكسفرد وما فعلهُ لتقدُّم هذا العلم ثم قال ان البحث عن اصل الاديان يتناول البحث عن علاقة السحر بالدين وقد ذهب الدكتور فريزر الى ان السحر والدين متناقضان وقال ان السحر هو محاولة التسلُّط على القوى الطبيعيَّة بوسائط عقليَّة او غير عمليَّة والدين محاولة استرضاء الكائنات العليا · فالسحر سابق للدين على رأيهِ ولم يلجإِ الناس الى الدين الَّا حينما رأوا السحر قاصرًا عن انالتهم اغراضهم او حينما ثبت للناظرين المدققين منهم ان الوسائل السحريَّة لا تفعل في الحقيقة ما ينسبهُ البسطاء اليها من الافعال

ولا يمكن اثبات هذا القول تاريخيًّا لان السحر والدين وجدا قبل زمان التاريخ واثباتهُ

الآن من النظر الى اقوام لا دين لهم مقصور في الغالب على قبائل اواسط استراليا لكن الذين شاهدوا اولئك القبائل وكتبوا عنهم لم يبيّنوا باي لغة كلموهم ولا كيف عرفوا انهم بلا دين فلا يمكن ان يبني حكم مقرر على ما رووهُ عنهم . الّا ان مباحث العلماء عموماً تدل على علاقة السحر بالدين من قديم الزمان . ومن رأي الدكتور بروس الذي بحث في اديان اهالي المكسيك القدماء وعاداتهم ان السحر سبق الدين عندهم وان شعائرهم الدينيَّة يقصد بها التأثير في معبوداتهم بقوة سحريَّة فهي التي تحفظ المعبودات وتزيد قوتها . وقد كان الناس يقيمون الشعائر الدينيَّة اولاً لاجل التأثير في الحوادث الطبيعيَّة كانزال المطر وتسكين العواصف ودفع الآلام وما اشبه ثم لما تخيَّلوا وجود الارواح في الموجودات الطبيعيَّة ونشأ من ذلك الاعتقاد بوجود الالهة جعلوا يقيمون تلك الشعائر لاجل تلك الالهة والغرض منها دوام فصول السنة في تعاقبها وزيادة الطعام وسائر الحاجيات . ولم يتغير الّا شيء واحد وهو ان الانسان كان اولاً يحاول الحصول على ما يريد مباشرة بواسطة الاعمال السحريَّة فصار يحاول الحصول عليهِ بواسطة معبوداتهِ ويقيم لها الرسوم الدينية او الاعمال السحرية ليقدّرها على انالتهِ اياها وصار يعتقد ان الآلهة تفقد قوتها اذا لم يساعدها عابدوها وتشيخ وتضعف اذا لم يقوُّوها بالسحر والضحايا ويخيم الظلام على الدنيا وينقرض منها نوع الانسان

ولا يزال الدكتور بروس يبحث في احوال اهالي المكسيك الحاليين وقد وجد عندهم كثيرًا من شعائر دياناتهم الوثنيَّة القديمة ولو كانوا من المتنصّرة وسيتلو علينا خلاصة ما اكتشفهُ من هذا القبيل

وقد ارتأى جمهور آخر من الباحثين وفي مقدمتهم المستر اندرو لانغ (صاحب كتاب السحر والدين) ان الاعتقاد بوجود كائن فوق الكائنات كلها نسبيًّا نشأ منذ عهد قديم في تاريخ الانسان بمجرَّد التصور او الاستنتاج العقلي ثم تلاهُ الاعتقاد بوجود الارواح . وهذا رأي آباء الكنيسة من قديم الزمان . والذين خالفوهم في ذلك ابدلوا التصور او الاستنتاج العقلي بالوحي الالهي . والمظنون ان آثار هذا الاعتقاد لا تزال موجودة في كثير من اديان الشعوب المنحطة المدارك . ويقول البعض انهم وجدوها عند كثيرين من اهالي استراليا ويقول غيرهم انهم لم يجدوها الّا عند قبيلة واحدة من قبائل الاستراليين اما عند القبائل الاخرى فلم يجدوا الّا الاعتقاد بوجود غول او عفريت يخدع النساء والاولاد واذا بلغ الاولاد اشدهم وصاروا رجالاً لم يعودوا ينخدعون بهِ . ولكن المرسلين الالمانيين الذين تعلَّموا لغة الارنتا من لغات استراليا بعد ان اقاموا فيها زمانًا طويلاً يقولون ان الارنتا

يعتقدون بوجود كائن يفوق الكائنات وقد الّهوا اسلافهم ايضاً . والخلاف كبير بين هؤلاء المرسلين وغيرهم من الباحثين لا يمكن تعليلهُ بان كل فريق منهم عاشر اقواماً غير الاقوام الذين عاشرهم الفريق الآخر. وقد ظن الباحثون الاولون ان اهالي استراليا يعتقدون بوجود كائنات فوق الطبيعة ولكن الباحثين الذين جاؤوا بعدهم ودققوا البحث خالفوهم في ذلك اما المرسلون فيميلون الى اثبات الاعتقاد بوجود الله عند كل الامم ويصعب عليهم ان يجردوا انفسهم عن هذا الميل ليبحثوا بحثاً خالياً من الغرض ولو تمكنوا من معرفة لغة المتوحشين معرفة كافية . وغيرهم من الباحثين الخالين من الغرض قلما يتيسَّر لهم مخالطة الاقوام المتوحشين وتعلُّم لغاتهم تعلُّماً كافياً لمعرفة معتقداتهم . ولذلك لا يمكن البت في هذه المسألة حتى الآن من هذا القبيل

والقبائل الاسترالية في الجنوب الشرقي من استراليا تعتقد بوجود كائن يفوق الكائنات يسمونهُ بما ترجمتهُ "اب" وهو الذي يحمي ما عندهم من الحدود والقوانين وهو الذي وضع بعضها ولا يعرفون اصلهُ . وفي تقاليدهم انهُ كان ساكناً على الارض وفعل فيها بعض المعجزات والآن مقرهُ الجو غالباً لا دائماً لانهُ يزور الارض حيناً بعد آخر

ومفاد كلمة اب عندهم اوسع من مفادها عندنا فهي تطلق عندهم على زوج الام واخوتهِ سواء كانوا من والديهِ او اقاربهُ الذين يدعوهم اخوة وكل الذين بلغوا سن الرشد معهُ وأُدخلوا معهُ في مصاف رجال القبيلة . اي ان الواحد منهم يعني بالاب كل رجل متقدم عليهِ من قبيلتهِ . وعندهم ان الاب الفائق او الكائن الذي يفوق الكائنات هو رئيس من رؤسائهم فاق غيرهُ في استعمال الاسلحة والسحر والكرم ولم يؤذِ احداً ولكنهُ يقاص بصرامة كل من يتعدَّى حدود العادات والآداب المرعية عندهم . وهم لا يصلُّون اليهِ ولكنهم يذكرون اسمهُ احياناً في حفلاتهم ويمثلونهُ بتمثال من الطين ويرقصون حولهُ . ولعلَّ ذلك اول درجة من درجات العبادة الدينية . وعندهم انهُ خالد لا يموت لانهُ ما من احد يموت عندهم الَّا قتيلاً او مسحوراً. وهو في الجو فلا يصل اليهِ احد ليقتلهُ وسحرهُ يفوق كل سحر فلا يستطيع احد ان يغلبهُ بسحرهِ . فشخص مثل هذا لا يستحق ان يسمَّى الهاً الاَّ اذا توسعنا في معنى الالوهية واطلقناها على كل كائن فوق البشر سواء عُبد او لم يُعبَد . وهم يعتقدون بوجود الارواح وعندهم ان ارواح الموتى تحف بهِ كما يحفُّون هم بشيوخ قبيلتهم ويخافون هذه الارواح ولكنهم لا يعبدونها

وتعتقد قبيلة الكاتش من قبائل استراليا الوسطى بوجود جبَّار يقيم في الجو لهُ نساء كثيرات وهنَّ النجوم المشرقة واولاد كثيرون ومنهم قبيلة الكاتش نفسها و يقولون انهُ اوجد

نفسهُ في قديم الزمان . ولعلَّ هذا القول " انهُ اوجد نفسهُ " قالهُ واحد منهم وقد سألهُ احد البيض قائلاً من اوجد هذا الجبار فضاقت عليهِ المذاهب وقال انهُ اوجد نفسهُ

ويصعب علينا نحن الاوربيين سواءٌ كنَّا مرسلين او باحثين او سائحين ان ندرك ما يتصورهُ الناس المنحطو المدارك لانهم لا يستطيعون ان يعبّروا لنا عن افكارهم ولا تصوُّراتهم جليَّة محدودة يسهل التعبير عنها . ويمكننا ان نقول الآن ما قالهُ احد الباحثين المدققين منذ اربعين سنة بعد ان اقام ست سنوات او سبع سنوات بين سكان جزيرة فنكوفر وهو " انهُ يجب ان نرتاب في كل الاخبار التي يقصها السيَّاح عن اديان المتوحشين لان تصوراتهم الدينيَّة لا يمكن فصلها عن الاوهام الغامضة التي تمازجها . والانسان وهو في حال السذاجة ادباً وعقلاً يحاول الوصول الى معتقد ما محاولة طفيفة ولكنهُ لا يصل الاَّ الى ظل من الظنون والمعتقدات يصعب علينا اكتشافهُ ويصعب عليهِ التعبير عنهُ ولا يستحق ان يسمَّى ديناً . واذا ارتقى الشعب فتحديد التصورات والتصديقات المتعلقة بما يُظن انهُ فوق طور الانسان وتنظيمها بطريقة معقولة مقبولة ليس مما يستطيعهُ المتوحشون بل هو من اعمال العقول المرتقية"

ثم قال انهُ بقي سنتين يبحث عن معتقداتهم الدينيَّة قبلما اكتشف انهم يعتقدون بقوة متسلطة او بحياة اخرى غير الحياة الدنيا لانهم يأنفون ان يتكلموا عمَّا يعتقدونهُ مخافة ان ينالهم مكروه اذا افشوا شيئاً من معتقداتهم للاجانب . واذا اخبروك شيئاً مزجوا اقوالهم بالاكاذيب اما لايهامك وتضليلك او لان صورهم الدينيَّة مشوشة لا يمكنهم التعبير عنها ولذلك لا يمكن التعويل على ما يقولونهُ لك من هذا القبيل. ثم ان ما تسمعهُ من الواحد منهم لا ينطبق على ما تسمعهُ من الآخر حتى يتعذَّر عليك ان تعرف منهم ما يعتقدهُ جمهورهم

فاذا كان ما ذكرهُ هذا الكاتب صحيحاً بنوع عام ويطلق على كل الشعوب المنحطة المدارك كما اعتقد وجب علينا ان نطرح كثيرًا مما يروى عنهم من الامور المحسوبة محققةً ويسهل علينا ان نعرف سبب التناقض بين رواة اخبارهم . وظهر منهُ ان عقل هؤلاء الاقوام لا يدلُّ على ان الاعتقاد بوجود الله من جملة المبادىء الاولية فيهِ بل يدلُّ على ان فيهِ تصوُّرات طفيفة تجتمع وتتكون منها صورة كليَّة للاله اذا ارتقت مدارك العقل

وعندي ان هذا يدعو الى قول باصل الدين وعلاقة السحر بهِ يختلف عن القولين المشار اليهما آنفاً . وهذا القول مبنيٌّ على شعورين الواحد شعور الانسان بوجوده والثاني شعورهُ بان حولهُ اموراً وحوادث لا يدركها او لا يعلم سببها . فاذا رأى هذه الامور

والحوادث شعر ان وراءها قوة تحدثها وهو يعلم ان القوة تحدث من الاشخاص فيستنتج ان تلك القوة او القوى متصلة بشخص او باشخاص ولكل شخص منها قوى وحاجات مماثلة للقوى التي فيهِ والحاجات التي لهُ. ولا بدَّ من ان يسعى ليترضى اولئك الاشخاص او ليجعل زمامهم في يدهِ . والقوة التي يترضى بها اولئك الاشخاص او تمكنهُ من جعل زمامهم في يدهِ هي السحر او العبادة ولها عند الاقوام المنحطة اسماء مختلفة يمكن تفسيرها بالسحر والسر والتقديس وما اشبه . وهؤلاء الاشخاص على درجات مثل الناس فالذين يحسبهم اقوى منهُ يجب عليهِ ان يترضاهم ويستعين بهم او يصطلح معهم والذين يحسبهم مثلهُ او دونهُ يحاول اخضاعهم لارادتهِ او ملاشاتهم . ويصل الى غرضهِ في الحالين بافعال يفعلها واقوال يقولها . والافعال والاقوال صادرة عن ارادتهِ او قوتهِ المشار اليها آنفاً وهي سحرهُ او سرهُ فاذا وجهها الى الاشخاص الخفية التي يتصوَّر انها حولهُ قصد ترضيها فهي الديانة واقوالهُ وافعالهُ دينية واذا وجهها الى الاشخاص الخفية التي يقصد قمعها فهي السحر والاقوال والاعمال سحرية ولكن ما من حدّ فاصل بين الديني والسحري كما لا يوجد حد فاصل بين هؤلاء الاشخاص واولئك ولذلك تمتزج الاعمال السحرية بالشعائر الدينية

وعلى هذا القول يكون اصل الدين والسحر واحداً وما هما الاَّ وجهان لصورة واحدة والظاهر انهما لم ينفصلا قط فلم يقل الانسان بوجود الالهة لانهُ عجز عن تدبير امور الكون ولا تقدَّم زمنُ السحر زمنَ الدين في كل مكان . اما استراليا فلا اسلّم بنفي الدين من بين اهاليها الاصليين ولكن لا يسعني الاَّ التسليم بان السحر اعم وارقى عندهم من الدين . والقول بثبوت الدين لقوم او نفيهُ عنهم يتوقف على ما نفهمهُ بالدين فان من العلماء من يحسب الشعائر التي يقوم بها بعض الشعوب من قبيل السحر كلها ومنهم من يحسبها دينية وقد وقع هذا الاختلاف بينهم لاختلافهم في مفهوم كلمة دين فاذا اتفقنا على معناها سهل علينا البحث عن اصل الدين وهل هو سابق للسحر او السحر سابق لهُ او نشأ كلاهما من اصل واحد

ثم انهُ مهما كانت معتقدات المتوحشين مبهمة وغير جلية ومهما كانت عقولهم عاجزة عن ادراك الصوَر المجردة فهم في امور معاشهم يسيرون سيراً لا يخامرهُ ريب يسعون في طلب الرزق ويحمون انفسهم ونساءهم واولادهم من اعتداء المعتدين عليهم اناساً كانوا او وحوشاً فهم اهل عمل لا اهل نظر فاذا وجدوا ما يكفيهم من الطعام والمأوى وكانوا في امن من الاعداء والوحوش رأوا فيهم قوة زائدة لا بدَّ من بذلها في عمل ما فيجرون بعض الاعمال المماثلة للرسوم الدينية قبل ان يكون لهم ديانة . والرسوم كثيرة في معاملاتهم بعضهم مع بعض كما هي

كثيرة عندنا فيستعملونها ايضاً لما يحيط بهم ولذلك تجد بعض هنود اميركا يقيمون حفلات الغناء والرقص دعوة للجواميس البرية و يعتقدون انها تجيب دعوتهم حينئذٍ . والذين يستخرجون الخمر من عصير الاشجار في جزائر سلبس من جزائر الهند الشرقية اذا وجد احدهم شجرة تستخرج الخمر من عصيرها اظهر بهجتهُ بها اولاً وكلّمها كلام المحب لمحبوب وعقد معها عقد الزيجة بورقة طويلة يربطها حول جذعها وضمها الى صدره وحسب انهُ اتخذها لهُ زوجة . ولا يفعل ذلك بالهزء والسخرية بل باعتقاد تام ان عملهُ هذا رسم واجب عليهِ لكي تجود لهُ الشجرة بعصارها ومتى حان وقت استخراج العصار منها جاءها بإناء من القنا الهندي مدعياً انهُ ابن الشجرة وطلب منها ان ترضعهُ بلبنها ثم يجيبهُ عن لسانها قائلاً ارضع يا ابني حتى تشبع فان ثديي امك مملوآن . و يوصل بها اولاً اناء صغيرًا لكي لا تخاف اذا علق اناء كبيرًا ومتى اطمأن بالها علّق اناء كبيرًا وهو يتوسل اليها ويتودد

والظاهر ان الناس تدرّجوا من رسوم مثل هذه يقدمونها الى الاشجار الى رسوم يقدمونها الى الالات والادوات ثم الى ارواح الموتى ثم الى الكائنات العليا التي تدبر امور البشر وهنا جراثيم السحر والدين . والانسان ابن العادة والاعمال التي يعتادها يألفها و يتوارثها اولادهُ من بعده ويصيرون يفعلونها لانها مأخوذة عنهُ بالارث من غير ان يعرفوا سببها او يبحثوا عنهُ . وتتكاثر الرسوم التي من هذا القبيل على مرور الازمان وكلما قلّ تفكير الناس كثرت اوهامهم ورسومهم . والانسان يعمل هذه الاعمال لانهُ مدفوع للعمل وبعض اعمالهِ سحري و بعضها ديني اما هو فلا يميز بينها بل يستعملها كلها على حدّ سوى و يستعمل الرسم الواحد في ما نعدهُ سحرًا و يستعملهُ ايضاً في ما نعدهُ ديناً . ولا اعرف قبيلة واحدة من القبائل المتوحشة وشعائرها خالية من كل فكر ديني . وقد ادّعى بعض السيّاح انهم التقوا باقوام لا دين لهم على الاطلاق ولكن وُجد لدى البحث والاستقصاء ان اولئك السيّاح لم يدققوا في البحث او عنوا بالدين معنىً اضيق من معناهُ الحقيقي . وتدلّ الدلائل على ان الاعمال السحرية ارتقت قبل الاعمال التي ندعوها دينية ولذلك يصح القول ان السحر سبق الدين عند بعض القبائل لا لان مبادئ الدين الاولية لم تكن موجودة عندهم بل لان السحر كان متغلباً عليها فاختفت معهُ

هذا ولنعد الى قول القائلين ان الاعتقاد بوجود كائن فوق الكائنات نسبيًّا موجود في الفطرة فان هذا الاعتقاد يمكن تعليلهُ بان الناس وهم على الفطرة كانوا يشعرون بوجود القوى حولهم فاستعظموا قوةً منها وزاد شأنها في عيونهم على توالي الازمان فهابوها ورووا عنها

الروايات الغريبة ونسبوا اليها ما استعظموهُ من الحوادث الطبيعيَّة وما تعذر عليهم تعليلهُ منها وخصوا بها رسومهم وشعائرهم · ولكن المعلومات التي لدينا الآن لا تكفي للحكم بان كل الناس جروا هذا المجرى او جروا عليهِ دائمًا

ثم اعتذر الخطيب عن تعرضهِ لهذا الموضوع بانهُ رأى قوَّة الادلة التي اقامها بعض العلماء الذين طرقوا هذا الموضوع من جهات مختلفة فخطر لهُ ان يأتي بشيء يحسبهُ مساعدًا على تفسير بعض ما فيهِ من المشاكل وذلك بتبيينهِ الى اين تتجه الاقوال التي قيلت فيهِ والنتائج التي وصلت اليها

تجارة مصر منذ مئة عام

تجارة مصر مع تونس والجزائر وطرابلس الغرب ومراكش

الواردات — يستورد القطر المصري بحرًا من هذه البلدان زيت الزيتون والطربوش والشال الصوف الابيض والشبشب والبرنس والعسل والشمع والسمن · فيدخلهُ سنويًّا من الزيت خمس مئة الى الف جرَّة تزن الواحدة بين اربع مئة وخمس مئة رطل · وثمن القنطار (١٥٠ رطلاً) بين ٤٥ و ٦٠ فرنكاً

ومن الطربوش ٣٠٠ صندوق في كلٍّ منها ٥٠ الى ١٠٠ دستة · وثمن الدستة بين ٣٠ و ٧٥ فرنكاً تبعاً لنوع الطربوش

ومن الشال الصوف للاعتمام بهِ ٣٠ او ٤٠ بالة في كلٍّ منها من ٢٠٠ الى ٤٠٠ شال · وثمن الواحد منهُ ١٢ فرنكاً

ومن الشبشب نحو ٣٠ الف زوج ترد من مراكش والجزائر وطرابلس الغرب وتونس ·

ومن البرنس ثلاثة آلاف او اربعة آلاف بعضها صوف وثمن الواحد بين ٦ فرنكات و ٢٠ فرنكاً والبعض الاخر حرير محوك في الجزائر وثمن الواحد منهُ بين ٦٠ فرنكاً و ٣٠٠ فرنك

ومن العسل خمسة آلاف او ستة آلاف وطب في كلٍّ منها ٤٠ او ٥٠ اقة · وثمن الاقة نحو فرنك

ومن الشمع اربعة آلاف اقة · وثمن الاقة بين ١٥ و ٣٠ قرشاً

ومن السمن الف جرَّة في كلٍّ منها ٣٠٠ الى ٣٥٠ رطلاً · وثمن القنطار نحو مئة واربعين قرشاً

وتعفي الحكومة المصرية من رسوم الجمرك جميع البضائع الخاصّة بالحجاج المتوجهين الى مكة فلا يُكشف عليها مطلقاً

الصادرات — يصدر من القطر المصري الى هذه البلدان اصناف مختلفة اخصّها الاقمشة الكتانية والقطنيّة والبن وزهر الورد المجفّف وبزر النيل وملح النشادر

فيرسل سنوياً الى تونس بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ بالة من الاقمشة في كلٍّ منها ٣٠٠ الى ٤٠٠ شقة . وثمن الشقة بين ثمانية قروش وثلاثين قرشاً

ومن البن خمسون فرداً . ومن زهر الورد المجفّف نحو عشرة قناطير . وثمن القنطار اربعة جنيهات . ومن بزر النيل ٣٠ اردباً . وثمن الاردب في مصر نحو سبعة جنيهات

ومن ملح النشادر نحو اربعة آلاف رطل

ومن البخور الجيد نحو مئة قنطار . وثمن القنطار وهو ١٥٠ رطلاً بين ٥٠ و ٦٠ فرنكاً

ويلي تونس في الاهمية الجزائر فطرابلس الغرب فمراكش فيرسل اليها كميات ليست بقليلة من جميع الاصناف التي ذكرناها وفي زمن الحجّ يعرّج حجاج هذه الاماكن المسافرون بحراً على الاسكندرية فيتبادلون البضائع مع تجارها في مجيئهم ورجوعهم ومما يأخذونهُ معهم ٤٠٠ او ٥٠٠ مقطع من المنسوجات الحريريّة المنسوجة في مصر و ٥٠٠ شقة آلاجه من نسج الشام و ٢٠ او ٣٠ بالة من حرير بيروت الابيض والاصفر

(٤) تجارة مصر مع سوريا

الواردات — ترسل بلاد الشام الى مصر فضلاً عن سلَعها الخاصّة اصنافاً مختلفة مما يرد اليها من الهند بطريق البصرة وبغداد فدمشق او بطريق مكة فتحضرهُ قوافل من الحجاج

فيرسل من يافا وغزّة ونابلس وعكا والقدس الصابون وزيت الزيتون والقطن وبزر النيل والسمسم والعفص وقليل من الشمع . وينقل جانب من هذه البضائع بحراً وجانب براً بطريق العريش . فيرد من الصابون نحو ٢٥٠٠٠٠ اقة . وثمن الاقة في الشام نحو ٦ قروش

ومن الزيت نحو ٨٠٠٠ قنطار . وثمن الرطل منهُ في مصر نحو قرش ونصف

ويرد من دمشق خاصةً قماش الحرير الممزوج قطناً والالاجه وقمر الدين والنقوع والفوطة وشال الكشمير والموصلين والمُلاة والثلاثة اصناف الاخيرة هنديّة ترد الى الشام بطريق بغداد

ويرسل من بيروت واللاذقية وطرابلس وخلافها كثيرٌ من الحرير الابيض والاصفر شلّلاً وثمن الرطل من الاول نحو ١٠ فرنكات ومن الثاني ١٨ فرنكاً

والتبغ وهو صنف مهمّ يرد اكثرهُ من اللاذقية بمعدّل ٤ آلاف بالة سنوياً كل بالة

٤٠٠ رطل . وثمن الاقة منهُ في مصر بين ٩ قروش و ٢٦ قرشاً

اما اجرة النقل في المراكب فكانت خمسة قروش عثمانيَّة عن كل قنطارين ونصف بوزن مصر

ورسوم الجمرك في مصر على معدل ١٠ الى ٣٠ في المئة . وفي عهد المماليك كان اعظم الرسوم ما يؤْخذ على الاقمشة الحريريَّة

الصادرات — يصدَّر من مصر الى سوريا الارز والحنطة والعدس والحمص والكمُّون والزعفران والكتان والجلود والبن والنيل والتمر الهندي والشَّشم وعرق اللؤْلوءِ وخرز نوى الدوم لعمل السُّبح والفلفل والزنجبيل والرقيق . ويشحن معظم هذه الاصناف من ميناء دمياط فيصدر منهُ نحو ٣٠ الف اردب من الارز سنويًّا . وثمن الاردب بين ٦٠ و٦٨ فرنكاً

ويُرسل الى الشام نحو الف اردب من الفول وثلاثة آلاف اردب من العدس ومئة اردب من الكمُّون . وثمن اردب الفول بين ٢٠ و٢٣ غرشاً واردب العدس ٢٦ غرشاً واردب الكمون ٦٥ غرشاً

ومتوسط ما تستورده ُ سوريا من السكَّر المصري سنويًّا الف قنطار . وثمن القنطار من جيّدهِ ٧٨ فرنكاً ومن رديئهِ ٣٨ فرنكاً . ويصدر اليها نحو ٥٠٠ قنطار من النيل وزن القنطار ٢٠٠ رطل . وثمنهُ بين ١٣٠ و١٤٥ فرنكاً . ونحو ١٠٠ من الرقيق سنويًّا

ورسوم جمرك الصادرات من مصر الى الشام بين ١٠ و٣٠ في المئة . ومتوسط اجرة نقل القنطار بالمراكب الشراعية ٨ قروش

(٥) تجارة مصر مع بلاد العرب والهند

الواردات — يَرِد الى القطر المصري من بلاد العرب بطريق القصير والسويس مقادير كبيرة من البن اليمني . وكان يرد اليها في الخمس عشرة سنة السالفة بطريق السويس نحو ٢٥ الف فرد من البن اما الآن فلا يتجاوز الوارد ١٥ الف فرد يزن الواحد منها $\frac{1}{2}$ ٣ قنطار وثمن القنطار المصري من هذا البن في ينبع بين ١٢ و١٥ ريالاً مصريًّا وفي جدَّة اقل من ذلك بريالين وهما قيمة ما يدفع عليهِ من الرسوم التي يستولي عليها شريف مكة . واجرة نقل القنطار من جدة الى السويس بين ٩ غروش و١١ غرشاً ومن هناك ينقل على الجمال الى القاهرة وسائر الجهات

ومما يجدر ذكره ُ هنا ان وزن القنطار والرطل في موانئ بلاد العرب مثلهُ في مصر والبندقية وذلك مما يعزز رأْي الرحَّالة برُوس وهو ان تجار البندقيَّة هم الذين أَدخلوا هذه الاوزان الى الشرق حين كانوا مستأْثرين بالتجارة فيهِ

وفضلاً عن البن يرد الى مصر من جدة وينبع اصناف عديدة من بضائع الهند مثل البخور والصمغ والبهارات وغيرها مما تجلبهُ السفن التجارية ويخزن فيها

الصادرات — يصدر من مصر الى بلاد العرب الحنطة والدقيق والفول والعدس والسكر والسمن وزيت الخس وزهر القرطم والاقمشة الكتانية الخ . واكثر ما يرسل من هذه الاصناف بطريق القصير في شهري ابريل ومايو ويرسل من السويس البضائع الاوربية المصدَّرة الى بلاد العرب او الهند مثل الزجاج البندقي والمرجان والقرمز والعصفر والحديد والرصاص والنحاس والورق . وقيمة ما يصدَّر من الزجاج والمرجان سنويًّا نحو ستة آلاف جنيه ومن الحديد والرصاص والنحاس الف وخمس مئة جنيه

(٦) تجارة مصر مع اوربا

الواردات — يَرِد الى مصر من البندقية المخمل (القطيفة) والاطلس والورق الابيض والاسمر والخرز الملوَّن ونوع من الجوخ الاحمر الجيد كان المماليك يتباهون بلبسهِ فيشترون الذراع منهُ بمئة وستين قرشاً صاغاً . ولكن بعد احتلال الجيش الفرنساوي للقطر المصري هبط هذا الثمن الى ٦٠ قرشاً

ومن المانيا النحاس الاحمر والاصفر والصفيح والفولاذ (الصلب) والمرايا والمسامير وسائر "الخردوات" والزئبق والزرنيخ والجوخ الخ

ومن توسكانا البلاط الرخام والقرمز ويباع الرطل منهُ في بلادهِ بين ٣ و ٥ ريالات والنفته والاقمشة الحريرية المنقوشة . وثمن الذراع منها بين ١٥ و ٢٠ فرنكاً

ومن فرنسا الجوخ والاقمشة ويبلغ مجموع اثمانها نحو ٥٠٠٠٠٠ فرنك سنويًّا والمرايا والمدى "والخردوات" ويقدَّر مجموع اثمانها بخمسين الف فرنك سنويًّا . والفولاذ والحديد والرصاص والصفيح بست مئة الف فرنك سنويًّا . والاسلحة والاصباغ والمشروبات والروائح العطرية وغير ذلك من الاصناف التي تستوردها فرنسا من الخارج وترسلها الى مصر

الصادرات — ترسل مصر الى فرنسا الارز والحنطة والعصفر وملح النشادر والنطرون والصودا وغزل القطن والاقمشة القطنية والكتانية والسنا وجلد الثور والجاموس والجمل والتمرهندي والبن وغير ذلك من الاصناف التي ترد اليها من الخارج . فترسل سنويًّا من الارز نحو خمسة آلاف اردب ومن القمح مقادير وافرة تختلف باختلاف السنين وحالة الغلة في فرنسا . وتصدَّر الى البندقية والمانيا وتوسكانا من اكثر هذه الاصناف بمقادير تتباين في اهميتها تبعاً للاحوال

التعبير والاداء في الخطابة

من كتاب الغصن الرطيب في فن الخطيب

(في التعبير)

س ما التعبير

ج هو تصوير المعاني بالالفاظ . وهو الاصل الثالث من اصول الخطابة

س متى يكون التعبير جيداً

ج متى كان ممثلاً للمعاني بصور لفظية محكمة الالتحام جميلة الانتظام تلج الآذان بلا استئذان

س لماذا جعلت التعبير الاصل الثالث من اصول الخطابة

ج لان الخطيب يصرف همهُ اول الامر الى اختراع الادلة واعداد الوسائل ثم يرتبها ترتيباً منطقياً . فيكون بالايجاد والترتيب قد كوَّن جسماً فيتعين عليهِ ان يكسوهُ ثوباً من اللفظ لائقاً

فان استطاع ان يأتي بجسم المعنى سليماً جميلاً وبالثوب فاخراً مناسباً كان كمن يعرض على الناس فتى جميل الوجه متناسب الاعضاء لابساً من انفس الثياب واجودها فتنعم العيون برؤيتهِ وتخضع القلوب لسلطان جمالهِ . وان لم يكن المعنى اللابس شائقاً واللفظ الملبوس لائقاً فلا يجد لهُ في القلوب تأثيراً

س بماذا يصل الخطيب الى الاتيان بالمعنى يشبهُ فتًى وضيءَ الطلعة جميل الصورة وباللفظ يحكي الثوبَ الفاخر الرائع المنظر

ج اما الاتيان بالمعنى بالهيئة المذكورة فلا يُدرَك الاَّ بعد اجالة النظر في الموضوع والاحاطة باطرافهِ وجعل مراعاة الاحوال والغرض المقصود نصب العين ووُجهة القلب

واما الباسهُ من الالفاظ ثوباً قشيباً فاخراً ملائماً فأمرٌ لا يقدر عليهِ الاَّ من كان كالثوَّاب جامعاً في مخزنهِ ما شاء الله من اصناف ثياب الذكور والاناث مماً يصلح لكل طبقة من طبقات الناس . بحيث كلما خطر لهُ معنيً وجد لهُ لفظاً يلائمهُ كما ان كل طالب يجد طلبتهُ في مخزن الثوَّاب

س الا تذكر لي قواعد البلاغة في التعبير

ج قد ذكرت لك كل ما لا بدَّ منهُ لتحصيل ملكة البلاغة . واشبعت الكلام في ذلك بعد الفراغ من اصول البيان فعليك بمراجعتهِ وليكن على ذكرٍ منك ان الاساليب

المبتذلة لا تستميل الاسماع ولا تجد مكاناً في القلوب فابذل الجهد ان تسمع الناس جديداً شائقاً

س اهذا الحدّ يبلغ شأن التعبير

ج اذا اردت ان تعرف منزلة العبارة فانظر الى رجال حسان الالوان طوال القامات لكن بعضهم لابس ثياب حرير نظيفةً ذات روعة على الزيّ المألوف وبعضهم عليهِ ثياب حرير رثّة وسخة وبعضهم عليهِ ثياب من الكتان فايّ هؤلاء يكون اجمل في عينك منظراً . فلا شك ان اجملهم في عينك هو الاول . وكذا لو عُرِض عليك ثلاثة اقداح واحد من خزف وواحد من زجاج وآخر من بلور وفي كلها نوع واحد[1] من الشراب لاخترت قدح البلور

س هل للخطيب ان يصرف همتهُ الى تنميق الالفاظ

ج سبيل الخطيب ان تكون عبارتهُ حرةً مهذَّبة لا تدخلها المحسنات اللفظية الاَّ عفواً تفتح للناس ابواب الآمال في مقام الترغيب . وتسدّ في وجوههم ابواب الرجاء في مقام اليأس وتملأ قلوبهم ذعراً في مقام الوعيد ورجاءً في مقام الوعد وهلم جرّاً

س ماذا تقول في الخطب المزينة بالاسجاع وانواع الجناس مثل الخطب الحريريّة وخُطب ابي حليم بطريرك النساطرة

ج اما الخطب الحريرية فما انشئت ليخطب بها على المنابر وانما هي خطب في كتاب جلّ الغرض من انشائهِ اظهار البراعة وغزارة المادة وبعد الشأو في الكتابة

واما خُطب ابي حليم فانما حلاّها بحلى التجنيس متابعةً لعادة العصر فلو ترسّل بها ما فوبلت بمثل ما فوبلت بهِ من الاستحسان والاستفصاح

على ان مثل ابي حليم غزارة مادة لا يخرج بهِ التزام السجع والجناس الى اضعاف المعاني والتكلف في المباني فهو كأبي القاسم الحريري يتقيد ويسابق المطلق فيأخذ عليهِ السبق

وان كنت في ريب من ذلك فعارض الخطبة المهملة لابي القاسم باي خطبة شئت من الخطب المرسلة لفحول الكتّاب فلا ترى لها مزية عليها في متانة التركيب وحسن التهذيب واليك منها

واكدحوا لمعادكم كدح الاصحاء . واردعوا اهواءكم ردع الاعداء واعدُّوا للرحلة اعداد السعداء . وادّرعوا حلل الورع . وداووا علل الطمع وسوُّوا أوَد العمل . وعاصوا وساوس الامل (المقامة السمرقندية)

---

(١) ومن هذا القبيل قول يونس بن حبيب ليس لعيّ مروة ؛ ولا لمنقوص البيان بهاء ولو حكّ بيافوخهِ عنان السماء . وقال ابن القوم البيان عناد العلم

س لماذا يختار في الخطب الاعراض عن الاشتغال بالحلى اللفظية

ج انما اختير ذلك ليتفرغ الخطيب الى اقامة المعنى واستنباط الاساليب التي تؤدي الى قلوب السامعين حتى تحصل المصلحة المقصودة بالخطبة وهي صبغ نفس السامع بمثل ما انصبغت بهِ نفس الخاطب واقصاء الخطيب عن الاشتغال بما يدلُّ على سعة علمهِ وطول باعهِ فانما هو خطيب مصلحة عامة لا خطيب التبجح والعُجب . فلا يليق ان يجعل الخطبة اعلاناً لعلمهِ وطول باعهِ

س ايّ الخطيبين يفضل على الآخر المتأنق بزخرفة العبارة ام المكتفي بان تكون مهذبة قريبةً الى الافهام

ج المكتفي بكون العبارة مهذبة قريبة الى الافهام فهذا يكون سديد البرهان لا مطلب لهُ الاّ فائدة السامعين واما المتأنق فجلُّ غرضهِ ان يقيم من الخطبة شهوداً على بسطة علمهِ ومن اجل هذا فضلَ ديموستانُ شيشرونَ الخطيب الروماني . (راجع محاورات فنلون في علم الخطابة ورسالتهُ الى المجمع العلمي الفرنسوي وقد ترجمتُ المحاورات والرسالة بالعربيَّة اما المحاورات فمطبوعة مع كتاب فصل الخطاب في الوعظ . واما الرسالة فمطبوعة في جريدة الروضة سنة ١٩٠٠)

(في الاداء الخطابي)

س ما الاداء الخطابي

ج هو القاء الخطبة

س هل للاداء شأن كبير في الخطابة حتى عدَّ من اصولها وأُفرد لهُ باب من كتبها

ج لا ريب في ذلك لان الاداء هو ابداء مقاصد الخطيب وشواعرهِ بحركات الجسم واختلاف طبقات الصوت الا وانما ساعةَ الاداء يكون الانسان خطيباً . وساعةَ الاداء نفسها يجاهد الاهواء الزائغة طالباً كبحها وابطالها

فاعظم خطيب ان لم يحسن الاداء تعرض الناس عنهُ وتمجُّ اسماعهم كلامهُ . وأحطُّ الخطباء طبقة ان توفر لهُ حسن الاداء فضل على أعلاهم طبقةً ان لم يحسن الاداء. ولاسيما عند العوام الذين انما ينظرون الى وقفة الخطيب وصوتهِ واشارتهِ وطلاقة لسانهِ وقلما يبالون بما وراء ذلك. فان لم يحسن الاداء فليس بخطيب قال ديموستان وقد سئل اي اصول الخطابة هو الاول. قال الاداء . فقيل لهُ ما الثاني . فقال الاداء. فقيل لهُ ما الثالث. قال الاداء

س ماذا ينضمُّ تحت لفظة الاداء الخطابي

ج الذاكرة والصوت والاشارة لان اجادة الاداء تقتضي ان يتذكر الخطيب للحال ما ينوي بيانهُ من الافكار والشواعر وان يوصلها الى السامعين بالصوت ناطقاً بها ولا بدَّ لهُ آخر الامر من اشارات تفيض على كلامهِ روح حياة لتتم النتيجة المقصودة

س ما الذاكرة

ج هي الخزانة المستودَعة معاني الخطبة ومبانيها

س أهي ذات شأن في الخطابة

ج هي كنز الخطابة وليس بعد الحكم المصيب شيءٌ يحتاج اليهِ الخطيب احتياجهُ الى ذاكرةٍ سريعة امينة

فان لم يكن لهُ حافظة اضطرَّ اما الى قراءة الخطبة واما الى ادائها وهو على ريب من الاحاطة بها حفظاً · وكلا الامرين تخلاَّن بحق الخطابة ولكن ان كان قد ضمَّ الى قوة الذاكرة سائر صفات الخطيب كان من الثابت ان يعجب ولو كان موضوعهُ من الموضوعات الممتهنة بكثرة الابتذال. قيل لأحد الخطباء ما احسنُ خطبك · قال هي التي كنت لها أحفظ

س بماذا يستعان على تقوية الذاكرة

ج يستعان بعدة وسائل احدها ترتيب اجزاء الخطبة فان المعاني الجيدة التنسيق يدعو بعضها بعضاً فهي كسلسلة متصلة الحلق

ثم كتابة الخطبة بخطٍ حسن وعبارة منقحة حتى لا يشقَّ عليهِ استظهارها وان يختار للحفظ اما اوَّل النهار او ما قبل النوم

ثم الممارسة والتجربة فلا يكفي ان يحفظها في ذهنهِ او يذكرها بصوت منخفض بل لا بد لهُ ان يخطبها بصوت عالٍ إما وحدهُ وإما في جماعة قادرين ان يقوّموا الأود ويصلحوا الخطأ · ولاسيما في مبدإِ امرهِ فمثل الذاكرة مثل الحقل يزيد خصباً كلما زدتهُ حرثاً وغذوتهُ سماداً ويعود جديباً متى تركتهُ بوراً

وليتوسل بكل ما يراهُ من هذه الوسائل اعون على تقوية ذاكرتهِ

س ما هي محاسن ومساوي كتابة الخطبة واستظهارها كلمة فكلمة

ج اما المحاسن فان هذا اسلوب وثيق ومن اللازم استعمالهُ للمبتدي . واما المساوي فقد يعرض انهُ يرتج على الخطيب كما حدث لبعض الناس على المنابر · وانها تقيد الخطيب وتجعل الاداء بارداً وتزيد الخطابة كلفةً وعناء كلما علت السنّ حتى ان بعضهم اضطرَّ ان يهجر المنبر شطراً من عمرهِ

اسباب الاحتلال البريطاني

(٨)

اشرنا في الجزء الماضي الى حادثة الضباط الشراكسة الذين اتُّهموا بالمؤامرة على قتل عرابي وقد قال عرابي للمحامي عنهُ ان مملوكاً من مماليك الخديوي اخذ على نفسهِ ان يدس السم لعبد العال باشا في مدرسة القبَّة ووضع لهُ السم في اللبن الذي كان عازماً على شربهِ ولكن خادم الباشا عرف ذلك قبلما شرب مولاهُ اللبن ثم تواطأ جماعة من الشراكسة على قتل عرابي نفسهِ وكل مصري مترقٍّ في منصب عالٍ . هذا ما ادعاهُ عرابي ولكن لم يقم دليل على صحة هذه الدعوى ولقد كان حكم المجلس العسكري حكماً سياسيًّا بعيدًا عن الانصاف . والظاهر ان عرابي كان كثير الظنون ولم تكن الدسيسة لقتلهِ الاَّ وهماً في مخيلتهِ

ولما صدر حكم المجلس العسكري وقع الخديوي في مشكل يصعب الخلاص منهُ لاسيما وان نظَّارهُ كانوا مؤيدين للمجلس لكن الباب العالي اعترض على الحكم لان عثمان باشا حائز على رتبة فريق وقد نال هذه الرتبة من جلالة السلطان فلا يستطيع الخديوي ان ينزعها منهُ . وطلب السلطان ان يحال الامر اليهِ فاجاب الخديوي بالامتثال فاغتاظ نظَّارهُ من ذلك اما هو فقال للسر ادورد ملت انهُ يفضل ان تخسر مصر بعض امتيازاتها ويردُّ اليها النظام الذي فارقها . واصرَّ النظار على رأيهم وقال رئيسهم للسر ادورد ملت انهُ اذا اصدر السلطان ارادة سنيَّة بالغاء حكم المجلس العسكري فالحكومة المصريَّة لا تطيع ارادتهُ واذا ارسل مأمورين من الاستانة منعوهم من دخول القطر المصري ولو اضطروا الى استعمال القوَّة

ولا شبهة ان نظار الحكومة المصريَّة وقفوا هذا الموقف في وجه الحكومة العثمانية لانهم كانوا معتمدين على مساعدة فرنسا . وارادت فرنسا حلَّ المشكل من غير توسط الباب العالي فاشار المسيو ده فرسينه ان يعفو الخديوي نفسهُ عن عثمان باشا ووافقهُ لورد غرانفل على ذلك ففعل الخديوي حسب مشورتهما . وفي ٩ مايو اصدر امرًا عاليًا بتخفيف العقاب الذي حكم بهِ على الضباط الاربعين وجعلهُ النفي من القطر المصري بدل النفي الى السودان فزاد الخلف بينهُ وبين نظَّارهِ . واستدعي مجلس الاعيان للاجتماع من غير امر الخديوي ولم تبقَ شبهة في ان الحزب العسكري كان ينوي خلع الخديوي وتنصيب محمود باشا سامي بدلاً منهُ

لكن مجلس النواب لم يكن موافقاً للحزب العسكري على تطرُّفهِ وطيشهِ وقال رئيسهُ سلطان باشا للسر ادورد ملت ان اعضاء المجلس عملوا باشارة عرابي في اسقاط وزارة شريف

باشا رغماً عنهم اما الآن فعلموا أن الحزب العسكري خدعهم وهم عازمون ان يسقطوا الوزارة ·
وكتب السر ادورد ملت في ١٣ مايو يقول ان مجلس النواب ورئيسهُ مؤيدون للخديوي على
ما يظهر ولكنهم طلبوا من سموهِ ان يعفو عن نظارهِ ويصطلح معهم فأبى ولذلك صار النظار
يقاومونهُ جهاراً ويتهددونهُ ويتهددون العائلة الخديويَّة كلها وقد اعتدوا على القانون
باستدعائهم مجلس النواب للاجتماع من غير امر الخديوي · والافكار قلقة في القاهرة وقد اخذ
كثيرون يرحلون عنها

وقدَّم رئيس مجلس النظار استعفاءهُ للخديوي واشار قنصل فرنسا وانكلترا بتعيين
مصطفى باشا فهمي بدلاً منهُ وقال السر ادورد ملت ليعينوا ايًّا كان ما عدا عرابي · وقال
زعماء الحزب الوطني انهُ اذا استعفت الوزارة فهم غير مسؤولين عن حفظ الامن اما انكلترا
وفرنسا فلم تقبلا ان تعفياهم من المسؤولية وطلبتا من وكيليهما في القاهرة ان يرسلا الى عرابي
ويخبراهُ انهُ اذا اختلَّ الامن يجد انكلترا وفرنسا ضدهُ ومعهما اوربا كلها وتركيا وتعدانهِ
مسؤولاً عن كل ما يحدث

وعُرضت رئاسة مجلس النظار على مصطفى باشا فهمي فأبى قبولها · وقال سائر النظار
انهم يستعفون اذا كان مجلس الاعيان يطلب منهم ذلك فقال رئيس مجلس الاعيان انهُ
يستحيل تغيير الوزارة ما دامت القوة العسكريَّة في يد عرابي · فقال المعتمدان الانكليزي
والفرنسوي للخديوي انهُ اذا استحال عليهِ تغيير الوزارة فليس لهُ الاَّ ان يتفق معها

وثبت حينئذٍ ان لا بدَّ من الاعتماد على الباب العالي في حل المسأَلة المصرية او على
انكلترا وفرنسا ولكن يجب ان يكون ذلك حالاً قبلما يتَّسع الخرق ويتعذَّر رتقهُ ومال المسيو
ده فرسينه الى الاستعانة بالجنود العثمانية واقترح الامور الآتية

(١) ان ترسل عمارة انكليزية وفرنسوية الى الاسكندرية

(٢) ان تطلب انكلترا وفرنسا من الباب العالي ان يمتنع عن المداخلة في امور مصر
في ذلك الوقت

(٣) ان تخبر المانيا والنمسا وروسيا وايطاليا بارسال العمارة الانكليزيَّة الفرنسوية الى
الاسكندرية ويطلب منهنَّ ان توصين سفراءهنَّ في الاستانة بما اوصت بهِ انكلترا
وفرنسا سفيريهما

(٤) ان الحكومة الفرنسوية عدلت عن خلع الخديوي (وكانت قد جاهرت قبلاً
بوجوب خلعهِ وتنصيب حليم باشا وقاومتها انكلترا في ذلك قائلة اننا وعدنا الخديوي بحفظ

منصبهِ لهُ فلا يجوز لنا ان نخالف وعدنا) وقالت فرنسا حينئذٍ انهُ لم تبقَ فائدة من ابدالهِ بآخر من بيت محمد علي

(٥) اما من جهة مداخلة الباب العالي فقال المسيو فرسينه انهُ اذا استدعت انكلترا وفرنسا جنوداً عثمانية الى القطر المصري وتولتا قيادتها فلا يكون ذلك من قبيل مداخلة الباب العالي واذا وصل الاسطولان الانكليزي والفرنسوي الى مينا الاسكندرية ورأت انكلترا وفرنسا انهُ لا بد من انزال الجنود الى البر فلا تكون هذه الجنود انكليزيَّة ولا فرنسويَّة بل تركية على الشرط المتقدم

(٦) ان يؤْمر قنصلا انكلترا وفرنسا ان لا يعترفا بسلطة شرعيَّة الَّا للخديوي وان لا يعاملا الحكومة المصرية الحاضرة الَّا في ما يدعو اليهِ تأْمين رعايا دولتيهما

فوافق لورد غرانفل على هذه الامور كلها ولكنهُ قال ان طلبنا امتناع الباب العالي عن المداخلة الآن يجب ان يكون على اسلوب لا يغضبهُ لاننا قد نضطر ان نطلب منهُ مطالب اخرى وان القوة التي تقتضي الحال ان ترسل الى مصر يجب ان تكون كبيرة واستحسن ان يدعى غيرها من الدول الاوربيَّة لترسل بوارجها الى الاسكندرية اذا ارادت . اي ان انكلترا كانت تريد ان تبقى القوة الاجرائية في مصر بيد الباب العالي وتكون اوربا كلها مراقبة على ذلك . فوافق المسيو ده فرسينه على الامر الاول الى الاشارة الى الباب العالي من طرف خفي بانهُ قد تُطلَب منهُ المداخلة الفعلية ولكنهُ لم يوافق على الامر الثاني اي طلب السفن الحربيَّة من بقيَّة الدول لان ذلك ينزع من انكلترا وفرنسا ما لهما من الحقوق الممتازة في مصر بعد ان اعترفت الدول لهما بهِ . فاجاب لورد غرانفل سفير فرنسا قائلاً ان المستر غلادستون يشاركني في الاسف لاننا لم ندعُ سائر الدول الى الاشتراك معنا والحكومة الانكليزيَّة تعدُّ ذلك خطأً ولكن الحكومة الفرنسوية قد وافقت الحكومة الانكليزيَّة على امور كثيرة فالحكومة الانكليزيَّة توافقها على هذا الامر ولو على غير رضاها

ولما بلغ السر ادورد ملت ما عزمت عليهِ الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية ارسل تلغرافاً الى لورد غرانفل في ١٤ مايو يقول فيهِ انهُ اذا لم يُعلم ان السلطان موافق على عمل انكلترا وفرنسا خيف ان يتفق النواب مع الحزب العسكري فيستحيل مقاومتهما بعد ذلك

وكان الخديوي يحسب ان لا بدَّ لهُ من مساعدة الباب العالي ولو ادبيًّا وطلب من السر ادورد ملت ان يتوسل الى الحكومة الانكليزية لتسعى لدى الباب العالي حتى يرسل اليهِ تلغرافاً يخولهُ فيهِ مخابرة انكلترا لتساعدهُ في رد سلطتهِ حاسباً ان ذلك يقويهِ على اكتساب

النواب ونزع ما خامر الافكار حينئذٍ من ان الباب العالي غير راضٍ عن فعل الدول الاوربيَّة

ومن المحتمل انهُ لو اعربت انكلترا وفرنسا عن قصدهما صريحاً لوافقهما الباب العالي قلباً وقالباً وانتهت المسألة على ما يرام ولكنهُ اغتاظ من فعل انكلترا وفرنسا ولا سيما من عزمهما على ارسال اسطوليهما الى الاسكندرية وطلب من سفيريهِ في باريس ولندن ان يحتجا على ذلك. واغتاظت الدول الاوربيَّة من ارسال الاسطولين حاسبة انهُ كان يجب على انكلترا وفرنسا ان تستشيراهن بذلك قبلاً فرفضنَ ان يكلمنَ السلطان لكي يمتنع عن كل مداخلة الآن

وكانت الحكومة الفرنسوية شديدة الكراهة الاستعانة بتركيا مخافة ان يقوم الشعب الفرنسوي عليها اذا علم بانها عازمة على ذلك فرأت الحكومة الانكليزية ان تجاريها على كتمان ما جرى بينهما وبين الباب العالي . وقال لورد غرانفل انهُ لم يكن في النية انزال الجنود الى القطر المصري ولا احتلالهُ احتلالاً عسكريًّا وانهُ حالما يستتب الامن في البلاد ويؤمن الرجوع الى الفوضى فالحكومة الانكليزية تترك مصر لنفسها وتسترجع اسطولها ولكن اذا جاء الامر على غير رغبتها وظهر انهُ لا يمكن الوصول الى الغرض المطلوب بالوسائل السلمية اتفقت انكلترا مع الدول الاوربيَّة وتركيا على الوسائل التي تراها هي والحكومة الفرنسوية انها بخير الوسائل . وقال لورد دفرين لوزير الخارجية في الاستانة " انهُ اذا كان الباب العالي لا يساعد على قمع الثورة وارجاع السكينة الى القطر المصري على ما يرام بل زاد المسألة تعقيدًا باظهار الامور على غير حقيقتها وجرى على ضد مشورتنا نضطر ان نضاعف اسطولنا في الاسكندرية ونبقى هناك الى ما شاء الله "

وكان قد اخبر سعيد باشا قبل ذلك انهُ اذا اخلص الباب العالي في عملهِ واعتدل فتكون اول ثمرة يجتنيها ان الحكومة الانكليزية تلغي الامر الذي بعثت بهِ الى بعض بوارجها لتنضم الى الاسطول

وطُلب من المعتمدين الانكليزي والفرنسوي ان ينصحا الخديوي ليغتنم فرصة وصول الاسطولين الى الاسكندرية ويسقط الوزارة الحاضرة ويكلف شريف باشا او شخصاً آخر يثق بهِ بتأليف وزارة جديدة

فاجاب السر ادورد ملت ان الخديوي لا يستطيع ان ينصب وزارة جديدة ما لم تكسر اولاً شوكة الحزب العسكري لانهُ لا احد يقبل هذا المنصب في الاحوال الحاضرة ولذلك اشار ان يكلم عرابي ورفاقهُ الثلاثة حتى يقنعهم بمغادرة القطر المصري وجعل الواسطة بينهُ وبينهم سلطان باشا رئيس مجلس النواب فسألهُ سلطان باشا هل عمل انكلترا وفرنسا مجحف

بحقوق الدولة العلية فاجابهُ السر ادورد ملت ان انكلترا وفرنسا تقصدان الاحتفاظ بحقوق الدولة العلية. لكن عرابي رفض الخروج من القطر المصري رفضاً باتًّا وقال احد الضباط على مسمع من قنصل فرنسا انهُ اذا رضي عرابي ان يترك بلادهُ فنحن نقطّعهُ ارباً. واجتمع مجلس النظار حينئذٍ وقرر انهُ لا يعترف لانكلترا وفرنسا باقل حق في المداخلة ولا يعترف بالسلطة لدولة الّا للدولة العلية. وقال رئيس المجلس لقنصل فرنسا الجنرال انهُ ما عاد في الامكان الاعتماد على مساعدة النواب لانهم كلهم مستاؤُون من مداخلة فرنسا وانكلترا. فتحققت مخاوف السر ادورد ملت وتمكنت الروابط بين النواب والحزب العسكري وبين عرابي والباب العالي وجاء اسعد افندي موفداً من الاستانة ومعهُ رسائل زادت النظار مقاومة لمطالب انكلترا وفرنسا

ولما رأى معتمدا انكلترا وفرنسا ان السعي في اقناع عرابي ورفاقهِ ليغادروا القطر المصري لم يأتِ بفائدة طلب السر ادورد ملت من حكومتهِ ان تخبرهُ بما يجب فعلهُ وقال لها انهُ اذا علم في مصر ان السلطان وافق على عمل انكلترا وفرنسا وعزم على ارسال جنودهِ اليها فمن المحتمل ان تنال المراد من غير ان تنزل جندياً الى البر. فبعث لورد غرنفل الى لورد ليونس سفير انكلترا في باريس يقول لهُ اخبر المسيو ده فرسينه ان الاخبار من مصر لا ترضي واعرض عليهِ ان ترسل حكومتنا والحكومة الفرنسوية منشوراً الى الدول تطلبان فيهِ منها ان تساعدنا لنطلب من السلطان اعداد الجنود لارسالها الى مصر

فلم تجب الحكومة الفرنسوية على هذا الطلب حينئذٍ واتفقت الحكومتان اخيراً على تفويض معتمديهما في مصر بعمل ما يريانهِ مناسباً لاخراج عرابي من القطر المصري

ولما بلغ هذا الخبر مصر اذيع منشور بين الضباط والجنود يقال فيهِ ان الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية مصرّتان على نفي النظار كلهم ونفي كل ضباط الجيش وحل الجيش المصري والغاء مجلس النواب واحتلال البلاد. ولما رأى معتمدا انكلترا وفرنسا ان هذا المنشور قد ذاع خافا ان يتفاقم الخطب بسببهِ وتتعرَّض حياة الاجانب الذين في مصر للخطر فعزما ان يلتجئا الى الوسائل الرسمية الفعَّالة لاخراج عرابي من البلاد فسلما رئيس مجلس النظار مذكرة فيها المطالب التالية

الاول خروج عرابي باشا من القطر المصري وقتياً مع حفظ رتبتهِ ورواتبهِ. والثاني ابعاد علي باشا فهمي وعبد العال باشا الى داخلية البلاد مع حفظ رتبتيهما وراتبيهما. والثالث استعفاء الوزارة الحاضرة

وكانت نتيجة هذه المذكرة ان الوزارة استعفت في ٢٦ مايو وكتبت الى الخديوي تقول

لهُ انهُ مالاً الدول الاوربية بقبوله الشروط التي اشترطتها فرنسا وانكلترا تخالف نص الفرمانات . فاجابها انهُ قبل استعفاء الوزارة لان ارادة الامة اقتضت ذلك وفي ما بقي فالامر متعلق به وبالسلطان وهو يحترم الحقوق السلطانية دائماً . فسرَّت الحكومة الفرنسوية بما حدث واجابت الحكومة الانكليزية على اقتراحها السابق من جهة مخاطبة الدول لتقنع السلطان بان يهيئ الجنود حتى تمضي الى مصر اذا اقتضت الحال انهُ لم يعد محل لهذا الطلب من الدول لان الوزارة استعفت واخذ الاضطراب يسكن رويداً رويداً

وعُرضت الوزارة على شريف باشا فرفضها قائلاً انهُ يستحيل عليهِ قبولها ما دام رؤساء الجيش في البلاد وارسل ضباط الجنود التي في الاسكندرية وضباط البوليس تلغرافاً الى الخديوي يقولون فيهِ انهم لا يقبلون باستعفاء عرابي باشا من نظارة الحربيَّة وانهم يمهلون الخديوي اثنتي عشرة ساعة لكي ينظر في الامر وبعد ذلك لا يكونون مسؤولين عن الامن العام . وقال سلطان باشا وغيرهُ من النواب للخديوي امام قنصل فرنسا الجنرال انهُ ان لم يردَّ عرابي باشا الى نظارة الحربيَّة فلا امان على حياتهِ وكان الصدر الاعظم قد عرض على الخديوي ارسال معتمد من الاستانة اذا كان الخديوي يطلبهُ . وسئل السر ادورد ملت عن رأيهِ في ذلك فقال انهُ اذا كانت حياة الخديوي في خطر فلهُ ان يعمل ما يظنهُ دافعاً لهذا الخطر . اما قنصل فرنسا فقال انهُ ينتظر تعليمات حكومتهِ

وارسل السر ادورد ملت حينئذٍ الى حكومتهِ يقول ان موقف الخديوي حرج جدًّا فالناس هنا يتهددونهُ بالقتل ونحن منعناهُ من النزول الى الاسكندرية لما كانت الفرصة تمكنهُ من ذلك ومنعناهُ ايضاً من الالتجاء الى الدولة العلية التي يمكنها وحدها ان تساعدهُ فلا بدَّ من انهُ قد ندم الآن على اتباعهِ مشورتنا واعتمادهِ على مساعدتنا

فلما رأى لورد غرانفل ذلك وتبيَّن لهُ ان فرنسا مصممة على عدم اشراك تركيا في مسألة مصر مهما كانت العواقب بعث الى سفرائهِ لدى الدول يقول ان الحكومة الانكليزية تود ان لا يتأخر السلطان عن تعضيد الخديوي واستدعاء الرؤساء الثلاثة (عرابي وعلي فهمي وعبد العال) ورئيس مجلس النظار السابق الى الاستانة

وتفاقم الخطب في القطر المصري وبادر العلماء والرؤساء الروحيون والنواب الى الخديوي وطلبوا منهُ ان يرد عرابي الى نظارة الحربية فلم يجبهم الى طلبهم فقالوا لهُ انهُ يجب ان لا يعرّض حياتهم للخطر ولو كان لا يهتم بامر حياتهِ فان عرابي قد تهدَّدهم كلهم بالموت اذا لم يجبهم الخديوي الى طلبهم . وقيل ان حرَّاس السراي أُمروا بان يمنعوا الخديوي من

الخروج منها وان حاول الخروج فعليهم ان يطلقوا الرصاص عليهِ فلما رأى ذلك اضطرَّ ان يرد عرابي الى نظارة الحربيَّة وطلب من السلطان ان يرسل مأمورًا الى مصر

ذكر لورد كرومر الحوادث السابقة بالاسهاب وقال ان خلاصتها هي اننا جرَّبنا ان نخلص الخديوي من سلطة الحزب العسكري فلم نستطع بل بقي الفوز لعرابي ورفاقهِ وبقيت السياسة الانكليزية مقيدة باتفاقها مع فرنسا ولو انها كسرت بعض تلك القيود . ولم نلجأ الى السلطان لاصلاح الحال مع ان لورد غرانفل والسر ادورد ملت كانا يعتقدان ان الالتجاء اليهِ هو السبيل الوحيد لمنع الحرب وكان المسيو ده فرسينه معارضاً لذلك كما كان سلفهُ وكانت نتيجة هذا التردُّد ان السلطان والدول الاوربيَّة والشعب المصري كل هؤلاء اساؤوا الظن بسياسة انكلترا وفرنسا . ورأى الخديوي بالاختبار ان الاعتماد على مساعدة انكلترا وفرنسا كالاعتماد على قصبة مرضوضة

وانضح حينئذٍ انهُ لا يمكن التغلُّب على عرابي الاَّ بالقوة واذا لم يتقدَّم احد لاستعمال تلك القوة وجب على انكلترا استعمالها ولو انفردت في ذلك

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اللبن النافع والضار

يولد الطفل ولا سبيل لهُ الى الغذاء الاَّ من ثديي امهِ او مرضع أُخرى او من لبن المواشي فاذا ارضعتهُ امهُ وكانت على تمام الصحة جسدًا وعقلاً فذلك خير الاساليب لتغذيتهِ وكذا اذا ارضعتهُ مرضع اخرى جيدة الصحة رضيَّة الاخلاق ولكن اذا كانت المرضع مريضة او معرَّضة للانفعالات النفسيَّة او اذا دعت الحال الى تغذيتهِ بلبن المواشي فقلما ينجو من الادواء المختلفة التي تودي بهِ او تغادرهُ عليلاً سقيماً

ومما هو في حد الغرابة ان الامة التي تنفق ملايين الجنيهات كل سنة على حربيتها وبحريتها لتعزيز شأنها بين الممالك لا تهتم اقل اهتمام بصحة اطفالها الذين يتوقف عليهم نموها وارتفاع شأنها

ترى الجنود يخرجون كل يوم للتمرُّن العسكري وترى قوادهم يخرجون بهم قبيل الفجر اياماً كثيرة في السنة للمناورات . واذا نظرت في ميزانية الحربيَّة رأيتها جزءا كبيراً من ميزانية الحكومة العمومية واذا فتَّشت في تلك الميزانية عن باب لحفظ صحة الاطفال او للاعتناء بارضاعهم لم تجد فيها اشارة اليهِ

بلاد كالقطر المصري يولد فيها كل سنة نحو اربع مئة الف طفل ويموت ربعهم في السنة الاولى او يعيش سقيماً معرضاً للادواء والآفات حتى قلما يجتاز السنة الخامسة من العمر. هؤُلاء مئة الف نفس لا تجد في ميزانية الحكومة جنيهاً واحداً لحفظ حياتهم ودفع الادواء عنهم

ولو كان هذا الاهمال محصوراً في الديار المصرية لقلنا ان قد حان زمن الانتباه للواجب ولكنهُ عام حتى في البلدان التي سبقتنا بمراحل كفرنسا وانكلترا والغالب انهُ ناتج عن الجهل بقوانين الصحة وضررهُ عندهم اشد من ضررهِ عندنا لان كثيرات من نسائهم صرن يعملن في المعامل فاضطررن ان ينقطعن عن ارضاع اطفالهنَّ ويغذينهم بلبن المواشي او بالالبان المجمد وهو قلما يسلم في الحالين من سموم تضرُّ بالطفل واللواتي يرضعن اطفالهن يتعرضن للانفعالات النفسيَّة بسبب الكدح الشديد في طلب المعيشة فتتولد في ابدانهنَّ مواد تسمُّ لبنهنَّ وتجعلهُ غير صالح لتغذية الطفل . وقد قدَّر احد الاطباء الاميركيين ان خمسة في المئة من اطفالهم يموتون بامراض ناتجة عن شرب اللبن

واللبن افضل غذاء اعدَّتهُ الطبيعة للطفل وللمريض لانهُ يحتوي كل المواد اللازمة لبناء الجسم ولكنهُ افضل غذاء ايضاً للميكروبات المختلفة فتتكاثر فيهِ اذا وصلت اليهِ بسرعة فائقة فقد بحث بعضهم في اللبن الذي يباع في مدينة نيو يورك فوجد في السنتيمتر المكعَّب منهُ ٣٥ مليوناً من الميكروبات وفي اللبن الذي يباع في مدينة لندن فوجد في السنتيمتر المكعب نحو ٣٢ مليوناً والذي يباع في مدينة وشنطون فوجد في السنتيمتر المكعب منهُ ٢٢ مليوناً . ووجد ان ٧٨ ميكروباً من ميكروبات التيفويد تصير في اللبن ٤٤٠ مليون ميكروب في سبعة ايام. والسنتيمتر المكعب نحو ١٦ نقطة ففي كل نقطة من اللبن الذي يباع في اعظم مدن الدنيا نحو مليونين من الميكروبات

واذا حلب اللبن من بقرة سليمة في اناء نظيف معقَّم امكن حفظهُ فيهِ زماناً طويلاً من غير ان تصل اليهِ شائبة ما ولكن اذا كان الاناء غير نظيف او كانت البقرة عليلة وصلت الميكروبات الى اللبن ونمت فيهِ بسرعة فائقة وقد لا تكون كلها ضارة بل يكون الضار منها

قليلاً في جنب غير الضار ولكن هذا الضار يشمل التيفويد والدفثيريا والحمى القرمزية والسل وما اشبه وقد تكون الميكروبات الاولى التي يتلوَّث بها اللبن في الاناء الذي يحلب فيهِ او يوضع فيهِ وقت نقلهِ من مكان الى آخر وقد تكون لاصقة باصابع الحلاَّبات وقد تكون في جسم البقرة نفسها كما اذا كانت مصابة بالسل او بمرض في ضرعها

وكيفما كانت الحال فالاعتماد على لبن البقر لتغذية الاطفال في بلاد تقلُّ النظافة فيها كالقطر المصري ضرب من الحماقة ولاسيما اذا كان الفصل حارًّا ولا امل ان الحكومة تراقب اللبن الذي يباع حتى يمنع تلوثهُ بالميكروبات . واغلاء اللبن حتى تموت الميكروبات منهُ يجعل هضمهُ عسيرًا على الاطفال لاسيما وان الاغلاء لا يميت جراثيم الميكروبات الاَّ اذا طالت مدتهُ فلا يبقى لارضاع الطفل غير ثدي امهِ او ثدي مرضع اخرى اذا كانتا سليمتين جسدًا وعقلاً

شرب الماء

قال الدكتور دانيال ساجر في كتاب وضعهُ حديثًا موضوعهُ " كيف يعيش الانسان بصحة جيدة " ان الاعتقاد الشائع في اليابان هو ان الاكثار من شرب الماء والاغتسال بهِ افضل الوسائل لاتقاء الامراض واهل الصراع عندهم الذين لا يغلبهم احد يشرب الواحد منهم جالونًا من الماء في يومهِ او نحو اقتين ونصف اقة . ولما كانت السيادة في بلادهم لفريق السموري اهل القوة والنجدة كان سرُّ تفوُّقهم وقوة ابدانهم كثرة شربهم للماء وكانوا يكتمون ذلك عن سائر الناس

ولا شبهة في ان الماء من الضروريات ولا ضرر منهُ الاَّ اذا زاد على الحاجة كثيرًا او اذا شرب في غير الوقت المناسب لشربهِ ولا عبرة بالعطش لان الانسان قد يشعر انهُ عطشان وهو غير محتاج الى شرب الماء . وخير الاوقات لشرب الماء حينما تكون المعدة فارغة او حينما تكون قد اكملت هضم الطعام . والظاهر ان الدواب احكم من الناس في شربها للماء فانها لا تشرب وهي تأكل ولا بعد الاكل مباشرة . ويختلف مقدار الماء اللازم للانسان باختلاف الفصول والاعمال ومتوسطهُ لا يزيد على اقة في اليوم

متى وصل الماء الى المعدة امتصت الاوعية الدموية بعضهُ ونزل البعض الآخر الى الامعاء فيمتصهُ هناك الغشاء المخاطي الذي يبطن الامعاء ويصبهُ في قناة توصلهُ الى وعاء كبير من الاوعية الدموية فيصل الى القلب ويجري مع دمهِ الى كل اجزاء البدن فالذي

يصل منهُ الى غدد الفم يفرز منها لعاباً والذي يصل الى المعدة يفرز منها عصارةً معدية والذي يصل الى البنكرياس والكبد والامعاء وغيرها من اعضاء الجسم تتكوَّن منهُ مفرزاتها التي تصبُّ في الجسد او الفضول التي تخرج منهُ بولاً وعرقاً وما اشبه. واذا شرب الانسان مئة درهم من الماء خرجت من جسمهِ هكذا ٥٢ درهماً منها بولاً و ٢٨ درهماً عرقاً و ١٨ درهماً بخاراً مع النَفَس ودرهمان مع الغائط وتتغير هذه النسب باختلاف الاوقات والفصول

والماء الطبيعي النقي الخالي من الشوائب خير شراب يشرب ولا تفضل عليهِ المياه المعدنية بوجه من الوجوه. ويسهل جعل كل المياه معدنية باضافة قليل من ملح الطعام وكبريتات الصودا او فصفات الصودا اليهِ

اتقاء الشيخوخة

واذا الشيخ قال أُفٍّ فما مل الحياة ولكن الضعف ملاَّ

ترى شيخاً جاوز الستين او السبعين وهو كالكهل او كالشاب في انتصاب قامتهِ ونضارة جلدهِ وبشاشة وجههِ وتلألوء عينيهِ ويطلق ذلك على الرجال وعلى النساء . وترى كهلاً او شاباً قد احدودبت قامتهُ وزالت نضارتهُ وزالت بشاشتهُ وقامت عيناهُ كأنهُ شيخ هم ويطلق ذلك على النساء ايضاً كما يطلق على الرجال فليس العبرة بالسن بل بما يجعل جسم الشيخ وقلبهُ كجسم الشاب وقلبهِ او بما يجعل جسم الشاب وقلبهُ كجسم الشيخ وقلبهِ اي بمراعاة قوانين الصحة جسداً وعقلاً او الجري على ضدها

فاذا بقي الدم سليماً جارياً مجراهُ الطبيعي ولم يسرف المرء في قواهُ الطبيعية فكلما شاخت دقيقة من دقائق جسمهِ وانحلت بسبب ما اتى الدم بدقيقة جديدة بدلاً منها فيبقى الجسم على حالهِ واذا كانت الاخلاق رضيَّة والافكار مطمئنة لم تتولَّد في الوجه غضون الشيخوخة او غضون الهموم والغموم والضد بالضد

والهمُّ يخترم الجسم نحافةً ويشيب ناصية الصبي ويهرم

فالعبرة كلها في نقاوة الدم واطمئنان البال . ومتى نال المرء منهما الحظ الوافر حفظت صحتهُ وظهرت عليهِ ملامح الشباب ولو صار شيخاً همّاً وليس المراد ان علامات الشيخوخة لا تبدو على وجه المرء ابداً اذ لا بدَّ من مجيئها اخيراً ولكن اذا امكن تأخيرها الى سن الثمانين او التسعين فلماذا ندفع انفسنا اليها في الستين والخمسين

وصحة الدم آتية من جودة الطعام والاعتدال فيهِ وحسن مضغهِ وهضمهِ والاقتصار على

الكافي منهُ والابتعاد عمَّا يسرع فساده' من الاطعمة كاللحوم على انواعها · وآنية ايضاً من الرياضة المعتدلة ثي الهواء النقي والنوم الكافي يومياً والاعتدال في الراحة والتعب والطعام والشراب

وراحة البال خلق يعتاده' المرء حتى يصير ملكة فيهِ فلا يحزن لفائت ولا يقلق لآتٍ بل يدع التقادير تجري في اعنتها ولا يبيتنَّ الاّ خالي البال

ولا بد من مساعدة الدم والخلق ببعض الوسائل الصحيَّة كتنظيف البدن وغسل الوجه وتنشيفهِ بمناشف قديمة ناعمة جدًّا والاقتصار على ما دون الشبع من الطعام ومضغهِ جيدًا والاكثار من اكل الفاكهة الناضجة وانواع اللوز وجعلها اداماً يؤتدم بهِ لا نقلاً يزاد على الطعام



القمح في مصر

لقد ادهشنا تقرير الجمارك المصرية عن التسعة الاشهر التي مرَّت من هذه السنة الى آخر سبتمبر فقد ورد فيها من الحبوب والاثمار ما ثمنهُ مليونان ونحو ٤٧٣ الف جنيه وكان ثمن الدقيق وحده' ١١٥٩٢٨٥ جنيهًا وثمن الرز ٣١٢٩٨٤ جنيهًا وثمن الاثمار الطريئة ٢٢٤٢٠٥ جنيهات وثمن الاثمار المقددة ١٧٠٣٥٣ جنيهًا وثمن القمح والذرة ١٩٨٠٠٩ جنيهات فورد الى القطر المصري من القمح والذرة والدقيق والرز في تسعة اشهر ما ثمنهُ اكثر من مليون ونصف من الجنيهات وقد كانت قيمة الوارد منها في العام الماضي كلهِ نحو مليون و ٧٧٧ الف جنيه وفي العام الذي قبله' اكثر من مليون وتسعمئة الف جنيه اي ان القطر المصري يستورد كل سنة من القمح والذرة ودقيقهما ما ثمنهُ اكثر من مليون ونصف من الجنيهات · ولم يكن الامر كذلك في السنين الغابرة ولا منذ عشر سنوات او عشرين سنة بل كان القطر المصري في السنين الغابرة يصدر القمح والرز وغيرهما من الحبوب وكانت المملكة الرومانية تعتمد عليهِ في طعامها

ولا دليل على ان زراعة الحبوب قد انحطَّت عمَّا كانت عليهِ في الزمن الغابر اي ان

الفدان الذي كانت غلتهُ تبلغ خمسة ارادب لم تصر الآن ثلاثة او اربعة ولكن السكان زاد عددهم جدًّا حتى فاق ما كان عليهِ في زمن المصريين القدماء وفي زمن الرومان واليونان واول عهد العرب. والاراضي الزراعية لم تزد مساحتها . وزد على ذلك ان جانبًا كبيرًا من الاطيان صار يزرع قطنًا ولم يعد يزرع غلّةً كما كان يزرع قبلاً

وهذان السببان كافيان لما يُرَى الآن من نقص موسم الحبوب عن حاجة السكان

وقد ابنا في السنين الغابرة انهُ لا بدَّ من غلاء ثمن الحبوب ولاسيما القمح لان الذين يعتمدون عليهِ في طعامهم يزيد عددهم سنويًا اكثر مما تزيد مساحة الاراضي التي يجود القمح فيها والظاهر ان لذلك يدًا في غلاء ثمن القمح الآن وان هذا الغلاء سيستمرُّ ان لم تجُد المواسم في الدنيا كثيرًا فيهبط ثمن القمح حينئذٍ ثم يعلو ثانية

والعلاج الذي اشار بهِ السر وليم كروكس لما استدلَّ على نقص غلة القمح عن حاجة الناس هو العلاج الوحيد الذي يمكن ان يشار بهِ لتكثير غلة القمح في القطر المصري وهو تسميد الارض بسماد نيتروجيني يزيد غلتها ويتلوهُ زرع انواع من القمح اجود من النوع الذي يزرع الآن في مقدار غلتهِ وفي كمّيَّة المواد المغذية فيهِ

وقد اهتمت الجمعية الزراعية الخديوية بهذين الامرين فهي تجلب السماد الكيماوي وتجربهُ وترشد الى كيفيةِ استعمالهِ واخذت تجرب زرع انواع مختلفة من القمح فوجدت ان محصول القمح الهندي يساوي محصول القطن

فيجب ان يوجَّه الاهتمام الى جودة نوع القمح والى تسميد ارضهِ بسماد يزيد محصولهُ فان متوسط محصول الفدان في القطر المصري الآن من اربعة ارادب الى اربعة ونصف مع ان متوسطهُ في فنلندا اكثر من عشرة ارادب والقمح المصري من اقل انواع القمح جودة من حيث منظرهُ وما فيهِ من المواد المغذية فلا بدَّ من ابدالهِ بنوع اجود منهُ ولا بدَّ ايضًا من ابدال كل الطرق القديمة بطرق حديثة فان من يقرأُ الفصل التالي الذي كتب منذ مئة سنة عن زراعة القمح في القطر المصري في زمن الحملة الفرنسوية يجد ان طرق الزرع والحصاد والدراسة لم تتغير تغيرًا يذكر مع ان ارباب الزراعة استنبطوا آلات مختلفة لزرع القمح وحصدهِ ودرسهِ تعمل الآلة منها في اليوم اكثر مما يعمل خمسون عاملاً ولهذه الآلات كلها مزايا كبيرة في سرعة العمل وانتظامهِ وتقليل النفقات واذا اردنا ان يزيد الربح من الزراعة فلا بدَّ لنا من ان نجري مجرى الاوربيين والاميركيين في استخدامها

الزراعة المصرية منذ مئة عام

من تقرير المسيو جيرار الذي كان رئيساً لهندسة الجسور والطرق في زمن الحملة الفرنسوية

(١) زراعة الحنطة منذ مئة عام

تزرع الحنطة بين ادفو وشمالي الدلتا . ويختلف محصولها باختلاف جودة تربتها ونوع ريها . واجودها تربة لزراعة الحنطة اراضي طيبة وجرجا واسيوط والمنيا والقاهرة والمنوفية والمنصورة . فيبدأُ بالزرع في اوائل اكتوبر في الصعيد وبعد ذلك بخمسة عشر يوماً في الوجه البحري فتحرث الارض وتبذر البزور فيها وهي بعدُ في حالتها الطفيلية . ففي الصعيد يبذرون نصف اردب في الفدان باستخدام نفر يقوم بذلك في يوم واحد . اما اذا وجدت الارض قليلة الرطوبة بعد الري فتفلح مرتين واذا كانت كثيرة الرطوبة يمهدونها للفلاحة يمرّون عليها جزعاً من النخل يجرهُ ثوران عرضاً فيعمل عمل المسلفة الاوربية . وجميع اراضي الصعيد التي تروى مباشرة من النيل لا تستلزم بعد زرعها عملاً سوى الحصاد بعد خمسة او ستة اشهر

ويبتدئ الحصاد في الصعيد في اواخر مارس او اوائل ابريل . وعوضاً عن استعمال المنجل يقتلعون سوق الحنطة بايديهم ويساعدهم على ذلك جفاف الارض وتشققها طولاً وعرضاً فيمكن لاربعة انفار ان يقتلعوا زرع فدان ويجمعوهُ حزماً في يوم واحد . وتدفع اجرة الفعلة عيناً فيعطى كلٌّ منهم ربما يساوي $\frac{1}{24}$ من الاردب

وتحمل الحزم على الجمال الى جرن (بيدر) مستدير قطرهُ نحو ٢٥ خطوة فيكومونها اكداساً في وسطهِ ويحيطونها بطبقة من الحزم ثم يبسطونها ويدرسونها بالنورج الى ان تنعم فيقحفونها بمحفنة كبيرة ويدرسون غيرها وهكذا يغيرون الثيران الدارسة ساعة فساعة

واجرة الثور اليومية كاجرة العامل $\frac{1}{24}$ من الاردب قمحاً . ويقتضي لدرس محصول الفدان استخدام اربعة ثيران وفاعلين يشغلانها يومين او يومين ونصف يوم . ويستخرج من كل ٧٢ حزمة اردب قمحاً يزن ٢٧٥ رطلاً . واصل وزن الحزمة بسوقها وسنابلها نحو ١٠ ارطال

وبعد درس الحنطة يذرّونها بمذراة ذات اصابع طويلة متقاربة فتنتهي بذلك عمليات الزراعة وتدفع الاجرة عن جميعها عيناً اي قمحاً خالصاً

وبعد خصم هذه النفقات تبقى نسبة المحصول اليها كنسبة ١٣ الى ١

وتدفع جميع الضرائب تقريباً قمحاً فيجتمع من ذلك كمية وافرة يصدر معظمها الى الخارج

ويختلف زرع الحنطة في الفيوم والوجه البحري عما ذكرنا . فان بذار (تقاوي) الفدان يتراوح بين ½ و ¾ الاردب فيزيد قليلاً عن الكمية التي يقتضيها الفدان في الصعيد

وجميع اراضي الدلتا تحرث قبل زرعها وتسقى مرتين احداهما بعد ستين يوماً من زرعها والاخرى بعد تسعين يوماً . فيستخدم لريها سواقٍ تسقي الواحدة منها فداناً في يومين ونصف يوم . وتسقى الارض التي لا يصلها الري اربع دفعات او ست دفعات بالشادوف

والحنطة تنمو كثيراً في الوجه البحري وتثخن سوقها فتحصد بالمناجل فيستخدمون من ٨ الى ١٠ انفار لحصد الفدان في يوم واحد

ويلزم لدرس محصول الفدان ثلاثة ايام وذلك لقلة جفاف القمح والتصاقه بالسنابل

وتدفع اجرة الفعلة في الوجه البحري عيناً ايضاً ولكن عوضاً عن القمح الخالص يعطى لكل فاعل ما يستطيع حمله من الحزم

ومهما بلغت اراضي الوجه البحري من الجودة لا تأتي بمحصول وافٍ من الحنطة كاراضي الصعيد فنسبة محصولها كنسبة ١٠ الى واحد اي عشرة اضعاف التقاوي (البذار) وفي بعض الاماكن لا يزيد محصولها عن ستة اضعاف التقاوي

ويقدر محصول التبن في الصعيد بحمل جمل لكل اردب حنطة ويزيد عن ذلك قليلاً في الوجه البحري

(٢) زراعة الذرة

الذرة البلدية غذاء الفلاح الاعتيادي . وتزرع في جميع انحاء الوجه القبلي من جزيرة اصوان الى القاهرة . وهي تروى بالآلات فانسب الاراضي لزراعتها ما كانت مجاورة للنيل او للترع التي لا تجف اثناء التحاريق . وتزرع ما بين ادفو وجزيرة اصوان مرتين احداهما في منتصف مايو والأخرى في اواخر اغسطس . وفي ما سوى ذلك تزرع مرة واحدة في الصيف . فتقلع الارض وتقسم الى مربعات يسوونها بمجنفة تسمّى مسوّحة يعملون بها عمل الجرفة والمسلفة معاً فيمهدون بها الارض ويقيمون بها حافات المربعات التي يحيطونها بقناة يستطرق منها الماء الى كل مربع

ويعمل في الفدان نحو مئتي مربع يحفرون في كل منها من ٦٠ الى ٨٠ حفرة بعمق ٤ عقد ويزرعون بضع حبات في كل حفرة منها فيزرع في الفدان من ربع الى ربعين ويقوم بزراعته ٨ الى ١٠ فعلة في يوم

وحالما ينتهي من الزرع تروى الارض مدة عشرة ايام متوالية وبعد ذلك تسقى كل اسبوع · ويلزم من ٤ الى ٦ انفار للفدان ليسقونهُ بالشادوف في يومين

وفي جزيرة اصوان يستخدمون السواقي ذات العجل فتقوم الساقية منها بارواء ٥ الى ٦ افدنة

وفي بعض جهات الفيوم يزرعون الذرة قبل حرث الارض فيحفرون صفوفاً من الحفر الصغيرة يزرعون فيها التقاوي ويغطونها بالتراب ويروونها دفعتين ثم يحرثون بين هذه الصفوف اثلاماً عميقة تمتلئ بالماء عند الري وتعجل في نمو الزرع فيدرك بعد ثلاثة اشهر واذ ذاك يقيمون ذروتين في كل حقل يقلبها نفران في النهار يزجران العصافير عن السنابل بصراخهما

ويلزم ١٠ فعلة لحصد فدان الذرة في يوم · فيقطعون السوق بمناجل قليلة الانحناء من عند منبتها ويفصلون السنابل ويعرضونها للشمس مرة ثم يبسطونها على البيدر ويدرسونها تحت اظلاف الثيران · ويمكن ثورين ان يدرسا محصول فدان في ٥ ايام · وبعد ذلك يذرونها ويكومونها كوماً يغطونها بالشبك او يضعونها في قفف من ورق النخل

ومع ما في زراعة الذرة الصيفية في الصعيد من مشقة الري الذي يدوم نحو مائة يوم لا غنى للفلاح عنها لغذائهِ لان الحنطة والشعير انما يزرعان لدفع الضرائب وما يبقى منهما يباع في اسواق المدن

اما زراعة الذرة النباري في اواخر اغسطس فاسهل مراساً اذ يكون الفيضان على معظمهِ وفي هذا الفصل يغطي النيل بعض مزروعات مديريتي جرجا واسيوط على ارتفاع عدة سنتيمترات فيوقفون سقيها شهراً ثم يعودون الى اروائها مرةً في كل ١٠ ايام الى ان تبلغ

ومحصول فدان الذرة الصيدي ٦ ارادب اما النباري فيبلغ ١١ اردباً · وفي جميع المديريات من جرجا فما دون لا يزرع الاَّ النباري وكلما اقتربت زراعتهُ من الوجه البحري يتأخر ادراكهُ وتقل مشقة سقيهِ

وفي جهات الفيوم وبني سويف والجيزة يبدأُون في زرعهِ من اول يوليو ويسقونهُ كل ٢٠ يوماً مرةً فيدرك بعد اربعة اشهر ويحصدونهُ في اوائل نوفمبر · ويدقون السنابل بالنبابيت بعد ان يجففوها في الشمس ويمكن لنفرٍ ان يدق محصول فدان في عشرة ايام

وتؤخذ الضرائب على الذرة نقداً بواقع ٣٨ قرشاً اميرياً على فدان الذرة الصعيدي و ٦٤ قرشاً على النباري · وتدفع نفقات الزرع نقداً ايضاً باعتبار اجرة العامل من غرش الى غرش وربع يومياً · اما نفقات الحصاد فتدفع عيناً . وتبلغ غلة الفدان من سوق الذرة

أحمال جمال بعدد ارادبهِ حبًا٠ ويباع الحمل منهُ بغرش الى غرش وربع ٠ واكثر استعمال السوق اليابسة للوقود ويقتصر عليها اهل الوجه القبلي في عمل الاجرّ والفخار والخبز وخلاف ذلك

وفي جهات اصوان واسنا والاقصر يحزمون منها حزمًا يستخدمونها كعوّامات يستندون عليها بصدورهم في عبورهم النيل عومًا

ويوجد نوع آخر يدعى الذرة الشامية يزرع منهُ شيء قليل في انحاء قنا ويعتنى بزراعتهِ في الوجه البحري ولاسيما في جهات طنطا وسمنود حيث يخصصون بعض الاراضي لزراعتهِ ويسمدونها بالرماد والسباخ يأتون بهِ من ارباض القرى فيسمدون كل فدان بعشرين الى اربعة وعشرين حمل حمار منهُ ويزرعونها بعد ان يخدّدوها اثلامًا بالمحراث ٠ ويسوّون الارض بان يمروا عليها جذع نخلة يجرهُ ثوران عرضًا ثم يقسمونها الى مربعات على نحو ما ذكرنا آنفًا

وتزرع الذرة الشامية في المدار الصيني بمعدل $\frac{1}{2}$ اردب لكل فدان ٠ فتنبت بعد ستة ايام من زرعها وتروى مرة كل اسبوعين حتى يحين زمن المحصول في نحو الاعتدال الخريفي ٠ ويستخدمون الانفار لسقيها فيمكن لخمسة فعلة ان يسقوا الفدان في يومين ويدفع للفاعل غرش ونصف اجرة يومهِ ٠ ويكفي لحصاد الفدان خمسة او ستة انفار فيحصدونهُ بالمناجل ويتقاضى كل منهم اجرتهُ عينًا فيعطي قدر ما يستطيع حملهُ من حزم الذرة

ومتوسط محصول الفدان المماثل للفدان الصعيدي اربعة الى خمسة ارادب وثمن الاردب نحو $\frac{1}{2}$ ١٢ فرنك فيبلغ متوسط غلة الفدان نحو ١٨ ضعفًا فضلاً عن السوق التي تستعمل وقودًا

وتحمل السنابل على جمال الى القرى حيث تجفف بالشمس ١٥ يومًا ويستخدم لفرط الحبوب خمس من النساء او الاولاد لكل محصول فدان ٠ وكثيرًا ما يباع من هذه الذرة وهي بعد خضراء فتشوى وتباع حبائك في كل منها ٥ الى ٦ سنابل٠ ولا يباع النذر القليل الذي يزرع منها في الوجه القبلي الا بهذه الصفة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الاقلاع عن تعاطي الافيون بالتدريج

اطلعت على الرسالة التي أُدرجت في العدد الماضي من المقتطف في باب المراسلة والمناظرة تحت عنوان (عبرة وذكرى) لحضرة كاتبها الفاضل الذي وصف فيها كيف راح المرحوم والدهُ ضحية الإقلاع عن تعاطي الافيون. تخوفاً من ان يطلع عليها او يسمع بها متعاطو الافيون ويكون عزم بعضهم الاقلاع عنهُ فيذعرهم ذلك ويكثرون من تناولهِ ويتمادون في تعاطيهِ لئلا يلحقوا بالمرحوم والد كاتب تلك الاسطر اذكر هنا طريقة ليطلع عليها القراء ويخبروا بها معارفهم من تعاطي الافيون ربما تنفعهم او تنفع الحازمين منهم

وهذه الطريقة ذكرها لي بعض المقلعين عن تعاطي الافيون بعد ان تعاطاهُ ربع قرن وكان كل يوم يتناول منهُ درهماً ونصفاً وكان والدهُ يتعاطاهُ من قبلهِ بنصف قرن ايضاً

وقد شاهدت مخبري في حالتيهِ. حالتهِ الاولى وهي الايام التي كان يتناول فيها الافيون والثانية وهي ايام اقلاعهِ عنهُ

كان لنا من هذا الرجل معاملة فكان يحضر الينا في كل عام مرة لتصفية حسابهِ وقضاء اشغالهِ فعند قدومهِ اولاً كنت ارى وجههُ عبوساً يكسوهُ الاصفرار مقطباً مكفهرًّا عليهِ غبرة ترهقها قترة وهو جامد في حركاتهِ ثابت في سكناتهِ كأنهُ صنم لاحراك بهِ. وكنت ايضاً ارى ثيابهُ من الامام محرقة من نار التبغ (السجاير) فقد كنت اراهُ يرى السجارة مولعة ملصقة بثيابهِ تحرق فيها ولا ينقل يدهُ وذلك من جمودهِ وكسلهِ. ومن كسلهِ ايضاً كان يقضي خمسة عشر يوماً في اشغالهِ وقد كان يكفيهِ يومان او ثلاثة يقضي فيها جميع اشغالهِ

وقد رأيتهُ منذ شهر بعد ان غاب عنا سنة فكدت انكرهُ من تغير احوالهِ جميعها. فقد رأيت وجههُ ممحاً مشرباً بالحمرة قوي البنية نشيطاً في حركاتهِ وسكناتهِ وقيامهِ وقعودهِ. فسألتهُ عن سبب ذلك فاجابني بانهُ اقلع عن تعاطي الافيون . فسألتهُ عن التفضيل فاجاب ابطلتهُ بالتدريج في مدة شهرين حيث كنت اتناول منهُ كل يوم درهماً ونصفاً على ثلاث مرات فصرت اقلل من ذلك كل يوم شيئاً فشيئاً الى ان صار ما اتناولهُ قدر حبة البرسيم بعد ما كان نصف درهم • وداومت على ذلك بضعة ايام كنت في خلالها امتنع مرة ومرتين عن تناولهِ في اليوم ثم كنت اتركهُ يوماً ويومين الى ان تركتهُ مرة واحدة ولم يؤثر فيَّ ولم يلحق بي اقل ضرر بل كنت ارى نفسي في اثناء هذه المدة في تقدم من الصحة ومالت نفسي الى الطعام بعد ما كنت لا اهتمُّ بهِ ولا اعرف لهُ طعماً ولا مزية لطعام ولا شراب غير القهوة والافيون والدخان فسبحان مغير الاحوال

اسيوط في ١٦ اكتوبر — عبد الرحيم اليسري

مدير محل تجارة خلفاء المرحوم الشيخ عبد الله اليسري باسيوط

اصدقهُ اعذبهُ

مقالُ الحقيقة ما مثلهُ — وحقك فهو هو الطيّبُ
فلا تعجبنْ بشعرٍ اذا — رأيتَ اكاذيبهُ تعجبُ
فكم قائل انا ابكي دماً — وعمري دموعيَ لا تنضبُ
واسهد طول الليالي لا — يجيئني النومُ بل يهربُ
وجسمي اصبح من سقمهِ — اذا رمت منظرهُ تشعبُ
اذا لم اكلمك لم تدرِ بي — نحولاً وليس لهُ موجبُ
كأني من الجن في خلقتي — او احسبُ انني كما تحسبُ
اكاذيبُ في عدها ضيعة — لوقتي فاجمالها اقربُ
فان كنت تشعر فاصدق ولا — تبالغ فاصدقهُ اعذبُ
فان قلتَ حقاً فماذا الذي — تخاف ومن ذا لذا يغضبُ
وسيّان في المدح او في الرثا — ء او كنت في غادة تنسبُ
قل الحق يا من اذا شئتهُ — او اسكت فعيبٌ اذا تكذبُ

مراد

ترجمة قديمة من الاناجيل

بعث الينا حضرة المنشيء البليغ امين افندي ظاهر خير الله حينما كان يكاتب المقتطف من بلاد الشام مقدمة نسخة عربيَّة قديمة من الانجيل وجدها في احد اديرة لبنان وطلب منا ان نبدي رأينا فيها فتغلغلت بين اوراقنا . ثم وقع نظرنا عليها الآن فرأينا ان ننشرها ونطلب من المشتغلين بجمع الكتب القديمة ان يحولوا نظرهم اليها . قال امين افندي

اعتنيت ان يكون النقل بحسب الاصل تماماً والذي لاحظتهُ ان الناسخ لا يفرق بين الهمزة المتوسطة والياء ويترك الهمزة في آخر الكلمة . والمقدمة تملأُ صفحة وثاني صفحة من الكتاب وعدد صفحاتهِ ١٤٢ وحرفهُ واضح ولكنهُ ليس بالبديع . اما تاريخ كتابتهِ فليس بمبين في ذيلهِ ولا في صدرهِ وقد ذيلت ما نقلتهُ عنهُ بقليل من الحواشي التفسيريَّة

الصفحة الاولى

الانجيل المقدس المنفصل من الاناجيل الاربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا المرتب القراءة في دور السنة آحادًا واعيادًا ومواقيت الاصوام والدكادين[١] ترجمة القديس الطاهر النفيس المرحوم مار عبد[٣] يشوع خادم كرسي المطرنة بنصيبين[٢] ترجمهُ الى العربيَّة سنة تسع وتسعين وستمائة هجريَّة والف للاسكندر ذي القرنين ونرجا[٤] من كل من يقرأ في هذا الكتاب ام ينسخهُ يترحم على كاتبهِ الخاص بالاسم قس عطايه ابن القس فرج المقدمي من الجزيرة والحمد لله على نمايه[٥] ابدًا امين

الصفحة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي استغرق الازل قدمهُ وابهرت العقول حكمهُ وفاقت الاحصاء نعمهُ وجاوزت الحدود قسمهُ الذي ارسل مسيحه وظلم الاضاليل على مقل الالباب عاكفه وكلم الاباطيل في آفاق المسكونة هاتفه وعادات الطغيان مشهورة وعبادات الاوثان مأثورة فاشرقت شموس العرفان بنورهِ وبسقت غروس الايمان عند ظهورهِ وانجلت ظلمات الغواية باشعة ضيائهِ ولمحت ابصار البصائر مجد الملكوت الاعلى وسنا بهائهِ ولمعت انوار الهداية في اقطار العالم الكوني وارجائهِ فرسخ في افعار الضمائر ثبوت نعيمهِ الدائم ورجائهِ وقدس الانام

(١) كذا وردت (٢) يوجد عند كلمة عبد العلامة المسطورة وفي الحاشية كلمة يخت (٣) هذه الكلمة بحبر مختلف وبخط سقيم ليس للكاتب الاول (٤) كذا وردت (٥) كذا وردت

عن الشيم الظلمانية والاخلاق الشيطانية فاضحت نجوم الايقان طالعه واضواء البرهان لامعه ومحجة الصلاح واضحة وحجة الفلاح لائحة فلما كمل ناموس القصاص وقرر سنة التفضل والخلاص واظهر الآيات المعجزات وبث علوم الحقائق باوجز الكلمات ختم تدبيراته بالغرض الاعظم من اسراره والمقصود الاكبر من آثاره لحقق البعث بموته وقيامته وصدق بشرى النعيم الاخروي بمعراجه الى السماء وجلوسه على عرش كرامته ثم ارسل تلاميذه الاطهار الى سائر الامم بالآيات العجيبة مؤيدين بعلم الحقائق والالسن الغريبة فنقلوا جملة الشعوب من الضلالة الى الهدى وجنبوهم طرق الجهالة وعواقب الردى وطبعوا عقولهم بسكة التوحيد والتثليث واودعوهم اسرار الانجيل المجيد والعهد الجديث يتوارثونه الخلف عن السلف ويحوزوا [1] به عزيز الفضائل والشرف وهو وديعة الله في ارضه او منار الاهتداء الى حقه وفرضه نحمده على ما ابدا [2] من جزيل الانعام واهدى من جليل الاكرام حمداً تقوم له السموات والارض على ساق ويفني الاوقات والدهور وهو باقٍ ونشكره على سبوغ الآئه وبلوغ المنى بنيل حبائه شكراً لا غاية لامده ولا نهاية لمدده فلما كان النقل من لغة الى لغة اخرى من غير افساد ولا تبديل المعني ولا تخليط لجمع الكلام ومقاطعه ولا تحريف القول عن ايراد مبتدعه مع محاولة الفصاحة في اللغة المنقول اليها ولزوم الشروط المعوّل في الاحاطة بغريب اللغتين عليها هو القانون المعتمد والاصل الذي اليه المستند فسلكت هذا السبيل في ترجمتي الى العربية فصول الانجيل مع الفاظ من التفسير الحقيقي والتأويل وان كان من تقدمني من النقله اهمل هذه الشرائط وعنى بنقل الالفاظ البسائط مثل الشيخ ابي الفرج ابن الطيب ريس المتأخرين ومارا يشوعيهب ابن ملكون مطران نصيبين قدس الله نفسيهما ونوّر رمسيهما اذ كان قصدهما التفهيم للجمهور بالالفاظ السواذج فاعتمدا اسهل المخارج واما الشيخ ابن داود يشوع رحمهُ الله فمع كونه ادّعى البلاغة في نقله وابان عن فصاحته وفضله فانهُ خلط جمل الكلمات وقلقل مباني الآيات وغيّر الاسماء تعريباً وبدل الالقاب تغريباً وذلك من افظع خطأٍ واجتراء واشنع بدعة وافتراء فما اجازتهُ الشريعة ولا قرئ على منابر البيعة وانا فمع اعترافي بقصوري وجلالة الامر وتضاءلي عن خوض ذا البحر فانني اجتذبت [3] الشرائط المذكورة فيما ترجمتهُ واخرجت الى العربية الفصول المقدسة الانجيلية على ما قدمتهُ وبدأت بانشاء المقدمات الثمان لكل من الاربعة الرسل اثنتان وانا ضارع على من حثّ عليّ السؤال ووعد بالاجابة وبلوغ الآمال ان يسدد

(١) كذا وردت (٢) كذا وردت (٣) كذا وردت

مني غريزة العقل الى حقيقة النقل ويعصم الفهن(١) من الذال(٢) ويحرس الخاطي عن الخطل فاياهُ ادعو واليهِ توسلي وبهِ ثقتي وعليهِ توكلي

انتهى ما بعث بهِ الينا حضرة امين افندي ظاهر خيرالله · ولا يخفى ان التاريخ المذكور في المقدمة خطأ فان سنة ٦٩٩ للهجرة تعادل سنة ١٦١١ او ١٦١٢ للاسكندر · وسنة ١٠٠٠ للاسكندر تعادل سنة ٩٦ او ٧٠ للهجرة ويعلم التاريخ الحقيقي المقصود من الزمن الذي كان فيهِ مار عبد يشوع مطرانًا على نصيبين



جرائم الاحداث واصلاحهم

JUVENILE CRIME AND REFORMATION

هو كتاب نفيس وضعهُ المستر ارثر مكدونلد الذي كان رئيس شرف لمؤتمر البحث عن الجرائم وضمنهُ مباحث كبيرة الفائدة عن ميل الاولاد الى ارتكاب الجرائم وكيفية اصلاح سيرتهم وسريرتهم ومما استنتجهُ ان السجون يجب ان تكون اصلاحيات والاصلاحيات مدارس ويجب ان يكون الغرض منها كلها تهذيب الاخلاق وتثقيف العقول والتعويد على العادات الحسنة · ولا يجوز اطلاق سبيل المسجونين اذا خيف ان يعودوا الى ارتكاب الجرائم لان في ذلك خسارة كبيرة على البلاد ماليًّا وادبيًّا لان المسجون لا يكلف البلاد قدر ما يكلفها المجرم بعد ان يُطلق سبيلهُ ولذلك يجب حين الحكم على مجرم بالسجن ان لا تعيَّن مدة سجنهِ بل يقال الى ان يتم اصلاحهُ ولا يعود يخشى ضررهُ فان السبب الجوهري الذي يضطر الحكومة او المحكمة الى الحكم على المجرم بالسجن هو تخليص البلاد من شرورهِ · وجعل مدة السجن متوقفة في طولها وقصرها على اصلاح المجرم هو اكبر دافع لهُ ليصلح سيرتهُ وسريرتهُ على نفقة الحكومة اذا كان ذلك في حيّز الامكان فيصطلح ولا يضرُّ احدًا مدة اصطلاحهِ · اما القول بان السجن سلب للحرية ولا يجوز الأَّ على مقدار الجرم فقول ساقط لاننا اذا لقينا اسدًا مطلقًا في الشوارع يفترس من يجدهُ فاول امر نهتم بهِ ليس مقدار ما لهُ

(١) هكذا في الاصل ولكن في الحاشية هكذا الذهن والحبر غير حبر المتن (٢) كذا وردت

من الحرية بل كيفية منع شره فكل من يخشى ضرره على البلاد يجب منع ضرره سواء كان عاقلاً او مجنوناً وسواء انقضت مدة سجنه او لم تنقض

ولا يحسن ان تنشر تفاصيل الجرائم وصور المجرمين في الجرائد لانها تعلّم المائلين الى ارتكاب الجرائم كيفيَّة ارتكابها وتغريهم بها بالقدوة وقد يغرى البعض بارتكاب الجرائم لكي تنشر اخبارهم في الجرائد ويكون لهم من ذلك ما يتباهون به فان من الناس من يحب المباهاة ولو بالشر. وكل مجرم احمق لانهُ يعتدي على جمهور الناس واقل نظر يريهِ ان اعتداءهُ هذا يضرهُ ولا يجديهِ نفعاً الاَّ اذا وثق ان الحاكم تجد لهُ عذرًا من تحت الارض ولو كلمة يختلف فيها الشهود او اعضاء النيابة

ومما يسوءُ ذكرهُ شهادة الواسعي الخبرة في امر السجون والمسجونين وهو ان الذين يشبون على ارتكاب الجرائم قلما يرجى اصلاحهم

وفي الكتاب اكثر من ٣٠٠ صفحة بقطع كبير وحرف دقيق فنشكر لحضرة المؤلف اهتمامهُ الشديد بما يصلح الامم

كتاب التربية الاستقلالية

او اميل القرن التاسع عشر

ألَّف هذا الكتاب المسيو الفونس اسكيروس وترجمهُ الى العربيَّة حضرة القاضي الفاضل عبد العزيز افندي محمد ونشر اولاً في جريدة المنار ثم جمع في كتاب واحد كبير فيهِ ٤٧٠ صفحة وقدم لهُ حضرة صاحب المنار العلاَّمة السيد محمد رشيد رضا مقدمة مسهبة قال فيها ان " اشهر كتب التربية كتاب اميل القرن الثامن عشر للحكيم الفرنسوي الشهير جان جاك روسو ثم ارتقت المعارف وزخرت بحار العلم فصار الآخرون يستدركون على ما مضى عليهِ الاولون كما فعل الفونس اسكيروس في كتابهِ الذي سماهُ اميل القرن التاسع عشر اشارة الى ما ينبغي ان يكون عليهِ في التربية في ذلك القرن وما بعدهُ وهو الكتاب الذي نشرنا ترجمتهُ في بضعة مجلدات من المنار في كل مجلد منها رسائل معدودة نشرت في اجزاء متصلة او متفرقة وقد جمعنا شمل هاتيك الرسائل والشذرات كلها اليوم لننشرها في هذا السفر على قرَّاء العربية عامَّة وارباب البيوت منهم خاصَّة لما في قراءتها متصلة من تمام الفائدة بما يكون القارئ اوعى للمسائل واضبط وارغب في تتبعها وانشط . ولم ارَ في المصنفات الحديثة ولا

القديمة مصنفاً كهذا الكتاب جمع بين اللذة والفائدة في انفع العلوم التي تتفاضل فيها عقول البشر وهو علم تربية الانسان جسماً وعقلاً ونفساً ليكون سعيداً في نفسهِ نافعاً لابناء جنسهِ"

الى ان قال" ان غرض المؤلف من كتابهِ هذا هو هداية قارئيهِ الى الحياة الزوجية الفضلى ومحبة الزوجين ووفائهما في القرب والبعد والسرَّاء والضرَّاء ومكان الام من قلب الهيئة الاجتماعيَّة وتربية جسم الطفل على سنَّة الفطرة ليكون بدنهُ سليماً قويًّا وتربية حواسهِ وخيالهِ وفكرهِ ووجداناتهِ وعواطفهِ كالرحمة والاحسان والعدل والمساواة والايثار وغير ذلك من القوى والصفات الروحيَّة مهتدياً في ذلك كلهِ بالعمل والاحتكاك بالحوادث . والى تعليم الناشئ العلوم الكونية بعرض المعلومات على مشاعرهِ وارشادهِ الى كيفيَّة النظر فيها والحكم الصحيح عليها واعدادهِ للعلوم النظرية في الدين والفلسفة ليحكم فيها بنفسهِ بعد بلوغ رشدهِ وغاية ذلك كلهِ ان يخرج المربى حرًّا مستقلاً خيرًا فاضلاً لا يحكم ولا يقول الاَّ عن علم وبصيرة ولا يعمل الاَّ ما يرى ان فيهِ الخير والمنفعة . ولما كان قوام التربية العملية القدوة والتأسي اختار المؤلف ان يجعل تربية اميل في بلاد الانكليز لانهم ارقى الشعوب اخلاقاً واعرقهم في الحرية والاستقلال "

وتلي مقدمة الناشر مقدمة المترجم وهي مسهبة لخص فيها مسائل الكتاب كلهِ . وقد طبع الكتاب على نوعين من الورق جيد واجود وثمن النسخة من الاول ١٦ غرشاً ومن الثاني ٢٠ غرشاً وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع درب الجماميز

الغصن الرطيب في فن الخطيب

كتاب نفيس الفهُ حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ سعيد الشرتوني لتعليم فن الخطابة وضعهُ على طريقة السؤَال والجواب وجمع فيهِ ما تلزم معرفتهُ للمتعلم وقد نقلنا عنهُ فصلاً في هذا الجزء موضوعهُ التعبير والاداء في الخطابة ومنهُ يُستدل على نسق الكتاب فنشكر لحضرة مؤلفهِ الفاضل

الجنس اللطيف

مجلة ادبيَّة لصاحبتها ومحررتها السيدة ملكة سعد تبحث في ما يهمُّ النساء معرفتهُ كتربية الاولاد وتدبير المنزل وصحة الجسم وآداب الزينة وفيها قصص فكاهية وفوائد حسابيَّة فنتمنى لها النجاح التام

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) دولة آل عثمان

المنيا . اسمعيل افندي فهمي . نرجو ان تفيدونا في مقتطفكم القادم عن كيفية نشوء دولة آل عثمان وعن اصل اول ملك من ملوكهم ومن اي بلاد هو

ج ترون ما بقي بمرادكم في المقالة الاولى في هذا الجزء

(٢) تسويس الاسنان

الخرطوم . رزق افندي واصف . كيف يحفظ الانسان اسنانهُ من التسويس والفساد وما هو سبب تسويسها وما هو العلاج النافع لمقاومة التسويس الذي ابتدأ فيها

ج يجب الاهتمام بحفظ الاسنان من قبل الولادة بان تأكل الحامل اطعمة تولّد العظام وتقويها في جنينها واذا كان اكثر طعامها من الخبز والحبوب فهو كافٍ لذلك وقد تأكل حب العزيز (الشيلم) وبعض الاتربة الجيرية ومن ذلك نفع لجنينها في تكوين عظامهِ واذا نشأ الطفل واكثر طعامهِ من الخبز والحبوب والبزور والاثمار نمت اسنانهُ قوية ودامت على قوتها كاسنان السودانيين والزنوج والبدو . والظاهر ان الاكثار من الطعام المطبوخ الذي لا يحتاج الى مضغ كثير يضعف الاسنان لانهُ يقلل استعمالها . واللحم يضعف الاسنان اذا تخللها وبقيت فضلاتهُ بينها وفسدت . وقد رأينا بالاختبار ان تنظيف الاسنان جيداً بالماء والصابون بعد الطعام وتخليلها من فضلاتهِ خير الوسائل لحفظها وكذلك الاعتناء بالصحة العامَّة واجتناب ما يضعف الجسم كالسهر الطويل والانهماك في الملاذ . واذا بدأ التسويس في الاسنان فلا بدَّ من تنظيفها منهُ جيداً والاهتمام بحفظ الصحَّة العامَّة ولكن اذا كان ضعفها موروثاً او متمكناً من الصغر فقد لا تجدي هذه الوسائل نفعاً

(٣) فائدة الخفاش

ومنهُ . ما فائدة الخفاش (الوطواط) والضفدع فاننا لا نرى منهما غير الضرر مع ان المخلوقات كلها مفيدة للانسان

ج ليس من الضروري ان يكون منها

فائدة للانسان بل قد لا يكون منهما الا الضرر لهُ ومع ذلك فاننا نرى للخفاش فائدة في اكل بعض الحشرات ولو لم توازِ ضررهُ في اكل الاثمار. وللضفادع فائدة في اكل دود البعوض من الماء واذا ثبت انها تاكل بعوض الملاريا فتكون فائدتها كبيرة جدًّا. ولا صحة لما يقال من ان المخلوقات كلها مفيدة للانسان فان بعضها ضارٌ حتمًا ولا نفع منهُ واكثرها يعيش ويموت ولا يراهُ الانسان ولا ينتفع منهُ

(٤) ابادة الثعابين

ومنهُ. كيف نبيد الثعابين من البيوت

ج ان الثعابين التي تسكن البيوت غير سامة في الغالب ولا ضرر منها. والقط والنمس ياكلانها. واذا كان البيت نظيفًا ولم يكن فيهِ خروق وثقوب لسكن الحشرات فيندر ان يوجد فيهِ ثعبان واذا وجد فلا صعوبة في قتلهِ

(٥) ابادة الفيران

ومنهُ. كيف نبيد الفيران من البيوت

ج تباد بسد كل الخروق والثقوب التي تخرج منها واقتناء القطط التي تاكلها واستعمال المصايد لمسكها

(٦) القطن من الصخر

مصر. محمد افندي صالح غنوم. ذكرتم في الجزء الماضي مسألة استخراج القطن من الصخر فنرجو ان تصفوا لنا كيفيَّة استخراجهِ والعمل بهِ

ج في قول الكاتب استخراج القطن من الصخر تسامح والمراد استخراج مادة دقيقة الشعر كالقطن من مادة صلبة كالصخر بل هي نوع من الحجر البركاني ويسمَّى بالاسبستوس وقد ثبت لنا انهُ هو السمندل الذي ظنهُ العرب انهُ حيوان لا يحترق صوفهُ. هذا الصخر يوجد في بعض الاماكن طبقات غير سميكة فاذا دقت النحلت عرضًا الى خيوط دقيقة جدًّا ادق من خيوط الحرير طول الخيط منها حسب سمك طبقة الصخر اي نحو سنتمترين او ثلاثة فتصير كالقطن المندوف وتغزل وتنسج ولكن نسيجها غير متين واكثر استعمالهِ لتغطية الآلات البخارية والنارية لانهُ لا يحترق

(٧) علم الفلك

ومنهُ. ما هو احسن كتاب في علم الفلك باللغة العربيَّة

ج اننا لم نرَ حتى الآن كتابًا عربيًا اوسع من كتاب الدكتور فان ديك المطبوع في بيروت لكن فهمهُ صعب على المبتدىء

(٨) مساحة القطر المصري

طنطا. الخواجه عزرا ليفي. كم مساحة القطر المصري من الاميال المربعة والافدنة

ج ان مساحة القطر المصري ما عدا السودان نحو ٤٠٠٠٠٠ ميل مربع وهذا يشمل وادي النيل والصحاري والجبال التي حولهُ والواحات وسينا الى حدود رفح وراء

العريش واما وادي النيل وحده فمساحته ١٣٩٧٦ ميلاً مربعاً وفيهِ نحو ستة ملايين فدان ومساحة النيل وحده والبحيرات المتصلة بهِ نحو ٢٨٥ ميلاً مربعاً

(٩) مساحة السودان

ومنهُ . كم مساحة بلاد السودان

ج نحو ٩٥٠٠٠٠ ميل مربع

(١٠) الافدنة في الميل

ومنهُ . كم هو حساب الميل وكم في الميل المربع من الافدنة المصرية

ج طول الميل ١٣٧٨ متراً وفي الميل المربع ٤٥٢ فداناً مصرياً

(١١) مساحة املاك الدولة

ومنهُ قرأت في المقطم ان مساحة املاك الدولة العثمانية نحو مليون ومئة وسبعين الف ميل مربع فهل هذه المساحة تشمل البلغار والبوسنه والهرسك والقطر المصري

ج كلاً ومساحة هذه البلدان وحدها نحو ٤٦٥ الف ميل مربع

(١٢) نقل الكتابة الى الحجر

جديدة مرج عيون . انيس افندي قربان ما هي الطريقة لنقل الكتابة ذات الاحرف الكبيرة المرسومة عن القرطاس الى الحجر الصقيل بدون تغيير في الاحرف

ج اذا دهن الحجر بمادة صمغية والصق القرطاس بهِ وبُلَّ بمذوب الصودا الكاوي ثم فرك بالاصابع من قفاهُ رويداً رويداً فانهُ ينحات وتبقى الكتابة لاصقة بالحجر ولكنها تلصق بهِ مقلوبة كما لا يخفى

(١٣) العرب وعلم الفلك

زحلة . يوسف افندي ابوسليمان . من اول من كتب في علم الفلك من العرب وما اسم الكتاب الذي وضعهُ فيهِ واي الكتب افضل لهذا العلم

قيل ان احد علماء الهند قدم على الخليفة المنصور سنة ١٥٦ للهجرة ومعهُ كتاب في علم الحساب والنجوم فامر المنصور بترجمتهِ الى العربيَّة فترجمهُ محمد بن ابرهيم الفزاري وقد اختصر هذا الكتاب للمأمون ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي . ثم ترجمت كتب حكماء اليونان الى العربيَّة وفي جملتها كتاب بطليموس المجسطي والَّف احمد بن محمد الفرغاني كتاب الاصول في الهيئة (الفلك) وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينيَّة في القرن الثاني عشر. واشهر الكتب العربيَّة في علم الفلك الزيج الصابي لابي عبدالله محمد بن سنان بن جابر الحرَّاني المعروف بالبتاني وهو خير كتاب عربي رأيناهُ في علم الفلك القديم . اما الكتب الحديثة فلم نرَ في العربيَّة خيراً من كتاب الدكتور ڤان دياك

(١٤) الناس في الكواكب

ومنهُ . قرأت في العدد الاخير من مجلتكم مقالة عنوانها هل يوجد الناس في غير

الارض ابنتم فيها ان لا وجود للناس في غير الارض فهل زعم الفلكيين بوجود الناس في المريخ صحيح

ج لم يقل احد من الفلكيين ان في المريخ ناساً وغاية ما قالهُ بعضهم ان المريخ مسكون بمخلوقات عاقلة لكن استدلالهم على ذلك ضعيف يحتمل ان يكون صحيحاً ويحتمل ان يكون غير صحيح

باب الاخبار العلمية

التلغراف الصيني

لم تكد العلوم الطبيعيَّة الحديثة تدخل بلاد الصين حتى اخذت مقدرة الصينيين العقلية في الظهور فقد قرأنا الآن ان رجلاً منهم اسمهُ هو شون اصلح التلغراف الذي لا سلك لهُ وجعل اجزاءهُ كلها مما يمكن عملهُ في بلاد الصين وقد جُرّب تلغرافهُ هذا في كنتون فجاء وافياً بالمراد

الكهربائية بدل البخار

بيَّن بعضهم امام نادي الكهربائية في شيكاغو انهُ على شركات سكك الحديد الاميركية ان تنفق الف مليون جنيه كل سنة لكي تجاري ازدياد التجارة فيها ولكنها اذا حوَّلت سككها كلها الى سكك كهربائية اي اذا اجرت قطاراتها كلها بالكهربائية لم تنفق على ذلك سوى ثمانمئة مليون جنيه ولا تعود تحتاج الى نفقات لبناء القاطرات

الحديد والقطن

فاقت الولايات المتحدة ممالك الارض في مقدار ما يستخرج منها من الحديد حتى يكاد يساوي ما يستخرج من انكلترا والمانيا وفرنسا وبلجكا معاً ومع ذلك لم تزد قيمتهُ في العام الماضي على مئة مليون من الجنيهات · والقطن وهو من اقل حاصلات اميركا الزراعية تبلغ قيمتهُ السنوية اكثر من مئة وخمسين مليوناً من الجنيهات فالثروة الحقيقية من الزراعة لا من المعادن

مؤتمر التبريد

شاع تبريد مواد الطعام كاللحوم والاسماك ونقلها من بلاد الى اخرى وهي على درجة من البرد تمنع فسادها · وقد التأم مؤتمر للتبريد في ٥ اكتوبر الماضي في مدينة باريس وظهر منهُ ان السفن التي تنقل الاطعمة المبرَّدة الآن كثيرة جدًّا وان اكثر من ٣٠٠ سفينة

منها تنقل الطعام المبرَّد الى البلاد الانكليزيَّة وقد نقلت في العام الماضي ما ثمنهُ ٣٦ مليونًا من الجنيهات ونقلت السفن الاميركية من الطعام المبرَّد ما ثمنهُ ٤٨ مليونًا من الجنيهات

قصر الزيت بالنور

في المانيا معمل لعصر الزيوت وتنقيتها وهو يقصر زيت بزر الكتان بالنور البنفسجي فان فيهِ قناديل فيها بخار الزيبق ونورها فوق البنفسجي من الوان الطيف فيوضع طن من زيت بزر الكتان في حوض كبير ويسخن الى الدرجة ١٧٦ بميزان فارنهيت ويوضع فيهِ عشرون قنديلاً من هذه القناديل ويمرُّ فيهِ مجرًى من الهواءِ فيمتص الاكسجين منهُ ويقصر بهِ ويزول لونهُ تمامًا

عيون النبات

ابان الاستاذ دارون في خطبتهِ التي نشرناها في الجزء الماضي بعنوان حركات النبات ان النبات يشعر ويتأثر بما يشعر بهِ ويتذكرهُ كأَنهُ يدركهُ . ثم بيَّن عالم آخر في مجمع تقدم العلوم البريطاني ان النبات يرى او في اوراقهِ بلورات كبلورات عيون الحيوانات تجمع اشعة النور وتلقيها على ما في باطن الورقة والنبات يشعر بذلك ويتأثر بالنور كما لا يخفى وهذه البلورات موجودة في الغشاء الرقيق الشفاف الذي يغطي الورقة وهي صغيرة جدًّا ومحدبة من وجهيها كليهما او من احدهما وتجمع بها اشعة النور كما تجمع ببلورة العين. وسواءٌ سمينا تأثر النبات بالنور رؤية او تأثرًا بسيطًا فلا شبهة في ان النبات ينفعل بهِ . وقد استعمل بعضهم هذه البلورات لتصوير الصور الفوتوغرافية ورأينا الصور التي صورت بها فاذا بعضها واضح تمام الوضوح . ولكن تأثر النبات بالنور لا يفيد شيئًا جديدًا ولا يعلي النبات عن طورهِ لان كثيرًا من المواد الكيماوية يتأثر بالنور ويظهر اثرهُ فيهِ واضحًا ولا يخرجهُ ذلك عن طور الجماد

طيارة ريت

اشترطت الحكومة الفرنسوية على المستر ريت شروطًا مختلفة قبلما تشتري طيارتهُ بمئة الف ريال فقام بها كلها وفي جملتها انهُ يركب معهُ رجلاً آخر ويطير بهِ فاركب معهُ مكاتب نيويورك هرلد في ٣ اكتوبر ثم اركب مكاتب الفيغارو وطار ٥٥ دقيقة قطع فيها ٥٠،٥ كيلو مترًا وفي ٥ اكتوبر اركب معهُ رجلاً يزن ٢٣٨ رطلاً وطار بهِ . ثم اركب رجلاً اخف منهُ ثقلهُ ١٩٤ رطلاً وطار بهِ في السادس من اكتوبر ٤٠ ميلاً في ساعة واربع دقائق ثم طار في الايام التالية واركب معهُ كثيرين الواحد بعد الآخر

هبات كارنجي

وهب المستر كارنجي ٢٥٠ الف جنيه

لتخليد ذكر ابطال الانكليز وكان قد وهب ٧٥٠ الف جنيه لتخليد ذكر ابطال الاميركيين وقد عددت مجلة المجلات الانكليزيَّة الهبات التي وهبها حتى الآن وهي كما يأتي

٨٤٠٠٠٠	لانشاء ١٤٠٠ مكتبة عمومية
١٦٠٠٠٠٠	لاحدى وخمسين مدرسة كلية
٢٠٠٠٠٠٠	لدار كارنجي العلمية باميركا
٢٠٠٠٠٠٠	ليعطي ريعها معاشات للاساتذة المستعفين
٠٨٠٠٠٠٠	ليعطى ريعها اسعافاً
١٠٠٠٠٠٠	لتخليد ذكر الابطال
٣٠٠٠٠٠٠	لانشاء مدرسة جامعة في سكتلندا
٢٠٠٠٠٠٠	لمدارس بتسبرج الصناعيَّة
٠٣٠٠٠٠٠	لانشاء هيكل السلام في هولندا
٠٢٠٠٠٠٠	لنادي المهندسين في نيويورك
٤٠٠٠٠٠	لمتحف الفنون في بتسبرج
٣٤٠٠٠٠٠	هبات وعد بها
٠١٠٠٠٠٠	لمستشفى الملك ادورد
٠٠١٠٠٠٠	لمدرسة ابردين الصناعيَّة
١٥٠٠٠ ٠	لمكتبة فلهَم
٠٠١٥٠٠٠	لمكتبة مدلسبرو
٠٠٢٥٠٠٠	لدار كوخ لمقاومة السل
٠٠١٠٠٠٠	لمكتبة لتون
٠٠١٥٠٠٠	لمكتبة غلاسكو
٢٥١٩٥٠٠٠	والجملة

اي اكثر من خمسة وعشرين مليوناً من الجنيهات

منع احتراق الفحم الحجري

كثيراً ما يحترق الفحم الحجري من نفسهِ ويشتعل كلهُ ويقال انهُ اذا وضع فيهِ اناء مملوء بغاز اكسيد الكربون المنضغط ومسدود بسدادة تذوب على درجة ٢٠٠ فارنهيت فان الحرارة المتولدة من الفحم عند اول اشتعالهِ تذيب السدادة فينطلق الغاز من الاناء ويطفئ النار. واناء طولهُ قدم وقطرهُ ثلاث عقد يكفي لحفظ ثمانية طونولاطات من الفحم

الماسة الكبرى

هي ماسة كيننن التي اهدتها حكومة الترنسفال الى ملك الانكليز في العام الماضي في عيد ميلادهِ وقد قدّر ثمنها حينئذٍ بمئتي الف جنيه دفعت حكومة الترنسفال منها ثمانين الف جنيه لاصحابها اصحاب منجم الماس والباقي وهو مئة وعشرين الف جنيه حقٌ للحكومة لانها تأخذ ستين في المئة من ثمن كل الماس الذي يوجد هناك . والعمل جارٍ الآن في قطع هذه الماسة وصقلها وقد قطعوا منها قطعتين كبيرتين لان فيها بعض الشوائب ويراد ان يجعل لها ٥٨ سطحاً مثل كل حجارة الماس الكبيرة وهي تصقل الآن على جلخ يدور ٢٤٠٠ دورة في الدقيقة ويقتضي صقلها كلها ان يدور هذا الجلخ

بهذه السرعة احد عشر شهرًا يومًا بعد يوم من غير انقطاع . وقد كان وزن الماسة حينما وجدت ٣٠٢٧ قيراطًا ولا ينتظر ان يبقى منها بعد قطعها وصقلها سوى ٦٠٠ قيراط ويقدر ثمنها حينئذٍ بخمس مئة الف جنيه وقد تفوق كل ثمن لانها وحيدة لا مثيل لها في جرمها

مذنب مورهوس

ظهر نجم مذنب في شهر سبتمبر الماضي ودنا من الارض حتى صار يرى بالعين وقد راقبهُ الرصد بالنظارات فوجدوا رأسهُ سديميًّا وكان في ٥ سبتمبر مثل نجم من القدر التاسع وذنبهُ صغيرًا قصيرًا وبلغ طول ذنبهِ درجة ونصف درجة في ٢٠ سبتمبر وصار يرى بالعين وكان ذنبهُ مائلاً على رأسهِ ثم ضعف نورهُ وظهر كأن ذنبهُ انفصل عنهُ وعاد ذنبهُ الى الظهور وكان يرى بالعين في اواخر اكتوبر وظهر من تصويرهِ في مرصد كنسنجون ان ذنبهُ مؤلف من ستة بنود

نقود الورق والميكروبات

ان نقود الورق (بنك نوط) التي يكثر تداولها تتسخ ولا بدَّ من ان تكثر الميكروبات عليها وقد بحث احد علماء البكتيريا في نقود الورق المستعملة في الولايات المتحدة الاميركية فوجد ٣٨٠٠٠ مكروبًا على اوسخها و ٤٠٥٠٠ على انظفها اي ان الميكروبات على الاوراق النظيفة اكثر منها على الاوراق الوسخة . ثم استنبت هذه الميكروبات كلها وحقن بها الجرذ المعروف بخنزير الهند فظهر ان ليس فيها شيء من الميكروبات المرضيَّة . فلا خوف من تداول نقود الورق ولو كانت وسخة

دواء السل

قرَّر الدكتور ايشيغامي الياباني في مؤتمر السل الذي التأم في وشنطون حديثًا انهُ استخرج من ميكروب السل علاجين احدهما يشفي المسلولين الذين ابتدأ الداء فيهم ولم يتقدَّم كثيرًا والثاني يشفي كثيرين من الذين تقدَّم الداء فيهم وقال انهُ عالج في مستشفاهُ ٧٧٢ مسلولاً في السنوات الاخيرة فشفي منهم ٢٧٤ شفاء تامًّا وشفي ٢٥٨ شفاء غير تام وترك ١٠٧ العلاج ومات ٢٩ وبقي ١٠٤ تحت المعالجة . ومدة المعالجة طويلة تبلغ ثلاثة اشهر الى ستة

الورق والعمران

تستعمل الولايات المتحدة كل سنة ٢٧٣٠٠٠٠ طنًّا من الورق والمانيا ٣٧٠٠٠٠ طنًّا وانكلترا ٥٧٣٠٠٠ طنًّا وفرنسا ٤١٩٠٠٠ طنًّا والنمسا ٣٤٦٠٠٠ طنًّا وايطاليا ٢٦٥٠٠٠ ويبلغ ثمن معامل الورق في هذه الممالك كلها

نحو مئتي مليون جنيه وربحها السنوي نحو ثمانية في المئة

السكر المحروق لمنع العدوى

الشائع عند العامة ان السكّر المحروق يزيل عدوى الامراض ولذلك تراهم يحرقون السكر في غرفة المريض و يقول الاطباءُ ان ذلك خرافة ولكن لا ضرر منها لكن الاستاذ ترلبر اثبت الآن في مستوصف باستور انهُ اذا حرق السكّر تولّد من حرقهِ ابخرة تميت الميكروبات وجرّب ذلك فوجد ان هذه الابخرة تميت ميكروب التيفوس والسل والكوليرا والجدري واذا حرق السكّر في اناء فيهِ لحم منتن او بيض فاسد زالت رائحة النتانة والفساد من اللحم والبيض . فقول العامة صحيح

اكرام برتلو

تألفت لجنة في فرنسا لاقامة تذكار لبرتلو الكيماوي الشهير مستنبط الكيمياء التركيبية وقد اجتمعت في اول اكتوبر في مدرسة سربون وحضر الاجتماع المسيو فاليير رئيس الجمهورية الفرنسوية والمسيو كلنصو رئيس الوزارة والمسيو بومرجي وزير المعارف وخطب المسيو ريموند بونكره في تأبين برتلو فقال انهُ وُجد على مكتبهِ عند موتهِ مما يدل على اشتغالهِ مقالة عن المركبات القلوية في النبات وكتاب عربي في الكيمياء اتى بهِ من احد جوامع فاس بالمغرب الاقصى وخطاب للفرنسويين عن جمهورية ارجنتين . فاشتغل بالعلم الى آخر ساعة من حياتهِ . وتكلم المسيو فاليير فقال ان برتلو بقي الى ان ادركتهُ الوفاة من رسل العلم والعدل والحق والاستقلال في الراي

هبة عظيمة

مات غني كبير في برسل اسمهُ سمسون وترك لاكاديمية العلوم ببرلين ثلاثين مليون مارك اي مليوناً ونصف مليون من الجنيهات

مؤتمر الاقاليم

يعقد مؤتمر الاقاليم في مدينة الجزائر في الرابع من شهر ابريل المقبل وهو يبحث في الاقاليم ومياهها وجيولوجيتها والوسائل الصحيَّة الطبيعيَّة فيها

قتلى الافاعي في الهند

ظهر بالاحصاء ان الافاعي قتلت ٢١٤١٩ نفساً في بلاد الهند في العام الماضي وكان الذين تلسعهم الافاعي يعالجون بالتشريط وبپرمنغنات البوتاسيوم حسبما اشار السر لودر برنتن ولكن نوع الافعى لم يكن يعيَّن دائماً فلا يعلم هل الفائدة حاصلة من العلاج او من ان الافعى غير سامة

سخافة الحرير

الحرير امتن الخيوط كلها والمنسوجات الحريرية يجب ان تكون امتن المنسوجات وقد كانت كذلك في عهد اسلافنا اما الآن فترى الثياب الحريرية تتهرأ من نفسها في زمن قصير وما ذلك الا لان الصباغين يثقلونها بملح معدني يسمَّى كاوريد القصدير فتصير تتهرأ بسرعة ولا سيما اذا عُرضت لنور الشمس فاذا كانت متانة الحرير النقي مئة فمتانة الحرير الفرنسوي المثقَّل ١٥ لا غير . والاملاح المعدنية التي يثقلون بها الحرير مختلفة والدرهم من الحرير يصير ببعضها نحو ٣٠٠ درهم وقد اخذ النسَّاجون الآن يزيلون بعض الاملاح التي يصبغ الحرير بها او يقللون مقدارها ما امكن فصارت المنسوجات الحريرية امتن مما كانت عليهِ ولو قليلاً . ويحسن بابناء الشرق الذين يوجد الحرير الصرف في بلادهم ان يكتفوا بنسجهِ ويستغنوا بهِ عن المنسوجات الحريرية الاوربيَّة

الافاعي يأكل بعضها بعضاً

من المعلوم ان الافاعي يأكل بعضها بعضاً وكان المظنون ان الانواع السامَّة منها تأكل غير السامَّة فقط او ان النوع الواحد لا يأكل من نوعهِ بل من نوع آخر ولكن ثبت الآن ان الافعى السامَّة ذات الوداجين تأكل ما كان من نوعها ايضاً . وهذا من النوادر لان الحيوان قلما يفترس ما كان من نوعهِ

الافاعي البصاقة

ثبت الآن ان بعض الافاعي الافريقيَّة السامَّة تتفل سمها من فيها فيصل الى مسافة بعيدة عنها واذا اصابت نقطة صغيرة منهُ عين كلب أعمتها حالاً واذا اصابت عين انسان التهبت او فقدت بصرها

هبات اميركية

اوصى المستر وليم فلاس بتركتهِ لمدرسة وسكونسن الجامعة وتبلغ قيمتها بين مليونين وثلاثة ملايين من الريالات واوصى فردرك كوبرهيت بخمس مئة الف ريال لمدرسة يال الجامعة وبمليوني ريال لمدرسة نيويورك ومستشفاها وبمليون ونصف من الريالات وبقيَّة ما يملكهُ لمتحف الفنون

النار في اميركا

شبت النار في حراج اميركا منذ اواسط الصيف والتهمت من ولاية نيويورك وحدها حتى آخر سبتمبر اشجار ٤٤٩٣٥ فدانًا وتقدَّر الخسارة منها بما يساوي مليون ريال كل يوم

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد الثالث والثلاثين

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف

المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد الثالث والثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

الوزارتان المصريتان

استعفت الوزارة الفهمية في ١٠ نوفمبر واسند سمو الخديوي مسند رئاسة النظار الى سعادة بطرس باشا غالي وقد وصفنا الوزارتين في المقطم الصادر في ١١ و١٢ نوفمبر ورأينا ان ننشر هنا خلاصة ما نشرناهُ هناك ونضيف اليهِ ما تتم بهِ الفائدة

١ وزارة مصطفى باشا فهمي

لم تطل مدة وزارة مصرية قدر ما طالت مدة الوزارة الفهمية الاخيرة فقد قامت اثر استعفاء الوزارة النوبارية الاخيرة في ١١ نوفمبر سنة ١٨٩٥ واستعفت في ١١ نوفمبر سنة ١٩٠٨ فدامت ثلاث عشرة سنة تماماً ورأت مصر في ايامها ما رأت من دلائل الاصلاح والتقدم وتمتعت بما تمتعت بهِ من سني الرخاء والرفاه وقاست في اواخرها ما تقاسيهِ الآن من شدائد الازمة المالية وما تشكو منهُ من نتائج الطيش والغرور

وقد امتازت هذه الوزارة عن سواها من الوزارات المصرية بانها كانت وزارة دستورية بحتة فعلاً ولو لم تكن كذلك نظراً. فاننا لم نرَ في الشرق ولا في غير الشرق ايضاً وزارة لازمت حدود الدستور ملازمة اتم من الوزارة الفهمية لها. ولما كانت الخطة الدستورية غير مألوفة عند اهل الشرق وكان الاكثرون منهم قد ربوا على استعظام الجبروت والبأس والقوة الاستبدادية لم يقدروا هذه المزية في الوزارة الفهمية حق قدرها ولا عدوا احترامها التام للدستور والنظام فضيلة تشكر بل حسبها كثيرون منهم ضعفاً. وتأتى عن ذلك ان قامت عليها قيامة النافدين والطاعنين والذامين فلم يلقوا منها الا حلم الدستور وصبراً على الجور من غير تعمد الاذى او الانتقام لنفسها بضرر. فزادهم ذلك تمادياً في التطاول عليها وجرأة على القدح فيها وذمها وتشهيرها في بلاد لا تحسب القوة الا بالبأس والبطش كما تقدم

ولم تعتمد المحافظة على الامن والطاعة الاَّ خوفاً من سطوة الحكومة وخشية من هيبتها ورهبتها فكان ذلك باعثاً على تقليل هيبة الحكومة في نفوس الرعية وبالتالي على اضعاف نفوذها وكسر الشكيمة التي تكبح جماح الاشقياء وتردعهم عن ارتكاب المعاصي والموبقات

ولهذا كانت ايام الوزارة الفهمية ايام تقدم في الاصلاح والنظام بوجه الاجمال الاَّ في مسألة الامن العام . فانهُ لما استعفى المرحوم نوبار باشا من وزارتهِ جرى لنا معهُ حديث لخصناهُ في المقطم الذي صدر في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٥ بقولنا " ويرى دولتلو نوبار باشا ان نظام الداخلية الذي وضعهُ في وزارتهِ ضامن لذاتهِ دوام الاتفاق والسكون بعد وزارتهِ كما كانا في ايام وزارتهِ فقد انتفت بهِ اسباب التنازع والتنافس بين رجال الادارة ورجال الضبط او بينهم وبين رجال النيابة كما انتفت بهِ اسباب الجفاء بين الوطني والاجنبي . . وان هذا النظام الجديد سد ابواب الرشوة وابواب المطاعنة بين الطامعين في المشيخة او العمدية . واصبحت العبرة الآن بالنظام وليس بالذين يرئسونهُ " قال " ولو كنت اعلم ان ذلك ليس هو ما يقتضيهِ النظام الجديد لما عجلت في الاستعفاء . ومتى استقامت أُمور الداخلية امنت البلاد شرور الفتن والاضطرابات " . الى ان قلنا " غير ان ما يراهُ دولتلو نوبار باشا من هذا القبيل لا يراهُ بعض اقطاب الادارة والسياسة عندنا والحكم في ذلك انما يكون بالاختبار والامتحان على مرور الزمان "

هذا ما ذكرناهُ منذ ثلثة عشر عاماً وقد اثبت الاختبار والامتحان على مرور هذه الاعوام ان القطر تقدم بمساعي حكومتهِ من كل جهة الاَّ من جهة الامن العام . ولولا ذلك لكان غاية ما نطلبهُ لمصر من الآن الى آخر الزمان ان توفق وزاراتهُ في مقاصدها ومساعيها كما وفقت الوزارة الفهمية الاخيرة

ولا يخفى انهُ لولا اضعاف هيبة الحكومة بتطاول المتطاولين عليها في جرائدهم بالشتم والذم والتعيير وهي لا تبدي ولا تعيد لما تقوَّضت اركان الامن ولولا ذلك لما ساءت سمعة القطر المصري في اوربا حتى ضنَّت الدوائر المالية عليهِ باموالها فاشتدَّت الضائقة على اهلهِ

ويقيننا ان الوزارة الفهميَّة لم تصبر على شغب الشاغبين وتطاولهم عليها لانها رأت في ذلك نفعاً للبلاد او لانها لم ترَ منهُ ضرراً كلاَّ بل لان الحكومة المحتلَّة اوجبت عليها ذلك مراعاة لحريَّة الصحافة وجرياً على ما هو جارٍ في بلادها . ومن الغريب ان الوزارة الفهميَّة استطاعت ان تصبر على هذه المضض ثلاثة عشر عاماً وان ينشأَ في عهدها كثير من اكبر الاعمال وانفعها للقطر

وغني عن البيان ان اشهر رجال هذه الوزارة بل رجالها الذين كان عليهم المعول اثنان قديمان وواحد جديد فالقديمان عطوفة مصطفى باشا فهمي رئيسها وعطوفة بطرس باشا غالي ناظر خارجيتها والجديد سعادة سعد باشا زغلول ناظر معارفها . فاول الثلاثة خرج باستعفائه من خدمة الحكومة المصرية واما الاخران فباقيان اليوم في خدمة وطنهما

اما عطوفة مصطفى باشا فهمي فقد قال المقطم عنهُ يوم قيام وزارته سنة ١٨٩٥ "وحسبنا ان نظهر البهجة والسرور بان الامانة قد لقيت من كرم الامير المعظم جزاءها من الثقة والاكرام وان الصدق في النصيحة والاخلاص في الخدمة قد حلاَّ عند سموه محلهما من الاعتبار واصبح عطوفة مصطفى باشا فهمي اليوم عنوان الامانة ومثال المقيمين على عهود الوفاء والاخلاص واصبحت الامة من سواحل بحر الروم الى اقاصي الصعيد تشهد بلسان واحد انهُ خادم الامير والامة بالصدق والامانة وانهُ الوزير الذي نظر الى بعيد فقصد دفع الغوائل وتدارك الخطوب ينطق بذلك اليوم العدو قبل الصديق و يعلمهُ البعيد كالقريب "

وقد كان قول المقطم هذا بعد انتصار عطوفته بسجاياه الفريدة وصفاته السامية على الدسائس والوشايات والمكايد والسعايات

ثم مرت الايام والاعوام ونحن لا نرى في عطوفته الاَّ كل ما يؤيد اعتقادنا بسمو ادبه وكرم اخلاقه وشرف صفاته فهو الوزير الدستوري العاقل الحكيم والمشير الصادق الامين والحاكم العادل المستقيم بكل معنى من معاني هذه الكلمات . ونحن نحمد الله أن كان نصيب المقطم من يوم انشائه الى اليوم الاعتراف بحسن اوصاف رجل فاضل عاقل ووطني مستقيم صادق مثل عطوفته . ولسنا ندعي لعطوفته الكمال فسبحان من تفرد بالكمال ولا نجهل انهُ يعوز فطرتهُ الشريفة بعض ما زاد في الذين تقدموهُ من الاقدام وقوة الحزم ولكنهُ في ما سوى ذلك الوزير الذي لا بد ان يذكر الوطن عقلهُ وحكمتهُ وفضائلهُ وفواضلهُ وخدمهُ الجليلة كلما ارتقى ابناؤُهُ في البحث عن حقيقة العمال وزرائهم والحاكم الذي نؤمل ان يكثر امثالهُ بين حكام مصر في العدل والاستقامة والصدق والامانة والغيرة الحقيقية على الوطن والامة

٢ وزارة بطرس باشا غالي

لما وقع الاختيار على سعادة بطرس باشا غالي لرئاسة النظار صدرت اليه الارادة الخديوية السنية بذلك وهذا نصها

سعادة بطرس باشا غالي حضرتلري . بناء على ماهو معلوم فيكم من الكفاءة والدراية ووثوقنا بكم قد وجهنا لعهدتكم مسند رئاسة مجلس نظار حكومتنا وعلى هذا نكلفكم بتشكيل

هيئة نظارة جديدة وكونوا على يقين من تعضيدنا ومساعدتنا اياكم في جلائل الاعمال التي عهدنا بها اليكم ونسأل الحق جلت قدرتهُ ان يوفقنا جميعاً بما فيهِ خير البلاد ورفاهية العباد انهُ نعم المولى ونعم النصير عباس حلمي

تحريراً في ١٢ شوال سنة ١٣٢٦ و ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨

ورفع سعادة بطرس باشا غالي العريضة الآتية الى سموهِ

مولاي

لقد تفضلت ذاتكم العلية بتوجيه رئاسة مجلس النظار الى عهدتي وكلفتني بتأليف هيئة نظارة جديدة فأتشرف بان ارفع الى مقام سموكم اسماء من تشكل منهم هذه النظارة وهم اصحاب السعادة سعد زغلول باشا ناظر المعارف وحسين رشدي باشا ناظر الحقانية ومحمد سعيد بك ناظر الداخلية واسماعيل سري باشا ناظر الاشغال العمومية والحربية واحمد حشمت باشا المالية

فان حازت هذه التعيينات القبول لدى سدتكم العلية التمس صدور الامر الكريم باعتمادها وتقليدي نظارة الخارجية كما تعطف جنابكم الرفيع وعهد اليَّ برئاسة مجلس النظار واني مع غاية الاجلال لمولاي عبدهُ الخاضع الامين

بطرس غالي

هذا وسعادة بطرس باشا غالي اشهر من نار على علم سياسي محنك واداري مجرب وعاقل من اعظم عقلاء هذا القطر لا يجد الانسان اقدر منهُ على التوفيق بين المختلفين وتسيير سفينة الحكومة التي يضبط دفتها بالسلامة والامن بين الانواء والزوابع والعواصف والزعازع وزد على ذلك انهُ من اقدر الرجال على ادراك اقدار الرجال وابصرهم بمصير الاحوال وابعدهم نظراً في عواقب الامور. وقد قضى عمرهُ في الوظائف والمناصب ومعاشرة الامراء والوزراء ومخالطة خاصة الامة وعامتها وجاب الاقطار في الاسفار وحضر مجالس الملوك الكبار ودرس كل درس في اوسع مدرسة من مدارس الاختبار حتى صار من ادرى اهل وطنهِ بالسياسة التي تنفع اميرهُ ووطنهُ وامتهُ والسياسة التي تضرهم وعلم ان معاملتهُ هي مع دولة كلمتها كلمة واحدة لا اثنتان والظاهر والباطن في معاملتها سيان . فلذلك اصبح احسن خلف لاحسن سلف ونؤمل ان مصر تتمتع في وزارتهِ بكل ما ينفعها من ضروب الاصلاح وتجتنب كل ما يضرها من عوامل الخطاء وبوادر الطيش والغرور

واما سعادة سعد باشا زغلول فالحق يقال ان بقاءهُ في نظارة المعارف سرنا جداً وان الحكومة والامة لم تحرما خدمة شهم مقدام عاقل ووطني غيور صادق ونصير للاصلاح ومحب

للتقدم ووزير من ابناء هذا العصر بكل معاني الكلمة مثل سعادتهِ ولاسيما بعد ما اختبر في نظارة المعارف ما اختبر حتى عرف منها ما ظهر وما استتر واصبح اقدر من سواهُ على اتمام الاصلاح الذي ادخل الى المعارف قبلهُ واتمام الاصلاح الذي ادخلهُ اليها بنفسهِ والذي يبذل الآن قوى عقلهِ وجسمهِ في ادخالهِ

وقد ازددنا رجاء بعد بقائهِ في منصبهِ انهُ يبلغ يوماً الشأو الذي يستحقهُ بكفاءتهِ وسعيهِ ومقدرتهِ ويدرك الغاية التي تليق بنفس كبيرة مثل نفسهِ ويخدم الامة الخدمة المرجوة من رجل في عقلهِ وعلمهِ ومقدرتهِ وهمتهِ

واما سعادة رشدي باشا فتعيينهُ للحقانية يسر كل من يحب وضع الامور في محلها اذ هو قاضٍ في علمهِ واخلاقهِ واقوالهِ واعمالهِ ومعاملاتهِ فقد خلق للقضاء واعظم خدمة ترجى منهُ للحكومة والامة خدمة القضاء حيث قولهُ القول الفصل وحكمهُ لا يصدر الَّا عن خبرة وعلم

واما سعادة محمد باشا سعيد فالحق يقال انهُ اظهر مقدرة ادارية عظيمة من وجوه عديدة مع وجودهِ في القضاء · ونحن ندعو لهُ بالتوفيق ونؤمل لهُ النجاح في منصبهِ الجديد الذي يتحمل فيهِ اعباء مسؤولية ثقيلة

واما سعادة سري باشا فكلامنا عنهُ بعد الآن تحصيل حاصل اوكلاماً على غير طائل بعد المقالات والفصول والرسائل العديدة التي انشأها المقطم والمقتطف في بيان صفات هذا العالم الهندسي العظيم والموظف الصادق الامين من عشرين سنة الى اليوم . وانما نقول ان تعيين سري باشا لنظارة الاشغال العمومية كان من قبيل اعطاء القوس باريها فانهُ لا يختلف اثنان من عارفي فضلهِ وقدر علمهِ انهُ من اليق ابناء مصر بهذا المنصب وانهُ انما تقلدهُ بكدهِ وجدهِ وعلمهِ وفضلهِ وحسن ادارتهِ وانهُ لوكان كل من يقلد منصباً يقلدهُ عن حق واستحقاق مثلهُ لكانت مصر قدوة سائر البلدان في تقليدها المناصب للاكفاء دون سواهم

وسعادة حشمت باشا موظف مجرَّب في سلك القضاء وسلك الادارة معاً وهو من ابناء مصر الذين امتازوا على الاقران في كبر الهمة وحدة الذهن وسعة الادراك فعسى ان نرى منهُ في منصبهِ الجديد اهتماماً يشعر بوجود القوة الوطنيَّة بجانب القوة الاحتلالية في نظارة المالية

غير ان الامرين اللذين تشكو منهما مصر الآن ولا ترى منجاة لها الَّا بالنجاة منهما وهما الضائقة المالية واختلال الامن العام لا توفَّق هذه الوزارة الى ازالتهما الَّا اذا اعادت هيبة الحكومة الى النفوس وازالت كل اسباب التهييج والاغراء فيخاف الاشقياء سطوتها وتعود اوربا الى ائتمان القطر المصري على اموالها كما كانت تفعل من قبل · ثم ان مجالس

الاصلاح لا يزال واسعاً جدًّا ومعايش السكان لا تزال ضيقة وابواب توسيعها ميسورة ففي البلاد اكثر من مليون فدان تحتاج الى الترع والمصارف لزرعها . وسكك الحديد الموجودة لا تفي بعشر الحاجة . والتعليم لا يزال قاصرًا عن الغاية المطلوبة . والصنائع الوطنية لا تزال في مهدها وليس لدى هذه الوزارة شيءٌ من المشاكل الخارجية فالامن في السودان موطَّد الاركان والنيل خاضع لارادة مهندسيهِ وعلاقات مصر مع كل البلدان الخارجية على غاية الصفاء والوئام فلا شيءَ يشغل بال هذه الوزارة عن الاهتمام بالمصالح الداخلية وعسى ان لا نسطّر لها الاَّ آيات المدح والثناء

عمارة اليابان

انشأت جريدة السينتفك اميركان مقالات ضافية بحثت فيها عن عمارات الدول البحرية الكبرى بحثاً مدققاً وقالت انها الآن على هذا الترتيب اقواها انكلترا وتتلوها الولايات المتحدة الاميركية فالمانيا ففرنسا فاليابان . اي ان اليابان بنت الامس اصبحت الدولة الخامسة بين الدول البحرية الكبرى وفاقت روسيا وايطاليا والنمسا وهولندا واسبانيا وتركيا وكل ما سواهنَّ من الدول . هذا من حيث عدد البوارج والطرادات وكل السفن الحربية واما من حيث تمرُّن رجالها على الحروب البحرية فتكاد تكون الاولى بين دول الارض

ابتدأت هذه الدولة تظهر قوتها منذ عشرين سنة وكان اسطولها حينئذٍ مؤلَّفاً من ثلاثة طرادات في كل منها مدفع كبير قطر فوهتهِ ١٢ بوصة ونصف واحد عشر مدفعاً صغيرًا من المدافع السريعة الطلقات وطراد مدرَّع محمولهُ ٢٤٧٠ طنًّا وبهذه العمارة الصغيرة محقت اسطول الصين واظهرت من المهارة في ادارة سفنها ما ادهش اوربا . ولما قامت عليها فرنسا والمانيا وروسيا وانتزعنَ منها بورت ارثر التي غنمتها من الصين اخذ منها الغيظ كل مأخذ فدفعها الى بذل النفس والنفيس في تقوية بحريتها حتى لا تعود دولة من دول الارض تعتدي عليها وكان من امرها انها استطاعت بعد عشر سنوات ان تتغلَّب على الاساطيل الروسية وتمحقها محقاً

وكانت تبني بوارجها كلها في اوربا فصارت تبنيها الآن في بلادها واكثر بوارجها القديمة مبني في فرنسا والحديثة في انكلترا ولذلك هي اشبه بالبوارج الانكليزية منها بغيرها . وقد زادت همةً بعد حربها مع روسيا وبنت بوارج ليس اكبر منها بين بوارج الدول

الاخرى ولا اشد منها سرعةً ولا اثقل منها مدافع واعتمدت على آلة التربين الحديثة في تسيير بوارجها

وفي عمارتها الآن خمس عشرة بارجة من الطبقة الاولى محمول كل منها اكثر من عشرة آلاف طن عمر اقدمها ١٤ سنة وعمر اكثرها اقل من عشر سنوات ومحمولها كلها ٢٣٣ الف طن . اربع منها من طراز البارجة الانكليزية الكبرى المسماة دردنوط لم يتم بناؤها حتى الآن

وفي عمارتها ايضاً ١٣ طراداً مدرعاً محمولها معاً ١٣٦٢١٢ طناً وكلها من الطبقة الاولى

وفيها اربعة طرادات من الطبقة الثانية محمولها ٢٣٣٠٠ طناً وكلها محميّة وسرعة بعضها ٢٢ ميلاً بحريًّا في الساعة و١٥ طراداً من الطبقة الثالثة وسفن أُخرى حربيّة سرعة واحدة منها ٢٥ ميلاً بحريًّا في الساعة وهي الطراد الروسي نوفك ومحمول هذه السفن الاخيرة ٥٢٠٢٥ طنًّا

وعندها كثير من المدفعيات والبوارج والطرادات القديمة وهي لا تحسب حسابها لبطء سرعتها وضعف دروعها . وعندها ٦٤ سفينة صغيرة من متلفات الطربيد سرعة بعضها ٣٥ ميلاً بحريًّا في الساعة ومحمول بعضها ٣٥٠ طناً و٩٥ من قوارب الطربيد

ومن غريب امرها ان البوارج التي غنمتها من روسيا اصلحتها ووضعت فيها مدافع كبيرة فصارت الآن اقوى مما كانت وهي عند الروس بل البوارج التي انتشلتها من عمق البحر اصلحتها وصارت الآن اقوى مما كانت قبلاً

والبوارج الاربع التي من طراز الدردنوط وهي تبنى في بلاد اليابان نفسها اثنتان منها قاربتا التمام ومحمول احداها ١٩٧٥٠ طنًّا ومحمول الاخرى ١٩٥٠٠ طن وينتظر ان تكون سرعة الاولى ٢٠ ميلاً بحريًّا ونصف ميل وسرعة الثانية ٢٠ ميلاً فقط فهي اسرع بوارج الدول ما عدا البوارج الانكليزية التي من نوعها . والبارجتان الاخريان اكبر من هاتين ومحمول احداها ٢٠٠٠٠ طن ومحمول الثانية ٢١٠٠٠ طن وستكون سرعة كل منها عشرين ميلاً بحريًّا ونصف ميل

وبوارجها مدرعة بصفائح من الصلب من الثخن واصلب ما دُرّعت بهِ البوارج حتى الآن وفيها من المدافع من اكبر واقوى ما في البوارج الانكليزية او غيرها فالمدافع الكبرى قطر فوهة الواحد منها قدم انكليزية وطوله ٤٥ قدماً الى ستين قدماً . وكذلك طراداتها المدرعة من اقوى ما صنعتهُ الدول حتى الآن وعندها طرادان تبنيهما الآن محمول كل منهما ١٨٤٠٥ طنًّا وستكون سرعة كل منهما ٢٥ ميلاً بحريًّا في الساعة ويكون فيهِ اربعة مدافع من

المدافع الكبرى وثمانية اصغر منها قليلاً وثمانية اخرى اصغر من هذه . وليس عند اميركا ولا عند انكلترا ما يماثل هذين الطرّادين في قوتهما

قلنا ان اليابان تعدُّ الآن الخامسة بين الدول البحرية من حيث نسبتها اليها من غير قيد ولكن اذا اعتبرنا ان مملكة اليابان واملاكها محصورة في بقعة واحدة في الشرق الاقصى وانها لا تضطر ان ترسل شيئاً من عمارتها الى البحار القاصية وان الدولة التي تقصد محاربتها تضطر ان ترسل بوارجها اليها كما فعلت روسيا ولا تستطيع ان ترسل اليها الاَّ بعض بوارجها فهي اقوى الدول البحرية في الشرق الاقصى اي انها اقوى من فرنسا والمانيا واميركا بل اقوى من انكلترا لان انكلترا لا تستطيع ان ترسل الى الشرق الاقصى الاَّ ربع اساطيلها او ثلثها على الاكثر فتكون اليابان اقوى منها فضلاً عن انها تحارب في عقر دارها ولذلك خطبت انكلترا ودها وعقدت معاهدة معها ولم تعد الدول الاخرى تذكرها الاَّ بالاحترام والاجلال بل صارت تخشى صولتها

ولا بدَّ لكل عثماني يقرأُ هذه السطور من ان يخطر على باله امكان صيرورة دولته دولة بحرية كما كانت قبلاً وترى كثيرين من اهل الغيرة والحميَّة يجاهرون بذلك وقد فاتهم ان البوارج والطرادات الكبيرة تحتاج الى نفقات تنوء تحتها الجبال فلا تبنى البارجة الكبيرة الآن باقل من مليوني جنيه ولا تقل نفقاتها السنوية عن مئة وخمسين الف جنيه . واليابان تنفق الآن على بحريتها ثلاثة ملايين وثلث من الجنيهات في السنة عدا الاعتمادات الخصوصيَّة لبناء البوارج . وعدد نفوسها نحو ٤٨ مليوناً من النفوس فاذا انفقت دولتنا العلية على هذه النسبة وجب ان تبلغ ميزانية البحرية العثمانية اكثر من مليونين من الجنيهات في السنة وهذا لا نستطيعهُ الآن ولا داعي اليهِ لاننا قوة برية لا بحرية وحسبنا ان نسعى اولاً في اصلاح بلادنا واستثمار خيراتها وتوفير موارد رزقها حتى يصير دخل حكومتنا ثلاثين او اربعين مليوناً من الجنيهات وحينئذٍ يسهل علينا ان نزيد قوتنا البحرية رويداً رويداً ولاسيما اذا انشأْنا دور الصنعة في بلادنا وبنينا بوارجنا فيها ولا بدَّ لنا قبل ذلك من محالفة دولة بحرية قوية كانكلترا نستعز بها فنستفيد منها ونفيدها

وعمارتنا الآن لا تذكر في جنب عمارات الدول البحرية فالبارجة مسعودية التي جُدّدت حديثاً فيها مدفعان قطر كل منهما ٩ بوصات وعشران وعندنا اربعة طرادات محميَّة محمول كل منها ٣٢٧٠ طنًّا ومدرعات اخرى قديمة

خليل الخوري اللبناني

وُلد في ٢٨ نوفمبر (ت٢) سنة ١٨٣٦ م وتوفي في ٢٦ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٧ م

لما انتشر رواق الأمن في لبنان على اثر الفتوح العثماني قدم النصارى الحورانيون اليهِ ومنهم معظم الأُسر السورية واللبنانية . وكان بين الراحلين بنو زخريا فنزلوا حصن الاكراد ولما زاحمهم النصيرية بالمناكب جاوزوا الكورة في لبنان ونزلوا قرية حامات على قمة رأس الشقعة فوق البترون وحكموا ناحية القويطع مدة واتصل بهم مصطفى بربر في اول امرهِ فكان من بطانتهم . ومن هذه الاسرة انتقل الخوري مخائيل زخريا الى الشويفات وخدم الانفس فيها وعرفت سلالتهُ ببني الخوري ومنهم المرحوم خليل هذا وشقيقهُ المرحوم سليم احد صاحبي آثار الأدهار في الجغرافية والتاريخ ونفر آخرون مشهورون بآدابهم

ولد المترجم وهو خليل بن جبرائيل بن حنا بن الخوري مخائيل زخريا في الشويفات من قضاء الشوف واعمال متصرفية لبنان في الثامن والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٣٦ م وانتقلت اسرتهُ الى بيروت على اثر خروج المصريين من سورية وهو ابن خمس سنوات فدرس العلوم العربية في المدارس الارثوذكسية فيها وكثيرًا ما كان يحضر مجالس العلامة الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني الحافلة بادباء ذلك العهد وكانت بينهما مودة وثيقة ومن رصفائهِ اذ ذاك المرحومان سليم دي بسترس واسعد طراد وغيرهما فاتقن العربية نثرًا ونظمًا ودرس الفرنسية والتركية على استاذ خاص فاتقنهما تكلمًا وكتابة وتعلق على نظم الشعر قبل الرابعة عشرة واجاد في غزلياتهِ ولم يطبع من ذلك الا ما نظمهُ منذ الثامنة عشرة فما بعد وهو الدور الاول من حياتهِ الذي كان فيهِ شاعرًا فقط الى حوالي سنة ١٨٦٠ فبدأت حياتهُ الصحافية ورافقتها حياتهُ السياسية فكان شاعرًا وصحافيًا وسياسيًا وسنبحث في كل نقطة من مثلث حياتهِ على قدر ما يحتملهُ المقام

"الشاعر"

نظم خليل الخوري الشعر في جميع ادوار حياتهِ ولم ينقطع عنهُ حتى مماتهِ تشهد بذلك دواوينهُ المشهورة بين مطبوعة ومخطوطة . وكان غزير المادة سيّال القريحة وكان في اول عهدهِ قليل النظر في منظومهِ ولذلك ترى الركاكة ظاهرة في بعض قصائدهِ مع بلاغة وحسن تصرُّف مما يدل على قوة بادرتهِ وشاعريتهِ ولكن دواوينهُ اصبحت الآن عزيزة المنال لندرتها

فحبذا لو طبعت جميعها في ديوان واحد او انتخب نفيسها ولاسيما ما كان في الاغراض الجديدة فان غزلياته رقيقة المبنى دقيقة المعنى فيها تصرُّف حسن وميل الى الجديد كما سترى في منتخباتها ولكن مديحهُ ورثاءهُ قلما خرج بهما عن الطريقة المألوفة عند من تقدمهُ من شعراء العرب فكثيرًا ما يسترسل الى المبالغة والتشابيه المتداولة الاَّ في بعض المواضع فانهُ احسن فيها التصرُّف وكسر قيود الاحتذاء واختط لهُ طرقًا بديعة الوضع جزيلة النفع مثل قولهِ في رثاء والدهِ جبرائيل ومدح دي لامرتين الشاعر الفرنسي وسليم دي بسترس . وتواريخهُ كثيرة معظمها رشيق لولا التزامهُ في بعضها القيود وادماج الاسم فتجيءُ احيانًا متكلفة . ومعظم قصائدهِ في مدح عظمة الدولة والسلاطين العثمانيين والوزراء ولاسيما ولاة سورية حتى سمي بشاعر الدولة واجاد في وصف الليل فسمي شاعر الليل ايضاً وكان رفيع المنزلة لدى شعراء الافرنج مثل دي لامرتين الفرنسي ولهُ فيهِ بعض القصائد وعرفهُ شعراء الترك والفرس والعرب . ولقد اعجب باسلوبهِ المستشرقون وترجموا بعض قصائدهِ الى لغاتهم ولاسيما المسيو رينو رئيس الجمعية الآسيوية في باريس ودي لاندا وغيرهما وذكرتهُ الجرائد الافرنجية وترجمت بعض منظوماتهِ ولاسيما الدبا (الباحث) والاورنن بوسط (البريد الصباحي) وفنيرا باندا بوسط ومجلة الجمعية الاسيوية الفرنسية وغيرها

وعلى الجملة فانهُ يعدُّ من موسسي الشعر العصري ان لم نقل انهُ اول من نقلهُ الى الاسلوب المستحدث فوضع لقصائده عناوين يعرف منها مدار الكلام ومال الى الشعر القصصي كما سترى ولم يستجدِ بشعرهِ ولا قبل جائزة على منظومهِ حتى انهُ لما قدم قصيدتهُ (السعادة[1]) الى المغفور لهُ سعيد باشا الذي زار سورية سنة ١٨٥٩ م لم يقبل الجائزة المالية التي اختصهُ بها مثل غيرهِ من الشعراء بل كتب في جريدتهِ (الحديقة) انهُ نظمها ترجمانًا لعواطفهِ لا ترغيبًا لنيل مكافأة مالية فاعجب سعيد باشا بآدابهِ واشترك بخمسين نسخة من جريدتهِ الحديقة . ولقد كانت بعض قصائدهِ في السلاطين العثمانيين مدعاةً لانعامهم عليهِ ببعض الأوسمة العالية كالوسام المجيدي الذي نالهُ سنة ١٨٦٢ م وللإبلاغهِ الرضى السلطاني بارادة سنيَّة مرارًا . ولهُ مراسلات ومساجلات مع شعراء عصرهِ ومدحهُ كثير منهم الشيخ ناصيف اليازجي في قولهِ من قصيدة :

أخذت نجوى سبيلا فسقتني سلسبيلا
بنت فكر من خليلٍ قد شفت مني غليلا

(١) راجعها في ديوانهِ العصر الجديد صفحة ١٠٢

ذقت منها منّ لفظٍ كان بالسلوى كفيلا
ومعانٍ كنسيم الر وض اذ هبّت أصيلا

والسيد عمر الانسي بقولهِ من قصيدة :

أمسى يصوغ حلى القريض بفكرةٍ لا تخطئُ المعنى البديع تدبرا
ونباهة بصفاء ذهن رائق لم يعدُ منهلهُ الشهيُّ مكدَّرا

والشيخ ابرهيم الاحدب بقولهِ من قصيدة :

يا من سمت بمعانيهِ قوافينا ونظم الفاظهِ أبدى القوى فينا
ونظّم الدرَّ في سلك البيان على ضوءٍ من الفضل فيهِ سار هادينا
وأصبحت شامةً بين البلاد بهِ دمشقُ حتى بدت عُجباً تباهينا

الى ان قال :

ولا محاجاة في نظم الخليل وما أبداهُ معناهُ مثل الصبح تبيينا
لا يتعب الفكر في ادراك غايتهِ ويرقص السمع بالانشاد تلحينا

ونقولا النقاش من قصيدة :

ان سكرنا من شعركم ليس بدعاً حيث فيهِ شيءٌ كفعل المدامِ
أنت بحر العلوم والله بل أنـ ـت امام نعم وأيُّ إمامِ

وسليم بك العنحوري الدمشقي من قصيدة :

أما أنت من قاد السياسات خبرةً بفكرٍ لهُ في هام كيوان إيوانُ
أما أنت يا سامي التصوُّر واصف الطبيعة وصفاً منهُ جانٌ جاك حيرانُ
تذكّرنا فولتيرَ جودة نثرهِ ويمتاز عنهُ منهُ دينٌ وإيمانُ
أما أنت من أحيا موات قريضنا بطرز جديدٍ فيهِ للعلم برهانُ
أما أنت من غنّى بأغزال نظمهِ فرَنسٌ واسبانٌ ورومٌ ويونانُ
فهزّت لهُ أعطاف عربٍ وأعجمٍ وترجمهُ للفخر روسٌ والمانُ
وناغت بهِ وُرْق الاراك ترنماً بكل أريضٍ فيهِ نخلٌ ورمانُ
قريضٌ لو أنَّ الله يسمعهُ لمن قضى لتباهى البحتريُّ وحسّانُ
أغاريد شحرور نُسيمات سحرةٍ قلائد عقيانٍ لآلٍ ومرجانُ
فدع عنك يافكتور هيكو تغطرساً وانت أيا راسين ربحك خسرانُ
ويا ابن دولامرتين قل لابيك صَهْ ففي حومة الميدان غيرك فرسانُ

ويا هومروس اندب ونادِ بجهرة شكسبير دعنا كان للفخر أزمانُ

والمرحوم الياس صالح كنعان البيروتي بقصيدة منها :

حتا مَ تبغي للفخار سبيلا أفما شفيت من الفخار غليلا
وإلام تجنح بالكمال الى العلا أفما بلغت من العلا المأمولا

ومنها

واليك مني ذي العروس فانها جاءتك ترجو المهر منك قبولا
بكرٌ ترى فيك المديح فضيلة ولئن رأيت بها القريض فضولا

ولقد حان لنا الآن ان ننتخب من دواوينهِ المطبوعة ما يدل على شاعريتهِ فاولها (زهر الربى في شعر الصبا) طبع سنة ١٨٥٧ ولهُ فيهِ تفننات بديعة مثل قولهِ من قصيدة (النقد الصحيح)

وكم شاعرٍ في الناس قد سار شعرهُ ولم يدرِ فيهِ ما يرى ويقولُ
خليليَّ ان الشعر من كل قائلٍ كثيرٌ ولكنَّ الصحيح قليلُ
وفي الشعر لفظٌ دون معنىً كأنهُ فعولن مفاعيلن فعولُ فعولُ
رويدك ليس الشعر ارثاً وانما لكلِّ مجدٍّ في الطريق وصولُ
ملكناهُ بالجد العظيم وقد غدت لنا غرر مشهورة وحجولُ

وقولهِ يجيب فضل الله بسترس على رسالة من قصيدة :

هذا صبا بيروت نحوك قد سرى اهلاً بهِ فلقد اتاك مسلّما
حال اشتعال الافق حيث نجومهُ ظُنت عيون المسكرات توهُّما
وغيومهُ مثل الرداء كأنها قد أُرسلت للبدر كي يتلثما
ما ذاك بدرًا بل خيال حبيبتي قد لاح مرتسماً بمرآة السما

وقال

كالكهرباء رأيتُ ذكر احبتي تهتزُّ منهُ سلاسلي وعظامي
بتأثرات في الحواس عميقةٍ خفيت عن الابصار والافهامِ

وقال يخاطب الشاعر الفرنسي دي لامرتين الشهير من قصيدة ترجمها بالفرنسية المسيو رينو المستشرق الفرنسي

لك بالحقائق خبرة واصابةٌ وعن المعارف مقلةٌ لم تهجعِ
لو أنزل الله العليُّ بعصرنا وحياً لجئت مخبرًا بالمزمعِ
فلقد علوت بروح شعرٍ فائقٍ هبطت عليك من المحلّ الارفعِ
قد قادني للشعر شعرك اذ حلا ورأيتهُ يدعو فلم أتمنعِ

هذّبت افكار العباد ولم تزل تجري العظائم من فؤاد المبدعِ
وجلوت انوار العلوم لذاك قد كُشفت عن الابصار حجب البرقعِ
ابديت ميدان البلاغة واسعاً فيهِ يقصّرُ كل سارٍ مسرعِ
تتسابق الافكار في ساحاتهِ وبمثلهِ الالباب لم تتمتعِ
ترد الانام الى فوائدهِ كما ترد العطاش الى زلال الانبعِ

ومدح المسيو رينو على ترجمتهِ هذه بقصيدة نشرها في (العصر الجديد) منها :

شكرًا لفضلك قد مننتَ بخطبةٍ جاءت تنبهُ في حمانا الأعينا
لم نخترع نحن الجديد وانما من فضل نور الغرب جددنا السنى
اهدى لنا انوارهُ شفافةً فازداد نورُ الشرق اذ سطعت هنا

ومنها

اهديت مرآةً قد ارتسمت بها افكارنا فغدت تزينها لنا
اكسبت شعري رونقاً وطلاوة والراح يشرق كلما لطف الانا
قد ردّ منك الى رُبى الشرق الصدى فجلا مسامعنا واطرب بالغنا

اما النبذة الثانية من شعرهِ فهي (العصر الجديد) طبعهُ سنة ١٨٦٣ وهو اكبر دواوينهِ وادقها تصرفاً بالمعاني الجديدة ومن محاسنهِ قولهُ في الفجر من قصيدة :

نبّه لحاظك فالصباح قريبُ وانظر شعاع الشرق فهو عجيبُ
قد أُشعلت ارجاؤهُ وتذهّبت ابوابهُ فانا لذاك طروبُ
فانظر ترَ الامواج تحت ضيائهِ لعبت والوان المياه ضروبُ
والفجر يخطو اثر اقدام الدجى فانساب منهزماً وراح يذوبُ
والشمس قد نشرت بيارق نورها فوق الشطوط وللنسيم هبوبُ
واصطفت الاطيار جنداً فوقهُ منها لتسبيح الاله خطيب
والنسر سار الى العلاء كأنما في الغيم اصبح وكرُهُ المطلوبُ
ما زال يخفق بالشعاع جناحهُ حتى طواهُ في السحاب مغيبُ
هذا الصباح شبيه فرق حبيبتي تمثال رونقها بهِ مكتوبُ

وقال يصف البحر والسفينة من قصيدة اخرى

وحيثما أنّة الشاطي الحنون بدت تساعد الصبّ فيما ليس ينفعهُ
فأصغي بهِ لحنين البحر منتحباً كأنهُ يشتكي بيناً يودّعهُ
والشط مدّ ذراعيهِ على ظمإٍ يعانق البحر والامواج تصفعهُ

تُلقي على صخرهِ الغضيّ موجتهُ وتنثني بعدما بالقرب تلطمهُ
كغادةٍ صادفت محبوبها فغدت تدنو اليهِ دلالاً ثم تمنعهُ
وللسفينة من تحت الشراع بدا سيرٌ عجيبٌ يظلُّ الطرف يتبعهُ
كذات حسنٍ سرت تحت الازار وقد رامت دلالاً فماست وهي ترفعهُ

ومنها يصف الطبيعة والفلك :

وفي الطبيعة اسرار منوَّعةٌ تهدي الى الفكر تنزيهاً يمتّعهُ
كأنما الليل في اثناء سكنتهِ يصغي لشيء اليهِ مال مسمعهُ
كأنما كروات الافق اذ سطعت جزائر من لهيب جلَّ مبدعهُ
والنور في قطرها الشفَّاف مرتعدٌ يخشى السقوط كأن الافق يدفعهُ
هذي زهور السما في الافق ناضرةٌ تُلقي على البحر انوارًا تلمعهُ
وفي المجرَّة جمهورٌ لهُ عددٌ من الكواكب لا يحصى تنوُّعهُ
مثل البساط من الديباج قد نظمت فيهِ اللآلي على وشيٍ ترصعهُ
والبدرُ مدَّ شراع النور منبسطاً على العلى وهواء الافق يرفعهُ
كأنهُ وجهُ خودٍ لاح ملتفتاً نحو الحمى وغشاء الغيم برقعهُ
امسى يلاحظنا في سيرهِ عجباً وأُخذهُ جانبي بالسرّ اطلعهُ

ومن اغزالهِ وصفهُ للغرام من قصيدة

خضعتْ لسلطان الغرام شبيبتي فاذا نهضت لخلعهِ لا اسلمُ
في كل جارحةٍ بدا تأثيرهُ مني كأن العشق في جسمي دمُ
حاولتُ تسلية الفؤاد وانما داعي الجمال على المحبة يرغمُ
خلق الجمال مكيدة لبني الورى فمن الذي بالعشق لا يتألمُ

ولهُ اوصاف رائقة منها وصف غاب الصنوبر في بيروت ووصف لبنان ومصر والقطار الحديدي والبدر والليل والبحر وصور واللغة العربيَّة والنيل ولبنان

ومن اوصاف الليل التي اجاد فيها كل الاجادة حتى لقب بشاعر الليل قولهُ من قصيدة :

في ليلة القت عليَّ سكوتها فلقيتُ فيها للتوحُّد مغنما
أمري على ولهٍ وحولي في الدجى ما يستحق بأن أطيل توسُّما
مقلُ السما سهرت تراقب كوننا اذ نام في احشاء ليل أظلما

وقولهُ من أُخرى :

فأرقني ليلٌ كأنَّ ظلامهُ دُخان فؤادي والنجوم شرارُهُ
قطعتُ دجاهُ شاردًا ساهيًا بهِ كذا كل محزون يطول افتكارُهُ
الى أن عرت زهر الكواكب نفرةٌ وبدر العلى للافق مال انحدارُهُ
وصبغ الدجى في الغرب حال ظلامهُ وجنح الضيا في الشرق لاح منارهُ

وقال في شعراء العرب من قصيدة :

ان اهل الشعر قومٌ ابدلوا لذة الحسّ بكثر الهجس
يعشقون الحسن لكن عندهم مقصد العشق لغير الملمسِ
يعشقون الغاب او وجه السما او رياضًا اخصبت في المغرسِ
فأحبوا العين لما نظروا اخذها معنيّ لزهر النرجسِ
واذا لاح جمال انشدوا ان هذا الوجه بدر الاطلسِ
نسبوا الوجه على غير هدًى لجماد عمرهُ لم يحسسِ
شبهوا القدَّ بغصن في النقا يعتريهِ القطع ان لم ييبسِ
شبهوا النهد برمان ولو ما اكتفوا قالوا شبيه الجبَسِ
احسنوا لو صمتوا عن وصفنا معجزات الله ما لم يُقَسِ

وقد عرَّب قصيدة لامرتين الشاعر الفرنسي بقصيدة عنوانها (صباح مبارك) صفحة ٢٣٨ وهي التي عرّبها نظماً كاتب هذه المقالة ونشرت في الضياء (٣ : ٤٦) بعنوان (الفتاة الحلبية)

ومن تفنناتهِ قولهُ

يلوح برق ثناياها فيرقصني اذ قد يرجّف اغصاني تكهربهُ

وقولهُ من موشح رقيق .

ليت صدري كان لجات البحارْ ويدي دولاب ذيّاك البخارْ
وفؤادي مركب فيهِ يُسارْ ولهُ من نَفَسي الريح يُعارْ
يحمل الحبَّ الى حيث المقرْ

وقولهُ من ابيات

يا ايها الفرق الذي نَفَسي غدا عنهُ يزيل غشاء دجن خيما
صوّر جمالك في عيوني انها لوحٌ أمام شعاع نورك حكما

وعلى الجملة فالعصر الجديد مثل اسمهِ عصر جديد للشعر العربي السوري وهو اول ديوان

نقل فيهِ الشعر من النمط القديم الى الاسلوب الجديد · ومن استقرى قصائدهُ رأى فيها من المعاني الحديثة ما يشهد لهُ بحبهِ للجديد ومحاولتهِ ترك القديم وان كان لم يستطع ان يتخلص من ربقتهِ ويقطعها· ولقد ميز قصائدهُ بعناوين تدل على اغراضها وتابعهُ في ذلك نفر من شعرائنا مثل فرنسيس المراش الحلبي في ديوانهِ (مرآة الحسناء) وسليم بك العنحوري الدمشقي في ديوانهِ (سحر هاروت) وغيرهما

ومما طبع في هذه السنة وانتخبت قصائدهُ من العصر الجديد كتاب (النشائد الفؤادية) وهو المدائح التي قدمها المترجم الى فؤاد باشا المعتمد السلطاني في سورية وكان هو من رجال معيتهِ وصدّرها برسمهِ ولمعة من ترجمتهِ وما جرى بعهدهِ في سورية وتنظيم متصرفية لبنان وبعض الفرمانات الشاهانية وفيهِ قصيدة جارى فيها الاوزان الفارسية مطلعها :

ألا فلتعلم الدنيا بانك انت اوحدها ... بآدابٍ والطافٍ واحكامٍ تشيدها
غمرتَ الناس بالاحسان والانصاف مرحمةً ... لذا كافاك بالحسنى مليك الارض سيّدها
أتتكَ اليوم منحنةً تنادي وهي باسمةٌ ... هنا للمجد منزلة لمثلي طاب موردها

والنبذة الثالثة هي (السمير الامين) طبع في بيروت سنة ١٨٧٦ م ومن منتخباتها قولهُ في وصف مصر من قصيدة

يا مصر حيّاكِ الحيا فلقد زهت ... فيكِ الحياةُ ونلتِ اعظم شانِ
اصبحتِ قاهرة الدهور لانها ... هجمت مليكِ فردّها الهرمانِ

ومنها في وصف البخار وهو اول من وصفهُ في ما نعلم من شعرائنا

حيث البخار اطار راحلتي التي ... كالبرق قد سارت بغير عنانِ
فهناك من قضب الحديد مسالكٌ ... تجري بها العجلات كالغدرانِ
بركانها السيّارُ غار بركبنا ... فعجبت من ركب على نيرانِ
يا ايها الشرقيُّ هل تلقى اذا ... حملتك غير تعجب الجيرانِ
ام تذكرنّ على الهجين مراكبًا ... نقلتك تحت حماية الهجّانِ

ومنها

لا بدّ من خوض البحار مرافقًا ... طير البخار يجدّ في الطيرانِ
فارى من الاسكندرية طلعةً ... هي في المقام طليعة البنيانِ
وارى المنارة بالبشارة تزدهي ... للقادمين مشيرة بأمانِ
وارى طواحين الهواء كأنها ... تدعو الغريب لمنزل الضيفانِ
وارى على الشاطي مسلةً التي ... وقفت بهِ تمحو الزمان الفاني

واري لتذكار الفراعن فوقها رمزًا ببين عناية اليونانِ
نقلت بهمتهم لزينة ربعها ونظيرها لاعاظم البلدانِ
هي ابرة الذات التي اشتهرت بها لكنها وضعت لغير بنانِ

وقال متلاعبًا من قصيدة في (الشاديات) وهي النبذة الرابعة من شعرهِ المطبوع سنة ١٨٧٥

بكل فوة عيني قمتُ انظرها كأن روحي اقامت في ضيا نظري
فارسلت دمعها واحمر ناظرها حتى رأيت امتزاج الماء بالشررِ
وكان في قلبها صوتٌ نردّدهُ وليس يسمعهُ غيري من البشرِ
فقمتُ اظهر من خوفي لها جلدًا كأنما تحت جفني مقلة الحجرِ

ولهُ في هذا الديوان القصيدتان المشهورتان (العناب والرمان) و (جميلة) وهما اللتان ذكرتهما جريدة الدبيا الفرنسية وعرَّب كلامها فقيد الادب المرحوم اديب بك اسحق في الدرر : نقتطف منهُ ما يعرّف القصيدتين

" ومع ان الشاعر الخليل لم يتجاوز الاربعين من السنين فديوانهُ كبير يشتمل على قصائد لا تحصى منها ما نظم على طريقة القدماء ومنها ما مال بهِ الى الجديد وهو وان كان لا يجرأُ على قطع صلات التقليد بجملتها فهو جدير بالثناء على اجتهادهِ فقد رأيناهُ متجافيًا عن استعمال المبتذل من التشبيه مائلاً الى استبدال مرئيات الاعصر الخالية بعجائب العصر الجديد "

والنبذة الخامسة من ديوانهِ هي (النفحات) طبعت في بيروت سنة ١٨٨٤ ولهُ فيها قصيدة اجاب بها راشد باشا ناظر الخارجية عن قصيدة تركية رثى بها اخاهُ سليمًا ومنها

اشجاك حزني والألم وجزعت مما بي الم
ايقظتني في وهدة الحزن الشديد ولم انم
فسمعتُ شعرك شاديًا يشجي حمامات العلم
ترثي سليمًا نادبًا غصنًا بروضتهِ انقصم

ومن قولهِ في حفظ السرّ

لا تخشي انني يومًا ابوح بها اباحة السرّ عارٌ غير مرتحلِ
حفظ اللسان كحفظ الدين احسبهُ وخائن القول عندي خائن العملِ
يمازج السرُّ في صدري دمي فهما مركَّبٌ لا تجزّيهِ يدُ الحيلِ
يحافظ السرَّ في حال الرضى حذرٌ عندي فيبقى مصانًا في حمى الأملِ

ومن آخر اشعارهِ التي لا تزال خطّاً قصيدة تلاها يوم عيد الجلوس الهايوني وتدشين سكة الحجاز واصفاً الثانية بقولهِ :

فكان الشام مفتخرًا شكورًا لما نال الحجاز من الهباتِ
حباهُ معجزات العصر تسعى على عجلٍ لأرض المعجزاتِ
تضمُّ ربى فلسطين لنجدٍ لسفح منى بسلسلة الصلاتِ
وتجمل ثغر بحر الروم شوقاً يقبّل جيد ضفّات الفراتِ
مدائن صالح تسري اليها مدائن بالحديد مشيداتِ
واعمدة البخار بها تحاكي منائر للمناسك داعياتِ
يسير بها الحجيج على ازدحامٍ يريك الموج ضمن المركباتِ
قوافل في الفدافد ساريات نوافل للجبال الراسياتِ
عظائم تدمرٍ اضحت لديها اثافيَ في قفارٍ صاغراتِ

ستأتي البقية

تفوُّق العقول

قرأت الرواية التالية في مجلة العالم الانكليزيَّة وهي حقيقية ولو وضعت لها اسماء مصطنعة فترجمتها فكاهة لقراء المقتطف سليم الخوري

بقلم سكرتير مالي السودان

لما بلغ اورلوف الثامنة عشرة من عمرهِ توفي والدهُ وكان مستخدماً في احدى شركات التعدين فلم يترك لهُ مالاً يذكر فاضطر ان يعيل والدتهُ وشقيقتهُ اذ لا ركن لهما سواهُ ولم يكن واسع الاختبار في دنياهُ ولكنهُ كان ثاقب الفكر بعيد النظر فرسخ في ذهنهِ انهُ سيقلد وظيفة سامية يستطيع بها القيام بحاجيات عائلتهِ وراحتها وكان يعرف خمس لغات واعلن عن نفسهِ في الصحف فنال وظيفة في معمل كبير الاَّ ان اجرتهُ لم تكن مساوية لمعارفهِ واتعابهِ الشاقة وغير كافية لان تقوم بنفقات عائلتهِ فترك المعمل بعدما استخدم فيهِ يومين فقط

وقرأ ذات يوم اعلاناً في احدى الصحف ان شركة من شركات التعدين في القوقاس تحتاج الى شاب لهُ المام بالكتابة والحساب ويعرف اللغة الروسية جيداً . والطلبات تقدم

الى مدير الشركة في باكو . فقدّم طلبًا فقبل فيها براتب قدرهُ عشرون ريالاً في الشهر والشركة فرنسوية ايطالية

فسافر الى محل عملهِ وكلهُ آمال وقد قال لوالدتهِ وهي تودعهُ على المحطة سابذل جهدي يا اماهُ لادرك النجاح هذه المرة وثقي بانني ساصير موظفًا كبيرًا في هذه الشركة . فقبّلتهُ والدموع تذرف من عينيها ولكنها اظهرت الجلد . ولما مشى القطار شيعتهُ بابتسام كانها تشجعهُ وتشدد عزائمهُ . ثم عادت الى بيتها والحزن آخذ منها كل مأخذ لفراق وحيدها لاسيما وان هذا الفراق كان الاول ووصل ابنها الى محطة باكو والشمس آذنة بالمغيب فقصد قهوة المحطة ليتناول قليلاً من الطعام وكانت امارات الكآبة والهموم تملو محياهُ لانهُ قضى ساعات سفرهِ مفكرًا في والدتهِ وشقيقتهِ وحالها بعد سفرهِ وشغل بالهُ ايضًا ان راتبهُ الشهري الذي سيتناولهُ لا يكفيهِ لقوتهِ الضروري . وما زالت هذه الافكار تجول في خاطرهِ الى ان دخل القهوة غريبان وجلسا قبالتهُ من غير ان يلتفتا اليهِ وجعلا يتكلمان باللغة الايطالية وكان يعرفها جيدًا فتناقشا في امور سياسية وانتقلا الى العمال في روسيا فقالا ان اجرتهم من ابخس اجور العمال في العالم . ولم يدر في خلدهما ان ذلك الغلام البائس يفهم الايطالية لانهُ قوقازي والقوقاز بعيدة عن ايطاليا ولا تزال في طور الخشونة . فقال احدهما ودليلنا على بخس الاجور اننا ننتظر اليوم شابًا روسيًا استخدم في شركتنا بعشرين ريالاً في الشهر ولا بد ان يكون كاتبًا ماهرًا كما هو المشهور عن شبان الروس وسننتفع بمعارفهِ كثيرًا . وسنربح من عملهِ اضعاف راتبهِ . فلزم اورلوف الصمت مع انهُ ادرك حالاً انهُ هو الشاب المقصود وان مخدميهِ عازمون على اجهادهِ وهضم حقوقهِ . فقال في نفسهِ سنرى من الذي يفوق الآخر أأنتم ايها الايطاليون الاغبياء ام انا الغلام الروسي . لقد جئتم الى بلادنا لكي ترقوها وتستعمروها ولكن لنفع انفسكم ولا لوم عليكم في ذلك وانما لاحق لكم ان تربحوا من اجهاد عقولنا وتحرمونا ما يقضي بهِ العدل والانصاف . ثم خرج الرجلان وخرج هو في اثرهما وقصد محل الشركة ومثل بين يدي المدير فقال لهُ

— كم تبلغ من العمر يا بنيّ

— تسعة عشر عامًا يا سيدي

— اظنك فهمت ان راتبك عشرون ريالاً في الشهر

— نعم

— اذن تعال غدًا وابدأ بالعمل وساعات العمل عندنا من السابعة ونصف صباحًا الى

السابعة مساءً . هل تعرف لغة اجنبية

— لا اعرف غير الروسية والبولونية

— كنت اظن ان جميع شبان الروس يتكلمون الفرنسوية والالمانية وانكليزية

— اود من صميم قلبي ان اعرف هذه اللغات واظن انني لو كنت اعرفها لكنت انال مئة ريال راتباً شهريًا

— طبعاً كنت تنال . فتعال غداً الساعة السابعة ونصفاً صباحاً لاستلام اعمالك

فشكرهُ وخرج . وبينما هو سائر كان يناجي نفسهُ قائلاً لقد صار هذا المدير في قبضة يدي وساذكّرهُ بوعدهِ وهو اعطائي مئة ريال في الشهر متى اريتهُ انني اعرف اللغات التي ذكرها اما الآن فساقنع براتبي واتقن عملي

وكان الاجتهاد خلقاً فيهِ فيقضي سحابة يومهِ مجداً مكدّاً بهمة لا تعرف الملل وكان ينسخ التحارير التي باللغات الاجنبية ويقول انهُ يرسمها رسماً ولا معرفة لهُ بتلك اللغات . ومضى عليهِ نحو عام وهذه حالهُ ولم يخبر المدير انهُ انهُ يعرف تلك اللغات حاسباً ان الوقت لم يحن لذلك

وحدث ذات يوم ان المدير ناولهُ تلغرافين ليبعث باحدهما الى فرنسا والآخر الى ايطاليا يدعو فيهما مديري الشركة وكبار مساهميها الى الاجتماع للمداولة في امر هام يتعلق باعمال الشركة . فارسل التلغرافين وفي صدرهِ نار للوقوف على ذلك الامر . وسمع يوماً رئيس مهندسي الشركة يكلم المدير منفرداً وامامهما خريطة كبيرة وقد عُلّم على بعض المواضع فيها بقلم احمر وكان امامهما حجارة يظهر للناظر ان فيها مقداراً وافراً من الحديد

وكان المدير والمهندس يتكلمان بالايطالية فعرف من حديثهما انهُ اكتشفت ارض تحوي كثيراً من الحديد . فادرك ان التلغرافين اللذين امرهُ بارسالها متعلقان بهذه الارض فقال في نفسهِ لقد حان الوقت لان اصير غنياً وذلك بابتياع الارض قبلهم من صاحبها ومشاركتهم في استخراج الحديد منها

وخرج عمال الشركة في المساء الاّ اورلوف فانهُ تظاهر ان لديهِ اعمالاً متراكمة وكثيراً ما كان يفعل ذلك قبل الآن لا قصد المظاهرة ليكون المدير راضياً عنهُ وانما كان يعمل حقيقةً ولو لم يكافئهُ المدير على اجتهادهِ . فلبث الآن بضع دقائق مكبّاً على عملهِ ولما تأكد انهُ لم يبقَ احد غيرهُ في المكتب دخل غرفة المدير وكانت الخريطة لا تزال على

المائدة فجعل يتأملها حتى تمكن من معرفة الجهة المُعلم عليها بالقلم الاحمر ورسم الخريطة رسمًا يستطيع بهِ معرفة بقعة الارض المرموز اليها واخذ حجرًا من الحجارة وكانت لا تزال على المائدة وانصرف الى منزلهِ . وسهر معظم ليلتهِ وهو يفحص الحجر و ينعم فيهِ النظر وما تبلج الفجر حتى كان على محطة السكة الحديد فارسل الى امهِ التلغراف التالي

" ارسلي لي كل ما تستطيعين ارسالهُ من النقود بيعي حلاكِ وحلى شقيقتي اذا دعت الحال وبعد يومين اشرح لكِ فالمشروع عظيم الشأن اسرعي اسرعي "

وكان يعلم حب والدتهِ لهُ وثقتها بهِ وقال في نفسهِ لا بد ان ترسل اليَّ النقود التي طلبتها ولكن ما العمل اذا كان المهندس مخطئًا في بحثهِ . ألا اكون قد خاطرت بمالها وجلبت عليَّ وعليها الشقاء بدلاً من السعادة بذهاب ثمن الارض جزافًا

ولما وصل التلغراف الى امهِ قالت في نفسها ان ابني لا يطلب هذا الطلب الا لمشروع خطير الشأن فالساعة السعيدة التي طالما حدَّث نفسهُ بها وهدس قد دنت فطب ياولدي نفسًا فسوف احقق املك

وفي اليوم التالي جاءهُ ساعي التلغراف وهو في مكتب عملهِ بثلاثة تلغرافات منها اثنان للمدير وواحد لهُ ففضهُ وقرأهُ مبتسمًا وهو " ارسلت لك الفي ريال وادعو لك النجاح " والدتك

ودخل على المدير بعد نصف ساعة واستأذنهُ في الغياب عن العمل بعد الظهر لقضاء اعمال خاصة بهِ ولما كان الشغل في ذلك اليوم قليلاً لانهُ كان على رؤساء الاقلام ان يتداولوا في المشروع الجديد اذن لهُ في الحال . فالتهم غداءهُ وهو غير مصدق وقصد مكتب البوستة حيث قبض الحوالة واكترى عربة الى الجهة المقصودة فسارت بهِ نحو ساعتين حتى وصلت الى بيت حقير من بيوت الفلاحين فدخل البيت ووجد فيه رجلاً كهلاً جالسًا مع زوجتهِ فحياها بلطف فردا التحية باحسن منها وقدما اليهِ كرسيًا فجلس عليهِ وقال ان وقتي قصير جدًا لانني اروم العودة الى المدينة باسرع ما يمكن وقد اتيتكما لامر لكما منهُ ربح . فابتهج الرجل وقال لهُ اظنك آتٍ لشراء الغنم لانهُ يربي غنمًا ويبيعها . فقال لا وانما جئت لاشتري شيئًا آخر وهو ارضك . فانذهل الرجل من ذلك لانهُ لم يكن يخطر على بالهِ ان احدًا يفقد رشدهُ و يشتري منهُ ارضًا جرداء لا ينبت فيها شيء ثم قال اورلوف نعم جئت لاشتريها وسانقدك الثمن في الحال . فابرقت اسرة الرجل ورمقهُ بعينين ملئهما السرور واخذ يتفرس فيهِ تارة و ينظر الى امرأتهِ اخرى واورلوف يطلب منهُ الجواب ثم قال يا عماهُ أتريد ان

تبيعني الارض ام لا — ان كنت لا تريد فقل ذلك واسرع ليتسنى لي الذهاب الى احد جيرانك واشتري منهُ ارضاً غيرها . فقال الرجل اروم ذلك من صميم فؤادي ولكن استغرب جدًّا كيف يخطر على بال مخلوق شراء ارض لا فائدة منها قال هذا واشار الى الارض بيدهِ فانتهرتهُ زوجتهُ وقالت لا تصدقهُ فالارض جيدة جدًّا وهي سهلة الاصلاح وهمست في اذن زوجها قائلة اسكت . اما الشاب فتظاهر بعدم المبالاة وقال كم تطلب ثمنها يا عماه. فقالت زوجتهُ لا تخاطب زوجي فهو لا يعرف الاَّ ان يبيع الغنم والبيض فاعطنا الف وخمس مئة ريال وبارك الله لك فيها . فتوقف اورلوف قليلاً كأنهُ يفكر في الامر ثم قال قبلت ان ادفع لكما هذا المبلغ وسأدفعهُ في مكتب مسجل الاراضي ومعي الآن عربة في انتظاري . فلنركبها الى المدينة سويَّة . وما كادت المرأة تسمع ذلك حتى ارتدت ثوباً احمر وربطت رأسها بمنديل اصفر وقالت لهُ هلمَّ يا سيدي . اما زوجها فكان واقفاً حائرًا لانهُ لم يكن مصدقاً فهمس في اذن امرأتهِ قائلاً اما ان نكون في حلم واما ان يكون هذا الشاب قاصدًا الضحك علينا والاستهزاء بنا . فانتهرتهُ وقالت اسكت وتعال معنا فارتدى خير ملابسهِ في الحال وجاء بحجة الارض وركب الثلاثة العربة وبعد ساعتين وصلوا مكتب المسجل حيث عملت الاجراءات الرسميَّة وصارت الارض ملكاً شرعيًّا لاورلوف وحمل الفلاح رزمة من الاوراق المالية بمبلغ الف وخمس مئة ريال وقال لهُ اورلوف لا بأس ان تبقى انت وامرأتك في البيت الذي في الارض الى ان اعلنكما بتركهِ . فقبَّلا يدهُ وسارا وسار هو الى منزلهِ

***

انبأ التلغرافان اللذان جاءا مع تلغراف اورلوف من مديري الشركة بانهم قادمون وقد عينوا يوم الاثنين التالي للاجتماع فزاد الشغل في المكتب لكي يروا كل شيءٍ مستكمل النظام واشتغل اورلوف بهمة ونشاط كسابق عادتهِ حتى سرَّ رئيسهُ منهُ سرورًا عظيماً فوعدهُ بابلاغ راتبهِ الى ثلاثين ريالاً في اول العام المقبل فشكرهُ على ذلك

وجاء يوم الاجتماع ودخل المديرون وكبار المساهمين والمهندسين الى غرفة متسعة واخذوا يتباحثون ويتذاكرون نحو خمس ساعات فقر رأيهم على شراء تلك الارض وقرروا المال اللازم للمباني والآلات والاماكن التي يضعون فيها الوابورات ويحفرون المناجم الى غير ذلك وان يذهبوا كلهم بعد مناولة الشاي الى الارض ليروها ويشتروها ولم يطل الوقت حتى سارت بهم اربع عربات الى تلك الارض

اما اورلوف فبقي في مكانهِ يشتغل ولما رآهم خارجين منشرحي الخاطر امتلأ صدرهُ املاً وسروراً وهنا ظهرت قوة الفكر ودنت ساعة مباراة العقول وكان اورلوف يعلم علم اليقين انهُ اذا بقي مستخدماً عندهم لم يكن الاَّ آلة تتعب ليكسبوا وتجتهد ليربحوا فرأى ان يعاملهم بالمثل

ولما دنا وقت اقفال المكتب عاد جماعة المديرين والمساهمين والكآبة تعلو وجوههم وامارات السخط بادية على اساريرهم . وارسل المدير اليهِ فدعاهُ الى مكتبهِ حيث كان الجميع في انتظارهِ والقلق سائد عليهم ولما مثل بين ايديهم قال لهُ المدير أتعرف رجلاً اسمهُ مثل اسمك قد اشترى قطعة ارض من الفلاح كاربوف

— نعم اعرفهُ

— هل هو من اقاربك

— لم تحزر تماماً وانما هو انا

— ماذا تقول انت — ولماذا اشتريت هذه الارض

— لانهُ توفر لديَّ مبلغ من النقود فاشتريت بهِ ملكاً وزد على ذلك فاني كنت ابحث في تلك الجهات فتبين لي ان هذه الارض تحوي حديداً فاشتريتها من صاحبها

— فهمت — ولكن هل تبيعها اذا طلبتها منك الشركة التي انت في خدمتها

— طبعاً ابيعها بكل سرور ولكن بربح

فاجابهُ المدير بكل لطف وتودُّد لا ريب في الربح يا صديقي . ثم نظر الى الحاضرين وترجم لهم ما دار بينهُ وبين اورلوف لانهُ كان يكلمهُ بالروسية ثم التفت الى اورلوف وقال ما هو الثمن الذي تطلبهُ بهذه الارض

— ان ذلك يتوقف على رأس المال الذي ستقررونهُ للتعدين فيها

— لم افهم قصدك تماماً من هذا

— الامر بسيط يا سيدي فاني اعني بان ابيع الارض لكم بنصف رأس مال مشروعكم فما يخصني بدفع لي نصفهُ نقداً والنصف الآخر اسهماً اساسية

— لا ريب انك مجنون

— ربما اكون كذلك يا سيدي ولكني لا اصدق انك تعني ما تقول ومع هذا فانك لم تدعني اكمل شروطي في هذا البيع فزيادة عما طلبتهُ اريد ان أُعيَّن مديراً دائماً للمشروع

— مديرًا

— نعم يا سيدي فهذه هي شروطي ولا ابيع الارض بابخس مما طلبت

فالتفت المدير الى الحضور وترجم لهم ذلك . وليتصوَّر القارئ الدهشة والاضطراب اللذين استوليا عليهم اما اورلوف فكان واقفًا هادئًا ساكنًا وعلى وجههِ علامات السلطة والاعتماد على النفس ثم التفت اليهم بغتة وخاطبهم باللغة الفرنسوية بلهجة فصيحة وقال

ايها السادة اظن انكم نلتم مزية لم ينلها غيركم وهي اعطائي اياكم مهلة للتروي في طلباتي الى الغد فاذا رفضتم قبولها اضطر ان اسافر الى لندن لكي اؤلف شركة اخرى للتعدين في هذه الارض وان قبلتموها عقدت الاتفاق معكم غدًا ووقعناهُ في مكتب المسجل وإِلا فانا كما سبقت فقلت لكم قاصد لندن سريعًا

ثم حيَّاهم وانصرف فوقعوا في حيرة وارتباك ولا سيما المدير فقد اخذ العجب منهُ كل مأخذ لانهُ سمع كاتبًا صغيرًا براتب زهيد يخاطب هؤُلاء الرجال العظام باللغة الفرنسوية وقد نطق بها احسن منهُ

وفي الصباح جاء ساعٍ الى اورلوف يحمل اليهِ كتابًا لطيفًا من مديري الشركة يدعونهُ فيهِ الى الحضور في منتصف النهار الى مكتب الشركة . فحضر في الميعاد واخذ المسجل معهُ ليكون ناصحًا لهُ ومساعدًا ودخلا غرفة الاجتماع فأُجلسا في صدرها فقال الرئيس اني بالنيابة عن اعضاء الشركة اقول اننا قبلنا الشروط التي اشترطتها يا مسيو اورلوف لانهُ لا يوافقنا ان تزاحمنا شركة اجنبية في هذه الجهات . وان راس المال الذي تقرر العمل بهِ هو مليونا ريال تدفع الشركة منهُ لك خمس مئة الف ريال نقدًا وتعطيك اسهمًا بخمس مئة الف ريال ايضًا وقد عينتك مديرًا لها

***

قال الراوي والمنجم الذي فتح في تلك الارض لاستخراج الحديد هو الآن من اعظم المناجم الروسية وقد صار اورلوف من ذوي اليسار وهو رئيس هذه الشركة ومديرها الاول . وجميع العمال يحبونهُ حبًّا عظيمًا ويجلون مقامهُ كثيرًا ومع ذلك لا يزال يعمل بجد واجتهاد النهار بطولهِ ولا حاجة بنا الى القول ان والدتهُ واختهُ عائشتان الآن اسعد عيشة

[المقتطف] يا حبذا لو لم يلجأْ اورلوف الى الخداع بتظاهرهِ انهُ لا يعرف اللغة الفرنسوية وفي اطلاعهِ على اعمال رؤَسائهِ التي كانوا يودون اخفاءها فان الخداع يفسد اشرف المناقب . ونجاح المخادع لا يفرق عن نجاح السارق

التعليم المفيد

من الخطب النفيسة التي تليت في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني في اجتماعهِ الاخير خطبة رئيس قسم التعليم الدكتور ميل وهي حرية بان يطالعها كل رؤساء المدارس واساتذتها لما حوت من الفوائد الجلّي المبنيَّة على الاختبار ولذلك رأَينا ان نعرّبها افادة لقراء المقتطف

قال الخطيب بعد الديباجة ان المعرفة الكتابية قد تكون مفيدة جدًّا وقد تكون عقيمة لا نفع منها. مثال المعرفة العقيمة معارف بلينيوس العالم الطبيعي الاكبر الذي قُتل في ثوران بركان فزوف في اوائل التاريخ المسيحي فانهُ ألَّف كتابًا كبيرًا في التاريخ الطبيعي وترك ١٦٠ مجلدًا مملوءة بالاقتباسات التي لم تستعمل ولم يكن يشبع من مطالعة الكتب فكان يواظب عليها كلما سنحت لهُ الفرصة بل كان يقلل من ساعات النوم لكي يتَّسع لهُ مجال المطالعة . كان مرةً يقرأُ امام صديق لهُ فاعترضهُ صديقهُ لانهُ غلط في لفظة فقال بلينيوس لقد فهمتَ المراد فلماذا قاطعتني فاضعت عشر دقائق من الوقت على غير جدوى . وكتابهُ في التاريخ الطبيعي مشحون باقوال واقتباسات لم يمحّصها ولم ينسّقها ولا اتَّبع في سردها اسلوبًا واحدًا فلم يفد هذا الكتاب الاَّ لتأليف كتب أُخرى على شاكلتهِ

وبلينيوس وما كان بهِ من الرغبة الشديدة في اقتباس المعارف والمقدرة القليلة على الاستفادة منها مثال لجمهور كبير من رجال العلم الذين قرأُوا كل ما وصلت اليهِ يدهم من الكتب وازدخروا من المعارف كل غث وسمين وملأُوا بها مجلدات ضخمة من غير تمحيص ولا تنقيح

وكثيرًا ما يقع معلمو المدارس في هذا الخطإِ فيحاولون شحن عقول التلامذة بما لا نفع لهم منهُ ولكن الطبيعة تمنع التلامذة من الامتثال لهم ولولا ذلك لصارت عقولهم مثل بيوت البخلاء الذين يحسبون انهم اذا طرحوا شيئًا من امتعتهم احتاجوا اليهِ في اليوم التالي فتمتلئ بيوتهم من كل عتيق رثيث

لما جاء عصر النهضة في اوربا قام اناس ندَّدوا بالعلوم التي لا فائدة منها فقال رابلاس ان اكبر العلماء قد يكون جاهلاً . وقال مونتانيه ان العلم الاكثر قد لا يكون العلم الافضل وان الطعام الذي لا يهضم لا يغذي وان ليس كل ما تعيهِ الذاكرة علمًا مفيدًا . وعجب اراسموس من جهل علماء عصرهِ . وانكر لوك اسم العلم على المعرفة الكتابيَّة وقال ان المعرفة

الصحيحة صوَر ذهنيَّة لا كتابيَّة وان العالم من كان فاضلاً حكيماً اديباً عالماً . فوضع الفضيلة والحكمة والادب قبل العلم

ومن حسن البحث ان المعارف التي لا تفيد تزول سريعاً من الذاكرة ولو حاولنا حفظها . ومثلنا في ذلك مثل رجل واقف على ضفة نهر والنهر يجري امامهُ مسرعاً وفيهِ مواد مختلفة لا يخلو بعضها من نفع والرجل يمد يدهُ حيناً بعد حين ويلتقط بعض تلك المواد ثم يطرح اكثر ما يلتقطهُ ولا يبقي في يدهِ الاَّ عشرهُ ولا يحتفظ بما يبقيهِ اكثر من شهر

والمعارف التي تحفظها ذاكرتنا هي اكثر كثيرًا مما نحتاج اليهِ ولذلك يجب ان لا نأسف على ما ننساهُ منها . حينما يبيّن لنا البعض مقدار ما يضيع من الطعام لعدم الاعتناء بانتقائهِ وتدبيرهِ يخطر ببالي ان كلاًّ منا يأكل مضاعف ما يحتاج اليهِ فاعزي نفسي عمَّا يضيع بعدم الاعتناء . وسعة المعارف ليست لازمة لانقانها وانما الذي يلزم هو ان يعرف الانسان كيف يستعمل معارفهُ

ولا شبهة في اننا نحتاج احيانًا ان نتذكر امورًا كثيرة لكي نصل منها الى نتيجة ما او الى دليل مقنع ولكن هل من الحكمة ان يذخر الانسان في ذاكرتهِ كل ما يمكنهُ ذخرهُ من المعارف مدة سنين كثيرة عساهُ يحتاج اليهِ يوماً ما . ليس هذا من رأيي فان من يدرس تركيب جسم الحيوان يجد ان الطبيعة لم تضع العصب والعضل اللذين يتعبان سريعاً ويحتاجان الى الدم الغزير لتغذيتهما في مكان العظم والوتر اللذين يحتملان التعب ولا يحتاجان الى الغذاء الكثير . وتشغيل الذاكرة يقتضي اجهاد الاعصاب اجهادًا شديدًا ولا سيما بعد سن الصبوة فالاقتصاد يقضي على الانسان ان يستغني بكتب اللغة ونحوها من الوسائل عن اجهاد قوى عقلهِ . وتاريخ العلوم يحذرنا من ذخر المعارف الكثيرة في الذهن على امل استعمالها في المستقبل البعيد

والعلوم اخص من المعارف لانها لا تطلق الاَّ على المعارف المحققة وبها يتصل الانسان من الجزئيات الى الكليات ويجرّد من المعارف المفردة حقائق كلية عمومية وهي التي ندعوها بالقوانين العلمية ونستعملها في تحقيق الحوادث ولذلك فاكثر المعارف العلمية في استعمال دائم وهي تتطرق الى كل شيءٍ فلا يفلت شيء من سلطتها ولذلك تجد العالم الحقيقي معتادًا على البحث عن علل الحوادث وتعليل ما يقع عليهِ نظرهُ او تسمع بهِ اذنهُ على اسلوب علمي . ومزية العلم التدقيق والاعتدال والانصاف . ويراد بالاعتدال العلمي التسليم بما يقرُّ عليهِ جمهور العلماء الموثوق بهم ويراد بالانصاف العلمي استعداد المرء لاصلاح آرائهِ اذا ظهر خطأُهُ فيها

سأل هربرت سبنسر قائلاً اي المعارف انفع من غيرها والتفت الى المعارف من حيث علاقتها بالحياة والصحة والمعيشة والوطن واسباب البهجة والسرور وتهذيب الاخلاق واجاب ان النفع قائم بالعلم (اي العلم الطبيعي) . وقولهُ حجة لاسيما وانهُ اوردهُ على اسلوب مقنع ببلاغتهِ وبيانهِ والمشتغلون بالعلم يؤيدونهُ طبعاً واذا سلّم الجميع بقولهِ انحلت مشاكل كثيرة فنختار الاساتذة الاكفاء لمدارسنا ونعين الدروس اللازمة لاولادنا ونقرر الاعمال التي يتعاطونها بعد المدرسة

ولكن لننظر في قول سبنسر هذا ونبدأ بالبحث عمَّن يجب ان يعلَّموا العلوم التي هي انفع من غيرها وكيف يتعلمونها . والظاهر ان سبنسر يذهب الى ان العلوم الطبيعيَّة انفع العلوم كلها وان تعلُّمها واجب على كل احد . وهذا مذهب يصعب علينا التسليم بهِ فان من الناس مَن عقولهم غير صالحة لتعلُّم العلوم او اعمالهم لا تقتضي غير بعض المبادىء العلمية البسيطة . هب انك رأيت شابًّا لا يلتذ بالعلم او لا طاقة لهُ على فهم العلوم او هو ميَّال بالفطرة لان يكون شاعرًا لا عالمًا او ورث عملاً منهُ ربح مالي وافر ولا دخل للعلوم فيهِ افيبقى اختيار العلم افضل شيء لهذا الشاب . لا اظن ان سبنسر كان يغفل هذه الاحوال او ينكر ما تدعو اليهِ . فهل كان يفكّر في نوع الانسان كلهِ لما قال هذا القول او بالامة الانكليزيَّة وحدها او بفريق خاص من الناس . وكيفما كانت الحال فهو لا يعذر في عدم استثنائهِ هذه الاحوال التي تمنع ان يكون العلم الطبيعي انفع شيء للانسان . والذين يوجبون المعرفة العلميَّة لا يقولون انها فرض على كل احد . ولا بدَّ لنا من اقتسام الاعمال كلها عقلية كانت او يدوية . وكل يوم نرى لزم اعتمادنا على علوم غيرنا

ان التضلُّع من مبادىء العلوم الذي اشار اليهِ سبنسر وكان هو ممثلاً لهُ لم يعد في الامكان ولا بقي نفعهُ الآن كما كان قبلاً . قلت ان التضلع من مبادىء العلوم لم يعد في الامكان لان العلوم زادت كثيرًا واتسع نطاقها جدًّا وما كان تضلعاً حينما كان سبنسر يتعلم او يعلّم نفسهُ صار الآن الماماً قليل النفع لان الاعمال صارت تقتضي علم الخبراء الثقات وقلَّ ان ترى الآن عاملاً يحضر الخطب في علم الكيمياء ثم يشير باصلاحات في الاعمال الصناعية كما كان يحدث منذ مئة سنة . وسيزول ذلك تماماً لان الاعمال كلها ستعتمد على معارف اكبر العلماء واكثرهم بحثاً وقد صار اصحاب الاعمال قادرين ان ينفقوا على استخدامهم . وبديهي ان التفوُّق في العلوم لا يمكن ان يحصل عليهِ الاَّ نفر قليل

ومن رأي سبنسر على ما يظهر ان كل والدة يجب ان تعرف الفسيولوجيا (علم وظائف

اعضاء الجسد) فتستطيع ان تربي اولادها . وهذا ايضاً محل للشك فان علم الفسيولوجيا وما يقتضيهِ من العلوم قد اتسعا جدًّا بعد ما كتب سبنسر كتابهُ في التعليم ولم تعد مطالعة كتاب فسيولوجي ولو كان من افضل الكتب مثل كتاب هكسلي كافية للعمل . والمعرفة القليلة قد تضرُّ ضررًا كبيرًا اذا استخدمها الانسان لتشخيص الامراض او للتدابير الصحية . وارجو ان الذين يوافقونني على ان العلم اللازم للصناعة والصحة العموميَّة يزيد نطاقهُ اتساعاً وتحصيلهُ صعوبةً يوماً فيوماً لا يتخذون ذلك حجة على انهُ يجب ان يحصر تدريس العلوم في عدد قليل من الناس فان العلوم الابتدائية التي تعلَّم في المدارس تفيد في تثقيف العقل وتربية الاخلاق وبها يُكتَشف الشبان الذين يحسن تخريجهم في العلوم حتى يصيروا من اربابها والمكتشفين فيها وتولّد الرغبة في العلم وهي هامة جدًّا لكل بلاد . وان لم يفد علم المدارس غير زيادة فهم حوادث الطبيعة وزيادة الاهتمام بالبحث عنها فكفى بهما فائدة

ويقيني ان سبنسر كان يسلّم بان درس العلم الطبيعي يجب ان لا يشغل اكثر من قسم من دروس المدارس ولو جعلهُ الانسان اهم اشغالهِ في حياتهِ . فالكيماوي والفسيولوجي يضطران ان يعبّرا عن معارفهما بالخطابة او بالكتابة فلا تتم الفائدة ما لم يعبّرا عنها بصراحة وحسن بيان ويجب ان يتقنا لغة اجنبيَّة على الاقل وان يعرفا ما يكفي من الرياضيات والرسم لاجل حساباتهما ورسومهما . ولم يستثنِ سبنسر العلوم الادبيَّة والفنون الجميلة من بيان الدروس الذي ذكرهُ ولكنهُ لم يجعل لها اهمية كبيرة بل قال " انها من الكماليات لا من الحاجيات فيجب ان تعطى فضلة الوقت في التعليم "

ولا اظن ان سبنسر كتب هذه الفقرة للحط من قيمة فنون الادب . نعم ان عبارتهِ تصدق على تآليف الروايات التي تقرأ اليوم وتطرح غدًا في الموقد ولكنها تدلُّ على انهُ لم يكن يشعر بقيمة ما يفوق ذلك من كتب الادب . ولهذهِ الاسباب لا اسلم بحكمهِ . وليس للنفع مقياس يقاس بهِ وقبل ان نختار العلوم التي نعلّمها للولد يجب ان نبحث عن اميالهِ ووسائطهِ . ونعلم فائدة العلوم الطبيعيَّة التي لم يغالِ سبنسر مهما قال في مدحها حينما تصير الشعوب والمدن وارباب الاعمال والصنائع تتدرَّب بعلوم الثقات واحكامهم لا بعلومها هي واحكامها

لا يخفى ان احراز المعارف العلميَّة امر طفيف في جنب الاسلوب العلمي والروح العلميَّة . وهذا امر نسلم بهِ عموماً ولكننا لا نجري عليهِ فلا يزال معلمو العلوم يوقرون ذاكرة التلاميذ بالمعارف العلميَّة ولا يزال الممتحنون يحكمون بفوز التلميذ او بسقوطهِ بانين حكمهم على مقدار

ما يجدونهُ في ذاكرتهِ من المحفوظات العلميَّة . الاَّ ان الذين يريدون اصلاح اساليب التعليم يهتمون الآن بجعل العلوم التي يتعلمها التلميذ من هذا الاستاذ او ذاك مطابقة ومكملة لما يتعلمهُ من استاذ آخر ويودون ان يروا التلامذة يزيدون بحثًا واستقصاء وتحقيقًا للبادىء العلميَّة الاساسيَّة ومن ثم يصير عالم المستقبل حائزًا على معارف مفيدة يستطيع ان يضم اليها ما يعلمهُ بالاختبار مدى عمرهِ

ثم استطرد الخطيب الى تعليم التلامذة الذين يستعدون لتعلم الطب والذين يستعدون لتعلم الصنائع والى كثرة فروع العلم التي تعلَّم الآن في المدارس وكونها فوق طاقة التلامذة فلا يستطيعون ان يتعلموا ربعها ويخرجون من المدرسة قبلما يجنون شيئًا من فوائدها ويزيد الطين بلَّة بطول الدروس حتى يملها التلامذة ويتعذر عليهم الاستعداد لها كلها . وحثَّ على اتباع الطريقة العملية في التعليم اي تشغيل التلامذة في موضوع العلم الذي يتعلمونهُ فاذا كان استاذهم يعلمهم تاريخ بلدهم اوجب عليهم ان يساعدوهُ في البحث عن مقومات ذلك التاريخ اي ان يقرنوا العلم بالعمل او يبنوا العلم على العمل حتى تتولَّد فيهم الرغبة في تحصيل العلم واستعمالهِ . وعندنا ان هذا هو الفارق الاكبر بين متعلم ومتعلم . زرنا مرةً مدرسة الصنائع المصرية مع ناظر المعارف حينئذٍ المرحوم علي باشا مبارك ورأينا فرقة تمتحن في العلوم الرياضية فسألنا احد الطلبة عن جرم عصا كانت في يدنا من السنتمترات المكعبة فوقف مدهوشًا لا يحير جوابًا كاننا سألناهُ عن سكان القمر واخذ استاذهُ يقرب اليهِ المراد حتى انتبه الى ان العصا مخروط ناقص فسرد عبارة المخروط الناقص صحيحة ولكنهُ لم يستطع تطبيقها على السؤال . ولو نمت في ذلك التلميذ الرغبة الحقيقية في احراز العلم واستعمالهِ لوجد حلَّ سؤالنا من اسهل الامور عليهِ

ومن رأي الخطيب ان الرغبة وحدها لا تكفي ولا بد من ان يقوم معها شعور داخلي بان الامر واجب . واذا اجتمعت الرغبة والشعور بالواجب استطاع التلميذ ان يواظب على العلم ويتضلَّع منهُ ويتقنهُ الاَّ ان هذا الاتقان قلما يحصل في المدرسة لان المدرسة دار الاستعداد لهُ وهي تقضي ما يطلب منها اذا بثت في عقول التلامذة اسلوبًا علميًّا عمليًّا ينمو ويرتقي مع الزمن

اذا تدبر اساتذة مدارسنا الامور المتقدمة رأوا في احوال تلامذتهم ما يؤيدها كلها فان التلميذ الذي يقرن العلم بالعمل عن رغبة شديدة يفلح فيهِ وينال منهُ الحظ الاكبر والاَّ فلا

الانشاء

لكاتب فرنساوي طائر الصيت

صاحب البحث الحاضر هو الكونت دي بوفون واسمهُ جورج لويس لكلير من اكبر ائمة الانشاء وقادة الافكار في القرن الثامن عشر . ولد في مدينة مونتبار من اعمال فرنسا سنة ١٧٠٧ ودخل سنة ١٧٥٣ عضواً في ندوة البيان واللغة بباريس وهي المعروفة باسم الاكاديمية الفرنساوية وتوفي سنة ١٧٨٨ . ولما دخل الندوة القى هذه الخطبة النفيسة في موضوع الانشاء وقد وجدتها متضمنة من الملاحظات الدقيقة وقوانين حسن الانشاء العامة ما يصدق على كل لغة لا اللغة الفرنساوية وحدها فاحببت نقلها الى قراء اللغة العربية بشيء من التصرف والاختصار يوافق قارئ الفرع ولا يجني على اغراض منشئ الاصل

قال الخطيب بعد مقدمة وجيزة اثنى فيها على زملائهِ اعضاء الندوة مجاملةً وتأدباً

لم يخلُ عصر من اناس تمكنوا بقوة الكلام ان يقودوا اناساً آخرين . على ان صناعة الكلام كتابةً وخطابةً لم تتقن وتستوفِ حقها الاَّ في اعصر التنور والرقي . فان البلاغة الحقيقية تقتضي ترويض القريحة (génie) وتثقيف العقل . فهي تختلف عن ذرابة اللسان التي يحوزها كل من كان شديد الاحساس سريع التصور تسعفهُ اعضاء النطق على حسن الالقاء فمن كان هذا شأنهُ كان انفعالهُ سريعاً حسب سرعة تصورهِ وكان من ثم ابرازهُ صورة هذا الانفعال الى الخارج سريعاً ايضاً فاذا اثر في سامعيهِ لم يكن تأثيرهُ الاَّ من قبيل تأثير الاعضاء على الاعضاء اي تأثير المادة على المادة . واما التأثير على من خرجوا عن سواد العامة واريد بهم الفئة الصغيرة من المستنيرين المتعلمين نظيركم يا سادتي فلا يتأتَّى من وراء ذرابة اللسان ورشاقة الحركات والاشارات وطنطنة الالفاظ ورخامة الصوت او جهورهِ بل يقتضي من طالبهِ ان يتسرب كلامهُ الى مكامن العقل الخفية فيكون ملءَ القلب والنفس قبل ان يكون ملءَ العين والاذن

ليس انشاء المرء سوى كيفية تنسيقهِ لافكارهِ وتحريكهِ اياها فاذا احسن وصلها وجمعها جاء انشاؤهُ متيناً واضحاً خلاَّباً . واذا اغفل ذلك لكي يوسع مجالاً لتنميق اللفظ جاء انشاؤهُ مضطرباً ركيكاً يبعث على السآمة ولو كان اللفظ غايةً في الرواء والفصاحة

ويجب على الكاتب قبل كل شيء ان ينتبه الى الافكار الاصلية الاساسية التي

تجول في خاطره بشأن الموضوع المتصدي له وان يطيل فيها نظره لكي يتمكن من جعل فاصل بين كل فكرين منها فيكون بأمن من خلط بعضها ببعض. وان يلتفت بعد ذلك الى الافكار الفرعية التي لا بدّ من نشوئها عن تلك الافكار الاصلية فيميز بين غثها وسمينها فيثبت هذا وينبذ ذاك . فاذا اوفى حق ذلك كله انفتح امامهُ كل مغلق وسهل عليهِ كل وعر والقى اليهِ حسن التعبير ازمتهُ . وليعلم ان العقل قلما يستطيع تناول الموضوع من اقصاه الى اقصاه دفعة واحدة فلا يقسره على ذلك لئلاً يرهق فيكل لا سيما اذا كان الموضوع واسعاً متشعباً بل عليهِ ان يسير بعقلهِ متئداً مترفقاً . وليعلم ايضاً ان من القليل النادر امكان استيعاب علاقات الموضوع وملابساتهِ باسرها فلا يبالغ في استقصائها حين يرى هذا الاستقصاء شديد التعسر او قليل الجدوى بل يكتفي بالاهم الافضل

على ان كل ما ذكرتهُ ليس هو الانشاء بذاتهِ بل محورهُ واساسهُ . فهو يقيم عمودهُ ويمهد سبيلهُ ويسدد سيرهُ ويضبطهُ في نظام امين . فاذا لم يراعهِ الكاتب تاهَ في مهامه مترامية الاطراف مهما بلغ من اقتدارهِ وكان بقلمهِ كحاطب الليل بمنجلهِ وتنافرت اجزاء كلامهِ ولو جاء بالف حسنة من زخرف الظاهر وروائع الامثال والشواهد والمقارنات . حتى اذا قرأ قارئ خبير ما كتب علم من زخارفهِ ومحسناتهِ ان قريحتهُ لا تخلو من قوة وفيض . وادرك من اغفالهِ شروط الاساس انهُ ليس بالمنشيء الفحل

وبناء على ما ذكر كانت كتابة الذين يكتبون حسبما يتكلمون كتابةً رديئة ولو عُرفوا بحسن التكلم وكان الذين يغترون بالشرارة الاولى من نار تصورهم فيسيرون على ضوئها في انشائهم غير متمهلين يصابون بالعجز سريعاً عن تتبع الطريق الى آخرهِ . لان تسرُّع هؤلاء واولئك لم يمكنهم من تنسيق ما ينوون فكانوا كالجندي بغير سلاح او المسافر بغير زاد

ثم ان العقل لا يستطيع ابتداع شيء ابتداعاً محضاً . واما ما يبدر منهُ من المعجبات المطربات ونسميهِ على سبيل التسامح ابتداعاً وابتكاراً فما هو الاّ مكتسب في اجزائهِ من اختبارات صاحبهِ وتأملاتهِ . فاذا حذا العقل حذو الطبيعة بان يرتقي في التأمل الى اسمى الحقائق فيجمعها ويضبطها ثم يبني عليها ما يريد ابرازهُ بلسان القلم جاء اساسهُ مكيناً وبناؤُهُ خالداً

ومما يقع كثيراً ان ينبري المرءُ وهو ذو علم وذكاء لبحث ما فلا يكاد يلمُّ بهِ حتى تتزاحم عليهِ الافكار المختلفة والآراء المتباينة فيقف بينها احير من ضب لا يدري من اين يأخذ ولا الى اين ينتهي . وربما مرَّت بهِ الساعة اثر الساعة وهو على هذه الحال حتى تزهق روحهُ

ويهم بهِ اليأس · ذلك لانهُ لم يجمع تلك الافكار في ذهنهِ ويوازن بينها ويرتبها ترتيباً بيناً بل اقتصر على الالتفات اليها لفتة معجب بكثرتها مرتاع لاشتباكها. فلم يتيسر لهُ التمييز بين الفاضل والمفضول منها والراجح والمرجوح بحيث ينفتح لهُ باب يدخل منهُ وظريق يسير فيهِ · واما اذا جمع في ذهنهِ الافكار الرئيسية المطلوبة لبحثهِ واحسن تنسيقها لم يلبث ان يراها اصبحت طوع يديهِ بعد ما كان اسيرها فيقبض على القلم في اوانهِ ويشعر انهُ ساعٍ لاجتناء ثمر ناضج· ومن ثم تظهر لهُ الكتابة وسيلة لذة وارتياح وتنثال عليهِ الافكار سراعاً تباعاً على غير اختلاط ولا اضطراب وتكسبهُ اللذة التي يجدها في سهولة العمل حماسة ونشاطاً فتأتي معانيهِ بفضل هذين كالجمر اضطراماً · وتأتي الفاظهُ بفضل تلك كالماء انسجاماً

ولكن الحذر الحذر من تجميل الكلام ما لا يطيقهُ من ضروب التحذلق كأن يعمد الكاتب الى تزيين كل جملة من جملهِ بحلية بارزة فان ذلك غير متيسر الاَّ عن طريق التكلف الفاضح واقل ما ينشأ عنهُ عيب المعاظلة اي تراكب المعاني وتداخلها في اليسير من الالفاظ فيتعب ذهن السامع والقارىء تعباً يشهد على ان الكلام خرج عن حدود البلاغة الى نقيضها · والحذر كل الحذر من شدة التعويل على المحسنات اللفظية وشدة الثقة بنفعها فان جمالها مستعار ليس لهُ قوام بذاتهِ لانهُ حاصل من تجانس تلك الكلمات او تضادها او ما اشبه ذلك فهو الى الوهم اقرب منهُ الى الحقيقة وما مثلهُ في الدهشة القصيرة التي يثيرها عند ظهورهِ الاَّ كمثل الشرر لا يكاد يسطع حتى يتبدد وتخيم مكانهُ وحشة الظلام

ومما ينافي البلاغة الحقيقية ايضاً الالتجاء الى المعاني التافهة التي لا طائل تحتها وقد يغتر البعض بها فيحسبون ضعفها رشاقة وسخفها دقة . وانما هي في خفتها التي يستعذبها هذا البعض مثل رقائق المعدن لم يكسبها الطرق ذلك البريق اليسير الاَّ بعد ما انتزع منها المتانة والشدة · وعلى مقدار ما يدس الكاتب من هذه المعاني تفقد كتابتهُ نصيباً من الفخامة والاشراق والاحتدام · وانما يجوز استخدامها اذا كانت هي موضوع ما يكتب او اذا كان المقام مقام هزل ومداعبة فان التطرف بها حينئذٍ قد يكون ادل على الاقتدار من الالتجاء الى سواها

ومما يجني على الانشاء جنايةً لا تغتفر التعبير عن الاشياء المعتادة والاشياء العامة باساليب وعرة او فخمة · فالكاتب الذي هذا شأنهُ لا يعجب بهِ الناس كما يتوقع بل يرثون لهُ لانهُ اضاع وقتاً طويلاً وكابد عناءً جزيلاً في رص الكلام ولم يأتِ بشيءٍ جديد بل قال ما يقولهُ كل واحد سواهُ · وهذا العيب فاشٍ في اصحاب العقول العقيمة النائلين حظاً من

الدرس والمطالعة . فهم اغنياء الفاظ فقراء معان يدورون حول الكلام ويزوقون جمله حاسبين انهم جاؤوا بالافكار وانهم طهروا اللغة وشرفوها والصحيح انهم افسدوها وانشاؤهم لا يعد انشاء لان الانشاء ينقش على الذهن فكرًا وهم يرسمون على الورق لفظًا

واذا اضاف الكاتب الى مراعاة ما تقدّم ذكره من القوانين والملاحظات مراعاة حسن الاختيار في المفردات واستعمال المألوف المشهور من التراكيب على شرط ان يكون فصيحًا واجتناب مواضع الالتباس وبوادر المجون حاز في صناعته مقامًا رفيعًا

وجل ما يقال في حسن الانشاء انهُ يدل على سعة الفكر ودقة الشعور وسلامة الذوق معًا وانهُ يثير جميع القوى العقلية ويروضها . والانتصار للحق في الانشاء هواش جماله فليس سوى الحق يثبت على محك النقد وليس سوى الحق يخلد ذكره . وكما انسع حظ الكتابة من ذكر حقائق الاشياء اتسع حظها من الجمال واما التلفيق والتزويق المحضان اللذان لا يقصد منهما خدمة حقيقة تستشعر من خلالها فرتبتهما في الاقوال ساقطة مثل رتبتهما في الاعمال

ولا يحصل سمو الانشاء الاّ في المواضيع السامية واكبر ميادينهِ الشعر والفلسفة والتاريخ فالشعر يصف الطبيعة ويزينها ويصف البشر ويجسمهم وينتزع منهما ابطالاً واشباه آلهة . والفلسفة تتناول الطبيعة فترسمها وتستطلع نواميسها وغوامضها . والتاريخ يصف البشر وحدهم وهو لا يحتمل تجنيًا ولا مبالغة بل يذكر كل شيء كما هو ولذلك لا ينتظر من المؤرخ ان يبدع في انشائهِ ويوصلهُ الى مرتبة السمو الاّ عند ذكر افراد العظماء من الناس وحوادث الكون النادرة فاذا خرج عن هذا الشرط كان متكلفًا غير محمود . فشأنهُ في ذلك غير شأن الشاعر والخطيب اللذين يطالبان بافراغ كل ما ينشئان في قالب الرونق والفخامة وتزيينهِ باحسن طرق الترغيب والترهيب او الاستعطاف او التحريض لان مواضيع صناعتهما لا تكاد تخرج عمّا ذكر فيجب فيها ايجاد نسبة بين المطلوب وصيغة الطلب

ادوار مرقص

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

السباع

❁ الرَّبَاح . الزَّبَاد (حبشيَّة معرَّبة [1]) . قطُّ الزباد . سنُّور الزباد ❁
Civetta. E. Civet cat. F. Civette

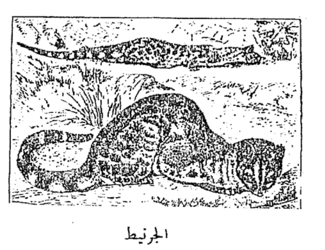
جنسٌ من السباع اكبر من السنُّور قليلاً وشبيهٌ بهِ وهو قصير القوائم اغبر اللون جلدهُ منقَّط ومخطَّط بلون اسود . وهو الحيوان الذي يستخرج منهُ الطيب المسمَّى بالزباد . منهُ انواعٌ كثيرة في افريقية وجزائر المحيط الهندي وتطلق لفظة الزباد على الحيوان وعلى الطيب الذي يجلب منهُ . قال صاحب القاموس "وغلط الفقهاءُ واللغويُّون في قولهم الزباد دابة يجلب منها الطيب وانما الدابة السنُّور والزباد الطيب" وقد اخطأ في قولهِ فلفظة الزباد هذه حبشيَّة الاصل وهي تُطلق على الحيوان بعينهِ في الحبشة والسودان وقد وردت كثيرًا بهذا المعنى في كتب اللغة والمؤلفات العربيَّة

❁ الزُّرَيقاء . الجَرْنَيط (مغربيَّة) ❁ Genetta. E. Genet. F. Genette

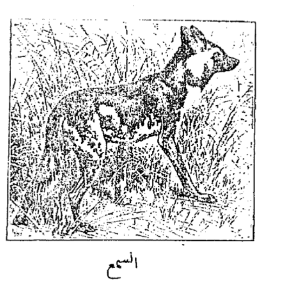
جنسٌ من السباع شبيهٌ بالرَّبَاح الاَّ ان قوائمهُ اقصر وجسمهُ اطول وهو اغبر اللون منقَّط بنقط سودٍ ويوجد في اواسط افريقية وشمالها وفي بلاد العرب والشام وجنوب اوربا . ولم اقف على اسمٍ لهُ سوى الجرنيط وهي لفظة مغربية زعم دوزي ان اللفظة الافرنجية مشتقة منها . ولفظة الزريقاء وضعتها من باب التخمين فقد قال صاحب محيط المحيط ان الزريقاء دابَّة كالسنَّور . وليس في بلاد العرب وما يجاورها دابة تشبه السنور اكثر من هذه ومن المحتمل ان هذا الحيوان هو الزبزب الذي ذكرهُ الدميري وقد وصفهُ وصفًا يشابه وصف الجرنيط وقال عنهُ انهُ قصير اليدين والرجلين ومبقَّع بسواد الاَّ انهُ نقل عن ابن الاثير ان الزبزب كان يأكل الاطفال في بغداد والجرنيط لا يقوى على ذلك . وقال الشيخ داود

---

[1] Voyage en Abyssinie, par Lefebvre, Petit, et Quartin-Dillon (1839-1845), tome VI p. 19. Voyage to Æthiopia, by Poncet, English translation (London 1709), p. 82



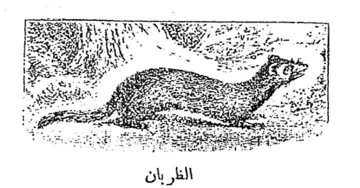
الجرنبط



السمع



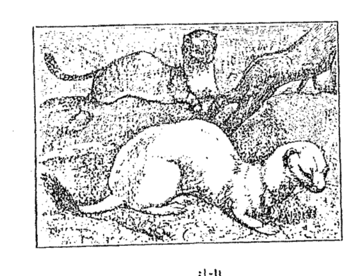
العسبار



الظربان



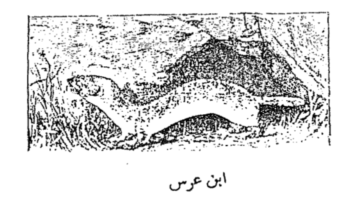
اليغر



القاقوم



النمس



ابن عرس

في تذكرتهِ [١] ان الزبزب هو النفا ولكن وصف الزبزب في الدميري لا يوافق وصف النفا مطلقاً . واهل السودان يسمون هذا الحيوان كديساً فاعتمد الكاتبان فلوَر على هذه التسمية في حديقة الجيزة . وقد مرَّ بنا ان اهل السودان يطلقون هذه اللفظة على القط ايضاً . اما القانون ترسترام فسماهُ النسناس . والنسناس غير ذلك وسماهُ استاذنا الدكتور بوست [٢] السمُّور ولا خلاف في ان السمُّور حيوانٌ آخر سيأتي ذكرهُ . ومن المحتمل ان يكون هذا الحيوان هو النميلة وقد قالوا عنها انها دابة في الحجاز على قدر الهرة

❁ النمس (لعلهُ سمّي بذلك لانهُ انمس اي اكدر) ❁

Herpestes. E. & F. Ichneumon, Mungoose, Mangouste.

جنسٌ من السباع يوجد منهُ انواع كثيرة اشهرها الموجود في مصر والشام وهو في حجم القط الاهلي اكدر اللون احمر العينين قصير القوائم طويل الذنب . يأكل الحيات وبيض التمساح واهل الشام يطلقون هذه اللفظة على الدلق خطأً فوصفهُ في الكتب العربية واضح لا يقبل التأويل وهو يعرف في مصر بهذا الاسم ايضاً وقد ذكرهُ ارسطوطاليس [٣] وقال عنهُ كما قالت العرب اي انهُ يتمرَّغ في الطين ويأكل الحيات وذكرهُ بلينيوس [٤] وقال عنهُ انهُ يقتل الحيات ويدخل جوف التمساح اي كما قالت العرب وسماهُ كلاهما Ichneumon وقد سماهُ الادريسي كاب الماء والأشلك وفي نسخة اخرى الأشط [٥] ولم اقف على حقيقة هذين الاسمين

❁ الضَبُع [٦] (مؤنثة وتطلق على الذكر والانثى والذكر ضِبعان والانثى ضبعانة) ❁

Hyæna. E. Hyæna. F. Hyène.

جنسٌ من السباع اكبر من الكلب واقوى منهُ وهي قوية الفكين جدًّا ولها اربعة مخالب في كلٍّ من قوائمها . والمشهور منها نوعان . الضبع المخطَّطة وهي المعروفة عند العرب وتوجد في آسيا وافريقية . والضبع الرقطاء وتوجد في افريقية فقط وهي اكبر من المخطَّطة واقوى منها وليس لها عرفٌ مثلها . وتعرف الضبع الرقطاء في السودان بالمرفعيب والمرفعين وهي التي سماها بلينيوس Crocuta (٨ : ٤٥) وزعم انها متولدة بين الضبع والاسد

وقد ذكر صديقي نعوم بك شقير في كتابهِ تاريخ سينا (والكتاب تحت الطبع) ان

---

(١) تذكرة داود الانطاكي الجزء الاول فصل الزبزب (٢) كتاب نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات الجزء الاول صفحة ٥٢ (٣) كتاب النعوت لارسطو (٩ : ٧ : ٣) (٤) كتاب التاريخ الطبيعي لبلينيوس الروماني (٨ : ٣٥ و ٣٧) (٥) نزهة المشتاق للادريسي طبع ليدن صفحة ١٨

(٦) للضبع اسماء كثيرة تجدها في الجزء الثامن من المخصص لابن سيده وكذلك الذئب والكلب وابن اوى والثعلب وغيرها فاكتفيت بالاشارة الى ذلك

الضبع الرقطاء موجودة في سينا وهذا الامر ليس بعيدًا ولو لم يذكر علماء الحيوان وجودها خارج افريقية لان حيوانات سينا ونباتاتها تشبه حيوانات افريقية ونباتاتها · وقد بحثت كثيرًا في اسماء الضبع باللغة العربية ووصف الضبع في كتبهم فلم اقف على شيء يفهم منهُ ان عندهم نوعين من الضباع فلو كان عندهم نوعان منها لما فاتهم ذلك ولا ريب في ان المقصود بلفظة الضبع عند العرب الضبع المخطَّطة لانهم وصفوها بالعرفاء اي الطويلة شعر العنق وهذه الصفة لا تنطبق على الرقطاء لانها لا عرف لها

❖ السِمع (سِمِيْرِ بالحبشية) ❖ Lycaon pictus. E. Cynhyæna or Cape hunting dog. F. Cynhyène ou Loup peint

نوعٌ من السباع بين الذئب والضبع · عدد اسنانهِ كعدد اسنان الذئب واما مخالبهُ فاربعة في كلٍّ من قوائمهِ كالضبع وهو مبقَّع ببقع سود وبيض وصفر ويوجد في اعالي النوبة الى الكاب جنوبًا

❖ العِسبَار ❖ Proteles cristatus. Dutch, Aard-wolf. F. Protèle

نوعٌ من السباع الافريقية شبيهٌ بالضبع والذئب وهو قريبٌ من الضبع المخطَّطة في شكلهِ ولونهِ الاَّ انهُ اصغر منها وليس لهُ قوَّة فكيها والبوير يسمونهُ بما تعريبهُ ذئب الارض ويوجد في شرق افريقية وجنوبها

وقد يتوهم القارئ من وصف العرب لهذين الحيوانين انهما من الحيوانات الخرافية والحقيقة ان كل واحدٍ منهما حيوانٌ قائم بنفسهِ فقد كان القدماء يزعمون ان بعض الحيوانات مركب من حيوان واخر ولذلك زعموا ان الزرافة مركبة من الجمل والنمر وسموها Camelopardalis وزاد الفرس عليهما البقرة وسموها اشتركاو پلنك وزعم العرب ان السمع مركب من الذئب والضبع وكذلك العسبار [1] وقد بين الجاحظ فساد هذا الزعم لان الحيوانات المذكورة تلد من جنسها [2] · فالسمع سماهُ بلينيوس Lycaon وهي مشتقة من لفظة يونانية معناها الذئب · ومن اسمائهِ عند الافرنج Cynhyæna ومعناها كلب ضبع · وقد ذكر مؤلفو العرب وجود السمع والعسبار في اواسط افريقية فقد جاء في عجائب المخلوقات للقزويني ما نصهُ " وحكى طهمان الحكيم [3] ان بجانب الجنوب بقرب خط الاستواء يجتمع

(١) انظر فصل الحيوانات المركبة في عجائب المخلوقات للقزويني (٢) لا اظن ان احدًا سبق الجاحظ الى قولهِ هذا وهو الصحيح ويظهر ان ارسطو وبلينيوس كانا يعتقدان بتولد الحيوان من جنسين

(٣) لا اعلم من هو طهمان الحكيم هذا وانما الكلام الذي نسبهُ اليهِ القزويني منقولٌ بالحرف الواحد تقريبًا عن ارسطو وبلينيوس (٨ : ٢٧ : ٧) من الاول و (٨ : ١٧) من الثاني

بالصيف حيوانات مختلفة الانواع على مصانع الماء من شدة العطش . . . . . فيتولد منها مثل الزرافة والسمع والعسبار ". ولا يوجد في افريقية حيوانات تشبه الذئب والضبع سوى نوعين فقط وهما عند علماء الحيوان Lycaon و Proteles وقد زعمت العرب انهُ اذا كان الذكر ذئبًا كان المولود عسبارًا واذا كان ضبعانًا كان المولود سمعًا [١] ولا يخفى انهُ في الحيوانات المركبة يكون النتاج اقرب الى الام مما هو الى الاب فالحيوان المسمى Lycaon اقرب الى الذئب او الكلب مما هو الى الضبع وعكسهُ المسمى Proteles فبحسب زعمهم يكون الحيوان المسمى Lycaon ابن الذئبة من الضبعان اي السمع والحيوان المسمى Proteles ابن الضبعانة من الذئب اي العسبار. ثم ان وصفهم للسمع يصدق على الاول اكثر مما يصدق على الثاني فقد بالغوا في طول وثبتهِ وشدة سمعهِ وتيقظهِ فان هذا الحيوان مشهور بسرعتهِ ومقدرتهِ على صيد الظباء . وقد كان داجنًا عند قدماء المصريين وسماهُ احمد بك كمال كلب السميخ وقال لعلهُ السمع [٢] وسماهُ اهرنبرغ وهمبرخ Simoue ولا اعلم هل سمعا هذه اللفظة في السودان

❁ الكلب Canis. E. Dog. F. Chien الكلب في التعميم جنسٌ من السباع منها الكلب الاهلي والذئب وابن آوى والثعلب الخ . وفي التخصيص هو هذا الحيوان الاهلي المعروف وهو اصنافٌ كثيرة فالذي وقفت عليهِ من الاصناف المعروفة عند العرب ما يأتي

(الدِرْواس والدِرباس) وقالوا انهُ الكبير الرأس ويشبه ما يسميهِ الانكليز بلدوغ E. Bull-dog F. Bouledogue.

(الزَغاريّ) E. Mastiff F. Mâtin وهو كبير الجثة وشديد البأس

(القَلَطي [٣] والزِئنيّ [٤]) E. Turnspit. F. Basset هو كلب صغير الجرم قصير القوائم وطويل الجسم وهذا الصنف من الكلاب نادر الوجود الآن

(الضاري والضرو والعُرْبُج والتَمْثم) E. Hound. F. Chien courant اي كلب الصيد واللفظة الاولى مستعملة في بلاد العرب في وقتنا هذا وهم يصيدون بهِ البدن في سينا [٥]

(القُطْرُب [٦]) E. Pug. F. Carlin وهو الصغير المجتمع من الكلاب

---

(١) عجائب المخلوقات للقزويني (٢) بغية الطالبين لاحمد بك كمال وقد سألت المؤلف عن لفظة السميخ فقال لي انه اخذها عن القصيدة التي ذكرها على هامش الكتاب وهذه القصيدة نقلها عن نسخة خطية في الكتبخانة الخديوية (٣) معرب كلته بالفارسية اي القصير (الالفاظ الفارسية المعربة) (٤) وفي بعض الكتب يسمى الصيني وابن سيده ينكر ذلك (٥) من كتاب في تاريخ سينا تحت الطبع لنعوم بك شقير (٦) ترد بغير هذا المعنى ايضًا وهي يونانية الاصل (انظر فرائد اللغة للاب لامنس اليسوعي ٢٨٥)

(الهِبلَع والمِجزَع والسَلُوقي[١]) E. Greyhound. F. Levrier وهو طويل القوائم ويوصف بسرعتهِ

(كلب الرُعاء) E. Sheep-dog, Collie

(والعَكَل[٢]) E. Pariah dog. الكلب الذي لا يتعلم وهو ادنى اصناف الكلاب ويسمى الجعاري في الشام والبلدي في مصر . وهو العكلي في النسخة التي عندي من تذكرة داود الانطاكي . والعُكَل في اللغة اللئيم

❁ الذئب ❁ Canis lupus. E.Wolf. F. Loup نوعٌ من الكلاب البرّية وهو في حجم الكلب الاهلي المعتاد . لونهُ الغالب الغبشة وهو جريء جدًّا عند الجوع . والذئاب اصنافٌ كثيرة

❁ الذئب المصري ❁ Canis lupaster نوعٌ من الكلاب البرية وهو اصغر من الذئب واكبر من ابن آوى فبعضهم سماهُ ذئباً والبعض ابن آوى

❁ الشيب ❁ ويسمى السِيب في العراق يزعمون انهُ متولدٌ بين الضبع والذئب[٣] او بين النمر والذئب[٤] وهو معروفٌ في الشام ويحسبونهُ من الحيوانات المفترسة ولهم فيهِ حكايات كثيرة ولم اقف على حقيقة امر هذا الحيوان وقد بحث عن ذلك الدكتور رسل في اواخر القرن الثامن عشر عندما كان مقيماً في حلب ومن رأيهِ ان اهل الشام يطلقون هذه اللفظة على الذئب الكلبي وقد رأى صديقهُ الدكتور فريز قطعة من جثة هذا الحيوان وارسل اليهِ وصفها ويظهر من هذا الوصف انهُ نوعٌ من الذئاب . وقد رأيت في صغري ذئباً كلباً دخل مدينة زحلة في لبنان فقتلهُ اهاليها ولم يقولوا انهُ الشيب بل سموهُ ذئباً . وحبذا لو ارسل اليَّ احد قراء المقتطف في العراق او الشام وصفاً مدققاً لهذا الحيوان ان كان موجوداً هناك

❁ ابن آوى ❁ C. aureus. E. Jackal. F. Chacal (والجمع بنات آوى) نوعٌ من الكلاب البرية وهو اصغر من الذئب المصري وشبيه بهِ ويسمى في بعض انحاء الشام بالواوي والجقل واللفظة الاخيرة فارسية . اما في مصر فلا يفرقون بينهُ وبين الذئب المعروف عندهم

❁ الثعلب ❁ C. Vulpes. E. Fox. F. Renard نوعٌ من الكلاب البرية اصغر من ابن اوى وهو دقيق الخطم وكثيث شعر الذنب

(١) نسبة الى سلوق باليمن او سلوقية بالروم او العراق (٢) من كتاب تاريخ سينا المذكور آنفاً
(٣) محيط المحيط (٤) رحلة بركهارت في الشام ٥٣٤

﴿البَعْشُوم﴾ Canis mesomelas نوعٌ من بنات اوى وهو اصغر من الذئب المصري وشبيه بهِ الاَّ ان ظهرهُ اسود وهو كثير في السودان وقد حسبهُ بعضهم نوعاً من بنات اوى والبعض الآخر نوعاً من الثعالب وقد كتبت هذه اللفظة كما سمعتها من اهل السودان وتجدها مكتوبة باشون في حديقة الجيزة وبشوم وبعشوم في "دليل الحيوان" (١) ويصعب كثيرًا معرفة الفرق بين الهمزة والالف والعين من نطق اهل السودان وقد سألت واحدًا منهم ان يكتب لي هذه اللفظة فكتبها "بعشوم" بالعين

﴿الفَنَك . الفَنَج (فارسية معربة(٢))﴾ C. Zerda. C. Corsac &c. E. & F. Fennec & Corsac.

جنسٌ من الثعالب وهو اصغر من الثعلب الاعتيادي المعروف كبير الاذنين جدًّا وفروتهُ من احسن الفراء . وقد اطلق العرب هذه اللفظة على عدة انواع منهُ . احدها يوجد في اواسط آسيا ويعرف بلفظة قورساق بالتركية ويسميهِ علماء الحيوان Canis corsac وهو الذي ذكرهُ ابن البيطار وقال انهُ يوجد في بلاد الصقالبة . والانواع الاخرى توجد في افريقية وتعرف عند الافرنج وعرب افريقية بالفنك . اشهرها نوعٌ يسمى Canis zerda وهو ابيض اللون مصفرهُ لطيف المنظر جدًّا

ولا سبيل الى معرفة هذا الحيوان من وصفهِ في الكتب العربية فقد ذكرهُ ابن البيطار ولم يصفهُ والدميري نقل عن ابن البيطار . واقرب وصفٍ لهُ وجدتهُ في محيط المحيط حيث قال "الفنك حيوان فروتهُ احسن الفراء واعدلها . قيل هو نوعٌ من جراء الثعلب التركي . وقيل يطلق على جرو ابن اوى في بلاد الترك" . واول من استعمل هذه اللفظة من الافرنج الكابتن بروس في رحلتهِ لاكتشاف منابع النيل فذكر هذا الحيوان بلفظهِ العربي كما سمعهُ في افريقية ثم جيء بحيوانين منهُ الى باريس سنة ١٨٥٦ فلم يبقَ ريب حينئذٍ في صحة تسمية هذا الحيوان

وللمستشرق الفرنسوي كليمان موله (٣) مقالة وافية عن الفنك في مجلة المشرق الفرنسوية اخذت عنها ما ذكرتهُ آنفًا لكنهُ التبس عليهِ التطبيق بين وجود الفنك في افريقية وقول ابن البيطار ان الفنك يؤْتى بهِ من بلاد الصقالبة ففسرهُ بقولهِ ان العرب استعملوا هذه اللفظة لهذا الحيوان الافريقي ثم توسعوا فيها واطلقوها على انواع كثيرة من الفراء كالدلق

(١) دليل الحيوان الى لغة عرب السودان للبكباشي امري (٢) الالفاظ الفارسية المعربة للسيد ادى شير
(٣) Histoire du Fenek, par J. J. Clément Mullet, Revue de l'Orient 1857

وغيرهِ والحقيقة على ما اظن ان الفنك عند مؤلفي العرب كابن البيطار وغيرهِ هو هذا الحيوان المسمى قورساق بالتركية ويعرف عند الفرس بالفنك ثم استعملها عرب افريقية لهذا الحيوان الافريقي للمشابهة بين الاثنين فانهما نوعان من الثعالب. ولا اظن ان كتاب العرب اطلقوا لفظة الفنك على انواع كثيرة من الفراء بل على نوع خاصٍ منهُ بدليل ذكرهم لهذه الفراء كل نوع منها على حدة فقد جاء في المقدسي (طبع ليدن صفحة ٣٢٥) "ومن خوارزم السمّور والسنجاب والقاقوم وفنك ودله والثعالب". ويفهم هذا المعنى ايضاً من ابن البيطار فانهُ يظهر من كلامهِ ان الفنك حيوانٌ قائم بنفسهِ وذكر معهُ القاقوم والحوصل (انظر لفظة فنك في دوزي)

﴿ الشَرِه (١) ﴾ Gulo E. Glutton. F. Glouton

﴿ الظَرِبان الاميركي ﴾ Mephites. E. Skunk. F. Moufettes

﴿ الرَاتِل (٢). آكل العَسَل ﴾ Mellivora E. & F. Ratel

﴿ الرَاكُون (٣) ﴾ Procyon. E. Racoon F. Raton

﴿ القُوطي (٤) ﴾ Nasua. E. & F. Coati

﴿ الدبّ ﴾ Ursus. E. Bear. F. Ours

﴿ اليغر. الفُرْغُور. الغُرَيْر ﴾ Meles taxus. E. Badger F. Blaireau

نوعٌ من السباع بين الكلب والسنّور في الحجم وهو قصير القوائم اغبر اللون لكنَّ قوائمهُ سود ولهُ خطان اسودان على جانبي وجههِ وباقي الوجه ابيض. وقد جاء في الدميري ان "اليغر دابّة تكون بخراسان تسمن على الكد وقيل هي بالغين المعجمة. قالوا في امثالهم اسمن من يغر". وهذا المثل مشهور في الشام لكنهم يقولون "اسمن من غُرَيْر". ولفظة اليغر هذه فارسية الاصل على ما اظن فان هذا الحيوان يسمى شغر بالفارسية فيحتمل ان تكون لفظة يغر محرفة من شغر بخطإِ النسّاخ. ولا يوجد اليغر في بلاد العرب فلا ينتظر وجود اسم لهُ في العربيَّة. اما لفظة الفرغور فقد جاء عنها في محيط المحيط انها دويبة غاية في السمن وهي تشبه كثيراً لفظة الغرير المستعملة في الشام واهل الشام يصفونهُ بالسمن ايضاً. اما قول بعضهم ان هذا الحيوان يسمى عناق الارض فبعيد عن الصحة (انظر عناق في عدد نوفمبر)

ويظهر ان هذا الحيوان المسمى Badger كان سبباً لخلاف كثير فالذين ترجموا

(١) و (٢) و (٣) و (٤) تعريب المرحوم احمد فارس

التوراة الى الانكليزيّة ترجموا لفظة تحش العبرانية Badger (خروج ٢٥ : ٥) نقلاً عن التوراة الكلدانية ثم عادوا وترجموها Sealskin في الطبعة المنقحة وهي اقرب الى الصواب وبسبب هذا الخطإ في الترجمة الانكليزيّة اخطأ الشارحون للتوراة العربية ففسروا لفظة تخس في بعض نسخ التوراة العربية بلفظة عناق الارض ظنًّا منهم ان عناق الارض هو المسمى Badger بالانكليزية . والرأي المعوّل عليهِ عند علماء التوراة الآن ان لفظة تحش العبرانية هي التخس او الدُخس بالعربيّة وهو الدلفين . وقد ظن بعضهم ان لفظة التخس العربيّة تطلق على الدلفين والدوغونج والفقمة والحقيقة ان التخس هو الدلفين لا غير كما سيأتي في بابهِ والدوغونج هو الاطوم والملصة والزالخة . اما الفقمة فلها اسماء اخرى ايضاً . ومن المحتمل ان العبرانيين اطلقوا هذه اللفظة على عدة انواع من الحيوانات البحرية اللبونة وانما العرب استعملوها للدلفين فقط وهم يستعملونها بهذا المعنى في وقتنا الحاضر كما سيجيء . وهناك رأي آخر في لفظة تحش العبرانية وهو انها من تحس بالمصرية القديمة بمعنى الجلود الحمر[1]

❁ كلب الماء . ثعلب الماء ❁ Lutra. E. Otter F. Loutre جنسٌ من السباع المائية وهو طويل الذنب قصير القوائم والاذنين لونهُ احمر قاتم . اما تسميتهُ بكلب الماء فعن القانون ترسترام و يظهر انهُ الاسم الذي يعرف بهِ هذا الحيوان في الشام . وقد سماهُ احمد فارس ثعلب الماء لان كلب الماء في اكثر الكتب العربية يطلق على البيدستر وسيأتي ذكرهُ

❁ الدَلَق (معرّب دَله بالفارسية) ❁ Mustela foina. E. Marten. F. Fouine حيوانٌ شبيهٌ بابن عرس الّا انهُ اكبر منهُ و يقرب من السنّور في الحجم وهو اصفر اللون وبطنهُ وعنقهُ مائلان الى البياض . وطنهُ جنوب اوربا وآسيا من الاناضول والشام غرباً الى جبال حملايا شرقاً

وقد جاء في الالفاظ الفارسية المعربة ان الدلق هو القاقم واما وصفهُ في الكتب العربيّة فمشوشٌ جدًّا ولم اقدر ان اهتدي منها الى حقيقة امر هذا الحيوان ولذلك اعتمدت على معجم كزيبرسكي ودوزي ومفردات ابن البيطار باللغة الفرنسوية . وقد يكون الدلق هو القاقم كما يقول السيد ادّى شير ولعلهُ اخذ ذلك عن "البرهان القاطع" والاثنان ثقة يعول عليهما وانما ارى ان كتّاب العرب يذكرون الدلق والقاقم معاً كانهما حيوانان مختلفان فالدميري

(١) Encyclopedia Biblica

ذكر الاثنين ولم يقل ان الدلق هو القاقم وقد جاء في المقدسي (صفحة ٣٢٥ طبع ليدن). "ومن خوارزم السمور والسنجاب والقاقوم وفنك ودله (اي الدلق) والثعالب"

❁ الظَّرِبان ❁ Putorius. E. Polecat. F. Putois حيوانٌ من عائلة ابن عرس في حجم القط الاهلي اغبر اللون مائلٌ الى السواد حاد البصر جدًّا رائحتهُ كريهة منتنة ويسمى في مصر ابا المنتن

وقد ظن بعضهم ان الظربان هو المسمى Skunk بالانكليزية وهذا الحيوان لا يوجد الاَّ في اميركا والظربان معروف عند العرب قبل اكتشاف اميركا بمئات من السنين وهذه اللفظة مستعملة في بلاد العرب في وقتنا الحاضر وقد ذكرها دوطي[1] وظن انهُ من الحيوانات الخرافية وقد سألت اعرابيًّا من الحجاز عن هذا الحيوان فقال لي انهُ معروف عندهم ويسمونهُ الظُرُبان وقد سماهُ المرحوم احمد فارس القرقضون القذر واظن ان بقطر اخذ عنهُ وسماهُ القرقضون القذر ايضًا . وسماهُ استاذنا الدكتور بوست القط القذر. وقد وصفهُ لسان العرب وصفًا حسنًا قال انهُ دويبة شبه الكلب اصلم الاذنين طويل الخرطوم اسود السراة ابيض البطن منتن الرائحة

❁ ابن عِرْس ❁ Mustela vulgaris &c. E. Weasel. F. Belette نوعٌ من السباع في حجم الفار وهو اصلم الاذنين مستطيل الجسم ويوجد منهُ انواع كثيرة فالموجود منهُ في مصر والشام يعرف عند عامة المصريين بالعرسة وهو اصفر الظهر ابيض البطن

❁ السَّمُّور (وهي سمور بالتركية والهندستانية[2]) ❁ M. Zibellina. E. Sable. F. Zibelline حيوانٌ فروتهُ من احسن الفراء وهو شبيه بابن عرس واكبر منهُ احمر اللون مائل الى السواد . رأسهُ مخروطيّ الشكل واذناهُ طويلتان بالنسبة الى افراد هذه العائلة

❁ القاقم . القاقوم (معرَّب قاقم بالتركية) ❁ M. Ermina. E. Stoat or Ermine F. Hermine حيوانٌ توخذ منهُ الفراء وهو شبيه بابن عرس واكبر منهُ . لونهُ احمر قاتم في الصيف وابيض يقق في الشتاء

❁ ابن مِقْرَض ❁ M. furo. E. Ferret F. Furet حيوانٌ شبيه بابن عرس

---

(١) Arabia Deserta II, 145

(٢) The Century Dictionary

وآلف منهُ واكبر لونهُ ابيض مائل الى الصفرة ويدجن لصيد الجرذان والارانب · وقد جاء في كتاب الحيوان للجاحظ ان" ابن مقرض دويبة آلف من ابن عرس ويصيد العصافير صيدًا كثيرًا وذلك انهُ يؤْخذ فيربط بخيط شديد الفتل ويقابل بهِ بيت العصفور فيدخل عليهِ فيأخذهُ · · · فلا يزال كذلك ولو طاف على الف جحر فاذا حل" خيطهُ ذهب ولم يقم" وهذا يشبه كثيرًا وصف الحيوان الذي يسميهِ الانكليز Ferret فانهم يربطونهُ بخيطٍ ويطلقونهُ على بيوت الارانب ليصيدها فاذا حلّ خيطهُ بقي داخل البيت ولم يعد · وهو الذي سماهُ المرحوم احمد فارس خطاف الفنك ظنًا منهُ ان الفنك هو الارنب الاهلي وقد تبعهُ في ذلك استاذنا الدكتور بوست في كتابهِ نظام الحلقات

❁ القَفَظ[1] ❁ Trichecus rosmarus. E. Walrus F. Morse نوعٌ من السباع المائية وهو شبيهٌ بالفقمة الاّ انهُ اكبر منها جسمًا وهو قبيح المنظر وللذكر منهُ نابان طويلان في فكهِ الاعلى

وقد سماهُ بعضهم فرس البحر واری ان هذه التسمية توقع في الالتباس لان فرس البحر حيوانٌ آخر مشهور بهذا الاسم عند العرب و يوجد غير ذلك حيوانٌ آخر صدفي يعرف عند الانكليز بما ترجمتهُ فرس البحر ولذلك اری ان احسن تسمية هي هذه التي وضعها المرحوم احمد فارس

❁ الفقمة[2] (اظنها تعريب Phoke. باليونانية) · ابو مزينة[3] · عجل البحر[4] · شيخ البحر[5] · ❁ Phoca. E. Seal. F. Phoque جنس من السباع المائية وهي شبيهة بالسمك ظاهرًا لكنها من الحيوانات اللبونة ومن ذوات الرئتين · وتعرف في سواحل الشام بالفقمة وفي سواحل المغرب يسمونها بل مرين وهي تعريب بوي مرين بالاسبانيولية اي بقر البحر[6] (ستأتي البقية)

الدكتور امين المعلوف

---

(١) وضع المرحوم احمد فارس (٢) محيط المحيط (٣) الدميري والقزويني (٤) احمد فارس (٥) ابن البيطار (٦) ابن البيطار باللغة الفرنسوية

اسباب الاحتلال البريطاني

(٩)

ذكرنا في الفصل السابق ان الخديوي اضطرَّ اضطرارًا ان يردَّ عرابي الى نظارة الحربيَّة خوفًا منهُ وان الحكومة الانكليزيَّة رأَت حينئذٍ انها لا تستطيع التغلُّب على عرابي الاَّ بالقوة

وذكر لورد كرومر نقلاً عن المحررات الرسميَّة ان اهالي القطر عدُّوا رجوع عرابي الى نظارة الحربيَّة فوزًا لهم ودليلاً على قرب طرد الاجانب كلهم من البلاد واسترجاعهم لاطيانهم التي اشتراها منهم الاوربيون او ارتهنوها والغاء ديون الحكومة. وهاجر كثيرون من المسيحيين وطلب الانكليز نزلاء الاسكندرية من حكومتهم ان تبادر الى حمايتهم وارسل السر تشارلس كوكسن يقول ان كل يوم تتأخر فيهِ انكلترا يزيد عنفوان الجنود وعبثهم بالنظام. وجعل الضباط يكرهون الاهالي على ختم عريضة يطلبون بها خلع الخديوي وطلب رئيس المجلس من النواب ان يعودوا الى بيوتهم لكي لا يجبروا على امضاء تلك العريضة ووقفت اشغال الحكومة كلها الاَّ في نظارة الحربيَّة واستولى الذعر على البلاد كلها. وارسل السر ادورد ملت الى حكومتهِ يقول انهُ يخشى في كل ساعة من حدوث ثورة على المسيحيين. وثبت حينئذٍ ان الحكومة المصرية لم تعد قادرة على حماية المصالح المالية الاوربية وان السلطة صارت في يد الحزب العسكري وانهُ لا بد من المداخلة الاجنبيَّة

وكانت الدولة العلية تتمنَّى منذ عهد طويل ارجاع القطر المصري اليها وقد ملأَت دواوين اوربا بالاحتجاج تلو الاحتجاج على مداخلة الاوربيين في الشؤُون المصرية وعلى اغفالهم سلطة الباب العالي في مصر فحانت الفرصة حينئذٍ لتعيد الدولة سلطتها فان الخديوي وانكلترا وفرنسا حاولوا اصلاح الحال من غير الالتجاء اليها ففشلوا وكانت الدول الاوربيَّة كلها ما خلا فرنسا تودُّ الالتجاء اليها لاخماد الثورة المصرية

ولكن رجال الحكومة العثمانية لا يغتنمون الفرص حالما تسنح لهم بل يضعون العقاب بايديهم في سبيلهم. وكانت فرنسا قد عدلت عن اعتراضها على مداخلة الباب العالي وطلبت ان تحلَّ المسألة المصريَّة بواسطة مؤْتمر دولي والباب العالي يكره الالتجاء الى المؤْتمرات فارسل مأمورًا سامياً الى مصر وهو درويش باشا حاسباً انهُ يسكّن الاضطراب ويرد المياه الى مجاريها فلا يبقى داعٍ للمؤْتمر وارسل مع درويش باشا اسعد افندي. وفُرض على الاول منهما ان يحاسن الخديوي ويضاد عرابي وعلى الثاني ان يفعل على الضد من ذلك فيحاسن

عرابي ويضاد الخديوي وأمر كلاً منهما ان يخاطب الاستانة رأساً لكي لا يتفقا على شيء . وأمر درويش باشا ان يستشير قناصل المانيا والنمسا وايطاليا ويستعين بهم وأمر اسعد افندي ان يبذل جهده في احباط دسائس الاوربيين . وأمر درويش باشا ايضاً ان يقبض على عرابي ورؤساء حزبهِ ويرسلهم الى الاستانة ويبطل مجلس النوّاب ويقلل نفوذ الخديوي ويزيد نفوذ السلطان ويطلب الجنود من الاستانة اذا رأى موجباً لذلك . وأمر اسعد افندي ان يشكر وجوه القطر واعيانهُ على اخلاصهم للسدَّة السلطانية وان يؤكد لهم ان السلطان لا ينوي تقليل السلطة المعطاة للخديوي بالفرمانات وان ارسال الجنود الى مصر رأي سيء وخيم

وكان الباب العالي يكره ارسال جنودهِ الى مصر لمحاربة الجنود المصرية ويود ان يقنع المصريين انهُ يحميهم من اعتداء الاوربيين

وجاء وفد من العلماء الى درويش باشا في ١٠ يونيو وقام واحد منهم خطيباً وجعل يمدح الجيش لانهُ حفظ البلاد من طمع الكفار . فنهض درويش باشا وقال للحضور انهُ اتى ليأمر بما يراهُ لازماً لا ليؤمر وامسك رجل من حاشيتهِ بذلك العالم واخرجهُ من مجلسهِ

وظهر حينئذٍ كأن السلطة ستخرج من يد الجيش ولكن حدث حادث ثبت منهُ انهُ لا يمكن حفظ البلاد من غير الالتجاء الى الجيش

كان اهالي الاسكندرية قد اظهروا العداء للاوربيين وجعلوا يهينونهم ويبصقون عليهم في الشوارع . وحذَّر رجل من الاهالي احد اليونانيين في ٩ يونيو قائلاً ان اولاد العرب عازمون على ذبح النصارى . وجال بعض الرعاع في الشوارع في اليوم التالي وهم ينادون "آخرتكم يا نصارى" . وفي الحادي عشر من يونيو حدثت المذابح في ثلاثة اماكن في وقت واحد . وقد اتهم البعض عرابي بانهُ امر بهذهِ المذابح واتهم غيرهم الخديوي وفي جملة الذين اتهموهُ بذلك المستر بلنت . وقال لورد كرومر ان الذين بحثوا البحث المدقق في هذه المسألة لم يجدوا اقل دليل على انهُ كان للخديوي يدٌ فيها ومن رأي السر ادورد ملت ان عرابي لم يأمر بها وانها جاءت من نفسها كنتيجة للاضطراب الذي كان مستولياً حينئذٍ وأيد لورد كرومر رأيهُ ولكنهُ لم يبرئ عرابي وانصارهُ من المسؤلية الادبيَّة لانهم هم الذين اثاروا البغض للاجانب في نفوس رعاع الاهالي

وفي ١٣ يونيو ارسل السر ادورد ملت الى لورد غرانفل ان مساعي درويش باشا اخفقت فاضطر ان يسلّم بقوة عرابي وان يحمل معهُ مسؤلية اجراء اوامر الخديوي . ثم

وزّع النياشين على حزب عرابي وعلى حزب الخديوي على السواء لكن هيبتهُ سقطت ولم يزرهُ احد من ضباط الجيش . وفي ذلك الوقت نفسهِ اخبر المابين لورد دفرن ان عرابي خضع خضوعاً تاماً وان الامن عاد الى نصابهِ واخبر موزورس باشا لورد غرانفل ان السلطان انعم على عرابي بالنشان المجيدي الاول وان عرابي اعرب عن شكرهِ وولائهِ للسدة السلطانية فلم يبقَ وجه لانشغال البال

ويظهر عدم خضوع عرابي من انهُ اشار على درويش باشا في ٥ يوليو بالخروج من القطر المصري . وقال لهُ اسعد افندي في ٨ يوليو ان السلطان يدعوهُ للذهاب الى الاستانة فابى اجابة الدعوة واخيرًا اعترف وزير الخارجية العثمانية للورد دفرن ان عرابي جاهر بالعصيان

وثبت حينئذٍ ان لا بدَّ من عمل يُعمَل والاَّ شملت الثورة البلاد كلها وقد بلغ عدد المهاجرين من القطر المصري في ١٧ يونيو ١٤٠٠٠ وبقي ٦٠٠٠ ينتظرون السفن ليخرجوا بها من القطر . وفي ٢٦ يونيو قتل الرعاع عشرة من اليونان وثلاثة من اليهود في بنها واشار عرابي باستصفاء اموال كل الاوربيين الذين يغادرون القطر المصري . ومرض السر ادورد ملت حينئذٍ واضطر ان يغادر القطر وهو يظن ان السم دُس لهُ قصد قتلهِ

ونتج من مذبحة الاسكندرية ان اسرعت الدول الاوربيَّة الى تلافي الخطب فقال المسيو ده فرسينه ان عقد المؤتمر صار ضربة لازب فلا بدَّ من عقدهِ من غير ابطاء وعرضت فرنسا وانكلترا على الدول ان يساعدنهما في اقناع السلطان بان يرسل جنودًا الى مصر تساعد الخديوي على حفظ سلطتهِ بشرط ان لا يتعرَّض للحقوق الممنوحة للخديوي بالفرمانات السلطانية ولا للمعاهدات الدولية الحاضرة ولا تقيم الجنود العثمانية في القطر المصري اكثر من شهر الاَّ اذا طلب الخديوي ذلك وصادقت الدول الاوربية العظمى على طلبهِ . والحكومة المصرية تتحمل نفقات هؤلاء الجنود . واخيرًا قرَّ القرار على عقد مؤتمر دولي للاتفاق على ما يجب عملهُ فعقد المؤتمر في الاستانة ولم يحضرهُ معتمد من قبل الدولة العلية

وبينما كان المؤتمر يبحث في كيفية ارسال الجنود العثمانية الى القطر المصري كانت احوال القطر صائرة من رديء الى اردأ وثبت للملإ ان الحكومة كلها صارت في يد عرابي حتى قال بسمارك ان عرابي صار قوة يجب ان يحسب حسابها " avec lequel il fallait compter " وقال المسيو ده فرسينه انهُ يمكن اصلاح الحال بالاتفاق مع عرابي لكن انكلترا اجابتهُ قائلة انهُ لا يمكن اصلاح الحال ما لم يسقط عرابي والحزب العسكري

واسند الخديوي رئاسة النظار الى راغب باشا وجعل عرابي ناظرًا للحربية وكان ذلك

بمشورة قنصلي المانيا والنمسا فلم يفلح راغب باشا في تسكين ثورة الحزب العسكري ورد النظام الى البلاد

وكانت الحكومة الانكليزية والامة الانكليزية قد رأتا ان المساعي السياسية لا تجدي نفعاً وانهُ لا يمكن اخماد الثورة الاَّ بالقوة . وقد بلغ نظارة البحرية من اوائل يونيو ان عرابي آخذ في تحصين طوابي الاسكندرية ووضع المدافع فيها في وجه العمارة الانكليزية وقد امر السلطان بمنع هذا التحصين وعُمل بامره مدة ثم أُعيد التحصين وزيد عدد الحامية . واجتمع مجلس النظار في ٤ يوليو وتكلم فيهِ عرابي وحمل حملة منكرة على السلطان وامرضباط الجيش ان ينقطعوا عن زيارة درويش باشا وقيل لدرويش باشا ان مهمتهُ قد انقضت

وأُمر لورد السِتر امير العمارة الانكليزية ان يمنع الاستمرار على تحصين الاسكندرية واذا لم يمتنع فعليهِ ان يخرب الاستحكامات ويسكت المدافع اذا اطلقت عليهِ النار . وأُخبرت الحكومة الفرنسوية بذلك وطُلب منها ان تشارك انكلترا . وأُخبرت سائر الدول ايضاً . فقال المسيو ده فرسينه لسفير انكلترا ان الحكومة الفرنسوية لا يمكنها ان تأمر اسطولها ليشارك الاسطول الانكليزي لان ذلك يعد بمثابة فتح حرب على مصر والحكومة الفرنسوية لا تستطيع ان تفتح حرباً من غير مصادقة مجلس النواب

وفي ٦ يوليو ارسل لورد السِتر الى قومندان الحامية في الاسكندرية يطلب منهُ ان ينقطع عن انشاء الاستحكامات فاجاب انهُ لم يعمل شيئاً جديداً وصادق درويش باشا على ذلك . وأُعيد تحصين الطوابي في ٩ يوليو فبعث لورد السِتر الى قناصل الدول الذين في الاسكندرية يعلمهم انهُ عازم على اطلاق المدافع على الحصون ما لم تسلم لهُ الطوابي المشرفة على البوغاز في اربع وعشرين ساعة وأُعلمت دول اوربا بذلك . فاجاب السلطان انهُ يرسل الجواب الى لورد دفرن في ١١ يوليو الساعة الخامسة وعيَّن صدراً جديداً فزار لورد دفرن وقال لهُ انهُ يأتيهِ بالجواب النهائي لحل المسألة المصرية في ١٢ يوليو

وغنيٌّ عن البيان ان اصحاب الديون المصرية من الفرنسويين والانكليز كبيت رُتشيلد وغيرهِ كان لهم في القطر المصري نحو مئة مليون جنيه ديناً على الحكومة المصرية . وعندهم ان اكبر ضامن لهذا الدين ان تحتل انكلترا القطر المصري وتراقب شؤونهُ المالية والأموالهم كلها في خطر من الضياع فلا يستغرب منهم ان يبذلوا كل الوسائل في اوربا لحمل انكلترا على احتلال القطر المصري وان يبذلوا ايضاً كل الوسائل في الاستانة لجعل رجال الدولة يغضون الطرف ويسوّفون البحث الى ان ينقضي الامر على ما يريد اصحاب الدين . هذا هو

الحل المعقول لكل ما حدث وقد صرَّح لورد كرومر ببعضهِ واقام الادلة عليهِ من المحررات الرسمية كما تقدم وكما سيجيء

ومن يوم ابتدأ اسمعيل باشا يستدين الاموال الطائلة من اوربا وضع اساس المراقبة الاوربيَّة او الاحتلال الانكليزي نعم ان المراقبة والاحتلال ليسا فرضاً واجباً على كل بلاد تستدين الاموال من غيرها ولكنهما يصيران واجبين اذا ساءت احوال البلاد وخاف الدائنون على اموالهم فلو اكتفت مصر باستدانة الاموال اللازمة لتثمير خيراتها الطبيعيَّة وعرفت كيف تحسن ادارتها حتى توفي تلك الاموال او اقساطها في مواعيدها لما كان ثمت موجب للاحتلال ولا للمراقبة. والآن اذا استمرَّ النظام وحسن الادارة وأُمن الرجوع الى الفوضى الماضية او الى خلل الاحكام لا يبقى داعٍ للاحتلال ولا للمراقبة. ولكن يخشى من ان الغرور والطيش يحملان بعض المتصدين للزعامة حتى يغرّروا بالبلاد فيعيدوا اليها الخلل الذي نجت منهُ وحينئذٍ تتوطَّد اقدام الاحتلال الى ما شاء الله. ويخشى ايضاً من ان بعض الافَّاقين او المستأجرين بالاموال الاوربيَّة يزيّنون الحال للذين يغترُّون باقوالهم فيصخبون ويقلقون راحة السكان ويحملونهم على اعمال تخيف اصحاب الديون او تجعلهم يتذرَّعون بها الى إجبار حكوماتهم على ادامة الاحتلال لانهم لا ينتظرون ضماناً لاموالهم اقوى منهُ. ولقد رأينا من حين نظرنا في المسألة المصرية انها مسألة مالية المال ولَّدها والمال دعا الى تعقيدها وادامتها فجاءَت اقوال لورد كرومر مؤيدةً لذلك وقولهُ فصل الخطاب في هذا الباب فعلى الذين يودون ان تجلي انكلترا عن القطر المصري ان يبذلوا جهدهم في توطيد دعائم الامن في البلاد اولاً حتى يأمن اصحاب الديون على ديونهم

هذا وقد ذكر لورد السنر في تقريرهِ انهُ شرع في ضربِ طوابي الاسكندرية في الحادي عشر من شهر يوليو الساعة السابعة صباحاً ولم تأتِ الساعة ٥ ونصف بعد الظهر حتى اسكت البطريات كلها وفي اليوم التالي خرجت الحامية المصرية من الاسكندرية بعد ان احرقتها واقبل الرعاع على نهبها وقُتل جمهور من الاوربيين. ولام لورد كرومر حكومتهُ لانها لم تبادر الى انزال الجنود الى الاسكندرية لمنع امتداد النار فيها ومنع الرعاع من نهبها. ولكنهُ برَّرها في ضربها بدعوى ان قمع الثورة العرابية كان امرًا واجباً ولما احجمت عنهُ تركيا وفرنسا صارت انكلترا مطالبة بهِ وحدها

فيكتوريان ساردو

نعت انباء باريس منذ ايام روائيًّا من اشهر كتابها كان يراعهُ في طروسهِ كحسام نبوليون في حروبهِ ٠ كلاهما ماضٍ فاتك نهض بصاحبهِ من الضعة الى الرفعة ٠ فساردو ضرب بيراعهِ هامة الفقر فاطاحها ٠ ونبوليون طعن بحسامهِ سحابة الشك عن شمس النصر فازاحها ٠ ولو وزع اهل الادب مؤلفات ساردو وكتبهُ على شهورحياتهِ لاصاب كل شهر منها مؤلف جليل النفع جميل الاثر

عمل ساردو على انهاض فن التمثيل في النصف الاخير من القرن الماضي وكانت المراسح فقيرة برواياتها والروايات قليلة الحيل الروائية ٠ حقيرة المواضيع ٠ فانشأ لاهل باريس نيفاً وثمانين رواية طبقت شهرة بعضها الآفاق كفيودورا وتوسكا ومدام سان جين وجسموندا ولاسورسيار فحملتها ساره برنار في صدرها وعلى لسانها الى مدن الغرب والشرق الزاهرة تحدث بفضل هذا الرجل على الادب٠ وقد شاهد اهل مصر منذ ايام اثرًا من آثارهِ اظهرتهُ جوقة سارة برنار على مرسح عباس فكأنها احبت ان تخلب عقول سامعيها بيراعهِ الساحر وتحدثهم بشروق شمسهِ قبل ان ادركها الغروب

كان والد ساردو معلماً ريفيًّا قدم باريس في طلب القوت فأنشأ في احد احيائها كتّابًا للتعليم كان يختلف اليهِ بعض اولاد الفقراء فيكسب منهُ ما يسد بهِ جوع ذويهِ ٠ وبينما هو يعالج داء الفقر عام ١٨٣١ رزقهُ الله ولدًا هو صاحب الترجمة فلم يخفف قدومهُ وطأة الاملاق عن ابيهِ ٠ فتقلب في احضان الفقر ثلاثة اعوام اصيب في خلالها بمرض ضاعت حيلة ابيهِ واتعابهُ في معالجتهِ فارسلهُ الى جدهِ وبعد ان اقام في ضيافتهِ اعوامًا طويلة عاد الى اهلهِ فوجدهم على مثل ما كانوا فيهِ ٠ فظل يتدرج في مراتب الفقر وينتقل في مدينة باريس من شارع الى شارع الى ان بلغ الخامسة عشرة من سنيهِ فدخل مدرسة هنري الرابع وخرج منها بعد اربعة اعوام الهتهُ فيها الانبجار عن الاشعار ومقاعد الحدائق عن مقاعد المدرسة ٠ ولما بلغ التاسعة عشرة انصرف الى مكاتب المدينة يطالع كتبها التاريخية بشغف يلتهب كالنار في صدرهِ ٠ فتراوحت آمالهُ بين تعلم الطب والتعليم الذي كان يحضهُ ذووهُ على ولوج بابهِ ٠ الآ انهُ رأى من فقر ابيهِ في احترافهِ ما بغّضهُ بهِ. فولع بدراسة الطب عامًا ثم تركهُ٬ وطفق يطوف في شوارع باريس ومجتمعاتها وانديتها حتى اصبح ثقة بما يرويهِ عنها وعن ثورة عام١٨٤٨ من النوادر والحوادث والاخبار وكان يكسب من الدروس التي يدرسها

والاعمال التي يقوم بها ما ينفقهُ على نفسهِ وحيداً في غرفة ضيقة بعد ان ترك اهلهُ فراراً من التثقيل عليهم بطعامهِ ولباسهِ . ويشتغل بكتابة رواية دعاها (كهف الطلبة) فلما عرضها عام ١٨٥٤ للتمثيل على مرسح الاوديون كان فشلهُ كبيراً . ولولا بقية ابقتها الهمة والثبات في صدرهِ لقضى حبوط روايتهِ على فسحة آمالهِ . فعاود الكرة بعد سنة اعوام على الاشتغال بتأليف الروايات فافلح وكانت رواية (بات ده موش) فاتحة اسعادهِ في سنة الستين بعد ان اشقاهُ القدر ٢٩ عاماً لم تكشف عنهُ فيها غمامة الفقر ولا ابتسم لهُ ثغر الدهر . فواظب منذ ذلك الحين على وضع الروايات التمثيلية والاشتغال بما يعلي شأن الادب المرسحي في وطنهِ الى ان توفاهُ الله . فطرق كل ابواب التأليف وكتب روايات حيليَّة من نوع الفودفيل كرواية (بات ده موش) وروايات محزنة كرواية (نوزنتيم) و(سيرافين) و(المنزل الجديد) وروايات مضحكة انتقادية كرواية (لافاميل بنواتان) فانها اكسبتهُ ٣٠٠ الف فرنك و (فرويونا) وروايات تاريخية كرواية (باتري) و(الحقد) و(ترميدور) التي انتقد فيها اعمال الثورة فمنعت الحكومة تمثيلها اثر ما كتبهُ المسيو كلمنسو رئيس الوزارة الحالية منادياً الحكومة فيها باحترام مبادىء الثورة وقال "ان الثوار والاحرار متضامنون" وقد مزج التاريخ بالهزل في رواية (مدام سان جين) التي اكسبتهُ ٢٠٠ الف فرنك والف روايات قضائية كرواية (فيربول) وانشأ لساره برنار عدة روايات اشتهرت بها اهمها (فيدورا) و (تيودورا) و (توسكا) و (كليوباتره) و (جسموندا) و(لاسورسيار) و (حادثة السم) وعلى الجملة فانهُ لم يدع باباً في التأليف المرسحي الاَّ ولجهُ فشاد بيراعهِ مجداً للمرسح الفرنسوي يدوم على توالي الاعقاب

ولقد ارادت الحكومة الفرنسوية ان تتوّج هذا الرجل الذي عرف الملكية ١٧ عاماً والجمهورية الثانية ثلاثة اعوام والامبراطورية الثانية ١٩ عاماً والجمهورية الثالثة ٣٧ عاماً فعاصر اربع حكومات وشاهد جيلين من الناس وكتب ثمانين رواية فانعمت عليهِ عام ١٩٠٦ بوسام جوقة الشرف من رتبة جران اوفيسيه فاسعدهُ الادب على كسب النشب ونيل الرتب

ومما يؤثر عنهُ حينما امسك الفقر بخناقهِ في صغرهِ انهُ قصد ترك باريس الى العالم الجديد نبرح منزلهُ الى المحطة ماراً بمنزل يهدمهُ البناؤون فسقط حجر منهُ على عامل كان قربهُ فقتلهُ فنظر اليهِ ساردو وقال

"ان لي في باريس املاً لم يأفل نجمهُ وحياة لم تغب شمسها . فوالله لأُقيمن فيها ولأَبلغن مأربي برأس هذا القلم"

ولقد اقام فيها فالف وكتب ونال ما اراد

وخلّفَ في باريس ذكرًا كأنما تداولـــ سمع المرء انمله العشرُ

فصحّ فيهِ قول ابن الوردي

لا تقل قد ذهبت اربابهُ كل من سار على الدرب وصل

هذا ما نشرناهُ في المقطم عن هذا النابغة ونزيد عليهِ انهُ احتفل بدفنهِ في ١٢ نوفمبر فابنهُ المسيو جاستون دو مورج وزير المعارف باسم الحكومة الفرنسوية والمسيو بول هرفيو باسم نقابة المؤلفين الروائيين والمسيو البرفاندل باسم المجمع العلمي الفرنسوي

الوراثة

ناموس الردة او الرجوع الى الاصل

يراد بالردة او الرجوع الى الاصل (reversion) ظهور صفة في الحيوان او النبات كانت في اسلافهِ الاقدمين ثم فقدوها . ويذهب بعض العلماء في سببها ان تلك الصفة كنت في اعقاب الذين كانت تظهر فيهم اولاً الى ان حرّكها محرّك او قوّاها مقوٍ فظهرت ثانيةً في نسلهم . ويذهب غيرهم الى ان ظهورها ثانية لا يستلزم انها كانت كامنة بل قد يكون سبب ظهورها ان الدواعي دعت لها من جديد كما دعت لظهورها في السلف

وقد انتبه الناس الى الردة او الرجوع الى الاصل من قديم الزمان ذكر فلوطرخس المؤرخ ان امرأةً يونانية ولدت طفلاً اسود فاتُّهمت بالزنا وأُتي بها الى المحكمة فادّعت ان احد اسلافها منذ اربعة اعقاب كان حبشيًّا . ومن رأي الاستاذ طمسن مؤلف كتاب الوراثة الذي اشرنا اليهِ في عدد سابق ان دعوى هذه المرأة غير صحيحة ولكن ذكر فلوطرخس لها يدلُّ على تسليم الناس حينئذٍ بناموس الردّة او الرجوع الى الاصل

وكثيرًا ما تولد المهار وعلى اكتافها خطوط سود رجوعًا الى الاصل المتولدة منهُ . ويتولد من النباتات البستانية كالخس والكرنب نباتات تشبه البرية منها رجوعًا الى اصلها

وقد علل بعضهم ذلك بقولهِ ان الدقائق الكثيرة الحاملة للصفات الوراثية قد يكون بينها دقائق قديمة انتقلت من شخص الى آخر وهي ساكنة لا تنمو ولا تظهر فعلها لانهُ لم يتفق لها ما يدعو الى ظهور فعلها ونموها ثم يتفق لها ذلك اما بسبب المزاوجة او بسبب الجهاد

المستتر بين الدقائق او بزوال ما كان مانعاً من ظهورها فيظهر فعلها وتنمو . مثال ذلك ان يكون عند انسان حديقة فيها كثير من النباتات البستانية ثم يهملها فتبور وتختلط بغيرها من المروج التي حولها وبعد زمن يبني حولها سياجاً ويسمدها ويعتني بها فتنمو فيها بزور بعض النباتات البستانية التي كمنت فيها كل مدة تبويرها . ويظهر ذلك في نوع الانسان ايضاً فان الاولاد الذين يولدون في زمن القحط يكونون نحافاً صغار القامة لكن ذلك لا يؤثر في الجراثيم التي تولدوا منها والتي يتولد منها نسلهم فاذا شبوا وعاد الخصب الى بلادهم ولد لهم اولاد مثل اسلافهم

ومن رأي الاستاذ طمسن ان توقُّف النمو بسبب قلة التغذية ثم عوده بكثرتها ليس من قبيل الرجوع الى الاصل وكل ما يوقف النمو ليس في رأيهِ داخلاً ضمن الرجوع الى الاصل مثال ذلك ولادة الولد وشفتهُ العليا مشقوقة كشفة الارنب فانها ليس من قبيل الرجوع الى الاصل بل من قبيل توقف النمو لقلّة التغذية او لسبب آخر لان الشفة العليا تكون مشقوقة في الجنين حين تكوُّن انفهِ ثم يعلو الانف في نموهِ وتنمو الشفة وتلتحم فاذا حدث ما يعيق نموها بقيت مشقوقة . وقد روى الاستاذ هوئن ان اشبالاً ولدت وشفاهها العليا كشفة الارنب وماتت كلها وظهر لدى البحث ان ذلك ناتج من قلّة التغذية لان حفظتها كانوا يطعمون اماتها لحماً لا عظام فيهِ فلما صاروا يطعمونها لحماً بعظمهِ لم تعد تولد بشفاهٍ مشقوقة وصارت تعيش مثل غيرها

فاذا ولد عجل من بقرٍ جماء (اي لا قرون لها) ونبت لهُ قرنان فهذا من قبيل الرجوع الى الاصل لان البقر القرناء هي الاصل والجماء فرع منها ولكن اذا ولد وفي قلبهِ ثلاثة تجاويف بدلاً من اربعة فهذا ليس رجوعاً الى العظايات التي في قلوبها ثلاثة تجاويف فقط بل هو توقف في النمو

الربيبيّة

الربيب في اللغة زوج الام وقد وضعنا الربيبيّة لمعنى لا نظن ان العرب وضعوا لهُ لفظة وهو تشبُّه الولد بزوج امهِ كأن تتزوج بيضاء زنجيًّا ثم تتزوج رجلاً ابيض فيولَد لها اولاد من زوجها الابيض يشبهون زوجها الزنجي . ويقول مربو الخيل ومربو الكلاب ان امثلة ذلك كثيرة عندهم

ذكر دارون انهُ كان عند لورد مورتن فرس عربية علاها حمار الوحش فولدت منهُ فلوّا يشبههُ في شكل رأسهِ والخطوط السوداء على قوائمهِ وكتفيهِ ثم علاها حصان عربي ادهم

فولدت مهرين لونهما الغبرة وفيهما خطوط ظاهرة على قوائمهما بل هي فيهما اظهر منها في حمار الوحش وعرفاها مثل عرف حمار الوحش لا مثل عرف الخيل ثم علاها حصان عربي آخر فولدت منهُ مهرًا ثالثًا فيهِ شيء من صفات حمار الوحش

الَّا ان العالم سنغست انكر ذلك وقال ان الخطوط التي ظهرت في هذه المهار عاديَّة تظهر في المهار عادة وكذلك شعر العرف يكون احيانًا غليظًا واقفًا كشعر الحمر البرية . وذكر سمسن فرسًا ولدت سبعة مهار من حصانين ثم ولدت مهرًا من حصان ثالث وفيهِ خطوط اوضح من الخطوط التي ظهرت في مهار الفرس المذكورة آنفًا ولونهُ اشبه بلون الحمر البرية منهُ بلون تلك المهار. وقال سنغست ان اربعة افراس ولدت بغالاً من الحمير ثم ولدت مهارًا من الخيل وليس فيها شيء من صفات البغال ولا من صفات الحمير

ونقل هربرت سبنسر عن فسيولوجيَّة فلنت ان امرأة بيضاء تزوجت زنجيًا ثم تزوجت رجلاً ابيض فولد لها منهُ اولاد فيهم شيء من مزايا زوجها الزنجي الاول

وذكر كورنڤن ان امرأة تزوجت رجلاً اصم فولد لها منهُ ولد اصم ثم تزوجت رجلاً غير اصم فولدت منهُ ولدًا اصم ايضًا ثم ولدت منهُ اولادًا سمعهم عادي

وذكر داروين ان كلبة جرداء ولدت من كلب اشعر اجراء بعضها اجرد وبعضها اشعر ثم ولدت من كلب اجرد اجراء بعضها اجرد وبعضها اشعر. وذكر غيرهُ قطة عادية ولدت من قط ابتر (لا ذنب لهُ وكل القطط في جزيرة مان ببلاد الانكليز بتراء أي لا اذناب لها) اجراء بعضها ابتر ثم ولدت من قط عادي اجراء بعضها ابتر. وقد علل بعضهم هذه الحوادث كلها بشك في امانة الزوجة الاولى وقال بوجود الميل الى الصمم في الزوجة الثانية وبأن في دم الكلاب والقطط شيء من اصل الزوج الذي ماثلتهُ اجراؤها. الَّا ان الحوادث التي من هذا القبيل كثيرة جدًّا ولا نرى سببًا طبيعيًا يمنع البيوض التي لم تبلغ من ان تتأثر باللقاح ولو قليلاً حينما تتأثر البيوض البالغة منهُ . ففي بعض الحشرات يؤثر اللقاح في جراثيم البيوض التي في البيوض فتولد الانثى ملقحة حتى تستطيع ان تلد من غير مزاوجة مثال ذلك ان الحشرات الصغيرة التي تسمى من الشجر تتزاوج وتلد واولادها يلدن من غير مزاوجة فوجًا بعد فوج لانها تكون كلها اناثًا واخيرًا تلد ذكورًا واناثًا فتتزاوج ثانية . فاذا كان اللقاح يؤثر في جراثيم البيوض التي في باطن الاجنة والاجنة لا تزال بيوضًا فلا عجب اذا اثر في البيوض التي حولها

ثم ان اللقاح يبقى في انثى الخفاش بضعة اشهر قبل ان يتولد فيها البيض فان الخفافيش

تتزاوج في الخريف وتنام في الشتاء وبتولد البيض فيها في الربيع وحينئذٍ يفعل بهِ اللقاح فلا عجب اذا بقي اللقاح في اناث غيرها من الحيوانات مدة قبلما يبطل فعلهُ . وكذلك يبقى اللقاح في انثى النحل ثلاث سنوات . وذكر السرجون لبك (لورد افبري) ان نملة لقحت ثم مرَّ عليها ثلاث عشرة سنة لم ترَ فيها ذكرًا وبقيت كل هذه المدة تبيض بيضاً ملقحاً . وقد سلم الاستاذ وسمن بامكان ذلك في الحيوانات الدنيا ولكنهُ لم يسلم بامكانهِ في الحيوانات العليا قال ولو امكن حدوثهُ في الحيوانات العليا لاستطاعت اناث الحيوانات العليا ان تلد من غير مزاوجة ولا دليل على ان ذلك حدث ولو مرةً في الدهر . ومن رأْي كلود برنار الفسيولوجي ان اللقاح الذي يلقح البيضة البالغة يؤثر بعض التأْثير في البيوض غير البالغة فيبقى اثرهُ فيها كما قلنا سابقًا وهذا هو رأْي رومانس ايضاً

وذهب غيرهما الى ان اللقاح يؤَثر في الام نفسها . ورجَّح الاستاذ طمسن مذهب القائلين ان الجنين نفسهُ يؤَثر في امهِ فينقل اليها شيئًا مما تولَّدفيهِ من ابيهِ وهذا رأْي السر وليم ترنر وكثيرين غيرهِ من علماء الفسيولوجيا لكن داروِن استبعد هذا الرأْي جدًّا

واعترض الاستاذ كارل بيرصن على تأْثير الجنين في الام وتأْثير اللقاح في البيوض غير الناضجة بانهُ اذا كان ذلك صحيحاً وجب ان تزيد مشابهة الاولاد للاب كلما كثر عددهم اي ان تكون المشابهة بين الولد الخامس مثلاً وابيهِ اكثر من المشابهة بين الولد الاول وابيهِ ولا دليل على وجود ذلك من جهة القامة . وعندنا على ذلك ان ما يأْخذهُ الجنين من كل من والديهِ يختلف كثيرًا باختلاف احوال كثيرة من حيث التغذية والنمو فان درجات نمو البيضة مختلفة بحسب عمرها وكذلك قوة اللقاح تختلف بحسب عمرهِ قبل افرازهِ ويظهر لنا ان مشابهة الجنين لابيهِ او لامهِ تزيد او تنقص بحسب نمو اللقاح والبيضة وهذا هو سبب مجيء الجنين ذكرًا او انثى فاذا كانت جرثومة اللقاح بالغة اكثر من البيضة جاء الجنين ذكرًا اي جاءت فيهِ خصائص ابيهِ متغلبة على خصائص امهِ واذا كانت البيضة بالغة اكثر من اللقاح جاء الجنين انثى اي جاءت فيهِ خصائص امهِ متغلبة على خصائص ابيهِ فاعتراض الاستاذ بيرصن غير وجيه وذلك يبقى تعليل القائلين بتأْثير اللقاح في البيوض غير البالغة وجيهاً الى ان ترد ادلة تنقضهُ او تثبت ما يخالفهُ

دولة آل عثمان

٢

ذكرنا في الجزء الماضي طرفاً من وصف بلاد السلطان محمد اوزبك خان ومجالسهِ نقلاً عن رحلة ابن بطوطة وقد رأينا الآن ان نتم الوصف لما فيهِ من الفكاهة والفائدة قبل العود الى الكلام على سلاطين آل عثمان اظهارًا لحال البلاد في ايامهم

قال في وصف ابنة السلطان " توجهنا الى هذه الخاتون بنت الملك وهي في محلة منفردة على نحو ستة اميال من محلّة والدها فامرت باحضار الفقهاء والقضاة والسيد الشريف ابن عبد الحميد وجماعة الطلبة والمشايخ والفقراء وحضر زوجها الامير عيسى الذي بنتهُ زوجة السلطان فقعد معها على فراش واحد وهو معتلٌّ بالنقرس وهذه العلّة فاشية في هؤلاء الاتراك ورأينا من هذه الخاتون بنت السلطان من المكارم وحسن الاخلاق ما لم نرَهُ من سواها واجزلت الاحسان وافضلت جزاها الله خيرًا "

وزار بلاد البلغار في شهر رمضان لتحقيق مسألة علميَّة وهي قصر النهار فيها ثم عاد الى محلة السلطان اوزبك وحضر صلاة العيد وصادف يوم العيد يوم الجمعة قال " ولما كان صباح يوم العيد ركب السلطان في عساكرهِ العظيمة وركبت كل خاتون عربتها ومعها عساكرها وركبت بنت السلطان والتاج على رأسها اذ هي الملكة على الحقيقة ورثت الملك من امها وركب اولاد السلطان كل واحد في عسكرهِ وكان قد قدم لحضور العيد قاضي القضاة شهاب الدين السايلي ومعهُ جماعة من الفقهاء والمشايخ فركبوا وركب القاضي حمزة والامام بدر الدين القوامي والشريف ابن عبد الحميد . وكان ركوب هؤلاء الفقهاء مع تين بك ولي عهد السلطان ومعهم الاطبال والاعلام فصلى بهم القاضي شهاب الدين وخطب احسن خطبة وركب السلطان وانتهى الى برج خشب يسمَّى عندهم الكشك فجلس فيهِ ومعهُ خواتينهُ ونصب برج ثانٍ دونهُ فجلس فيهِ ولي عهدهِ وابنتهُ صاحبة التاج ونصب برجان دونهما عن يمينهِ وشمالهِ فيهما ابناء السلطان واقاربهُ ونصبت الكراسي للامراء وابناء الملوك "

واسهب في وصف مجالسهم وموائدهم وقال انهم يأكلون لحم الخيل ولحم الغنم ويشربون نبيذ العسل وهم حنفية المذهب يحللون شرب النبيذ . ثم وصف ذهابهُ مع الخاتون بيلون الى ابيها ملك القسطنطينية وسماهُ تكفور وهذا خطأ لان الملك الذي كان مالكاً حينئذٍ هو

اندرونيكس الثالث الذي جلس على سرير الملك من سنة ١٣٢٨ الى سنة ١٣٤١ ومهما يكن من سبب هذا الخطإ فوصفهُ للقسطنطينيَّة واهلها في ذلك العصر لا يخلو من فائدة تاريخيَّة ولذلك اقتطفنا منهُ ما يلي قال

سافرنا في العاشر من شوال (سنة ١٣٣٢ للميلاد او سنة ٧٣٣ للهجرة) في صحبة الخاتون بيلون وتحت حرمتها ورحل السلطان في تشييعها مرحلة ورجع هو والملكة وولي عهده وسافر سائر الخواتين في صحبتها مرحلة ثانية ثم رجعن وسافر صحبتها الامير بيدرة في خمسة آلاف من عسكره . وكان عسكر الخاتون نحو خمسماية فارس منهم خدامها من المماليك والروم نحو مئتين والباقون من الترك وكان معها من الجواري نحو مئتين اكثرهنَّ روميات وكان لها من العربات نحو اربعمائة عربة ونحو الفي فرس لجرها وللركوب ونحو ثلاثمائة من البقر ومئتين من الجمال لجرها . وكان معها من الفتيان الروميين عشرة ومن الهنديين مثلهم وقائدهم الاكبر يسمَّى بسنبل الهندي وقائد الروميين يسمَّى بميخائيل ويقول لهُ الاتراك لؤلوءا وهو من الشجعان الكبار

واسهب في وصف ما لقوا في طريقهم من الحفاوة والاكرام الى ان صاروا على عشرة اميال من القسطنطينيَّة قال فلما كان الغد خرج اهلها من رجال ونساء وصبيان ركباناً ومشاة في احسن زي واجمل لباس وضربت عند الصبح الاطبال والابواق والانفار وركبت العساكر وخرج السلطان وزوجتهُ ام هذه الخاتون وارباب الدولة والخواص وعلى رأس الملك رواق يحملهُ جملة من الفرسان ورجال بايديهم عصي طوال في اعلى كل عصا شبه كرة من جلد يرفعون بها الرواق وفي وسط الرواق مثل القبة يرفعها الفرسان بالعصي ولما اقبل السلطان اختلطت العساكر وكثر العجاج ولم اقدر على الدخول وكان دخولنا عند الزوال او بعدهُ الى القسطنطينية العظمى

ثم وصف مثولهُ بين يدي سلطان القسطنطينية فقال ان اسمهُ تكفور (بفتح التاء المثناة وسكون الكاف وضم الفاء وواو وراء) ابن السلطان جرجيس وابوهُ السلطان جرجيس بقيد الحياة لكنهُ تزهد وترهب وانقطع للعبادة في الكنائس وترك الملك لولده وسنذكرهُ وفي اليوم الرابع من وصولنا الى القسطنطينيَّة بعثت اليَّ الخاتون الفتى سنبل الهندي فاخذ بيدي وادخلني الى القصر فجزنا اربعة ابواب في كل باب سقائف بها رجال واسلحتهم وقائدهم على دكانة مفروشة فلما وصلنا الى الباب الخامس تركني الفتى سنبل ودخل ثم أتى ومعهُ اربعة فتيان من الروميين ففتشوني لئلا يكون معي سكين وقال لي القائد تلك

عادة لهم لا بد من تفتيش كل من يدخل على الملك من خاص او عام غريب او بلدي وكذلك الفعل بارض الهند ثم لما فتشوني قام الموكل بالباب فاخذ بيدي وفتح الباب واحاط بي اربعة من الرجال أمسك اثنان بكمي واثنان من ورائي فدخلوا بي الى مشور كبير حيطانهُ بالفسيفساء قد نقش فيها صور المخلوقات من الحيوانات والجماد وفي وسطهِ ساقية ماء ومن جهتيها الاشجار والناس واقفون يمينًا و يسارًا سكوتًا لا يتكلم احد منهم وفي وسط المشور ثلاثة رجال وقوف أسلمني اولئك الاربعة اليهم فامسكوا بثيابي كما فعل الآخرون واشار اليهم رجل فتقدموا بي وكان احدهم يهوديًا فقال لي بالعربي لا تخف فكذا عادتهم ان يفعلوا بالوارد وانا الترجمان واصلي من بلاد الشام فسألتهُ كيف اسلم فقال قل السلام عليكم. ثم وصلت الى قبة عظيمة والسلطان على سريرهِ وزوجتهُ ام هذه الخاتون بين يديهِ واسفل السرير الخاتون واخوتها وعن يمينهِ ستة رجال وعن يسارهِ اربعة وكلهم بالسلاح فاشار اليَّ قبل السلام والوصول اليهِ بالجلوس هنيهة ليسكن روعي ففعلت ذلك ثم وصلت اليهِ فسلمت عليهِ واشار اليَّ ان اجلس فلم افعل وسألني عن بيت المقدس وعن الصخرة المقدسة وعن القمامة وعن مهد عيسى وعن بيت لحم وعن مدينة الخليل عليهِ السلام ثم عن دمشق ومصر والعراق وبلاد الروم فاجبتهُ عن ذلك كلهِ واليهودي يترجم بيني وبينهُ فاعجبهُ كلامي وقال لاولادهِ اكرموا هذا الرجل وامنوهُ ثم خلع عليَّ خلعة وامر لي بفرس مسرج ملجم ومظلة مثل التي يجعلها الملك فوق رأسهِ وهي علامة الامان وطلبت منهُ ان يعين من يركب معي بالمدينة في كل يوم حتى اشاهد عجائبها وغرائبها واذكرها في بلادي فعين لي ذلك. ومن العوائد عندهم ان الذي يلبس خلعة الملك ويركب فرسهُ يطاف بهِ في أسواق المدينة بالابواق والانفار والاطبال ليراهُ الناس واكثر ما يفعل ذلك بالاتراك الذين يأتون من بلاد السلطان أوزبك لئلا يؤذون فطافوا بي في الاسواق

و بعد ان وصف القسطنطينية وكنيسة ايا صوفيا ذكر لقاءهُ لابي الملك فقال

وهذا الملك ولَّى الملك لابنهِ وانقطع للعبادة وبنى مانستارًا (ديرًا) خارج المدينة على ساحلها وكنت يومًا مع الرومي المعين للركوب معي فاذا بهذا الملك ماشيًا على قدميهِ وعليهِ المسوح وعلى رأسهِ قلنسوة لبد ولهُ لحية بيضاء طويلة ووجههُ حسن عليهِ اثر العبادة وخلفهُ وامامهُ جماعة من الرهبان وبيدهِ عكاز وفي عنقهِ سبحة فلما رآهُ الرومي نزل وقال لي انزل فهذا والد الملك فلما سلم عليهِ الرومي سألهُ عني ثم وقف و بعث اليَّ فجئت اليهِ فاخذ بيدي وقال لذلك الرومي وكان يعرف اللسان العربي قل لهذا السراكنو يعني المسلم انا اصافح اليد التي دخلت

بيت المقدس والرجل التي مشت داخل الصخرة والكنيسة العظمى التي تُسمى قمامة وبيت لحم وجعل يدهُ على قدمي ومسح بها وجههُ تعجبت من اعتقادهم فيمن دخل تلك المواضع من غير ملتهم ثم اخذ بيدي ومشيت معهُ فسألني عن بيت المقدس ومن فيهِ من النصارى واطال السؤال ودخلت معهُ الى حرم الكنيسة الذي وصفناهُ آنفاً ولما قارب الباب الاعظم خرجت جماعة من القسيسين والرهبان للسلام عليهِ وهو من كبارهم في الرهبانيَّة ولما رآهم ارسل يدي فقلت لهُ اريد الدخول معك الى الكنيسة فقال للترجمان قل لهُ لا بد لداخلها من السجود للصليب الاعظم فان هذا مما سنتهُ الاوائل ولا يمكن خلافهُ فتركتهُ ودخل وحدهُ ولم ارهُ بعدها

فهذه صورة مجملة لحال بلاد الروم لما ابتدأت دولة آل عثمان ولاختلاط الترك بالروم فيها ولاحترام الجميع من كان يأتيهم من العرب فيولونهُ الامامة والقضاء ويتبركون بهِ

ولما توفي السلطان أُرخان خلفهُ ابنهُ الصغير السلطان مراد الاول وعبر الدردنيل سنة ١٣٦٠ واستولى على مدينة ادرنه في السنة التالية وكانت الثانية في مملكة الروم ثم نقل اليها سرير الملك بعد ان تغلَّب على السرب والمجر والفلاخ وبقيت عاصمة آل عثمان من سنة ١٣٦٦ الى سنة ١٤٥٣ . ووالى قائدا جنودهِ لالاشاهين واورينوس الزحف في وادي نهر مارتزا فدوَّخا البلاد وفتحا المدن والقلاع وغنما منها غنائم وافرة . واستولى لالاشاهين على مدينة فيلبي سنة ١٣٦٣ وكانت في يد البلغار منذ سنة ١٣٤٤ فحصنها السلطان مراد وجعلها قاعدة غزواتهِ

ولم تستطع تلك الممالك الصغيرة ان تتحد على العثمانيين وتمنع تقدمهم في بلادها ولا كان عندها جيش عامل منظم تعتمد عليهِ وكان الخلاف قد استحكم بين الامبراطور يوحنا السادس امبراطور القسطنطينيَّة وابنهِ اندرونيكس فمضى الى مدينة افنيون بفرنسا (وكانت كرسي الباباوات من سنة ١٣٠٩ الى سنة ١٣٧٧) لعلَّهُ يقنع البابا باثارة الامم النصرانية لمقاومة سيل العثمانيين الجارف وعاد معهُ البابا اربانوس الخامس الى رومية حيث التقيا بالامبراطور كارلس الرابع وملكة نابلي وملك قبرس وبطرس الاول صاحب لوزنيان وكانوا ينتظرون قدوم اسطفانوس ملك البوسنه . ولكن سعي الامبراطور يوحنا لم يجدهِ نفعاً وكان شأنهُ قد انحط الى درجة ان تجار البندقية الذين قرضوهُ الاموال لنفقة سفرهِ الى افنيون قبضوا عليهِ وهو راجع وحبسوهُ في البندقية الى ان يوفي ما عليهِ ولم يشأ ابنهُ اندرونيكس ان يوفي عنهُ هذا الدين لانهُ لجأ الى البابا وانضم الى الكنيسة الرومانية واخيرًا اوفى الدين

عنهُ ابنهُ الثاني مانوئيل . فلما عاد الى القسطنطينية حرم ابنهُ اندرونيكس من الملك بعدهُ فمضى وانضم الى صاووجي بن السلطان مراد وكان هذا ايضاً خارجاً على ابيهِ وقبض السلطان مراد على الاثنين فقتل ابنهُ وسمل عيني اندرونيكس لكن اندرونيكس لم يكفَّ عن مناوأة ابيهِ فلجأ الى اهالي جنوى وبمساعدتهم استولى على القسطنطينية وخلع اباهُ وحبسهُ وجلس مكانهُ باسم اندرونيكس الرابع وذلك سنة ١٣٧٦ . وافلت الامبراطور يوحنا من سجن ابنهِ ولجأ الى السلطان مراد فردَّهُ الى عاصمتهِ ثم تصالح مع ابنهِ بعد سنتين لكنهُ خلعهُ من ولاية العهد واعطاها لابنهِ الثاني منوئيل اي ان مملكة الروم كانت حينئذٍ على حافة الخراب وليس عند امبراطورها مال يفي بنفقات سفرهِ الى فرنسا فيستدين من تجار البندقية ثم يحبس في الدين . واذا هرب من ابنهِ لجأ الى سلطان العثمانيين . وكل ما قالهُ ابن بطوطة عن عظمتهِ مبالَغ فيهِ جدًّا

وتقدم السلطان مراد في غزواتهِ غرباً الى مضائق البلقان ثم دار جنوباً الى تساليا ووصل الى ترموبيلي واستعان بهِ روجر حاكم اتيكا على صاحب اثينا فوجه جنودهُ الى طيبة عاصمة اثينا فخاف منهُ امراءُ البلاد المجاورة . وامر البابا اربانوس اهالي البندقية وكل الاساقفة والمطارنة ان يستعدوا لطوارق الحدثان وانهض همة ملوك المجر والسرب والبوسنه والفلاخ لمقاومة العثمانيين فجمعوا رجالهم وزحفوا الى ان صاروا على يومين من ادرنه لكن العثمانيين بيتوهم ليلة السادس والعشرين من سبتمبر سنة ١٣٧١ ومزقوا شملهم ولا يزال ذلك المكان مسمًّى بما معناهُ انحدار السرب وهذه اول واقعة حارب فيها المجر العثمانيين

وعقب ذلك سنةٌ خمدت فيها نيران الحرب حتى تمكن السلطان المراد من مواصلة فتوحه في اسيا وزوّج ابنهُ بيازيد بابنة يعقوب خان صاحب قرمان وكان في صداقها مدينة كوتاهيه وغيرها من بلاد السلاجقة . وبعد ذلك وصلت جنودهُ الى حدود بلاد الارناؤوط واستولت على مونستير واستب ووصلت من جهة اخرى الى صوفية وحاصرتها وفتحتها وذلك سنة ١٣٨٣ وهي مفتاح البلغار ومكدونية وتراقية

واخيرًا اجتمع على السلطان مراد السرب والبوسنه والفلاخ والبلغار الذين نجوا بعد خراب بلادهم وكثيرون من الارناؤوط والتقى بهِ احد جنود السرب وهو في ساحة القتال وطعنهُ بخنجر طعنة كانت القاضية وكان ذلك سنة ١٣٨٩ لكن رجالهُ قبضوا على ملك السرب وكثيرين من فرسانهِ وذبحوهم فوقهُ انتقاماً لهُ منهم وخلفهُ ابنهُ السلطان بيازيد فدفنهُ في جامعهِ الذي بناهُ في برصى وقتل اخاهُ يعقوب لكي لا ينازعهُ في الملك

باب الزراعة

انقلاب عظيم في الزراعة

أطلعنا احد النابغين في هذه العاصمة على اكتشاف يقلب نظام الري في هذا القطر قلباً ويصرف رجال الري عن الاعمال التي ينوون عملها في اعالي السودان ويوفّر على القطر المصري ملايين كثيرة من الجنيهات

وهذا الاكتشاف هو ان مياه السواقي (النواعير) التي عمقها من مترين الى عشرة امتار تحتوي من المواد المغذية للنبات اكثر مما تحتويهِ مياه النيل في زمن الفيضان واكثر كثيراً مما تحتويهِ مياه النيل في غير وقت الفيضان ومياه الآبار الارتوازية. بل هذه الاخيرة لا تحتوي شيئاً من المواد المغذية للنبات . ولما حلل علماء الكيمياء في اوربا مياه السواقي المصرية التي بعث بها اليهم عجبوا من مقدار ما فيها من المواد المغذية وقالوا انها اجود مياه رأوها للري وقد ثبت ذلك لدى كبار رجال الري في هذا القطر حتى لم تبقَ شبهة فيهِ

والظاهر ان الفلاحين يعلمون ان مياه السواقي تفيد الزراعة جدًّا حتى لو كانت الارض رملاً قاحلاً فان الماء المستخرج عن عمق بضعة امتار يحييها ويجعل المزروعات تجود فيها . ولكن السانية الواحدة لا تروي الأ خمسة افدنة الى عشرة فلا يمكن حفر السواقي الكافية لالف فدان الأ بنفقة كبيرة جدًّا ولا يمكن الري منها الأ بنفقة اكبر. اما الرجل الذي انتبه لهذا الامر والفت اليهِ انظار مصلحة الري فاستنبط اسلوباً لاستخراج الماء الغزير بنفقة قليلة وهو مهتمٌّ الآن بامتحان هذا الاسلوب

والظاهر ان احد العلماء انتبه لذلك في بلاد الهند فقد رأينا في تقرير رسمي من بلاد الهند صدر في اوائل هذا العام ان مياه الآبار او السواقي كثيرة المواد التي يغتذي بها النبات . وقال غيرهُ ان النبات لا يغتذي من التراب بل من الهواء والمواد الذائبة في الماء وما التراب سوى منزل لهُ ينبت فيهِ لكي يغتذي من الهواء الذي فوقهُ والهواء والماء اللذين يتخللان التراب

فاذا اثبت الامتحان صحة ما انتبه لهُ المكتشف لم تبقَ صعوبة في ري كل الاطيان البور التي في القطر المصري وكل الرمال المنتشرة حولهُ ولو كانت اعلى من ماء النيل فانها

لا تخلو من الماء العذب تحتها واذا وُجد ماءٌ الى عمق عشرة امتار فانهُ يسهل رفعهُ منها وارواؤُها بهِ بنفقة قليلة وقد لا يزيد ري الفدان الواحد على نصف جنيه في السنة

نعم اذا اثبت الامتحان صحة ما اكتشفهُ هذا الرجل وحققهُ بالبحث الكثير فهو يستحق ان تعطيهُ الحكومة المصرية مئة الف جنيه او تهبهُ عشرة آلاف فدان من اطيانها البور لكي يمتحن اسلوبهُ فيها ويمتلكها اذا ثبت لها نجاحهُ

وقد ارانا من المحارارات الرسمية التي معهُ ان بعض رجال الحكومة مهتمٌّ باكتشافهِ هذا فعليهم ان لا يقفوا عند حد الاهتمام والكتابة بل عليهم ان يدخلوا في الموضوع ويساعدوهُ على التجارب الكبيرة لان هذا الاكتشاف هامٌّ جدًّا واذا صحَّ فقيمتهُ للقطر المصري انقدر بملايين الجنيهات

خصب بلاد الشام

كنا نعجب بالامس بما بلغهُ محصول بعض الاطيان الخصيبة من الذرة الشامية فان متوسط محصول الفدان منها بلغ نحو ثلاثة عشر اردبًّا اونحو خمسين ضعف التقاوي التي زُرعت فيهِ لانهُ يزرع في الفدان عادة نحو ربع اردب وقد بلغ محصول بعض الافدنة ١٥ اردبًّا اي زاد محصولها على التقاوي ستين ضعفاً . فاخبرنا احد الذين سمعوا ذلك انهُ وجد بالاختبار ان فدان الارض حوالي الحولة في بلاد الشام يغل مئة ضعف فاذا زرعت اردبًّا من التقاوي بلغت غلتهُ مئة اردب عدا ما تأكلهُ منهُ السابلة وما يؤكل اخضر وانهُ يكون في العود الواحد ثلاث سنابل (اكواز) او اربع او اكثر وذلك ليس نادرًا اي ان محصول الفدان المصري يبلغ ٢٥ اردبًّا . والظاهر ان سبب هذا الخصب الكثير ان التراب في بلاد الشام كثير المواد الآلية وكذلك ماء الانهار والسواقي . وليس في الارض املاح تضرُّ النبات على الاطلاق وهي لتحدُّرها تستغني عن المصارف فتبقى جافَّة خالية من العفونة ولا تحتاج لاتساع الزراعة فيها الاَّ تأمين الناس على مزروعاتهم وممتلكاتهم واخذ الاموال الاميريَّة منهم بالعدل والتؤَدة وعمل الاعمال اللازمة لاتساع نطاق الري الصيفي

تعاقب المزروعات

مهما اطنبنا في وصف الزراعة والحث على اتقانها لا نوفيها حقها لانها اكبر مورد من موارد الرزق بل هي في هذا القطر المورد الوحيد لهُ . ولها اركان كثيرة كالحرث والري والسماد

ومن اكبر اركانها تعاقب المزروعات لانهُ اذا تكررت الزراعة الواحدة على ارض واحدة سنة بعد سنة ضعفت تلك الارض ولم تعد تلك الزراعة تجود فيها كأَنها تفقرها في بعض المواد التي تغتذي منها او تفرز فيها مواد تضرها او يحدث فيها الامران كلاهما فلا تعود تلك الزراعة تجود فيها الاَّ اذا تُركت بغير زراعة او زرعت زراعة اخرى مدة سنة اوسنتين او سُمّدت بسماد كثير الغذاء

وقد انتبه الناس الى فائدة تعاقب المزروعات من عهد قديم جدًّا فقد ذكر زنوفون القائد والمؤَرخ اليوناني الذي نشأ بين سنة ٤٣٠ و٣٥٤ قبل المسيح ان الارض كانت تزرع سنة قمحاً وتبوَر سنة بعدها ثم تزرع قمحاً وهكذا حتى يجود القمح فيها . والظاهر ان الروم كانوا يفعلون مثل ذلك فقد جاء في كتاب الفلاحة الرومية الذي تُرجمَ الى العربيَّة سرجس بن هليا الرومي نقلاً عن ديمقراطس انهُ كان لهُ ثلاث بقع طيبات فكان يزرع كل واحدة منهنَّ عاماً ويتركها عامين . ثم اهتدى الناس الى المعاقبة بين المزروعات فقد ذكر الكتَّاب الرومانيون ان الناس في عهدهم كانوا يعاقبون بين القمح والقطاني فيزرعون الارض سنة قطاني كالفول وسنة قمحاً . ولم يكن يعلم سبب ذلك اما الآن فثبت ان زرع القطاني يفيد الارض لانها تستمد النيتروجين من الهواء وتذخرهُ في جذورها التي تبقى في الارض

ولا يخفى ان انواع المزروعات التي يجب المبادلة بينها تختلف باختلاف البلاد والاقاليم والارض ونفقات الزراعة والمراد منها . فالقاعدة التي توضع لفرنسا لا يصح وضعها للقطر المصري والتي تصح للوجه البحري من هذا القطر لا تصح للوجه القبلي بل التي تصح في المديرية الواحدة قد لا تصحُّ في المديرية الاخرى او التي تصح في هذه الارض قد لا تصح في ارض تجاورها لانهُ ينظر في الزراعة الى امور كثيرة كالاقليم ونوع التربة وسهولة الري ورواج المحصول وكثرة الانفار وما اشبه . وقد وضع بعضهم ترتيباً جرى عليهِ في بعض اطيان الغربيَّة وهو هذا لنفرض ان فلاَّحاً استأجر ثلاثة افدنة واراد ان يزرعها من باب الثلث فتقسم هكذا

	الفدان الاول	الفدان الثاني	الفدان الثالث
السنة الاولى	برسيم وبعدهُ قطن	قمح وبعدهُ برسيم	برسيم وبعدهُ ذرة
السنة الثانية	برسيم وبعدهُ ذرة	برسيم وبعدهُ قطن	قمح وبعدهُ برسيم
السنة الثالثة	قمح وبعدهُ برسيم	برسيم وبعدهُ ذرة	برسيم وبعدهُ قطن

اي ان المزروعات تتعاقب هكذا قطن ذرة قمح قطن ذرة قمح الخ ويفصل البرسيم بينها كلها

ومعلوم ان هذا الترتيب لا يصلح في اراضي الصعيد التي لا تزرع زراعة صيفيَّة ولا في الاراضي المالحة التي يراد زرع الرز فيها مرةً كل سنتين او ثلاث

وقد اهتمَّ علماء الزراعة في اوربا بالبحث عن المزروعات المختلفة وما تستمدُّهُ من الارض وما تبقيهِ فيها ليضعوا لتعاقب المزروعات قاعدة علميَّة غير قاعدة الاختبار فوجدوا اموراً كثيرة نذكر بعضها في ما يلي

(١) ان البرسيم وما اشبه من المزروعات تزيد المواد المغذية في الارض وجذورها الطويلة واوراقها التي تبلى في الارض اذا قلبت وهي فيها تجعل في الارض مداخل يتخللها الهواء ويساعد على نمو الميكروبات المفيدة للزراعة فيها وعلى حفظ الرطوبة اللازمة حول الجذور

(٢) زرعت ارض قطاني خمسين سنة متوالية ثم زرعت قمحاً خمس سنوات متوالية فكان متوسط محصول الفدان منها ٢٥ بشلاً (نحو خمسة ارادب) اما الارض التي كانت تزرع سنة وتبوَّر سنة مدة خمسين سنة فبلغ محصول الفدان منها بعد خمسين سنة نحو اردب ونصف لا غير والارضان من نوع واحد

(٣) ان بعض المزروعات تساعد على ظهور الحشرات وكثرتها فيجب الانتباه لذلك والعدول عن زرعها استئصالاً للحشرات اما في القطر المصري فالاعتماد في مقاومة الحشرات على الاحداث الجوية . ظهر الدود في البرسيم في شهر اكتوبر الماضي وما توسط نوفمبر حتى كاد يتلفهُ كلهُ واضطرَّ اصحاب المواشي ان يفتشوا عن علف آخر لها والاَّ ماتت جوعاً فبلغ ثمن حمل التبن مئة واربعين غرشاً وهو لا يباع عادة في مثل هذا الوقت باكثر من ستين او سبعين غرشاً . ثم اشتدَّ البرد بغتة في اواسط نوفمبر فامات الدود كلهُ وعاد البرسيم الى النمو . ولو اجتمعت قوات القطر المصري كلها لعجزت على اهلاك الدود فاهلكهُ البرد في يومين او ثلاثة

(٤) ان مقدار الماء اللازم لري المزروعات يختلف باختلافها فيجب ان تتعاقب على صورة يصير بها الماء الذي يمكن الحصول عليهِ كافياً لها

(٥) ظهر من التجارب في رثأمستد ببلاد الانكليز ان متوسط محصول الفدان من القمح في ارض زُرع القمح فيها ستين سنة متوالية من غير سماد نحو اردبين ونصف اردب ومتوسطهُ في ارض مثلها مع التعاقب خمسة ارادب . وزرع القمح والشعير والبرسيم والفول والجذور في ارض بالتعاقب من غير سماد مدة ٣٩ سنة اي زرع القمح فيها ١٣ سنة والشعير ١٣ سنة وبقية المزروعات ١٣ سنة بالتعاقب فكان ثمن محصول القمح ٥٠٢٥ غرشاً وثمن محصول الشعير ٣٣٣٠ غرشاً وثمن محصول البرسيم والفول والجذور ٣٣٤٠ غرشاً والجملة ١١٦٥٥

غرشاً اي كان المتوسط السنوي ٣٠٠ غرش لكل فدان اما الارض التي بقيت تزرع قمحاً فقط ٣٩ سنة متوالية فبلغ ثمن محصولها السنوي ١٩٢ غرشاً عن كل فدان والتي زرعت شعيرًا فقط بلغ ثمن محصولها السنوي ١٦٧ غرشاً عن كل فدان

ويظهر لنا من مراقبة احوال المزروعات في القطر المصري ان اهمية تعاقب المزروعات متوقفة على مياه الري فاذا كانت الاطيان تروى بمياه النيل الصافية او بمياه الآبار الارتوازية فالري الصيفي المتكرر يتعبها لانهُ يبقي فيها املاحاً كثيرة كانت في الماء وهذا سبب تعبها من تكرار زرع القطن فيها ولكن اذا رويت بمياه السواقي او بمياه مجلبة من طبقات الارض العليا فالري الصيفي لا يبقي فيها املاحاً كثيرة فاننا رأينا اطياناً زرعت قطناً سنوات كثيرة متوالية ولا يزال القطن يجود فيها جودة تفوق الحد حتى يقل لوزهُ لكثرة نموهِ وهي تروى من النيل نفسهِ وقت الفيضان ومن مكان عميق فيهِ تجلب اليهِ المياه وقت التحاريق كأنها تروى حينئذٍ من ساقية (ناعورة) فاذا ثبت هذا الامر وثبت ان مياه السواقي لا تتعب الارض ولو زرعت قطناً سنة بعد سنة انحل مشكل من اكبر المشاكل وهو كيف توسّع زراعة القطن في هذا القطر ويبقى ماء الري كافياً لهُ وتبقى الاطيان على جودتها

المزروعات والميكروبات

عود الى النيترو بكتيرين

ابنا في عدد سابق ان الدكتور بوتملي اكتشف الميكروب الذي يساعد نباتات الفصيلة القرنية كالفول والحمص والبرسيم على اخذ النيتروجين من الهواء وتغذيتها بهِ وقد اكتشف هذا الاستاذ الآن ميكروبات اخرى تساعد القمح والشعير وغيرهما من المزروعات وتزيد خصبها . وقابلهُ المستر سند صاحب مجلة المجلاَّت الانكليزية وحادثهُ في هذا الموضوع ونشر خلاصة حديثهِ معهُ في مجلتهِ فرأينا ان نترجمهُ عنها لما فيهِ من الفائدة الكبيرة لكل المشتغلين بالزراعة

المستر ستد — انستطيع ايها الاستاذ ان تذكر لي في جملة واحدة نتيجة امتحانات هذه السنة

الاستاذ بتملي — كلاَّ لانهُ لم يصل اليَّ حتى الآن عشر نتائج هذه الامتحانات

— ولكن ماذا ثبت لك مما وصل اليك حتى الآن منها

— ثبت لي اولاً انهُ اذا كانت الارض مفتقرة الى المواد المغذية وهي مع ذلك صالحة لنمو المزروعات التي من فصيلة القطاني فالنيترو بكتيرين يفعل فيها العجائب فيزيد محصولها

ويبقى فيها غذاء جديداً للموسم التالي . واذا لم تظهر فائدة من استعمال النيترو بكتيريين فيكون ذلك اما لأن الارض غير محتاجة اليهِ لشدّة خصبها او لانهُ لم يستعمل حسب التعليمات المرسلة معهُ ولكن اذا كانت الارض قليلة الخصب واستعمل النيترو بكتيريين حسب التعليمات المعطاة فالفائدة منهُ كبيرة جدًّا

— ما هي افضل الطرق لاستعمالهِ

— تطعيم البذار بهِ اولاً ثم رشهُ على الزرع حالما ينبت . وقد يكفي تطعيم البذار بهِ من غير رشهِ على الزرع ولكن الرش مع التطعيم يحققان النجاح

— هل اكتشفت شيئًا جديدًا بعد ما اكتشفتهُ في العام الماضي

— نعم اكتشفت اكتشافًا اهم من الاكتشاف السابق . فقد تتذكر اني قلت ان الميكروب الذي اكتشفتهُ اولاً لا ينفع كل المزروعات ولكنهُ ينفع القطاني فقط . ثم اكتشفت ميكروبات اخرى ووزعتها للامتحان فاخذ واحد الميكروب الذي يجود بهِ البصل وقسم قطعة من الارض قسمين متساويين وزرعهما بصلاً وعالج بصل القطعة الواحدة بهذا الميكروب ولم يعالج بصل القطعة الثانية فوجد ان محصول القطعة التي عالجها بالميكروب زاد ٣٩ في المئة على محصول القطعة التي لم يعالجها وبصل الاولى اكبر واجود . وعالج آخر الفرولا (الستروبري) بميكروب اكتشفتهُ لهُ فاعطى موسمين والذي لم يعالج اعطى موسمًا واحدًا وهو مزروع الى جانبهِ . وعالج آخر بعض الازهار بميكروب اكتشفتهُ لها فبكَّر زهرها وطالت مدة ازهارها

— هذا اكتشاف بديع جدًّا ولكن الم تجد ميكروبات تفيد الحبوب كالقمح والشعير

— ان الذين جربوا الميكروب الاول في زراعة الحبوب يؤكدون انهُ يفيدها اكثر مما يفيد القطاني ولكنَّ فعلهُ بها يختلف عن فعلهِ بالقطاني فانهُ في القطاني يولّد في جذورها الثآليل التي تتجمع فيها المواد النيتروجينيَّة من الهواء اما في القطاني فيولّد مادة غروية حول جذورها اكثرها من الاميد

— ما هو هذا الاميد

— اننا لا نعلم كيف يستحيل النيتروجين الى ازهار واثمار وبزور ولكننا نعلم انهُ لا بدَّ لهذه من النيتروجين وهي لا تستطيع ان تمتصهُ نقيًّا كما هو في الهواء ولا بدَّ لهُ من ان يستحيل اولاً الى نيترات (اي ملح مركب من النيتروجين والاكسجين ومادة اخرى كالصودا او البوتاسا) والنيترات تستحيل الى اميد والاميد الى بروتيد والبروتيد الى بروتوبلازم .

والفائدة من وضع ميكروباتنا في الارض انها تأخذ النيتروجين من الهواء وتحولهُ الى اميد دفعةً واحدةً من غير حاجة الى استعمال النيترات فهو يغني عن السماد الطبيعي والكيماوي ويحول نيتروجين الهواء الى اميد رأساً فكأنهُ يختصر طريق التغذية

— وهل يفيد الاميد في الحبوب كما تفيد التآليل في القطاني

— يظهر من التجارب في الشعير انهُ يفيد جدًّا فقد بلغ الشعير باكرًا وجاء كثير الحب والتبن واجود من الشعير الذي لم يستعمل لهُ هذا الميكروب

— هل ميكروب القطاني مثل ميكروب الحبوب

— كلاَّ ولكنهما يستعملان على اسلوب واحد

انتهى حديث المستر ستد . وخلاصتهُ ان الاستاذ بتملي اكتشف ميكروبات كثيرة تغني الاراضي الزراعية عن السماد وتفيد المزروعات فائدة كبيرة وهذه الميكروبات تباع الآن في بلاد الانكليز وترسل معها تعليمات لكيفية استعمالها

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٣) زراعة الارز

إنَّما يزرع الارز في شمالي الوجه البحري بين البحيرات التي في اقصاهُ شمالاً وبين خط يقطع الدلتا من الرحمانيَّة على فرع النيل الغربي الى المنصورة على فرعهِ الشرقي

وتسهل في تلك الجهات زراعة الارز التي تستلزم ماء كثيرًا لعدم انخفاض النيل هناك اكثر من متر او متر ونصف في زمن التحاريق

وتروى الارض بواسطة السواقي فيستخدمون ثلاث سواقٍ لكل عشرة افدنة . اما في رشيد حيث الارض كثيرة الانخفاض فيكفي لري العشرة افدنة ساقية واحدة يديرها ثور او ثوران تبعاً لكبرها وصغرها . ويقتضى لتشغيل الساقية الصغيرة اربعة ثيران ولتشغيل الكبيرة ستة ثيران تتبادل عليها يوميًّا . ويستخدم لكل ساقية نفران يتعاقبان على ادارتها والاعتناء ببهائمها

يبتدئ زرع الارز في اوائل شهر ابريل . وتوطئةً لذلك يملأُون قففاً من "التقاوي" ينقعونها في الماء خمسة ايام او ستة حتى تتشرَّب الحبوب منهُ جيدًا فيفرشونها على حصر ويكومونها كوماً صغيرةً يغطونها "بالقش" الى ان تحمى فيبذرونها في الارض وهي بعد

في حالة وحليَّة . ويهيئون الارض للزرع بان يبقوها مغمورة بالماء عدة ايام وبعد ذلك يحرثونها ثلاث دفعات ثم يعيدون ريها ويمهّدون سطحها بجذع من النخل يجرهُ ثوران عرضاً . ثم يسوُّونها بالمحفة وهي بعد في قوام الوحل ويزرعون اردبًّا من " التقاوي " في كل فدان مساحتهُ ٤٠٠ قصبة وذلك مضاعف ما يزرع قمحاً

وبعد القاء البذار بثمانٍ واربعين ساعة يروون الارض الى علوّ نحو خمسة سنتيمترات ويتركون الماء عليها يومين او ثلاثة ثم يصرفونهُ ويعيدون سقيها . بنفس هذه الطريقة التي يكررونها حتى وقت الجني

وفي اواخر شهر يوليو يقتلعون نحو نصف هذه المزروعات ويغرسونهُ في اراضٍ سبق زرعها قمحاً في غير ذلك الفصل . ولهذا السبب يزرعون ضعفين من التقاوي كما ذكرنا

وفي غالب الجهات تكون الاراضي التي ينقلون اليها نبات الارزّ قريبة . غير ان نبات الارزّ الذي يزرع في المنزلة يؤتى بهِ اعتياديًا من فارسكور بقوارب تسير في البحيرة

واجرة غرس الفدان نحو خمسة فرنكات . واجرة القلع والنقل والغرس جميعاً في نواحي رشيد ١٦ فرنكاً لكل فدان

ويستغلون الارزّ في اواسط نوفمبر اي بعد زرعهِ بسبعة اشهر . فيُسقى في اثناء الثلاثة اشهر الاولى بالآلات وبعد ذلك يروى بماء الفيضان

وطريقة حصدهِ ودرسهِ وتذريتهِ لا تختلف عما ذكرناهُ في الكلام عن زراعة الحنطة

ويلزم لدرس محصول الفدان بالنورج عمل ثمانية فعلة واربعة ثيران اربعاً وعشرين ساعة واجرة الفاعل $\frac{1}{32}$ من الاردب ارزًا . ويجني بذار الفدان في جهات دمياط والمنصورة والمنزلة نحو ثمانية عشر ضعفاً . وفي رشيد وسائر انحاء الدلتا نحو ستة عشر ضعفاً

ومما يستحق الذكر ان جني الارزّ قد ينحط الى ستة اضعاف فقط في زمن المحل ويبلغ نحو ٣٢ ضعاً في سنيّ الإقبال

اما " قشّ " الارزّ فيستعمل وقودًا لان شدّة صلابتهِ تحول دون درسهِ ناعماً فلا يصلح علفاً

ويشتري تجار دمياط ورشيد محصول الارزّ من البيادر وهم يقومون بتنظيفهِ وقشرهِ وقصرهِ بآلات معدة لذلك

ومتوسط ثمن اردب الارزّ سبعون فرنكاً غير انهُ يختلف كثيرًا تبعاً للرواج والكساد . ففي مدة احتلال الجيش الفرنساوي للقطر المصري هبط سعر الاردب في رشيد الى ٣٨ فرنكاً

زراعة الفلفل

انشأ المستر برون سكرتير جمعية الزراعة التجارية مقالة في زراعة الفلفل (الفليفلة) قال فيها ان اصل الفلفل من اميركا الجنوبيَّة ولكنهُ يزرع الآن في كل المنطقة الحارَّة . واهالي اوربا يجلبون الفلفل الحار من افريقية والهند واليابان ويضعونهُ مع المخللات وقد تبلغ غلة الفدان في جزائر الهند الغربيَّة ١٩٠٠ اقة من قرون الفلفل اليابس ويبلغ ثمن الاقة غرشين الى ثلاثة غروش ونصف . والذي يزرع منهُ في مصر يسمَّي شطَّة وهو ثلاثة اشكال شكل اصفر وشكلان احمران وزراعتهُ في القطر المصري قليلة جدًّا ويمكن ان تتسع لانهُ يجود فيهِ كثيرًا ولكن الطلب عليهِ قليل محدود فلا ينتظر ان تتسع زراعتهُ كثيرًا . ويباع مسحوق الفلفل الاحمر ليستعمل في الطعام ولكنهُ قلما يكون نقيًّا فلو جففت الشطة وسحقت واضيف الى كل اربع اواقي منها اوقية من الملح الجاف المسخَّن في الفرن لكان من ذلك مسحوق جيد خالٍ من الغش

والفلفل البلدي الذي تصنع منهُ المخللات يباع القنطار منهُ بخمسة عشر غرشًا الى ثلاثين ويبلغ محصول الفدان منهُ نحو اربعين جنيهًا او اكثر . والفلفل الحلو نوع منهُ يؤْكل اخضر في الغالب وتباع المئة منهُ بغرشين ونصف الى اربعة غروش

وزراعة الفلفل سهلة جدًّا يبذر بزرهُ في شهر مارس او قبل ذلك اذا كانت الارض موقية من البرد ولا بدَّ من ان تكون قد حرثت جيدًا ونعم ترابها ثم تنقل النباتات من هذه الترقيدة وتزرع في الارض المعدَّة لها في شهر مايو . واذا كانت الارض خصبة فلا داعي لتسميدها واما اذا كانت ضعيفة فلا بد لها من السماد حين حرثها قبل زرع النبات فيها ويجعل البعد بين كل تلم والذي يليهِ ٩٠ سنتيمترًا اي يجعل في القصبة اربعة خطوط تخطط اولاً بالمحراث ثم تكمل بالفاس وتروى اولاً ثم يزرع النبات فيها باليد اي بالابهام والاصبع التي تليهِ . ويحسن ان تقلع الشجيرات من الترقيدة ومعها شيء من التراب عالق بجذورها وتزرع كذلك ويكون الزرع على جانب واحد من جانبي الخط والبعد بين كل شجيرة والتي تليها نصف متر ثم تروى الخطوط بعد الغرس وتنزع الحشائش منها من وقت الى آخر وتعزق ما دام النبات صغيرًا ومتى كبرت الشجيرات قليلاً تسمَّد بالسباخ البلدي اذا لم تسمد وقت غرسها وتقلب الارض من جانب الخط المقابل حتى تغطي جذورها وبعد نحو ٦٥ يومًا من يوم الغرس يجنى الفلفل ويستمر جناهُ الى آخر نوفمبر وقد يكثر الحمل حتى يكسر

الاغصان فيجب ان تسند بعيدان من الخشب

وقد يترك الفلفل البلدي في الارض ثلاث سنوات او اربع سنوات ولكن زرع الفلفل جديداً كل سنة اربح وكذلك الفلفل الحلو قد يترك سنتين في الارض ويسمَّى عقراً ولكن يصغر ثمرهُ في السنة الثانية غير انهُ يثمر قبل العروس (اي الجديد) فيباع حينما يكون الثمن غالياً ولا بدَّ من انتقاء احسن القرون لاجل التقاوي وتترك على الشجرة حتى تنضج جيداً

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النساء وتمريض المرضى

فُتح في الشهر الماضي مكانان في هذه العاصمة لتعليم النساء او البنات تمريض المرضى والغاية منهما من افضل الغايات لان التمريض لا يقل فائدة عن التطبيب او هو يفوقهُ من بعض الوجوه

ولتعليم البنات صناعة التمريض شأن كبير في اوربا واميركا من وجه معاشي لان البنات يتعاطين الاعمال لتحصيل معاشهنَّ . وهو في اعتقادنا خطأ جرى عليهِ الاوربيون والاميركيون ولا بدَّ من عدولهم عنهُ وقتاً ما ومع ذلك فتعليم صناعة التمريض للبنات من الامور اللازمة لتدبير المنزل ولو لم يكن لازماً لتحصيل المعيشة . فان المرأة خلقت لتكون زوجةً ووالدةً ومربية لاولادها ومدبرة لبيتها وذلك افضل لصحتها وراحتها ورفاهتها من تعاطيها اي عمل آخر غيره . وتربيتها لاولادها وتدبيرها لبيتها يستلزمان ان تعرف كيف تمرّض زوجها واولادها اذا مرضوا وهي اكبر مساعد للطبيب في ذلك فيجب ان تتعلم صناعة التمريض كما تتعلم الطبخ والخياطة بل كما تتعلم القراءة والكتابة وقد كانت النساء ممرّضات وقوابل قبلما شاع تعليمهنَّ القراءة والكتابة . ولا ينتظر ان تبرع كل امرأة في صناعة التمريض كما لا ينتظر

ان يبرع كل رجل في اي عمل كان ولكن النساء المستعدات بالفطرة يبرعن في التمريض ويساعدن جيرانهنَّ

اذا اتضح ذلك فيكون من المفيد لكل بلاد ان يكون فيها مدارس متصلة بالمستشفيات لتعليم فن التمريض يرسل اليها بنات المدارس ليسمعنَ فيها الخطب في فن التمريض ويشاهدن تطبيقهُ على العمل في تمريض المرضى. فالمائلات منهنَّ الى هذا الفن يرغبنَ فيهِ ويتقنَّهُ وغير المائلات اليهِ يتعلمنَ منهُ ما يفيدهن في بيوتهنَّ. ولا داعي لان ينقطع كثيرات من البنات للتمريض كصناعة لاجل المعيشة سواء ملنَ اليهِ او لم يملنَ ويكفيهنَّ ان يتعلمن مبادئهُ ويتمرنَّ عليهِ كما يتعلمنَ مبادئ العلوم والفنون حتى يستطعنَ ان يمارسنهُ مع اعمالهنَّ المنزلية اذا مست الحاجة الى ذلك

الهواء النقي من غير رطوبة

اذا كنت ساكناً في مكان رطب الهواء واردت ان يدخل غرفك هواء نقي من غير رطوبة فافتح الشباك وضع فيهِ بروازاً يملأهُ كلهُ وشدَّ عليهِ قطعةً من الفلانلا فيدخل الهواء من ثقوب الفلانلا وقد تنقَّى من الرطوبة التي فيهِ

تليين الكفوف

اذا رأيت كفوف الجلد جافَّة صلبة فبلَّ منشفة بقليل من الماء وضع الكفوف بين طيَّاتها واتركها فيها ساعة من الزمان فتترطَّب قليلاً وتلين ويسهل لبسها من غير ان تتمزَّق

دواءٌ بسيط للارق

يقال ان شراب البصل يزيل الارق ويمكن عملهُ في البيت هكذا : — ضع بصلة كبيرة في قدر من الخزف وغطها بالسكر وضعها في فرن اربع ساعات او خمس ساعات واعصرها فيخرج منها شراب اذا شربت منهُ معلقة حينما تقلق ليلاً فالغالب انهُ يزيل قلقك

فوائد منزلية

اغسل وجهك جيداً قبلما تنام ويحسن ان تغسلهُ بماء فاتر أُضيف اليهِ نقط قليلة من صبغة البنزوين

لتكن غرف النوم اوسع غرف البيت واكثرها انطلاقاً للهواء وتعرُّضاً للنور . ويجب ان يبقى شباك من شبابيك غرفة النوم مفتوحاً قليلاً من اعلاهُ واسفله لتجديد الهواء ولو في اشد ايام البرد

ساعة نوم قبل نصف الليل خير من ثلاث ساعات بعدهُ . وخير الاوقات للنوم من الساعة العاشرة مساء الى السادسة صباحاً . وما من امرأة تستطيع ان تحفظ جمال منظرها من غير ان تنام باكرًا وتنام نوماً كافياً كل ليلة

اذا مالت اليدان للقشب والتشقق فاغسلها بعصير الليمون الحامض يومياً ونشفهما جيداً

اذا تعبت عيناك فاغسلهما بالماء والملح واذا تعبت رجلاك فاغسلها بماء فاتر فيهِ كثير من الملح

اذا فركت لثة اسنانك بقطعة من الليمون الحامض امتنع تكون الطرطير على الاسنان وزال ما كان متكوّناً منهُ

الرياضة الكثيرة في الهواء النقي وشرب الكثير من الماء النقي يزيدان بشاشة الوجه ويزيلان ما يبدو عليهِ من امارات الكدر

الغذاء في البيض

في البيض كل مواد الغذاء اللازمة للحيوان وليس فيهِ شيء من المواد الضارَّة اذا كان جديداً ولكن اذا عتق تتولَّد فيهِ مواد سامَّة ولذلك لا يجوز اطعام البيض للمرضى والناقهين الَّا اذا كان جديداً واذا كان وزن البيضة ١٢ درهماً فثمانية دراهم منها بياض واربعة صفار . وستة اسباع البياض ماء والسبع الباقي زلال . ونصف الصفار ماء وثلثهُ دهن وسدسهُ زلال . وفي البيض كبريت وصوديوم وحديد وكلس وفصفور . وبعض الناس لا يستطيعون اكل البيض مطلقاً اما لانهم يكرهون طعمهُ او لانهُ يضرهم ولكن الاكثرين يستطيبونهُ وفي البيضتين من الغذاء ما يكفي لطعام الصباح او الظهر اذا اكلتا مع الخبز وقليل من الملح

اوقات الطعام

لما كان اليونان والرومان في اوج مجدهم كانوا يأكلون مرة واحدة في اليوم اي في العشاء وظل ذلك شأنهم وشأن كل الامم المتمدنة القاطنة على سواحل بحر الروم قروناً كثيرة ولم يكونوا يأكلون شيئاً في وسط النهار واما في الصباح فكان الواحد منهم يأكل تينة او

قليلاً من حبوب العنب او كسرة خبز اما العشاء فكان مثل وليمة لاهل البيت جزاء تعب النهار وكثيرًا ما كان يصحب بالغناء . وبمثل ذلك اشار الحكيم العربي حيث قال

اجعل طعامك كل يوم مرةً   واحذر طعاماً قبل هضم طعام

والذين يشتغلون اشغالاً عقلية ولا يعملون اعمالاً تتعب ابدانهم كثيرًا لا يجدون اقل مشقة من الاكتفاء بالاكل مرة واحدة في اليوم ولو اعتادوا الاكل مرتين او ثلاثًا بل قد يجدون اكبر راحة يوم يضطرون الى الانقطاع من الطعام بسبب من الاسباب اما الذين يعملون اعمالاً شاقة فالاكل مرة واحدة لا يكفيهم غالباً ولا بد لهم من الاكل مرتين او ثلاثًا في اليوم

والعادة التي كانت متبعة عندنا ولا تزال متبعة في اكثر البلدان الاوربية هي جعل الاكل مرتين في النهار الظهر والمساء اما في الصباح فيكتفى بفنجان من القهوة او كسرة من الخبز والجبن . واكل الظهر خفيف وهو من الخبز وقليل من الادام والاعتماد كلهُ على العشاء بعد الانتهاء من عمل النهار . والذين يجرون هذا المجرى يتطرفون احيانًا في فطور الصباح فيزيدونهُ كمية والوانًا حتى يصير كطعام الظهر او اكثر

ويأتي بعد هؤلاء الانكليز والالمان ومن جرى مجراهم وهم يأكلون اربع مرات في النهار في الصباح والظهر والعصر والمساء . ويظهر بالاستقراء انهُ لا يحسن ادخال طعام على طعام مالم يهضم الطعام الاول جيدًا . والمدة الكافية لهضمهِ تختلف حسب نوعهِ وصحة الآكل وعاداتهِ والغالب ان الطعام السائل يهضم في وقت قصير جدًّا والجامد يقتضي خمس ساعات الى سبع فاذا كان عمل الانسان بدنيًّا فلا بد لهُ من الطام الكافي في الصباح وفي الظهر ايضًا عدا العشاء واذا كان شغلهُ عقليًّا فيكفي ان يأكل في الصباح طعامًا خفيفًا كاللبن والزبدة مع الخبز وفي الظهر طعامًا أخف منهُ كاللبن والمرق ويبقى الطعام الثقيل الكافي الى العشاء اما أكل الطعام الغليظ الظهر فيلبك المعدة ويمنع الانسان من الاشغال العقلية . ولو اعتاد الذين يشتغلون الاشغال العقلية ان لا يأكلوا الاَّ في المساء لكان ذلك اصلح لهم

والغالب ان المترفهين والاغنياء يأكلون اكثر ممَّا تحتاج اليهِ ابدانهم فينالون جزاء شرههم التخمة وضعف الهضم وما يتبعهما من ضعف الصحة وضيق الخلق والتعرُّض للامراض الكثيرة



المباحث

لم يكد القلم يفك من عقاله في بلاد الشام حتى اعلن صديقانا العالمان العاملان والكاتبان المشهوران جرجي افندي وصموئيل افندي يني عزمهما على انشاء مجلة باسم " المباحث " تكون علمية ادبيَّة سياسيَّة فكاهيَّة تصدر مرتين في الشهر. وقد اصدرا العدد الاول منها في منتصف نوفمبر حافلاً بالمقالات العلميَّة والادبية ففيهِ بعد الديباجة مقالة في تاريخ الشورى قالا فيها " ان اليونان في اثينا كانوا يعقدون مجلساً عاماً ينتخبون فيهِ رجال الندوة العليا ويعينون الحكام وكان هذا المجلس يؤلف من جميع مراتب الاهلين واما في سبارتا فان الندوة العليا كانت تؤلف من ثلاثين رجلاً منهم رجلان يتوليان الملك معاً. على ان انتخاب اعضاء هذه الندوة كان يتم بما يشعر بهِ المنتخبون من ميل الناس لهذا المرشح او ذاك فكان الانتخاب عام بين القوم . الاَّ ان ثمت مواضع ضعف في هذه السنة القديمة ليس هذا مجال بيانها ولسنا من القائلين بان تلك المجالس كانت في شيء من الشؤون الحقة ولا هي مؤيدة لحقوق اصحابها تأييداً تماثلهُ سنن العصر او تدعو اليهِ حاجة الحضارة . اما الرومان فان في نظامهم القديم لمحا الى الحكومة الشوروية فان الامة عند بدء امرها كانت مؤلفة من ثلاثة قبائل هي الرومانية والسابية والالبيَّة وكل واحدة منها تقسم الى عشرة بطون كان يقال لها عندهم Curia ويقسم كل بطن الى عشرة افخاذ فمجموع الاقسام ثلثمئة فكان يجتمع من كل فخذ رئيسهُ فيتألف من الاجتماع دار الندوة الاعلى (السناتو) على ان هذه الندوة لم يكن في باديء الامر من خصائصها ان تسن القوانين وانما كان شأنها ان تشور على الملك بما تراهُ حسناً . وكان الملك زعيم الامة وقائد جيشها واكبر قضاتها وحبرها الاعظم ان شاء ارتضى برأي الندوة وان شاء ضرب بهِ عرض الحائط . اما سن القوانين والنظر في الشؤون العامة فكان من خصائص المجلس العمومي الذي كانوا يسمونهُ Comitia curiata وهو يؤلف من رؤساء بطون الامة وبرأيهِ ايضاً يشهر الحرب ويعقد الصلح واليهِ ترجع سلطة الملك ومتى توفي فيصادق على اختيار الخلف . وهذا النظام كان جارياً منذ تأسيس الدولة

الرومانية حتى مرّت عليها نحو مئتي سنة او تزيد على ان السنن لا تظهر في الامم فجأةً وانما تنمو في افكارهم وعوائدهم نموًّا يسهل للمشترعين سبيل اظهارها "

واستطرد الى البحث عن تاريخ الشورى على هذا النمط عند العرب والدول الاوربيّة

وموضوع المقالة الثانية الفلسفة العربيّة . وفيها " ان النساطرة واليعاقبة والسريان هم الذين حفظوا الفلسفة اليونانية من الضياع بعد ان قضت الحوادث عليها بالزوال والامحاء من ارض الهيلانيين ومن الاسكندرية وهم ايضًا الذين سلموها للاسلام عقيب تدويخهِ البلاد وافتتاحها واخذهِ باسباب الحضارة والعمران "

وتليهما مقالات مختلفة في السكة الحجازيّة والاستعداد للحرب وتأثير الحرف في اليد والتجارة السورية في القرون الوسطى وخلاصة سياسيّة وفصل من رواية اسمها فتاة الجزائر يراد استطرادها في الاعداد التالية . وما اقتبسناهُ من مقالات هذا الجزء وما قرأهُ قرّاء المقتطف من المقالات الكثيرة التي نشرت فيهِ من قلم هذين الكاتبين الفاضلين ممضاة باسميهما او بحروف مقتطفة من اسميهما كل ذلك يحقق لنا ان " المباحث " ستكون في مقدمة المجلات العربيّة في مواضيعها وطريقة البحث فيها . نفع الله بها الوطن وجزى احرارنا خير الجزاء لانهم اطلقوا حريّة الاقلام

رأس الحكمة مخافة الله

كتاب ادبي انشأهُ حضرة الفاضل الايغومانس ابرهيم عطا الله رئيس شريعة الاقباط الارثوذكس ببندر بنها بيّن فيهِ بفصول متوالية ان مخافة الله مصدر النور واس العدالة ومنتجع العبادة ورائد الصدق ومنبع العفو ومدعاة الامانة وسياج العفّة ومبدأ السماحة وعماد التربية ومبعث الشهرة ومهبط محبة القريب ومظهر الذوق السليم وقاعدة التواضع ومدرجة التوبة . ولقد مضت قرون كثيرة وخدمة الدين ولاسيما من ابناء الطائفة الارثوذكسيّة لا يهتمون باتقان العربيّة والانشاء البليغ فيها ولذلك زاد اعجابنا بهذا الكتاب لما رأيناهُ فيهِ من بلاغة الانشاء مع حسن الاسلوب في بسط الموضوع واقامة ادلتهِ وترتيب مقدماتهِ ونتائجهِ ولا نتذكر اننا قرأنا لاحد من خدمة الدين المحدثين كتابًا افصح منهُ عبارة او احسن اسلوبًا فنهنئ مؤلفهُ الفاضل ونهنئ بهِ الامّة القبطيّة الكريمة ونحث القراء على مطالعة كتابهِ . وحبذا لو نقح الطبعة الثانية منهُ فاصلح اغلاطًا وقعت فيهِ من قبيل السهو كقولهِ في الصفحة ٩٩ " تكريه الامة الى رجال الشر والحيف والغواية حتى تتنكب عنهم " والصواب تكريه

رجال الشر والحيف والغواية الى الامة حتى نتنكب عنهم. وكقوله في الصفحة ٢٣١ " على افتراض المحال والتسليم جدلاً بما يقال (وهو ان الانسان نشأ بالتسلسل عن ادنى منهُ) فهل يقدح ذلك في وجود الخالق حاشا لله ألا تكون نشأة الانسان بالصورة التي سبق التلميح اليها والتي انما تقضي الى وحدة مبدإِ الحياة في الكون دليلاً اعظم على وحدة الخالق وقدرتهِ الفائقة ". فان كان نشوء الانسان بالتسلسل يقضي الى وحدة مبدإِ الحياة في الكون ولا يقدح في وجود الخالق بل هو دليل اعظم على وحدتهِ وقدرتهِ الفائقة كما قال المؤلف فلماذا يكون هذا الفرض محالاً ولماذا لا يكون معقولاً. وما أحسن ما قالهُ احد اساقفة الكنيسة الانجيلية وهو " ان كان الصانع الذي يصنع ساعة عظيماً فالصانع الذي يصنع ساعةً تصنع ساعة اعظم منهُ جدًّا ". كلاَّ ان مذهب النشوء لا ينفي وجود الخالق ولا يضعف قدرتهُ بل يؤيد وجودهُ ويعظّم قدرتهُ وهو ليس محالاً لذاتهِ بل معقول واقرب الى العقل من اكثر المذاهب العلمية وبهِ تفسر امور كثيرة لا تفسر بغيرهِ ولو لم تقم الادلة القاطعة على صحتهِ كما قامت على صحة غيرهِ من الفروض العمليَّة

امراض النساء

تعريب حضرة الدكتور احمد عيسى

لقد كنا نشكو من الاطباء ان اكثر الذين ترجموا منهم كتب الطب انتحلوها ولم يعترفوا بفضل اصحابها وكنا نشكو ايضاً من سقم الترجمة وركاكتها اما هذا الكتاب فقد ذكر مترجمهُ اسم مؤلفهِ قبل اسمهِ وكتبهُ بالحروف العربيَّة والافرنجية وعرَّفهُ بوظائفهِ والقابهِ وهو الاستاذ پونسي معلم فن امراض النساء في مدرسة الطب بباريس وذكر ايضاً اسم معاونهِ وقال انهُ ترجمهُ عن الطبعة الرابعة. ويا حبذا لو ذكر تاريخ طبعها ايضاً لان لتاريخ طبع الكتب العلمية شأناً كبيرًا ولاسيما اذا كانت في فنون الطب التي يجدُّ فيها شيء كثير كل عام. ثم ان المترجم توخَّى صحَّة الترجمة وصحَّة العبارة العربيَّة وبحث عن المرادفات لكثير من الكلمات والمصطلحات العلمية ونشرها في جدول في اول الكتاب بالفرنسوية والعربية حتى لا يخفى مرادهُ على قرَّاء كتابهِ. واكثر هذه المرادفات صحيح ولكن بعضها غير صحيح كالصناب لمدوف الخردل بالخل فان الصناب في اللغة صبغ اي ادام من الخردل والزبيب لا من الخردل والخل نعم ان العرب كانت تستعملهُ كما نستعمل مدوف الخردل بالخل ولكن ذلك ليس هذا. وبعضها ليس اصلح ممَّا يراد ابدالهُ بهِ كالصنبور للحنفيَّة فان الحنفيَّة شائعة وقد استعملها كبار

الكتاب ولا موجب للعدول عنها ولو كانت مولّدة · ولغة الكتاب حسنة تدل على المعاني بصراحة وفيهِ رسوم كثيرة وهي غاية في الاتقان · اما الكتاب من حيث هو فلا يحق لنا ان نبدي فيهِ رأياً لان مؤلفهُ من اكبر اساتذة الفن الذي الّف فيهِ · وعسى ان يقبل عليهِ الجراحون من ابناء العربية ولاسيما اذا كانوا يجهلون اللغة الفرنسويَّة . ونسدي مترجمهُ الفاضل جزيل الشكر على خدمتهِ الجليلة

عبرة وذكرى

او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعدهُ

ثلاثون سنة من سني الاستبداد والتضييق اخمدت انفاس الامَّة العثمانية فصار " اشد ابنائها محبةً لها واخلاصاً في رفع شأن العثمانيَّة يخاف ان تفلت من صدرهِ زفرة او يباغتهُ تنهُّد فينقل عنهُ خبر تلك الزفرة او ذلك التنهُّد جاسوس عليهِ من المتظاهرين بصداقتهِ او ممَّن هم في خدمتهِ بل ربما نقل عنهُ الخبر احد بنيهِ او امرأتهُ وهناك الطامة الكبرى والبليَّة العظمى " كما قال الاستاذ جبر ضومط في مقالتهِ التي نشرناها في الجزء الماضي · هكذا كان حال البلاد العثمانية قبل اعلان الدستور · ولما رأينا اننا لا نستطيع ان نقيم على هذا الضيم هاجرنا الى القطر المصري ولجأنا الى مَن حمانا من اعتداء المابين فيهِ وجاهرنا بانتقاد الحكومة العثمانية صراحةً في المقطم وضمناً في المقتطف فمُنعا من دخول الممالك العثمانية وقام معارفنا في هذا القطر يلوموننا على السلوك في خطة يعود ضررها علينا وعلى اصدقائنا وقد لا تجدي الدولة نفعاً حتى ان مختار باشا الغازي قال لنا مرارًا انكم لا تعرفون من مساوىء الحكومة العثمانية عشر ما اعرفهُ ومع ذلك لا اجاهر بذمها لانني لا ارى فائدة من الذم . ونصح لنا مرارًا ان نعدل عن تلك الخطة فابينا ولما مُنع دخول المقتطف الى الممالك العثمانية وعاتبناهُ في ذلك قال لنا ان المقتطف مُنع لانكم تصدرون المقطم فقلنا لهُ هب اننا نصنع الصابون والبارود ومنعتم دخول البارود فهل تمنعون دخول الصابون ايضاً. ففكَّر قليلاً ثم قال اصبتم ساكتب الى الاستانة اطلب السماح بدخول المقتطف فكتب واجيب طلبهُ ولكن بقي المقتطف تحت المراقبة حتى اضطررنا ان نرسلهُ بالبوسطة الفرنسوية

وصديقنا العلامة الفاضل سليمان افندي البستاني مندوب بيروت في مجلس المبعوثان يعلم ما يملأ مجلدات كبيرة من اخبار الاستبداد وكان يمنعهُ من اظهارهِ اضطرارهُ الى زيارة بلاد الشام سنة بعد سنة فلما فك قيد الاقلام باعلان الدستور اتحفنا بكتاب عن

احوال الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده سماه عبرة وذكرى وجعله فصولاً كثيرة مما حواه صدره وعلمه الواسع من تاريخ الدستور القديم وما يتعلق بالحرية الشخصية وحرية الصحافة وحرية التعليم وحرية التأليف والقراءة والمكاتبة والجمعيات ورجال الدولة الخ ولم يكتفِ بالآراء العلمية والفلسفية والاستدلالات العقلية بل بنى اكثر كلامه على اختباره اي على ما وقع له وخبره بنفسه . ومن امثلة ذلك قوله في الصفحة ٢٣

"عرفت شابًا من ابناء التجار قصد الاستانة لعمل مالي وكان كثير التردد عليَّ فما مضت بضعة ايام الاّ واتاني يومًا ووراءه ذنبان . وانني مع كل ما خبرت ووعيت من أخبار الجواسيس عجبت ان يكون صاحبي موضع ريبة فيجر وراءه هذين الذيلين . فلما جلس وبقي الرجلان على مقربة من الباب سألته عما بدا منه حتى بات موضع التهمة فاقسم انه لا يعلم سببًا وانه لم يشعر الاّ وهذان يتعقبانه ويرافقانه كظله فاذا مشى مشيا واذا دخل بيتًا انتظراه لدى الباب واذا ركب عربة او باخرة من بواخر البوسفور ركبا . فظللنا نسعى اشهرًا لنقف على السبب الى ان اخذت الشفقة يومًا ناظر الضابطة فاطلعه على ورقة مرفوعة الى المابين من واشٍ يقول فيها ان فلانًا أي صاحبنا أتى الاستانة قصد استطلاع احوالها قبل ان يذهب الى باريس وينشئ جريدة ملؤها الطعن في الدولة وهو ذو عزوة كبيرة ومقام كبير وله شهرة عظيمة بين كتاب العصر . واني لو نفع القسم وتنشئ لاقسمت ان فلانًا هذا لا يعرف ما الكتابة في الجرائد ولم يخط بحياته فيها حرفًا ولا أثر لتلك العزوة وذلك المقام . ولم تخطر له تلك الفعلة ببال ولو في المنام وانما هي مكيدة نصبها له رجل طمع في مشاركته في تجارته فلما أبى ان يشاركه معه عمد الى هذا الانتقام الدنيء . وهكذا بقي صاحبنا سنوات يتظلم وما من سميع . فلا يفرج عنه فيرجع الى بلده ولا يؤذن له بعمل يرتزق منه وأنت تعلم ما تأول اليه حاله بعد سنوات ". وقوله في الصفحة ٤٩

" واننا لا نزال نذكر الصيحة الشديدة التي صاحتها احدى الدول بوجه عمال بريدها سنة ١٨٩٤ ثم طردها اربعة منهم دفعة واحدة ثم إصدار امرها بان لا يستخدم مكانهم احد من العثمانيين وذلك على أثر اكتشافها تواطؤ اولئك العمال مع رجال المابين على دفع رسائل بعض الاحرار اليهم لقاء جعل معلوم عن كل رسالة . وان اردتم مثالاً أجلى فاسألوا ابا الضيا توفيق افندي عما جرى له من مثل ذلك اذ دعي الى المابين في السنة المذكورة وضيق عليه واستنطق من أجل مراسلة علمية وادبية محضة جرت بينه وبين سيدة فرنسوية من ذوي الاقلام . ولا أزال أذكر عبارة له وقد اشتد به القنوط اذ همس باذني قائلاً : وددت

لو اني مت قبل ان أرى هذا الانحطاط الذي آل اليهِ أمر هذه الدولة فالحرّ مضطر فيها ان يكون قاتلاً او مقتولاً . ولقد اشتدت عليهِ المراقبة من ذلك الحين حتى انتهى امرهُ كفؤاد باشا بالاهانة والنفي ". وقولهُ في الصفحة ٧٣

" قصدت الاستانة سنة ١٨٨٦ وسعيد باشا اذ ذاك صدر اعظم وكامل باشا الصدر الحالي ناظر الاوقاف وكان لاسرتنا سابق اتصال بهِ منذ كان متصرفاً لبيروت فقصدتهُ ثاني يوم وصولي فرحب بي واشار اليَّ بمواصلة التردد عليهِ مدة اقامتي في الاستانة واستبقاني لتناول الطعام على مائدتهِ حتى اذا جلست للغداء سألني عن سبب قدومي الاستانة وعما اذا كان لي حاجة تستوجب اسعافهُ اياي بقضائها قلت نعم منذ سنتين شرع ابن عمي سليم البستاني في نقل دائرة المعارف الى اللغة التركية والف لذلك لجنة من خيرة كتَّاب التركية برئاسة خالقي افندي رئيس المكتب السلطاني فانجزت منها نحو مجلدين وتوفاهُ الله قبل ان يباشر الطبع فرأيت انا واخوتهُ ان نتم العمل ونستأذن نظارة المعارف بالطبع . فقال ارني مثالاً مما كتب فابدي لك رأيي فرجعت في الغد ومعي مثال في زهاء مئة صفحة كنت اعددتهُ لنظارة المعارف فاستبقاهُ عندهُ ريثما تصفحهُ ثم قال لي وهو ملمٌّ بالعربية ليست دائرة المعارف بافصح عبارة واحكم لحمة واجزل فائدة من هذا النقل التركي فلا تتباطأ عن طلب الرخصة ولك مني كل الموازرة . وهذا ابني صبحي بك صديقك من اعضاء مجلس التفتيش والمعاينة يعضدك بكل قواهُ . فقدمت الطلب الى الناظر الذي أقيم خلفاً لمنيف باشا ايام نكبتهِ سنة ١٨٨٦ وما زلت اتردد ثلاثة اشهر على نظارة المعارف . ولم تغنني معاونة المغفور لهُ صبحي بك بكل قواهُ ولا انضمام بعض رفاقهِ اليهِ كالسلاوي ولا موازرة كبار الكتاب كسعيد بك منفي اليمن وابي الضيا توفيق بك منفي قونيه الحيين خلا من توفي منهم كجودت باشا وصبحي باشا فان الناظر لبث اذناً صماء . ولما نفدت الوسائل قال لي كامل باشا اذا ذهبت الى الصدر الاعظم فانك بلا ريب تظفر باربك . فكتبت عريضة وذهبت اليهِ فما كان اشد عجبي اذ قال لي حالاً قرأت في الجرائد شيئاً وسرني جداً اقدامكم على هذا العمل الخطير ولو خطر لي انك لقيت هذه المماطلة لاغنيتك من تلقاء نفسي عن هذا العناء فكلنا يطلب المفيد وكلنا في خدمة هذه الامة واحد فاذهب الآن مطمئناً وعد اليَّ بعد ثلاثة ايام وفي اليوم التالي كانت الرخصة بيدي فعدت اليهِ في الاجل المضروب الذي ضربهُ لي ولكن للتشكر وليس للتشكي

غير ان المراقبة التي اخذت تشتد من ذلك الحين واسباباً اخرى حالت دون القيام بالعمل

ولا شك ان جهابذة كتاب الترك وقد انطلقت ايديهم الآن سيبرزون امثاله على اتقن منوال تلك كانت غيرة بعض رجال الدولة على المعارف. ولم يكن دون ذلك تفانيهم في نشر لواء الحرية واصلاح كل مختل في الادارة والقضاء والمالية وكل مواردها

مضت عليَّ ثلاثة اشهر في الاستانة كنت اجتمع اكثر ايامها بسعيد بك منفي اليمن وانا شغف ببلاغة كتابته في اللغة التركية فالتقط من فوائدها ما تسعهُ الذاكرة ومن مزاياه انهُ ضليع بالفرنسية والالمانية وواسع الاطلاع بالتاريخ متقد الذهن ذو تجرد غريب وهو مع تحليه بتلك الصفات رئيس دائرة في مجلس شورى الدولة فقلت لهُ يوماً وهو يكثر من الشكوى من اختلال الاحكام . لئن كنت انت وامثالك من ذوي العلم والشهرة والنفوذ تجزعون لهذه الحال فما تقول عامة الناس . قال نحن اولى منهم بالرأفة لاننا نرى ولا جرأة لنا على السعي ومن سعى منا جوزي جزاء الخائنين فالنار تلتهم افئدتنا ولا طاقة لنا على اخمادها . قال ذلك كأنهُ يتنبأ بما سيناله يوماً من البلاء في خدمة الحرية والاصلاح"

ويلي ذلك وصف بديع لانشائه جريدة تركية في معرض شيكاغو وايجاس المابين منها شرًّا وخوفه من بقاء حروفها التركية في اميركا ومنعه اصدار الحروف العربية والتركية من الممالك العثمانية . وهذا الفصل من ادلّ الفصول على مخافة بعض العقول وسمو البعض الآخر

وقال في وصف مذبحة الارمن سنة ١٨٩٦

"شهدتُ تلك الفاجعة الاليمة مشاهدة الرقيب الجازع من اولها الى آخرها ولم اكن هنا لاعيد تلك الذكرى المؤلمة او لاخطئ فيها فريقاً دون فريق فكلاهما اغتر وسيق غير مختار باغراء اولئك الفجار . ولكن الباعث على ذكرها رغبة اثبات الالفة التي كانت تهيج صدور الناقمين على هذا التعصب ومثيريه ولم يكونوا بالنزر اليسير . ولكن اعلاهم قدحاً واعظمهم جرأة كان هذا المنفي الذي قضى سبع سنين سجيناً يقاسي عذاب الموت وهو حي (اي فؤاد باشا)

شهدتهُ وكنت جارهُ في فنار باغجه يطوف مدججاً بسلاحه ينهى عن سفك الدماء . يحيي الليل بين هاتيك الاحياء واعظاً منذرًا متلطفاً متهددًا على ما تقتضيه الحال . يسأل من انس منهُ خوفاً ان يحل ضيفاً كريماً عليه . يؤمن الخائف ويرعب الخائن . فحجب الدماء في كل ذلك الجوار فلم تهرق فيه نقطة واحدة وهي سائلة انهارًا في ما سواهُ واذا علمت ان ذلك الجوار بما يليهُ من فنار باغجه الى موده وقاضي كوي واطراف اسكودار يحوي مئتي الف ساكن تجلّى لك مبلغ تلك الهمة الشماء

فعل كل ذلك وهو يعلم انهُ يجري على غير خطة المابين فما راعهُ ذلك بل راعهُ صوت وجدانهِ

ولا انبئك هنا بما كان من اجلال الاهالي من وطنيين واجانب لهذا الاقدام الخطير ولا افصل لك ما توالى عليهِ من رسائل الشكر الخاصة عدا عن الرقيم العام الذي امضتهُ النزالة الاوربية برمتها . وما نشر من مقالات الثناء الصافية في صحف الافرنج فتلك امور يستنتجها كل واقف على تلك الحوادث

ولكن السر الغريب الذي لا يعلمهُ الناس ان ذلك كان مبدأ النقمة عليهِ من رجال المابين وانهُ حتى ذلك الحين كان في اعلى مراقي الحظوة وما انحطت منزلتهُ الاَّ من ذلك اليوم فما وسعهم ان يقولوا لهُ انك اتيت جريمة القتل بحماية الانفس من القتل فما زالوا يحتالون بتوجيه التهم اليهِ حتى ألقوا بهِ الى تلك التهلكة التي أدت الى نفيهِ وسجنهِ وتجريدهِ من رتبهِ وألقابهِ واوسمتهِ "

والكتاب كلهُ على هذا النسق فهو جدير بان يطالعهُ كل ابناء الدولة العثمانية ويتخذوهُ عبرةً وذكرى



فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الصورة في المرآة

طرابلس الشام . هل الخيال المنعكس عن المرآة من نوع الاعراض او هو جوهر . وما علاقة الفوتوغراف في ذلك

ج الصورة المنعكسة عن المرآة حاصلة من اشعَّة النور المنعكسة اصلاً عن الجسم الذي ترى صورتهُ في المرآة فاننا اذا رأينا شجرة فقد حدثت رؤيتنا لها من ان اشعة الشمس او اشعة القمر او اشعة السراج وقعت على اوراق الشجرة واغصانها وانعكست عنها الى كل الجهات وفي جملة ذلك الجهة التي فيها عين الرائي وهذه الاشعة التي تصل الى عينهِ

تدخلها وتؤثر في اعصابهِ فيشعر بها وبالجهة الواصلة اليهِ منها وان شئت فقل انها ترسم على باطن عينيهِ صورة تلك الشجرة فيشعر بها فاذا كانت الاشعة المنعكسة عن الشجرة قد وقعت على مرآة وانعكست عنها الى عين الرائي شعر كأنها آتية من وراء المرآة حيث تلتقي خطوطها فيرى صورة الشجرة وراء المرآة. فالصورة التي ترى في المرآة ناتجة عن اشعة النور المنعكسة عنها وحاصلة من تصوُّر الرائي انها موجودة حيث تلتقي الاشعة اذا أُخرجت على استقامتها . ولم نفهم ما هو مرادكم من قولكم "ما علاقة الفوتوغراف في ذلك" فان ليس للفوتوغراف علاقة بكون الصورة التي ترى في المرآة عرضاً او جوهراً

(٢) تصبير الطيور

اسيوط . الخواجه وليم مشرقي . كيف تصبَّر العصافير

ج تصبير العصافير يشمل عملين مختلفين الواحد سهل وهو ان يسلخ جلد العصفور بالتاني التام حتى لا يتمزَّق ولا ينتف ريشهُ ولا يدعك ثم يفرك الجلد من الداخل بمسحوق الزرنيخ حتى لا يقع فيهِ الدود . وهذا العمل سهل يتعلمهُ الانسان بقليل من المزاولة . والثاني ان تعمل حشوة للعصفور من الكتّان ونحوهِ وتوضع فيها اسلاك معدنية لتكون بمثابة هيكل لهُ وتوضع الحشوة داخل الجلد وذلك يقتضي مهارة خصوصية كمهارة المصور والنحّات حتى يأتي شكل العصفور ووضعهُ مماثلين لحالتهِ الطبيعية

(٣) تعلم فن الانشاء

القدس . ما هي افضل طريقة لتعلم فن الانشاء وما هي افضل الكتب التي يعتمد عليها في ذلك

ج لا بدَّ من انكم تريدون الانشاء العربي وكيفيَّة حصول ملكتهِ في النفس واذا كان الامر كذلك فملكة الانشاء تحصل من قراءة الكتب البليغة نثرًا ونظماً واستظهار الكثير منها والنسج على منوالها بعد تعلُّم قواعد اللغة . ومن كتب النثر المشهورة كتاب كليلة ودمنة ومقامات الهمذاني والحريري واليازجي ونهج البلاغة ومن كتب الشعر قصائد ابي تمام والمتنبي والشريف الرضي . ولا بدَّ للمتعلم من استاذ ينتقد ما يكتب ويدلهُ على مواقع الخطاء ووجوه الصواب

(٤) محيط المحيط

ومنهُ . هل يحسن اعتبار محيط المحيط مرجعاً صادقاً لمعاني الالفاظ فقد سمعت مرارًا انهُ ناقص وغير صحيح فما رأيكم في ذلك

ج نحن نعتمد عليهِ لسهولة استعمالهِ ولاننا وجدنا بالامتحان انهُ من اوسع كتب اللغة واصحها فاذا لم نجد فيهِ كلمة او اذا ارتبنا في تفسير كلمة رجعنا الى لسان العرب او تاج العروس . وياحبذا لو اهتم احد من ابناء البستاني او غيرهم بتنقيحهِ وحذف ما يمكن

الاستغناء عنهُ منهُ واعادة طبعهِ على اسلوب يجعلهُ اسهل استعمالاً

(٥) استهواء البنات

بيروت . الامير رائف شديد بللمع . زار قصبة الشويفات في الصيف الماضي مبشر نروجي ولبث فيها ثلاثة اسابيع كان يصلي ويعظ ومن الغريب ان بعض البنات اللواتي آمنَّ بتعاليمهِ ولاسيما الصغيرات منهنَّ كنَّ يقعنَ في غيبوبة عند ما يصلين بحرارة واحياناً يغبن ولو لم يصلين ويتكلمن بألسنة غير مفهومة الاَّ بعض كلمات باللغة الانكليزية وبعض آيات من التوراة باللغة العربية ثم يفقن بعد ساعة من الزمان او اكثر او اقل . وكان ذلك المبشر يدعي ان الروح القدس حلَّ عليهنَّ كما حلَّ على التلاميذ يوم العنصرة واغرب من ذلك ان الروح بقي يحل على اولئك الفتيات بعد ذهاب المبشر فما قولكم في ذلك

ج كنا نود ان تروا البنات وتدققوا في البحث وتكتبوا ما تشاهدونهُ وما تسمعونهُ منهنَّ بالتفصيل والتدقيق . والحادثة اذا صحت نادرة ولكنها ليست منقطعة النظير وهي من قبيل الاستهواء او رقص مار يوحنا اي انها تأثر في الاعصاب ينتشر بالقدوة . واكثر ما يحدث ذلك للبنات وهو يحدث على يد كهنة الوثنيين كما يحدث على يد غيرهم ولا بد من ان يكون سببهُ واحداً وهو ما تقدم . اما اذا كان لهُ سبب غير طبيعي وليس مما يتوصل الى معرفتهِ بالعلم الطبيعي فليس لنا سبيل علمي الى معرفتهِ

(٦) ارخميدس وقولهُ

مصر . محمد افندي عبد الكريم رأيت في رواية فتاة مصر هذه الجملة "وهالها منادانهُ وقولهُ وجدتها كأنهُ ارخميدس حين خرج من الحمام ومشى في الاسواق عارياً" فما سبب خروج ارخميدس عارياً من الحمام ومن هو ارخميدس هذا

ج ارخميدس اشهر علماء الرياضيات ولد في سيراقوسة سنة ٢٨٧ قبل المسيح اي منذ نحو الفين ومئتي سنة . ويقال ان الملك هيرو اعطى صائغاً مقداراً من الذهب ليصوغ لهُ منهُ تاجاً فصاغ التاج ولكن خامر الملك شك في امانة الصائغ حاسباً انهُ مزج الذهب بالفضة فطلب من ارخميدس ان يعرف ذلك من غير ان يحلل التاج فاشكل الامر عليهِ ولبث يفكر فيهِ مدة ثم دخل الحمام ذات يوم وغطس في مغطس فرأى الماء قد خرج من المغطس فارشدهُ ذلك الى حل مسألة التاج فخرج من الحمام عارياً وهو يقول يوريكا يوريكا اي وجدتها وجدتها . وهو مستنبط الطنبور الذي يستعمل في مصر الآن لرفع الماء

(٧) تعلم المنطق

ومنهُ . ما هي اسهل طريقة يتعلم بها

الانسان علم المنطق وما هي اسماء الكتب اللازمة لذلك

ج ان رسالة الشيخ ناصيف اليازجي المعروفة بقطب الصناعة تكفي المبتدئ وكذلك متن الشمسيَّة للتفتزاني وحاشية الباجوري على مختصر السنوسي وحاشية العطار على شرح التهذيب وايضاح المبهم من معاني السلَّم للدمنهوري وجزء المنطق من النقش في الحجر ولا بدَّ للمتعلم من استاذ يشرح لهُ ويمرّنهُ

(٨) علم العمران

ومنهُ . هل يوجد كتب عربية لعلم العمران والاجتماع وما هي اسماؤُها

ج لم نرَ كتاباً عربيًّا في هذا الموضوع الأ كتاب غيزو الذي ترجمهُ المرحوم حنين الخوري

(٩) درس العلوم الطبيعية

هيبا . حجازي افندي علي . ما هي اقوم طريق لدرس العلوم الطبيعيَّة وما هي هذه العلوم

ج العلوم الطبيعيَّة هي الفلسفة الطبيعيَّة والكيمياء والجيولوجيا والفسيولوجيا والنبات والحيوان والمتيورولوجيا والفلك . ولا بدَّ من درس كل علم منها على استاذ بارع فيهِ والاشتغال بها عملاً فتعلُّم الفلسفة الطبيعيَّة يقتضي ان يمتحن المتعلم بيدهِ خواص الاجسام الطبيعيَّة ومعرفة مركز الثقل والثقل النوعي وضغط الهواء ومرونة الاجسام وتمددها بالحرارة ونواميس الكهربائية والمغنطيس والنور وما اشبه . وتعلُّم الكيمياء يقتضي ان يمتحن المتعلم بيدهِ خواص العناصر الطبيعيَّة واستحضارها واستحضار مركباتها والكشف عنها . وتعلم الجيولوجيا يقتضي ان يذهب المتعلم مع معلمهِ يفتش عن طبقات الارض وصخورها وما فيها من التحجرات . وتعلُّم الفسيولوجيا يقتضي ان يعرف المتعلم مبادئ التشريح ويشرّح الحيوانات بيدهِ ويرى احشاءها ويراقب افعالها وينظر بالميكرسكوب الى دمها ولبنها وسوائلها المختلفة ويمتحن فعل اللعاب وعصارة المعدة بالطعام وما اشبه . وتعلُّم علم النبات يقتضي ان يشرّح المتعلم النباتات ليرى اجزاءها المختلفة وان يجمع امثلة من انواعها وفصائلها ويرى مميزاتها وكذلك علم الحيوان يقتضي ان يرى المتعلم انواع الحيوانات من ادناها الى اعلاها ويشاهد مميزاتها . والمتيورولوجيا اي علم الاحداث الجوية يقتضي ان يشتغل متعلمهُ بمراقبة الحرارة والبرودة والرياح والغيوم وسائر الاحداث الجوية . والفلك يقتضي رصد الشمس والقمر والسيارات والثوابت واستعمال الكرة الارضية والفلكية وآلات الرصد المختلفة

(١٠) الافعال ومدلولاتها

المنيا . لبيب افندي برسوم . هل في العربية كتاب يبحث فيهِ عن اختصاص الافعال بمدلولاتها الحقيقية مثلاً اريد ان اعرف متى استعمل فاض وزاد او ناح وانتحب واين يباع

ج تجدون ما يفي بالمراد في فقه اللغة

والالفاظ الكتابية وكنز الحفاظ ونجدة اليراع ونجعة الرائد . وهذه الكتب متعارفة وتباع في كل المكاتب الكبيرة

(١١) الكمأة والرعد

مارنيو بالبرازيل . الخواجه ديب الياس لاي سبب تظهر الكمأة بكثرة اذا حدث رعد كثير . ولا تظهر اذا لم يحدث رعد كثير

ج هذا القول شائع ونظن ان سببهُ ظهور الكمأة كل سنة في فصل الشتاء وحدوث الرعد فيهِ فيعلق العامة ظهور الكمأة بحدوث الرعد ولا علاقة بينهما سوى حدوثهما معاً في فصل واحد ولكن اذا اثبت البحث المدقق ان الكمأة تظهر حقيقة في الشهر الذي يكثر فيهِ الرعد سواء غزر مطرهُ او لم يغزر ولا تظهر في ذلك الشهر نفسهِ اذا لم يكثر فيهِ الرعد سواء كثر مطرهُ او قلَّ فيكون السبب ان الرعد يكثر تكوُّن الحامض النيتريك في الهواء من اتحاد نيتروجينهِ باكسجينهِ فيقع مع المطر ويغذي بزور الكمأة فيكثر نموها لان الكمأة كثيرة المواد النيتروجينية



الدكتور ورتبات

نعي الينا من بيروت استاذنا العلامة المفضال الدكتور ورتبات توفاهُ الله عصر يوم السبت في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر الماضي ودفن في اليوم التالي في مشهد حافل بفضلاء بيروت من كل الطوائف والملل وسنأتي على ترجمتهِ في الجزء التالي

الاستاذ ايرتن

توفي هذا العالم الكهربائي الكبير في الثامن من نوفمبر وهو في الحادية والستين من عمرهِ وقد وفقت بلاد اليابان ان استخدمتهُ لتعليم الفنون الكهربائية فيها فانشأ هناك داراً علمية للبحث في المواضيع الكهربائية حتى قال مكسول ان مركز الثقل في الكهربائية قد انتقل الى بلاد اليابان . ثم عاد الى بلاد الانكليز وجُعل استاذاً للطبيعيات العملية واقام في هذا المنصب من هذا سنة ١٨٧٩ الى ١٨٨٤ وكان يشرك التلامذة في الامتحانات العلمية حتى يقرنوا العلم بالعمل او حتى يتعلموا العلم من العمل وهو اول من فعل ذلك ثم جُعل استاذاً للهندسة الكهربائية وبقي في هذا المنصب الى ان ادركتهُ الوفاة .

واكثر المهندسين الكهربائيين في بلاد الانكليز من تلامذتهِ

الدكتور اسعد حبيقه

نعي الينا من دير القمر بلبنان المأسوف عليهِ الدكتور اسعد حبيقه. درس الطب في بيروت واتمّ درسهُ في فرنسا واتقنهُ علماً وعملاً واقام في الاسكندرية وصار من اطبائها المعدودين على حداثة سنهِ وآخر شيء كتبهُ في ما نعلم رسالة في الشفاء الغريب نشرت في الجزء الثالث من مقتطف هذه السنة تأييداً لما كتبهُ استاذنا الدكتور ورتبات وكلاهما الآن في العالم الباقي. اصيب بداء عياء لم ينفع فيهِ علمهُ ولا علم غيرهِ من الاطباء وقضى نحبهُ في اول نوفمبر قبل ان يتم الخامسة والثلاثين من عمرهِ

مذنب مورهوس

صوّر هذا المذنب صوراً فوتوغرافية كثيرة وقد بلغ طول ذنبهِ ١٧ درجةاي ٢٧ مليون ميل وقطر نواتهِ عشر دقائق من الدرجة اي ٢٩٠٠٠ ميل

كلف الشمس

عادت كلف الشمس الى الظهور فظهر مجموع كبير منها في ٦ نوفمبر وكان يرى بالعين المجردة. ثم ظهر مجموع آخر كبير في ١٢ نوفمبر ورئي بالعين المجرَّدة في ١٧ نوفمبر

الذهب الشفاف والفضة الشفافة

لا يخفى على دارس الكيمياء ان ورق الذهب غير شفاف ولكن اذا وضعتهُ بين لوحين من الزجاج ونظرت من خلالها رأيت ورق الذهب صار شفافاً وصار لونهُ اخضر كالزجاج الاخضر وقد بيَّن الاستاذ فرداي منذ احدى وخمسين سنة ان ورق الذهب وورق الفضة اذا الصقا بالزجاج واحميا يصيران شفافين. وقد بيَّن الاستاذ توماس ترنر في الجمعية الملكية ببلاد الانكليز انهُ اذا كان سمك ورقة الذهب جزءًا من ثلثمئة الف جزء من العقدة تصير شفافة اذا احميت الى درجة ٥٥٠ بميزان سنتغراد كأن دقائق الذهب تترتب حينئذٍ على صورة تجيز لاشعة النور الابيض ان تمر بينها. واذا كان سمك ورقة الفضة جزءًا من مئة وعشرين الف جزء من العقدة واحميت الى الدرجة ٣٩٠ صارت شفافة تماماً. ولا يكتسب ورق الفضة الشفافية اذا احمي في الفراغ بل لا بد من وجود الاكسجين حولهُ مع انهُ لا يتحد بالاكسجين او ان الاكسجين يتحد بهِ فيصيرهُ شفافاً ثم يفلت منهُ حالاً ويبقى على شفافيتهِ

واذا كان سمك ورق النحاس جزءًا من ٧٥ الف جزء من العقدة واحمي في الهواء او في الاكسجين الى درجة بين ٢٠٠ و٤٠٠

صار شفافًا ايضاً ولكن يكون لونهُ اخضر زمرديًّا فاذا زادت الحرارة تغير لونهُ فصار زيتونيًّا نحمريًّا فاسود

اغلاء الماء وترشيحهُ

يظهر ان القول باغلاء ماء الشرب اذا كان آسنًا لمنع ضررهِ قديم جدًّا اشار بهِ اليونان قبلما عرفهُ علماء العرب فقد جاء ان روفس الافسسي الذي نشأ في القرن الاول المسيحي قال ان مياه البرك والانهار غير صالحة للشرب ما عدا ماء النيل واذا كان الماء راكدًا آسنًا او جرى في اراض وبيئة او قرب الحمامات العمومية فهو غير صالح للشرب ويصير صالحًا باغلائهِ في اناء من الخزف وتبريدهِ ثم باغلائهِ ثانية قبل شربهِ ويمكن تنقية الماء للجند بترشيحهِ في حفر تبطن بطين الخزف ويجعل بعضها فوق بعض فالشوائب تبقى في الحفر ويتحلب الماء منها نقيًّا

السكر في الخبز

يهتم الفرنسويون الآن بمزج الدقيق بالسكر وعمل الخبز منهُ فقد ثبت لهم ان الدقيق الذي فيهِ خمسة في المئة فقط من السكر يصنع منهُ خبز لا يبين طعم السكر فيهِ ويزيد مقدار الغذاء فيهِ وبذلك تكثر مقطوعية السكر فيروج ويزول الكساد الذي لحقهُ الآن. وقد وجدوا ان اهالي فرنسا انفقوا من السكر في العام الماضي ٥٨١٠٠٠ طن نخص النفس منهم ٣٣ رطلاً فاذا اضيف الى الدقيق خمسة في المئة من السكر تضاعفت مقطوعيتهُ

الطعام النباتي والحيواني

لا يخفى ان الدكتور تشتندن الاميركي بيَّن بالتجارب ان جسم الانسان لا يحتاج الى اللحم الكثير الذي يأكلهُ الاوربيون لان الانحلال من عضلاتهِ قليل جدًّا والاطعمة اللحمية او النيتروجينية على اطلاقها تتعب كليتيهِ وتولد فيهِ سمومًا تضرهُ. الاَّ ان الاستاذ ماكاي الانكليزي بحث في هذا الموضوع بحثًا مدققًا في بلاد الهند حيث الملايين من السكان يتغذون بالاطعمة النباتية الاصل ولا يأكلون اللحم الاَّ نادرًا فوجد ان اقلالهم من اكل اللحم والمواد النيتروجينية عمومًا ضارٌّ بهم لانهُ يقلل المواد المغذية في الدم وفي خلايا الجسم عمومًا ويضعف الكليتين بنوع خاص وقد نتج عن ذلك ان مقدار العمل الذي يعملهُ الهندي قليل جدًّا بالنسبة الى العمل الذي يعملهُ الاوربي وهو يتعب من العمل قبلما يتعب الاوربي وتفعل بهِ ميكروبات الامراض اكثر مما تفعل بالاوربي لان ليس في جسمهِ ذخرة يعتمد عليها وجسمهُ اصغر من جسم الاوربي وثقلهُ اخف مثل كل الذين غذاؤهم قليل. نعم ان الاطعمة النيتروجينية تولد سمومًا

في الجسم ولكن الجسم السليم يتخلص منها بسهولة . ولا دليل على ان انحلال الاطعمة الدهنية والنشوية لا يولد السموم في الجسم فاذا ولَّدها وكان الجسم ضعيفاً عجز عن التخلص منها لاسيما وان الذين يكتفون بالاطعمة الخالية من المواد النيتروجينية يلتزمون ان يأكلوا مقداراً كبيراً منها ولذلك يكثر مرض البول السكري في بلاد بنغالا بالهند كثرة بالغة جدًّا لاعتماد الناس على الاطعمة النشوية فضررها اكيد لا مثل الضرر الذي يظن ظنًّا انهُ ينتج من اكل الاطعمة اللحمية

دود القطن في الهند

اهتمَّ اهالي الهند منذ مدة بزرع القطن المصري والقطن الاميركي في بلادهم لانهما اجود من القطن الهندي واغلى ثمناً لكن ظهرت الدودة فيهما فاتلفتهما وهي لا تضرُّ القطن الهندي فاذا لم يجد اهالي الهند واسطة لوقاية القطن المصري منها زال الخوف من مناظرة الهند لنا في زرع القطن الجيد

هبة هندية

وهب الكريم تشنو بهاي مدولال حكومة الهند ثلثمئة الف روبيَّة او ثلاثين الف جنيه لكي تنفق ريعها في التعليم في احمداباد وقد بلغت هبات الهنود هناك للتعليم مليوناً وثمانمئة الف روبيَّة

سل البقر

يعلم قرَّاء المقتطف ان الدكتور كوخ الالماني قال منذ بضع سنوات انهُ لم يجد ان سل البقر ينتقل الى البشر وخالفهُ الاطباء في ذلك ولا يزال جمهورهم مخالفاً لهُ ولما التأم مؤتمر السل في مدينة وشنطون في اواخر سبتمبر الماضي خطب فيهِ الدكتور رسيم هو يتهد وقال ان الاطباء الباحثين في هذا الموضوع يقدرون الدكتور كوخ قدرهُ ويعلمون ما لقولهِ من الشأن العظيم ولكن البحث المدقق اثبت ان سبعة في المئة من الذين يصابون بالسل تكون اصابتهم من القناة الهضمية ويرجح انهم يصابون من لبن البقر المصابة بالسل فلا يجوز منع الوقاية . وقد أُقيمت لجنة لتبحث عن اسباب وصول ميكروب السل الى اللبن

النمل وضيوفهُ

نشر الاب وسمان مقالات ضمنها مباحثهُ الكبيرة في طبائع النمل بيَّن فيها ان بعض انواع النمل تعيش معاً في قرية واحدة على تمام الوئام ولا يعتدي نوع منها على النوع الآخر وبعضها يسمح للخنافس الصغيرة ان تعيش معهُ آمنة وبعضها يسمح لتلك الخنافس ان تعيش معهُ اذا كان عددها قليلاً فاذا زاد قام عليها وفتك بها . وبعضها يؤْمن الخنافس ولو كانت هي غير امينة فتأْكل بيضهُ وهو لا يؤْذيها

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد الثالث والثلاثين

